المجلد الثاني

الرحلة العياشية

1661 - 1663م

عبد الله بن محمد العياشي



موسوعة رحلات الحج

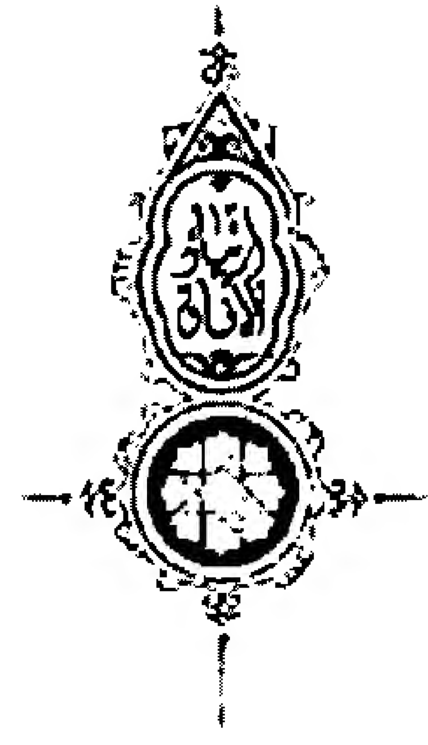
حققها وقدم لها:

د. سعيد الفاضلي   د. سليمان القرشي



الرّحلة العياشية

1661–1663م



الرِّحلة العياشيَّة - المجلد الأول
أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي/مؤلف، [حققّها وقدّم لها: د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي]
الطبعة الأولى، 2006
حقوق الطبع محفوظة



دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي، ص. ب: 44480
الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 6322079، فاكس: 6312866

تصميم الغلاف: الفنان ناصر بخيت
الصف الضوئي: القرية الإلكترونية/أبو ظبي
الخطوط: محمد مندي

الرّحلة العياشيّة

1661 – 1663م

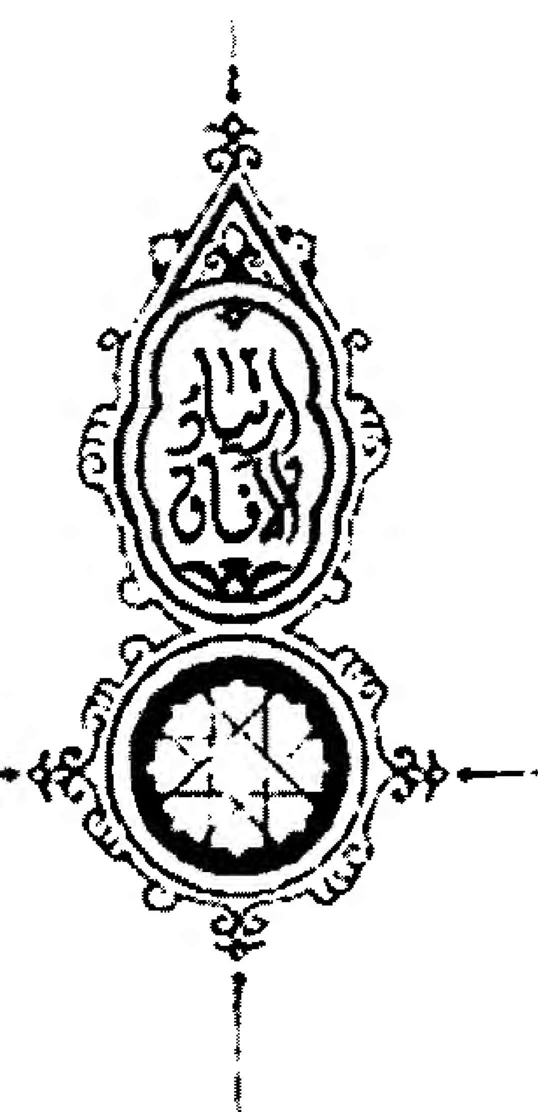
أبو سالم عبد اللّه بن محمد العياشي

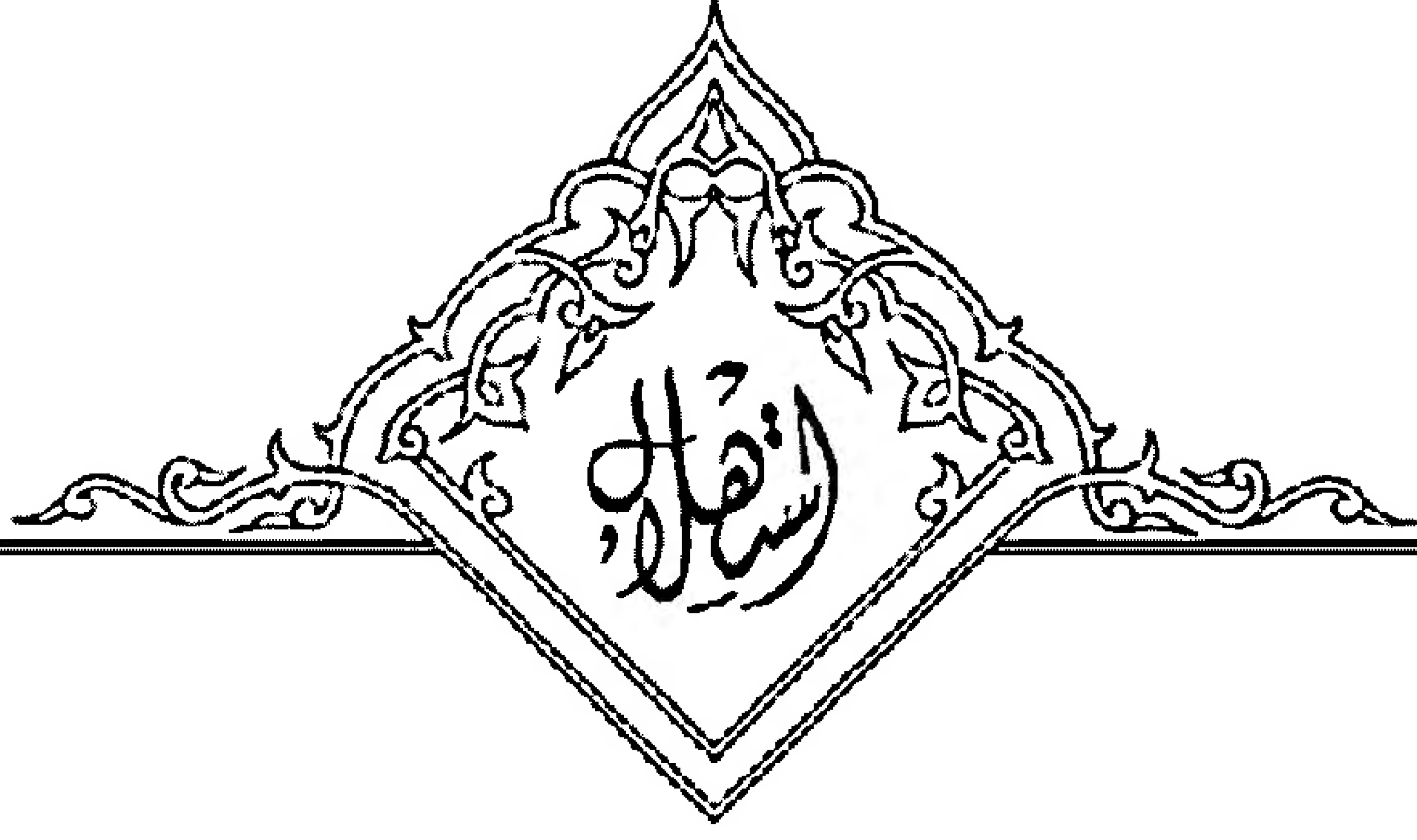
المجلد الثاني

حقّقها وقدّم لها :

د. سعيد الفاضلي و د. سليمان القرشي

الكتاب الحائز على
جائزة ابن بطوطة
للأدب الجغرافي 2005





تَهْدُفُ هذه السِّلسلةُ بَعْثَ واحدٍ من أعرقِ ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيَّاتِ أدبِ الرِّحْلةِ، إلى جانب الكشف عن نصوصٍ مجهولةٍ لكتاب ورحَّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميَّاهم وانطباعاهم، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبروهُ في أقاليمه، قريبة وبعيدةً، لاسيما في القرنين الماضِيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنَّاس في الغرب، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشَّرق، ورسموا له صوراً ستملأُ مجلدات لا تُحصى عدداً، خصوصاً في اللغاتِ الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم، ومن منطلق المستأثر بالأشياء، والمتهيئ لترويج صور عن "شرق ألف ليلة وليلة" تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاهم، وتُمهِّدُ الرأي العام، تالياً، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق. ولعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياهما العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك. فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري.

على أن الظَّاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيَّة لمجتمعاهما جديدة عليها، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري، لتجد نفسها تملك، بدورها، الدوافعَ والأسبابَ لتشدّ الرحال

نحو الآخر، بحثاً واستكشافاً، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقوله في حضارته، ونمط عيشه وأوضاعه، ضاربة بذلك الأمثال للناس، ولينبعث في المجتمعات العربية، وللمرة الأولى، صراع فكري حاد تُستَقطَبُ إليه القوى الحيَّةُ في المجتمع بين مؤيد للغرب موالٍ له ومتحمِّسٍ لأفكاره وصياغاته، وبين معادٍ للغرب، رافض له، ومستعدٍّ لمقاتلته.

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين، عَبْرَ رسمِ صورِ دنيا لهم، بواسطة مخيِّلةٍ جائعةٍ إلى السِّحري والأيروسيِّ والعجائبيِّ، فإنَّ أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم، كما سيتَّضِحُ من خلال نصوص هذه السلسلة، ركّز، أساساً، على تتبع ملامح النهضة العلميَّة والصناعيَّة، وتطوّر العمران، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق. لقد انصرف الرَّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات، مدفوعين، غالباً، بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفي، وإنما، أساساً، من باب طَلَب العلم، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشَّلل الحضاريِّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها. هنا، على هذا المنقلب، نُجد أحد المصادر الأساسية المؤسِّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته، وهي نظرة المتطلّع إلى المدنيَّة وحداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسِّر على ماضيه التليد، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السِّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرَّحالة، والانتباهات التي ميَّزت نظرتهم إلى الدول والناسِ والأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكّل ثروةً معرفيَّةً كبيرةً، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه

مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكّرُ بها.

أخيراً، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسة التي قد تبلغُ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس، وللمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريَّة تكشف عن همّة العربيِّ في ارتيادِ الآفاق، واستعداده للمغامرة من باب نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمتعةِ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربعِ جهات الأرض وفي قارّاته الخمس، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء، وغيرهم من الرَّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية.

محمد أحمد السويدي

[الجزء الثاني من رحلة الشيخ
الإمام العلامة القدوة الهمام العارف
الكبير والمحقق الشهير أبي سالم
سيدي عبد الله العياشي
رضي الله عنه
ونفعنا به آمين][1]

(1) ما بين معقوفتين زيادة من ط.

باسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً[1]

ومنهم صاحبنا ذو القدر المنيف والخلق الظريف والجاه الخطير والحسب الأثير، رئيس المؤقتين بالحرم الشريف، الشيخ شهاب الدين أحمد بن التاج[2]، (رحمه الله)[3]، كان ممن نشأ في حجر النباهة، ورضع ثدي الوجاهة من لدن صباه إلى كبره، وهو مع ذلك مطوي على غره، له عقل ذكي وإدراك جلي، أخذ العلم عن أبيه وعَمَّن أدركه من مشايخ الحرمين، وتمهر في علم الحساب والتوقيت والتنجيم، وانفرد في تلك الأقطار بمعرفة علم السيميا والزيارج والحدثان بطرق متعددة، فنال بذلك وجاهة عند الأمراء وأرباب المناصب، رأيت عنده كتاب الجفر الكبير الذي قل أن يوجد في الدنيا حتى قال بعضهم: إنه من الأشياء التي وضعت لها الأسامي ولم توجد مسمَّياتها، وهو سِفْرٌ كبير نحو الأربعين كُرَّاساً في القالب الكبير، مرتب على حروف المعجم، وهو كله حروف مقطعة في مربعات صغار، كل مربعة فيها أربعة أحرف، وصفة ذلك[4] أن في كل حرف من حروف المعجم ثمانية وعشرين صفحة، أربعة عشر ورقة، في كل صفحة جدول من ثمانية وعشرين في مثلها، فيصير في الجدول الذي في الصفحة الواحدة ثمانية وعشرون سطراً، في كل سطر ثمانية وعشرون بيتاً، أعني بالبيت المربعة الصغيرة، وفي كل بيت أربعة أحرف من حروف المعجم بالوضع العربي، ولا توجد الحروف التي في بيت واحد مُكَرَّرة مع بيت آخر من أول الكتاب إلى آخره، مع أن في كل سطر منه حروف المعجم كلها لا يخلو منها بتمامها سطر، ووجه ذلك أن حرف الألف مثلا فيه ثمانية وعشرون صفحة عدد حروف المعجم، وأول كل سطر من صفحات حرف الألف إلى آخره مبتدأ بالألف، ثم يعتبر معه حروف المعجم كل

---

(1) ساقط من ط.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) زيادة من ط.

(4) أنظر: كتاب الجفر الجامع والنور اللامع، ص: 5.

في سطر إلى آخر الصفحة، وضابط ذلك، كما قال بعضهم، أنّ حرف الترجمة يحفظ لك أول الحروف، يعني أول الحروف في كل بيت من كل سطر من أسطر الكتاب كلها، والصفحة تحفظ لك ثاني الحروف، يعني أيضا الحرف الثاني من كل بيت من كل سطر من كل صفحة، والسطر يحفظ ثالثها كذلك، والبيت يحفظ رابعها كذلك، فأول البيوت كلها من الكتاب فيه أربعة ألفات هكذا: اااا، ووجهه على الضابط الأول أن الترجمة ترجمة الألف، فجعلنا الألف أول الحروف والصفحة أول الصفحات، فجعلنا الألف أيضاً ثاني الحروف، والسطر أول السطور، والبيت أول البيوت، فكانت الحروف كلها ألفات، ولا يوجد بيت فيه أربع ألفات سواه إلى آخر الكتاب، ثم البيت الثاني من السطر الأول فيه ثلاث ألفات وباء هكذا: ااب، لأن الترجمة لأول الحروف، وهو الألف، وهذه الصفحة الأولى والسطر أول السطور، فكانت ثلاث ألفات، وأما البيت، وهي الحافظة للحرف الرابع، فهي ثانية البيوت، فكان الحرف الرابع باء، والبيت الثالث ثلاث ألفات وجيم، ثم كذلك إلى آخر السطر متكون فيه ثلاث ألفات وياء آخر الحروف، وفي أول السطر الثاني ألفان وباء وألف هكذا: اا ب ا، ووجهه على الضابط الأول أن حرف الترجمة أول الحروف، والصفحة أيضاً أولى الصفحات، فيوضع ألفان، السطر ثاني السطور، فيوضع باء، والبيت أول بيت من السطر فيوضع ألف، وفي البيت الثاني من السطر الثاني ألفان وباءان، لأن الترجمة لأول الحروف والصفحة أولى والسطر ثان، والبيت ثان، ثم كذلك، فإذا فهمت ذلك في الصفحة الأولى من حرف الألف سهل عليك اعتبار ذلك في سائر الحروف، ومثال ذلك أيضاً السطر الثالث من الصفحة الرابعة من حرف الكاف تضع في البيت الأول منه كاف ثم دال ثم جيم ثم ألف هكذا: ك د ج ا، لأن الترجمة للكاف، والصفحة الرابعة للدال، والسطر الثالث للجيم، والبيت أول البيوت من السطر الألف، وفي البيت الذي يليه كاف ودال وجيم وباء، ثم كذلك إلى آخر السطر وآخر حروف المعجم، ومثال ذلك أيضا الصفحة السادسة من حرف الألف أول بيت من أول سطر منها فيه ألف حرف الترجمة، ثم واو حرف الصفحة، ثم ألفان حرف السطر، والبيت السادس من السطر الأول،يعني من الصفحة السادسة من حرف الألف فيه ألف الترجمة، ثم واو الصفحة ثم ألف السطر، ثم واو البيت، وإنما نوعت الأمثلة قصدا للبيان، وإلا فالضابط الأول كاف في وضع جميع الكتاب كله لمن تأمل وفهم.

وكان صاحب الترجمة يتبجح كثيرا باستخراج كتاب الجفر، والجامعة[1] من هذا الضابط المتقدم، مع أنه لا كبير مؤنة فيه، بعد العلم بالضابط المتقدم، سيما من تقدمت له رؤيته، وكنت سألته هل رأيته على هذا الوضع قبل هذا، فأخبرني أنه رآه مرة أخرى في خزانة سيدي صبغة الله الحسيني[2] صاحب الأسرار الإلهية، وهي التي في شامي المسجد النبوي بيد شيخنا صفي الدين القُشاشي رضي الله عنه، ولما لقيت صاحب الترجمة وأظهر البشاشة والمودة، ورحب وأنس، وكشف لي عن خبيئة أمره، وأبدى لي ما عنده وأبديت له ما عندي، وصافاني وده كما صافيته، ولما طلبت منه إيضاح المعمى من هذه الأسرار المودعة في الموضوعات الحرفية والأوضاع الجفرية بطريق الزيارج أو غيرها من الطرق، فأنعم بذلك وسهل الأمر فيه، وواعدني وقتاً يتيسَّر فيه إفراغ البال لذلك، ولم يزل يسومني، وصادف ذلك مني عدم وفور رغبة في ذلك الأمر، إنما هو تشوف نفس وتوقانها للشعور بما لم تعلم من بعض جهاته، فلم يتفق ذلك لي ولا له إلا في الليلة التي عزمت على السفر صبيحتها من المدينة المشرفة إلى مكة، وهي ليلة الثلاثاء سابع عشر من شعبان من سنة ثلاث وسبعين، فاستدعاني إلى منزله بعد صلاة العشاء، فعندما استقر بنا المجلس ويسر ما يحتاج إليه من آلة ذلك، قال لي[3]: افرض سؤالك في أي حاجة شئت حتى أوضح لك كيفية استخراجه من طريقة الجامعة التي هي الجفر الكبير، وكنت إذ ذاك كثير التمني لزيارة المسجد الأقصى بعد الانفصال عن الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا، فجعلت ذلك موضوع السؤال، فأمرني برسم جدول من أحد عشر في أربعة ويسمى جدول التركيب، ثم تعمير أوائل بيوته بحرف الطالع في وقت السؤال، ثم بحروف قطب الأقاويل الشفرية، وهو سؤال عظيم الخلق، ثم بحروف السؤال بعد الاقتصار منه على ما يبلغ أربعاً وأربعين، وستأتي صورة ذلك، ثم بَيَّن لي كيفية اللفظ من جدول التركيب بإسقاط الدرج والمنازل والبروج والأفلاك والطبائع حتى تخرج الأدوار الأربعة، وأخذت في ذلك فلم أفرغ من استخراج الأدوار الأربعة التي هي أصول تركيب البيت الأول المسمى بالتركيب الطردي حتى مضى هزيع من الليل، وأثَّرَ السهرُ فيَّ وفيه، وظهر الملل من كلا الجانبين، وقال لي: هذا نصف العمل، وهو أصعبه، وما بعده يتوَقَّف على

---

[1] في ط: الجامع.
[2] تقدمت ترجمته.
[3] في ط: فقال.

أحكام هذا وإتقانه، وقد بلغ بنا الحال إلى ما ترى من الكلل والسآمة، وأنت عازم على السفر غداً، فأنا أقيد لك ما تتقن به هذا العمل فراجعه أيام غيبتك بمكة، وكرِّر مطالعة جدول التركيب حتى يرتسم في خيالك كيفية الوضع واللفظ من دون غلط، ويسهل عليك استخراج الأدوار الأربعة لكل أصل من أصول التراكيب الأربعة، وبعد رجوعك إن شاء الله أبين لك ما بقي، وصادف ذلك مني بعض ملل وكلل، فقبلت ما ذكر، ولا أدري هل ذلك منه ضن بإتمام الفائدة كما هو شأن أرباب هذه العلوم، أو الوجه ما ذكر، إلا أن الراجح عندي هو الأول لأنه لما كتب ما وعد به اقتصر فيه على القدر الذي شافهني به، وما ضره لو استوعب الكلام على المسألة كتابة لما تعذر مشافهة، إلا أني توسمت من كثرة تحريضه لي على إخفاء ذلك ولا أذاكر به أحدا ما دمت بأرض الحجاز أنه يخاف إن كشف الغطاء عن المسألة إلي ربما أبديتها لبعض أصحابنا ممن كان يلتمس منه ذلك ويمتنع عليه، فرأى إخفاء ذلك إلى قرب الرحيل أدنى لحصول المراد من غير ضرر يتوقع، ولو وقع ذلك لوقع كما توهمه، لأني كنت سليم الصدر مجبولاً على عدم إخفاء شيء مما أرى فيه فائدة ممن تحققت محبته ومودته من الأخلاء، وكان لي خليل مكي ممن يرغب في ذلك، واستحكمت الأخوة بيني وبينه حتى أبديت له عُجَري وبُجَري[1]، وأبدى لي من نفسه مثل ذلك، فأطلعته على هذا القدر الذي كتبه لي وعلى غيره مما عندي من المخبآت، فوقع ما استشعره صاحب الترجمة، ولم تنجع ولم تنفع وصيته لي، ولما منَّ الله بالعود من مكة المشرفة إلى المدينة بعد أداء النسك، تزاحمت الأشغال، وتراكمت لفراق الأحبة الأهوال، فلم أتفرغ للقائه إلا كخلسة طائر أو نهبة غائر، ووجدته قد كتب وجها آخر في رسالة له كتبها لوزير الشاه الهندي سوى الوجه الذي ذكر لي، وزعم أنه أتم تحريرا من الوجه الذي كتب لي، ومكنني من الرسالة برمتها، فلم أتفرغ لاستيعاب مطالعتها واستخراج مضمونها، فاستنسخت منها بعض شيء مما ظننت أنه يحصل المراد به، وبعد مفارقته راجعت ذلك فلم يتحصل لي منه طائل لعدم مشافهتي له بالاستفسار عن أماكن مغلقة وأسامي مبهمة، مع كثرة الجمع والطرح والتقسيم الحسابي، وذلك مما تشمئز نفسي من الكثير منه وتنفر منه كل النفور، حتى أني ربما أتبلد في بعض الأحيان عن إدراك ما هو كالضروري منه، ويقع لي فيه الغلط كثيرا، وقد

---

[1] عجري وبجري: همومي وأحزاني، وقيل: ما أبدي وما أخفي: لسان العرب: عجر.

انضاف إلى ذلك عدم وفور الرغبة وصدق الهمة الذي هو أعظم الأصول الموصلة إلى المقصود، والسبب في ذلك وهو العائق لي عن تحصيل كثير من العلوم أن لي نفسا تواقة ذواقة تتهالك على الوصول إلى ما حجب عنها من علوم وغيرها، ولا تبالي بما لاقت في جنب ذلك من أضرار وما ركبت من أخطار، فإذا استشعرت ذلك من بعض وجوهه، وأدركت هواديه، بدا الفتور في الداعية، والخمود في الذائقة، والجمود في القائلة، ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن يحصل الانصراف عنه بالكلية، وذلك غاية الخذلان ونهاية الحرمان، نسأل الله تعالى أن ينقذنا من ذلك ويقوي هممنا فيما يوصل إلى مرضاته، إلا أن ذلك، والحمد لله، وإن كان يعتريني في كل مطلوب وعند كل محجوب، إنما يغلب علي ويسرع إلي عند الإشراف على الغاية، فإن كانت الثمرة مقطوعا بنفعها مضرا بتركها، ووضعها مشروطا في الكمال الإنساني، احتناؤها مطلوب في الشريعة ولو على الندب اقتناؤها، فربما جاهدت نفسي وغالبتها على طبعها وسبغتها الأمرين على الولوج في مضايقه، وجشمتها مكابدة الاشتغال بسوابقه ولواحقه، مستعينا بالله في تحصيل القدر الذي أنا به مطالب، ومغالب حولي وقوتي بحوله وقوته الذي لا يغالب، وإن كانت الثمرة قليلة الفائدة نذرة العائدة، ضررها هو الأكثر من طبعها، وإثمها أكثر من نفعها، انصرفت نفسي عنه بالكلية فجعلته من شواغلها الأمسية، كهذا العلم فإني نظرت في أوله ومباديه حتى خيل لي أني لو وجهت إليه كليتي وشغلت به طويتي لأدركت بعضه، ففكرت في ثمره، فلم أجد له جدوى دنيا وأخرى. أما الأخرى، فظاهر بلا تأمل، سيما مع توافر نصوص الأئمة على ذمه، وأما في الدنيا، فغاية أمره، بعد تحقيقه وصدقه، الاطلاع على أمور مستقبلة في نفس المطلع أو غيره، أما ما كان في غيره فليس فيه إلا مجرد التمتع بسماع الأخبار وحكاية أحوال لغيره مستقبلها كالماضي في التلذذ بسماعه، وأما في نفسه فلا يخلو من كون ما يطلع عليه خيرا، وما أقله، أو شَرّاً وهو الكثير، فإن كان خيرا وهو النادر، فهو إن قدر واصل إليه على كل حال علمه، أو لم يعلمه ويفوته بالعلم به قبل وقوعه الفرح به عند وقوعه واستشعار نعمة الله عليه المؤذن بشكر تلك النعمة المؤذن بدوامها، وفوات ذلك داع إلى زوال النعمة وعدم البركة فيها، وهو ضرر عظيم، وإن كان شرا، وهو الكثير فإن قدر فلا يغني عنه علمه به قبل وقوعه، بل يستعجل بذلك هَمّاً حاضراً لا يغني ولا يجدي، وهو لا يتمالك عن الاحتيال في دفعه، وهو لا يندفع، فما أعظم عناه وأفظع مصيبته، وإن كان ممن يقدر فأعظم حسره وأعظم

مع ما في ذلك من التجسس والتطلع على الغيب، وصاحبه في الغالب سيئ العاقبة تسرع إليه المصائب أكثر من غيره، والله يرزقنا حسن التفويض والتسليم لتدبيره واختياره آمين.

وقد أخبرني صاحب الترجمة أنه، مع تحققه بهذا العلم، ما استعمله قط في استطلاع أمر من أمور نفسه ولا في استعلام حال من أحواله المستقبلة الخاصة به للنكتة التي قدمنا، وهو أمر حسن. وأخبرني أيضاً أنه ما علمه أحد إلا بعد أخذ الميثاق عليه أنه لا يسكن في القطر الذي هو فيه خشية إظهاره فيتضرر من قبل الولاة بالانتساب إليه مع ما في ذلك أيضا من حب النفس للتفرد بالأمور التي هي كمال، أو تظن أنها كمال. وأخبرني أيضا عن رجل ممن تعلم منه ذلك أنه ما دخل بلدا من البلاد إلا استطلع علم أحواله فيها فيجدها على خلاف ما يريد، فيفر منها، ولم يزل شريداً في البلد طريداً بلا جريمة إلى أن وصل بلاد الواحات[1] من أطراف السودان مما يلي صعيد مصر، فتولى فيها ولاية، فكانت عاقبة أمره أن قتل شر قتلة، وسلب نعمته، وفي مثل هذا العلم ينبغي أن ينشد:

[وافر]

إذا ألقاكَ علمُكَ[2] في مَهاوٍ فليتكَ ثم ليتكَ ما علِمتا

البيت لأبي إسحاق الإلبيري[3] في تائيته المشهورة.

فإن قيل: قد لوحت ثم صرحت بذم هذا العلم مع أن كبار الأئمة، كالشيخ محي الدين والشيخ شهاب الدين البوني وغيرهما من كبراء العارفين، قد بالغوا في مدحه، وقالوا: إنه من الأسرار التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام وورثهم من العارفين الكُمل، ونسبوه إلى جعفر الصادق، وأنه ورثه من آبائه إلى الإمام علي بن أبي طالب، وأن لهم فيه تأليفا، وأن الإمام كتبه على مسك جمل وبدمعي الجفن، حتى بالغ الشيخ محي الدين فيه إلى أن قال: إن لآدم عليه السلام فيه ثم ولده شئت وبجملة من الأنبياء من أولادهم حسبما يذكر بعد هذا في كلام الشيخ محي الدين، وقد ذكر السيد الجرجاني في شرح المواقف في مقصد تعلق العلم بمعلومين عند

---

[1] الواحات: قال صاحب معجم البلدان: واحدها واح على غير قياس لا أعرف معناها وما أظنها إلا قبطية وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد: معجم البلدان: واحات.
[2] في الديوان: فهمك.
[3] ديوان أبي إسحاق الإلبيري، ص: 27.

ذكر الجفر والجماعة أنهما كتابان للإمام علي بن أبي طالب يستخرج منهما أحوال الحوادث إلى آخر الدهر برموز وحروف مقطعة.

فأقول: لسنا، والحمد لله ممن يرتاب في كلام العارفين، ولا يتوقف في صدقه، وهب أنه كما ذكروا، فهو من العلوم التي يجب كتمانها ولا ينبغي التصدي لمعرفتها بطريق من الطرق المكتسبة بالأدلة الرسمية لأنها من علوم الكشف، وهي خاصة لخاص كسائر علومهم رضي الله عنهم الخاصة بهم من حيث كونها كذلك هي مضرة بعامة الخلق ممن لم يبلغ مبلغهم وتعاطيها من غير طريقها الوهبي، وقبل بلوغ رتبة أهلها نقص في حق المتعاطي وذم له لتعاطيه ما ليس هو من أهله، وهلاكه فيه أقرب من نجاته، وأما العارفون فقد تولى الحق تصديقهم وتأييدهم فيما ألهموا الدخول فيه من العلوم والأحوال، فلا تجري أحوالهم فيه إلا على استقامة، ولا يتصرفون إلا على هوى نفس، وغاية هذا العلم، وهو استطلاع الأمور المستقبلة، يحصل لكثير منهم في أوائل[1] المقامات بكشف إلهي وبصيرة نورانية من غير استناد إلى طالع وغارب، ولا عد ولا حسبان، ولا لقط ولا إسقاط، بل بطالع التوب وغارب الحوب، وعد الأنفاس وحساب الأنفس، ولقط المتوبات من واجبات ومدوبات بإسقاط المحرمات ثم بإسقاط المكروهات ثم بإسقاط خلاف الأولى، ثم بإسقاط المباحات، ثم بإسقاط الغفلات عن الله وبه تتم الأدوار وتتجلى الأنوار، وتتكشف الأستار عن غيوب الأسرار، فيتيهون في حضرة الأحدية التي ليس فيها ماض ولا مستقبل، ولا يعتنى فيها بغيرها ولا يهتبل، فربما يتجلَّى لأحدهم في هذه الحضرة أحوال العالم بأسره خيره وشره، حلوه ومره، ومع ذلك فلا يلتفتون إليه ولا يبالون ما له[2]، وربما كان في ذلك نفع لهم في أنفسهم، أو لأحد مريديهم كما هو مشروح في كتبهم، فإن العارف مثلاً إذا اطلع من أحوال نفسه على أمر مستقبل هو خير فإنه يتحقق وقوعه، ويكون من الآن فرحاً بنعمة الله عليه به قائما بشكر الله عليه، معمرا وقته بالشكر عليه من الآن إلى زمن وقوعه، رائيا أن ذلك من الله لا من كسبه، وإن كان معلقاً وناشئاً عنه في الظاهر لعلمه به قبل حصول كسبه، فيترتب عليه زيادة الشكر لوجود الشكر قبل وجود الفعل بأزمان، وشهود المنة والتبري من الحول والقوة بخلاف غير العارف إذا اطلع

---

[1] في ط: أول.
[2] في ط: باله.

على مستقبل من الخير فلا تحصل له هذه الثمرة، بل ربما حصلت أضدادها، وهو الغالب، سيما إن كان ذلك مما ينسب عن كسبه فلا يتمالك أن يبادر إلى ذلك جادًّا فيه ظانًّا أنه إنما حصل منه ولا يهتدي للشكر عليه قبل وقوعه، ولا يأتي زمان وقوعه حتى تكون لذته وحلاوته قد ذهبت من قبله وخلقت جدته، فلا يرى لنعمة الله عليه عند حصولها كبير موقع في قلبه، فيسلب بركتها ويحرم شكرها إلى غير ذلك من المضار التي تشاهدها بصيرة العارف فيحتميها، ويعشو عنها بصر العامي فيعتميها. وإن كان الأمر المطلع عليه شرا فإن العارف يجتهد في الدعاء إلى الله واللجإ إليه أن يثيبه عند وروده، ويؤيده بالعصمة فيه من السخط لقدره، ويوطن نفسه على لقائه بالصبر الحسن والرضا الجميل، فلا يأتي وقته إلا وقد وطن نفسه بالاستعداد له واستجار منه باللجإ إلى الله فلا يضره مع ما يحصل له من ثواب الصبر والرضا به من قبل وقوعه نظير ما تقدم في الشكر، والعامي غافل عن هذا كله، بل ربما يقع منه ضد ذلك وهو الغالب كما لا يخفى، فيستعجل السخط والتألم والتبرم به قبل وقوعه، فيكون ذلك زيادة في عقوبته، والله يلهمنا رشدنا آمين.

وهذا نص ما كتبه لي صاحب الترجمة حسبما تقدمت إشارة إليه: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد، فقاعدة تعمير جدول التركيب: ارسم جدولاً طوله أربعة وعرضه أحد عشر بيتا، ثم اعرف حرف الطالع بأن تأخذ الطالع وقت سؤالك ببلدك واعرف حرفه، ثم عمر أوائل بيوته مبتدئا بحرف الطالع تجعله في أولها، وثانيه في ثانيها، وهلم إلى آخر البيوت وإلى الحرف الذي قبل ما ابتدأت به، ثم ارسم ثانيا حروف القطب بجعلك أوله في البيت الأول بعد حرف الطالع، وثانيه بعد حرف الطالع في البيت الثاني وهلم إلى آخر البيوت وآخر القطب، واثبت التنوين نونا، والمشدد حرفين، ثم ارسم ثالثا حروف السؤال بجعلك أول حرف منه في البيت الأول ثالث الحرفين، وثانيه في البيت الثاني بعدهما، وهلم إلى آخر البيوت وآخر السؤال[1]. وبه يتم التعمير. ثم اعلم أن المستخرج منه أربعة أبيات بأربع طرق، الأول طريق التركيب الطردي، ووجهه أن تأخذ الحرف الثلاثين من حروف الجدول مبتدئا من أوله وترسمه في جانب، ثم الثامن والعشرين منه وتضعه

[1] ساقط من ط.

بعده، ثم الثاني عشر منه وترسمه بعدها، ثم تاسعه كذلك، ثم سابعه كذلك، وبه يتم الدور الأول، ثم سابعه كذلك بعد فصل، ثم تاسعه كذلك بلا فصل، ثم ثاني عشره كذلك، ثم ثامن عشريه كذلك، ثم ثلاثيه كذلك، وبه يتم الدور الثاني من الأول، ثم رابعه بعد الحرف العاشر فيكون الملفوظ معك إحدى عشرة[1] حرفا، وبه تتم حروف الدور الأول، ثم خذ سابع ما انتهيت إليه فهو مفتاح الدور الثاني، ثم تاسعه ثم ثاني عشريه، ثم ثامن عشريه ثم ثلاثيه، وبه يتم الأول من الثاني، ثم ثلاثيه، ثم ثامن عشريه، ثم ثاني عشره، ثم تاسعه، ثم سابعه، وبه يتم الدور الثاني من الثاني، ثم رابعه، وبه تتم حروف الدور الثاني، وحروفه إحدى عشرة حرفا، ثم استخرج الدور الثالث كالأول والرابع كالثاني، وبهما تتم الأدوار الأربعة وتسمى أصول التركيب الطردي، والعمل في استخراج أدوار التركيب العكسي كالعمل فيه، إلا أنك تبدأ من آخر حروف الجدول. وطريق استخراج أدوار نصف التركيب الطردي كهذا أيضا إلا أنك تبدأ من أول الجدول الثالث بالعد، فإذا انتهيت إلى آخر الرابع بدأت من أول الأول إلى أول الثالث وهلم جرا. واستخراج أدوار نصف التركيب العكسي كذلك، غير أنك تبدأ بالعد من آخر حروف الجدول الثاني إلى أوله، ثم من آخر الأول إلى أوله، ثم من آخر الرابع إلى أوله، ثم من آخر الثالث إلى أوله، ثم من آخر الثاني وهلم جرا، وبه تتم أصول حروف تركيب الأدوار الأربعة، وفي كل أصل أربعة أدوار. ثم اعلم أن العد بالثلثين يسمى إسقاط الدرج، وبثمانية وعشرين يسمى إسقاط المنازل، وباثني عشر يسمى إسقاط البروج، وبتسعة يسمى إسقاط الأفلاك، وبسبعة يسمى إسقاط الكواكب، وبأربعة يسمى إسقاط الطبائع، ولهذا لا يستعمل في كل دور إلا مرة واحدة وغيره مرتين لأن المقصود منه تعديل الأدوار بالطبائع، والمقصود من غيره قوام الماهية، فلذا كرر غيره على نسبة المساواة بلا تفصيل، وسيأتي الكلام، إن شاء الله تعالى، على بقية تركيب حروف الأدوار، وإن بقاعدة الكتاب الجفري، والله الموفق للصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مثال ذلك عبد الله العياشي يسأل أيحصل له وصول إلى المسجد الأقصى، وليحاول حتى تكون حروف السؤال أربعا وأربعين هكذا: وكان الطالع وقت السؤال بالمدينة المشرفة العقرب، وهذا صورة الجدول:

---

[1] كذا في خ و ط.

حروف الطالع حروف القطب حروف السؤال الجملة ثلثها نصفها ربعها

ع س ع	ق و ب	ر ا د	ب ل ا	ق ز ل	و ع ل	س ظ ه	ج ى ا	د م ل	ى ا ع	دل ي
ل خ ا	و ل ش	ح و ى	و خ ي	ت ز	ح ت ا	م ف ل	ل ص ا	ث زى	واح	ردص
خ ز ل	و غ ل	ر ز ه	ا ا و	س ي	ر ب و	ط ش ل	ا ى ا	رزل	ا ض ى	س ب ا
د ط ل	س ه م	ز ا س	ب ل	ل ج د	ت د ا	م م ل	ى ث ا	رث ق	ال ص	زاى

أصل تركيب الأول أربعة أدوار تسمى التركيب الطردي، والعمل فيه ما تقدم: الدور الأول، الدور الثاني، الدور الثالث، الدور الرابع.

ع ا ز ا ر ا ل ى ا س د ل ح س ز ث ر ت ا ش ت ث ر ج ى ا ل س ب و ح ع ق ن س د ن د ث ط ح و ر ذ ر ن ع.

أصول تركيب البيت الثاني أربعة أدوار يسمى التركيب العكسي، أصول تركيب البيت الثالث أربعة أدوار، ويسمى نصف التركيب الطردي. أصول تركيب البيت الرابع أربعة أدوار ويسمى نصف التركيب العكسي. وهذا آخر ما كتب لي وكتبت بين يديه وشافهني به، وهو كما ترى ناقص غير تام الفائدة، وإنما كتبته رجاء أن يطلع راغب في هذا العلم على ما يتم به العمل في محل آخر فإن المؤلفين فيه ربما ذكر أحدهم ما حذفه الآخر كما رأيت ذلك في عدة من رسائلهم، فقد يترك أحدهم شيئاً مما يتوقّف عليه العمل قصد الإخفاء ثم يذكره آخر ويحذف غيره، فربما استنبط الحاذق اللبيب مما ذكره كل واحد ما تتم به الفائدة.

ولنذكر أول ما رأيته مقيداً في كتاب أول الجفر الجامع والنور اللامع مما زعم كاتبه أنه يعرف به كيفية الاستخراج منه، وهو ناقص أيضاً كما ستراه، ونصه: قال صاحب المفاتيح الغيبية والمصابيح الوهبية في وضع الجفر الجامع: وقاعدة الاستخراج منه والشروط اللازمة فيه ما نصه: الباب الثاني في معرفة قاعدة الاستخراج بجميع الأحوال المجهولة من صفيحة واحدة أو صفيحتين باستخراج الحروف الملفوظية والمكتوبية والمسرودية من الصفحة، وتثبت كل نوع على حدته

حروفا متفرقة، فبيان معرفة الملفوظية، وهو كل حرف يكون ناطقا بثلاثة أحرف، وهي: ألف جيم دال سين شين صاد ضاد عين غين قاف كاف لام. والمكتوبية، وهي كل حرف يكون أوله كآخره، وهي: ميم نون واو. والمسرودية كل حرف آخره ألف، وهي اثنا عشر حرفا وهي: با تا ثا حا خا را زا طا ظا فا هـا يـا. القاعدة أنك إذا استخرجت كل قسم من الحروف الملفوظية المكتوبية والمعدودية فأثبت كل واحد منهما على حدته، فإذا أردت تركيبها تعد كـل قـسم ع ع، تأخذ الرابع إلى أن ينتهي الأقسام الثلاثة، فإذا بقي قسم واحد من هذه الأقسام فليس له اعتبار، والقاعدة أنك تأخذ أولاً من الملفوظية ثم من المكتوبيـة ثم مـن المسرودية وتجعلها بالتركيب وتثبتها وتعربها وتقرأ ما بعد الإعراب، ويقال لهـذه القاعدة مكتوبية، ومعرفة قاعدة الإعراب على طريق جعفر رضي الله عنه فسبعة أحرف من الهجائية مفتوحة أَ وَ يَ لَ عَ زَ عَ، وسبعة مكسورة وهي: هِ رِ سِ ثِ ذِ صِ طِ، وسبعة مضمومة جُ زُ كُ سُ بُ تُ حُ، وسبعة مجزومة بْ خْ ذْ ظْ غْ ضْ قْ. واعلم أن من ابتداء الصفحة إلى موضع الاسم ماض، ومن موضع الاسم حال، والبقية إلى آخر الصفحة مستقبل. الخاتمة في بيان الكشف الساطع في حل الجفر الجامع: متى أردت استخراج سؤال ما فانظر إلى شهرك العربي كم مضى منه من يوم، فخذ حرفه فإن كنت في الأول فخذ حرف الألف، والثاني فخذ حرف الباء، والثالث فخذ حرف الجيم، وهكذا إلى العاشر فخذ حرف الياء، وفي اليوم الحادي عشر فخذ حرف الكاف، أو في الثاني عشر فخذ حرف اللام، وهكذا إلى آخر حروف أبجد، وإذا أتممت من الشهر ثمانية وعشرين يوماً، وهي عدد حروف أبجد، فعد في التاسع والعشرين إلى الأول من حرف أبجد، وهـو الألـف، وفي الثلاثين إلى الباء إذا علمت ذلك فيكون هذا الوضع الأول، ثم انظر إلى حـرف المنزلة وهو أن تعلم القمر في أي منزلة من منازله الثمانية والعشرين الآتي بيانهـا، فتأخذ حرف تلك المنزلة، وهذه أسماء المنازل وما لها من الحروف على الترتيـب: شر طين بطين ثريا دبران هقعة هنعة دراع بثرة طرفة جبهة خرثان طرفا عوا سمك غفر زبانا إكليل قلب شولة نعايم بلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية مقدم مؤخر رشا. ثم تأخذ حروف إحدى الكواكب السبعة السيارة وهي: زحل حروفه الجدي والدلو. ومشتري حروفه معجمة قوس حوت، مريخ حروفه مفردة، حمل عقرب شمس حروفه مفردة، أسد زهرة حروفه معجمة، ثور ميزان عطارد حروفه معجمة، سنبلة جوزا قمر سرطان حروفه مفـردة. إذا

علمت ذلك فميز المشترك من غير المشترك، والمشترك هو الذي فيـه التـداخل بحسب الأثلاث وهي: د خ ص ط ر ن ز ج وما بقي من الحروف هـو غـير المشترك، ثم تأخذ حرف اسم السابق فإن كان السؤال في العـشر الأول تأخـذ الحرف الأول، وإن كان في الثاني فتأخذ الثاني، أو في العشر الثالث فتأخذ الحرف الثالث، هذا إذا كان الاسم ثلاثيا، فإن كان رباعيا فالرابع منه حكم الأول، وإن كان خماسيا فالخامس منه حكم الثاني، وإن كان سداسيا فالسادس منه حكـم الثالث، مثال الثلاثي عمر والرباعي أحمد، والخماسي عثمان، والسداسي سليمان وأبو بكر، وقس على ذلك فقد كشفنا لك سراً عظيماً، وقد تم لك أربعة حروف فتعمد بها البيت الأول من الصفحة، وهي الأصول، وتعمر باقي الصفحة من البيت الأول إلى الغاية، وقد بلغت النهاية، وبهذا يكون الختام، والحمد لله على الإتمـام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

لطيفة:

أخبرني خليلي حسن العجمي المكي[1] وكتب لي بخطه مما وجـد بخـط صاحبه محمد الشجادي[2] المتوفى بمكة وذكر عنه أن له يدا طولى في هذا الفن مـا نصه: زايرجة السبتي، تكتب الطالع والغارب والمتوسط والوتد والسؤال وكوكب الساعة، وتمزج بالقطب حرفاً بحرف، ثم تحذف المكرر ويدخل في الجدول، ثم تنظر إلى كوكب الساعة الثالثة وتطرح عوده أدوارا اثنا عشرية، وما فضل يـدخل في اللفظ، مثال ذلك: جاء رجل يسأل عن ضائع منه، وكان اسمه عبـد الـرحمن، والطالع الأسد، والمتوسط القوس، والغارب الدلو، ووتد الأرض الثور، وكوكب الساعة المشتري، فكتبناها هكذا: ع ب د ا ل ر ى س ا ل ع ر س ا ر ق ا س د ق و س د ل و ث و ر ث و ر م ش ت ر ى. ثم أخذنا منها حرفـا وهـي العين، وكتبنا بعده حرفا من أول حروف القطب، وهو سؤال عظيم الخلـق، ثم حذف المكرر وأنزل الباقي في الجدول، ثم نظرنا إلى الساعة الثالثة فكانت الشمس عددها 455 الفاضل 4 بعد إسقاطها 3 أدخلنا بها في اللفظة فطلع هذا البيت:

---

[1] الحسن بن علي العجيمي المكي الحنفي، فقيه صوفي له اشتغال بأسرار الحـروف وخـواص الأذكـار، توفي بالطائف عام 1113 هـ: التقاط الدرر، ص: 284. فهرس الفهارس 2:810.
[2] في ط: الشجانلي.

[طويل]

وسارقةُ المنديلِ تُدعى بزينب | ودَلالُها في السوقْ يُسمى أبا العُلا

فذهب السائل إلى السوق فوجد ذلك صحيحا.

وما ذكرناه كله قاعدة لسائر السؤالات. واعلم أنه إذا فضل شيء[1] من الحروف في المزج تفرق وحدها، فإذا أنقضت[2] و لم يستقم معك الكلام، فخذ الذي فضل واقعد به اللفظ، وإذا شئت أن يكون الجواب بيوتا كثيرة كرر الدور باللقط ه. وهذا أيضا غير تام إذ لم يذكر كيفية الجدول ولا كيفية الوضع فيه، ولا كيفية اللقط هل على التوالي أو غيره، وكل ذلك فهم يتوقف عليه العمل.

ومن كتاب الجفر الجامع والنور اللامع للشيخ محي الدين، ورأيته بالمدينة عند صاحبنا السيد محمد بن رسول[3]، وفيه غرائب من هذا الفن ما نصه: فصل في سر الاستنطاق، وأول بيت في الجفر عدده 4 ينطقه، وعلى سر العدد من غير التكسير ينطق ا ي ق ع فإذا أضيف إليها د ا ي ق ع عاد العدد 11141 انطق بثلاثة أسماء أحدها مركب (خير الوارثين) أبدي هادي فظهرت الأربعة الألفات لمن فهم مع أنهم قالوا: إن الأربعة المثلية لا تنطق بشيء، وذلك لقصر أفهامهم، وحاشا لإمام العلوم أن صنع[4] ما لا معنى له. ومثال الباب: ب ب ب عدد 8 نطق ح، وعلى سر العدد من غير التكسير غ ع ب ك ر، وإذا أضيف إليها عاد العدد 223 نطق لا إله إلا الله مجيب غالب، باعث ثواب، وقس على ذلك تصب. واعلم أن سر الله في العلوم اللطيفة والكثيفة والعلوية والسفلية والملكية والملكوتية تقع على نسبتين أعداد وحروف، فأسرار الحروف في الأعداد وأنواع الأعداد في الحروف، فالأعداد العلوية الروحانية الملكوتيات سر الأقوال والحروف سر الأفعال، فعالم العرش أعداد، وعالم الكرسي حروف، فنسبة الحروف للأعداد كنسبة الكرسي للعرش، فآخر مرتبة الحروف أول مرتبة الأعداد، وآخر مرتبة

(1) في ط: كان أفضل شيء

(2) في ط: أنطقت.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) ساقط من ط.

الأعداد أول مرتبة الحروف، فسر العدد فهم سر العقل الرباني، وسر الحـــروف[1] فهم سر الروح الروحاني، ومن أشرف العلوم علم الحساب بعد السنة والكتاب.

اعلم أن الحروف على ثلاثة أنواع؛ فكرية ولفظية وخطية، فالفكرية صورة روحانية في أفكار النفوس مصورة في جواهرها، واللفظية أصوات محمولة في الهوى مدركة بالقوة السامعية، والخطية نقوش خطت بالأقلام في الألواح، واعلم بـــأن الخط هيئة روحانية وإن ظهر بآلة جسمانية، والحروف أصل في الروح وإن ظهرت بآلة حواس الجسم، والخط مأخوذ من دائرة هي أصل الحروف كلها، فإذا ناسبت الحروف تلك الدائرة صح الخط أصاب المقصود، وأوله الألف وهو قطب الدائرة، وما بعد ذلك من تباين الحروف من المطات والتعريقات والمرادات، وكل ما ظهر من الأجسام المدورة والمربعة من التدوير والتربيع فمن نسبة الدائرة، وهو مأخوذ عن أبي ذر. قلت يا رسول الله، وأي كتاب أنزله الله على آدم؟ قـــال: كتـــاب المعجم. قلت: أي كتاب المعجم؟ قال صلى الله عليـــه وســـلم: ا ب ت ث إلى آخرها، وقد تكلم آدم عليه السلام بسبعمائة أفضلها العربية، ثم علم الحرف من بعده ابنه شيت وارث عهده، وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجر، ولـــه ســـفر جليل في علم الحروف اجتمعت به وقرأت عليه، وعنه أخذت هذا المثلث العظيم الشأن[2]:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]

ورأيته بمكة وحل لي ما أودعه في سفره 626، وهذا المثلث وهو رابع كتاب في الدنيا في علم الحروف، ثم توارث بنوه علم الحرف إلى إدريس، عليه السلام، يقال إنه أول من كتب بالقلم، صنف كتاب كنز الأسرار وذخائر الأبرار، وقـــد شرحه تنكلوشا البابلي، وكذا ثابت بن قرة الحراني، ولما أطلعني الله على العـــوالم الماضية سألت عن شرحيهما فقال إنهما لم يعلما إلا الظاهر، وأنه إلى الآن مقفل فحله لي، فرأيت فيها أسراراً غريبة لا يهتدي إليها إلا فحول الأفراد من الأفراد، وهو خامس كتاب في علم الحرف، وعلمه جبريل علم الرمل، وبه ظهرت نبوته،

(1) في ط: الحرف.
(2) في ط: وهو عظيم الشأن.

وورث علم الحرف بعده الهرامسة، وهم أربعون رجلاً، وكان أمهرهم أفليـــوس الذي هو أبو الحكماء والأطباء، وهو أول من أظهر الطب، ثم إلى هـــود عليـــه السلام، وهو أول من تكلم في علم الوفق، وقيل إنه وضع مربع مائة في مائـــة في أساس مكة، وله سفر في علم الحرف، وهو سابع كتاب قرأته عليه وسألته مسألة عرفني بها ح 2 4 ثم إلى موسى عليه السلام، وعلمه الله علم الكيمياء، وقد صنع الوفق المسدس على صفيحة من ذهب واستخرج بها تابوت يوسف من نيل مصر، وبذلك أمره الله، ثم يوشع ثم داوود ثم سليمان، ثم عيسى ثم محمد صـــلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم الإمام ورثه من النبي، وهو آخر الخلفاء كما أنه آخـــر الأنبياء، وما رأيت فيمن اجتمعت بهم أعلم منه، وهو أول من وضع مربع مائة في مائة في الإسلام، وقد صنف الجفر الجامع في أسرار الحروف، وفيه مـــا جـــرى للأولين ويجري للآخرين، وفيه اسم الله الأعظم وتاج آدم وخاتم سليمان وحجاب آصف، وما زال أهل التحقيق من السابقين، كالحسن البصري وسفيان الثـــوري، يغترفون من بحر أسراره، وكانت الأئمة الراسخون من أولاده يعرفون أسرار هذا الكتاب، وهو ألف وسبعمائة مصور المعروف بالجفر الجامع والنور اللامع، وهـــو عبارة عن لوح القضاء والقدر قال: وأكثر تلاوة اسم العليم ليظهرك على سر هذه العلوم الربانية والأسرار النورانية، ومن أراد التصريف بما ذكرنا في هذا الكتـــاب المكنون والسر المخزون، فلا يطالع فيه حتى يتوضأ ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي ثلاث مرات، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتـــاب وآية النور: (الله نور السماوات والأرض)[1] إلى (عليم) ثلاث مرات، وآية الزمر، (وأشرقت الأرض بنور ربها)[2] إلى قوله (لا يظلمون)، وآية (لقد كنت في غفلة من هذا)[3] إلى (حديد) ثلاث مرات، فإذا فرغ من الصلاة صلى على النبي، صلى الله عليه وسلم، و 7 مرة أيضا، يقول باسم الله الرحمن الرحيم، و7 مرة أيضا، ثم سورة (ألم نشرح) ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم يا من بيده مفاتح أسرار الغيوب ومصابيح أنوار القلوب، أسألك أن تكشف لي عن كل اسم مكتوم وسر مختوم، يا من وسع علمه الظاهر كل معلوم، وأحاطت خبرته بباطن كل مفهوم، يا حي يا

---

(1) النور: 35.

(2) الزمر: 69، ونص الآية القرآنية الكريمة: (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بـــالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون).

(3) ق: 22، ونص الآية القرآنية الكريمة: (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبـــصرك اليـــوم حديد).

قيوم، أسألك أن تصلي على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، شمس معارف أنوارك، ومظهر لطائف أسرارك، وعلى آله الأتقياء وأصحابه الأصفياء، وأن تشهدني غيب كل شيء، يا من بيده ملكوت كل شيء، ولا تشك ولا تردد، واخلص في عملك يظهر لك سر الله تعالى، ولا تعين ظالما، ولا توصله إلى حاكم، ولقد سجنت وما بحت، وإياك أن تذكر سر الله لأحد قبل أن يؤذن لك فيسلبك من أعطاك، وتغش نفسك، وتقو أبناء جنسك، وقد قال شاه الكرماني: من نطق عن درجة و لم يرزقها كان حقا على الله أن يحرمه تلك الدرجة فلا ينالها هـ. كلامه.

ومما أنشده الشيخ محي الدين في هذا الكتاب إثر كلام يتعلق بخلوة كل حرف، وأنه لا يتم الفهم والتصديق بأسماء الحروف إلا بعد استعمال خلوة لكل حرف يريد التصديق به، وأطال في ذلك ثم أنشد لنفسه:

[مخلع البسيط]

أسرارُ دور مِن الحُروفِ جاءتْ بلُطفٍ من اللطيفِ

فاستعن بالكشف[1] عن عيان أظهرَ ما كن في الظروفِ

من كل ذُورِ حوَى مَعانٍ أدناهُ ما عُد بالألوفِ

أخبرَ عمن قضَى ويأتي مِن كاملِ العقلِ والسخيفِ

من عامَ في بحرِهِ بفهم يسيرُ سَيرا بلا وقوفِ

يظهر بدرا بشمس كشف[2] جَل عن الخسْفِ والكُسوفِ

منحتُ بدرا أعَز علم أودعهُ الله في الحُروفِ

ويعني ببدر خادمه الملازم له المسمى بدر الحبشي، وله ألف كثيرا من تآليفه.

والذي تحصل لي بعد مطالعة كثير من كلام أهل هذا الفن أن هذا العلم لا تكفي في تحصيله وتحقيقه الأوضاع الرسمية والقوانين التعليمية، ولا بد من ذوق صحيح وكشف صريح، وبصيرة منورة، وسريرة مطهرة، كما أشار إلى ذلك

(1) في ط: كشف.
(2) في ط: بشمس كسف.

الشيخ محي الدين في كلام له، وما سمعنا أن أحداً أدرك حقيقته إلا من اتـــصف بالصفات المتقدمة، ولو كان من العلوم الرسمية لما استعصى على كثير من النـــاس الذين لهم عقول ذكية وأفهام سنية، ويدل على ذلك أيضا اختلاف آراء المكلفين فيه، فكل انتحل صفة ووجها غير وجه صاحبه، فقد طالعت عدة رسائل وأمعنت فيها النظر فوجدتها على ما ذكرت لك، منها رسالة الشيخ محمد بن أبي الفـــتح الصوفي[1]، ومنها رسالة الشيخ عمر الدنديلي، ومنها كتاب الشيخ محـــي الـــدين المتقدم، وهو حافل، ومنها رسالة ابن خلدون سوى ما ذكر في المقدمة، ومنـــها كلام للبوني في شمس المعارف الكبرى، ومنها رسالة لصاحب الترجمة كتبها للسيد أحمد وزير الشاه ملك الهند لما قدم حاجا سنة ثلاث وسبعين، إلى غير ذلك مـــن التقاييد.

ولنرجع إلى تمام الكلام على حال صاحب الترجمة فأقول: كتبت إليه قبـــل لقائي له بأبيات استعير منه كتبا احتجت إليها في الوقت، فأعارني ما طلبت منه، وكانت عنده خزانة كتب كثيرة، وهذه الأبيات المذكورة:

[وافر]

شهاب الدين مَولانـــا ابـــن تاجَـــهْ ... فـــنِعمَ التـــاج أنجـــبَ في نتاجِـــهْ

فكمْ من مُعـــضل قـــد حـــارَ فيـــه ... أساة الكلـــمِ زالَ لـــدى علاجِـــهْ

وكمْ من فهمـــهِ هابـــتْ ســـلوكا ... بـــه العُلمـــاء خـــيمَ في بجاجـــهْ

وكـــمْ عِلـــم وحِلـــم في حيَـــاء ... ولـــين القـــول رُكـــب في مزاجِـــهْ

لـــه ذهـــنٌ توقـــدَ مـــن ذكَـــاء ... فكل العِلم يُقـــبس مـــن سِـــراجهْ

غَـــدا فـــردا فـــسدَّ مَـــسدَّ جمْـــع ... لمـــن قـــد أمَّـــهُ في نيْـــلِ حاجـــهْ

عليكَ بـــه إذا مـــا رُمـــتَ عِلمـــا ... ودعْ عنـــك المُعانـــدَ في لجاجِـــهْ

---

[1] محمد بن أبي الفتح، شمس الدين، الصوفي، فلكي متصوف، شافعي مصري، له كتب منهـــا الجـــواهر النيرات في العمل بربع المقنطرات، والرسالة الشمسية في الأعمال الجيبية، توفي نحـــو ســـنة 853 هـــ: الأعلام 6:326.

فنــورُ عُلومــه[1] في ليــلِ جَهــل يــضيءُ لمــن تَوغــل في دلاجــةْ[2]

قد احتَجنــا لكُتْــب منــك تــأتي ومثلك أنــتَ يُــؤثرُ في احتياجــةْ

وعذرا في التخلــفِ عــن لِقــاكمْ وذلك للحــشَا أقــصَى ابتهاجــةْ

فللمقــــدورِ وقــــتٌ قبلــــهُ لا يطيــقُ المــرء ذاك مــعَ انزعاجــةْ

ويكفِي الضعفُ مُذ[3] قدمتُ عُــذرا وحــالٌ لا يحــولُ عــن ارتجاجــةْ

أيــا مــن قــد تفَــردَ في عُــلاهُ بخُلــقٍ كالــصباحِ لــدى انبلاجــةْ

عليــكَ تحيــة مــني فقابــلْ ثنــائِي بــالقبولِ علــى اعوجاجــةْ

وله شرح حسن على منية الحساب للشيخ ابن غازي[4] أطلعني عليه، وهــو حافل، وله مشاركة في فنون كثيرة.

لطيفة:

أخبرني أنه رأى في صغره رؤيا وهي أنه أدخل بستانا وقيل له: هذا بــستان العلوم، فرأى فيه أشجاراً كثيرة كل شجرة تنسب إلى علم من العلوم، قال: فأول شجرة لقيتني وأنا داخل من باب البستان شجرة علم النحو، فإذا ساقها الكــلام كأنه مكتوب مستطيلا مرفوعا في الهواء، وتفرعت من ذلك الساق أغصان ثلاثة أحدها اسم، وثانيها فعل، وثالثها حرف كأنها مكتوبة أيضاً على هيئــة الــساق المتقدم، ثم تفرع ساق الاسم إلى فروع كثيرة من معرب ومبني، ومعرفة ونكرة، ومشتق وجامد إلى غير ذلك، وكل فرع ينقسم إلى فروع أخر وهلم جــرا. ثم الفعل كذلك ثم الحرف إلى أن أكمل فن النحو كله، وكذا أشجار سائر العلوم. قال: وبقيت صورة ذلك منقوشة في خاطري كأني أشاهدها الآن، ولما استيقظت

---

[1] في ط: علمه.

[2] في ط: إدلاجه.

[3] في خ و ط: منذ، والصواب ما أثبتناه.

[4] ابن غازي: محمد بن أحمد بن محمد المكناسي، مشارك مصف، توفي سنة 919هـ، من مؤلفاته: منية الحساب، وتقع في 400 بيت، توجد منها عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط: الموسوعة المغربيــة للأعــلام البشرية والحضارية 2:73.

قصصت الرؤيا على والدي واستبشر بها. قال لي: و لم أزل من ذلك الوقت يختلج في خاطري تصنيف كتاب جامع للعلوم التي رأيت في الرؤيا وأسميه بالاسم الذي ذكر لي في الرؤيا وأرتبه على ترتيب ما رأيت، وكان والده من علماء المدينة، أخذ عن جماعة من علماء الحجاز وغيره، وممن أخذ عنه العالم العامل الولي الصالح سيدي أبو الغيث القشاش التونسي[1] رضي الله عنه، وسبب اجتماعه به أنه توجه من المدينة إلى مصر، ومنها إلى بلاد الروم لغرض له في لقاء سلطانها في ذلك الوقت، فركب البحر من الإسكندرية فحكم القدر بأسره في أيدي العدو، واستقر في أسره بمالطة دمر الله أهلها، فلما بلغ خبره إلى أهل المدينة، وكانت له فيهم مكانة، كاتبوا سيدي أبا الغيث في فدائه وأعلموه بحاله ومكانه، وأنه رئيس المؤذنين بالحرم الشريف، فبذل رضي الله عنه جهده في فدائه إلى أن فدي بخمس عشرة مائة ريال، فركب البحر من مالطة إلى تونس لزيارة الشيخ الذي سعى في فدائه، فلما قدم عليه فرح بقدومه واستبشر وأحله غاية الإجلال، وأكرمه إكرام مثله لمثله، وحبسه عنده سنة غبطة فيه، فاستفاد في تلك السنة من الشيخ علوماً كثيرة من علوم الأسرار، وعنه أخذ ولده ما لديه منها. ثم رجع إلى المدينة مكرماً.

لطيفة:

أخبرنا صاحبنا أن والده لما كان في الأسر تكلم مع راهب من رهبانهم فقال له الراهب: إنكم معشر المسلمين تزعمون أن كتابكم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فقال له الشيخ تاج الدين: نعم نقول بذلك. فقال له: أين تجد في كتابكم اسمي؟ فقال له: ما اسمك؟ قال: كبك. فأخرج له الشيخ تاج الدين المصحف فأراه ما بعد الراء من قوله تعالى: (ما شاء رَكَّبكَ)[2]، فتعَجَّب الراهب من ذلك وصدق بأن في الكتاب كل شيء.

قلت: وهذه فراسة قوية وهداية سنية من الشيخ رضي الله عنه، ولا شك أنَّ في الذكر كل شيء، ولكن لا يهتدي إلى ذلك إلا من خصه الله بالفهم الرباني

---

[1] أبو الغيث القشاش التونسي، فقيه رحالة محدث مفسر، توفي بتونس سنة 1031 هـ: شجرة النور الزكية 1:424.
[2] الانفطار: 8.

والعلم الإلهي، وقد ذكر لي بعض الناس أنه رأى منصوصا وقوع هذه الحكاية لغيره، والله أعلم.

لطيفة:

من نظير ما تقدم من اشتمال القرآن الكريم على أخبار كل شيء حتى علم الحدثان والوقائع ما أخبرنا به صاحب الترجمة شهاب الدين أحمد بن التاج، أن ملك بلاد الروم السلطان سليم أحد (أجداد)[1] ملوك الوقت، وهو أول داخل منهم لمصر وتملكها من يد السلطان الغوري سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، كان سبب تملكه لها أنه لما تملك بلاد الشام حدثته نفسه بالتملك على بلاد العراق، إذ هي أصل منشئهم ومساكن أسلافهم التركمان، فخرج من بلاد اصطنبول التي هي قاعدة ملكهم، فلما وصل إلى الشام بعساكره تعذرت عليه العلوفة لغلاء حصل في تلك الناحية، واحتاج إلى الميرة والتزوُّد من مصر، فكتب بذلك إلى الغوري ليستأذنه في الامتيار من بلده، وكان الشاه ملك عراق العجم في ذلك الوقت لما سمع بتحرك السلطان سليم كاتب الغوري، وكانت بينهما صداقة، يطلب منه أن يشغله عنه وأن يثبطه ما استطاع، وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان سليم وأنفة من تملكه لبلاد الشام، خشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر، ومصر إذ ذاك هي أم البلاد الإسلامية، وملكها أعظم الملوك لانتقال الخلافة العباسية من العراق بعد واقعة التتار إلى مصر، وعندما طلب السلطان سليم من الغوري الميرة تعلل له بأن ذلك لا يمكن في هذا الوقت لغلاء الأسعار، واعتذر بأعذار ضعيفة، فتفطن سليم لما قصد، وعلم أنه إنما أراد تعويقه عن المسير إلى العراق، فحدثته نفسه بالركوب عليه وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو مصر، فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء وذكر لهم عذره، وأن الغوري منعه التزود من بلده، وهو محتاج إلى الزاد، فكلهم قال له: إن ذلك لا يبيح لك قتاله لأنه ملك بلاده، لم يخلع لك يدا من طاعة، ولا بادأك بحرب، فكيف يحل الهجوم عليه في بلاده ومحاربته بلا سبب، وكان من جملة العلماء

[1] زيادة من ط.

الحاضرين المحقق ابن كمال باشا[1] وكان أصغرهم، فقال له: أيها الأمير إنه يباح لك غزوه، وفي كتاب الله أن تدخل مصر في هذه السنة، فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: لا أفتي بين يدي هؤلاء الأئمة وهم مشايخ الإسلام حتى تؤجلهم سبعا لينظروا ويتدبروا فإن الله تعالى قال: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[2]، فكيف لا تكون هذه النازلة في كتاب الله تعالى الذي فيه تبيان كل شيء؟ فقال لهم سليم: إني أجلتكم سبعاً عسى أن تجدوا أو يتبين لكم ما قال. فقالوا كلهم: أيها الأمير، ما كان جوابنا الآن هو جوابنا بعد سبعة. فقال ابن كمال: لا بد من التأجيل، وقصده، والله أعلم، إظهار مزيته عند الملك، وأنه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التدبر والتلوم، إذ لو أبدى ما عنده في المجلس فربما ادعى أن ذلك يمكن الاهتداء إليه بالتأمل والتدبر، فأجلهم الأمير سبعا، فلما انقضت جمعهم وسألهم فقالوا: جوابنا فيما مضى هو جوابنا الآن. فقال ابن كمال: أيها الأمير إنهم ليقرؤون في كتاب الله العظيم أنك تدخل أنت وجندك[3] هؤلاء مصر في هذه السنة إلا أنهم لا يهتدون لفهمه. فقالوا: أين هو؟ فقال: قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[4]. فضحكوا منه وقالوا: أين هذا مما نحن فيه؟ فقال لهم: إن قوله تعالى: ولقد في قوة لفظ سليم بحساب الجمل، فإن كل واحد من اللفظين عدده مائة وأربعون، فتكون إشارة الكلام سليم كتبنا في الزبور من بعد عشرين وتسعمائة أن الأرض يرثها، لأنّ الذكر عدده بدون آلة التعريف ما تقَدَّم. قال: والأرض في الآية الكريمة على قول كثير من المفسرين هي مصر، والعباد الصالحون في هذا الوقت هم جنودك، إذ لا أصلح منهم من عساكر المسلمين في أقطار الأرض لإقامتهم سنة الجهاد وفتحهم أكثر البلاد النصرانية، وهم على مذهب أهل السنة والجماعة وغيرهم من عساكر البلاد، أما ممن فسدت عقائدهم كأهل العراق وأكثر اليمن والهند، وإما ممن ضعفت عزائمهم عن إقامة شعائر الإسلام كأهل المغرب، وإما ممن استولت عليهم الدنيا كمصر، وبالغ في تقرير هذا المعنى، وسُر السلطان سليم بقوله وسلم له الفقهاء حسن الاستنباط

---

[1] أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، قاض من العلماء بالحديث ورجاله، له مصنفات عديدة منها: طبقات الفقهاء، توفي سنة 940 هـ: الكواكب السائرة 2:107.الفكر السامي 4:215. الأعلام 1:133.

[2] الأنعام: 40.

[3] في ط: لتدخل وجنودك.

[4] الأنبياء: 104.

ولطف الإشارة إلا أنهم قالوا له: إن هذا لا يكفي في إباحة قتال من لم يخلع يـدا من طاعة ولا حارب أحدا من المسلمين، وإن كانت الإشارة القرآنية تدل على أن هذا سيكون فلا بد من إظهار وجه تعتمده الفتوى الفقهية، فقال ابن كمال: أيها الأمير أما هذا فهو أيضا متيسر وذلك بأن تبعث إلى السلطان الغوري وتقول له: إني لما قدمت إلى هذه الأوطان و لم يتيسر الغرض الذي قدمنا لأجله عزمنا على التوجه للحجاز لأداء فريضة الحج، وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم، فأردنا أن تأذن لنا في المرور ببلادكم والتزود منها، فإنه لا محالة مانعك وصادك عن المرور ببلده، فإذا صدك عن حج البيت جاز لك قتاله وصار محارباً، فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك لأن الحيل في مذهبهم سائغة، وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائعة، فكتب السلطان سليم إلى الغوري بذلك، فراجعه الغوري بجواب سيي وصرح بمنعه وصده، وأنه لا يشرب من نيل مصر جرعة ماء إلا إن مشى على ظهور الموتى إلى غير ذلك من التهديد، فتقوى عزم السلطان سليم على غزو مصر وهيأ لذلك، فكان ما كان من استيلائه عليه ومحو الدعوة الغورية من مصر، وإنحائه وقتله لأكثر العلماء والصلحاء والخليفة العباسي وكثير من أرباب المناصب، (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)[1]، فعظمت بذلك مكانة ابن كمال عنده، وخيره فيما شاء من الولاية، فاختار الفتوى فتولاها، وحسنت سيرته فيها، وتصَدَّى لنشر العلم وتعظيم أهله، والله يتقبل منه آمين[2].

قلت: ومن نظير ما تقدم أيضا من استخراج الحوادث من القرآن العظيم ما أخبرني به أيضا صاحب الترجمة، وذكره أيضاً في رسالته التي ألفها لملك الهند، وذلك أن السيد أحمد وزير ملك الهند لما قدم للحج في سنة ثلاث وسبعين ونحن إذ ذاك بمكة زادها الله شرفا، وقدم معه بأموال كثيرة من عند ملك الهند بقصد الصدقة على أهل الحرمين، وقد أخبرني الثقة أنها زيادة على مائتي ألف ريال، وبسط كثيرة غريبة الصنعة لتفرش في المسجدين، فأوسع أهل الحرمين براً وصدقة، فلما قَدِم المدينة اجتمع بصاحب الترجمة على ما أخبرني به، وطلب منه أن يكتب له رسالة فيما يتعلق بأحوال سلطانه، وكان سلطانه مهتما بشأن سلطان ملك أصبهان وعراق العجم لأنه هو الذي يواليه في المملكة، فأراد استطلاع أحواله

---

[1] الأحزاب: 38.

[2] وردت الحكاية نقلا عن الرحلة العياشية في كتاب: الفكر السامي 4:216 – 217.

واستعلام ما يؤول إليه أمره، وكان من جملة ما ذكر فيها بعد تقديم كيفية طريق الاستخراج من كتاب الجفر، وأطال فيه إلى أن قال ما نصه: مثاله سئل مؤلفها هل القران الأعظم الواقع عام أربعة وسبعين وألف من الهجرة يكون مقيداً لدولة ملك أصبهان أم لا، وكان وقت السؤال والماضي ثلاث ساعات من شروق يوم الجمعة رابع عشرين شوال عام ثلاثة وسبعين، والشمس يومئذ بأقسام الدرجة الثالثة عشر من برج الجوزا والقمر وقت السؤال بأقسام منزلة الرشا آخر المنازل بالمدينة المنورة، أخذنا حرف اليوم الرابع والعشرين فكان الخاء المعجمة لأنه الرابع والعشرون من حروف أبجد، وكان منزلة القمر الغين المعجمة لأنها الثامن والعشرون من الحروف أيضاً، وكان حرف الطالع وهو الثلث الأول من الأسد الهاء وحرف الاسم الميم من أحمد، لأنَّ السؤال وقع في الثلث الأخير من شهر شوال، وبه كانت الأمهات أربعة بهذا الترتيب خ غ هـ م، ثم رسمنا الجدول المذكور وكسرنا الأمهات بقاعدة تعمير الجفر الجامع، وجمعنا الأسطر المبسوطة والقائمة بالجمل الكبير، وضبطنا الحاصلين فتطابقا، فكانت صورة الجدول كما ترى، ثم وضع الجدول، ثم أطال الكلام في بيان الاستخراج منه إلى أن استخرج ستة وخمسين حرفا هي حروف الجواب، فكان سطر الجواب بعد تركيبه هكذا: يغير دولة ملك أصبهان أشد تغييرا من غيرها، وكون الخراب فيها أتم بلا ريب هـ.

قلت: وقد ظهرت مخايل صدقه، فقد بلغنا الخبر أن في ذي القعدة الذي من سنة أربع وسبعين وقعت أمور هائلة بإقليم أصبهان وخسفت الأرض بمدن وقرى وجبال، ووقع تحويل لبعض القرى من مكان إلى مكان، وخسف بأكثر مدينة تبريز وهي من قواعد ذلك الإقليم، فإن صح ذلك والغالب صحته، لتعدد نقلته ففيه تصديق لقوله، وكون الخراب فيها أتم، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[1]، وهذا الخسف إن صح من أعظم أشراط الساعة المذكورة في بعض الأحاديث، فلتنتظر أخواتها، ففي بعض الحديث: من أشراط الساعة خسف بالمشرق ومسخ بالمغرب، وقذف بجزيرة العرب[2]، ونسأل الله اللطف في كل حال.

---

[1] يوسف: 21.

[2] أنظر: تفسير القرطبي 1:384.

ومن جملة ما ذكر صاحب الترجمة في الرسالة المذكورة أنه استخرج من قوله تعالى: ﴿يتلو صحفا مطهرة﴾[1] بعض أحوال سلطان الهند واسمه أورتربيك، وهو موافق لعدد رسول، فإن ولايته تتلو العدد الذي تضمنه صحفاً مطهرة في كلام طويل لا أستحضره الآن، على أن التسلي في مثل هذا وتعاطي فهمه من القرآن مما لا ينبغي إلا لذي بصيرة نورانية يصدق كشفه فتحه، وإلا فالهجوم عليه ببضاعة العقل مخطر فإن الواقع قد لا يكون كذلك فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى، وإن بالفحوى والإشارة، والقرآن يتره عن مثل ذلك فإن الله ما أنزله على عبده لهذا وإن كان موجوداً فيه، وإنما أنزله هدى وموعظة وذكرى لأولي الألباب، فاستعمال الفكر في معانيه التي حض الله عليها ورسوله أولى من استعماله في أمثال هذه الأمور التي لم يرد عن المشايخ ولا عن السلف الصالح اعتبار جنسها في أمثال هذه الأمور، وإن اعتبرها بعض السلف، لكن في غير هذا الجنس كاستخراج ابن عباس رضي الله عنه تعيين ليلة القدر من بعض آيات سورها، وأما المتأخرون فمنهم من اعتبره في هذا الجنس كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين بن أيوب من قوله تعالى ﴿غلبت الروم﴾[2] إلى قوله: ﴿في بضع سنين﴾[3]، إلا أنه أمر نادر لا ينبغي، وذو الحال الصحيح والكشف الصريح لا يقتدي به، والله الموفق للصواب.

لطيفة:

القِران الأعظم الذي ذكره صاحب الترجمة هو اقتران العلويين زحل والمشتري أول درجة من الحمل، ثم لا يعود اقترانهما فيها إلا بعد تسعمائة وستين سنة. قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه الكبير المسمى بالعبر ما نصه: "وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم إلى صغير وكبير ووسط، فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك إلى أن يعود إليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة، والوسط هو اقتران العلويين في كل سنة اثنتي عشرة مرة، وبعد مائتين وأربعين سنة ينتقل إلى مثلثة أخرى، والصغير هو اقتران العلويين في برج، وبعد

[1] البينة: 2.
[2] الروم: 1.
[3] الروم: 2.

عشرين سنة يقترنان في برج آخر على تثليثه الأيمن في مثل درجته ودقائقه، مثال ذلك: وقع القران يكون أول دقيقة من الحمل وبعد عشرين سنة يكون أول دقيقة من القوس، وبعد عشرين في الأسد، وهذه كلها نارية، هذا كله قران صغير، ثم يعود إلى أول الحمل بعد ستين سنة، ويسمى دور القران، وعود القران، وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترابية لأنها بعدها، وهذا قران وسط، ثم ينتقل إلى الهوائية ثم المائية، ثم يرجع إلى أول حمل في تسعمائة وستين سنة، وهو الكبير، والقران الكبير يدل على عظام الأمور مثل تغيير الدول والملل وانتقال الملك من قوم إلى قوم، والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين للملك، والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن وعمرانها"[1]، هـ محل الحاجة منه.

وقد ذكر صاحب الترجمة في بعض رسائله، وشافهني به، أن القران الأعظم يقع في شهر ربيع الأول من سنة أربع وتسعين[2] وألف، وحقق ذلك بأدلته، وأخبرني أن القران الأعظم الذي قبل هذا وقع في حدود العشرة الثانية من المائة الثانية بعد الهجرة، فقلت له: أما ما ذكروه من كونه يدل على انتقال الملك من قوم إلى قوم، وعلى تغير الدول فقد ظهر أثره في ذلك القران، ففي ذلك الوقت كان أول ظهور أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة وبدء الانحلال في الدولة الأموية، وبعقب ذلك انتسخت الدولة الأُموية من جميع الأقطار الإسلامية بالدولة العباسية حتى لم يبق للأموية أثر في جميع الأرض إلا ما قبض لها بعد ذلك من كون الولاية للقطر الأندلسي، وهو أقل من كثير بالنسبة إلى ولايتهم الأولى، وأما قولهم يدل على انتقال الملل، فإن الملة الإسلامية بحمد الله لم تنتقل ولا أعقبها غيرها، ولا يعقبها بحمد الله إلى آخر الدهر. فقال: لعل ذلك يدل على ما وقع في ذلك الوقت من ظهور الأئمة المجتهدين وظهور التآليف في الملة الإسلامية، وكثرت فيه الفرق الداعية إلى خلاف مذهب السنة والجماعة، وأدخلت علوم الأوائل من التنجيم والطب والفلسفة والمنطق وغيرها في العلوم الإسلامية، ودونت باللغة العربية، وتزيا الملك بزي ملك الأعجام، واستتبعت الدولة كثيراً من الأتراك والفرس إلى أن كان ذلك سبب تغلبهم على الدولة العباسية إلى غير ذلك مما يعلم بالنظر في سير الأوائل، وقد كانت الملة قبل ذلك ملة أمية لما قال عليه السلام: نحن أمة أمية لا

[1] مقدمة ابن خلدون، ص: 335.
[2] في ط: سبعين.

نكتب ولا نحسب[1]، وكان الدين رطبا تلقاه الأبناء عن الآباء، والعقائد سالمة من الزيغ تتلقاه من الكتاب والسنة من غير مشاركة لبضائع العقول والفروع كذلك تتلقاه من أحكامه عليه السلام وأحكام خلفائه الراشدين لم يدخلها قياس ولا استحسان، ولا قيل فيها برأي، والناس هادون مهتدون في أنفسهم لقربهم من زمان النبوة، وهم قريب من حال العرب في باديتهم لم تتشعب فروع المعاملات فيما بينهم ولا كثرت الخيانات المحوجة إلى استخراج أحكام كثير من الفروع بالقياس والاجتهاد إلى غير ذلك مما يعلم أيضا بالنظر في سيرهم في الدين، ومن حقق ذلك وعلم بون ما بين حالهم وحال من بعدهم لا يرتاب في أن ما كانوا عليه بالنسبة إلا ما آل إليه الأمر كحال ملة بالنسبة إلى ملة، لأن الملل الحقيقية لا تختلف في أصول الديانات، وإنما تختلف في فروعها كما نص عليه غير واحد. قلت له: سلمنا ذلك في القران الماضي، فماذا عسى تراه يقع في هذا القران من تغيير الملل، فأنا نقطع بخبر الصادق أن هذه الملة لا تنسخها ملة إلى آخر الدهر. فقال: لا أدري اللهم إلا أن يأتي من يحمل الناس على مواقع الإجماع وإلغاء الخلاف الواقع بين المجتهدين فإن ذلك يكون بالنسبة إلى ما نحن عليه تغييرا للملل والنحل. قلت: وما ذكره، وإن كان محتملا فهو بعيد جدا، بل هو كالمحال لأن موانع الإجماع سيما في فروع الديانات بالنسبة إلى مواقع الخلاف أقل من قليل، فكيف يمكن حمل الناس على ذلك وعلى تقدير وقوعه فهو رفض للشريعة ومحو لما بقي من رسومها لأنه يؤدي إلى بقاء أكثر العبادات والعادات بلا حكم، فنعوذ بالله من ذلك، والذي يظهر لي إن صح جريان عادة الله تعالى تغيير الملل عند حصول هذا القران أن يحمل التغيير الواقع بعده على أمرين أحدهما ما كان يختلج في فكري قبل هذا، وذلك أني كنت أود لو أن الله قيض لهذه الأمة من يجمع أربعة من محققي علماء كل مذهب من هذه المذاهب الأربعة الموجودة، ويختار لكل واحد جماعة من أهل مذهبه يستعين بهم في المطالعة وتحقيق ما يشكل عليه من فروع الديانات، فيأمر الأربعة بالاجتماع في محل واحد في وقت مخصوص من ليل أو نهار بقصد تأليف ديوان في فروع الفقه، ويتخذ لهم كتابا مهرة يستعينون بهم ويجري على الجميع من الجرايات ما يكون سبباً لفراغ بالهم لما هم بصدده، وبعد مراجعة كل واحد منهم مع أصحابه ما يحتاج إليه من كتب مذهبه في المحل الذي يؤلفون فيه،

---

[1] كتاب التمهيد 340:14.

فيجتمعون يتتبعون فروع الديانات الجزئيات من أول مسألة مُدَوَّنة في الفقه على قدر طاقتهم إلى آخرها، فيذكر كل واحد مشهور مذهبه في كل نازلة، فإذا علموا مشهور المذاهب في كل مسألة مسألة نظر من تصدى للكتابة والتأليف عندهم إلى المسائل المتفق عليها بينهم فأثبتها، ولا يحكي شيئاً من الخلاف فيها، ثم المسائل المختلف فيها يقتصر فيها على قول ثلاثة منهم اجتمعوا ويحذف قول الرابع، ثم إن قال اثنان بقول واثنان بقول، جعلها ذات قولين مشهورين، ثم إن تباينت آراؤهم في النازلة وهو قليل حكاها كلها بلا تشهير، وتكون مسألة خلاف، أو يقدم ما كان منها مستندا إلى كتاب، ثم ما استند إلى سنة، ثم ما استند إلى صحابي، قوي، ثم ما أخذ من الاجتهاد، فإذا ألف الديوان على هذا الوصف وحمل الناس على اتباعه كان أقرب لضبط الانتشار الواقع الآن وكثرة الخلاف الواقع بين أهل المذاهب والتعصبات الفاحشة المؤدية إلى تضليل بعضهم بعضاً، فإن الاختلاف إنما كان رحمة حين كانت القلوب سالمة، والأرض بالعلماء المحققين عامرة، فيحملون الخلاف بينهم على أحسن محامله، ويجد العامي من أهل كل مذهب في كل قطر من الأقطار من يقتدي به في دينه، ومن جال في الأقطار الشاسعة كالعراق والشام واليمن والحجاز وغير ذلك علم قبح ما آل إليه الأمر في ذلك، فإن العامي المقلد لمالك مثلا يكون في بلد ليس فيها أحد ممن يحقق مذهبه ولا يقارب تحقيقه، وتنزل به النوازل المتعددة في دينه، فيأنف أن يقتدي فيها بمن في ذلك البلد من العلماء المحققين على خلاف مذهبه، فيعمل فيها على جهالة، أو يسأل عاميا مثله أو أجهل منه فيقول له سمعت ذات مرة كذا، ووقع لي يوماً كذا فسألت عنه أو رأيت في كتاب كذا وهو شبيه بما نزل بك، فيقتدي به في ذلك وهو جهل عظيم وضرر في الدين عميم، فلو قدر وجود مثل هذا الكتاب وحمل الناس عليه لكن شبه تغيير في الملة مع ما فيه من الصلاح.

ثانيهما: أن يكون هذا القران دالاً على زمن الإمام المهدي المنتظر، وهو غير بعيد أيضاً من كلام من تكلم على أخباره وزمنه من طريق الكشف أو من طريق النقل المستند إلى بعض الأحاديث الضعيفة فإن كلامهم كلهم يشير بفحواه إلى قريب من المائة الثانية، وجعل بعضهم غايته المائة التي بعدها، والصحيح عندي أن ظهوره من أشراط الساعة، وتعيين زمن الساعة وأشراطها مع القطع بوقوعها مما استأثر الله بعلمه، ومن طالع تواريخ المتقدمين علم صدق ما ذكرنا فإن كثيراً منهم

عين المائة الثانية واستند إلى ظواهر من الأحاديث ومن بعدهم عينوا المائة السابعة متمسكين بمثل ذلك، ولما ظهرت نار الحجاز ووقعت وقعة التتار ببغداد وغير ذلك من التغيرات لم يشكوا أنها بقرب ذلك وهلم جرا، وغالبهم لا يشكون أنها لا تجاوز الألف، وإلى الآن كل يتكلم على حسب حدسه ووهمه، والعلم عند الله، وعلى تقدير ظهوره بإثر هذا القران فإن سيدي عبد الوهاب الشعراني قد حكى في بعض تآليفه عن كثير من أهل الكشف أن المهدي إذا ظهر لا يكون أحد أعدى إليه من الفقهاء لأنه إمام مجتهد، فيحكم في كثير من الفروع بما يخالف ما قاله أئمتهم وهم يظنون أن الله لا يحدث مجتهدا بعد أئمتهم، وهذا إمام هدى بشهادة الرسول. ومن شرط الإمام أن يكون مجتهدا إن وجد، فيحكم بحكم الوقت المناسب له، ويكون له وزراء سبعة أو تسعة كلهم مجتهدون من أهل العلم والكشف والتصديق بالإذن الخاص من الله في المملكة، فيحكم كل واحد سنة بحكم الوقت المناسب لتلك السنة الجاري على الكتاب والسنة بعلم صريح وكشف صحيح، لا بوهم وتخمين. قلت: وهذا ليس ببعيد حيث يكون الإمام هو قطب الزمان ووزراؤه هم الموالون له في الرتبة المقتبسون من فيض مدده، سيما إذا نزل رسول الله عيسى عليه السلام وهو على نبوته ورسالته حاكم بكتاب الله القرآن وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيجتمع نور النبوة والرسالة والولاية، فأي احتياج بعد ذلك إلى حكم بقياس علة أو شبه دلالة أو نظر إلى حكم الأصل، وعلته وغير ذلك مما بنيت عليه الفروع عند إعواز هذا النور لبعد العهد من زمان النبوءة، وزمان المهدي وعيسى عليه السلام، وإن كان بعيدا حسا فليس ببعيد حكما لأنهم يقتبسون من مشكاة نبوته صلى الله عليه وسلم بلا واسطة. وقد قال عليه السلام: خير هذه الأمة أولها وآخرها[1]، فلولا أن آخرها مشابه لأولها في الهداية لما شارك بينهما الرسول في الخيرية، والله أعلم، فإذا جاء هذا الزمان فما أقرب حال الناس فيه بالنسبة إلى ما كانوا عليه قبل بأن يقال فيه بتبديل الملل، وما أحسن هذا التبديل فإنه تبديل من صلاح إلى أصلح، ومن حسن إلى أحسن، فإن الحكم بالتقليد الصحيح حسن، وبالاجتهاد الصحيح أحسن منه، بهذان الوجهان يمكن أن يحمل على أحدهما التغيير الواقع في هذه الملة إثر هذا القران إن صح من غير معارضة للدليل القطعي بأن هذه الشريعة لا ينسخها شيء، ولا تزال طائفة

---

(1) نوادر الأصول 92:2.

من أهلها على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون، وإنما قلنا في التغيير الواقع إثر القران إن صح، لأن الحكم بصحته عقلاً أو شرعاً لا دليل عليه قوياً أو ضعيفاً، والحكم بأن الله أجرى عادته بوقوع مثل ذلك عند حصول هذا القران بعيداً أيضاً لأن حكم العادة مستند إلى واسطة التكرر، ولا يثبت ذلك بوقوعه مرة ولا مرتين ولا ما يقارب ذلك، وهذا أمر قد زعموا أنه إنما يقع بعد نحو ألف سنة، فلم يقع في الإسلام إلا مرة واحدة، وهذه الثانية على زعمهم. وهب أن الأخبار المستفيضة في التواريخ وغيرها دلت على وقوع ما زعموا من التغير في المائة الثانية، فمن لنا بوقوع ذلك في القرانات الواقعة في الأزمان الماضية قبل الإسلام، والأعصار القديمة والدهور المتطاولة في عصرٍ عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً، فما أبعد نقل خبر متكرر مراراً متعددة في أزمنة متعددة بين كل زمانين نحو ألف سنة، بحيث يكون الوقت الثاني مثل الأول، والذي بعده مثله إلى أن وصل إلينا، فهذا أبعد من بعيد، إلا أن ذلك لما كان مشتهراً بين أرباب ذلك العلم تكلمنا عليه بما يناسبه من الكلام لما شرطنا في أول الرحلة من الكلام على كل ما تتشوف إليه النفس من الفوائد العلمية المتجددة لنا في هذه الرحلة، والله يصلح الطويات، ويعفو عن الزلات.

لطيفة:

تفاوضت الحديث يوما مع صاحب الترجمة فجرى ذكر الشيخ داوود الأنطاكي[1] صاحب التذكرة في الطب التي لم يؤلف مثلها في ذلك الفن على ما قيل، وأثنى صاحب الترجمة عليه ثناء جميلا وذكر تمهره في الفنون[2] العقلية وسلامة عقيدته، وحكى لي حكاية عنه تدل على تمهره في فنه، قال صاحب الترجمة: أخبرني الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي[3]، وكان من فضلاء فقهاء الشافعية

---

(1) داوود بن عمر الأنطاكي، الطبيب المشهور، كان ذا وجاهة لدى أمراء مكة، من مؤلفاته كتاب التذكرة وكتاب النزهة، وكلاهما في الطب، توفي في حدود سنة 1005هـ: خلاصة الأثر 140:2.التقاط الدرر، ص: 247.

(2) في ط: العلوم.

(3) عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المكي الزمزمي، فقيه مصنف، ولد بمكة سنة 997 هـ، و أخذ على يد علمائها وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 1022 هـ: خلاصة الأثر 426:2. التقاط الدرر، ص: 153. نشر المثاني 122:2. صفوة من انتشر، ص: 232.

ورئيس المؤذنين على ظهر زمزم بمكة المشرفة، وبتلك الخطة نسب أسلافه إلى زمزم، وكان قد طعن في السن وأدرك حياة الشيخ داوود المذكور، قال: كان الشيخ داوود له وجاهة عظيمة عند أمراء مكة، وكان يحضر مجلس والدي في التدريس، وكان الوالد يجله، وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه، وأقول: كيف تجل رجلا فيلسوفيا من شأنه كذا وكذا، فيقول: يا بني، إن الرجل من حكماء الإسلام، وله وجاهة عند أرباب الدولة، وقديماً قيل[1]:

[طويل]

وما عجبٌ إكرام ألف بواحد لعينٍ تُعد ألفَ عينٍ وتكرمُ

قال: ثم عرض لي عارض مرض ذات يوم واشتد علي و لم أحضر الدرس، فحضر الشيخ داوود وسأل الوالد عني فأخبره بحالي، فلما تفرق المجلس قال لوالدي: اذهب بنا لعيادة ولدك، فدخل علي وأنا في أشد ما يكون من المرض، فجبس يدي ثم قال لوالدي: ليس هذا وقت معالجة هذا الولد، ولكن خذ هذا الدواء لشيء استخرجه من جيبه يسقى أو يذهن به، يخف عنه ما هو فيه، وأنا راجع إليه غدا وقت كذا، فذهب واستعملت ما أمر به، فخف عني ما أجد، ثم حضر غدا في الوقت الذي ذكر واستحضر حَجَّاماً وقال: هيئ آلة الفصادة، وأراه العرق الذي يفصده ومحل الفصد منه، وقال له: إذا سمعتني قلت: الله، رافعاً صوتي به فافصد المحل الذي ذكرت لك، وإذا قلته ثانيا فحل رباط الفصد وامسك عن إخراج الدم، فهيأ الحجام الآلة وربط المحل، فبقي ينتظر إذن الشيخ، والشيخ مطرق برأسه مدة، ثم قال: الله، ففصد العرق مع قوله، فلما قاله ثانيا أمسك، ثم رفع الشيخ رأسه وقال: أخرجت لك دماً مخصوصاً في وقت مخصوص لأمر مخصوص، وذكر أن الأمر المخصوص قرب الثمانين سنة، فوجد الشيخ عبد العزيز الراحة من حينه، و لم يعاوده المرض إلى قرب الثمانين كما ذكر.

والشيخ عبد العزيز هذا كان حيا سنة خمس وستين بمكة، وحرصت على لقائه والأخذ عنه إذ ذاك فلم يقدر لي لضيق الوقت، ولما رجعت في هذه الوجهة

[1] ورد البيت بلا نسبة في نشر المثاني 2:122.

وجدته قد انتقل إلى رحمة الله و لم أسأل عن وقت وفاته[1]، وتولى مكانه في التقدم على المؤذنين على ظهر زمزم ولده الشيخ عبد السلام، ويحكى عن أهل بيتهم كرامات وخوارق ظهرت عليهم من ملازمة ذلك المحل الشريف، فمن ذلك ما سمعته من جماعة من المجاورين بمكة أن الشيخ عبد العزيز، أو أحدا من أهل بيته، احتبس ذات يوم في شغل له خارج مكة من ناحية، فلما قرب الوقت توجه ليدرك وقت الأذان بالمسجد الحرام فأدركه الوقت وهو على الثنية التي تشرف على المحصب من ناحية مكة، وعلى عقبة منى من ناحيته، فأذن في ذلك المحل وبينه وبين المسجد مسافة بعيدة وجبال وشعوب يستحيل معها عادة وصول صوته إلى من بأسواق مكة، فضلاً عمن كان بالمسجد، فسمع صوته من كان في المسجد كأنه يؤذن في محله المعهود، فكانوا يرون ذلك كرامة له. ومن ذلك أن الرئيس منهم يصوت قبل طلوع الفجر بسبعة أصوات بين كل صوتين نحو نصف درجة، ويكون طلوع الفجر عند آخر صوت منها، واستفاض عند كثير من الناس أن تلك الأصوات هي كلام أو ذكر بلغة لا يفهمها أحد إلا أولئك يتوارثونه بينهم، وأن سبب ذلك أنه كان المؤذن منهم إذا طلع الفجر أذن ثم أقام الصلاة بقرب ذلك، قالوا: فجاءه رجل من الأبدال من ناحية أقطار الأرض البعيدة فخاصمه وعاتبه وقال له: إني إذا سمعت أنك ببلدي أسرعت لأدرك الصلاة، وربما فاتني شيء منها، فعلمه تلك الأصوات، زعموا أنه إذا صوت بها سمعه الأبدال في مشارق الأرض ومغاربها، فيحضرون الصلاة، وأنا ترصدت ذلك مراراً وسمعت الأصوات فليس فيها حرف أصلا حتى تنسب إلى لغة دون لغة، والغالب على ظني أن ذلك إنما هو من التصوت باسم الجلالة بعد النطق بأوله سِرًّاً وإخفاء الهاء في آخره، وكنت بعثت إليه أيام مجاورتي هناك في رمضان هل يصح صيام من شرب أولها أم لا؟ فأخبرني أن من أكل أو شرب قبل الثلاثة الأخيرة صح صومه، وبعد لا، والعلم عند الله تعالى.

[1] ذكر المحبي أن وفاته كانت ليلة الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى سنة 1072 هـ: خلاصة الأثر 427:2.

لطيفة:

رأيت عند صاحب الترجمة تذكرة له جمع فيها فوائد كثيرة وسماها السفينة، قال: لأن السفينة تحمل أصناف المتاع من دني وسني، ومن جملة ما رأيت فيها أوضاعاً للحروف الثمانية والعشرين متباينة الأشكال تبلغ نحو السبعين، والكثير منها من استنباطه، على ما قال. ومن جملة ما أعجبني منها قلمان بالوضع العربي أصالة وخالف في موضوعاتها موضع لكل حرف اسما غير اسمه المألوف، ينفع ذلك عند قصد التعمية في رسالة أو تقييد شيء خيف نسيانه و لم يرد إطلاع الغير عليه، فإذا رأيت الحروف المعهودة طولب منها معناها الذي تدل عليه تراكيبها الأصلية، والمقصود خلاف ذلك، وسمى أحد القلمين قلم النظير والترقي والتدلي، والآخر القلم الدريعي، أما الأول فهذه: أُيْ بَكٌ جَلْ دَزٌ هَيْ وَسُ زَعْ حَفُ طَصْ كَعٌ رَطْ شَضٌ تَذْثَخٌ لا وفوا. وهذا ينتظم منه بيت شعر مشتمل على حروف المعجم كلها ووزنه فاعل ثمان مرات، ثم أردفه ببيت بينه، ونصه:

[متقارب]

فكل فما قبلهُ مُبدل وكل بما بعدهُ يُعرفُ

يعني أن الحرف الأول من الكلمة يوضع موضع الثاني منها، والثاني موضع الأول، فالألف مثلاً في محل الياء، والياء في محلها، ولام الألف تبقى في محلها على حالها إذ لم تركب مع شيء سواها إلا أن البيت الثاني من المتقارب، ولو قال:

[متقارب]

كل حرف بما قبله مبدل وبما بعده أول يعرف

لكان البيتان من بحر واحد.

وأما القلم الثاني فنصه:

كَمْ أَوْحَطٍ صَلا لَهُ دُرْسُعٌ في بَزْخَش تَذَنو تَضْ عَج

وهو أيضا بيت من مستفعلن مستفعلن فاعلن، فأضاف إليه آخر بيانا لـــه، ونصه:

[سريع]

فبـــدل الحـــرفَ بمـــا قبلـــهُ تظفـــرُ بالمـــدخل والمخـــرَج

قال: والطاء تبقى على حالها، وهذا أيضاً مثل الذي قبله يوضع كل حرف موضع الذي بعده وبالعكس فيوضع الأول موضع الثاني، والثاني موضـــع الأول، ومثال ذلك في القلمين لفظ أحمد بالعربي هكذا: أحماد، والنظير هكذا: ي ف د م وبالدريعي: و ط ك ر، ومثل هذا يحتاج إليه كثيرا أهل هذه العلوم الغريبة، وقـــد رأيت بالمدينة المشرفة كتاب عنقاء مغرب ومعرفة ختم الأولياء وشمس المغـــرب ونكتة سر الشفا في القول اللاحق المصطفى[1] للشيخ محي الدين، ورأيت له فيـــه قلما ابتكره يكتب له الأسطر المتقدمة مما يريد إخفاءه، وهذه صورته:

صح: ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي.

ومنهم حكيم الإسلام وأحد العلماء الأعلام المتوقد فطنة والمتوهج ذكـــاء الممتلئ حكمة وإيمانا، ولم يرشح له وعاء، ولا حل له أحد وكاء، الذي توغل في أقطار الأرض وجال وبلغ على حداثة سنه مبلغاً عجز عنه فحول الرجال، المتفنن في علوم كثيرة، والمتحلي بحلى من محاسن الأوصاف أثيرة، سيدي محمـــد بـــن سليمان الروداني[2]، كان ممن ألهم الرشد في صغره، فاجتنى ثمر رشده في كبره، نشأ ببلده بين والديه بمدينة تارودانت[3] قاعدة بلاد السوس الأقصى، فلما بلغ مبلـــغ الرجال شاقت نفسه إلى تعلم العلم فخرج فارًّا من أبويه، فدخل بـــلاد درعـــة واستقر عند صالح علمائها وعالم صلحائها سيدي محمد بن ناصر الدرعي[4] رضي الله عنه، فاقتبس من علومه مدة ثم خرج من هنالك وجال في أقطـــار المغـــرب،

(1) كتاب عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء أو نكتة سر الشفا في القرن اللاحق بقرن المصطفى للـشيخ محي الدين ابن عربي، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط: الموسوعة المغربيـــة للأعـــلام البشرية والحضارية 2: 54.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) تارودانت: تقع قرب أكادير، كانت تعرف قديما بـــ Vala: الموســـوعة المغربيـــة للأعـــلام البـــشرية والحضارية 4: 306.

(4) تقدمت ترجمته.

ودخل سجلماسة وغيرها من البلاد القبلية، ثم وصل إلى مـــراكش ثم وصـــل إلى تادلا[1] ثم إلى فاس، ولقي بها أوحد زمانه في سلوك طريق الصدق، العديم النظير في معرفة أدب معاملة الحق والخلق، سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي[2] رضي الله عنه، وكان دخوله لفاس بقصد تعلم العلوم الرسمية سيما علم الحكمة من هيئة وتنجيم وحساب ومنطق وما شاكل ذلك، فقد كانت له اليد الطولى في ذلـــك، شديد البحث عمن يتقن بعضها، فلم يظفر في بلاد المغرب بمن يشفي غليلـــه في ذلك، فلما دخل فاسا ولقي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله زجره أشـــد الزجر عن تعاطي هذه العلوم وغيرها من العلوم الرسمية، ومنعه من لقاء علمـــاء الوقت، وألزمه بالرجوع لوالديه[3] والأخذ بخاطريهما، فرجع إلى والديـــه حـــتى طابت قلوبهما وأذنا له في السفر، فرجع إلى مراكش وأقام بها مدة وانتفع بعلمائها كسيدي محمد بن سعيد[4]، وحكيمها المريد، وغيرهما، ولم يزل ينتقل في البلاد إلى أن وصل البلاد المشرقية، ودخل[5] الجزائر وأقام فيها مدة، وانتفع بأهلها كسيدي سعيد بن إبراهيم قدورة[6] وغيره، وأخبرني أنه لقي هنالك رجلاً مـــن أصـــفياء الصالحين، وكان يواظب الجلوس عنده، وهو في الغالب ساكت لا يتكلم. قـــال: وذات يوم ضاقت علي نفسي، ولا أدري أين أتوجه من البلاد، فجئت إليه فلما جلست عنده قال لي: أنت مسجون عند النبي صلى الله عليه وسلم، وقد آل الأمر به إلى ما قال، فإنه انتهت به سياحته إلى المدينة المشرفة ولم يخرج عنه من لـــدن وصلها إلا إلى مكة، ثم دخل كثيرا من البلاد الإفريقيـــة، ثم ركـــب البحـــر إلى اصطنبول، ووقعت هنالك وقائع مع بعض علمائها، منها ما أخبرني به أنه نـــزل

---

(1) تادلا: كانت تسمى دالا، وكانت دائما محط عناية الملوك نظرا لما كانت تحتـــوي عليـــه مـــن مراحـــل ونزلات بين فاس ومراكش: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 4: 303.

(2) محمد بن عبد الله معن الأندلسي، صوفي صاحب الزاوية بالمخفية من فاس، من أصحاب الـــشيخ أبـــي المحاسن الفاسي وتلامذته، توفي عام 1062 هـــ: التقاط الـــدرر، ص: 130. اقتفـــاء الأثـــر، ص: 143. شجرة النور الزكية 1: 446.

(3) في ط: إلى والديه.

(4) محمد بن سعيد بن محمد المرغيثي السوسي المراكشي، إمام محدث، أخذ عن العربي الفاســـي ومحمـــد الجنان وعيسى السكتاني، استكتب لبعض أمراء الدولة السعدية، من تآليفه: المقنع فـــي التوقيـــت وشـــهور العام، توفي سنة 1089 هـــ، وكانت ولادته سنة 1007 هـــ: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 5: 304.

(5) في ط: وصل.

(6) سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري الدار التونسي الأصل، مفتي الجزائر وخطيبها، له حاشية على شـــرح الصغرى، توفي عام 1066 هـــ: التقاط الدرر، ص: 139. شجرة النور الزكية 1: 447.

هناك عند رجل يتظاهر بالعلم والصلاح، ويزعم أنه من ذرية الشيخ زروق، رضي الله عنه، وله صيت في ذلك البلد، قال: وكنت لفرط اعتقادي في الشيخ زروق لما سمعت أنه من ذريته آويت إليه وأجللته واعتقدت فيه الخير، قال: وأخرج إلي رسالة في التصوف لبعض المتأخرين وأمرني بنظمها، فنظمتها، وكان ذلك دأبه إذا ورد عليه غريب ممن ينتحل العلم كلفه بنظم شيء أو تأليفه، ثم ينتحل لنفسه ذلك ويباهي به الأعاجم الذين يعتقدونه، وعندما بدا لي خبث طويته وظهرت لي منه مقاصد غير محمودة، اعتزلت عنه، وصادف ذلك بعض الأشهر المعظمة، فاعتزلت في بعض الرباطات أتحنث ليالي ذوات عدد، و لم يعرفني أحد ولا خرجت ولا دخل علي أحد مدة، وخفي عليه مكاني وطال بحثه عني، و لم يقف لي على خبر، وتحير في شأنه لأنه لفرط غباوته عندما قدمت عليه وسر بي كأني منه، أوحى بالخبر إلى أم السلطان أنه قد قدم علينا هنا رجل من شأنه كذا وكذا، وبالغ في التعظيم حرصاً على ترقية مهابته في قلوبهم بأنه ممن يقصد للزيارة من الأماكن البعيدة، واستدراراً لصلتهم، فطالبته بإيصالي إليها، فلم يقف لي على خبر، وسقط في يده، فأخذ يتعلل لها وأنا لا أشعر بشيء من ذلك، فلما فرغت من تحنثي وخرجت من خلوتي جئته ذات يوم لأسلم عليه ولا علم لي بما وقع، فلما وقعت عينه علي هش وبش ورحب وقال لي: أين كنت؟ فقلت: في بعض أطراف المدينة لأغراض، فرمز لي بالخبر، فأخذت أعتذر له، فتنكر لي وقال لي: أنا مطالب بك، وأخاف على نفسي إن لم أحضرك، فلما علمت منه الجد علمت أنه لا ينجيني منه إلا الكيد، وكنت في خلال ذلك لم أظهر له التصميم على الإبابة، فعدلت إلى فن آخر من الكيد وألنت له الكلام وقلت له: هذا من ظهور أثر بركتكم علي حيث صار مثلي ممن يطلب إلى هذه المراتب العلية، فجزاك الله عني خيرا، فسمعا وطاعة لأمرك، حتى اطمأن إلى قولي، وقلت له: إن لي بعض أمتعة في بعض الحواصل، وأنا أريد أن أحولها إلى عندك هنا وآتي بكتبي ليطمئن قلبي. وقال لي: هل تحتاج إلى معين فأبعث معك أحداً؟ فقلت: لا، وجزيته خيراً فخرجت من عنده، فلم تلق عيني عينه إلى الآن. ومن جملة ما وقع له أيضا هناك ما أخبرني به أنه دخل على بعض المفتين من علمائهم فقدم إليه القهوة والدخان، وذلك عندهم من جملة المكارمة، فامتنع من ذلك، وألح عليه فلج في إبائه، فقال له: أزهدا أم تزهدا؟ فقال: بل فرارا من حرام أو شبهة، فدار الكلام بينهما في ذلك. قال: ومن الله علي بقوة القلب واستحضار الجواب، وكنت إذ ذاك قريب عهد بالقراءة، وقد

أتقنت طرفا من أصول الفقه والمنطق، فلم يأت بدليل إلا من الله بإبطاله حتى أفحمته، وانفصل المجلس وتسللت من عنده واختفيت في بعض الأماكن، وشاع الخبر[1] في البلد أن مغربيا دخل على المفتي وناظره في كذا وكذا حتى أفحمه، ولم أزل مختفيا إلى أن خرجت منها بعد مدة. ثم وصل إلى مصر ولم تطل إقامته فيها وسافر إلى الصعيد وأقام مدة بمدينة جرجا[2] إلى أن سافر منها إلى الحجاز.

لطيفة:

كان صاحب الترجمة ينهى عن لباس الصوف الرائق الذي يأتي من بلاد الروم منسوجا وتتخذ منه الجوخات [والأقبية الرفيعة الشبيهة بالحرير في لونه وصنعه ورطوبته، وهو لباس غالب علماء مصر والقاهرة والشام والحجاز][3] وغيرها، ويرى بطلان الصلاة فيه قائلا إنه استيقن الخبر من أهل البلد التي يأتي منها أنهم ينتفونه عن الغنم وهي حية، وأنه لا يكون إلا كذلك، وبذلك يصير في تلك الحال من الرطوبة والرقة، وإذا ثبت أنه كذلك فهو نجس، ولما كان بالصعيد كتب سؤالا في ذلك إلى شيخ المالكية بمصر شيخنا الأجهوري، رحمه الله، فكان من جملة جوابه على ما قال: أنه إن ثبت ذلك فيخرج على أحد الأقوال في النجاسة من سنة، واستجاب لعموم البلوى به، فراجعه بأن القول بالسنة مرجعه إلى الوجوب على ما قال الحطاب وغيره، والقول بالاستحباب لم يقل أحد بتشهيره فلا يعول عليه، فأجاب بأنه قد شهر أيضا ومن شهده الفاكهاني.

قال صاحب الترجمة: ولم أر للفاكهاني تشهيرا من ذلك، وكان يحط من قدر الشيخ الأجهوري وأصحابه بمثل ذلك؛ لأن أصحابه في ذلك الوقت هم المتأولون بجواب ما يرد عليه من الأسئلة لكبر سنه وإضراره له من الكتابة.

قلت[4]: ويمكن البحث في كلام صاحب الترجمة بأحد ثلاثة أمور أحدها ما كان يورده على نفسه ولا يرتضيه، وقال لي إن بعض الناس قد نقل له ذلك عن محقق المغرب سيدي أحمد بن عمران، وكان إذ ذاك بالقاهرة، وهو أن الصوف

(1) ساقط من ط.
(2) جرْجا: قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم: معجم البلدان: جرجا.
(3) ما بين معقوفتين ساقط من ط
(4) وردت هذه الفقرة من كلام العياشي في نشر المثاني 2:315.

المذكور إن سلم أنه كان منتوفا فالمتجنس منه جزء قليل من أصله وهو أضعف ما فيه، وما سواه يطهر بالغسل. ومن المعلوم أن هذا الصوف لا يصير إلى هذه الحال التي يلبس فيها إلا بعد أعمال كثيرة من غسل ودق ونفش وقصر وغزل ونسج وغير ذلك، ومعلوم أيضا أن ذلك الجزء الضعيف لا يصبر على[1] ملاقاة هذه الأعمال ولا يبقى معها بل يضمحل بالكلية، وإذا تحقق أن عين النجس قد ذهب فلا معنى لمنع ما سواه، ولو نفشت قطعة من هذا الصوف وتتبعت شعراتها لم يوجد فيها ما يتوهم أنه من أصل الشعر إذ لم يبق إلا الصحيح المشابه للحرير، وهذا الذي قاله صحيح، وصاحب الترجمة يقدح في ذلك بتدقيقات عقلية ويقول: إنا قد تحققنا نجاسة هذا المحل فلا يطهر إلا بتعين ولا يقين مع احتمال بقاء جزء ولو مثل رأس الإبرة في جميع الجبة الكبيرة، وتفتيش قطعة منها، ولم يوجد فيه شيء لا يدل على سلامة الجوخة كلها، بل ولو فتشت جوخة ولم يوجد فيها، فغيرها محتمل لأن يوجد فيه. قلت: ومثل هذه التدقيقات بالاحتمالات العقلية تنبو عنها الفروع الفقهية المبنية على غلبة الظن القريب من القطع؛ إذ لو بنينا الأمر عليها ما صحت لنا عبادة إذ ما من ماء ولا ثوب إلا وهو محتمل عقلا أن يكون تعلق به شيء من النجاسة، وبعد غسل المتجنس أيضاً على هذا التدقيق لا يطهر لأن الغسل لا ينفي احتمال بقاء جزء قليل من النجاسة في خلال المغسول احتمالاً عقلياً، لكن الأحكام في ذلك إنما نيطت بما يغلب على الظن مستندا في ذلك إلى حكم العادة لا إلى مجرد التجويز العقلي الذي لم يستند إلى عادة في الغالب، فمن غسل ثوبه حتى غلب على ظنه أن أجزاء النجاسة كلها قد خرجت مع الماء فقد طهر ثوبه مستنداً في ذلك إلى أن العادة في ملاقاة هذا القدر من الماء لهذا القدر من النجاسة، مع مثل هذا العرك وتوالي الصب لا يبقي من النجاسات في هذا المحل، ولا نبالي مع ذلك بما يجوزه العقل من بقاء شيء من الأجزاء غير مستند في ذلك إلى عادة ولا إمارة من لون أو طعم أو ريح، ولا أظن الفقهاء يختلفون في مثل هذا.

وأشباه هذا كثير، ومنه غسل المخرج في الاستنجاء فليس بمرئي، بل إذا غلب على ظنه النقاء مستندا إلى إمارة، كحروشة المحل وذهاب الرطوبات فقد أنقى، وكذلك تعميم العضو في الوضوء والجسد في الغسل، فإذا غلب على الظن

---

[1] في ط: عن.

إيصال الماء إلى المحل المطلوب وصوله إليه، وإن كان غير مرئي ولا ملموس باليد، بل بحبل وعصا ومستندا في ذلك إلى أن العادة أن هذا القدر من الماء إذا مر بمثل هذا العضو يغمره فقد تطهر المحل بذلك، وما يجوزه العقل من بقاء شيء لم يصل الماء إليه لا عبرة به، واعتباره هو عين الوسوسة المنهي عنها، وقالوا إن أصلها خبال في العقل أو جهل بالسنة، فلولا أن السنة هي الجري مع المعتاد والظن الغالب في أمثال هذه الأمور لما عدوا هذا جاهلا بها، وحيث عبر الفقهاء في الصلاة والطهارة وسائر أنواع العبادات باليقين، فالمراد به هذا الظن الغالب الذي يعد مقابله وسوسة لمرجوحية احتماله لا اليقين الذي هو أقوى أنواع العلم كما هو عند المتكلمين إذ ذاك عزيز الوجود في العقائد التي هي أصل الدين، فما بالك بفروع الفقه المبنية على الظن والاجتهاد في كثير منها، فإذا علمت ما قررنا فمن رأى هذا الصوف المذكور وإتقان صنعته الغريبة الدالة على تعدد الأعمال والأشغال المتداولة عليه إلى أن صار لا يميز بينه وبين صافي الإبريسم إلا من عرفه قبل ذلك، وأخبر بعد ذلك بأنه قد نتف لا يكاد يرتاب في بقاء شيء من أصوله فيه، فإذا غلب على الظن غلبة قوية عدم بقاء شيء من أصوله فيه مستنداً إلى العادة الواضحة في أن بقاء ذلك الجزء الضعيف الرخو فيه مما يخل بإتقان تلك الصنعة فلا معنى للتوقف في طهارته، إذ بهذه الطريق حكمنا بطهارة كل متجنس، ويزيد هذا وضوحاً أن الصوف المجزوز الاتفاق على طهارته مع أنه في الغالب لا يخلو من شعرات متعددة منتوفة في حال الجز وقبله، وبقيت في خلال الصوف، بل العادة قاطعة بوجودها، ومن باشر ذلك ورأى الصوف على ظهور الغنم وحضر جزازها علم ذلك وتحققه، ومع ذلك فقد ألغينا ذلك القليل الذي لا يمكن الاحتراز منه عن الاعتبار مع تحقق وجوده لعدم العلم بعينه، وللمشقة الفادحة في تمييزه عن غيره، فليكن مثله هذا الجز الذي احتمل بقاؤه على تقرير بقائه.

ثانيهما: إذا سلمنا أن هذا الصوف منتوف، فمن لنا بأنهم لا يجزون الأصول بعد النتف، والغالب أنهم يجزونها إذ لا غرض لهم في بقائها، بل تعين لهم الغرض في إزالتها لتجويد الصنعة وإتقانها، وإذا كان المباشرون لذلك مسلمون كما قال، فالأصل فيهم توقي النجاسات وإزالتها عن ملابسهم، سيما حيث لا غرض لهم فيها، فيكون الأصل فيها الطهارة حتى يثبت عدم الجز، أو يقوم مقامه وما أبعد إثباته.

ثالثها: سلمنا نتفها وبقاء أجزاء النجاسة فيها إلى الآن، و لم نلاحظ أيضاً ما ذكرنا في بقاء مثلها في الصوف المجزوز بالمشاهدة، فلا يبعد قول الشيخ الأجهوري، فخرج على القول بعدم وجوب زوال النجاسة لأمور أحدها أن ما ذكره الحطاب من أن الخلاف في الوجوب والسنية لفظيا غير مسلم لورود ظواهر في جزئيات كثيرة تدل على أنّ القائل بالسنية يقول بلوازمها من عدم الإثم حيث لم يقصد التهاون وصحة الصلاة وغير ذلك. ثانيها ما ذكر من كون القول بالاستحباب لا يشهره أحد شهادة على النفي والمثبت مقدم على النافي، سيما مثل الشيخ الأجهوري[1] في جلالته وسعة اطلاعه على فروع المذهب التي سلم له فيها المناظر فإنه لم يبلغنا عن أحد في عصرنا وما قرب، منه أنه جمع من كتب المذهب ما جمعه، فلا يبعد أن يكون اطلع على تشهير هذا القول، سيما وقد عزاه، والناقل أمين. ثالثها: سلمنا عدم مشهوريته فليس ببدع تخريج قول في مسألة عمت البلوى بها وعسر الاحتراز عنها، وجرى في أقطار الأرض العمل بها من غير نكير على قول في المذهب، صحيح ليس بمنكر ولا غريب ولا مردود، إلا أنه لم يشتهر كغيره، وكثيراً ما يكون القول المخرج هو المشهور في المذهب، والمخرج عليه ضعيف، فيقولون: هذا مشهور خرج على ضعيف، ومن تأمل فروع المذهب واستقراها من أماكنها علم صحة ما ذكرنا، وشيخنا الأجهوري أمثل من له في زمانه الترجيح في فروع مذهبه والتخريج على أن هذه المسألة من فروع قاعدة أصولية وهي تعارض الأصل، والغالب، وقد علم ما فيها من الخلاف، وشهرت جزئيات كثيرة من كلا القولين، نعم يمكن أن يقال أم هذه الجزئية مما ألغي فيها الأصل اتفاقا لما أعتقد به الغالب من الوجوه التي قربته من القطع عادة، وقد قيل بذلك في أشياء إن لم تكن هذه أقوى منها فهي مثلها، والله الموفق للصواب.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر حال صاحب الترجمة، فقد ذهب إلى الحجاز على طريق الصعيد، ثم حج واستوطن المدينة المشرفة، وكان سكناه بها آخر بيت منفرد برباط السلطان فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف، فاعتزل فيه عن الناس و لم يعاشر أحدا في المسكن، وتعاطى أسباب معاشه بيده، وترك الخروج نهاراً، وربما خرج بليل للزيارة أو لمهم آخر، وربما أغلق على نفسه بابه شهراً أو أشهراً لا يراه أحد، فنشأت له بذلك هيبة في القلوب، وحصل له ناموس

---

[1] ساقط من ط.

عند الخاصة، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته في وقت معلوم لا يأذن فيه لغيرهم، وربما لمته على كثرة[1] الانزواء وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، فيعتل بفساد الوقت ونيات أهله ومشاهدة المناكير مع عدم القدرة على زوالها كلبس الحرير وتعاطي الدخان، وقال لي: كيف أجلس إلى قوم أعلم حالهم وحال مكاسبهم من أكل المكوس وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعا، مع العلم بذلك فإن نهيتهم وزجرتهم وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكت عنهم وباسطتهم وألنت لهم القول كنت معينا لهم وممالئا لهم على ما هم فيه، وتركت الواجب علي من هجرانهم بلا عذر إلى غير ذلك مما هو معلوم، وكان رضي الله عنه شديد الورع ضيق الحوصلة في تحمل أعباء ملاقاة الخلق، مقبلا على شأنه لكنه غير عارف بزمانه كما قيل:

[رمل]

كانَ لا يَدري مُداراة الوَرَى ومُداراةُ الوَرَى أمرٌ مُهم[2]

وكان هو وشيخنا أبو مهدي في حاليهما في ذلك على طرفي نقيض مع صلاح حالهما معا وديانتهما ووفور علمهما، وربما عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه فعله، وقد قلت له ذات يوم: إنّ سيدي عيسى يقول: ما أحسن فلانا لو أنه كف من غربه شيئا وألان جانبه للخلق، فقال لي: وأنا أقول ما أحسنه وأعلمه وأجراه على منهاج السلف، لو انقبض عنهم شيئاً وترك مداهنتهم في الحق، وكل على هدى، إلا أن النفس إلى ما عليه الشيخ عيسى أميل حسبما أشرح حاله في ترجمته، لأن اعتزال الخلق في هذه الأزمنة وعدم الاختلاط بهم والتجهم لهم وحجبهم عند الاستئذان مع معرفتهم له واستشعارهم لخصوصيته مما يزيدهم به إغراء وله مطالب، فيشار إليه بالأصابع، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصوصيته على التطلع لعوراته والتتبع لزلاته والقعود له بالمراصد ليسقط منزلته من قلوب الخلق، فيصيب نفسه غرضا لسهام ألسنتهم فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه إن كان ممن يكثر تألمه بما يبلغه عنهم ويؤثر ذلك عنده حقدا، وإنما ينبغي ذلك ممن كان مغموضا بين الناس لا يؤبه به ولا يفتقد إن غاب ولا يستأذن عليه إن احتجب فيجد الراحة في نفسه من عدم مشاهدتهم

---

[1] في ط: لكثرة.
[2] البيت لابن الوردي، ورد في: طبقات الشافعية 3: 44.

ومخالطتهم من غير أذى يصل إليه منهم، فيسلم له دينه ودنياه، وأما من كان مشهورا بينهم موسوما بخصوصية تستشرف النفوس إلى لقائه ومخاطبته، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم ويظهر الانزواء عنهم والتكره للقائهم، سيما إن كان يصرح بذمهم ويعيب ما هم عليه، فإن ذلك، وإن كان حقاً في نفسه، إلا أنه عرض به نفسه لآفات كثيرة كان في غنى عنها، اللهم إلا أن تكون له حال قاهرة فيترك وما انتحل من ذلك فإن الله جاعل له عنه فرجا ومخرجا. وقد بلغني بعد انفصالي عن المدينة بأزمان أن صاحب الترجمة، حرس الله مهجته، قد أوذي وكثرت القالة في شأنه، وأدى ذلك إلى خروجه من المدينة إلى مكة، وأطلق الحسدة فيه ألسنتهم، وكنت شممت بعض ذلك من بعض الناس ونحن هناك إلا أني ما كنت أظن أنه يبلغ ما بلغ، (وكان أمر الله قدرا مقدورا)[1]، وديانته ومكانته من العلم بالله تحميه إن شاء الله منهم، سيما وهو غير منازع لهم في دنياهم ولا مساهم لهم في خططهم التي يتنافسون فيها، إذ أن داء الحسد قديم، ودواؤه من بين سائر الأدواء عديم، (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[2].

ولما قدمت المدينة المشرفة ولقيت صاحب الترجمة، ولم أكن أعرفه قبل ذلك ولا عرفني، إلا أن عنده من خبري ما عندي من خبره، فبالغ في التحفي، وباشر الملاقاة أحسن المباشرة، وعندما أخبرته بما نويته من المجاورة سر بذلك وهيأ لنا مترلا بجواره كان يترل فيه قبل، وهو محل خزانة كتب وقف السلطان قايت باي مشرف على الحرم، وأدخلني إليه وأرانيه وباشر الخدمة فيه بنفسه من كنس وفرش وتنظيف وتهييئ مرافق، حتى أخجلني ما رأيت من بره وإحسانه وتواضعه، فجزاه الله أحسن الجزاء، ورمت أن أساعده في العمل وأخفف عنه فامتنع، وكتبت إليه بسبب ذلك أبياتا:

[طويل]

بطيبةَ قد خيمتُ بعد تَعشق ... وزرتُ شفيعَ الخلقِ في كل موقفِ
وصَححتُ عزمي في الجوارِ بأرضهِ ... وكان نُزولي عند أفضلِ مُنصفِ
أخي وخَليلي بل إمامي وسيدي ... وجامع كل الفضل دُون تخلفِ

---

[1] الأحزاب: 38.
[2] النور: 44.

فلما نزلنَا أحـــسنَ الـــترل واللقـــا وقـــامَ مقـــام الخـــادم المُتلطـــفِ
وليسَ بعيب خدمـــة المـــرء ضـــيفهُ ولكنـــها زيـــادة في التـــشرفِ
وبـــالغَ في إكرامنـــا واحتفـــى بنـــا ودامَ على حُسن اللقـــا والتـــآلفِ
وأخجلنـــي إحـــسانهُ فهممـــتُ أن أخفـــفَ عنـــهُ رغبـــةً في التعطـــفِ
وقالَ لي الظـــن الجميـــل بـــه فمـــا عليكَ فلا تخجل فلـــست بمُـــسرفِ
ولا كُلفـــة فيمـــا فعلـــت فإنمـــا علامةُ صدقٍ والود تـــركُ التكلـــفِ
وقد كنتُ أرجو أن أفـــوزَ بوصـــلهِ وكنتُ له قِـــدما كـــثيرَ التـــشوفِ
وإذْ نلتـــهُ فـــالحزم أن لا أضـــيعهُ وأطلبُ مـــا يُبقيـــهِ دون تَـــشوفِ
جـــزاهُ إلاه العـــرشِ عـــني فـــإنني لِما نالني مـــن خـــيرهِ ذو تعـــرفِ
أقو لُ له والقلـــبُ يغـــبطُ حالـــه هنيئا لك البُشرى بما نلتَ فـــاعرفِ
مُنحت جوارَ المُصطفى فاغتبطْ بـــه يُنلك غِنى الدارَيْنِ حَسبك فـــاكتَفِ
هُو البحرُ جُـــودا غـــير أن شمـــائلا له عذبَتْ حتى حـــلا ذكـــرهُ بفِـــي
عليـــه صـــلاةُ الله ثم ســـلامهُ يُنيلان أمْنـــا في مكـــان التخـــوفِ

ثم لم تتيسّر الإقامة بجواره لتعذر أسباب اقتضى الوقت مباشرتها، فانتقلت إلى محل آخر، و لم أزل بعد ذلك أكثر الترداد إليه وأستشيره في أموري، وكان ميمون النقيبة له ورع تام ما رأيته في عصرنا لأحد، لا يقبض من أحد شيئا إلا قليلا ممن علم وجوه مكاسبه وتحقق استقامته فيها، انتهى به الورع إلى ترك أكل ثمار المدينة بالجملة لفساد معاملة أرباب الحوائط لعمالها في الغالب، فإن رب الحائط يعامـــل المساقى أوسق معلومة في كل سنة يدفعها له، وهذا فاشٍ عندهم قَلَّ من يعامـــل المساقى بالجزء المشاع السائغ شرعا، ومن ورعه أنه لا يتقوت في الغالب إلا مـــن كسب يده، وكانت له يد صناع يحسن غالب الحرف المهمة، سيما القيقة العمل الرائقة الصنع، كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتسفير الكتب، والخرازة، وقد أخبرني أنه لما كان بمراكش كان لا يتفرغ في الأسبوع إلا يوم الخميس فيطلع فيه

ثلاثة أزواج من السباط[1] أو أكثر، فيبيعها ويتقوت بها إلى الخميس الآخر، وله يد طولى في عمل الأسطرلابات وغيرها من الآلات التوقيتية كالأرباع والدوائر والأنصاف والمكانات[2]، ومن أعجب ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجاج المنصدعة بحسن احتيال ولطف تدبير إلى أن لا يكاد صدعها يبين، ويصير مثل الشعرة الرقيقة، ومن ألطف ما أبدعه وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه الآلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيئة و لم يسبق إلى مثلها ولا حاذى أحداً على شكلها، بل ابتكرها بفكره الفائق وصنعه الرائق، وهي كورة مستديرة الشكل منعمة الصقل مغشاة ببياض الوجه المموَّه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضة من عجسد لإشراقها، مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة مصبوغة بلون أخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ومخبر فائق، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة [مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة والدوائر المتوهمة في الهيئة][3] والتقاطع الذي بينهما مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها، وحاصل القول فيها إن الوصف لا يكاد يحيط بها، ولا يعلم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها، وكانت له معرفة بالعلمين فيرى ما يذهل الفكر ويحير النظر، ويعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصويره ذهنا قد أيد بنور الهدى، وإلهام رباني، وقد ألف واضعها رسالة في وصفها وكيفية العمل بها في سائر المطالب التي تدرك بغيرها وزيادة، فلنورد أولها لما فيه من غالب رسومها والأشكال المثبتة فيها.

قال: رضي الله عنه، باسم الله الرحمن الرحيم، إن أزهى ما تجلى البصائر العقول من أوجات عوالم الإلهام وأبهى ما تحلى بمشاهد عرفانه دوائر النفوس وطوالع الأفهام، حمد من تحجب في سرادقات الكبرياء بسبحات عزه ومجده، وأصدع بمحامد لسن العوالم، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده)[4]، فسبحانه من

---

[1] السباط: الحذاء: عامية مغربية، يقول الدكتور محمد بنشريفة: والسباط عند الأندلسيين والمغاربة: الحذاء، وهي في الإسبانية Zapato: أمثال الوام في الأندلس 2:109.

[2] المكانات: جمع مكانة، وهي الساعة في العامية المغربية.

[3] ما بين معقوفتين ساقط ن ط.

[4] الإسراء:44.

عظيم خجلت سوابق همم الأبطال دون مطالع جلاله المحجب الحاجب، وحكم نصبت قدرته الباهرة في فسيح الفضا قبب الأفلاك المرصعات بجواهر زواهر الكواكب، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه نجوم الاهتدا وقادة المشارق والمغارب. أما بعد، فإن من فيض منن الله التي لا تحصى، وإغداق وابل مواهبه التي لا تستقصى، أن ألهمني لوضع آلة يستفيد بها إن شاء الله في علمي الهيئة والتوقيت من القاصرين أمثالي، ويجمع بها ما تفرق في جميع الآلات من أعمال الأيام والليالي، ومن أحاط بها علما أغنته عن المجسطا[1] في التعليل والبرهان لأنه غيب وهي شهادة، وليس الخبر كالعيان، وقد فتح الله تعالى بتعليق هذه العجالة عليها وأبتهل إليه جل جلاله في الإسعاد بالرجوع ثانيا إليها، لإبراز ما تنطوي عليه وما كمن من الفوائد لديها، ولرجائي من الكريم نفعها سميتها بالنافعة على الآلة الجامعة[2]، وحسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب أينما توليت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله (وصحبه)[3] وسلم.

مقدمة في تسمية أجزاء الجامعة ورسومها، الجزء الأول من الأجزاء المنفصلة المركبة، وهو: الكرة[4] العليا من الجامعة المخرمة المنفصلة إلى قطعتين وصل بينهما قفلان ويشتمل على تسع دوائر وأربعة أقطاب، ومحور، وشطبتين، وقوس، ومدى[5] الأجزاء، وكواكب. وأما الدوائر فالأولى هي منطقة الفلك الثامن، وتسمى منطقة البروج، وهي المنقسمة إلى ستين قسما[6] متساوية عليها أسماء البروج مكتوبة. الثانية: منطقة الفلك التاسع، وتسمى معدل النهار، وهي المقاطعة للأولى على غير قوائم، وغاية ميل الأولى عنها هو غاية الميل الأعظم، وتنقسم إلى مثل الأقسام الأولى. الثالثة دائرة مبدإ الميل، وهي المقطعة للثانية على قوائم المنقسمة إلى مثل تلك الأقسام أيضا. الرابعة دائرة وسط السماء، وهي المقاطعة

---

(1) المجسطا: المَجَسْطِيّ: اسْمٌ لِعلمِ الهَيْئَةِ، وبه سمي الكتاب الذي وضعه بطليموس الحكيم، وعُرِّب في زمن المأمون: تاج العروس: مجسط..

(2) أشار محقق إتحاف الأخلاء إلى أن شار بلا قد نشر هذه الرسالة في: tome XXVI.p. 7-82 Bulletin d'études orientales أنظر: ص: 25 من مقدمة المحقق.

(3) زيادة من ط.

(4) في ط: وهي الكورة.

(5) في ط: مري.

(6) في ط: شس أقسام.

للثلاث الأول على قوائم، وهي والخمس البواقي محددات للبروج الإثني عشر، قسم منها مرسومة، وقسم مخرومة، والمحددة منها بين الحمل والحوت تتقاطع مع الثلاث الأول على نقطتين إحداهما رأس الحمل، وتسمى بالاعتدال الربيعي، والثانية رأس الميزان، وتسمى بالاعتدال الخريفي، وأما الأقطاب فاثنان منها قطبا الفلك التاسع، ويقال لهما قطبا معدل النهار، وهما النقطتان المتقابلتان التي تتقاطع عليهما دائرة مبدإ الميل، ودائرة وسط السماء في إحداهما مسمار يسمى المحور، والاثنان الباقيان قطبا الفلك الثامن، ويقال لهما قطبا فلك البروج، وهما النقطتان اللتان يتقاطع عليهما دوائر البروج، وأما الشطبتان فهما الصفيحتان المثقوبتان المنصوبتان على دائرة مبدإ الميل في جنبتي القطب الذي فيه المحور، وأما القوس فهو أحد نصفي دائرة مبدإ الميل فيما بين قطبي العالم، وأما المدي فهو النقطة التي هي رأس الحمل ومنه ابتداء أجزاء كل من القوس وفلك البروج ومعدل النهار، وأما الكواكب فهي الشظايا المحددة المكتوب عليها أسماء الكواكب، وقد توضع على سطح المركب نقط لكواكب أخر ويكتب في كل جنب نقطة اسم ذلك الكوكب.

الجزء الثاني: الكرة، وهي المجسمة التي يدور عليها المركب، وسطحها ينقسم إلى نصفين، أحدهما يسمى الظاهر، وهو الذي رسمت فيه المقنطرات، وهي الدوائر المتوازية المتضايقة، وأعظمها أولها، وتسمى دائرة الأفق، وعدد المقنطرات تسعون، وتكون ثلاثية وخماسية وغير ذلك، وفي داخل أضيقها نقطة تسمى سمت الرأس والسموت، وهي المقاطع جميعها لجميع المقنطرات، ولسمت الرأس ويقسمها إلى أربعة أقسام عظيمتان قائمتان على سمت الرأس على الأفق، وتسمى إحداهما نصف النهار، وهي التي ربعها مبخوش بأبخاش تسمى أبخاش العروض، وقد يطلق نصف النهار على النصف الظاهر من هذه الدائرة، وهي التي تقاطع الأفق على نقطتين المبخوشة منها تسمى عين الشمال، ومقابلتها تسمى عين الجنوب، والدائرة الأخرى تسمى دائرة عين المشرق والمغرب، وأم السموت أيضا، ومنها (دائرة)[1] مبدإ السموت، فإذا عدلت الجامعة بأن وضعت المحور في عين الشمال، وأردت المركب حتى يكون أول السرطان على نصف النهار من النصف الظاهر، فنقطة تقاطع أم السموت والأفق التي تحت أول الميزان تسمى نقطة المشرق، وعين

[1] زيادة من ط.

المشرق ومشرق الاعتدال وعين المغرب ومغرب الاعتدال ونصف الجامعة، والحالة هذه الذي حول المحور من السموت ونصف النهار والمقنطرات ومنطقة البروج والكواكب والأقطاب يسمى شمالياً، والنصف الآخر يسمى جنوبيا، والنصف الذي حول مشرق الاعتدال يسمى مشرقيا،ومقابله يسمى مغربياً فالربع من السموت الذي من عين المشرق إلى عين الشمال شرقي شمال، ومقابله غربي جنوبي، والذي إلى عين الجنوب شرقي جنوبي، ومقابله غربي شمالي، وفي كل ربع تسعون سمتا، وقد يوضع بين المقنطرات قوس العصر أو غيره في عرض مخصوص، وقد يوضع ذلك بين الساعات، وهو الأصح. والنصف الآخر من سطح الكرة يسمى الخفي، وفيه قسى الساعات الزمانية لبعض العروض وهي قطع دوائر عددها اثنا عشر ساعة، ومبدؤها من الأفق الغربي ونصف الليل، ويسمى وتد الأرض، وهو النصف الخفي من دائرة نصف النهار، ويقسم النصف الخفي من دائرة المشرق والمغرب إلى ربعين، كل منهما مقسوم إلى تسعين جزء أدراج الارتفاع، وقد يكتفي غالبا بالمغربي منهما ويسمى قوس الارتفاع، وقوس الظل هي الموازية لقوس الارتفاع المقسومة إلى نصفين، فبينهما فصل مشترك مكتوب على الموالي لأفق الظل المنكوس، وعلى الآخر الظل المبسوط، فإن قسم كل منهما إلى اثني عشر فالأقسام أصابع أو إلى ثمانية فهي أشبار، أو إلى سبعة فهي أقدام، وقد يوضع لكل منها قوس فتكون قسيا متوازية وموازية لقوس الارتفاع، ومبدأ المنكوس والارتفاع من الأفق، ومبدأ المبسوط من وتد الأرض وقوس الجيب، وهو قوسان متوازيان تحت قوس الظل الأعلى للجيب المبسوط، وابتداؤه من الأفق الأسفل، والأسفل للجيب المنكوس وابتداؤه من فوق الأرض وتحت الأفق قوسان موازيان له الشرقي منهما يسمى قوس الفجر، والغربي يسمى قوس الشفق، وتحت عين الشمال في وتد الأرض بحش يسمى بحش التركيب، والفصل المشترك بين قوس الارتفاع، ويسمى سمت الرحل وفيه مسمار مقصوص مغرق وفي رأسه ثقب يسمى بحش التعليق، ونصف هذا النصف الخفي وهو الربع الجنوبي من الكرة وضعت فيه الأقاليم السبعة ووضعت في كل إقليم بعض مدنه المشهورة، فلنفرض أنه هو الربع الشمالي من الأرض، وهو المسكون. الجزء الثالث: العلاقة، وهي كلاب منفصل معلق في خيط وثيق توضع عطفة الكلاب في بحش التعليق عند تعليق الجامعة لأخذ الارتفاع، وفي الجامعة دوائر أخر موهومة كدوائر الميول

ودوائر العروض، وسيأتي قريبا إن شاء الله بيانها، وكدوائر مقنطرات الانحطاط وسموته، وأهملنا وضع جميعها لعدم الاحتياج إليها والله (تعالى)[1] أعلم.

وقد قرأت[2] عليه بعض هذه الرسالة، مع إحضار الآلة الجامعة وبيان ما يحتاج إلى البيان من الأعمال المأخوذة منها، ولما شاع ذكر هذه الآلة عند الناس تنافسوا في اقتنائها، ولا يقدر أحد على إتقانها إلا هو، فكان يبيع الآلة منها بثمن غال، وطلبت منه بيع واحدة منها، فأبى من البيع ووهبها لي جزاه الله خيراً، والعجب أنها مصنوعة من الكاغد[3] ومع ذلك لو ألقيت من شاهق لم تنكسر، فهي مع صلابتها خفيفة الحمل لينة المجسة. وصفة ما تتخذ منه على ما أخبرني أن يؤخذ الكاغد فيلقى في الماء حتى يتحَلَّل ويصير مثل العجين، ثم يأخذ الصمغ العربي في الماء حتى يتحلل فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجناً ناعماً، ثم يتخذ منه الكرة ويجتهد في تكويرها حتى تكون متساوية الأقطار بالنسبة إلى المركز، بحيث لو ألقيت على سطح مستو لوقفت على نقطة واحدة، وقد أخبرني أنَّ ذلك شَقَّ عليه حتى أخذ مسماراً وأدخله في وسطها ثم أخذ نصف دائرة من نحاس مثقوب الطرفين فأدخل طرفيه في رأسي المسمار الخارجين عن جنبي الكرة، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة على ذلك العجين المكور ويزيل الناتئ منها ويزيد على المنخفض حتى تكورت غاية التكوير، ثم طلاها ببياض الوجه، ثم كتب عليه ما احتاج إلى كتابته، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة ولو أصابها بلل من عرق اليد وغيره، وكذلك أيضا الدائرة التي فوقها مصنوعة من مثل ذلك إلا أنه يخرمها ما دامت رطبة، فإذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه شق عليه خرمه لأنه لا يكاد يعمل فيه الحديد إلا بمبرد من الهند يبرده به كما يبرد النحاس والحديد، وقد أخبرني أن الآلة الأولى التي استخرجها بقي في وضعها نحو عام واحتاج إلى كثير من الآلة في اصطناعها، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدة قليلة، وبالجملة، فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد، فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق إلا أخبارها فضلاً عن الموجودة، وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، إلا أنه يتحامى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلة ديانة

[1] زيادة من ط.
[2] في ط: قرأنا.
[3] الكاغَد: القِرْطَاس، فارسي مُعرّب، تاج العروس: كغد.

منه رضي الله عنه، وكان يقول لي إن ما يتبجح به فلان، يعني ابن التاج، من علم حوادث الجو من الخسوفات والكسوفات ونزول الأمطار والصواعق وما هو بسبيل ذلك أمر قريب المدرك سهل التناول، والتحقيق في هذا العلم أمر وراء ذلك، والتشاغل بمثل ذلك بطالة وتمويه على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذموم شرعا.

وله رضي الله عنه قصيدة في علم التوقيت أكبر من الروضة[1] بالغ في تجويد نظمها وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بين حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الإرصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمنة القريبة، كأرصاد السلطان أولغ بيك أحد ملوك العجم المتأخرين تمهر في هذا الفن غاية، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك، ولم يقلد الأقدمين ولا بعدهم في شيء من تلك الأشياء، فرصد بنفسه هو وأصحابه ما احتاج إلى رصده، حتى تحقق له ما يبني عليه الأعمال المطلوبة حسبما ذكر، كل ذلك في أول زيجه الذي هو أصح الأزياج في زماننا هذا على ما قال أرباب ذلك الفن.

ولصاحب الترجمة شرح على منظومته المذكورة أجاد فيه غاية الإجادة أعانه الله على إكماله، وقد كنت أردت كتابة ما كتب منه فلم يتيسر لي، ومن نظمه الدال على براعته قصيدة أجاب بها أبياتاً لصاحبه الشيخ يحيى بن الباشا الأحسائي[2] نزيل المدينة، وهي كما ترى ثمانية أبيات من المديد رويها الهمزة، وتتفرع عنها عدة أبيات من أبحر شتى حسبما رسم فوقها، وأوائل حروف الأبيات الأصلية حروف: (يا يحيى خذ) مشيراً إلى قوله تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)[3] على طريق الاقتباس، ويغتفر ما فيها من الركاكة وعدم الانسجام لأجل ما اشتملت عليه من أفنان الفنون ويانع الغصون:

---

[1] يشير إلى كتاب: روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، وهي منظومة في 336 بيتا، توجد منها نسخة بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط تحت رقم: 1596 د، وهي لأبي زيد عبد الرحمن بن أبي غالب الشهير بالجادري المتوفى سنة 539 هـ: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 1:32.

[2] يحيى بن علي باشا، الأحسائي المدني الأمير، فقيه متصوف، ولد بالأحساء وبها نشا، تلقن الذكر ولبس الخرقة، جاور بالمدينة إلى أن توفي سنة 1095 هـ: خلاصة الأثر 4:476.

[3] مريم: 12.

من ما علا الى الاسفل
وبالعكس متقارب
من مقصور الغاية

من ما علا الى الاسفل مترادف انه
فالغاية زاد

من ما علا الى الاسفل
وبالعكس مرجع
مترادف فالغاية

شكر من الجهتين والغاية مقصورة موصولة
بالنداء

اذا قرأت من اعلى
الى اسفل فهو
المتقارب
والغاية ممدودة

كل شكر شكر من الهزج والزود زاد

كل شكر من بحر البسيط والزود غير موجبة

كل شكر شكر من المديد انها الكلمة الغاية
مقصورة موصولة بالنداء

كل شكر شكر من الوافر والزود مشددة ومعاد ...

ي	يفعـــت غـــرة بـــدر تباهـــا	لامعـــا وجهـــا سمـــي الـــذكاء
ا	ارتقـــى علـــى الأنـــام ضـــياه	ساطع عطـــرا شـــدي النـــداء
يـــ	يقـــظ فطـــن أريـــب لبيـــب	شـــامخ المجـــد ذكـــي النـــهاء
حـــ	حـــاكم نظـــم اليتـــامى ذكـــاه	بـــارع شـــعرا ســـني البـــهاء
ي	يقـــضي شـــكرا علينـــا ثنـــاه	بـــاهر الحـــسن بهـــي النقـــاء
أ	أصـــله عنـــد انفخـــام حبتـــه	رافـــع قـــدار ولي اللـــواء
خ	خطبه في نـــسج نظـــم بـــديع	بحـــره طـــام وفي العطـــاء
ذ	ذا رشا عبـــق الخـــزام شـــداه	هـــامع زهـــرا زهـــي الـــصباء

ثم كتب بإثر الأبيات نثراً نصه: دونكها بكراً تدانيها، لأنك أخـو أبيهـا، اقترحها فكر بارد، وقدحها زند خامد. قال تعالى: (يُخرج الحي من الميـت)[1]، وفقتها من القصائد عشرا، وفوقتها من النوافح نشراً، لتكون مكان قصيدتك بمالها، والحسنة بعشر أمثالها، ولهذا ساوت بقصائدها الظاهرة أبيات قصيدتك البـاهرة، فإن لاقيتها فيا فوزها بسعادتها، أو ألقيتها فيا خسارتها في تجارتها، فإن قلت الشعر بالشعر ربا، والتفاضل في البيع ربا، قلت: التفضيل عند المالكية حاصل، والتحصيل بعد المعية فاصل، وقول باهرتك إن القريض على العبيد عسير علي بمعنى عنـد، وسبق القلم، فكتب محل الكاف عينا، والثاء سينا، تدنيك منه بنكتة كالـشمس خفاها، والضياء دجاها، وصلى الله على من لا نبي بعده، ولا يخلف وعده، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

لطيفة:

ومن مفادات صاحب الترجمة ما رأيته في مجموع له بخط سيدي الطيب ابن أحمد البوعناني الجزائري، وذكر لي أنّه رواه وكتبته من خط من ذكر، ونـصه: الحمد لله، وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب ما نصه: وأما الواو من: وصـلى الله بعد البسملة فهكذا هو في حكي المؤلف، رحمه الله، يعني سيدي عبـد الـرحمن الثعالبي[2]، وقد رويته عنه بواسطة الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن منـصور الجزائري[3]، ابتدأت عليه قراءة الرسالة لأبي محمد بن أبي زيد فقلت: باسـم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد، قال: قل وصلى الله، فإني لما ابتدأت رواية البخاري على سيدي عبد الرحمن الثعالبي فقلت: باسم الله الرحمن الـرحيم صلى الله على سيدنا محمد. قال لي: قل وصلى الله، فإني لما ابتدأت الختمة علـى الأستاذ سيدي أبي جمعة ببجاية أريد الجمع، قلت: باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله. قال لي: قل وصلى الله فإني رأيت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فاستأذنته أن أقرأ عليه القرآن، وأذن لي فقلت: باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله

---

[1] الأنعام: 95.

[2] تقدمت ترجمته.

[3] أبو عبد الله محمد بن منصور قشور الجبالي الإفريقي، العالم الفقيه المحرر، اخذ عن الشيخ أحمـد بـن الشيخ الصالح محمد بن عبد الكريم المرساوي المتوفي سنة 1012، له بغية ذوي الحاجـات فـي معرفـة تقرير النفقات، قال ابن مخلوف: لم أقف على تاريخ وفاته: شجرة النور الزكية 1:423.

على سيدنا محمد وآله. قال: صلى الله عليه وسلم قل: وصلى الله، فهذا ما حدثني به سيدي محمد بن منظور بالجامع الأعظم من مدينة الجزائر أمنها الله، ولهـذا لم يوجد بخط هؤلاء الشيوخ إلا بإثبات الواو، ولهذا لم أكتبه بخطي بإثباتـه اقتـداء وتبركا بهم. هذا ما وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب في نسخة من الأنوار نسخها من خط مؤلفها الشيخ الثعالبي ذكر ذلك في آخرها بعدما ذكر أنه لم يغير ما وجد بخط الشيخ من شكل ولفظ. ومن جملة ما وجد بخطه ما ذكر، وجده الطيب بن أحمد البوعناني. هـ ما وجدته بخطه بحروفه، وأخبرني عنـه صـاحب الترجمـة فاتصلت لنا روايته بحمد الله تعالى.

ومنهم الماجد الغطريف، الشاب الظريف، مدرس المالكية بالحرم الشريف، الفقيه الأرضى، النبيه المرتضى، الشيخ حسن البري[1]، قرأ ببلاده[2] وهو البر الكبير الذي على صعيد مصر المتصل بأطراف الحبشة، وإليه تنسب طائفة من طلبة العلم لقيناهم بالحجاز ومصر، فيقال[3]: فلان البري، ثم دخل مصر بعد ذلك و لم تطـل إقامته بها، ثم قدم المدينة فاستوطنها، ولخلو فنائها ممن يحسن المذهب المالكي قدمه من بها من المالكية للتدريس لهم، وجمعوا له الكتب، وهو رجل جهوري الصوت طَلْق اللسان، له جرأة على الأمور مع أخلاق حسنة وسلاسة طبع وحسن تـودد إلى الخلق ولطف مباشرة، ونقاوة بزة، وحلاوة رواء، ومقاربة شكل، فحـلاً في أعين الناظرين بذلك، ونفقت له سوق عند الأغوات والمجاورين والوردين، فراشوا من جناحه ما هاضه الدهر، وعاملوه من فضول أموالهم بما حسنت بـه حالـه ونظفت أثوابه وتعطرت أردانه، فلم يكن في مدرسي المالكية هناك من يناويه مع أنه ضعيف التحصيل في الفقه الذي هو أشهر علومه التي ينتحلها، وربمـا أقـرأ الحديث، كمصابيح البغوي والشمائل، وبضاعته في ذلك مزجاة، بل مرجاة. ولما قدمت المدينة واستوطنتها أشار عليه صاحبنا سيدي محمد بن سليمان[4] بملاقاتي، وأثنى علي عنده فجاء إلي واعتذر عن تأخره عن لقائي بعدم العلم بحالي، وأحسن الملاقاة وتلطف في السؤال، وأضافنا في منزله إلى أن رأى إقبـال الطلبـة علـي

---

(1) حسن البري، مدرس المالكية بالحرم الشريف، ترجم له صاحب نشر المثاني نقلا عن الرحلة العياشـية: نشر المثاني 2: 389.

(2) في ط: بلده.

(3) ساقط من ط.

(4) يقصد محمد بن سليمان الروداني الذي تقدمت ترجمته.

وإلزامهم لي إقراء مختصر الشيخ خليل في الحرم الشريف، فكأنه غار من ذلك لما رأى من اتساع الحلقة، فخشي أن أعتزله من منصبه، أو أحول بينه وبين مطلبه، فتحامى الجلوس عندي والتردد إلى حتى استيقن الخبر من عند بعض أصحابنا أن ليس قصدنا دوام الاستيطان، وإنما هي مجاورة عام ثم الرجوع إلى الوطن، وسأل عن حالي في بلادي وعن طبعي في إرادة التصدر والتقدم على الأقران حتى أمن مما كان يتوهمه من قبلي، فأقبل علي كل الإقبال، وقرأ علي بعض أشياء عندما قرب ارتحالنا من المدينة إلى مكة، كالحكم العطائية ومنظومتي في البيوع وبعض الشمائل وغير ذلك، واستجازني فأجزته، وكان قد تزوج امرأة من أهل[1] المدينة ورزق منها ولدين، وكان كثيرا ما يتشكى لي مما يلقى من عوائد نساء المدينة، وأنه لولا علقة الأولاد لما تحمل من ذلك ما تحمل، ثم مات الولدان أحدهما بإثر الآخر، فتألم لموتهما وكتبت له أعزيه، لأني إذ ذاك فضلة مرض لم أتمكن من لقائه، وهذا ما كتبت:

[طويل]

هنيئا لقد قدمتهُ فرَطا يجري	أمامك يسرو الهم في موقفِ الحشرِ
فطِبْ بقضاءِ الله نفسا فكل ما	قضاه لعبد مؤمن غاية الخيرِ
ولستَ بحمدِ الله ممن تروعهُ	وإن عظمت أوجالُها صدمة الدهرِ
لأنكَ تدري ما يكونُ جزاء من	يقابلُ حكمَ الله إن جاء بالصبرِ
ومثلكَ عندي لا يُنبهُ إنما	يُنبه غير عندَ مُشتبهِ الأمرِ
على أن هذا النجل عصفُور جنة	تبوأ منها حيثما شاءَ في وكرِ
فأكرم بها من فضلة منك ضمها	بطيبة لحد طيب عبق النشرِ
ومن قبلها أخرى فصارَ كما أتى	عن النارِ والأهوالِ من أوثق السترِ
أعزيكَ لا أني أسليكَ بل لما	جرى سنة في الدين مشتهر الذكرِ
فحق عليكم سيدي عوضَ الأسى	سرور بما قد نلتَ من أعظم الأجرِ

---

[1] ساقط من ط.

حباك المُنى من قد حباك الــذي بــه   تفردتَ في العليا من الحُسن والــبر

ولم لا تنال الفــضل أجمعــه وقــد   تجمعَ كل الفضل في الحسن الــبري

ومنهم الناسك الخاشع العابد الخاضع المقري الفصيح، البر النصيح، المتواضع الزاهد، حليف المساجد، الفقيه النبيه، سيدي الشيخ محمد الفزاري مــن أقــدم المجاورين بالمدينة المشرفة، وأكثرهم للأماكن التي هناك تزار معرفة، قدم من بلاده فزارة التي بين أعالي النيل وأرض السودان، فاستوطن المدينة قريبا من أربعين سنة، وله مشاركة في فقه مالك، يتقن قراءة القرآن، وهو دائماً يقرئ الأطفال بمــؤخر المسجد الشريف من دون مشارطة على أمر معلوم، فمن دفع له شيئا أخذه، ومن أبى لم يطالبه، والناس يتبركون به ويرون ظهور بركته على أولادهم، فيتنافسون في القراءة عنده، ويأوي إليه الغرباء فيبصرهم ويقوي قلوبهم ويحــضهم علــى آداب المجاورة، ويعاملهم بما قدر عليه، وكان من أكثر الناس علي إلحاحــا في التقــدم للإقراء بالمسجد، وكان يحضر عندي، وأعانني بما احتجت إليه من إعارة الكتب، وكانت على يده خزائن من كتب الوقف، منها كتب السيد محمد بن إسماعيــل المسناوي التي أوقفها وبعث بها من المغرب، وذكر لي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مراراً في النوم، ولقي كثيراً من الأعلام القادمين علــى المدينــة، وانتفــع بصحبتهم، إلا أنه غلبت عليه العبادة، وليس له اعتناء بالرواية.

لطيفة:

أخبرني رضي الله عنه أنه كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر في السنة التي مات فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن أحمد العياشي[1]، قال: فجاءني ذات يوم وقال لي: إني رأيت في النوم أختي، ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما. فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الإسلام، قطعوا يدي بسلا. قال: فلما أخبرته قلت له: الذي يظهر لي من رؤياك أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان

[1] محمد العياشي، اشتهر بالتصوف والجهاد ضد الوجود الأجنبي بالمغرب، قتل عام 1051 هــ: الــتقط الدرر، ص: 113.

بسلا قد قتل. قال: وبعد ذلك في آخر العام قدم الحجاج من المغرب وأخبرونا بموته رضي الله عنه.

ومنهم صاحبنا الأديب الماهر الأريب الباهر، أحد الخطباء بالحرم النبوي، متولي خطة الفتوى على مذهب مالك بالمدينة المُشَرَّفة الخطيب أحمد بن محمد بن عبد القادر المالكي، أصل سلفه من بلاد المغرب، ولأسلافه بالمدينة صيت، وبيتهم مشهور بالعلم والتقدم في مذهب مالك إلى أن اتسعت بهم الآراء، فانتقل بعضهم إلى مذهب الحنفية، وصار اليوم أمثل من فيهم ممن تمذهب بمذهب مالك صاحب الترجمة، وأخوه الخطيب عبد الرحمن، إلا أن صاحب الترجمة مع ما أعطى من فرط الذكاء وجودة القريحة ألهاه عن الاشتغال بالعلم الولوع بالفلاحة والزراعة وتثمير المكاسب بالقيام على ضياعه ورباعه، فيغيب في العوالي أياما عديدة، فلا يكاد يرى في المسجد إلا أيام الجمع أو ما ضاهاه، وكانت بيني وبينه ألفة قديمة ومعرفة أكيدة من لدن أول قدماتي للمدينة سنة تسع وخمسين، ولم يزل بعد ذلك يكاتبني وأكاتبه، ولي فيه عدة قصائد منها ما كتبت به إليه من المغرب، ومنها ما أنشأته بالمدينة في بعض تلك القدمات.

ولما من الله بالمجاورة في هذه السنة طوى كشحا عن المواصلة، ولوى ذنبه عن المثافنة[1]، متعذرا بكثرة الأشغال، والغيبة في افتقاد الضياع والأموال، ولم اقبل له في ذلك عذرا، بل رأيت ذلك في عتابه أحرى كما قيل:

[كامل]

إني لأعذرهُ لكثرةِ شُغلهِ   وألومهُ إذ لستُ من أشغالهِ

ومع ذلك لم أظهر له موجدة ولا ازورارا في المعاملة، بل طويت البساط بما فيه، ولم أصرف عن طريق المجاملة، ولنذكر شيئا من نظمه، ليستدل به على قدر نبله، فإن كلام المرء ميزان عقله، فمن ذلك قصيدتان موجبتان كتبهما لي بخطه فلنوردهما تبركا بالممدوح صلى الله عليه وسلم، وتيمنا بذكر بعض أوصافه العلية.

القصيدة الأولى:

[بسيط]

[1] المثافنة: المُثافِنُ: المواظِب. ويقال: ثافَنْتُ فلانا إذا حابَبْتَه تُحادِثُه وتُلازِمُه وتكلمه: لسان العرب: ثفن.

بشراكِ يا عينُ هذا منتــهى الأمــلِ وذا الجوادُ الذي بالمكرمــات مُلــي

هذا الرسولُ الذي ما خابَ ســائلهُ فاستمطري من نَدا إحسانهِ وســلي

هذا الذي قد رقى فوق البُــراق إلى أدنى من القابِ فضلا غــير منتحــلِ

هذا الذي قد بــراهُ الله جــل ثنــا ةُ نعمة للورى يُنجي مــن الخطــلِ

محمد أحمــدُ المحمــود أفــضلُ مــن هدى سواءَ طريقٍ واضــح الــسبُلِ

محمــــد أحمــــدُ المـــاحي ببعثتـــه ريب الطغاة بُغــاة الزيــغ والزلــلِ

محمد سيدُ الكــونين أكــرمُ مــن مشى على الأرض من حافٍ ومنتعلِ

ولا تُعــد ولا تُحــصى فــضائلهُ فكل فضل لــهُ مــن ســابقِ الأزلِ

فكم لهُ مُعجــزاتٌ لــيس يُنكرهــا إلا الجحودُ بزور الإفــك والجــدلِ

نطق الغزَال وضَــب والــذراع ور د الشمس منها ومنها منطقُ الجمــلِ

والجدعُ حــن إليــهِ حــين فارقــهُ حنين ثكلى شجتها لوعــةُ الثكــلِ

ومنبعُ المــاءِ عــذبا مــن أصــابعهِ أروى به الجيشَ بعد الــري بالنــهلِ

وكم أفادَ مريــضا لمــسُ راحتــه برءا أزالَ الذي يشكو مــن العلــلِ

وكم شواهدُ صــدق للــنبي أتــتْ كالشمسِ ما إن يراهَا غير ذي مُقل

توراةُ موسى وإنجيل ابن مــريم قــد جاءا بتصديقِ وحي في الزبور تلــي

بإنه خاتمُ الرسلِ الكــرامِ وخيـــ ـر الخلق طُــرا مــن الآتــين والأولِ

وحسب طــهَ كــلامُ الله معجــزة وحيٌ من الله حــق غــير مفتعَــلِ

يتلى ويعجــز عنــهُ أن يعــارض أو يُوتى بمثل له والحــق فيــه جَلــي

فيا نــبي الهُــدى إنــني ببابــك لا أرجو سِواك لما ألقى مــن الوجــلِ

وقفتُ بالباب إذ ما لي ســواهُ وإن كنتُ المسيء بما كُلفتُ من عمــلِ

وليسَ يــأوي الفــتى إلا لــسادتهِ إن نابةُ خطبٌ سوء كــارث جلــلِ
يا صاحبَ النجوة العظمى أغثْ دنِفــا أودى به الحــالُ في حــل ومُرتحــل
لا تتركنهُ لا يرى الحادثــات ففــي جميلِ جُودك ما يُغــني عــن الحِيَــل
وكن لــه ولأســلاف لــه سَــلفوا واشفعْ له ولهم يــا أســعدَ الرســلِ
عليكَ أزكى صــلاة الله يــصحبها أزكى سلام لدى الإشراق والطفل[1]
وآلك الطهر والصحب الكرامِ ومن والى ســبيلهم الحُــسنى وكــل ولي

القصيدة الثانية:

[بسيط]

العفوُ شيمة زاكي الأصلِ والــشيَم والصفح عادةُ أهل الجُود والكــرمِ
وأن يُــضام نزيــل الأكــرمينَ وإن كانَ المــسيءُ كــثير الإثم واللمــمِ
فكيفَ أخــشى الرزايــا وأخوفهــا ولي بطــةَ ذمــام غــير مُنفــصمِ
ولي جِوار لــه مــا زلــتُ آملــهُ وأرتجيــهِ وحــسبي منــه معتــصمِ
فإن تبدتْ وجــوهُ البــوس قاطبــة فجاهُ أحمد ينجــيني مــن الــسقمِ
وإن دجا خطبُ ليل كــارث فيــه أجلو غياهبَ ما أخشى من الظلــمِ
محمد أشــرفُ الكــونين مُعتمــدي وســيدُ الــسادة الآتــين والقِــدَمِ
يا صاحب الجاه يا ذخرَ العباد أغِثْ وانظرْ لعبدكَ فيمــا حــل مــن ألمِ
يا أسعدَ الرسلِ ما لي غير فضلكَ في ما قد ألَم فقــد أودَت بــه هِمَــم
ببابــك المُرتجــى في كــل نائبــة وقفتُ أرجو حِفاظا عــاليَ الأطُــمِ
وأنت تعلمُ ما لقيــتُ مــن غِيَــر وخصم سوء كثيرا البَغي والخــصَم

---

[1] الطفل: لليل: لسان العرب: طفل.

إليكَ أشكوهُ والأحــشاءُ في حُــرق والقلبُ في وجَــل والــدمعُ في دِيمِ
فإن يكُ أحمد بــن المــالكي جنــا فليسَ يقــصر عنــه ســابغ الــنعم
عليك أزكى صــلاةِ الله يــصحبُها أزكى سلام زَكــي غــير منقــسِم
يعم آلك والصحبَ الكــرامَ ومــن والَى سبيلهم مــن ســائرِ الأمــم

أسبل عليك ستر التغاضي، فإن منشئها بإظهار قبائحها غير راضي، العبــد الفقير، المعترف بالتقصير، راجي رحمة الملك القدير، أحمد بن محمد بن علي المالكي المدني.

ومما خاطبته به ونحن بالمدينة المشرفة عام ستين وألف، وينتظم من أوائــل حروف كل بيت: مولاي أحمد الخطيب، وهي هذه:

[طويل]

مُنايَ وإن عَز المُنى قُــرب ســيدي وحتفي على تيسيرهِ عنــدهُ بُعــدي
ولا عذرَ لي إن لمْ أتِــهْ كلفــا بــه بتَيهي وَوَجــدي في محبتــهِ رشــد
لهُ همةٌ تسموُ علــى هِمــة الــسها ووجةٌ كبدرٍ حل في مــنزلِ الــسعدِ
أظن وإنْ شَــطتْ بيَ الــدارُ منــهمُ تعاظمَ وِزري لست أُحرمُ من قصدي
يود فُؤادي قربهُ ليث شــعري مــا يُكافي به قلبي علــى ذلــك الــود
أؤمــلُ منــه أن يكــونَ جــزاؤه وصال ليسَ يشفيهِ مــن ألم البُعــد
لأحظى بما يشفي غليلَ الفؤاد مــن جِــوار إمــام العــالمينَ مُحمــد
خطيب الورَى في الحشر أحمد سيدي عليه صلاةُ الواحد الأحــدِ الفــرد
طمعتُ أنال من وصالك بعض مــا به نلتَ أنت موجب الشكر والحمدِ
يمني به صدقا لقــد شــاعَ ذكــرهُ من المغرب الأقصى إلى بلــد الهنــدِ
بــنى الأقــدمونَ اللهُ يــرحمهم لــه من المجدِ ما يرضيهِ في كــل مــشهدِ

أيُعطى عُبيد الله حسن جواركم | بطيبة فازَ بالمُنى جارُ أحمد
حِماه أتيتُ مُثقلا بجرائمي | ووزري ما أخفيهِ منه وما أُبدي
مددتُ يدي أرجوهُ فامتلأتْ بما | تساقطَ حولَ البابِ من كثرة الأيدي
دواءُ ذنوبي في لقاه وإنما | مُناي وإن عز المُنى قرب سيدي

[وكتبت إليه من المغرب في عام ثلاثة وستين وألف ما نصه: غاية الأماني وشفاء المتيم العاني، ونهاية مطلوب الهائم الشائق، ورغبة التائه التائق، مَن إليه القلوب وامقة وعيون البصائر رامقة، من له سويداء القلب محل، ونومي وسهادي حرم وأحل، من هو في جملة المحاسن المثل السائر؛ سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن عبد القادر، رزقني الله من مودته النصيب الطويل المديد البسيط الوافر الكامل، ولا حرمني من امتداحه بها، غير مستوعب لمحاسنه ولا كامل، عليه مني، ومبلغ إليه، إن شاء الله، عني تجديدا لوصاله واستجداء لنواله:

[طويل]

سلامٌ كعَرفِ المسكِ أو كجنا النحلِ | سلامٌ كوقعِ الغَيثِ في زمَن المَحْلِ
سلامٌ عميمٌ يُخجل الروضَ عرفُهُ | سلام به نُعطى منانا من الوصلِ
يؤم أبا العباسِ أحمد من لهُ | بقلبيَ ود ثابت الفرْع والأصلِ
خطيب ولا غير القلوبِ تجيبهُ | جواد ولكن للمتيم بالقتلِ
خطيبٌ له تعنُو القلوبُ مهابة | على منبَرِ الحُسن الذي جل عن شَكلِ
علو وحمدٌ منهما رُكب اسْمُهُ | وبينهما ما شئتَ من خُلق سهلِ
هنيئا لكم ما نلتمُ مِن جِوار مَن | أمنتمْ بهِ ما تتقونَ مِن الهَولِ
فلا تمنعُوا المشتاقَ فضلَ دُعائكم | وحاشاكُمُ أن تمنعُوا فضلةَ الفضلِ

مولاي عبدكم المحب لكم الودود، قد أنحل جسمه الصدود، وجاب في محبتكم الأغوار والنجود، وأذهب رونق شبابه الهجود، وطالت عليه أيام الفراق، وتضرمت في حشاه نار الاشتياق، وضاق ذرعاً بالأسى والقلق، وعيل صبره على

السهاد والأرق، وازدحمت عليه الهموم والأنكاد، وفني من هول ما يلقاه أو كاد، يمثل له الحسن سُويعات مضت بقربكم، وأويقات تنعم فيها بلذيذ وصلكم؛ إذ عين الزمان عنا غافلة، وصروفه آفلة، ودعاوى الفراق باطلة، وأجياد الغرام عاطلة، وركائبنا في جنى اللذات ناصبة عاملة، ومعاقل الأنس للمحب والمحبوب شاملة، فانتهزنا من فرص المسرات أطيبها، ووردنا من موارد اللقاء أعذبها، فيا لها من ساعة فرجت على المحزون بعض كربه، وما أحسنها من أويقات لو وُزِنَت بالعمر لرجحت به، إلى أن انتبه لنا الدهر بخيله ورجله، ورمانا عن قسي التفرق بمصميات[1] نبله، فيا له من تذكر أردف الزفرات بالزفرات، وأعقب الحسرات بالحسرات، وأتبع القلوب والأكباد بنار البعاد، فكنت كثيراً ما أنتشق من ريح الحجاز نسيمه، وأرتقب من ناحيتكم تميمة[2] تشفي لواعج الغرام، وأتعوذ بها من تباريح الانصرام، تتضمن نبذة من أخباركم، وتبشرني بأني لم أزل أختلج في أفكاركم، وإن غبت عن أبصاركم ونأيت عن أمصاركم، لتيَقني أن تفكيركم إياي في تلك الحضرة وجريان ذكري على لسانكم في دار الهجرة ينتج لهذا العبد دعوة مقبولة يبلغ بها في حاله ومآله مأموله، لأنَّ الدعاء خفيف المئونة لا يحتاج في استعماله إلى كبير معونة، هذا مع ترادف كتبي إليكم وكثرة تلطفي عليكم، وشدة احتياجي إلى نوالكم، ودوام تعلقي بحبالكم، فبحق ما لكم في قلبي وقالبي من المودة، وما كابدته في طول هذه الغيبة الممتدة، إلا ما جعلتم ذكري على بال، وكان لكم بحليف بعادكم اهتبال، فلما طال انتظاري، وعز اصطباري، وكدت أصدق الظنون الكاذبة في أن محبتي من قلوبكم ذاهبة، وتخيل لي أن حبال العهد قد ارثتت[3] ودوحة المودة من أصلها قد اجتثت، حزنت لذلك غاية، وبلغ مني الوجل النهاية، لأن ما منّ الله به علي من معرفتكم، وأتحفني به من مودتكم، من أقوى العدد عندي وأسنى الذخائر لدي، اتخذته حصنا حصينا في مهماتي، وملجئا ألتجئ إليه في ملماتي، لأن مودة أهل الفضل أمثالكم، وصحبة الناسجين على منوالكم، تُستجاد وتستحب، لأن المرء مع من أحب[4]، فكنت أتشوف بشدة تلك المعية، وأرجو بها الكون معكم في الرتبة السنية، وحين خامرني الجزع مما توهمت، أسبلت

---

(1) المصميات: التي تخترق العظم؛ والمصمم من السيوف: الذي يمر في العظم: لسان العرب: صمم.

(2) التميمة: عوذة تعلق على الإنسان: لسان العرب:: تمم.

(3) ارثتت: انحلت: لسان العرب: رثا.

(4) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: المرء مع من أحب: صحيح مسلم 4:3420.

الدمع وهينمت[1]، وأعملت اليراع وترنمت، وأخذت القرطاس ورقمت مخبراً عما يلقاه القلب فيكم من الهيمان، ومادحا لكم بما ستراه من الهذيان[2]:

[مخلع البسيط]

يـــا بَـــينُ أنى لـــكَ انقطـــاعُ	يـــا وصـــلُ أنى لـــكَ ارتجـــاعُ
يـــا دارهُـــم بـــالحِمى أبِـــيني	هـــل لي بـــساكِنك اجتمـــاعُ
وهـــل تعـــودُ لنـــا ليـــال	مـــضتْ بقـــربهمُ سِـــراعُ
يـــا ســـائِلِي مـــا الـــذينَ تَعـــني	سِـــر الأحبـــةِ لا يُـــذاعُ
كيـــف تَرَجّـــى الجفـــونُ نومـــا	والجـــسمُ لـــيس لـــه اضـــطجاعُ
أمـــا لكُـــم حـــائزينَ قلـــبي	إلى عبيـــدكمُ اصـــطناعُ
أطـــوي علـــى الـــشامتينَ مـــا لا	أطيـــقُ لـــو كُـــشفَ القنـــاعُ
علـــى النـــوى ســـلّطوا وصـــالا	بـــهِ يكـــونُ لـــه ارتِـــداعُ
مـــا للحَـــشا بعـــدكُم حَـــميم	ولا شـــفيعٌ لـــهُ يُطـــاعُ
لم يُلهِـــهِ عـــنكمُ قـــصُور	ولا ديـــارٌ ولا رِبـــاعُ
والـــدمعُ مـــذ غبـــتمُ وبِنـــتمْ	لـــه علـــى الوجنـــةِ انـــدفاعُ
لـــو تركـــوا في الـــسماع يومـــا	ذكـــرك مـــا لـــذ لي الـــسماع
والأذنُ لـــيسَ لـــهُ لـــشَيء	إلا لـــذكركُمُ اســـتِماعُ
أجـــودُ بـــالنفسِ في لقـــاكمْ	والمـــالِ والأهـــلِ لـــو يُبـــاعُ
كيـــفَ تطيـــبُ الحيـــاةُ ممـــن	حـــرّم مـــن وصـــلكمْ رضـــاعُ
أم كيـــف أنـــسَى جَمـــال خِـــل	وفي الفـــؤاد لـــه انطبـــاعُ

---

[1] هينمت: من الهينمة؛ وهي الكلام الخفي لا يفهم: لسان العرب: هينم.
[2] وردت القصيدة في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 334 – 335.

من كلّف الصبرَ عن حبيب ... كُلّفَ ما ليسَ يُستطاعُ
جُودوا بوصْل على مُعَنى ... لهُ لأمْركمُ اتباعُ
وقائلِ أينَ سارَ قلبي ... إلى الحجازِ له انتجاعُ
قد عُمِّرت من سقامٍ وجْد ... هضابُ قلبيَ واليفاعُ
يا حسْرتي إذ تنُوب عني ... في وصلِ داركمُ الرقاعُ
متى أشافهكُمْ وأحظى ... بالوصلِ ليس لهُ دفاعُ
وأعملُ العِيسَ ناصبات ... بحيثُ يُستعمَل اليراعُ
وأجتني من ثِمار وصْل ... ليسَ يُنغّصهُ وداعُ
خِلّأيَ إن جُزتما بسلع ... وكانَ بي لكما انتفاعُ
عوجَا بطيبة واطلبا لي ... قلبا وعقلا هناك ضاعَوا
سَلا خطيبَ الورى لهُ من ... خبر ما تطلبا اطلاعُ
أحمد نجلُ علي أبغي ... وصالهُ ولهُ امتناعُ
هو لكل الورَى جَمال ... ولِمَّحاسنهم جماعُ
لم يلتجئ لَمتاع دُنيا ... إن الثناءَ لهُ متاعُ
من آل بيتٍ زَكوا نُفوسا ... وكُرّمتْ منهمُ الطباعُ
همُ همُ للورَى غِياث ... من كل ما يُتقى جياعُ
هُم لكل الورَى ابتسام ... وعن متاعهمُ شِباعُ
هم من اللاءِ قِيلَ فيهم ... يا أهلَ طيبةَ لو تراعُ
يا من لأجلِ نواه عني ... فيَّ فُنون الهوى ابتداعُ
بلّغْ لخيرِ الورَى سلامي ... من لِيَ في مدحهِ اتساعُ

يــا ملجــأ الخــائفينَ يــا مــنْ | بــــه تــــشرَّفتِ البقــــاعُ
يــا أفــضلَ العــالمينَ يــا مــن | فــوقَ الــسماء لــهُ ارتفــاعُ
أنــت الــذي أُخــبرا بــسُم | وضــع في لحمهــا الــذراعُ
وأنــتَ أحمــدُ مــن أقــرتْ | بفــضلهِ الــوحشُ والــسباعُ
وقــل عبيــدكَ عــن لقــاكم | قــد عانــهُ القــدرُ المطــاعُ
فاشــفعْ لــه يــومَ لا يُرجّــى | للــــهول ود ولا سُــــواعُ
صــلى عليــك الــذي حبانــا | بــكَ فكــانَ لــك ارتفــاعُ
مــا قــالَ صــب يــرومُ وصْــلا | يــا بَــيْنُ أنّــى لــك انقطــاعُ

ومنهم صاحبنا ذو الحسب الأصيل، والمجد الأثيل، النحوي الأديب المشارك الأريب، الشيخ يحيى بن الباشا الأحسائي الحنفي، كان أصله من مدينة الأحساء، وكان والده من كبراء أمرائها، ثم انتقل إلى المدينة المنورة واستوطنها، وتملك بها أملاكا وعقارا، فنشأ ولده هذا وإخوته بالمدينة أحسن نشأة، وانتحل طلب العلم، وازور عن الرياسة الموروثة، وأقاربه إلى الآن هم أمراء بلدهم وذوو الرياسة في قومهم، وهو وأخوه معدود من أهل البيوتات والجادة في المدينة، ملحوظين بعين التجلة عند الخاص والعام، لهم رواء ووجاهة لحسن حالهم ولما كان لسلفهم من الرياسة، وقد شدا صاحب الترجمة طرفا من كثير من العلوم، وجل اعتنائه بالنحو، وله فيه مشاركة حسنة، واعتنى بكتاب التصريح[1] للشيخ خالد وجعله سميره، وصيَّره في الوصول إلى غيره من كتب الفن أميره، وربما قرض من الشعر أبياتاً على قدر بضاعته المزجاة فيه، وإياه أجاب صاحبنا سيدي محمد بن سليمان بالأبيات المتقدمة في ترجمته عن أبيات له كتب بها إليه، وبعدما طالت إقامتي بالمدينة كان ربما يأتيني ويسأل عن أشياء من علم العربية، وبينما أنا ذات يوم جالس أتاني بأبيات له على صورة لغز نحوي بخطه، وذكر لي أنها له، وطلب مني الجواب،

---

[1] التصريح بمضمون التوضيح، وهو شرح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري النحوي الذي فرغ عنه سنة 890هـ: كشف الظنون 1:154.

وأكد علي ألا أطلع عليها أحدا من طلبة المدينة، فأجبته عن لغزه بأبيات عديدة، وانتقدت عليه أشياء فيه، هذا نص ما كتب إلي:

[كامل]

يا مفردَ الأوصافِ صفْ لي ما طـــرا | واسمعْ حـــديثا مثلـــه مـــا حُـــرِّرا
قـــد ســـرنيّ ســـرورا وللعـــلا | لما أتـــى في صُـــورةٍ منـــها يـــرى
فما علـــى مـــنْ ذاقـــهُ عتـــب إذا | من حُسنهِ أبدَى الذي قـــد أضـــمَرا
هلْ كُل شـــيءٍ لا كـــلام بـــل ولا | كَلمٌ ولا عـــن كلمـــة قـــد قـــررا
قولٌ على من رامـــهُ ســـهلٌ فكـــنْ | يا طيـــبَ الأنفـــاسِ عنـــه مُخـــبرا
قد احتَوى نظمي علـــى لفـــظٍ لـــهُ | فاعْرِب هُديتَ ما اعتلى إذ كُـــررا
فهاكَهَـــا أظْهِـــر لمعناهـــا وعـــن | بحرِ لها اخبرْ تُفْـــدَ يـــا مـــن قـــرا
علمَ العـــروضِ والقـــوافي واعـــتلا | هذا أتَتْ قصدا لكم تَبغـــي القِـــرا
ثم الـــصلاةُ والـــسلامُ الفـــائقُ | أهديهما للمصطفى خـــيرِ الـــورَى
والآل والأصحاب ما حـــاد حـــدا | يَسري وما شـــوق بمـــشتاق ســـرا

وقد عنى بلغزه ما ركب من الأعلام والأوصاف وغيرهما من الأسماء تركيب إضافة، وعنى باشتمال نظمه عليه قوله مفرد الأوصاف، وقوله بعد طيب الأنفاس على ما فيهما من البحث الآتي في الجواب، وهذا نصه:

[كامل]

يـــا ناظِمـــا فـــوقَ الطـــروسِ دُررا | أزرتْ علـــى دُر يُحلـــي الطـــررَا
يا نـــائِلا بـــينَ الـــدروسِ جـــوهَرا | كـــل عُقـــول الـــسامعينَ بهـــرَا
يا مُظهرا ما حيرَ الألباب مـــن يـــرَ | في المُعمـــى إذا غـــدا مُـــستترا
ما زلتَ تُبدي منـــه كـــل عجـــب | مـــا خلتـــهُ في كتـــب مُـــسطرا
كـــل العلـــوم بكـــم تـــشرفتْ | لا ســـيما النحـــو بكـــم تبختَـــرا

أبــــديتَ منـــــه لغـــــزا لفهمـــــهِ لا يهتـــــدي مـــــن لم يكـــــن تمهـــــرًا

ولــــيسَ كـــل مـــاهر يدركـــهُ كـــم مـــاهر في مثلـــهِ تحـــيرًا

وذاك في كلمـــــتينِ رُكبـــــت إحـــداهما مـــع أختـــها بـــلا مِـــرا

تركيـــبَ تقييـــد وذا التركيـــب لا يفيـــدُ فهـــو لا يُـــسمى خـــبرا

ولا يـــــسمى كلمـــــا لأنـــــه مـــن كلمـــتين مثلمـــا تقـــررا

ولا يُـــــسمى كَلمـــــة لأنـــــه كلمتان حـــسب مـــا قـــد سُـــطرا

وهـــو يُـــسمى مُعـــرب مركـــب لفظـــا وقـــولا كـــل ذاك اشـــتهرًا

كمثـــــل عبـــــد الله ذو محبـــــة لكم رجـــاكم تـــسمحوا إن عثـــرا

لكـــن في كلامكُـــم يـــا ســـيدي نقـــدا ســـيبدُو للـــذي تـــدبرًا

فقولكم هل كـــانَ شـــيء صـــادق بكل شـــيء لـــو يكـــونُ حجـــرا

لو قـــالَ شـــخص إن مـــا ســـألتم عنـــه يـــصحُ أن يكـــونَ شـــجرًا

لكـــــانَ صـــــادقا لأن ذاك لم يصدق عليه كل مـــا قـــد ذُكـــرا

فكـــان ينبغـــي لكـــم أن تـــذكروا بدلـــةُ لفظـــا يزيـــلُ الـــضررا

وفيـــه أيـــضا أنكـــم أتيـــتم بكلمـــة مـــن بعـــد نفـــي قُـــررا

وذاك ينفـــي كونـــهُ كلمـــتين وكلمـــا وكلمـــة كمـــا تـــرَى

لأنـــه نكـــرة وهـــي كمـــا في علمكـــم تم إن نفـــي عـــرًا

فـــإن لا رجُـــلا قطعـــا شـــامل فـــردا وجمعـــا ومـــثنى فـــانظرا

فكـــانَ ينبغـــي لكـــم تقييـــده بمـــا يفيـــدُ وحـــدة ليظهـــرا

ووارد أيـــضا علـــيكم أن مـــا قـــد جـــاء في كلامكـــم مُكـــررا

كمفـــرد الأوصـــاف أو كطيـــب الأنفاسِ فيه الخـــبر ينفـــي الخـــبرا

كلاهمـــا إذا نظـــرتَ كلـــم | لأن زال في الكـــل كلمـــة تُـــرى
فـــذي ثـــلاثُ أوجـــه ذكرتهـــا | نقـــدا وتنبيهـــا لمـــن تـــذكرا
وقد رأيـــتُ في كلامكـــم ســـوى | ما قـــد ذكرتـــهُ وجوهـــا أخـــرى
أعرضتُ عن إيرادهـــا خـــشية أن | يطـــولَ أو يمـــل مـــن قـــد نظـــرا
عـــذرا إلـــيكم ســـيدي فلـــم أرد | إلا التـــودد بمـــا قـــد ســـطرا
فـــلا تظنـــوا غـــير ذا فـــإنني | أحـــبكم ومـــثلكم قـــد عـــذرَا
خـــدها إلـــيكم ســـيدي خريـــدة | لمـــثلكم تـــزفُ إن راع القـــرا
حليتـــها بلؤلـــؤ مـــن وصـــفكم | فعـــذبت لفظـــا وراقـــتْ منظـــرا
من ســـابع الأبحُـــر قـــد أخرجتـــه | صافٍ مـــن االأقـــذاء مـــا تكـــررَا
نفثتـــه بـــالفكر حـــتى صـــح أن | يـــنظم في ســـلك العـــلا محـــبرا
حسبي فما قدرت أن أحـــصرَ مـــن | أوصـــافك الغـــرا حـــتى العـــشرا
أنى يكـــون ذلـــك لي لـــو أنـــني | جمعت من كل اللغـــات حـــرف را

ومن المدرسين بالحرم الشريف الذين لم آخذ عنهم شيئاً ولا أخذوا عني، ولا تأدى إلي من أخبارهم ما تتشوف النفس إلى معرفته سوى العلم بأسمائهم وبعض العلوم الذي يحسنونه؛ الشيخ إبراهيم الحجار أحد مدرسي الحنفية، عُمري النسب من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، له صوت جهوري لا يكاد الإنسان يسمع جليسه إذا أخذ في التدريس، ما سمعت في المدرسين في سائر البلاد أندى منه صوتا.

ومنهم الشيخ علي الضرير المالكي الأحسائي[1]، جاور بالمدينة مدة طويلة، وله بعض معرفة بمذهب مالك. يدرس الرسالة أحياناً، وحضرت يوماً بمجلسه عند

---

[1] أبو الحسن علي المالكي، فقيه مفسر، ولد سنة 857 هـ، من مؤلفاته شروح على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وحاشية على الترغيب والترهيب للمنذري في الحديث توفي سنة 937 هـ: إتحاف الأخلاء، ص: 182.

المنبر النبوي، يسرد عليه تفسير البغوي أو الدر المنثور للسيوطي لا أدري أيهما لطول العهد، فلم أسمع تحقيقاً ولا تحصيلاً، وهو رجل ذكي الطبع يكاد يحفظ كل ما يسمع، وربما هجم على إنشاء الشعر في بعض الأحيان، فتقع له أبيات تستطرف، في خلال الغثاء الذي يسيل به واديه، سمعته ينشد ذات يوم مطارحات زعم أنها وقعت بينه وبين شيخنا تاج الدين المكي. وقد جمعتني وإياه قافلة في رجوعنا من مكة إلى المدينة، فرأيت منه عجباً، يركب النجيب[1] فيسير به العنق[2]، فإذا وجد فجوة نَصَّ[3] من دون سائق ولا قائد. وأخبرني بعض أصحابنا أنه ربما يمر راكباً من المدينة على طريق الفُرْع[4]، فيتقدم أمام القفل وحده فلا يخطئ الطريق مع توعرها، وكثرة شعابها، والتفاف أشجارها، فينفذ فيها نفوذ الماهر الخرِّيت. وما رأيته قط بالمدينة وأفنيتها ولا في الطواف والسعي يحتاج إلى قائد.

ومن طالع نكت الهميان في نكت العميان للصلاح الصفدي لا يستغرب مثل هذا من ذكائهم وفطنتهم، وناهيك بما يحكى عن الإمام الشاطبي أنه مَرَّ بموضع في سفرة له وهو راكب فانحنى فوق الدابة، فقيل له في ذلك. فقال: أليس ههنا شجرة؟ فقالوا: ما نرى من شجر. فقال لهم: انظروا إن لم تكن هنا شجرة فلا تثقوا بشيء مما تأخذونه عني، فإنني مررت بهذا الموضع منذ عشرين سنة، وفيه شجرة، فحفروا فوجدوا عروق الشجرة وأصولها، وقد اندثرت فروعها.

ومنهم الشيخ محمد السوداني، رجل من أهل السودان، جال في بلاد المغرب، وقرأ في بعض نواحيه، ثم توجه منه إلى الحج، واستوطن المدينة مدة طويلة مرموقاً بعين التجلة، مظنوناً به الصلاح، ثم توجَّه إلى بغداد ودخل الكوفة، وحصلت له وجاهة عند من بتلك الناحية من المالكية، لشغور بلادهم ممن يحسن شيئا من مذهبهم، وتزوج هناك، ثم حصلت له آفة في عينيه فكف بصره، ثم رجع إلى المدينة واستقر بها، وصار من المدرسين بها يقرئ المختصر قراءة ضعيفة، وهو لا يمشي إلا بقائد حتى في المسجد، خلاف الذي قبله، لأن هذا عمي في الكبر، وهذا شأن غالب من عمي في كبره.

---

[1] النجيب: النجيب من الإبل؛ الخفيف السريع: لسان العرب: نجب.
[2] العنق: العنق من السير المنبسط، وأعنق: أسرع: لسان العرب: عنق.
[3] نص: النص والنصيص: السير الشديد والحثيث: لسان العرب: نصص.
[4] الفُرْع: موضع بين مكة والمدينة: لسان العرب: فرع.

ومنهم صاحبنا ذو الحسب الزكي، النسب العلي، والخلق الشهي، والعقل الذكي، السيد محمد بن رسول الشهرزوري بلدي شيخنا الملا إبراهيم وأجل تلامذته، وشاركه في الأخذ عن كثير من مشايخه، قدم المدينة واستوطنها بعد الملا إبراهيم، وأخذ عن شيخنا صفي الدين القشاشي، وظهرت عليه بركته، وله فهم رائق في علوم متعددة، ربما درس بالحرم الشريف في فقه الشافعية، ،أطلعني على رسالة له كتبها في الانتصار لمذهب الإمام الشافعي في الجهر بالبسملة أول الفاتحة، وأنها آية منها، وذكر لي أن سبب تأليفها أن بعض طلبة الحنفية قال له: لا مستند للشافعي قطعي في ذلك، فتأملت الرسالة، فوجدته قد تصرف فيها تصرفا حسنا، وذكر الأدلة من السنة الواردة في ذلك، وبنى القطع بها على ما اشتهر عند متأخري المحدثين أن ما اشتمل عليه الصحيحان للبخاري ومسلم من الحديث يلحق بالمتواتر لتلقي الأمة لهما بالقبول شرقاً وغرباً، واشتهار أحاديثهما عند علماء النقل، إلا أنه تحامل فيه على من نفى قراءتها و لم يثبتها، ورد مذاهبهم بأشياء لا تقاوم أدلة مذاهبهم عند تحقيق النظر، ولأجل ذلك قلت له عند مطالعتها إنها رسالة حسنة في بابها، إلا أنها إن كان القصد بها إثبات مستند لمذهبكم رداً على من زعم نفيه، فهي وافية بذلك، كفيلة بتحصيل المراد مما هنالك، وإن كان القصد ترجيح المذهب على غيره، وتوهين أدلة من سواه، كما يظهر من فحوى كلامكم فيها، فلا تستقل بذلك، فقد ذكر علماء الحديث بعدما حصلوا طرق الأحاديث الدالة على إثباتها والقراءة بها في الصلاة، وتعاضدها أنها بجملتها لا تقاوم رواية أنس الواردة في الصحيحين وغيرهما، الدالة على عدم قراءتها لصحتها وشهرة رواتها، بحيث لا مطعن فيها ولا مغمز، فما ظنك بها إذا انظم إليها غير ذلك من الأدلة التي استدل بها المخالفون، ولصاحبنا هذا نية صالحة وسلوك في طريق القوم على يد شيخنا القشاشي، وقد قرأ علي طرفا من الشفا واستجازني فأجزته.

ومنهم الشيخ المسن المعقولي المفسر الملا نافع العجمي[1]، شهير الصيت عند علماء العجم وعند أرباب الدولة، تنثال عليه صِلاتهم في كل أوان، ويرون له مزية على غيره، وقد سكن المدينة مدة، وهو شيخ كبير قد أصابته آفة في رجليه، فصار يمشي على عصوين، يقرأ عليه تفسير البيضاوي في الحرم الشريف، ولا يحضر

[1] نافع العجمي، من أهل القرن الحادي عشر، تولى الإقراء في الحرم الشريف باللسان التركي والفارسي: التقاط الدرر، ص: 246. نشر المثني 2:389.

بجلسه إلا الأتراك، أو من كان عارفاً بلسانهم، فإنه إنما يكون يقرر باللسان التركي والفارسي، ولذلك لم أحضر مجلسه و لم أستفد منه شيئاً، والعارفون بلسانه يثنون على حسن تقريره وجودة ملكته، رضي الله عنه.

ومنهم رئيس الخطباء وجمال الأدباء، واحد الفصحاء اللسن، الآخذ من براعة المنطق بطرف من الحسن البليغ، المفوه الفقيه الأفوه الخطيب أحمد السبري الحنفي، هو من أعمام الخطيب أحمد المالكي المتقدم، إلا أنه تمذهب بمذهب أبي حنيفة ورأس عند الحنفية، وله بلاغة منطق، يتولى الخطبة في المحافل الكبيرة فيجيد، وله عدة أولاد مقتفون أثره في انتحال الطلب، رأيت اثنان منهما يحضران مجلس شيخنا بدر الدين الهندي، لا بأس بهما، ويحضران مجلس والدهما في تدريس فقه الحنفية، كتبت إليه قبل أن ألقاه أستعير منه طبقات التاج السبكي الكبرى، وأنا إذ ذاك متلبس ببقية مرض لا أتمكن من الخروج، وهذا نص ما كتبت له:

[طويل]

أسيدنا السبري أحمد خير من ... له المجدُ والبر العميمُ بلا شكِ
أؤمل منكمْ أن تُعيروا بفضلكمْ ... لنا طبقاتِ العالمِ الماهرِ السبكي
ولولا الذي قد عاق من مرض لما ... تأخر عن تقبيل كفكم فك
على أنها الأيام تجري على الفتى ... فطورا بما يرضى وطورا بما يبك
ولكنني والحمد لله لم أزل ... أعاين لطف الله في الظلم الحلك
ومن كان جار المصطفى فهو آمن ... من الدهر أن يغشاه بالبوس والضنكِ
فعجلْ بما أملته منك سيدي ... فذلك للمعروف كالعرف للمسك
وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على أحمد الهادي المتره عن إفك

فلما وصلت الأبيات له، بعث إلي بالسفر الثالث منها، وذكر أنه ليس عنده غيره، وكتب معه بأبيات جواباً على أبياتي في عددها ورويها، وهي هذه:

[طويل]

أبا سالمٍ سلمتَ من عارضِ الضنكِ ... وعشتَ مُعافى سالمَ الجسم والمسكِ

ووافتكَ في الأصباح مني تحيةٌ تفوق على الكافورِ في العرف

لقد جاءني نظمٌ توهمتُ أنه هو الدر إلا أنه الفائقُ السلك

تروم به ما ألفَ السيد الذي تآليفه شاعت لدى العرْب والتُّركِ

هو الندي تاج الدين أوحد عصره ومن فاق في الترتيب والوضع والسبكِ

فها نبذة منها على حاجتي لها وما غيرها عندي ولا دخلت ملكي

فعذرا وعذرا حيث قصرت حين لم أزرك وكان اللوم مستلزم التركِ

ودُم سالما من كل سوء ممتعا بقرب مقام دونه شامخ الملكِ

وحيث كان القصد من هذه الرحلة جمع الفوائد، لا انتقاء الفرائد، فلنذكرِ ما انتقيته من الفوائد من السفر الثالث المستعارِ من طبقات السبكي، تكثيراً للفائدة، وهي مع طولها مستجادة مستحسنة، قلَّ أن توجد في غيره لغرابة هذا الكتاب بمغربنا، فلم تقع عيني عليه، ولا سمعت أذني به عند أحد في قطرنا، والله الموفق.

الحمد لله، هذه فوائد انتقيتها من الطبقات الكبرى للسبكي بالمدينة المنورة، ولم يقع بيدي منها إلا السفر الثالث، ونص ما انتقيته وانتخبته، مع الاستعجال، كتبت عن صلاح الدين في النهي عن الخوض في الحرف والطوق، (لئن لم ينته المنافقون)[1]، الآية: خرج أمرنا إلى كل قائم في صف، أو قاعد في أمام وخلف، ألا يتكلم في الحرف بصوت، ولا في الصوت بحرف، ومن تكلم بعدها كان الجدير بالتكليم (فليحذر الذين يخالفون)[2] الآية. قال التاج السبكي: لا أشك أن هذا الفصل من كلام القاضي الفاضل أبي بكر بن قوام البالسي صاحب الأحوال والكرامات، المجمع على ولايته، ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ألف في مناقبه حفيده أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي بكر، وذكر له من الكرامات ما يبهر

(1) الأحزاب: 60.
(2) النور: 61.

العقول، توفي يوم الأحد منسلخ رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة بالقرب من حلب، ثم نقل إلى قاسيون[1].

أحمد بن إبراهيم الشيخ عز الدين الفاروثي[2]، ذكر عنه أنه شاهد بالعراق رجلا مكث سنين لا يأكل ولا يشرب. قال الذهبي: وذكر لي عدد أثق بهم أن امرأة بالأندلس مكثت نحوا من عشرين سنة لا تأكل شيئاً، وأمرها مشهور. ثم ذكر قصة المرأة التي ذكرها الحاكم في تاريخ نيسابور، وفيها طول حاصلها أنها امرأة بعض الشهداء من بعض مدن خوارزم، اسمها رحمة بنت إبراهيم، وأن أبا العباس عيسى بن محمد الطهماني المروزي لقيها وسألها عن خبرها، فأخبرته بما حاصله أن زوجها مات في بعض الغزوات، وكان نجارا فقيرا معيشته من عمل يده يوما فيوما، ولها منه عدة أولاد، فلما مات أدركها عليه من الحزن ما يدرك المرأة الشابة على زوج أبي الأولاد، وجاء أولادها يطلبون الخبز، وليس عندها شيء، فضاق صدرها، قالت: فسمعت أذان المغرب، ففزعت إلى الصلاة، فصليت ثم سجدت أدعو وأتضرع وأسأل الله الصبر، فذهب بي النوم، فرأيت كأني في أرض حسناء أطلب زوجي، فوجدته مع قوم من الشهداء يأكلون، فناولني خبزا فأكلته، فقال اذهبي كفاك الله مئونة الطعام والشراب ما حييت، فانتبهت من نومي شَبعاً رَيَّاً لا أحتاج إلى طعام ولا شراب، ومكثت كذلك طول عمرها، وفي القصة طوَل اختصرناه[3].

ومنها في ترجمة المحب الطبري[4] أنه ذكر في شرح التنبيه [أنه][1] يجوز قطع ما يتغذى به من نبات الحرم، غير الإذخِر[2]، كالرِّجلة[3]، لأنه في معنى الزرع[4].

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8: 401.وانظر ترجمة البالسي في: شذرات الذهب 3: 295. طبقات الشافعية 3: 9.

(2) أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور، أبو العباس الواسطي الشيخ عز الدين الفاروثي، ولد بواسط في ذي القعدة سنة 614هـ، وقرأ القرآن على والده وعلى الحسين بن أبي الحسن بن ثابت الطيبي، وسمع ببغداد من عمر بن كرم الدينوري والشيخ شهاب الدين السهروردي وأبي الحسن القطيعي وأبي علي الحسن بن الزبيدي وأبي المنجا ب، وحدث بالحرمين والعراق ودمشق، وكان فقيها مقرئا عابدا زاهدا صاحب أوراد، قدم دمشق من الحجاز بعد مجاورة مدة سنة تسعين تولى مشيخة الحديث بالظاهرية، ثم ولي خطابة الجامع ثم عزل منها فسافر إلى واسط وبها توفي سنة 694 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 7: 8 – 9.

(3) أنظر الحكاية في: طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الثامن، ص: 7 وما بعدها.

(4) أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري ثم المكي، شيخ الحرم، مولده سنة 615 هـ، سمع ابن المقير وابن الجميزي وغيرهما، روى عنه البرزالي وغيره، وتفقه بقوص على الشيخ مجد الدين القشيري والد شيخ الإسلام تقي الدين، وصنف التصانيف

ومنها في ترجمة أحمد بن عيسى بن القليوبي[5] أنه استنبط من قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك)[6] الآية. أن ما يفعله علماء هذا الزمان من سعة الأكمام وكبر العمة، حسن، وإن لم يفعله السلف لأن فيه تمييزاً لهم، ليلتفت إلى فتاويهم[7].

ومنها أحمد بن عمر نجم الدين الكبري[8] بن الجناب الزاهد، الكبير والكبرى، على صيغة فعلى، ومنهم من يمد فيقول الكبراء، جمع كبير، استوطن خوارزم، اجتمع به الفخر الرازي[9].

ومنها أحمد بن فرح[10]، بالفاء والحاء المهملة، الإشبيلي نزيل دمشق، أخذ عن عز الدين بن عبد السلام، توفي سنة تسع وتسعين وستمائة، وله المنظومة التي أولها: غرامي صحيح[11].

ومنها لابن خلكان من جملة قصيدة[12]:

الجيدة منها في الحديث: الأحكام، وله مختصر في الحديث أيضا رتبه على أبواب التنبيه، وله كتاب في فضل مكة حافل وله شرح على التنبيه مبسوط فيه علم كثير: طبقات الشافعية الكبرى 8:18 – 19.

(1) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(2) الإنخر: الحشيش الأخضر: تاج العروس: نخر.

(3) الرجلة: ضرب من البقل: تاج العروس: رجل.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 8:20.

(5) أحمد بن عيسى بن رضوان بن القليوبي أبو العباس، فقيه مصنف، من مصنفاته: نهج الوصول في علم الأصول، وكتاب طب القلب ووصل الصب، وكتاب الجواهر السحابية في النكت المرجانية، ولي قضاء المحلة مدة، قال الذهبي إنه توفي سنة 896 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:24.

(6) الأحزاب: 59.

(7) طبقات الشافعية الكبرى 8:24.

(8) أحمد بن عمر بن محمد الشيخ، الإمام الزاهد الكبير نجم الدين الكبرى، أبو الجَناب، الصوفي شيخ خوارزم، والكبرى على صيغة فعلى كعظمى، ومنهم من يمد فيقول الكبراء جمع كبير،كان إماما زاهدا عالما طاف البلاد وسمع بها الحديث، سمع بالإسكندرية أبا طاهر السلفي، وبهمذان الحافظ أبا العلاء، وبنيسابور أبا المعالي الفراوي، روى عنه عبد العزيز بن هلالة وناصر بن منصور الفرضي والشيخ سيف الدين الباخرزي وآخرون: طبقات الشافعية الكبرى 8:25. الأعلام 1:185.

(9) طبقات الشافعية الكبرى 8:25.

(10) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح الإشبيلي، فقيه مشارك، رحل إلى مصر سنة بضع وخمسين، تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وسمع من شرف الدين الأنصاري الحموي والمعين أحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزون وغيرهم، وعني بالحديث وأتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه، وتوفي سنة 699هـ ومولده سنة 625 هـ: نفح الطيب 2:528. طبقات الشافعية الكبرى 8:27.

(11) طبقات الشافعية الكبرى 8:27. وهي قصيدة غزلية في ألقاب الحديث مطلعها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل   وحزني ودمعي مطلق ومسلسل

(12) طبقات الشافعية الكبرى 8:34.

[كامل]

قلْ لي بــأي وَسـيلة أدلِــي بهــا   إنْ كنــتَ تُبعــدني لأجــل تقَــربي

ومنها أحمد بن محمد أبو العباس الملثم[1]، من جملــة أصــحاب المقامــات العاليات، كان مقيما بمدينة قوص، وله فيها رباط، وكان من المعمرين، حتى قيل أدرك القاهرة أخصاصا قبل أن تُبنى، وكان أبوه ملك بالمشرق، وتوفي أبو العباس يوم الثلاثاء رابع عشرين من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وهو مدفون برباطه بقوص[2].

ومنها قاضي القضاة بالديار المصرية، من جمع بين قضاء مــصر والقــاهرة [....][3]. ومنها في ترجمة أبي الطاهر المحلي[4]، أن الشيخ ضياء الدين ولد أبي عبد الله القرطبي، بعثه والده إليه في حاجة، فوجده في المحراب، فلم يقم له، ولم يكن عادته، فقال له بعد ذلك إنك أتيتني في موضع لا يقام فيه إلا لله[5]. وذكر أنه كان لا يرى نسخة من ملخص الرازي[6] إلا اشتراه حتى لا يقع في أيدي الناس، ويقول تقليل للمفسدة، وكان يعير الكتب لمن يعرف ومن لا يعرف، ويسافر بها الناس، ويقول: ما أعرت كتابا إلا ظننت أنه لا يرجع، فإذا رجع كان نعمة جديــدة[7]. ومن أعظم أشياخه أبو عبد الله القرشي، قال التاج السبكي[8]: والقرشي هذا من كبار العارفين، وهو صاحب القصيدة المسماة بالفرج بعد الشدة، المجربة لكشف الكروب، وأولها: اشتدي أزمة تنفرجي. وساقها إلى آخرها، ثم ذكر أنه رأى في الغرة اللائحة لأبي عبد الله محمد بن علي التوزري، المعروف بابن المصري، أن هذه

---

(1) أحمد بن محمد الشيخ الصالح أبو العباس الملثم، من أصحاب الكرامات والأحوال،كــان مقيمــا بمدينــة قوص له بها رباط، توفي سنة 672هــ: طبقات الشافعية الكبرى 8:35.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 8:37.

(3) فراغ في خ وط، ولعله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى، ابن موسى العامري الحموي، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد سنة 603 هــ بحماة، ثم انتقل إلى القاهرة، ثم درس بالظاهريــة، ثــم ولي قضاء القضاة وتدريس الشافعي، وكان فقيها فاضلا حميد السيرة كثير العبادة، مشاركا في علوم غيــر الفقه كثيرة، توفي سنة680 هــ: طبقات الشافعية الكبرى 8:46.

(4) أبو الطاهر محمد بن الحسين المحلي الأنصاري، فقيه زاهد، صاحب أحوال ومقامات، توفي ســنة 633 هــ: طبقات الشافعية الكبرى 8:55.

(5) طبقات الشافعية الكبرى 8:50.

(6) الملخص في الحكمة والمنطق للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606 هــ: كــشف الظنون 2:1819.

(7) نفسه 8:55.

(8) طبقات الشافعية الكبرى 8:57.

القصيدة لأبي الفضل ابن النحوي التوزري، قال السبكي: وكثير من الناس يعتقد أنها مشتملة على الاسم الأعظم، وكنت أسمع الوالد إذا أصابته أزمة ينشدها[1].

ومنها حكاية وقعت في زمن محمد بن جرير الطبري، ثم وقعت في زمن ابن عين الدولة، وهي أن امرأة قالت لزوجها: إن كنت تحبني فاحلف بطلاقي ثلاثا مهما قلت لك تقول مثل ما قلته في ذلك المجلس، فحلف، فقالت: أنتِ طالق ثلاثا، فأمسكا وارتفعا إلى ابن عين الدولة، وقال: خذ بعقيصتها[2]، وقل أنت طالق ثلاثا إن طلقتك. قال السبكي[3]: وكأنهما ارتفعا إليه في المجلس. ثم ذكر أيضا ابن عين الدولة أنه لم يقبل شهادة الملك الكامل لما شهد عنده، وقال السلطان يأمر ولا يشهد، فلما ألح عليه في قبولها، ذكر له ما يفسق به[4].

قال السبكي[5]: وغفل القاضي أنه يلزم من ذلك بطلان ولايته للقضاء، لأن تولية الفاسق لا تصح. ثم أجاب بأن الصحيح أن الفسق لا ينعزل به السلطان، ولكن لا تصح منه الأفعال التي تمكن من غيره، فلا يقضي ولا يزوج، لأن فيمن يقيمه من القضاة غنية عنه، وأما تولية القضاء فلا يمكن إلا منه، فيصح.

ومنها في ترجمة محمد بن عبد الله بن الفضل المرسي[6]، قال النحاة في إعراب قوله تعالى: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو)[7] هو في موضع رفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره لنا، أو في الوجود، واعترض صاحب المنتخب تقدير الخبر، فقال: إن كان لنا، كان بمعنى ما قبله، فيكون تكرارا محضا، وإن كان في الوجود، كان نفيا لوجود الإله، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان الإعراض عن هذا الإضمار أولى. أجاب المرسي في ري الظمآن قال: هذا كلام من لا يعرف لسان العرب، فإن الإله في موضع الابتداء عند سيبويه، أو اسم لا عند غيره، وعلى كلا التقديرين فلا بد من خبر للمبتدإ، وأما

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8:60.
(2) العقيصة: الضفيرة: تاج العروس: عقص.
(3) طبقات الشافعية الكبرى 8:65.
(4) نفسه.
(5) نفسه.
(6) محمد بن عبد الله بن محمد السلمي شرف الدين ابن أبي الفضل المرسي، ولد بمرسية سنة 570 هـ، رحل إلى دمشق ثم مصر ثم قوص ثم مكة، ثم عاد إلى بغداد، كان فقيها محدثا أديبا زاهدا متعبدا صنف تفسيرا حسنا، توفي بين العريش وغزة سنة 655 هـ: طبقات الشافعية الكبرى: 8:65.
(7) البقرة: 162.

ما قاله إذا لم يظهر كان نفيا للماهية فليس بشيء، لأن الماهية، أي نفيها، هو نفي الوجود، لأن الماهية لا تتصور إلا مع الوجود، فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود عند أهل السنة خلافا للمعتزلة. قال السبكي[1]: وما ذكر صاحب المنتخب من عدم التقدير يشبه ما يقول الشيخ الإمام في إعراب الله من قوله تعالى: (ليقولن الله)[2]، ولكن لا يقال هنا مبتدأ، ولكن تجعل الله كلمة مفردة لا معربة ولا مبنية.

ومنها محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري[3]، الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، ثم بالغ في الثناء عليه كثيرا، ولد سنة ثلاث أو أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على والده وغيره، ثم عد تصانيفه، فقال[4]: وأما كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم فلم يصح أنه له.

قال السبكي[5]: واعلم أن شيخنا الذهبي ذكر الإمام في كتاب الميزان في الضعفاء، وكتب على كتابه أنه ليس لذكره في هذا المكان معنى، ولا يجوز من وجوه أعلاها؛ أنه ثقة حبر من أحبار الأمة، وأدناها أنه لا رواية له، فذكره في كتب الرواة مجرد فضول وتعصب وتحامل. وقال في الميزان: له كتاب أسرار النجوم سحر صحيح. قلت[6]: وقد عرفناك أن هذا الكتاب مختلق عليه، وبتقدير صحة نسبته، فليس بسحر، فليتأمله من عاين السحر. وأطال في الرد على شيخه الذهبي، ونسبه إلى التعصب في هذا. قلت: وما ذكره السبكي من كون كتاب أسرار النجوم ليس له، لا يصح، فقد رأيت بالمدينة نسخة من الملخص للإمام الفخر وعلى ظهرها مكتوب بخط شيخنا الملا إبراهيم ما معناه أن الإمام أشار في هذا الكتاب إلى أن كتاب أسرار النجوم له، فمن نفاه عنه فهو قصور منه، فالأولى تأويل كلامه فيه. ثم ذكر وصية أوصى بها تلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني لما احتضر نصها[7]: يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8:72.

(2) العنكبوت: 61.

(3) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري إمام المتكلمين، ولد سنة ثلاث وأربعين وقيل أربع وأربعين وخمسمائة، توفي سنة 606 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:81.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 8:87.

(5) طبقات الشافعية الكبرى 8:88.

(6) نفسه.

(7) طبقات الشافعية الكبرى 8:90 – 92.

بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلى مولاه كل آبق، أحمد الله بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب، وصلواته على ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين، اعلموا أخلائي في الدين، وإخواني في طلب اليقين، أن الناس يقولون إذا مات ابن آدم[1] انقطع عمله وتعلقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين، الأول أنه [إن][2] بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له عند الله أثر. الثاني ما يتعلّق بالأولاد وأداء الجنايات، أما الأول فاعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقا أو باطلا، إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المتره عن مماثلة المتحيزات، موصوف بتمام القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المناهج العميقة، فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء[3]، كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل[4] ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلمي أو خطر ببالي، فأستشهد وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقديس اعتقدت أنه الحق وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع خطرتي لا مع حاصلي، فذلك جهد المُقِل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني وارحمني،

[1] في طبقات الشافعية الكبرى: إن الإنسان إذا مات.
[2] زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.
[3] في ط: الشريك.
[4] في ط: كما.

واستر زللي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطإ المجرمين، وأقول: ديني متابعة الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، وكتابي القرآن، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت أنا عند ظن عبدي بي، وأنت قلت: (أَمَّن يُجيب المضطر إذا دعاه)[1]، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمنا من عذابك قبل الموت وعند الموت، وبعد الموت، وسهل علي سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين. وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذفن القول السيئ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله.

الثاني، وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على الله، ثم سرد وصيته في ذلك إلى أن قال: وأمرت تلامذتي ومن لي عليه حق إذا أنا مت يبالغوا في إخفاء موتي، ويدفنوني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرأوا علي ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه. هذا آخر الوصية. قال الإمام في تفسيره، وأظنه في سورة يوسف، عليه السلام: والذي جربته طول عمري أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله، صار ذلك سببا للبلاء والمحنة، وإذا عول على الله و لم يرجع إلى أحد من الخلق، جعل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه، فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين، فعند هذا أسفر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه.

قال السبكي[2]: وما ذكره حق، وإن فرض أن أحداً عَوَّل على غيره في أمر، فحصل له، فهو إما ممكور به، والعياذ بالله، وإما رجل يطلب شراً، وهو يحسبه خيراً لنفسه، ويظهر له ذلك بعاقبة ذلك الأمر. واعلم أنَّ هذه الجملة من كلام الإمام دالة على مراقبته طول وقته، ومحاسبته لنفسه، رضي الله عنه، وقبح من

---

[1] النمل: 64.

[2] طبقات الشافعية الكبرى 8:93.

يسبه، أو يذكره بسوء حسدا من عند نفسه. توفي الإمام بهراة يوم الإثنين، يوم عيد الفطر، سنة ست وستمائة.

اختار الإمام في سورة الإسراء أن تسبيح ما سوى الإنسان إنما هو بلسان الحال. قال السبكي: وفصل قوم فقالوا يسبح الناس دون غيره، بدليل حديث الجريدتين، والصحيح أن الكل يسبح بلسان المقال، ولا يلزم سماعنا إلا على وجه المعجزة، أو الكرامة، ونقل أدلة على ذلك[1].

ومنها محمد بن محمود بن النجار[2] مؤلف تاريخ بغداد في ثلاثين مجلدا، ذيل به على تاريخ الخطيب، له رحلة واسعة بلغت مشيخة أشياخه ثلاثة آلاف، توفي سنة خمس وستمائة.

ومنها محمد شمس الدين الأصبهاني[3] شارح المحصول، أخذه من شرح القرافي، إلا أنه نقح وهذب، إذا جاء من يقرأ عليه الفلسفة، يقول له: حتى تمتزج بالشرعيات، كان قاضيا بقوص، ويشهد مجلسه تقي الدين ابن دقيق العيد، وشكا إليه رجل بشاعر هجاه ليعزره، فقال: أخاف أنا أن يهجوني أيضاً، وكان عدلاً ثبتاً في أحكامه، حتى أدب الحاجب بمدينة قوص، ولد بأصبهان سنة ست عشرة وستمائة، وتوفي بالقاهرة في العشرين من رجب سنة ثمان وثمانين وستمائة.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8:94.

(2) محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، الحافظ الكبير الثقة محب الدين أبو عبد الله ابن النجار البغدادي، مصنف تاريخ بغداد الذي ذيل به على تاريخ الخطيب فجاء في ثلاثين مجلدا، ولد في ذي القعدة سنة 578 هـ، له الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان ومرو وهراة ونيسابور، قال ابن الساعي: كانت رحلته سبعا وعشرين سنة واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، توفي ببغداد سنة 643 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:98-99.

(3) محمد بن محمود بن محمد بن عباد أبو عبد الله القاضي شمس الدين الأصبهاني، كان إماما في المنطق والكلام والأصول والجدل، خرج من أصبهان شابا ودخل بغداد فاشتغل بها، ثم قدم حلب وولي القضاء بمنبج، ثم قدم القاهرة فولاه قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز قضاء قوص فباشرها مباشرة حسنة، ولد بأصبهان سنة 616 هـ وتوفي بالقاهرة سنة 688 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:100-102.

ومنها في ترجمة عماد الدين ابن يونس الإربلي[1]: أدلة الشرع منحصرة في النص والإجماع والقياس، لأنَّ الحكم المدعى إما أن يكون مستفاداً من نقل أو لا، فإن كان فلا يخلو إما أن يكون بواسطة أهل الحل والعقد، أو لا، فإن كان فهو المُسَمَّى إجماعاً، وإن لم يكن فهو المسمى نصاً. وإن لم يكن مستفادا من نقل، فلا يخلو إما أن يكون مستفادا من معنى معقول أو لا، فإن كان فلا يخلو إما أن يكون ذلك المعنى راجعا إلى أحد هذين القسمين أو لا، فإن كان راجعا فهو المسمى قياسا، وإن لم يكن مناسبا مرسلا، وهو غير معمول به عندنا، وإن كان لا من نقل ولا من معنى، فلا يثبت، فثبت أن الأدلة منحصرة في النص والإجماع والقياس[2].

وكان يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس، ويقول: لا يجوز للآدمي أن يتزوج الجنية، قال القمولي[3]: وفيه نظر[4].

ومنها إبراهيم بن محمد القطب المصري[5]، ومن تلامذة فخر الدين الرازي، قال السبكي: لا تغتر بكلام أبي علي بن خليل السكوني المغربي، صاحب كتاب التمييز على كشاف الزمخشري، حيث تكلَّم فيه بعدما تكلم في الإمام الفخر نفسه باعتراضه على المتقدمين، كالأشعري فمن دونه من أتباعه، وهذا لا يعاب به العالم، والمغاربة لا يحتملون أحداً يعارض الأشعري في كلامه، والإمام لا ينكر عظمة الأشعري، كيف وهو على طريقه وبقوله يأخذ، ولكن لم تزل الأئمة يعترض متأخرها على متقدمها، ولا يشينه ذلك بل يزينه.

---

(1) محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الشيخ عماد الدين بن يونس الإربلي، أحد الأئمة من علماء الموصل يكنى أبا حامد، ولد سنة 535 هـ، وتفقه بالموصل على والده ثم رحل إلى بغداد فتفقه بها، على السديد السلماسي وأبي المحاسن يوسف بن بندار الدمشقي، وسمع الحديث من أبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي، وعاد إلى الموصل ودرس بها في عدة مدارس، وعلا صيته وشاع ذكره وقصده الفقهاء من البلاد، وصنف المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط، وشرح الوجيز، توفي بالموصل سنة 608 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:109 – 110.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 8:110.

(3) أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين، أبو العباس الشيخ نجم الدين القمولي، فقيه مشارك، ولي حسبة مصر، وولي التدريس بالفخرية بالقاهرة، من مصنفاته: البحر المحيط في شرح الوسيط، وكتاب جواهر البحر، توفي بمصر سنة 727 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:30. الدرر الكامنة 1:359.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 8:111.

(5) إبراهيم بن نصر بن طاقة المصري الحموي الأصل، برهان الدين المعروف بابن الفقيه نصر، فقيه أديب، مولده سنة 571 هـ، أجاز له ابن الجوزي وجماعة، وحدث سمع منه الحافظ المنذري وغيره، وولي نظر الأحباس بالديار المصرية ونظر الديوان بالأعمال القوصية، امتحن ابن الفقيه نصر في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وصودر وسلم إلى من عاقبه، فضربه حتى مات في ليلة ثاني جمادى الأولى سنة 638 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:124.

[مجزوء الكامل]

أشكو إليك وأنت أر ... حمُ من شكوت إليه حالي

ضاقتْ علي ثلاثة ... رزقي وصدر واحتمالي

وعدمتُ حسنَ ثلاثة ... جَلدي وصبري واحتيالي[1]

ومنها في ترجمة عبد الرحمن أبي شامة[2]، قيل: بلغ رتبة الاجتهاد، له كتاب: نور المسرى في تفسير سورة الإسراء[3]، رد فيه قول السهيلي مستدركاً على أهل اللغة قولهم: أسرى وسرى لغتان، بأن الرواة اتفقوا على تسمية أسرى، و لم يسمه أحد سرى، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا العبارة، فقال أبو شامة: إنما أطبقوا محافظة على لفظ القرآن، وإلا ففي مسلم: لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي. ومن فوائده في هذا الكتاب قال[4]: افتتح الله سور كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام؛ الأول الثناء في أربعة عشر سورة، إما بالإشارة إلى إثبات صفة الكمال في سور سبع، الحمد لله في سور خمس، وتبارك في سورتين، وإما بالإشارة إلى نفي صفات النقص في سبع أخر، سبحان، سبح، يسبح، سبح. الثاني؛ حرف الهجاء في تسع وعشرين سورة، الثالث؛ النداء في عشر سور، الرابع؛ الجمل الخبرية نحو: (أتى أمر الله)[5] في ثلاث وعشرين، الخامس؛ القسم في خمسة عشر سورة، السادس؛ الشرط بإذا في سبع، السابع؛ الأمر بقل واقرأ في ست، الثامن؛ الاستفهام كما في عم وهل والهمزة في ست، التاسع؛ الدعاء بويل وتبت في ثلاث، العاشر؛ التعليل في سورة واحدة وهي (لإيلاف قريش)[6] هـ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 125:8.

(2) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الشيخ الإمام المتفنن شهاب الدين المقدسي الدمشقي، أبو شامة، برع في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الاجتهاد، واختصر تاريخ الحافظ ابن عساكر، وصنف كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وله أرجوزة حسنة في العروض ونظم مفصل الزمخشري، ومن محاسنه كتاب البسملة الأكبر وكتاب البسملة الأصغر، وكتاب ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري، وكتاب نور المسرى في تفسير آية الإسراء، ولد أبو شامة سنة 599 هـ، وأخذ عن شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية ومشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية، توفي سنة 665 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 165:8 – 166.

(3) صدر الكتاب عن دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي سنة 2000 بتحقيق الدكتور عبد الحكيم الأنيس.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 166:8.

(5) النحل: 1.

(6) قريش: 1.

ولابن بنت الأعز[1]:

[طويل]

ومن رامَ في الــدنيا حيــاة خَليــة | من الهــم والأكــدارِ رامَ مُحــالا[2]
وهاتيك دعوى قد تركت دليلــها | على كــل أبنــاء الزمــانِ محــالا

ومنها في ترجمة فخر الدين ابن عساكر[3] أنه كان يدرس بمدارس بدمــشق وبالقدس، يقيم بهذا أشهرا، وبهذا أشهرا، قال السبكي[4]: وقد تعلق بهذا من ولي تدريسا في بلدين متباعدين؛ حلب ودمشق، وأفتى جماعة بالجواز على أن يستنيب، والذي يظهر لي أن هذا لا يجوز، وأكل المال فيه أكل باطل، وغيبته عن واحــدة لحضور أخرى ليس بعذر، فما ظنك بمن يغيب بالكلية، وقد تعلق بعض من أجاز هذا بأن الشيخ الإمام أفتى فيما إذا مات فقيه وله زوجة وأولاد أن يعطــوا مــن معلوم تلك الوظيفة، ثم إن فضل شيء لا بأس أن يعطى لمن يقوم بالوظيفة، أخذا من قول الشافعي: من مات من المقاتلة أعطيت زوجته وأولاده. وقد أفتى ابن عبد السلام والنووي في إمام مسجد يستنيب فيه بلا عذر أن المعلوم لا يستحقه النائب لأنه لم يول، ولا المستنيب لأنه لم يباشر، وخالفهما الشيخ الإمام فيما إذا كــان النائب مثل المستنيب، أو أرجح، وقد تصح الاستنابة لحصول الغرض الــشرعي، واقتضى كلامه جواز الاستنابة بلا عذر. وعندي فيه توقُّف، وقد أشاع كثير من الناس أن الوالد كان يرى تولية الأطفال وظائف آبائهم مع عدم صلاحيتهم، إذا قام بالوظائف صالح، ونحن أخبر بأبينا ومقاصده، ولم يكن، رحمه الله، رأى ذلك على الإطلاق، إنما كان رأيه فيمن كانت له يد بيضاء في الإسلام، من علــم أو غيره، قد أثار في الدين آثارا حسنة، وترك ولدا أن يباشر وظيفته مــن يــصلح،

---

[1] عمر بن عبد الوهاب بن خلف، قاضي القضاة، صدر الدين ابن بنت الأعز، فقيه مشارك،ولد سنة 625 هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 680 هـ طبقات الشافعية الكبرى 310:8. طبقــات الــشافعية 144:2. النجــوم الزاهرة 123:7.

[2] أنظر: طبقات الشافعية الكبرى 174:8.

[3] عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله بن الحسين الدمشقي، أبو منصور فخر الــدين ابن عساكر، شيخ الشافعية بالشام، ولد سنة 555 هـ، وتفقه بدمشق على الشيخ قطب الــدين النيــسابوري، وسمع الحديث من عميه الإمامين الحافظ الكبير أبي القاسم والصائن هبة الله وجماعة، وحدث بمكة ودمشق والقدس، روى عنه الحافظ زكي الدين البرزالي وزين الدين خالد وضياء الدين المقدسي وآخــرون، ولــه تصانيف في الفقه والحديث، توفي سنة 620 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 177:8.

[4] طبقات الشافعية الكبرى 179:8.

وتكون الوظيفة باسم الولد، وتكون التولية توليتان، تولية اختصاص وتولية مباشرة، فالصبي يتولى تولية اختصاص، بمعنى أن يكون له بعض خصوصية بها، ويصرف له بعض المعلوم، والصالح يتولى تولية مباشرة، يعني أنه يأتي بالمعنى المقصود من الوظيفة، فيحصل غرض الواقف، ومراعاة الصغير إعانة لحق الله، ويقول: أنا في الحقيقة إنما أولي المباشر، وهو ذو الولاية الحقيقية، فقلت له: فلم لا تصرح بالولاية؟ قال: أخشى على الطفل منه أن لا يعطيه شيئاً. قلت له: اجعل المباشر هو المتولي، واشترط عليه بعض المعلوم للطفل. قال: يتأهل الطفل فلا يسلم له الوظيفة. فقلت له: فما الذي ثبت للطفل الآن؟ قال: ولاية الاختصاص، بمعنى أنه يصير أحق بهذه الوظيفة إن تأهل من غير احتياج إلى تجديد ولاية، وإطلاق بعض المعلوم مادام عاجزاً. قال: وأما من لم يمكن ولايته كزوجة وبنت، فهؤلاء لا أوليهم مطلقاً، وإنما أقول لمن أوليه التزم بالنذر الشرعي أن ترفع لها كيت وكيت، ما دام كذا من معلوم هذه الوظيفة. قلت له: هذا كله فيمن سبقت لأبيه سابقة، فما قولك فيمن لا سابقة لأبيه؟ قال: إن كان فقيرا أفهم من نص الشارع طلب إعانة مثله، فعلت معه ذلك أيضا، ولا أتركه يبيت جائعا، والرزق الذي كان يدخل إليه مع أبيه، إلى غير ذلك من تفاصيل كان يذكرها، والله أعلم بنيته فيها، والرجل كان متضلعا بالعلم والدين، هـ كلامه، وقد تركت الكثير من مراجعته لأبيه في هذه المسألة.

ومن شعر ابن عساكر[1]:

[مجزوء الرمل]

خفْ إذا ما بت ترجو ... وارجُ إن أصبحت خائفْ

كم أتى الدهر بعُسر ... فيه لله لطائفْ

ومنها أن فخر الدين هذا مر بالموفق بن قدامة، فسلم ولم يرد، فقيل له في ذلك، فقال إنه يقول بالكلام، وأنا أرد عليه في نفسي، واستبعد السبكي ذلك من دين ابن قدامة[2]. ومنها أن صلاح الدين خليل بن كيكلدي[3] أنكر كون

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8:184.

(2) نفسه.

(3) في ط: بن كيكارى. وهو خليل بن كيكلدى العلائى، ولد سنة 694هـ، اشتغل بالفقه والعربية وصنف التصانيف في الفقه والأصول والحديث، من مصنفاته: تحفة الرائض في علم الفرائض، والأربعين في

المرشدة[1] لابن تومرت قائلا إنه كان يوافق المعتزلة في أصولهم، وهذه مباينة لهم. قال السبكي[2]: لا يصح عندنا ما ذكره في ابن تومرت، والأغلب أنه كان أشعرياً صحيح العقيدة، أميراً عادلاً، داعياً إلى طريق الحق، ثم ساق العقيدة بتمامها.

ومنها أفتى فخر الدين بجواز كتب الصداق في الحرير، وخالفه ابن عبد السلام والنووي[3].

ومنها، وللتهامي وخمسها الديريني[4]:

[كامل]

حكمُ المنيةِ في البريةِ جارِ ... ما هذهِ الدنيا بدار قرار[5]

بينا ترى الإنسانَ فيها مُخبرا ... ألفيتهُ خبرا من الأخبَار

طبعتْ على كدر وأنتَ تريدها ... صفوا من الأقذاء والأكدارِ

ومكلف الأيام ضد طِباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وإذا وجدتَ المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار

والعيشُ نوم والمنية يقظة ... والمرءُ بينهما خيال سار

فاقضوا مآربكم عِجالا إنما ... أعماركم سفرٌ من الأسفار

وتركضوا خيل الشباب وبادروا ... أن تسترد فإنهن عوار

ليس الزمانُ وإن حرصت مسالما ... خلق الزمان عداوة الأحرارِ

أعمال المتقين، وولي تدريس الحديث بالناصرية ثم الصلاحية بالقدس وقطن به إلى أن مات سنة 761 هـ: الدرر الكامنة 2:212.

[1] المرشدة: هي العقيدة الموحدية التي كان الموحدون بالمغرب يلزمون تعلمها وتعليمها وحفظها الصغار والكبار، أنظر نصها في: ملء العيبة 5: 345.

[2] طبقات الشافعية الكبرى 8:185.

[3] طبقات الشافعية الكبرى 8:187.

[4] عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني، الشيخ الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات والمصنفات، له نظم التنبيه والوجيز وغريب القرآن وغير ذلك، مولده سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة وستمائة، وتوفي سنة 694 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:199. شذرات الذهب 3:450.

[5] أنظر: طبقات الشافعية الكبرى 8:202.

ومنها في ترجمة عز الدين ابن عبد السلام: قرأ الأصول على سيف الدين الآمدي، وسمع الحديث من الحافظ القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر، روى عنه ابن دقيق العيد، وهو الذي لقبه سلطان العلماء، ولد سنة سبع، أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وولي الخطابة والإمامة بدمشق، إلى أن أعطى السلطان مدينة ضيد للفرنج، فأنكر عليه هو وابن الحاجب، وغضب السلطان، فخرجا إلى القاهرة، ولما دخلها أكرمه حافظ العصر وزاهده عبد العظيم المنذري، وامتنع من الفتيا، وقال: كنا نفتي قبل حضور الشيخ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه، وكان مع فقره كثير الصدقات، ربما قطع من عمامته وأعطى فقيرا سأله، وعن جمال الدين ابن الحاجب، كان ابن عبد السلام أفقه من الغزالي، لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وتوفي سنة ستين وستمائة في تاسع جمادى الأولى[1].

وحكى أن شخصا جاء إليه وقال إني رأيتك في النوم تنشد[2]:

[طويل]

وكنتُ كذي رجلينِ رجلٌ صحيحة ورِجل رمى بها الزمانُ فشُلّت

فسكت ساعة ثم قال: أعيش من العمر ثلاثاً وثمانين سنة فإن هذا الشعر لكثير عزة، ولا نسبة بيني وبينه غير السن، أنا سني وهو شيعي، وأنا لست بقصير وهو قصير، ولست بشاعر وهو شاعر، وأنا سلمي وليس هو بسلمي، لكنه عاش هذا القدر، وكان الأمر كما قال[3]. ولا يعرف شعر إلا قوله:

[كامل]

لو كانَ فيهم من عراهُ غرام ما عَنفوني في هواه ولامُوا[4]

أنشده للطلبة وقال لهم أجيزوه، فأجازه شمس الدين عمر الأسواني (بقوله)[5]:

---

(1) نفسه 8:245.
(2) طبقات الشافعية الكبرى 8:245 ـ 246.
(3) نفسه 8:246.
(4) نفسه.
(5) زيادة من ط.

[كامل]

لكنــــهم جهلـــوا لـــذاذة حُـــسنهِ وعلمتُها ولذا ســـهرتُ ونـــامُوا[1]

لو يعلمونَ كمـــا علمـــت حقيقـــة جنحوا إلى ذاك الجنـــاب وهـــامُوا

أو لـــو بـــدتْ أنـــوارهُ لعيـــونهم خـــروا ولم تثبـــتْ لهـــم أقـــدامُ

إلى أن عرج منها إلى مدح الشيخ فقال:

مولايَ عز الدين عـــز بـــك العـــلا فخرا فـــدونَ حـــذاك منـــه الهـــامُ

لمـــا رأينـــا منـــكَ علمـــا لم يكـــن في الـــدرس قلنـــا إنـــه إلهـــامُ

جاوزت حد المدح حـــتى لم يطـــق نظما لفـــضلك في الـــورَى النظـــامُ

فعليـــك يـــا عبـــدَ العزيـــز تحيـــة وعليك يـــا عبـــد العزيـــز ســـلامُ

ومدحه أبو الحسين الجزاز[2] الأديب بقصيدة أولها[3]:

[خفيف]

سارَ عبدُ العزيز في الحُكـــم ســـيرا لم يسرهُ سوى ابـــن عبـــد العزيـــزِ

عمنـــا حكمـــةُ بفـــضل بـــسيط شـــاملٍ للـــورى ولفـــظ وجيـــزِ

قال في القواعد الكبرى: لم أقف على ما يعتمد على كون الربا من الكبائر، فإن كونه مطعوما، أو قيمة الأشياء، أو مقدوراً، لا يقتضي مفسدة عظيمة يكون كبيرة لأجلها[4]. وفي القواعد الصغرى: إن الملائكة لا يـــرون ربهـــم. وقـــال في الكبرى: إذا وجد شخصين مضطرين متساويين، ومعه رغيف إن أطعمه أحدهما عاش يوما ومات الآخر، وإن فضه عاش كل منهما نـــصف يـــوم، المختـــار أن تخصيص أحدهما غير جائز، لأن أحدهما قد يكون ولياً، وكذا لو كان له ولدان لا يقدر إلا على قوت أحدهما فض. وقال أيضا: من قذف شخصاً بمكان خـــال لا

(1) طبقات الشافعية الكبرى8: 246.
(2) في ط: الخراز.
(3) طبقات الشافعية الكبرى 8: 247.
(4) طبقات الشافعية الكبرى 8: 249.

يعلمه إلا الله والحفظة، الظاهر أنه ليس بكبيرة موجبة للحد. قال السبكي[1]: وأنا أسلم له الحكم ولا أسلم له أن هذا قذفا، لأن القذف هو الثلب والرمي، ولا يحصل بهذا القدر، وذكر في أماليه أن القاتل إذا ندم وعزم ألا يعود لكنه امتنع من تسليم نفسه للقتل، لم يقدح في توبته، وهذا ذنب جديد بعد الذي عصى به، خالف لما وقع به العصيان من القتل، ونحن إنما نشترط الإقلاع في الحال عن الفعل. واستحسن السبكي هذا قائلا: وإن خالفه نصوص الأصحاب. وقال أيضا: ينبغي أن يؤخر الصلاة عن أول الوقت بكل مشوش يؤخر الحاكم الحكم بمثله. وقال فيها أيضاً: القطع في السرقة يكفر ما يتعلق بربع دينار فقط، ولا يكفر الزائد. وقال فيها أيضاً: القتال في الجهاد أفضل من القتل.

قال السبكي[2]: وهذه المسائل الثلاث مليحة ظاهرة الحكم، لا ينبغي أن يطرقها خل. وقال في آخر كلام له في المنع من صلاة الرغائب: وهذه الصلاة لا يصليها إلا أهل المغرب الذين شهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لطائفة منهم أنهم لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة، وخالفه ابن الصلاح، وكان أفتى أولا بالمنع، ثم صمم بعد على خلافه.

منها في ترجمة المنذري[3] أن ابن عبد السلام كان يسمع الحديث قليلا بدمشق، فلما دخل القاهرة أبطل ذلك، وصار يحضر زكي الدين المنذري، ومن شعره[4]:

[كامل]

اعملْ لنفسكَ صالِحاً لا تحتفلْ بظهُورِ قيلٍ في الأنامِ وقالِ

فالخلقُ لا يرجى اجتماع قلوبهم لا بد من مُثن عليك وقالِ

---

(1) نفسه.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 8:251.

(3) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة ابن سعد المنذري، الحافظ الكبير الورع الزاهد، ولد سنة 581 هـ، وتوفي سنة 656 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:260.

(4) نفسه 8:281.

ومنها في ترجمة عبد الغفار القزويني[1]، صاحب الحاوي الصغير، أنَّه حج سنة حج الشيخ شهاب الدين السهروردي بعد ما أضر، وقال لأصحابه: أشم هنا رائحة رجل، ووصفه لهم فطلبوه فوافوه وهو يكتب في الحاوي وقد أضاء[2] له نور في الليل، وهو يكتب عليه فقالوا له: إن الشيخ يطلبك. فلما حضر وقال له ما تكتب؟ قال أصنف هذا الكتاب، ووصف له الحاوي، فقال له الشيخ: أسرع وعجل. فقيل للشيخ في ذلك، قال إن أجله قد دنا فأردت أن يفرغ من هذا الكتاب قبل أن يموت، فكان كذلك مات بعد الفراغ بيسير. قال السبكي[3]: وإضاءة النور وقت التصنيف للقزويني كرامة ذكرناها في ترجمة الرافعي ووالده.

ومنها في ترجمة عبد الكريم بن القاسم الرافعي[4] صاحب العزيز في شرح الوجيز، قال السبكي[5]: لم يصنف مثله في مذهب من المذاهب، من فوائده في قوله عليه السلام إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، [من أحصاها دخل الجنة][6] إنما قال مائة إلا واحدا لئلا يتوهم أنه على التقريب، وفيه [فائدة] رفع الاشتباه [فقد يشتبه] في الخط [تسعة وتسعون] بسبعة وسبعين. ومن كلامه:

[بسيط]

وكيف ما دارتِ الأيامُ مقبلةً   وغير مقبلة فالحمدُ محمودُ

وسئل الأصمعي[7] عن معنى يغان على قلبي، فقال عمن يروى ذلك؟ قيل عن النبي عليه السلام. قال لو كان عن غير قلب النبي فسرت لك، وأما قلبه فلا أدري، فكان شعبة، وهو السائل، يتعجب منه.

---

(1) عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزويني، الشيخ الإمام نجم الدين صاحب الحاوي الصغير واللباب وشرح اللباب المسمى بالعجاب، وله أيضا كتاب في الحساب، كان أحد الأئمة الأعلام، له اليد الطولى في الفقه والحساب وحسن الاختصار، توفي سنة 665 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:278.

(2) في خ وط: فأضاء.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 8:281.

(4) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني، الإمام الجليل أبو القاسم الرافعي، صاحب الشرح الكبير، له كتاب الإيجاز في أخطار الحجاز، ذكر أنه أوراق يسيرة ذكر فيها مباحث وفوائد خطرت له في سفره إلى الحج، توفي سنة 623 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:281.

(5) طبقات الشافعية الكبرى 285-8-286.

(6) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(7) نفسه 8:290.

وعن الجنيد لولا أنه حال النبي، صلى الله عليه وسلم، لتكلمت فيــه، ولا يتكلم على حال إلا من كان مشرفاً عليها وجلت حاله أن يشرف على نهايتــها أحد من الخلق. تمنى الصديق، رضى الله عنه، مع علو رتبته أن يشرف عليها فعنه: ليتني شهدت ما استغفر منه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال الرافعي: والذي يستحسنه والدي إنه الترقي في الدرجات، كلما ترقى درجة رأى التي تحتها قاصرة بالإضافة إليها، فيستغفر[1].

ومنها في ترجمة علي بن الأثير[2] صاحب التاريخ، لقبه عز الدين، وهو أخو مجد الدين صاحب النهاية وجامع الأصول، وأخو أبو زيد ضياء الدين صـــاحب المثل السائر.

ومنها في ترجمة علاء الدين علي بن النفيس الطبيب[3]، صـــنف في الطـــب كتاب الشامل، ولو تم لكان ثلاثمائة مجلد، تم منه ثمانون مجلداً.

ومنها في ترجمة سيف الدين الآمدي[4]، قال ابن عبد السلام: ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه، كأنه يخطب، إذا غير لفظا من الوسيط كان لفظه أسمى في المعنى. وقال أيضاً: ما علمنا قواعد البحث إلا من سيف الدين الآمدي. وقال لو ورد على الإسلام متزندق مشكك ما تعين لمناظرته غير الآمدي لاجتماع أهلية ذلك فيه.

---

(1) نفسه 8:291.

(2) علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، ابن الأثير، الحافظ المــؤرخ صــاحب الكامــل فــي التاريخ، ولد بالجزيرة العمرية سنة 555 هـــ ونشأ بها، ثم تحول بهم والدهم إلى الموصــل وأخــذ علــى شيوخها، وأقبل في أواخر عمره على الحديث، توفي سنة 630 هـــ: طبقات الشافعية الكبرى 8:299.

(3) علي بن أبي الحزم القرشي، الشيخ علاء الدين بن النفيس، الطبيب المصري صاحب التصانيف الفائقــة في الطب الموجز وشرح الكليات وغيرهما، كان فقيها على مذهب الشافعي، صنف شرحا علــى التنبيــه، توفي سنة 687 هـــ: طبقات الشافعية الكبرى 8:305.

(4) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الإمام أبو الحسن سيف الدين الآمدي، الأصــولي المــتكلم، ولد بعد الخمسين وخمسمائة بيسير بمدينة آمد، وقرأ بها القرآن، ثم قدم بغداد فقرأ بهــا القــراءات أيــضا، وتفنن في علم النظر وأحكم الأصلين والفلسفة وسائر العقليات، ثم دخل الديار المصرية وتصدر للإقــراء، خرج من القاهرة وقدم إلى حماة فأقام بها، ثم قدم دمشق ودرس بالمدرسة العزيزيــة، ثــم أخــذت منــه، وبدمشق توفي، من مصنفاته: كتاب الأبكار في أصول الدين، والإحكام في أصول الفقه: طبقــات الــشافعية الكبرى 8:306.

ومنها في ترجمة عبد الوهاب ابن بنت الأعز[1]، وقال أهل التجربة: إن هذه الأقاليم المصرية والشامية والحجازية متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت، ومتى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعي زالت دولته سريعاً، وكأن هذا السر جعله الله في هذه البلاد كما جعل مثله لمالك في بلاد المغرب ولأبي حنيفة فيما وراء النهر، فكان الرأي السديد لمن رأى قواعد البلاد مستمرة على شيء غير باطل أن يجري الناس على ما يعهدون، هـ كلام السبكي. وقال: لما مات ابن بنت الأعز رثاه بعضهم بأبيات منها[2]:

[كامل]

يا دهرُ بِع رُتَبَ المعالي بعده ... بيعَ الهوان ربحتَ أم لم تربحِ

قدمْ وأخر من تشاء من الورى ... ماتَ الذي قد كنتَ منه تستحي

وقال السبكي في ترجمة عمر السهروردي[3]: المشهور في المذهب، المصحح عن المتأخرين، أن الاستماع إلى الأجنبية غير مُحَرَّم كما زعم السهروردي.

ومنها في ترجمة فضل الله التوربشتي[4]، وتُوربشْت بضم التاء، بعدها واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم باء مكسورة ثم شين ساكنة ثم تاء، ومن الفوائد عنه ما ذكره في شرح المصابيح في قوله عليه السلام: ابن لبون، وذكر وبنت لبون أنثى، أن الابن والبنت إنما يختصان بالذكر والأنثى عند الإطلاق في بني آدم، وأما في غيرهم فقد استعمل على غير هذا الوجه، فقيل: ابن عرس وابن آوى وابن دأية وابن ذكاء وبنت الأرض وبنت الجبل وما أشبه ذلك من الأسماء.

قال السبكي[5]: وذكر المازري في شرح التلقين ما نصه: حكي عن بعضهم أن لفظ الذكر والأنثى هنا للتأكيد وحسنه اختلاف اللفظين كقوله تعالى

---

(1) عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي، تاج الدين ابن بنت الأعز، ولد سنة 604 هـ، وسمع من جعفر الهمذاني، وقرأ سنن أبي داود على الحافظ زكي الدين، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية والوزارة والنظر، واجتمع له من المناصب ما لم يجتمع لغيره، توفي سنة 665 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 319:8. النجوم الزاهرة 222:7.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 323:8.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 341:8.

(4) فضل الله التوربشتي، محدث فقيه من أهل شيراز، شرح مصابيح البغوي، مات في حدود الستين والستمائة: طبقات الشافعية الكبرى 349:8.

(5) طبقات الشافعية الكبرى 351:8.

(وغرابيب سود)[1]، قال المازري: والمرضي عندي أنَّ هـذا ورد للتنبيه على مشروعية كل منهما في هذا النصاب الواحد وهما مختلفان في السن على خلاف قاعدة بقية النصيب ليتبين أنهما كالمتفقين إذا توصل حالهما لأن بنت مخاض وإن كانت صغيرة حينئذ لا يحمل عليها فلها فضيلة الأنوثة المتوقع منها الدر والنسل وهو مقصود، واختص عنها الذكر في هذه الحالة بنيل الشجر وأكل الكلإ، ويمنع صغار السباع عن نفسه، ويرد المياه ويحمل عليه، فهما كالمتوازيين، فأشار عليه السلام بتنفيذ كل واحد منهما بوصفه الخاص به، المشعر بتلك الخصوصية، وهو مثل قوله عليه السلام في الفرائض بلا ولي رجل ذكر.

وفي ترجمة تاج الدين ابن عطاء الله قال: كان شافعي المذهب، وقيل كان مالكياً[2].

ومنها في ترجمة أحمد شهاب الدين ابن جبريل، له تأليف في الرد على ابن تيمية في إثبات الجهة، ونقله بجملته، وفيه طول.

ولابن نباتة[3]:

[كامل]

لا تخشَ من غَم كغيم[4] عارِض ... فلسوفَ يُسفر عن إضاءةِ بدرِهِ
إن يُمس عن عباس حالك راويا ... فكأنني بكَ راويا عن بشرِهِ
ولقد تمر الحادثاتُ على الفتى ... وتزولُ حتى ما تمر بفكرِهِ
هونْ عليكَ فرُب أمر هائل ... دفعت قواه بدافع لم تدرِهِ
ولرُب ليل بالهموم كدمل ... صابرتهُ حتى ظفرتُ بفجرِهِ

---

(1) فاطر: 27.
(2) طبقات الشافعية الكبرى 9:23.
(3) نسبت الأبيات في طبقات الشافعية الكبرى لأبي المعالي بن القماح: طبقات الشافعية الكبرى 9:93.
(4) في ط: لغيم.

ومنها في ترجمة محمد شمس الدين ابن اللبان[1]، من كلامه على حديث: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، إلخ، فيه إشارة إلى أن خشية سوء الخاتمة مخصوص بأعمال أهل الجنة، وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد فلا يُخْشَى عليهم، ولهذا قال يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فافهم بذلك أن المتقرب متقربان، متقرب إلى الجنة بأعمالها، [ومتقرب][2] إلى الله بذكره كما ثبت في أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إلى قوله: وإن تقرب إلي ذراعا [تقربت منه باعا]، وذلك يفهمك أن المتقرب إلى الله لا يمكن أن يبقى بينه وبينه ذراع لأن ذلك الذراع إن كان التقرب به مطلوبا من العبد لم يبق بعده مقدار يتقرب الله تعالى به إليه وذلك يستلزم الخلف في خبره، وهو محال، وإن كان موعودا به من الله لزم تنجيز وعده وتحقق القرب للعبد، فلا يبقى بعد ولا دخول إلى النار، فعلم أن ذلك الذراع مخصوص بأهل القرب إلى الجنة، فافهمه فإنه بديع، هـ ما نقله السبكي.

قلت: وفيه عندي شيء لأنه يقال قد يكون المطالب به العبد، ولا يلزم من مطالبته به فعله حتى يلزم المحذور،لأنه قد لا يفعله إن حقت عليه السابقة، فالخوف على كل حال لازم.

وقال أيضا[3]: أنكر ابن العربي الرؤية في الموقف في كتاب العارضة، وقال إن نعيم الرؤية لا يكون إلا في الجنة، وما في الموقف امتحان، والصحيح خلافه.

ومنها في ترجمة شمس الدين بن عدلان[4] أنه أفتى في وقف اشترط صاحبه أن لا يليه إلا ورع، والورع ترك الشبهات، وخالفه الشيخ الإمام فقال: الورع اضطرب فيه العرف، وأقله ترك الكبائر، فيكتفي فيه بظاهر العدالة. وأفتى ابن

---

(1) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن، الشيخ شمس الدين بن اللبان، صحب في التصوف الشيخ ياقوت المقيم بالإسكندرية، برع ابن اللبان فقها وأصولا ونحوا وتصوفا ووعظ الناس وعقد مجلس التذكير بمصر، ودرس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي رضي الله عنه، واختصر الروضة، وبوب الأم ورتبها على المسائل والأبواب، توفي بالطاعون سنة 749 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:94.

(2) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 9:96.

(4) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان،الشيخ الإمام، سمع من العز الحراني والحافظ أبي محمد الدمياطي وأبي الحسن علي بن نصر الله بن الصواف، وأفتى وناظر ودرس وأفاد وناب في الحكم عن شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد، مولده سنة نيف وستين وستمائة، وتوفي في الطاعون سنة 749 هـ بالقاهرة: طبقات الشافعية الكبرى 9:97.

عدلان أيضا في وقف اشترط صاحبه أن لا يليه من له ولاية، فإنه يليه من له إمامة مسجد، وخالفه الشيخ الإمام لنص الشافعي أن الإمامة ولاية في قوله: وما أكره الإمامة، إلا أنها ولاية، وأنا أكره سائر الولايات.

ومنها في ترجمة محمد شمس الدين الذهبي الحافظ[1]، قال السبكي: اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص، المزي[2] والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام [الوالد][3] لا خامس لهؤلاء في عصرهم.

وبعدما بالغ في الثناء عليه قال[4]: وكان شيخنا والحق أحق ما قيل، شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة الأشاعرة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم ولا يصفهم بخير، صنف التاريخ الكبير، وما أحسنه لولا تعصب فيه، وأكمله لولا نقص فيه، وكان قد أضر قبل موته بمدة يسيرة، أنشدنا لنفسه:

[متقارب]

تولى شبابي كأن لم يكنْ ... وأقبلَ شيبٌ علينا تولى

ومنْ عاينَ المنحنى والنقا ... فما بعد هذين إلا المُصلى

وقال لي شيخنا الذهبي مرة: من في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق بالإجماع؟ فقلت: يفيدنا الشيخ، فقال: عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه من أمة المصطفى يترل على باب دمشق ويأتم في الصلاة بإمامها ويحكم بهذه الشريعة.

ومنها في ترجمة محمد فتح الدين القليوبي[5]، أرسل له بعضهم بُسرا كثير النوى فكتب إليه[6]:

[كامل]

أرسلتَ لي بُسرا حقيقته نوى ... عارٍ فليسَ لجسمهِ جلبابُ

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 9:100.
(2) في ط: المزني.
(3) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.
(4) طبقات الشافعية الكبرى 9:103.
(5) محمد بن أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبي القاضي، كان فقيها شاعرا مجيدا، ولي القضاء بأشموم ثم بأبيار، ثم ولي قضاء صفد، ثم انصرف منها وعاد إلى الديار المصرية وتقلبت به الأحوال، توفي سنة 725 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:126.
(6) نفسه.

ولـئن تباعـدتِ الجـسومُ فودنـا باقٍ ونحن علـى النـوى أحبـابُ

إذا كتب (شخص)[1] آية فطمسها بالمداد أو قطع حروفها، هـل يمـسها الجُنُب؟ فيها وجهان[2].

ولبدر الدين بن جماعة[3] أنشدها لنا ولده عز الدين[4]:

[بسيط]

جهاتُ أموال بيتِ المـال سـبعتها في بيتِ شعر حَواهـا فيـه كاتبـهُ

خمسٌ وفيء خـراج جزيـة عـشر وإرث رد ومـال ضَـل صـاحبهُ

وله أيضا[5]:

[طويل]

ومنْ كان لا يُرضيه من حالتي سوى خِلاف مُراد الله مـا حـيلتي فيـه

وقال في الرحمن الرحيم: فعلان مبالغة في كثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام كغضبان، وفعيل لدوام الصفة كظريف، فكأنه قيل العظيم الرحمة الدائمها.

وللسبكي[6]:

[وافر]

فـذم الـدهرِ للإنـسان خـير مـن الإنـسان ذم لـه الزمـانُ

ولغيره[7]:

[كامل]

---

(1) زيادة من ط.

(2) المسألة من فوائد محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى الشيخ عماد الدين البلبيسي: طبقات الشافعية الكبرى 9:129.

(3) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، قاضي القضاة، محدث فقيه، ولد سنة 639 هـ بحماة، ولي قضاء القدس مدة، مات بمصر سنة 733 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:139.

(4) نفسه 9:139.

(5) نفسه 9:142.

(6) نفسه 9:152.

(7) نفسه 9:153.

جهلُ الفتى عارٌ عليه لذاته وخمولُهُ عارٌ على الأيامِ

وقال آخر[1]:

[بسيط]

ما في خُمولي من عارٍ على أدبي بل ذاك عارٌ على الدنيا وأهليها

وقال آخر[2]:

[خفيف]

أن يكونَ[3] الزمانُ عيبي أوْلى بيَ[4] من أن أكونَ عيبَ الزمانِ

ومنها في ترجمة صفي الدين الهندي[5] المتكلم الأصولي، وكان خطه في غاية الرداءة، فيحكى أنه قال: وجدت في سوق الكتب مرة كتاباً بخط ظننته أقبح من خطي، فغاليت في ثمنه، واشتريته لأحتج به على من يدعي أن خطي أقبح الخطوط فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القديم.

ومنها في ترجمة كمال الدين الزملكاني[6]، ومن فوائده في تفسير قوله تعالى (التائبون العابدون)[7] الآية، في الجواب عن السؤال المشهور؛ وهو أنه لَم ترك العطف في الجميع وعطف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ وقال: عندي فيه وجه حسن وهو أن المقام إذا كان مقام تعداد صفات من غير انظر إلى جمع أو انفراد، حسن إسقاط حرف العطف، وإن أريد الجمع بين الصفتين، أو التنبيه على تغايرهما، عطف بالحرف، وكذا إذا أريد التنويع لعدم اجتماعهما أتى بالحرف،

---

(1) نفسه 9:153.

(2) نفسه 9:153.

(3) في ط: إن أكن.

(4) ساقط من ط.

(5) محمد بن عبد الرحيم بن محمد، الشيخ صفي الدين الهندي الأرموي، المتكلم على مذهب الأشعري، من تصانيفه في علم الكلام الزبدة، وفي أصول الفقه النهاية والفائق والرسالة السيفية، مولده ببلاد الهند سنة 644 هـ، ورحل إلى اليمن سنة 667 هـ، ثم حج وقدم إلى مصر، ثم سار إلى الروم،ثم قدم دمشق سنة 685 هـ واستوطنها، توفي بدمشق سنة 715 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:162.

(6) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم، كمال الدين بن الزملكاني، الإمام العلامة المناظر،قرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي، والنحو على الشيخ بدر الدين ابن مالك، ولد سنة 667 هـ، ولي قضاء حلب مدة، توفي سنة 727 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:190.

(7) التوبة: 113.

وفي القرآن أمثلة تبين ذلك؛ (عسى ربه إن طلقكن)[1] الآية. عطف الأخيرين، لأن المقصود من الصفات الأول ذكرها مجتمعة، والواو قد توهم التنويع، فحذفت، وأتى بالواو في الأخيرين لتضاد النوعين. وقال تعالى: (غافر الذنب)[2] الآية. عطف الأولين دون الأخيرين، لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يتوهم أنهما يجريان مجرى الواحد، لتلازمهما، فمن غفر الذنب قبل التوب، فبين بالعطف أنهما مفهومان متغايران يجب أن يعطى كل واحد منهما حكمه، وذلك في العطف أبين. وأما الأخيرين فكالمتضادين فحذف ليعرف أنهما مجتمعان في ذاته، فحسن ترك العطف.

وأما آية (التائبون العابدون)[3]، فيتضح معنى العطف فيها وتركه مما ذكر لأن كل صفة لم تعطف مغايرة للأولى، والغرض في اجتماعهما أنهما كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يحتج إلى العطف فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما كالمتلازمين كـ(غافر الذنب وقابل التوب)[4]، حسن العطف ليبين أن كل واحد معتد به لا يكفي منه ما يحصل في ضمن الآخر بل لا بد من صريح الأمر والنهي، فاحتاج إلى العطف، وأيضا لما كان الأمر والنهي ضدين كانا كالنوعين المتغايرين في قوله: (ثيبات وأبكارا)[5].

ومن فوائده أيضاً: إذا استخار الإنسان فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرحت نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس.

ومنها في ترجمة ابن دقيق العيد[6] شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد، المجتهد المطلق، وأطال في الثناء عليه إلى أن قال: قال أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري: لم أرَ مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجل منه فيما رويت، إلى أن قال: له بالتجريد تخلق، وبكرامات الصالحين تحقق، وله مع ذلك في الأدب باع وكرم طباع، حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب يقول: لم تر عيني آدب منه. قال السبكي: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يخالف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس

---

(1) التحريم: 5.
(2) غافر: 2.
(3) التوبة: 113.
(4) غافر: 2.
(5) التحريم: 5.
(6) طبقات الشافعية الكبرى 9:207.

السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً، ولد في البحر المالح، وكان أبوه متوجها من قوص إلى مكة ولذلك ربما كتب الثبجي، ثم أخذه والده على يده وطاف به وهو يدعو الله أن يجعله عالما عاملاً.

ويحكى أنه قرأ على والده [الحديث][1] المسلسل، يقول وأنا دعوت فاستجيب لي فسئل ما الذي دعوت [به] فقال: أن ينشئ الله ولدي محمدا عالماً، وكان والده مالكيا، ثم تفقه هو على عز الدين بن عبد السلام فحقق المذهبين، ولذلك يقول فيه ابن القويع في قصيدة:

[وافر]

صبا للعلم صبا في صباه	فأعلن بهمة الصَّب الصبيِّ
وأتقنَ والشباب له لباس[2]	أدلةَ مالك والشافعيِّ

وذكر له كرامات، وكان يقول ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلا إلا أعددت له جوابا بين يدي الله، وكان يخاطب السلطان فمن دونه بقوله يا إنسان، وإن كان [المخاطب][3] فقيها كبيرا قال [يا] فقيه وتلك كلمة لا يسمح بها إلا لابن الرفعة ونحوه، وكان يقول للشيخ علاء الدين الناجي يا إمام ويخصه بها.

قال السبكي[4]: سمعت الشيخ عليا الهجار[5] المكشوف الرأس يقول: مَرَّ أبو العباس المرسي بالقاهرة في غلاء فرق على الناس، وتمنى لو كان معه ما يؤثرهم به، فأحس بثقل في جبته، فأدخل يده، فأخرج دراهم جملة، ودفعها للخباز، وفرق الخبز على الفقراء، فلما انصرف ناداه الخباز: هي زيوف، فتفكر في نفسه أن رقته اعتراض فاستغفر، فوجدها الخباز جيدة، وجاء إلى ابن دقيق العيد وحكى له الحكاية فقال له ابن دقيق العيد: يا أستاذ أنتم إذا رفقتم على أحد تزندقتم، ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا، وأنشد له أبياتا كثيرة منها[6]:

[سريع]

---

(1) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.
(2) في ط: قياس.
(3) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.
(4) طبقات الشافعية الكبرى 9:213.
(5) في ط: الهجام.
(6) طبقات الشافعية الكبرى 9:214.

كمْ ليلة فيـــك وصَـــلنا الـــسرى لا نعـــرفُ الغمـــضَ ولا نـــستريحْ
واختلف الأصحابُ مـــاذا الـــذي يزيـــلُ مـــن شـــكواهمُ أو يـــريحْ
فقيــــــلَ تعريـــــسهم ســــاعة وقيلَ بل ذكراك وهْـــو الـــصحيحْ

(غيره له)[1]:

[كامل]

أتعبتَ نفسكَ بـــين ذلـــة كـــادح طلبَ الحياة وبين حـــرص مؤمـــلِ[2]
وأضعتَ نفسك لا خلاعـــة مـــاجن حـــصلتَ فيـــه ولا وقـــار مبجـــل
وتركتَ حظ النفس في الـــدنيا وفي الأخرى ورُحت عن الجميع بمعـــزلِ

(غيره له)[3]:

[بسيط]

أهل المناصب فِي الـــدنيا ورفعتـــها أهل الفضائل مرذولـــون بينـــهمُ[4]
قد أنزلونـــا لأنـــا غـــير جنـــسهم منزلة الوحش في الإهمـــال عنـــدهمُ
فما لهـــم في تـــوقي ضـــرنا ضـــرر ولا لهـــم في ترقـــي قـــدرنا همـــمُ
فليتنـــا لـــو قـــدرنا أن نعـــرفهم مقدارنا عندهم أو لـــو دروه هـــمُ
لهم مُريحان من جهل وفـــرط غـــنى وعنـــدنا المُتعبـــان العلـــمُ والعـــدمُ

(غيره له)[5]:

[طويل]

إذا كنتُ في نجد وطيـــب نـــسيمها تذكرت أهلي بـــاللوى فمحجـــرِ[1]

---

(1) زيادة من ط.
(2) نفسه.
(3) زيادة من ط.
(4) طبقات الشافعية الكبرى 9:215.
(5) زيادة من ط.

فإن كنتُ فيهم ذبت شوقا ولوعـــة على ساكني نجد وعيـــل تـــصبري
وقد طالَ ما بين الفـــريقين قـــصتي فمن لي بنجد بين قومي ومعـــشري

(غيره له)[2]:

[كامل]

ادأبْ على جمْع الفـــضائلِ جاهـــدا وأدم لها تعب القريحـــة والجـــسدْ[3]
واقصدْ بها وجهَ الإلـــه ونفـــع مـــن بلغته ممـــن جـــد فيهـــا واجتهـــدْ
واترك كـــلامَ الحاســـدين وبغـــيهم همْلا فبعدَ المـــوت ينقطـــع الحـــسدْ

أنشدها في أول خطبة[4] لابن الحاجب.

ومنها في ترجمة فتح الدين ابن سيد الناس[5]، بعد الثناء الكثير عليه: لما ولي الوالد مشيخة الحديث بالظاهرية، سعى فيها الشيخ فتح الدين وســـاعده نائـــب السلطنة، و لم يتجاسروا على الشيخ، فأرسل إلى الشيخ الوالد يقول له: أنت تصلح لكل منصب في كل علم، وأنا إن لم يحصل لي تدريس حديث ففي أي علم يحصل لي تدريس، فرق له الوالد وتركها له، ثم ذكر له نظما حسنا[6].

ومنها في ترجمة ابن نباتة[7] أديب العصر، له فنون ثلاثة لم نر من لحقـــه ولا قاربه فيها، سبق الناس إلى حسن النظم فما لحقه لاحق، وإلى أنواع النثر فما قاربه مقارب، وإلى براعة الخط فما قدر معارض على أن يحكي له خطا.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 9:229.
(2) زيادة من ط.
(3) في ط: من.
(4) في ط: شرحه.
(5) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، الأندلسي الأشبيلي ثم المصري، الحافظ الأديب، أجاز له النجيب الحران، وحضر على الشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي، له تصانيف ونظـــم كثيـــر، تـــولى مشيخة الحديث بالظاهرية واستمر بها إلى أن مات سنة 734 هـــ: طبقات الشافعية الكبرى 9:268. لقـــط الفرائد، ص: 187.
(6) نفسه 9:270.
(7) طبقات الشافعية الكبرى 9:273.

ومنها في ترجمة شيخه أبي حيان[1] بعد الثناء الكثير: جال في بلاد المغرب، ثم قدم مصر قبل سنة ثمانين وستمائة، أخذ عنه غالب مشيختنا وأقراننا، منهم الشيخ الإمام، وناهيك بها لأبي حيان منقبة، وكان يعظمه كثيراً، وله نظم كثير، موشحاته أجود من شعره. ثم ذكر له شعراً كثيراً إلى أن ذكر منظومة حازم الميمية التي امتدح بها بعض سلاطين تونس، وضمنها علم النحو، وذكر مسألة؛ فإذا هو هي أو إياها، قال السبكي في بيان ذلك[2]: إذا وقع بعد الفجائية ضميران نحو قولك فإذا هو هي، الأصل فإذا هو مثلها، فمثلها خبر مضاف إلى الهاء، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فارتفع [وانفصل وصار فإذا هو هي][3]، ومن قال [فإذا هو] إياها فالأصل [فإذا هو] يشبهها، ثم حذف الفعل والفاعل وبقي المفعول فانفصل[فصار فإذا هو إياها] ونظيره في حذف الخبر وبقاء معموله قراءة [علي رضي الله عنه] (ونحن عصبة)[4] أي [ونحن] نوجد [عصبة]، وقول النابغة:

[طويل]

وحلتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغيا ... سواها ولا في حبها مُتراخيا

أي لا أوجد باغيا.

وقد أخذ شاعر العصر ابن نباتة أكثر أبيات الملحة وضمنها في مدح الشيخ الإمام، وذكر منها جملة.

ومنها في ترجمة خليل بن أيبك الصفدي[5]، صنف الكثير من التاريخ والأدب، قال لي إنه كتب أزيد من ستمائة مجلد مصنفاً، وكانت بيني وبينه

---

(1) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الأصل الغرناطي المولد والمنشأ المصري الدار، شيخ النحاة، مولده بغرناطة سنة 654 هـ وبها نشأ وقرأ القراءات والنحو واللغة، وجال في بلاد المغرب، ثم قدم مصر قبل سنة ثمانين وستمائة، توفي بالقاهرة سنة 745 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:276. لقط الفرائد، ص: 196.

(2) نفسه 9:299.

(3) زيادة من طبقات الشفعية الكبرى.

(4) يوسف: 8.

(5) خليل بن أيبك الشيخ صلاح الدين الصفدي، الإمام الأديب الناظم الناثر، ولد سنة 696 هـ، وقرأ يسيرا من الفقه والأصلين، وبرع في الأدب نظما ونثرا، له عدد من المصنفات المشهورة، توفي سنة 764 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:6. الأعلام 2:315.

صداقة، فإنه كان يتردد إلي والدي فصحبته، وكانت له همة عالية في التحصيل، ما صنف كتابا إلا وسألني فيه عما يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو[1].

ومنها في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المطرزي عضد الدولة الشيرازي[2]، يذكر أنه من نسل أبي بكر الصديق، اشتغل على الشيخ زين الدين الهنكي، ثم ذكر مكاتبته مع فخر الدين الجاربردي، ومراجعته وانتصار ولده إلى كلام بعض الأئمة في الآية المسؤول عنها، ثم ذكر كلام ولده، ومن جملته أن الله [تعالى] تحدى بالقرآن في أربع سور في ثلاث منها بصفته في نفسه، في يونس[3] وهود[4] والإسراء[5]، [والسياق في ذكر القرآن من حيث هو هو] ولذلك لم يوت بمن في الأولين، [لفظة من المحتملة للتبعيض ولابتداء الغاية فتركها يعين الضمير للقرآن]. وفي [سورة] البقرة [لما قال (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)[6] قال: (فأتوا بسورة من مثله) فيكون من لابتداء الغاية والضمير في مثله للنبي ويكون قد] تحداهم فيها بنوع آخر من التحدي غير المذكور في السور الثلاث وذلك أن الإعجاز من جهتين؛ من فصاحة القرآن وهو المقصود، في [السور] الثلاث، ومن إتيانه[7] من النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب وهو المتحدى به في البقرة، إلى أن قال[8]: وهذان النوعان من التحدي يشتملان[9] على أربعة أقسام لأن التحدي بالقرآن أو ببعضه بالنسبة إلى من يقرأ ويكتب وإلى من ليس كذلك[10] والتحدي بالنسبة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، بالنسبة إلى مثل المترل وإلى أي سورة كانت، [فإن من لم يكتب لا يأتي بها] فصار الإتيان بسورة من مثل النبي،

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 6:10.

(2) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي المطرزي، قاضي القضاة عضد الدين الشيرازي، كان إماما في المعقولات عارفا بالأصلين والمعاني والبيان والنحو مشاركا في الفقه، له في علم الكلام كتاب المواقف،وفي أصول الفقه شرح مختصر ابن الحاجب، وفي المعاني والبيان القواعد الغياثية، مولده بايج من نواحي شيراز بعد سنة ثمانين وستمائة، وتوفي مسجونا سنة 756 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 46:10.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا): الإسراء: 88.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله): يونس: 38.

(5) إشارة إلى قوله تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات): هود: 13.

(6) البقرة: 23.

(7) في ط: إثباته.

(8) طبقات الشافعية الكبرى 59:10.

(9) في خ وط: يشتمل.

(10) في خ وط: لا يقرأ ولا يكتب.

صلى الله عليه وسلم، ممتنعا شابهت القرآن أم لا، والإتيان بسورة من مثل القرآن ممتنعا كانت من كاتب قارئ أو من غيره، هـ المقصود.

وحاصل ما ذكره هو وغيره في كلام الزمخشري أن امتناع عود الضمير في مثله لما نزلنا عند تعلقه بـ(فآتوا)، وهو رابع الاحتمالات، يستلزم وجود مثل القرآن، إلا أنهم عجزوا عن الإتيان منه بسورة، وهذا الذي أطبقوا عليه عندي فيه نظر لأن المراد مثل القرآن في زعمهم، لأنهم زعموا ذلك فقالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا، (إن هذا إلا أساطير الأولين)[1]، فتحداهم الله تعالى بالإتيان من ذلك المثل، الذي زعموه إن كان مثلا حقا بسورة فليتأمل، والوجوه الأربعة أن يكون من مثله صفة لسورة أو متعلقاً بـ: (فآتوا)، والضمير في كليهما إما (لما أنزلنا)، أو (لعبدنا).

ومنها في ترجمة عبد الغفار بن نوح[2]، كذا يقال، وإنما اسم والده أحمد بن عبد المجيد بن عبد الحميد الأقصري القوصي، صاحب كتاب الوحيد في التوحيد[3]، أخذ الحديث من الدمياطي والمحب الطبري، حج فلما أبصر الكعبة قال لنفسه[4]:

[كامل]

دعني أعفرُ جبهتي بترابها وأقبلُ الأعتابَ من أبوابها

خودٌ رأيت البدرَ تحت نقابها سلبت رجال الحي عن ألبابها

فالكل صرعى دون رفع حجابها

مات بالقاهرة، وأوصى أنه إذا دفن أن يترع عنه الكفن ليلقى الله عريانا.

ومنها في ترجمة جده عبد الكافي[1]، كان من أعيان نواب ابن دقيق العيد، قرأ الأصول على القرافي، وكان كثيرا ما ينشد[2]:

---

(1) الأنعام: 25.

(2) عبد الغفار بن نوح، له كتاب الوحيد في التوحيد، طلب العلم وسمع الحديث من الحافظين أبي محمد الدمياطي والمحب الطبري، مات بمصر سنة 708 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:87.

(3) في خ وط: الوجيز.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 10:88.

[سريع]

يـــا أيهـــا المغـــرورُ بـــالله | فــــــر مـــــــن الله إلى الله
ولـــذ بـــه وسـلةُ مـــن فـضله | لقـــد نجـــا مـــن لاذ بـــالله
وقـــم لـــه والليـــل في جنحـــهِ | فحبــــذا مـــن قـــام لله
واتـــلُ مـــن الـــوحي ولـــو آيـــة | تُكـــسى بهـــا نـــورا مـــن الله
وعفـــر الوجـــه لـــه ســـاجدا | فعـــــز وجـــــهٌ ذل لله

قال: سمعت شيخنا الإمام تقي الدين أبا الفتح بن دقيق العيد يقول: أقمت مدة أطلب الفرق بن الجهر والسر فلم أجد إلا قوله ما أسر من أسمع نفسه.

ومن خطه: نسبتنا معاشر السبكية [إلى] الأنصار، ولم يكتب الشيخ الإمام الأنصاري قط في نسبه تورعا منه رحمه الله، وكان شيخنا الدمياطي يكتبها لـــه، ومدحه الشعراء بقصائد فيها نسبته إلى الأنصار ولم ينكر، وكان أتقـــى مـــن أن يسكت على ما يعلمه باطلاً.

ومنها في ترجمة عبد الكريم علم الدين العراقي[3]، أنه قال في درس ابن بنت الأعز على وجه السؤال في حديث: إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، لا يخلو إما أن يحصل للطير الحياة بتلك الروح وهو عين ما تقوله الناسخية، أو لا، وهو مجرد حبس الأرواح وسجنها. قال السبكي: الجواب أن يلتزم الثاني ولا يلزم كونه [مجرد] حبس [وسجن] لجواز أن يقدر الله لها [في تلك الحواصـــل] مـــن السرور والنعيم ما لا تجده في الفضاء [الواسع]. قلت: وهذا الجواب عندي غـــير كاف، ولا بد من أبسط من هذا، ولا يسعه هذا المحل.

---

(1) عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، كان من أعيان نواب الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، قرأ الأصـــول على القرافي والفروع على الظهير التزمنتي، له نظم كثير غالبه زهد ومدح في النبي عليه الـــسلام، تـــوفي سنة 735 هـــ: طبقات الشافعية الكبرى 10:89. لقط الفرائد، ص: 189.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 10:91.

(3) عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، الشيخ علم الدين العراقي الضرير، صنف فيه الإنـــصاف فـــي مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير، مولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وتوفي في سنة 704 هـــ بالقاهرة: طبقات الشافعية الكبرى 10:95.

ومنها في ترجمة الحافظ عبد المومن بن خلف الدمياطي[1]، روى عن المنذري، وروى عنه من الأئمة الحافظ المزي، وقال: ما رأيت أحفظ منه، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن سيد الناس، والحافظ محمد بن شامة الطائي، والحافظ الوالد، رحمهم الله، وكان الوالد أكثرهم ملازمة له، وسأله الحافظ علي بن محمد اليونيني عن هلال ومرار هل شهدا بدراً وأطال في السؤال، فإن ابن الجزري وغيره أنكر ذلك، فأجاب بأن قال: لم يشهدا بدرا ولا أحدا أيضا، وإن ذكرهما الإمام الإمام أحمد والبخاري ومسلم، وإمام الشرق والغرب ابن عبد البر، قلت: كان هذا تنكيتا منه، لأن اليونيني سماه بذلك، قال: وإنما قلد بعضهم بعضاً، والمقلد الأول الزهري، ومنه أتى الوهم، وممن ذكرهما في الطبقة الثانية ممن شهدا أحدا فلقدم إسلامهما لا لشهودهما الوقعة، ثم قال: وأما قولكم لصاحب الاستيعاب إمام المغرب والمشرق فلقد عثرت له على أوهام كثيرة في كتابه، ثم ذكر منها شيئاً، وأما إمام الدنيا أبو عبد الله البخاري ففي جامعه الصحيح أوهام، ثم ذكر منها شيئاً.

ومنها في ترجمة علي بن عبد الظاهر الأخميمي[2]، قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)[3]، ومن للتبعيض، ومعنى التبعيض [أن] لا ترفع شيئاً من بصرك إلى شيء من المعاصي[4].

ومنها في ترجمة علي بن إسماعيل القونوي[5] بعد الثناء الكثير عليه، وذكر أن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد قال: إنه يطلق على القونوي اسم الفاضل استحقاقا. وناهيك بابن دقيق العيد. شرح كتاب التعرف، واختصر المعالم وغير ذلك.

---

[1] عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن، الحافظ شرف الدين الدمياطي، ولد سنة 613 هـ، وتوفي سنة 705 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 102:10. لقط الفرائد، ص: 165.

[2] علي بن أحمد بن جعفر، صاحب أحوال ومقامات، توفي سنة 701 هـ بإخميم: طبقات الشافعية الكبرى 130:10.

[3] النور: 30.

[4] طبقات الشافعية الكبرى 132:10.

[5] علي بن إسماعيل بن يوسف قاضي القضاة الشيخ علاء الدين القونوي، درس بدمشق ثم قدم القاهرة وأقام بها مدة، وولي التدريس بمدارسها، صنف شرح الحاوي، واختصر منهاج الحليمي، وشرح كتاب التعرف في التصوف، ثم ولي قضاء الشام إلى أن مات سنة 729 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 132:10. لقط الفرائد، ص: 184.

ومنها في ترجمة والده علي بن عبد الكافي[1]، الشيخ الإمام، الفقيه المحدث، الحافظ المفسر، المقرئ الأصولي، المتكلم، النحوي اللغوي، الأديب، الحكيم المنطقي، الجدلي الخلافي، النظار، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، تقي الدين، إمام الناس؛ جامع كل علم، فريد الدهر، أسمى من تسامى. وبالغ في الثناء عليه جدا إلى أن قال: أقسم بالله إنه لفوق ما وصفته، وإني لناطق بهذا وغالب ظني أني ما أنصفته. قال: حكى أنه لم يأكل لحم الغنم إلا بعد العشرين من عمره لحدة ذهنه، وإذا شم رائحته حصل له شيء، دخل القاهرة مع والده، وعرض على ابن بنت الأعز وغيره، وقيل إن والده دخل به على ابن دقيق العيد، وأنه قال له: رده إلى البر حتى يصير فاضلا، ثم عد به إلى القاهرة، و لم يعد حتى مات الشيخ، ثم ذكر جملة من أشياخه، ثم قال: سمع منه المزي والذهبي والبرازلي وغيرهم، وذكره الذهبي في المعجم الصغير، وأثنى عليه إلى أن قال: سمعت منه وسمع مني،وذكر أحمد بن يحيى بن فضل الله في المسالك وأثنى عليه كثيرا إلى أن ذكر رده على ابن تيمية في مسألة الزيارة ومسألة الطلاق، وأنشد ابن فضل الله:

[كامل]

وتطاعنا وتوافقتْ خيلاهُما ... وكلاهُما بطلُ اللقاءِ مقنعُ

قال التاج[2]: هذا كلام ابن فضل الله، ولا يخفى ما بينه وبين الوالد من الشحناء، رحل إلى الشام في طلب الحديث سنة ست وسبعمائة، وناظر بها، وأقر له علماؤها، وعاد إلى القاهرة في سنة سبع مستوطنا، وحج وزار في سنة ست عشرة، و لم يزل على نشر العلم بها إلى سنة تسع وثلاثين، فولي قضاء الشام بعد جلال الدين القزويني بعد ممانعة طويلة، قال ولده: قبل[3] الولاية، يا لها غلطة، أف لها وورطة، ليته صمم ولا فعلها. ولي مشيخة دار الحديث بعد المزي، فالذي نراه أنه ما دخلها أعلم منه ولا أحفظ من المزي، ولا أورع من النووي وابن الصلاح، وقال شيخنا الذهبي: حين ولي الخطابة ما صعد هذا المنبر بعد ابن عبد السلام أعظم منه، ثم ذكر له شعرا كثيراً منه[4]:

---

[1] علي بن عبد الكافي بن علي، ابن سليم السبكي، الشيخ الإمام الفقيه المحدث الإمام المشارك، ولد سنة 683 هـ، به ترجمة ضافية في طبقات الشافعية الكبرى 10:139.

[2] طبقات الشافعية الكبرى 10:157.

[3] في ط: قبلها.

[4] طبقات الشافعية الكبرى 10:179.4

[كامل]

إن الولايــةَ لــيس فيهــا راحــةٌ إلا ثــلاثٌ يبتغيهــا العاقــلُ
حكــمٌ بحــق أو إزالــةُ باطــل أو نفــعُ مُحتــاجٍ ســواها باطــلُ

ومنه قصيدته التي أولها:[1]

[طويل]

كمالُ الفتى بــالعلمِ لا بالمناصــبِ ورتبةُ أهلِ العلــم أســنى المراتــبِ

أنشدها حين أخذت منه مشيخة جامع طولون، ومنه في جواب سؤال عن السماع:[2]

[كامل]

فيــه خــلافٌ للأئمــةِ قبلنــا سرج[3] الهدايــةِ ســادة الــساداتِ
لكنــه لم تــأتِ قــط شــريعةٌ طلبتــهُ أو جعلتــهُ في القُربــاتِ

وقبلها:

واعلم بأن الرقصَ والــدف الــذي عنه ســألتَ وقلــت في أصــواتِ

وهي أبيات، ومنها في مدح الأخ الأكبر أبي حامد:[4]

[طويل]

أبو حَامد في العلم أمثــال[5] أنجُــم وفي النقدِ كالإبريزِ أخلص بالــسبكِ
فــأولهمْ مــن إســفراينَ نــشؤه[6] وثانيهمُ الطوسي والثالثُ الــسبكي

---

(1) نفسه 10:180.
(2) نفسه 10:182.
(3) في ط: شرح.
(4) طبقات الشافعية الكبرى 10:190.
(5) في ط: أمثل.
(6) في ط: نشأة.

ولقد كان الوالد يجل الأخ ويعظمه، سمعته غير مرة يقول أحمد والد. سمعته في مرض موته والأخ غائب في الحجاز يقول: غيبة أحمد أشد علي مما أنا فيه من المرض.

ثم ذكر التاج في ثناء الأئمة على والده قال[1]: وصح عن الشيخ تقي الدين بن تيمية أنه كان لا يعظم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له، وكان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه، وقال فيه[2]: لقد برز هذا على أقرانه، ولم يكتب المزي شيخ الإسلام إلا له ولابن تيمية ولابن أبي عمر، وأما ابن الرفعة فكان يعامله معاملة الأقران، ويعرض عليه ما يصنفه. حكي[3] أن ابن الرفعة حضر مجلس الدمياطي فوجد الوالد بين يديه فقال: محدث أيضاً؟ وكان لعظمة الوالد عنده في الفقه يظن أنه لا يعرف سواه فقال الدمياطي: بل إمام المحدثين. فقال ابن الرفعة: وإمام الفقهاء فبلغت شيخه الباجي[4] فقال وإمام الأصوليين، وبالجملة أجمع من يعرفه على أن كل ذي فن إذا حضره يتصور فيه، وأنه لا فن له إلا ذلك الفن، لا يماري أنه كان إمام الدنيا في كل علم على الإطلاق، إلا جاهل به أو معاند.

وكان ينهانا عن النوم في النصف الثاني من الليل ويقول: يا بني تعود السهر ولو أنك تلعب.

ولقد نزل لي شيخنا الذهبي عن مشيخة دار الحديث الظاهرية في حياته، فلم يمضها لي، وقال: أنا أعرف استحقاقه ولكن سن الشباب منعني أن أمضي له، وقال: ما أعلم أحداً يصلح لمشيخة دار الحديث غير ولدي عبد الوهاب وشخص آخر غائب؛ يعني صلاح الدين العلائي.

وقال لي في أيام مرضه: لا تطلب القضاء بقلبك فضلاً عن قالبك وأنا أطلبه لك لعلمي بالمصلحة في ولايتك لك ولقومك وللناس.

وقال لبعض الفقراء: أريد ثلاثا؛ ولاية ابني هذا موضعي، ورؤية ولدي أحمد، وموتي بمصر، أشهد بالله لقد سمعت ذلك منه. فقال له الفقير: سلِ الله في ذلك إن كان مصلحة، فقال: قد تحققت المصلحة له في الدنيا والدين جميعاً.

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى 10:194.
[2] ساقط من ط.
[3] نفسه 10:196.
[4] في ط: الناجي.

ثم ذكر في سلسلة الحفاظ ما نصه: لم تر عيناي احفظ من أبي[1] الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي والوالد، رحمهم الله، وغالب ظني أن المزي يفوقهما في أسماء رجال الكتب الستة والذهبي في أسماء من بعد الستة والتواريخ والوفيات، والوالد يفوقهما في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كل منهم لصاحبيه. فيما يتميز به فيه المشاركة الفائقة. وسمعت شيخنا الذهبي يقول ما رأيت أحدا في هذا الشأن أحفظ من الإمام أبي الحجاج المزي، بلغني عنه أنه قال: ما رأيت أحفظ من أربعة ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزي، فالأول أعرفهم بالعلل وفقه الحديث، والثاني بالأنساب، والثالث بالمتون والرابع بأسماء الرجال. وساق سلسلة، ثم قال: وأنا أقول ما رأت عيناي أعرف بالقراءة منه، ولا رأى كابن الصائغ، ولا رأيت أفقه منه، ولا رأى[2] كابن الرفعة، ولا رأيت بعد أبي حيان أنحى منه، وكان يفوقه في حسن التصرف، وتصانيفهما[3] تنبئك عن ذلك، وكان يقول: هو لم يلق في صناعة اللسان كأبي حيان، ولا رأت عيناي في المعقولات بأسرها وفي علم الكلام مثله، ولا رأى مثل الباجي[4]، ولا رأى الباجي كالخسروشاهي ولا هو كالفخر الدين الرازي.

وكان يرى أن النكاح بلا ولي إذا قضى الحنفي بصحته ينقض، ويقول: أنا أستحيي من الله أن يرفع إلي نكاح صح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه باطل وأستمر به على الصحة لرأي حاكم.

وقال إن تحلية الكعبة وسائر المساجد بالذهب والفضة جائز حلال، والمنع منه في الكعبة شاذ غريب في المذاهب كلها.

وقال: إن المرتد إذا قال بعد وجوب قتله: عرضت لي شبهة فأزيلوها، ناظرناه وأزلنا شبهته ما لم يظهر منه[5] التسويف، وأن الولد لا يجوز له السفر في تعلم فرض كفاية، ولا تجارة، وإن غلب الأمن، إذا منعه أحد الوالدين، وإن طاعتهما في الشبهات واجبة، وفي ترك السنن إن لم يكن على الدوام، وأنه لا يحل لشافعي لعب الشطرنج مع من يعتقد تحريمه.

---

[1] في ط: ابن.
[2] في ط: ولا ولي.
[3] في ط: تصانيفهم.
[4] فيط: الناجي.
[5] ساقط من ط.

ثم ذكر شيئا من مباحثه وقال: سمعت بعض الفضلاء يقول أنا أعتقد أن كل بحث يقع اليوم على وجه الأرض فهو له أو مستمد من كلامه وتقريراته.

وقال[1] في قوله تعالى: (وكذلك نري إبراهيم)[2]، ذلك تعليم من الله لإبراهيم عليه السلام الحجة على قومه، فأراه ملكوت السموات والأرض، وعلمه كيف يحاجج قومه، ويقول لهم: إذا حاججهم في مقام بعد مقام على سبيل التنزل إلى أن يقطعهم بالحجة، ولا يحتاج مع هذا إلى أن يقال ألف الاستفهام محذوفة، ويدل عليه صدر الآية (وكذلك نري إبراهيم)، وعجزها (وتلك حجتنا).

وقال[3]: سمعت الباجي يقول في قوله: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه)[4]: لِم لَم يقل هواه إلهه؟ ولم أزل أفكر في الجواب منذ أربعين سنة حتى تلوت ما قبلها [وهو قوله: (وإذا رأوك)[5] إلى قولهم: (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا)[6]] فعلمت أن المراد الإله المعبود بالباطل[7] الذي أشفقوا من الخروج عنه فجعلوه هواهم.

وقال[8]: إنما يصير الفعل عبادة بالنية، والنية فيها أمران؛ أحدهما قصد الناوي، والثاني كون الفعل واقعاً على وجه الامتثال، وذلك ناشئ عن القصد، وهذا الناشئ ركن بلا شك، وهو مع الفعل كالروح مع البدن، وتوجه قصد الناوي إلى ذلك خارج؛ لأن القصد إلى الشيء غير الشيء، فمن هنا أشبهت الشرط، واشتبه الأمر في كون النية شرطاً أو ركناً، فصح أن يقال هي ركن باعتبار ذلك المعنى المقوم للفعل المقارن له من أوله إلى آخره، وهي شرط باعتبار القصد القائم بالناوي، فهما أمران أحدهما قائم بذات الناوي والثاني صفة للفعل، فالأول شرط والثاني ركن، ولا يعتقد أن الناوي يقصد[9] الفعل المجرد وإنما يقصد[10] الفعل بوصف كونه مطلوباً للرب سبحانه، وذلك الفعل يكتسب من

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10:267.
(2) الأنعام: 75.
(3) نفسه 10:270.
(4) الفرقان: 43.
(5) الفرقان:41.
(6) الفرقان: 42.
(7) في ط: المعهود الباطل.
(8) طبقات الشافعية الكبرى 10:271.
(9) في ط: يعتقد.
(10) في ط: يعتقد.

الوصف صفة ينصبغ بها كانصباغ الثوب، فالثوب المصبوغ صبغته جــزء منــه، والصبغ الذي هو فعل الفاعل خارج عنه، وشرط فيه، كذلك العبادة.

وقال[1]: اختلف الناس في شرط الحديبية، [من جاءك منا ترده][2]، هل هــو مخصوص أو منسوخ في النساء بقوله تعالى (فلا ترجعوهن)[3]، والذي اختاره أنــه منسوخ، ولا ينبغي أن يقال إنه مخصوص، لأن النبي لا يظهر خلاف ما يبطن.

وقال[4] في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا)[5]، هل الضمير في اغسلوا للذين آمنوا فيكونوا مأمورين الآن بالغسل وقت القيام؟ أو للذين آمنوا القائمين للصلاة لما دل عليه الشرط؟ فلا يكونوا مأمورين إلا وقــت القيام للصلاة، وفيه بحث، والأظهر الثاني، ويشهد له قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)[6].

وقال[7] في قوله تعالى (ولا هم يحزنون)[8]: قيل إنه لنفي الحصر، فلا يلزم نفي الحزن. وجوابه، على تسليم أن (هم يحزنون) للحصر، تقدير هم داخلة علــى لا يحزنون، كما إذا دخل النفي على الفعل المؤكد بنون التأكيد، يقــدر التأكيــد[9] داخلا بعد النفي لا قبله، وقدم في اللفظ لا[10]، ليقابل بها لا خوف علــيهم، ولا مسلطة على (يحزنون) لا على الجملة.

وقال[11]: من قواعد الفلاسفة الفاسدة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد لأنه لو صدر عنه أكثر، فكونه مصدرا لج مثلا مخالف لكونه مصدرا لب فالمفهومان إن كانا داخلين في الذات لزم التركيب، أو خارجين لزم التسلسل إلخ ما نظموا من الشبهة، وهذا بعينه يلزمهم في صدورالواحد مع كونه صادراً عن الذات والنسب

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10:273.
(2) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.
(3) الممتحنة: 10.
(4) نفسه 10:274.
(5) المائدة: 6.
(6) الطلاق: 1.
(7) طبقات الشافعية الكبرى 10:276.
(8) البقرة: 38.
(9) ساقط من ط.
(10) ساقط من ط.
(11) نفسه.

عندهم ثبوتية[1] فيقال لهم الصادر وتأثير القادر فيه إما أن يكونا داخلين أو خارجين أو أحدهما [داخلا والآخر خارجا] إلخ، وينتقض [كل قسم] بنا نقضوا به.

وقال[2] في قول الشاعر:

[طويل]

لنا الجفناتُ الغر يلمعنَ بالضحى [وأسيافُنا يقطرنَ من نجدةٍ دما]

إنما [قال بالضحى و] لم يقل بالدجى لأنها إذا لمعت في الضحى كان أبلغ، فإن القليل يلمع في الدجى ولا يلمع في الضحى إلا الكثير.

وقال[3]: يقال رضِعَ الثدي، بكسر الماضي وفتح المضارع ورضَع، عكسه إذا تلاءم، والرجل راضع أي لئيم، (ومنه اليوم يوم الرضع)[4]، أي هذا يومكم أيها اللئام.

وقال في كتابه: كشف القناع في حكم لو للامتناع[5]:

[رجز]

مدلول لو ربط وجود ثان بأول في سائر الزمان

مع انتفاء ذلك المُقدمِ حقا بلا ريب ولا توهمِ

أما الجوابُ إن يكن مناسبا وليسَ غير شرطه مُصاحبا

فاحكمْ له بالنفي أيضا واعلمْ بأن كلا داخل في العدم

أو لم يكن مُناسبا فواجب من باب أولى ذاك حكم لازب

في مناسب له إذ يفقد مُناسب سواه قد لا يوجد

---

(1) في خ وط: والمثبت عندهم ثبوته.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 10:280.

(3) نفسه 10:281.

(4) زيادة من ط.

(5) نفسه 10:279 ـ 280.

هذا جوابُ لــو بتقــسيم حــصل ممتنـــع وواجـــب ومُحتمــــل
ومُعظــم المقــصود فيمــا يجــب إثباتـــه في كـــل حـــال يطلـــب
مثالــهُ نعــم الــذي لــو لم يخــف لمــا عــصى إلهــهُ ولا اقتــرف
ومُعظــم المقــصود في الممتنــع بيان نفــي شــرطهِ الــذي ادعــى
كلــو يكــونُ فيهمــا شــريك لفــسدا فالواحــدُ المليـــك
أو أن ذاك النفــيُ حقــا أثــرا في عــدم الــذي يلــي بــلا مــرا
كلــو أتيـــتني لكنـــت تكـــرم كـــرامتي لمـــن قلانـــي[1] تعـــدم

وقال:[2] قوله: (كلنا لك عبد)، أفرده لأنه قصد أن يكون الخلق أجمعــون بمترلة عبد واحد وقلب واحد.

وقال[3]: الحنث العظيم[4] القسم على إنكار البعث المشار إليه في قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت)[5].

وقال[6] في قول السهيلي: إن قوله عليه السلام: أو مخرجي هم[7]، فيه دليــل على حب الوطن، أحسن منه أن يقال تحركت نفسه لما في الإخراج من فوات ما

---

(1) في ط: تلاني.
(2) طبقات الشافعية الكبرى 10:281، وهذا جواب عن سؤال وجهه المؤلف لوالده فحواه: لم يقول المصلي في الاعتدال: كلنا لك عبد، ولا يقول: عبيد، مع عود الضمير في كلنا على جمع؟
(3) نفسه.
(4) إشارة إلى قوله تعالى: (وكانوا يصرون على الحنث العظيم): الواقعة: 46.
(5) النحل: 38.
(6) طبقات الشافعية الكبرى 10:285.
(7) جاء في صحيح البخاري: "حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ثم أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مــن الــوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكــان يخلــو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلــى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قــال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتــى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقــال: (اقــرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم)، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وســلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك

ندب الله إليه من إيمانهم وهدايتهم، فإن ذلك مع التكذيب مترقب، ومع الإخراج منقطع، وذلك هو الذي لا شيء عند الأنبياء أعظم منه، لأنه امتثال أمر الله، وأما مفارقة الوطن فأمر جبلي، والنبي أعلى وأجل من الوقوف عنده في هذا المـوطن العظيم.

وقال[1]: إنما لم يقل إن شاء الله في قوله: وباسمك أرفعه، [لقوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)[2]] لأنه لو تقدم الفعل على الجار والمجرور، ويكون معناه الإخبار بالرفع وهو عمدة الكلام، وجاء المجرور تكملـة، فهنا يقال إن شاء الله، وإذا قلت باسم الله أرفع، كان المعنى الإخبار بأن الرفـع كائن باسم الله وهو عمدة الكلام، انتهى. وكون الرفع[3] باسم الله محقق فلا يحتاج إلى قوله إن شاء الله. وعندي فيه وجه آخر أن قوله: باسمك أرفعه، وإن كان صيغة خبر، فهو بمعنى الدعاء؛ كأن النائم دعا الله أن لا يكون ممن يقبض في هذا النوم، بمعونة القرآن، ويدل له ما بعده، والداعي لا يقول إن شاء الله.

وقيل له: إن الكتب على الرسم ببطلانه إفساد لملك الغير بغير إذنه، فأجاب بأن الكتب عليه واجب بالكتاب والسنة والإجماع والقياس؛ الكتاب قوله: (ليحق الحق)[4] الآية، لتبين للناس، (لتبيننه)[5]. الحديث: من رأى منكم منكراً إلى غـير ذلك. الإجماع [فإجماع الصحابة مع عثمان رضي الله عنهم] على تحريق المصاحف الباطلة لما فيها من زيادة أو نقص عن غير المجمع عليه، فإذا جاز تحريقه لباطل فيه فالكتابة عليه بالباطل أولى، وأما القياس فعلى حكم الكتب في البياعات والأوقاف

لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت بـه خديجـة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهليـة، وكـان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيـرا قـد عمـي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من بن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فـأخبره رسـول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتنـي فيهـا جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعـم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقـة أن توفي": صحيح البخاري 1:4.

(1) طبقات الشافعية الكبرى10:287.

(2) الكهف: 23 – 24.

(3) في ط: باسم الله.

(4) الأنفال: 8.

(5) آل عمران: 187.

وغيرها حق لا يغتر بما فيها، وهو أولى من إعدامه، لأنه[1] قد يقول قائل كان ما فيه حق وأما عند وجوده فليتأمل. ولا ينبغي أن يعطى لمن كان في يده، لأنه قد يتعلق به بإزالة ما كتب عليه أو بلبس.

ولأنَّ الكتب إنما يملكها من له فيها حق[2]، فإذا بيعت الدار فكتبها ينتقل ملكها بانتقال الدار إلى المشتري ليشهد له بملكها، وهذا الكتاب لا حق فيه لزوره وبطلانه.

وقال[3] إن الكلام النفسي يسمع، وإن التعلق قديم. وقال[4] البشر أفضلٍ من الملك ولكن لا يجب [على المكلف] اعتقاد ذلك ولو لقي (المكلف) الله ساذجاً من هذه المسألة لم يبال.

وقال[5]: إن قولك من عندك؟ يطلب به التصور لا التصديق، ومن زعم أن المطلوب به التصديق فقد غلط، وأن الجواب فيها مفرد لا مركب، ولا يقدر له مبتدأ ولا خبر،وعلى هذا قوله [تعالى]: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)[6]، وأما قوله: (خلقهن العزيز العليم)[7]، فابتداء كلام يتضمن الجواب وليس اقتصارا على نفس الجواب، فالله في الآية الأولى اسم مفرد، والذي يقدره النحاة [من أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف ونحو ذلك] إنما يصح بأحد طريقين؛ أحدهما أن لا يراد الاقتصار على الجواب بل زيادة إفادة الإخبار، ويحصل في ضمن ذلك الجواب وهو إفادة التصور، والثاني أن يراد الاقتصار على الجواب لفظا ويدل بالالتزام على المعنى التصديقي وهو أن الله خلقهم، فنظر النحاة إلى هذا المعنى الالتزامي وأعربوا عليه لأن صناعتهم تقتضي النظر فيه ليكون الكلام تاما، وليس من صناعتهم النظر في المفرد [قال: لكن يبقى بعد هذا بحث وهو أنه إذا كان مفردا فحقه أن لا يعرب لأن الأسماء قبل التركيب لا معربةٍ ولا مبنية وإذا لم يكن معربا فحقه أن ينطق به موقوفا]، وإنما جاء في القرآن مرفوعاً و لم ينطق به موقوفا،

---

[1] زيادة من ط.
[2] في ط: حظ.
[3] طبقات الشافعية الكبرى 10: 294.
[4] نفسه 10: 295.
[5] طبقات الشافعية الكبرى 10: 304.
[6] الزخرف: 87.
[7] الزخرف: 9.

فلعله مراعاة لما استفيد منه بدلالة الالتزام، وقد يقال الأسماء المفردة ينطق بها على هيئة المرفوع، لأن الرفع أقوى الحركات، ولهذا يقال في العدد واحد، اثنان بالألف كالمرفوع، قال: وأصل هذا إذا قيل ما الإنسان؟ فقيل: الحيوان الناطق، فإنه مفرد ليس بكلام، إنما القصد به تصور حقيقة الإنسان، ولهذا يعد المنطقيون الحد خارجا عن الكلام ومتى قيل هو الحيوان الناطق كان دعوى لا حدا.

وقال[1]: يقال جاء شيء، ولا يقال جاء جاء، وإن كان الجائي أخص من شيء، لأن جاء مسند والمسند إليه الفاعل، ومعرفة المسند إليه متقدمة على معرفة المسند، فمتى عرف الجائي عرف المجيء، فلا يبقى في الإسناد فائدة، والشيء قد يعرف ولا يعرف مجيئه.

قال ولده التاج[2]: استمر به الضعف من ذي القعدة سنة خمس وخمسين [وسبعمائة] بدمشق إلى أن وليت أنا القضاء، ومكث[3] بعد ذلك نحو شهر، وسافر إلى مصر، وكان يذكر أنه[4] لا يموت إلا بها، فاستقر بها أياماً ثم توفي ليلة الاثنين المسفرة عن ثالث جمادى الأخيرة سنة ست وخمسين وسبعمائة بظاهر القاهرة، ودفن بباب النصر.

ومنها في ترجمة علي بن محمد علاء الدين[5] الباجي[6]، شيخ والده في الأصول، بينه وبين النووي صحبة أكيدة، وكان النووي يحب طعام[7] الكشك، فإذا طبخه دعاه وقال: أنا أحبك وأحب الكشك فلا أحب أن آكله إلا معك، فقال له الباجي[8]: يا شيخ محيي الدين أنا أحبك ولا أحب الكشك، لأنه كان يعافه.

---

(1) نفسه 10:306.
(2) طبقات الشافعية الكبرى 10:315.
(3) في ط: مكثت.
(4) ساقط من ط.
(5) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، الشيخ الإمام علاء الدين الباجي، الفقيه المشارك، مولده سنة 631 هـ، ولي قضاء الكرك ثم استقر بالقاهرة، توفي بها سنة 714 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:339. لقط الفرائد، ص: 173.
(6) في ط: الناجي.
(7) ساقط من ط.
(8) في ط: الناجي.

وقال بعد ثناء كثير: لما رآه ابن تيمية أعظمه، ولم يجر بين يديه بلفظة، وقال الشيخ علاء الدين: تكلم نبحث معك، وابن تيمية يقول مثلي لا يتكلم بين يديك أنا وظيفتي الاستفادة منك.

وله[1]:

[وافر]

رثــــى لي عُــــودي إذ عـــايَنُوني   وسحبُ مَـدامعي مثــل العيــونِ
ورامُوا كُحل عــيني قلــتُ كُفــوا   فأصـــلُ بَلِــيتي كُحــل العيــونِ

وقال التاج[2]: ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة، وكتم اسمه وجعله على لسان بعض اليهود، وهو:

[طويل]

أيا علمـــاءَ الـــدينِ ذمـــيٌّ ديـــنكم   [تحــيرَ دلــوهُ بأوضــحِ حجــة]

وهي ثمانية أبيات.

ويقال إن هذا الناظم هو ابن البققي[3] الذي ثبت عليه أقوال تدل على الزندقة وقتل بسيف الشرع في ولاية الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، فانتدب علماء مصر والشام لجوابه، ومنهم علاء الدين الباجي[4]، وأجاب ابن تيمية بجواب فيه طول.

ولابن الوردي[5] في بعض القضاة:

[رمل]

كـــان والله عفيفـــا نزهـــا   ولـــه عـــرض عَـــريض مـــا اتهـــم

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10: 344.
(2) نفسه 10: 352.
(3) في ط: الثقفي.
(4) في ط: الناجي.
(5) عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس، ابن الوردي، فقيه أديب نحوي، ولي قضاء حلب مدة، من تصانيفه: نظم الحاوي، وله رسالة في الطاعون، توفي سنة 749 هـ بحلب: طبقات الشافعية الكبرى 10: 373. لقط الفرائد، ص: 203.

وهــو لا يــدري مُــداراة الــورى وَمُــداراة الــورى أمــرٌ مهــم

وله[1]:

[سريع]

لمــا رأى الزهــرُ الــشقيقَ انــثنى مُنــهزما لم يــستطعْ نحــهُ

فقلــت[2] مــن جــاء، فقلنــا لــهُ جــاء شــقيقٌ عارضــا رمحــهُ

وله:[3]

[مجزوء الرمل]

دهْرنَـــا أمـــسَى ضَـــنينا باللقـــا حـــتى ضَـــنينا

يـــا ليـــالي الوصـــل عُـــودي واجمعينَـــا أجْمعينـــا

ومنها[4] في ترجمة الفرج بن محمد الأردبيلي[5] شارح منهاج البيضاوي، نقل عن بعض كتب الرافعي أنه قال: خطر لي أنه من سمع المؤذن وأجابه وصـلى في جماعة، ثم سمع مؤذناً ثانياً لا يجيبه، لأنه غير مدعو بهذا الأذان، وهذا بحث صحيح ومأخذ حسن.

ومنها[6] في ترجمة القاسم بن محمد علم الدين البرزالي[7] الأشـبيلي، أحـد الأئمة الذين لا خامس لهم في هذه الصناعة، مات محرما في خليص سـنة تـسع وثلاثين وسبعمائة.

ومنها[1] في ترجمة جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي[2]، ذكره الذهبي في المعجم وأثنى عليه إلى أن قال: يشارك في الفقه والأصول، ويشارك في مـضايق

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10:374..

(2) في ط: فقلنا.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 10:375.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 10:380.

(5) فرج بن محمد بن أبي الفرج، نور الدين الأردبيلي، قرأ المعقولات بتبريز، ثـم قـدم دمـشق، ودرس بالظاهرية والناصرية، توفي سنة 749 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:380.

(6) طبقات الشافعية الكبرى 10:381.

(7) القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي علم الدين أبو محمد الإشبيلي، فقيه محدث، ولد سنة 665 هـ، وتوفي بخليص سنة 739 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:381.

المعقول. قال التاج: ولا أحسب شيخنا المزي يدري المعقولات فضلا عن الخوض في مضايقها، فسامح الله شيخنا الذهبي.

وقال[3]: عاصرت أربعة لا خامس لهم؛ المزي والذهبي والوالد والبرزالي، و لم أر البرزالي، وكان يفوقهم في معرفة الأجزاء ورواها، وكل الثلاثة يعظم المزي ويقرءون عليه ويعترفون بتقديمه. وبالجملة فشيخنا المزي أعجوبة زمانه، يقرأ عليه القارئ نهارا كاملا والطرق تضطرب، والأسانيد تختلف، وضبط الأسماء يشكل، وهو لا يسهو ولا يغفل.

وقال فيه الشيخ الإمام حين قيل له في عزله عن دار الحديث: من ذا الذي يتجاسر أن يقول المزي ما يصلح لدار الحديث، والله لو عاش الدارقطني لاستحيا أن يدرس مكانه. وإنما قيل بعزله لأن شرط الواقف أن لا يتولاها إلا أشعري، والمزي لم يتولها حتى كتب بخطه أنه أشعري، و لم يصدق في ذلك، ولذلك لم يتولها الذهبي بعده، ويتولاها الشيخ الإمام بعد إشارته بالذهبي، ولهذا حكاية.

قال التاج[4]: كان يخوض في شيء من الصفات في أصول الديانات، وأما المعقولات فلم يكن يدريها ولعل الذهبي خطر له أن ذلك القدر الذي كان يخوض فيه من أصول الديانات هي مضايق المعقولات، وهذا ظَنُّ مَنْ لا يدري مدلول المعقولات، وأنها علوم وراء علم الكلام يعرفها أهلها. وقال الذهبي إن المزي كان يقرر طريقة السلف في السنة فيعضد ذلك بقواعد كلامية ومباحث نظره. قال وجرى بيننا معارضات في ذلك.

قال التاج: وليس المزي والذهبي عندنا في هذا المقام والحق أحق ما قيل. واعلم أن هذه الفرقة، أعني المزي والذهبي والبرزالي وكثيراً من أتباعهم، أضَرَّ بهم أبو العباس ابن تيمية إضراراً بيِّناً، وحملهم من عظائم الأمور ما ليس هيناً. وحدث المزي نحو خمسين سنة، سمع منه ابن تيمية والبرزالي والذهبي، وابن سيد الناس، والشيخ الإمام، هـ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10:395.

(2) يوسف بن الزكي، عبد الرحمن بن يوسف، الشيخ جمال الدين، أبو الحجاج المزي، الدمشقي، ولد سنة 654 هـ بظاهر حلب، وسمع ببلاد كثيرة وجمع له الدراية والرواية وعلو الإسناد، صنف تهذيب الكمال، توفي سنة 742 هـ بدار الحديث الأشرفية ودفن بمقابر الصوفية: طبقات الشافعية الكبرى 10:395.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 10:397.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 10:399.

وممن لقيتُه بالمدينة المُشَرَّفة[1] ممن ينتمي إلى الصلاح وسلوك طريق الإرادة؛ الشيخ مواز الشامي الدمشقي، جاور بالمدينة مدة، وكان أصله من دمشق، وله خبرة بطريق القوم، ولقي عدة من المشايخ؛ كالشيخ أيوب الشامي، وشيخنا القشاشي وغيرهما. وجمع من كتب الفن كثيراً، سيما مؤلفات الشيخ محي الدين ابن العربي فله بها اعتناء، وسبب معرفتي له أني ذات يوم جالس بالحرم الشريف إذ أتاني بمؤلف من مؤلفات الشيخ محي الدين وأرانيه، وسألني عن حل كلام له فيه صعوبة، وكان قد تقدم لي الخوض في تلك المسألة، فذكرت له ما ظهر لي في فهمها، واستحسن فهمي فيها، ثم لم يزل يوالي الجلوس إلي بعد ذلك، وأعارني كتاب عنقاء مغرب ومعرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، للشيخ محي الدين ابن العربي، وما رأيته قبل ولا بعد إلا عنده، والذي يظهر من كلامه أن الختم الحقيقي، والمهدي المنتظر هو نبي الله عيسى عليه السلام، واستدل على ذلك، وعلى أوصافه وزمنه، بآيات قرآنية لا يهتدي إلى فهم ذلك منها إلا هو وأمثاله، وله في هذا الكتاب قلم ينسب إليه، يكتب به ما أراد إخفاءه وستره، وصورته قد تقدمت.

لطيفة:

أخبرني صاحب الترجمة أنه صحب الشيخ الفقيه، الأديب البارع، حافظ المغرب في زمانه، سيدي أحمد المقري أيام إقامته بدمشق، وكان يلازمه ويرافقه في تقلباته بها وزياراته، ويحكي عنه أحوالا عجيبة، فمما حكى لي عنه أنه ذهب معه ذات يوم لزيارة قبر الشيخ محي الدين ابن العربي خارج المدينة، قال: وكان خروجنا بعد صلاة الصبح، ووصلنا إلى المزارة عند طلوع الشمس، فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقري: إني ابتدأت عند خروجنا إلى الزيارة ختمة من القرآن لروح هذا الشيخ، وقد ختمتها الآن، وهذا من غريب ما يحكى في هذه الأزمنة.

وذكر لي صاحب الترجمة أيضا أنه لقي في بعض حجاته رجلا فقيها من أهل تلمسان حكى عنه أحوالا غريبة، منها أنه رافقه من مكة إلى المدينة، وكان يختم في كل يوم كذا وكذا ختمة، قال: فلما وصلنا إلى المدينة ودخلنا المسجد النبوي وتقدمنا إلى الزيارة، ووقفنا بالمواجهة، قال: فلما فرغت من الزيارة على الوجه

[1] في ط: المشرفة.

المعتاد، رجعت إلى الروضة وجلست أنتظره، فأبطأ علي هنيهة، فإذا هو داخل، فقلت له: ما أبطأك عني؟ فقال لي: ختمت ختمة أمام وجه النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم جئتك، وهذا لا يستبعد على سبيل الكرامة وخرق العادة، ولا شك أن من ألف قراءة القرآن واعتاد به، قد يبلغ إلى ختم ثلاث أو ما يقرب من ذلك في اليوم، وأما مثل ما تقدم فلا يكون إلا كرامة وخرق عادة، وقد ذكر الناس في كرامات الأولياء من يختم العشر والعشرين وأزيد في اليوم الواحد، وأغرب ما سمعنا من ذلك ما حكاه غير واحد ممن ألف في كرامات الأولياء أن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين حَجَّ في السنة التي حج فيها الشيخ السهروردي، فذكر له عنه أنه يختم في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة، فبعث بعض ثقات أصحابه يختبر له ذلك فوجده يطوف بالبيت وهو يقرأ، فتبعه من الركن إلى قريب من الحجر، فختم عددا كثيرا من الختمات، وفي هذا خرق عادة للقارئ والسامع، لأن سماع مثل هذا في هذه المدة لا يمكن عادة، وهذا قريب من ختمة في كل نفس، فقد قيل إن أنفاس الآدمي المعتادة في اليوم والليلة نحو من ذلك العدد، وعلم الله أوسع من أن يحاط به.

ومنهم القانت الخاشع، الناسك الخاضع، الراكع الساجد، حليف المساجد، الشيخ عبد الله بن نُمي العمودي اليمني[1]، كان هذا الرجل من أصحاب شيخنا عارف وقته الشيخ محمد باعلوي اليمني[2]، وما أظن أنه خلف في أصحابه مثله ديانة وورعا واجتهادا في العبادة، وكان هو والسيد محمد قد صحبا شيخهما السيد عبد الله بن علي صاحب الرهط الرفيع المشهور الذكر في بلاد اليمن والحجاز، فلما توفي انثال الناس بعده على تلميذه الشيخ عبد الله، واجتمع عليه الفقراء، وانتشر له صيت، وأصحابه لا يشكون أنه الوارث لمقامه، وأهل البصائر يعلمون أن السيد محمد هو وارث مقامه، إلا أنه بقي خامل الذكر، لا يشعر به ولا يعرفه إلا الخواص، وبقيا على تلك الحال مدة إلى أن ظهر للشيخ عبد الله أن الشيخ محمد هو الوارث لمقام الشيخ وأحق منه بالتقدم لتربية المريدين، فأصبح ذات غداة على باب السيد محمد واقفا مكشوف الرأس وقوف التائب المستغفر من التقدم عليه بدون استحقاق، والناس يتعجبون من ذلك، ولا يعلمون سببه، فبعد

---

[1] عبد الله بن نمي العمودي، ترجم له صاحب نشر المثاني نقلا عن الرحلة العياشية: نشر المثاني 2:389.
[2] سبقت ترجمته.

ساعة أذن له السيد محمد فدخل عليه، واستغفر وتنصل مما أتاه، وقبل السيد توبته، وصار من خواص أصحابه، وانثال الناس على السيد محمد من يومئذ، وانفضوا عن السيد عبد الله، إلى أن صار أمر السيد محمد إلى ما صار من شدة الظهور والانتقال إلى مكة، والتردد بينها وبين المدينة، إلى أن توفي إلى رضوان الله وجنته، وبقي الشيخ عبد الله بعده على حاله من الخمول لا يعرفه إلا خواص أصحاب الشيخ، وكأنه لم يؤذن له في الظهور بعد ذلك لاستعجاله الظهور أولا قبل أوانه، ولذلك بقي أصحاب الشيخ بعده فوضى لا إمام لهم، ولم يترشح إلى الآن أحد ينقادون إليه، ويصيرون إلى رأيه، ولله في ذلك حكم وأسرار يعرفها أهل النهي والأبصار، وقد اعتنى صاحب الترجمة آخر الأمر بسماع الحديث على أيمته لنيته الصالحة، وأخبرني أنه فتح له سر عظيم وذوق غريب عند اشتغاله بذلك، وأكب على سماع مصابيح البغوي وملازمته في غالب أوقاته، فلا يكاد يفارق كمه، إلا أنه لأميته يسمع ممن وجد.

لطيفة:

ممن اشتغل صاحب الترجمة بسماع المصابيح منه، وصاحبنا الشيخ حسن البري المتقدمة ترجمته، فيجتمع إليهما جماعة من العوام والطلبة تتسع بهما الحَلْقَة، وكان ذلك بالروضة بين المنبر والقبر الشريف، ومررت يوماً بالمجلس فسمعت الشيخ حسنا يقرر حديثا، فاستمعت له، فإذا هو حديث أن الله يضحك إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، قالوا: كيف ذاك يا رسول الله؟ قال: يقتل أحدهما في سبيل الله، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد بعد ذلك[1]، الحديث بمعناه، فاستمعت لتقريره فكان أول ما طرق سمعي أن قال: وذلك كسيدنا وحشي قاتل سيدنا[2] حمزة، فإنه قد أسلم بعد ذلك، فيكونان ممن يضحك الله إليهما، فاقشعر جلدي من ذلك، وأنكره قلبي بعد ذلك كل الإنكار، سيما في ذلك المحل العظيم بمرأى من النبي، صلى الله عليه وسلم، ومستمع، ما كان، صلى الله عليه وسلم،

---

[1] نص الحديث النبوي الشريف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم إن الله يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما دخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد، ثم يتوب الله على قاتله فيسلم، فيقاتل في سبيل الله فيستشهد: سنن ابن ماجة 1:68.

[2] زيادة من ط.

ليرضى التسوية بين عمه سيد الشهداء الذي لم يصب من أهل بيته بمثله، وبين قاتله وحشي الحبشي الذي أعرض عنه بوجهه يوم جاءه مُسَلِّمًا، وقال له: إن استطعت أن تغيب وجهك عني فافعل، ولم تعرف له صحبة للنبي، صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ولا لقاء آخر يرضى فيه عنه، ولا قرب منه عليه السلام، إلى أن مات، والعجب كل العجب من هذا المدرس، والله يغفر لنا وله، كيف سَوَّلت له نفسه هذه التسوية، وعلى تقدير صحتها، وما أبعدها عن الصحة، كيف قدر لسانه على النطق بذلك في مثل هذه الحضرة تأدباً معه، صلى الله عليه وسلم، أن يسوى أحدا من الرعاع بعظماء أهل بيته، خصوصاً زعيمهم الذي قيل فيه أنه أفضلهم، فما بالك إذ سوى بقاتله الذي اشتد سخط الرسول عليه، ولقد ظهر أثر سخطه عليه بعد ذلك، فلم تعرف له حالة مرضية بعد إسلامه، بل لا تتحقق موتته على الإسلام، فقد قيل إنه مات سكراناً غريقاً في الخمر، ومن لم ترض حالته بعد إسلامه، وسخط عليه الرسول الأعظم، وقارن الكبائر، ومات ملابساً لأم الخبائث، كيف يسوى بإمام (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)[1] وشهد عليهم الرسول، وأخبر برضوان الله عنهم، وأعجب من ذلك كله غفلته عن كون الحديث إنما ينطبق على رجلين استشهدا معاً، ولا قائل إن وحشياً الحبشي استشهد، بل قيل في حاله ما تقدم، مما هو والشهادة على طرفي نقيض، والحامل له على ذلك، والله أعلم، قلة مبالاته، مع ضيق عطنه في علم الحديث والسير، ولم يجد ما يمثل به لذلك لعدم معرفته بأخبار الصحابة وأحوال من استشهد منهم وتسمية قاتليهم، ومن أسلم منهم بعد ذلك ثم استشهد، ولما كانت موتة[2] سيد الشهداء حمزة وشهادته معروفة عند الخاص والعام، وعلم أيضاً أن قاتله قد أسلم، لم يجد ما يمثل به إلا ذلك، وليته ترك التمثيل وسلم من هذه الورطة التي لا تطابق الممثل، ولا تليق بالمقام ولو طابقت، والله يغفر لنا وله. ولم أذكر ذلك له ولا لأحد من أصحابه خشية أن يظن بي استراق السمع في مجلسه، والتطلب لعوراته، فيثير ذلك حقداً وحسداً، مع أنه أول مرة قد غص بمكاني كما ذكرته في ترجمته، وإنما ذكرت ذلك هنا تحذيراً وتنبيهاً وغَيْرة على مقام النبوءة، وليحافظ الناظر في هذا على الأدب إذا تكلم فيما يضاف إلى أهل بيت النبوءة، وما قصدت بذلك انتقاص وحشي ولا ذكره بسوء، ولا التعرض لإذايته لما له من فضيلة الصحبة في

---

[1] الأحزاب: 23.
[2] زيادة من ط.

تلك اللحظة الواقعة بعد النسبة الإسلامية، إلا أن الضرورة دعت إلى ذكر ما تقدم امتعاضاً لمقام السيد حمزة أسد الله ورسوله، وردا على المسوي بينهما، ولولا ذلك لكان الأولى الإعراض عن ذكره بالكلية كما فعل، صلى الله عليه وسلم، فلا يذكر بخير تأدبا معه عليه السلام، ولا بقبيح تأدباً مع مقام الصحبة، ويدل على ذلك أنا ما رأينا قط أحدا من أهل الحديث والسير قال عند ذكره رضي الله عنه، كما يقولون في غيره من الصحابة، ولو كان من أصاغرهم الذين لم تعرف لهم فضيلة ولا أثر في الدين الصحبة، فإن غالب المحدثين إذا ذكروا واحدا منهم ترضوا عليه، والله يغفر لي ما طغى به قلمي، وزل فيه لساني من ذلك.

لطيفة:

وجدت عند صاحب الترجمة بطاقة بخط شيخنا السيد محمد باعلوي كتبها لصاحب الترجمة، نصها تيمنا بلفظه: باسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم:

[رجز]

لبستَ تلك الخرقة الأنيقة   وحُزت أسرارا لها دقيقة

فهمتَ ما قد لاح أو تلالا   من نُور تلك البرقة المشيقة

وأنتَ مخطوب لسر معنا   أهل الطريقة صرت والحقيقة

باسم المنور المحبوب العارف، موجه الوجه، الشيخ عبد الله بن نمي العمودي، كتبه الفقير إلى الله السيد محمد بن علوي بن محمد أبو بكر بن علوي بن أحمد بن بوبكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف هـ.

قلت: وحيث جرى في هذه البطاقة ذكر بعض نسب شيخنا السيد محمد، فلنذكر إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، على ما في بهجة المفاخر في معرفة النسب العالي الفاخر، وفيه بعض مخالفة لما هنا، وهو السيد محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن

عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ابن أبي طالب والزهراء البتول بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأما سند شيخنا هذا في طريق القوم فقد لقيتُه بمكة المُشَرَّفة بداره أواخر سنة أربع وستين ولقنني وألبسني كوفية من لباس رأسه الكريم بيده المباركة، وهو أخذ عن شيخه السيد عبد الله بن علي صاحب الرهط، وهو عن السيد شيخ بن عبد الله صاحب أحمد أبادي، وهو عن والده عبد الله بن شيخ، وهو عن عمه القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس، وهو عن والده القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وهو عن أبيه وعن عمه الشيخ عمر المحضار ابني عبد الرحمن السقاف، وهما عن والدهما عبد الرحمن بن محمد، وهو عن والده محمد بن علي، وهو عن والده ابن علوي بن محمد، وهو عن والده القطب المحقق سيدي الفقيه محمد بن علي المعروف بمقدم التربة، وهو عن الشيخ عبد الله المغربي، وهو عن الشيخ عبد الرحمن المقعد المغربي،وهو عن الغوث الجامع سيدي أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان، رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم آمين. وقد طال ما بحثت عن هذا السند فلم أظفر به إلا بعد مدة على يد خليلنا حسن بن علي العجيمي، ثم بعد ذلك أخبرني صاحبنا الشيخ عبد الله باعفيف أن خليلنا حسن إنما كتبه من عنده، وقد اغتبطت بالعثور عليه، لأن انتسابي إلى هذا الشيخ من النسب التي أرجو بركتها، وأعددتها ذخراً عند الله تعالى، وكانت وفاة شيخنا السيد محمد بن علوي يوم الجمعة الرابع عشر من ربيع الثاني عام واحد وسبعين وألف، وفي تاريخ وفاته قلت:

[رجز]

مات فتى المجد من آل علوي ... محمد إمام أرباب النهى

قد كان بحرا في المعارفْ فلا ... ترى له في الوقت طرا مشبها

وكان غوث مكة تاريخه ... قولك قطب وقته مات بها

إنا لنا الله به ما نرتجي ... دنيا وأخرى وكفانا ما دها

ومنهم المسن العابد، المحاسب نفسه المجاهد، السيد مصطفى، رجل من أهل البيت، قد طعن في السن وكف بصره، وله اجتهاد تام في العبادات، والناس

يعتقدون فيه الصلاح، وأثر العبادة ظاهر عليه، قلما يسبقه أحد إلى المسجد، وقَلَّما يخرج منه بعد دخوله، زرتُه مراراً عديدة، ودعا لي بما أرجو بركته، وقد أخبرني صاحبنا السيد عمر، وكان ثقة صدوقا، أنه رأى في منامه ذات ليلة رجلاً، وقال له[1]: تعال أريك رهطاً من الأولياء، لا أدري: قال النجباء أو الأبدال، قال: فدخلت معه إلى المسجد، فأراني جماعة جلوساً مستقبلين القبلة لم أعرف منهم إلا السيد مصطفى، رضي الله عنه، ومنهم شيخنا جمال الدين النقشبندي، رضي الله عنه، وقد تقدم جملة من خبره فيمن لقيته بمكة، وقد وصل إلى المدينة بعد إقامتنا بها، وقد بلغنا خبر موته ونحن بالمغرب، وأنه توفي سنة ست وسبعين، ودفن عند شيخه بالبقيع بحُش كوكب رضي الله عنهما آمين.

[1] ساقط من ط.

ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة زادهما الله تعظيماً وتشريفاً

ولما استهل شهر شعبان المكرم أخذت القوافل في الخروج من المدينة إلى مكة، ورجع من جاء من أهل مكة والطائف واليمن لشهود موسم الرجبية بالمدينة، فخرجت قافلة عظيمة ثاني يوم من شعبان، خرج فيها كثير من أهل مكة، وخرج فيها شيخنا سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي، وكانت نيتنا في المجاورة من أول الأمر أن نقيم بالمدينة إلى قرب رمضان، ونشاهد رمضان بمكة، فقوي عزمنا على الخروج من المدينة، وأخذنا في أهبة السفر بقدر ما نرى إدراك أول رمضان بمكة، اغتناما لبركة مضاعفة الأعمال في الحرم المكي، خصوصا شهر الصيام، ولما ورد أن عمرة في رمضان تعدل حجة معه عليه السلام[1]، ولما ورد أيضاً أن شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان.

ولامني جماعة من الأصحاب المجاورين والمدنيين على الخروج، وقالوا: إن مذهب مالك أن المقام بالمدينة أفضل، ولم ألتفت إلي شيء من ذلك، وصرت إلى ما قوي عليه عزمي من السفر بعد الاستخارة، رائياً أن لكل من البلدين المشرفين حقاً وحرمة ومكانة عند الله، وفي كل من أنواع العبادات ما لا يوجد في الآخر، لما اشتملت عليه مكة من مشاهدة البيت والطواف به، وأداء المناسك من حج وعمرة وغير ذلك من القربات، مع أن الصحيح عند كثير من الأئمة، حتى من أهل المذهب، أن الأعمال تضاعف بحرم مكة زيادة على حرم المدينة، ولا ينافي ذلك أفضلية المدينة عند القائلين به لاختصاصها بمزايا أُخَر، ولما تقرر أنه قد توجد في المفضول مزايا ليست للفاضل، فعلى هذا ينبغي للمجاور أن يجعل لكلا البلدين حصة من إقامته ليغتنم بركتهما، ويفوز بثواب العمل الصالح فيهما، فإن القائل

---

[1] أنظر: صحيح البخاري 2:659.

بأفضلية أحدهما لا ينفي فضيلة الآخر إجماعاً بين الأئمة، فعلى هذا فالمؤثر للإقامة بأحدهما تاركاً حظه من الآخر لكونه مفضولاً غير مصيب في الرأي.

وفي فضل البلدين معاً، والإشارة إلى المسجد الأقصى الذي هو ثالثهما في الفضل قلت مضمناً لبيت معروف[1]:

[طويل]

أيا خيرَ خلقِ الله شرفتَ مكةَ ... وطيبة لما صرتَ طرزَ حلاهُمَا

حللتَ بهذا حلة ثم حلة ... بهذا فطابَ الواديانِ كلاهُما

لمكةَ فضلُ البدءِ والختمُ فضلةٌ ... لطيبةَ فالثمْ يا مُحب ثراهُما

وجاورْ بهاذي مدةً ثم مُدة ... بهاذي ولا تطلبْ مكانا سِواهُما

ولا تعدِلَنْ بالمسجدين وإن يكنْ ... ولا بُد أن القدسَ كان أخاهُمَا

فما غيرُها تُحدَى الركابُ إليه أو ... يُساهمها عند الفخارِ تساهُمَا

ولما انتصف شهر شعبان تأهبنا للسفر، واكترينا جملين بثلاثة عشر قرشاً، واتخذنا لركوبنا شقدفاً وهبه لنا شيخ الأغوات آغا سُليم لما بلغه أني أريد شراء شقدف لركوبنا لأنا فضلة مرض، وهو محمل كبير ما رأيته إلا في أرض الحجاز، ذو شقتين توضع كل واحدة على جنب البعير، ويقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهره، ولا بدَّ للراكب فيه من معادل له في الجهة الأخرى، مقارباً له في الرزانة، ثم يوصل بين الشقتين من أعلى بحبال يظلل عليها بغطاء يقي الحر والبرد، وهو من أشهى المراكب وأهناها، سيما لمن له فرش وثيرة ووسيدة يتكئ عليها من الجانبين، فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به، فقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره ولا يستيقظ إلا بإناخة الجمل عند النزول، وقد لا يستيقظ.

وتهيأ خروجنا من المدينة المشرفة ضحى يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان، فاغتسلت من المدينة، ولبست ثوبَيْ إحرامي، وكان قصدي اغتنام الإحرام من ميقات النبي، صلى الله عليه وسلم، بذي الحليفة، وجعلت آخر عهدي بالمدينة المنزل بين يدي النبي، صلى الله عليه وسلم، والسلام عليه، ثم صلاة ركعتين فيما

---

[1] الإشارة للبيت الثاني، وهو لجميل بثينة.

بين القبر والمنبر، وخرجت وودعت غالب الأصحاب، وشيعني جماعة منهم إلى الحرة الغربية[1] خارج المدينة، وودعت شيخنا الملا إبراهيم في مترله، وزاد معي جماعة من الأصحاب إلى ذي الحليفة، وقطعت تلك المسافة راجلا، فوجدنا القافلة قد نزلت بذي الحليفة، ونزلنا هنالك إلى قرب العصر، فارتحلنا وودعنا الأصحاب الراجعين إلى المدينة، وعاودت الاغتسال لطول ما بين خروجنا من المدينة وارتحالنا من ذي الحليفة، وركعت ركعتي الإحرام، ولبّيت بالعمرة، وهالني الركوب في الشقدف لأني ما عاهدته قبل، وعادلني في الجانب الآخر أخي سيدي عبد الرحمن، و لم أستأنس ركوبه إلا بعد مدة، وكان يخيل لي إذ صرت في جنب البعير أن الجانب الذي أنا فيه قد مال للسقوط، وكذلك كان يخيل لصاحبي حتى تمرّنا به، فكنا ننام فيه ما شئنا، ونمد أرجلنا ونضطجع كيف شئنا، وسرنا غالب تلك الليلة منفردين عن القافلة، لم نلحق من قبلنا ولا لحقنا من بعدنا، وكان المحل محل خوف لأن تلك المسافة يطرقها لصوص عترة، وهي في درك بني سالم، ومنازلهم بعيدة عنها، وصاحبنا المكاري من بني سالم، فطار قلبه خوفا من عترة، و لم نزل نسير رويدا طول الليل، وكان الفصل فصل الربيع، قد بقيت بالليل بقية برد، وأما النهار ففي غاية الاعتدال إلى أن وجدنا أول القافلة منيخين ببطحاء القريش[2]، فملنا عن الطريق قليلاً، وأنخنا تحت سمرة، وقد لحقنا من العياء ما لا مزيد عليه، وأثّر فينا السهر لأننا لم نعتد المشي في الليل كما هو شأن أهل تلك البلاد فإن غالب سيرهم بالليل، لا يحملون الإبل من السير إلا ما سمحت به أنفسها عن اختيارها، فيتركونها تمشي على مهل بلا سائق، وذلك الذي أعانهم على قطع تلك المسافات بضامر إبلهم، مع هزالها وضعفها، وفي ذلك راحة للمسافر، الراجل والراكب، وأعانهم على ذلك أيضاً ما بسط الله في تلك البلاد من العافية الوافية، فلا ترى لصاً ولا سارقاً في ليل ولا نهار إلا في قرب من المدينة، كما تقدم، وإنما تشتعل نار الحرابة والسرقة في تلك البلاد أيام الموسم فقط، لاختلاط الناس واجتماع الأوباش من كل أوب. وقد عاينّا من الطمأنينة في الطريق والعافية والسكون في مسيرنا هذا ما

---

[1] الحرة الغربية: وتقابلها الحرة الشرقية، وهما حد المدينة المنورة من الجنوب والشمال: الجواهر الثمينة 140:1.

[2] البطاح: جمع بطحاء، وهي بطاح مكة، ويقال لقريش الداخلة البطاح، وقال ابن الأعرابي: قريش البطاح الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة، وقريش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب: معجم البلدان: الأباطح.

قضينا منه العجب، لأنا ما كنا نسلك هذه البلاد إلا في أيام الموسم، ونعاين ما يقع بها من النهب والسرقة والروعات المتوالية، فظننا أنها كذلك دائماً.

واسترحنا في مناخنا ذلك بقية ليلنا وعامة نهارنا إلى أن زالت الشمس وهبّت الرياح قريباً من العصر، فارتحلنا وسرنا ليلنا أجمع أيضا على نحو السير المتقدم، ومررنا بشرف الروحاء قرب العشاء، ومررنا ببئر الروحاء وسط الليل، ووجدنا بركته مملوءة ماء لكثرة الأمطار في تلك السنة، وأنخنا سحراً قرب مسجد الغزالة مقابلة منقطع العرق في الوادي، فلما أصبحنا عطشنا، ودلنا المكاري على ماء هنالك في شق في[1] الجبل الأيمن، وما كنا نعرفه قبل ذلك. ثم ارتحلنا من هنالك قرب العصر، وقطعنا النازية[2] والشمس حية، ودخلنا في مضيق الخيف، ومررنا بقرية الجديدة ليلا، ولم نترل، وسرنا ليلنا أجمع، وما نزلنا الصفراء[3] حتى طلعت الشمس، وأقمنا بها يومنا في أرغد عيش، وتسوقنا أهلُ تلك القرى بالمحتاج من لحم وأدام ودلاع وغير ذلك، ثم ارتحلنا منها عشية ونزلنا بدراً وسط الليل، وأنخنا قريبا من البركة التي في مترل الحاج.

لطيفة:

لما عرفنا أن المرحلة[4] في تلك الليلة قريبة، وكنت في وقت العشاء راكباً، وشَقَّ عليَّ الترول، أخَّرت الصلاة إلى وقت الترول لاتساع الوقت، ولما نزلنا وكانت الظلمة، ومحل الماء هنا خلوة، فتيممت وصليت (العشاء)[5]، وسولت لي نفسي جواز ذلك، وترخصت، فنمت في أحد شِقي الشقدف وهو على الأرض، فغلبتني عيناي، ولم أرَ نومة أحلى منها، فلما كان آخر السحر، ولم يبق إلا مقدار ما أتطهر فيه وأصلي العشاء ثم يطلع الفجر، وقعت الجهة التي أنا فيها من الشقدف إلى الأرض وقعة منكرة، فاستيقظتُ فزعاً مرعوباً، وما كنت أشك أن إنساناً

---

[1] ساقط من ط.

[2] النازية: عين ثرة على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة قرب الصفراء، وهي إلى المدينة أقرب: معجم البلدان: النازية.

[3] الصفراء: قرية فوق ينبع كثيرة المزارع والنخل ماؤها عيون يجري فضلها إلى ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، والصفراء على يوم من جبل رضوى: معجم ما استعجم 836:3.

[4] في ط: تلك المرحلة.

[5] زيادة من ط.

تحامل عليها فألقاها بقوة، فنظرت يمينا وشمالا فلم أرَ أحداً، وإذا بالفجر قد قارب الطلوع، فوقع في قلبي أن صلاتي بالتيمم لا تصح لقرب الماء مني، ولا ضرورة تمنع منه، فذهبت وتوضأت وصليت، وأدركت بقية وقت الضرورة، فعلمت أن الله قد لطف بي، وأن سقوط شق المحمل إنما كان تنبيها من الله لئلا يفوتني الوقت، فحمدت الله كثيراً. وأقمنا يومنا هناك، وزرت مسجد الغمامة، ورأيت فيه خط أخي سيدي عبد الكريم، فأذكرني مسقط رأسي وبلادي، ثم ارتحلنا بعد الزوال من بدر، ونزلنا دور الخبت قرب السيل الأول الذي بالبزوة في وسط الليل، ووجدنا البزوة مخصبة كأنها بستان. ثم ارتحلنا منه غداء قرب الزوال أيضا، ونزلنا قرية مستيرة قرب الصباح، ووجدنا البطيخ بها أرخص ما يكون حتى اشترينا خمسة بمحلّق.

ثم ارتحلنا منها وصليت المغرب في ثنية هرشا، ونزلنا رابغ آخر الليل، ووجدنا السيول قد اجتاحت أكثر منازل أهله، وذهبت بمزارعهم، وهَدَّت الجانب الذي فيه المنارة من مسجدهم، وأفسد الطريق، وتعبنا في قطع الوادي. ثم ارتحلنا منه، وغوى أهل الرفقة عن الطريق وهدياً من الليل في الرمال التي بينه وبين قديد، ونزلنا آخر الليل عند السيل الذي هناك، ووجدنا به قهوة وقوماً يبيعون العلف والحبحب، ثم ارتحلنا منه ومررنا بقديد، ونزلنا خليصاً في أعلى الوادي قريباً من العين آخر الليل، ثم ارتحلنا ومررنا بعسفان وسط الليل، وعندما مررنا بالثنية التي نهبط منه على عسفان، تنسمنا نسيماً طيباً وعرفاً ذكياً، استنشقه كل من معنا من راكب وراجل، وقلنا لمن معنا من العرب: ما هذا الشذا؟ فقالوا: عرف الخزامى، فإن منبتها في هذا المحل كثير. فسألت أحداً منهم وناولني ضغثاً[1] منها، فإذا هو نبت له زهر ذو عرف ذكي، من أذكى مشموم شممناه في تلك البلاد. ونزلنا آخر الليل بمحل يُسَمَّى برقة، دون السيل الذي هناك، فيه رمال ذات أشجار، بين تلك الرمال تلاع تمرُّ بها السيول، فيها مزارع ومقاثي كثيرة، تجلب منها إلى مكة وإلى جدة ومُر الظهران، وتسوقنا العرب هناك بالحبحب الكثير الحلو الفاخر.

وعند قرية عسفان فارقنا من الربع، وهو القافلة بلغتهم، من أراد الذهاب إلى جدة، فعدلوا يمينا، ودخلوا في إحدى تلك الشعاب التي على يمين القرية، ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا مرّ الظهران آخر الليل. ثم ارتحلنا منه بعدما زالت الشمس،

---

[1] الضغث: كل ما ملأ الكف من النبات: لسان العرب: ضغث.

ودخلنا مكّة المشرفة بعد ما ذهب ثلث الليل، وكنا حرصنا على دخولها نهاراً، فأبى من معنا من العرب، لأنهم كانوا يخافون من أخذ الأمير إبلهم يحملها إلى المدينة، فإنا وجدنا ولده في طائفة من العسكر بذي طوى، وقد أخرج مضاربه وخيامه إلى هناك برسم السفر إلى ناحية المدينة. فأخر العرب بنا حتى دخلنا ليلاً بعدما نام أكثر الناس ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان، وأنخنا في سوق باب إبراهيم بالفسحة التي أمام رباط الموفق الذي هو مُعَدٌّ للمغاربة وطرحنا أمتعتنا هناك، وذهب العرب بإبلهم من ساعتهم، ودخلت المسجد، وطفت بالبيت، وسعيت بين المروتين، ثم حملنا أمتعتنا إلى دار نزلنا بها وراء سوق الشامي من ناحية الباب الذي يلي دار الندوة قريباً من جبل قعيقعان. فلما أصبحنا ذهبنا إلى المسجد وصلينا الصبح، وطفنا بالبيت، ولقيت شيخنا أبا مهدي عيسى الثعالبي حول البيت وسَلَّمتُ عليه.

لطيفة:

لما نزلنا من المحلات وجدنا السيل قد أفسد الطرق في الحجون وفي أعلى مكة، وذلك أنَّه جاء سيل عظيم أظن أنهم أخبرونا أن ذلك يوم الثلاثاء العاشر من شعبان، أو يوم الأحد الثامن، لا أدري أيهما، فخرب غالب أسواق مكة، وهَدَّ دُوراً كثيرة، وأتلف أموالاً عظيمة، ومات فيه أناس، وهدم دار بعض أرباب الدولة، وذهب منها بنقد كثير على ما قالوا، ودخل المسجد الحرام، وكان أكثر دخوله من باب الصفا والأبواب الموالية له التي تلي دار الإمارة، وذلك أن السيل المنحدر من أعلى مكة لما قابل دار الإمارة لقيه سيل آخر مثله في العظمة نازل من الوادي الذي وراء جبل الحزورة، وخرج قريباً من دار الإمارة، فالتقى السيلان هنالك وتصادما، وحصر كل منهما الآخر، فانكفأ الماء راجعا وقد غفل الناس عن إغلاق الأبواب، فدخل المسجد حتى امتلأ المسجد كله، وارتفع الماء فيه إلى أن ذهب بقناديل المطاف كلها، وما في المسجد من ذواريق وبسط، وارتفع على قبة المقام وعلى سطح زمزم الأدنى، وارتفع في البيت سبعة عشر شبراً على ما قال لي من شبر ذلك، وبلغ حلق الباب وملأ كل البيت وخزانة في المسجد، وكان ذلك كله على ما زعموا في مقدار ساعة زمانية أو أقل.

أخبرني صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي، وهو عندي ثقة، أنه كان في المقام بعد صلاة الظهر وأخذ المصحف يقرأ، فقرأ عشرة أحزاب بعد صلاة الظهر، فتكلم الرعد وأرخت السماء عزاليها، وانهمر المطر كأفواه القِرَب، فما جاء وقت العصر حتى امتلأ المسجد ماء، وأقلع المطر، و لم يقدر أحد على الوصول إلى البيت بقية ذلك اليوم والليل كله وفي الغد إلى الضحى، و لم يهتد أحد من الناس لموضع البلاليع التي في المسجد المعدة لخروج الماء، حتى جاء السلطان زيد بنفسه ودَلَّهم على أماكنها، فغاص الناس إلى محالها حتى فتحوها، وخار الماء ونقص، وطاف بعض الناس بالبيت عوماً ممن يُحسن السباحة، وكان ذلك أمراً مهولاً لم يعهد الناس مثله منذ زمان. وقد أخبرني من شاهد السيل الذي سجدت لله فيه الكعبة ووقع معظمها سنة تسع وثلاثين وألف بأنه لم يبلغ ما بلغ هذا السيل ولكن الله سلم فيه البيت لوثاقة البنيان وكونه قريب العهد، إلا أنه زلزل الرخام الذي فرشت به من داخل وحركه حركة باينت بعضه من بعض، فلما غاض الماء بقي المسجد كله ممتلئاً تراباً وطيناً، و لم يمكن الناس الصلاة فيه ولا الطواف إلا بمشقة، وأمر السلطان بإغلاق الحوانيت، واجتمع أهل مكة كلهم واجتهدوا في إخراج ما أمكن من التراب والأحجار والطين، وعمل فيه الناس كافة حتى السلطان بنفسه وأولاده وأقاربه، وعندما يبست الأرض بعض اليبس أمر السلطان بحرثها بالبقر ليتمكن الناس من رفعها، فحرثوها، فحرثوا فيها على ما قيل بثمانين من البقر، وعمل كافة الناس في ذلك أربعة أيام من غير أجر إلا على الله احتساباً، ثم بعد ذلك قدم نائب جدة أغا سليمان فعينوا لذلك من يقوم به، وأخرجوا لذلك مالاً جسيماً، وكان من لطف الله المقارن لقدره أن بعث السلطان الخاقان الأعظم في هذه السنة مائة ألف دينار ذهباً على ما قالوا لتجديد ما يحتاج إلى التجديد في معالم الحرمين، وكان المقدم لذلك نائب جدة، فصرفت جملة من ذلك المال في تنظيف المسجد والمسعى وما احتيج إلى التنظيف من مشارب الماء التي ملأها السيل، وكان يخدم في المسجد كل يوم ما يقرب من مائة وخمسين رجلاً بالكراء، وأدركنا المسجد لم ينظف منه إلا المطاف وأماكن قليلة حوله، فأخرجوا التراب حتى خلصوا إلى الحصباء التي فرش بها المسجد فوجدوها قد اختلطت بالحمأة، ورسبت فيها وصارت كالأرض الصلبة التي لم تحفر قط، فأخذوا يحفرونها، وكان من لطيف احتيالهم المغني عن تكلف نقل حصباء أخرى من خارج البلد أن اتخذوا غرابيل عديدة من حلفاء أو غيرها من نبات الأرض واسعة العيون، فكان الذين يخدمون

ثلاثة طوائف؛ طائفة تحفر، وأخرى تغربل ما حفرت تلك، والثالثة تلقي التراب المنخول خارج الأبواب ويتركون الحصباء مكانها، فصاروا لا يمرون بموضع إلا بلغ النهاية في النظافة كأنه لم يمر به أذى ولا تعلق به قذى، وينتقلون من مكان إلى مكان في المسجد حتى نظف كله وحصب كما كان أولاً من غير نقل حصباء من خارج ولا إخراج شيء من حصبائه، ودام العمل على ذلك إلى انتهاء رمضان وأكثر شوال، وفعلوا مثل ذلك بما بين المروتين، وأزيل منها ما فيها من الأحجار، وكان الناس قبل تنقيته يلقون منه أذى سيما من كان يسعى بالليل، واجتمعت من التراب المخرج من المسجد تلول وآكام عظيمة على أبوابه بقيت كذلك حتى أدركها الحاج وشاهدوا آثار قدرة الله وآثار همم الملوك المعتنين بتعظيم شعائر الله، وعندما فرغوا من تنظيف المسجد والمسعى أخذوا في تجديد الصباغات الرائقة والنقوش الرفيعة التي محق السيل أثرها من المقام وقبة زمزم وقباب مقامات الأئمة وغير ذلك على أرفع مما كان، وزيدت فيه أشياء عجيبة، وصبغت أعمدة الحديد الدائرة بالمطاف كلها بصبغ أحمر قاني مصقولة، ووضع على كل عمود هلال مذهب أبلغ تذهيب، وزيد في مصابيح المسجد والمسعى ثلاثمائة مصباح، وكانت قبل ذلك ستمائة وصارت تسعمائة، وكان بين كل عمودين من أعمدة المطاف، وهي نحو الثلاثين، سبعة مصابيح من زجاج صافي واسع، فإذا أوقدت بليل وأزهر نورها ولاقى إشراقها حمرة الأعمدة وبريق الأهلة المذهبة وبياض رخام المطاف وسواد برقع البيت، كان لذلك منظر رائق وجمال فائق، مع المهابة الربانية والجلالة الإلهية التي كسبها ذلك المحل على الدوام وجللها على مرور الأيام. هذا بعض ما يشاهده أهل البصائر الحسية فما بالك بما يكشف الله عنه لبصائر العارفين عند طوافهم ببيته وتقبيلهم الحجر الركن الذي هو يمين الله في الأرض مما وقعت الإشارة إليه بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنا نتراءى الله في ذلك المكان، وبما جاء به الأمر من قوله، عليه السلام، فيما بين زمزم والمقام: هنا تسكب العبرات[1].

ومما أتلفه هذا السيل خزانة من الكتب لشيخنا سيدي أبي مهدي عيسى الثعالبي، كانت بالمسجد على وجه الأرض، ولها باب مفتوح إلى المسجد فيما بين باب حزورة وباب إبراهيم، وكان يجلس فيها أحيانا، وهي مأواه قبل أن يتأهل،

---

[1] نوادر الأصول في أحاديث الرسول 2:20.

فلما سافر إلى المدينة ترك فيها بعض كتبه، وكانت مفاتحها بيد رجل من أهل إفريقية من أصحابه كان يأوي إليها، فطرق حادث السيل وغفل عن تنحية الكتب ظنا منه كغيره أن الأمر لا يبلغ إلى ما بلغ، حتى أتى الماء عليها كلها و لم يسلم منها شيء، وكانت نحو الثمانين سفراً، فيها من نفائس الكتب وغرائبها التي لا تكاد توجد في غيرها. ما كثر أسفه عليها بعد ذلك، فأمر بها، فحفرت لها حفرة في الأرض ودفنت فيها، كان منها أجزاء من المدونة الكبرى[1] التي هي أم الدواوين الفقهية و لم يسلم منها شيء، وكثر تأسفي على عدم رؤيتها لغرابتها، ولكون أكابر الفقهاء من قبل هذه القرون لم يظفروا منها بشيء، وأظن أنه أخبرني أنه وجد المذكورة في خزانة رباط الموفق وأنها كانت بيد الإمام الحطاب[2]. ومنها عيون الأدلة لابن القصار[3]، وكان يثني عليه كثيراً في بسط أدلة المذهب والانتصار له والرد على المخالفين، مع التحقيق التام، إلى غير ذلك من الكتب منها ما هو ملكه، ومنها ما هو من كتب الوقف.

ولقد أعقب هذا السيل بمكة ونواحيها خصبا كثيراً، ورخصت الأسعار، وغزرت المياه وعذبت فوق العادة، حتى زمزم قد زال ما فيها من الطعم، وغزر ماؤها وارتفع حتى كاد يتناول باليد، وانكسرت سورة[4] الحر في هذه السنة بمكة وبشعابها وبالمسجد وأفنيته لنداوة الأرض، ولقد أنعم الله علينا ببيت تحت مسكن شيخنا أبي مهدي بابه إلى المسجد كُنّا نأوي إليه، ووجدنا أثر الماء قد كاد يبلغ منه إلى السقف، وبقيت أرضه وجدراته ندية، فكنا إذا اشتد وهج الحر ودخلناه وأغلقنا بابه علينا لا نحس بشيء من وهج الحر، ويغشانا فيه نسيم بارد، وكنا نحمد الله على ذلك كثيرا، وكان انتقالنا إلى هذا البيت من المسكن الذي سكنا فيه أولا لبعده من المسجد، فشق علينا التردد منه إلى المسجد مع شدة الحر، فأعطانا الشيخ أبو مهدي البيت الذي فيه كتب الوقف برباط الموفق، جعلنا فيه أمتعتنا وأخذنا بيتا آخر بإزائه للطبخ، وبالنهار نأوي إلى هذا البيت الذي بالمسجد حتى

(1) يقصد مدونة سحنون (ت 240 هـ) في الفقه، وقد طبعت مرتين بمصر: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص: 106.

(2) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني، الشهير بالحطاب المالكي الأنصاري، له شرح على مختصر خليل، توفي سنة 953 هـ: لقط الفرائد، ص: 299.

(3) علي بن أحمد البغدادي، ابن القصار، فقيه أصولي،. من مصنفاته: عيون الأدلة وإيضاح الملة، توفي سنة 398 هـ: معجم المؤلفين 12:7.

(4) في ط: صولة.

قربت أيام الموسم ورجع صاحب هذا البيت إليه، وأعطانا صاحبنا الشيخ محمد الغدامسي بيتا له حول باب الصفا وجدنا ماء ولا كصدى ومرعى ولا كالسعدان[1]، وأقمنا فيه إلى أن خرجنا من مكة قافلين، وهذه أماكن استيطاننا بمكة مدة إقامتنا بها بعدما رمنا أماكن أخر فلم توافقنا؛ منها بيت صاحبنا الشيخ عبد الرحمن أخي الملا إبراهيم، وكان برباط السلطان قايت باي المشرف على الصفا، وهو رباط مليح واسع فيه بيوت كثيرة جيدة جامعة لمرافق السكنى، في كل بيت منه خابية للماء ومكان للخلاء والوضوء. وكان بيت صاحبنا في أعلاه، وطلب منا السكنى معه، ورغب في ذلك، إلا أنا آثرنا الانفراد وكرهنا التضييق عليه؛ إذ ليس له مترل سواه، فجزاه الله خيراً وأجزل له أجراً. ومنها بيت لبعض أقارب خليلنا حسن العجيمي كان كتب إليه من المدينة فمكننا من مفتاحه، وكان في ناحية باب علي الموالي للمسعى، ولم يوافقنا أيضا لقربه من المحكمة التي يجلس فيها القاضي للحكومة، وليس بينهما إلا شباك، فشق ذلك علي، وخرجنا منه.

[1] أمثال العرب، ص: 127.

ذكر شهود رمضان بمكة المعظمة[1] زادها الله تعظيماً وتشريفاً[2] (آمين)[3]

ولما دخل شهر رمضان أخذ الناس بالجد، وشمّروا عن ساق الاجتهاد في العبادة، ونصبت الأسواق طول الليل كما هو شأن أهل المشرق في ليالي رمضان، فلا تكاد ترى بالمسجد ليلاً إلا طائفا أو تالياً أو مصلياً، وأخذ الناس من أهل مكة والمجاورين في الاعتمار، سيما ليلة الجمعة، فلا تكاد الطريق تنقطع طول الليل من التنعيم إلى مكة ركباناً ومشاة رجالاً ونساء وصبياناً وعبيداً وإماء، وكنت ممن أخذ بحظ من ذلك، والمِنَّة لله، فكنت أعتمر كل ليلة اثنين وجمعة إلى انتصاف الشهر، فكنت أعتمر كل ليلة إلى ليلة أحد وعشرين فدخلت إلى الاعتكاف إلى آخر الشهر، والمنة لله وحده، وهذا من التحدث بالنعم، نسأل الله أن يخلص الأعمال منه. وجعلت منها عمرا للوالدين والإخوان والأصحاب والمشايخ، نفعنا الله وإياهم بذلك، ولم أحتفل بما هو مشهور المذهب من كراهة تكرار العمرة في السنة الواحدة، بل بذلت جهدي في ذلك اقتداء بمذهب المخالف وبمن قال ذلك إنما يكره للمقيم، وأما المسافر فليستكثر من الخير ما استطاع، وقد قال بعض أهل السلوك من أئمة المالكية: ينبغي لسالك طريق الآخرة أن يقتدي بمذهب الشافعي في أشياء ذكر منها هذه، وصحة الاعتكاف بلا صوم ولو في الحصة ليل أو نهار[4]، لأنه ولو لم يكن لازماً في مذهبنا فلا يدفع كونه قربة لأنه مكث في المسجد بقصد التقرب إلى الله مع التلبس بما تيسر من ذكر وتلاوة وصلاة، وهذا لا ينفي أحد كونه قربة، ولو لم يقل أحد بلزومه، وذكر منها أيضاً ألا يمتنع من الطواف بالبيت وركعتيه في أي وقت شاء من ليل أو نهار لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا

---

[1] ساقط من ط.
[2] في ط: تشريفا وتعظيما.
[3] زيادة من ط.
[4] في ط: يوم أو ليل.

تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت أن يصلي في أي وقت شاء من ليل أو نهار[1]، فقد رأى الشافعية ومن وافقهم تخصيص عموم النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة بهذا الحديث وشبهه من كل صلاة لها سبب، وأدلتهم في ذلك في غاية القوة، على أني كنت أتحرج من هذا كثيراً، وإن طفت في وقت النهي أخرت الصلاة على أحد القولين في ذلك لأنه كان يُخيَّل لي أن ذلك إنما يترخص فيه من استغرق غالب أوقاته في الطواف وقصد الاستكثار منه قبل فواته، ولست بذلك المكان وفي الأوقات سوى المنهي عنه غنية لضعيف القوى مثلي.

واجتهد أهل الثروة من أهل مكة، فكان لكل واحد منهم[2] مصباح كبير بين يديه، وخصفة[3] يجلس فيها كل ليلة بالمسجد، ويأتي بنفر يقرؤون عنده في القرآن أجزاء على المناوبة، إلى أن تذهب حصة من الليل، فإن كان قارئاً قرأ معهم، وإلا استمع، ويسقيهم من الأشربة اللذيذة على قدر وسعهم، ويطيبهم، ويستعدون لذلك، فترى صحن المسجد على سعته يزهر مصابيح، وعلى كل مصباح نفر يقرؤون، فإذا كان ليلة الختم احتفل لها أكثر، حتى تكون ليلة العيد، فيعطي كل واحد منهم لمن يقرأ عنده كسوة ودراهم، على قدر حاله ومروءته، فينتفع بذلك غايةً ضعفة المغاربة المجاورين ممن كان يستظهر القرآن، سيما من كان حَسُن الصوت منهم. ومن كانت فيه صرامة يقرأ في عدة أماكن، ويأخذ من كل مكان ما شُورِط عليه.

وبولغ في تنظيف مقامات الأئمة الأربعة، وترتب في كل مقام إمام يصلي بصلاته جماعة كثيرة من أهل مذهبه، ولهم مسمع. وأعظمهم أئمة، وأكثرهم جعجعة وأصواتاً مرتفعة الحنفية، فيفصلون بين كل تسليمتين بتحميدات وتهليلات وتسبيحات يرفع بها جماعة كثيرة من المؤذنين أصواتهم فيرتج لذلك ما حولهم من المسجد.

فإذا كان ليلة ختم كل واحد من أئمة المقامات احتفل لذلك أتمّ احتفال، وزيد في مصابيح المقام وفرشه وطيبه، وأُتي بشموع كبار هائلة، ورفعت على حسك عظيمة رائقة، ويحضر الختم غالب من في المسجد من الناس، ويخلع على

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي 2: 461.

(2) ف ط: منهما.

(3) الخصفة: الثوب الغليظ جدا: تاج العروس: خصف.

الإمام بعد الفراغ من الصلاة خلعة من عند السلطان، ويعطى فتوحاً[1] زائداً على الخلعة، كل على قدر حاله.

وأول من يختم الشافعي، وهو إمام مقام إبراهيم عليه السلام، ويختم ليلة إحدى وعشرين، والمالكي ليلة خمس وعشرين، والحنفي ليلة سبع وعشرين. وجدّ الناس في أنواع العبادات والطاعات، وقد رأيت من المجاورين من يعتمر كل ليلة. وفي ليلة خمس وعشرين يخرج غالب الناس للعمرة، من اعتمر قبل ذلك ومن لم يعتمر، واعتمر شيخنا أبو مهدي في تلك الليلة وكان لا يعتمر قبل ذلك، وكنت إذا تعجبت من اجتهاد الناس ونشاطهم للعبادة، يقول لي: إن هذا تأييد إلهي لسكان الحرم ببركة هذا الشهر، ويقول لي: إذا خرج هذا الشهر الكريم لا ترى في الناس حتى عشر نشاطهم، وكان الأمر كما قال، فما هو إلا أن جاء يوم العيد خف المسجد من سكانه وعُماره، وفترت العزائم حتى أنكرت نفسي في أنواع القُرُبات من طواف وغيره، فما هي التي أعهد.

فتحت الكعبة مرتين في شهر رمضان أول جمعة وآخرها، ومنّ الله بدخولها على أحسن حال في كلا المرتين، وصليت فيها ما شئت مع سكون وتؤدة ووقار، وفتحت مرتين آخرين بعد ذلك؛ أحدهما الفتح المعتاد يوم كنس الكعبة في الثالث عشر من ذي القعدة، وتغسل فيه الكعبة وتطيب وترفع كسوتها إلى فوق حتى لا تنالها الأيدي، ويسميه العوام إحرام الكعبة. وفتحت قبل ذلك آخر شوال لإصلاح رخام أرض البيت الذي حركه السيل عند دخوله، ولم يدخل في هذا الفتح إلا أفراد من الناس، وكنت ممن دخل في هذا الفتح والذي بعده بفضل الله تعالى، وقد فتحت قبل ذلك في شعبان فتحاً عاماً أيضاً ولم ندركه، والعادة أن كل ما فتحت الكعبة يوماً للرجال فتحت في غده لدخول النساء، ولا يقرب ساحة البيت يوم دخول النساء أحد من الرجال كفعل النساء يوم دخول الرجال. ومن اضطر لطواف يوم دخول النساء لأجل عمرة طاف من وراء الأعمدة والقباب كلها، فتلحقهم مشقة في ذلك، ويفتح البيت عادة سبع مرات في السنة الأولى يوم النحر لتعليق الكسوة عند طلوع الشمس، ولا يدخل في ذلك اليوم إلا من زاحم وتعلق بالقرب، والثانية يوم عاشوراء، والثالثة يوم المولد النبوي في ربيع، والرابعة في شعبان، والخامسة والسادسة في رمضان، والسابعة في ذي القعدة، وقد مَنَّ الله

[1] الفتوح: الهبة والهدية، وغالبا ما تقترن بالمجال الديني: عامية مغربية.

بدخولها خمس مرات في هذه السنة. ويتمادى فتحها في غير يوم النحر من حل النافلة إلى قرب الزوال، ولما كان يوم الأربعاء، يوم الفطر، بَكّر الناس لأخذ مواضعهم للصلاة في المسجد، وبَكّرت وجلست قرب المنبر لاستماع الخطبة، فلم يأتِ الإمام حتى ارتفعت الشمس وبدأ الحر، وخطب خطبة بليغة وأطالها.

وقَدِم مع الإمام جماعة من المؤذّنين وأكابر الناس معهم ألوية، وعلى المنبر ألوية أخر، وفُرِش المنبر كله بالديباج، وجلس المؤذنون تحته إلى باب المنبر، فلما وصل إلى ذكر السلطان والدعاء إليه، قام إليه أحد أصحاب الأمير وخلع عليه الخلعة وهو يخطب، وما هو إلا أن يخلع عليه فيذهب الذين معه، وتتابع الناس أفواجاً حتى لا يكاد يبقى مع الخطيب إلا قليل من الناس، ولا ينتظرون فراغ الخطبة ولا دعاء الإمام، وكأن قصدهم إنما هو مشاهدة الخلع على الخطيب، وتلك عادة مذمومة.

ولما انقبض الجمع ذهب كل أحد إلى منزله، ومن كان له صديقٌ حميم أو قريبٌ أو وليّ نعمةٍ ذهب للسلام عليه في مجلسه ولو لقيه في المسجد أو جلس معه لا يكتفي بذلك حتى يأتيه إلى منزله.

لطيفة:

لما فرغ الإمام من الخطبة وطفت بالبيت ذهبت للسلام على شيخنا أبي مهدي في منزله، فوجدت الناس يدخلون عليه أفواجاً للتهنئة بالعيد، وكنت ترصدت قبل ذلك مجيء يوم العيد لسماع الحديث المسلسل بالسماع في يوم عيد ما أمكنني ذلك في هذا اليوم، وحدثني به يوم الأربعاء يوم فطر بمنزله بباب حزورة، أحد أبواب المسجد الحرام. فقال: حدثني شيخنا أبو إسحاق إبراهيم الميموني بمنزله بالقاهرة يوم عيد الفطر بسنده إلى السيوطي، قال الجلال السيوطي: أخبرني الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد فهر[1] الهاشمي سماعاً عليه بالمسجد الحرام في يوم عيد الفطر بين الصلاة والخطبة، قال: أخبرنا الحافظ أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة سماعاً عليه في يوم عيد الفطر، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد المعطي سماعاً في يوم عيد الفطر، قال: أخبرنا

[1] في ط: فهنا.

الحافظ أبو عمرو عثمان بن محمد التوزري سماعا عليه في يوم عيد الفطر، قال: أخبرنا أبو الحسن علي ابن هبة الله الجميزي سماعاً في يوم عيد، قال: أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن علي الأنبوسي ببغداد في يوم عيد الأضحى، وأخبرني عاليا بدرجتين أبو عبد الله بن مقبل الحنفي عن محمد بن أحمد المقدسي عن ابن البخاري عن أبي حفص بن طبرزد قال: أخبرني أبو المواهب بن ملوك سماعا في يوم عيد قالا: أنبأنا القاضي أبو الطيب الطبري في يوم عيد، قال: أخبرنا أبو أحمد بن الغطريف بجرجان في يوم عيد، قال: أخبرنا ابن ذاهب الوراق في يوم عيد الأضحى قال: حدثني وكيع بن الجراح في يوم عيد، قال: حدثنا سفيان الثوري في يوم عيد، قال: حدثنا ابن جريج في يوم عيد، قال: حَدَّثنا عطاء بن أبي رباح في يوم عيد، قال: حدثنا ابن عباس في يوم عيد قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عيد فطر، أو أضحى، فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس قد أصبتم خيراً، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف، ومن أحب أن يقيم حتى يشهد الخطبة فليقم[1]. غريب بهذا السياق، هـ كلام السيوطي. وكتبت السند من خط شيخنا.

وقد اتصل لنا سماع هذا الحديث بحمد الله بوصفه المشروط في أشرف الأماكن؛ حرم مكة شرفها الله، والذي يغلب على ظني أنّي قد حضرت سماع الشيخ الثعالبي من الشيخ الميموني لهذا الحديث في يوم عيد الفطر بعد الصلاة بمترله المجاور للأزهر بالقاهرة سنة أربع وستين، إلا أني لما لم أحقق السماع آثرت روايته عن الثعالبي عنه بشرطه، وإن كانت إجازة الشيخ الميموني لي مرتين شاملة لذلك، إلا أن السماع لا تعادله الإجازة وإن تعددت، وأما الواسطتان اللتان بين الميموني والسيوطي فلا أعينهما على خصوص هذا الحديث، وأما في غيره فمعروفتان في ترجمته من هذه الرحلة وفي رسالة تحفة الأخلاء[2]، وفي رسالة اقتفاء الأثر[3]. وأظن أني سألت الشيخ الثعالبي أيضاً هل للميموني سند خاص بهذا الحديث بشرطه سوى عموم إجازات مشايخه فتوقف، وحيث كان القصد التبرك فهذا القدر

[1] لسان الميزان 25:2.
[2] إتحاف الأخلاء، ص: 159.
[3] اقتفاء الأثر، ص: 123.

يكفي. وقد بعث شيخنا سيدي عبد الرحمن المكناسي[1] من الطائف لأصحابه بمكة يوصيهم بتعهدنا يوم العيد بطعام، فأتانا أصحابه بعد الصلاة بطعام فاخر إلى منزلنا برباط الموفق، وبعث لنا بكسوة جزاه الله خيرا.

---

[1] عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المكناسي، فقيه متصوف، ولد بمكناس من أرض المغرب سنة 1023هـ، رحل إلى مصر والشام، نزل بمكة واتخذها مقاما، توفي سنة 1085 هـ: خلاصة الأثر 346:2.

ذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة (المعظمة)[1] ونواحيها

فمنها غار جبل ثور الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، رضي الله، عنه في هجرتهما، وصرح القرآن بذكره في قوله تعالى: (ثاني اثنين إذ هما في الغار)[2]، خرجت لزيارته يوم الأربعاء الثامن من شوال مع جماعة من أصحابنا المجاورين.

وجبل ثور على ثلاثة أميال من مكّة، إذا مَرَّ السالك إليه فيما بين الخَنْدمة[3] وأبي قبيس، وهو وراءهما، وأما من مرّ بأسفل مكة حتى يدور إليه فأضعاف ذلك، وعليها يسلك من مرّ راكباً مع بُعدها، لتوعر القريبة. وخرجنا من المسجد بعد صلاة الصبح وسلكنا الطريق القريبة فما وصلنا إلى سفحه حتى ارتفع النهار ومتع، فأخذنا في الصعود إليه، وهو جبل منقطع عن الجبال التي حوله، ذاهب في الهواء، مشرف على كل ما حوله من الجبال، مكسوّ جلالة ومهابة، صعب المرتقى غاية، ما رأيت مثله فيما سلكته من الجبال على كثرتها، وفيه أماكن ما كنا نمر بها إلا حبواً على اليدين والرجلين جميعاً، وارتفاعه في السماء نحو من ثلاثة أميال أُخر. والغار في أعلاه من الناحية الموالية لمكة. فما بلغنا أعلاه إلا بعد جهد جهيد، واستراحة مراراً متعددة، وكان ذلك في وقت الحرّ وقد حملنا معنا ماء، وتركنا بعضه تحت شجرة بأصل الجبل، اتقاء لمعرّة العطش بعد الرجوع. فلما وصلنا إلى محل الغار وجدناه من عجائب آثار قدرة الله، وله بابان، الأصلي الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من ناحية الغرب وهو صغير جداً ملاصق بأرض الغار، لقد خُيِّل إليّ عندما رأيتُه أن أحداً لا يمكنه الدخول منه لضيقه، وهو شقّ صغير بين صخرتين عرضه ثلاثة أشبار، وارتفاعه أزيد من شبر، فأيست من

---

(1) زيادة من ط.
(2) التوبة: 40.
(3) الخندمة: اسم جبل بمكة: معجم ما استعجم 512:2.

الدخول منه، حتى رأيت من هو أعظم مني جثة قد دخل منه، فتحاملت ودخلت من ذلك الشق مع مشقة وترتيب أعضاء من تقديم إحدى اليدين إلى المنكب، واتباع الرأس لها، وإرسال اليد الأخرى مع الجنب.

ولقد طال تعجّبي من معرفة الناس بكونه غاراً متسعاً من داخل، فهو إن لم يكن معروفاً عندهم قبل ذلك معهوداً فالأقرب أنه بالوحي، أو إلهام من الله لرسوله، لأن العادة تكاد تقطع بأن مثل ذلك لا يكون كهفاً متسعاً من داخل، إذ هو صخرة واحدة، منقطعة عن غيرها، منكفية على أخرى، منقورة في وسطها قدر الإنسان ارتفاعاً، وسعة نحو العشرة أذرع، ولولا عظم الصخرة وتواتر الخبر بأنه كذلك من قديم الدهر لتوهم أنها صخرة نقرت في وسطها، ثم قلبت على أخرى بصنع آدمي.

وأما الباب الآخر فإنه إلى ناحية المشرق، وهو واسع يدخل منه الإنسان ويخرج كما شاء. وزعموا أنه مفتوح بصنع الآدميين، وأن سبب فتحه أن شخصاً تكلف الدخول فلم يقدر على الخروج وكرهوا تغيير الباب الأصلي بتوسعة، ففتحوا هذا الباب من الناحية الأخرى لخروج ذلك الشخص، ويدخل منه من لم يقدر على الدخول من الباب الأصلي. وبإزاء هذا الباب المفتوح مصطبة محوط عليها بأحجار شبه مسجد مفروش برمل، والناس يصلّون فيه ويصلّون أيضاً في داخل الغار.

وفوق الغار في قنّة الجبل غار آخر كبير واسع، تحت صخرة عظيمة مفتوح من جوانبه محوط عليه بأحجار شبه مسجد آخر، يجلس الناس فيه، ولا أدري ما أصله، وفيه منظر رائق يشرف منه الإنسان على بلاد كثيرة، و لم أرَ في تلك الناحية جبلاً أعلى منه إلا جبل أكرى[1] الذي يصعد منه إلى الطائف.

وقد ذكر بعض من ألّف في أخبار مكّة وجبالها أن من زار هذا الغار وكان به حزن آلمه وسأل الله إذهابه، يذهبه عنه ولا يحزن بعد ذلك، وكأنه اقتبس ذلك من قوله تعالى: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)[2] و لم أطلع على هذا إلا بعد رجوعنا منه، و لم يمكني الرجوع إليه مرة أخرى بهذه النية.

---

[1] يقصد جبل كرا.
[2] التوبة: 40.

وبقينا هنالك في أعلى الجبل مستظلين بظل الغار الذي ذكرنا هناك حتى زالت الشمس بساعة، وصلينا هنالك الظهر وانحدرنا، وقاسينا في الهبوط مثل الطلوع أو أشد، ومررنا على الماء الذي خلفناه أسفل فشربنا، ولولا هو لأثر فينا العطش غاية، وما وصلنا إلى مكّة إلا مع أذان المغرب، وقد كَلَّتْ منا القوى، وضعفت الأبدان، إلا أنّا مع ذلك كنا فرحين بما آتانا الله من فضله مستبشرين[1]. والله يتقبل ما تفضل به علينا، فهو المنعم المتفضل الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات.

ومنها مدينة جدة[2]، ولما كانت لي رغبة قوية في معرفة أرض الحجاز ورؤية ما بها من البلاد غير الحرمين، عزمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها وزيارة من بها من المساجد والمشاهد كالمحل الذي يقال إن فيه قبر أمنا حواء. وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان[3] في ترجمة ابن قلاقس[4] الشاعر وذكره أيضا في ترجمة أخرى. ولأنها في نفسها من أعظم البقاع فقد ورد في فضلها وفضل المقام بها والرباط فيها عدة آثار نقلها الإخباريون، فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين، واكترى لي شيخنا أبو مهدي حماراً لركوبي، ولم أرَ أسرع مشياً من حمير الحجاز ولا أوطأ مركباً، ولا أقل تَعَباً مع السرعة المفرطة في المشي، فلقد كنت أنظر وأنا راكب إلى أطرافي هل يتحرك منها شيء مع الإسراع في المشي، فلا تكاد تتبين لي حركة شيء منها، مع أن مركوبي ليس من أجاودها. فلقد أُخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكّة يصلّي المغرب بجدّة فيركب عليه ويصَلّي الصبح بمكّة، وهي مسافة القصر تحقيقاً، وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها، فيبلغ الحمار مائة دينار ذهباً. وقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيل رافقنا عليه من المدينة إلى مكة، تقبحه العين، فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن.

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون): آل عمران: 170.

(2) جدة: بلدة على ساحل بحر اليمن وهي فرضة مكة بينها وبين مكة ثلاث ليال: معجم البلدان: جدة.

(3) وفيات الأعيان 5:389.

(4) ابن قلاقس، أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمي الإسكندري، الشاعر المشهور، دخل اليمن ومدح الكبار، مات شابا سنة 567 هـ: سير أعلام النبلاء 20:546. وفيات الأعيان 5:385.

ولما خرجنا من مكة عن الثنية السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذي طوى عدلنا ذات اليسار قليلاً، وسلكنا في شعاب هناك وعقاب ليست بالوعرة. وبين مكة وجدة ثمانية قهاوي يترل المارون في كل قهوة فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء، ويشترون علفا للدواب، فأولها قهوة في مقابلة التنعيم[1] فيما أظن في شعب مررنا عليها قرب المغرب، والثانية في منفسح الوادي الذي يخرج منه إلى رمال الحديبية، والثالثة عند بئر الحديبية عند منتهى الحرم، ومنها يحرم الناس بالعمرة، من شاء منهم. وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره، وقد طلبنا من أهل القهوة حبلاً ودلواً حتى استقينا منها وشربنا من مائها للبركة، لما ورد في الصحيح أن النبي صلّى الله عليه وسلّم برك عليها حتى غزر ماؤها أو تفل فيها[2]. والرابعة: في قرية تسمى حدّة قريبة من شفير الوادي الكبير الذي يأتي أصله من مَرِّ الظهران، وفيه أثل وعشب كثير، ومزارع إذا جاء السيل. ثم الخامسة: حول مزرعة هناك كبيرة، يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة. والسادسة: عندما يريد الذاهب الصعود إلى جبال يمر الطريق بوسطها. والسابعة: عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذاهب إلى مكة. والثامنة: جدة. وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جداً، ومتع النهار، واشتدَّ الحرّ. وهي مدينة كبيرة ممتدَّة مع ساحل البحر نحو ميلين، في كلا طرفيها حصار[3] متقن البناء، فيه مدافع كثيرة، وعسكره لا يفارقه.

وقد رأيت في الحصار الغربي منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولاً وكبراً، ورأيت فيها مدفعاً له خمسة أفواه، بصنعة غريبة. وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار، وغالبها معمول بالشريط صنعة عجيبة ليس فيها مسمار، وهي مع ذلك كبيرة المقدار، متباينة الأقطار، واسعة الأنحاء تحمل أضعاف ما يحمل غيرها من السفن.

وأسواق البلد ممتدَّة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة، مفتحة إلى البحر وإلى ناحية البلد، فيها قهاوي ومجالس حسنة، يبالغ أصحابها في كنسها وتنظيفها، ورشها بالماء، وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسِرَّة كثيرة، منسوجة بشريط المَسَدِ وبصنعة محكمة. وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة

---

(1) التنعيم: موضع بين مر وسرف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة: معجم ما استعجم 1:321.
(2) شرح النووي على صحيح مسلم 4:13.
(3) حصار: حصن.

للمسجد، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر، واكترينا لكل واحد سـريراً يرقد عليه بدرهم إلى الصباح.

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد، فيه أعمدة من الساج، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط، طيب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاماً أحمـر، أخبرني شيخنا أبو مهدي أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبـت في صـدر الإسلام من كنيسة بأرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون.

وزرنا المحل الذي يقال إن فيه قبر أمنا حواء في مقبرة معلّم عليها بحجـارة سود، عند رأس القبر وعند رجليه وفي وسطه، وقد ذرعه بعض أصحابنا فكـان قريباً من ثلاث مائة ذراع، والله أعلم بصحة ذلك.

و لم ألق بها من الأفاضل إلا مفتي الشافعية الشيخ عبد القادر، وليس عنده من العلم والرواية ما يرغب في أخذه، وهو رجل حسن الأخلاق جالسته ساعة.

ولقيت أيضاً مفتي الحنفية الشيخ مصطفى، وهو رجل له مشاركة في العلوم، سالك على طريق السادات النقشبندية، (أدرك الـشيخ تـاج الـدين عثمـان النقشبندي)[1]، وله خبرة بكلام القوم وأذواقهم، وفيه سخاء ومروءة، دعانـا إلى داره، وأطعمنا وسقانا، وحصلت بيني وبينه ألفة ومودة وأخوة في الله. وكتبت له أبياتاً منها:

[رمل]

أُشـهدُ اللهَ وأمـلاكَ الـسما ... وجميـعَ الرسْـلِ طُـرّاً وكفـى

أنـني أحببـتُ في الله أخـي ... وخليلِـي وحبـيبي مُـصطفى

جمـعَ الـدين إلى الـدنيا معـاً ... وحـوَى مـن كـل خـير طرفَـا

أسـألُ اللهَ وفـاءً بالـذي ... قد عقدنا، فهْو يجـزي مـن وفَـى

وممن ينتحل الأدب من أهل جدة، وهو معدود من فضلائها، الشيخ محمـد مُخبر، و لم يتيسر لي لقاؤه، وكتبت له بيتين مُوَرِّياً بلقبه، لأنا أقمنا بجدة ثلاثـاً، ننتظر سفناً ترد من مصر بأخبار المغرب وهما:

---

[1] ما بين قوسين ساقط من ط.

[طويل]

يـــذكرُني بـــالثغر بـــرْدُ نـــسيمهِ   بـــلادِي، فعيـــشي نـــاعمٌ متكـــرر

فقال خليلي: عَلِّلِ النفس واصـــطبرْ   عسى فرج يأتي بـــه لـــك مُخْـــبر

ومن نظمه قصيدة في مدح النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وذكر فيهـــا أعـــلام المدينة المشرفة، نظمها لما قدم المدينة للزيارة في الرجبية، ونحن إذ ذاك بها، وبينما أنا ذات غداة بعد صلاة الصبح جالسٍ في المواجهة لوِردي من الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، إذ سمعت شخصاً ينشد بين يديْ النبي صلّى الله عليه وسلّم بصوت مطرب قصيدة بائية، فعلمت أنه نفس محب قريب العهد بالدار، فقطـــع عليّ حسن صوته وحلاوة مقاطعه ورونق كلامه تَمَامَ وردي، فاستمعت له حتى فرغ من إنشاده، ثم بعد ذلك سألت عنه فقيل لي: إنه من أصحاب الشيخ محمد مخبر، والقصيدة لشيخه، فبعثت من كتبها من عنده و لم يمكن لقاؤه لضيق الوقت. ولنذكر القصيدة بجملتها تبركا بها إذ أنشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم، وهي هذه:

[بسيط]

مَثلْ لعينيك داراً شَـــامَ نَجْـــد قُبَـــا   مـــنَ الحريـــر عليـــه حُلـــة وقُبـــا

لو قابلَ الشمس نوراً وهْـــيَ قائلـــة   ضُحى أوِ البدرُ في أفْقِ السما وقبَـــا

وحجرة حَجَّ روحي حِجْرَ كعبتـــها   ووقفتِـــي وقفـــةً في بابهـــا أدبـــا

وقبـــةٌ قبـــةُ الجـــوزاءِ تغبطُهـــا   وسدرةُ المنتـــهى تعتـــو لهـــا أدبـــا

والكوكبُ الأنـــور الـــدرِّي تمثلـــهُ   جهراً، فما قَط عن قلب المُحب خبَا

وروضةٌ روضةُ الفردوسِ لو نطقـــتْ   قالت: بَخ لكِ حُزتِ القرب والقربا

لقد شرفتِ بمن جـــاورتِ حـــضرتَه   وهْوَ الذي شرَّف الأفلاكَ والحجبـــا

يهْنَ الترابُ الذي قد مَس أخمَـــصهُ   منكَ مليا جفانـــا كـــان أو رَطِبـــا

وبقعةٌ ســـجدتْ فيهـــا سَـــواجدهُ   لله يـــسجدُ فيـــك وهْـــو مقتربـــا

ومسجدا جر ذيل التيه مفتخـــرا لأن محرابـــهُ بـــالرفعِ قـــد نُـــصبا
وفتيـــة عمـــروهُ بـــالقرآن وبالـــــ ـــعلمِ الشريف ففاقُوا الأنْجُمَ الشهُبَا
ومنبرًا ما ترَى في الكـــونِ مـــشبهَهُ لأنهُ ورثَ الجـــدعَ الـــذي انتحبـــا
فحـــازَ بـــالإرث إقـــداما تقدمـــه شـــانا فعـــز بمـــن شـــأوه خطبـــا
وصفة الأصـــفيا خُـــدام حجرتـــه وراث سكانها سبحان مـــن وهبـــا
وخصهم منه قربا حـــولَ حـــضرته كأنهم حـــرس مـــن قبـــل يحتـــسبا
وأســـــطوانة أم المـــؤمنين فقـــد صلى إليها الحبيبُ المصطفى وحبـــا
وتربـــة للثريـــا دونهـــا رتـــب كذا على العرشِ والكرسي علت رتبـــا
عظيمـــة بعظـــيم ضـــم أعظمـــه ترابها وبهـــا الـــشيخان قـــد تُربـــا
الصاحبانِ الـــصفيان اللـــذان همـــا هما فكم أحرزا فضلا وكـــم وهبـــا
أكرِم بها بقعـــة كـــم لي بهـــا ولـــه متى أمرغ مـــن خـــدي بهـــا عتبـــا
متى أسلم من باب الـــسلام علـــى خير الأنام وأقضي حق مـــن عتبـــا
وأذكر معاهدَ أثار الحبيـــب عـــسى تطيبُ عيشا وهم في ذكرها طربـــا
فمبركُ الناقـــة المـــبروك أســـعدها بوطء أقدام طـــه بعـــد أرض قُبـــا
مازال بالذكرِ معمـــورا وبالـــصلحا والآن آل الجنيد الـــسادة النجبـــا
ودور أنـــصارهِ ودارت بمـــسجده كهالـــة كلـــها للأكـــرمين خبـــا
واذكر مساجد آيات بهـــا نزلـــت علـــى الـــنبي وآبـــار لـــه وربـــا
واذكر مساجد أصحاب وتـــابعهم واستقْف آثارهم فيها وكـــن أدبـــا
فمهبطُ الوحي والتزيل حيث غـــدا من قد غدا بالحيـــا والنـــور منتقبـــا
وخير أعمام خـــير الرســـل ســـيدنا العباس ذلك نستقي بـــه الـــسحبا

وفيــه بنــت رســول الله صــفوته أم الشريفين جدا في الــورَى وأبــا

والكامل الطفــل إبــراهيم شــافعنا شبيه يحيى وعيسى في الكمال صــبا

وآل بيــت رســول الله كلــهم وولــده ونــساه ثم مــن صــحبا

والتابعون وكم فيــه إمــام هــدى كمالك من لدين الحق قــد ذهبــا

للمذهب الخاص تفضيل المدينة عــن كشف لذا ما احتذا فيها ولا ركبــا

واذكر أبا الشبل ليــث الله ســيدنا حامي الحمى حمزة الضاري إذا وثبــا

أخا الــنبي رضــاعا عمــه نــسبا لذاك شج أبا جهــل وقــال صــبا

وعنده الشهدا سبعون وقد صــدقوا كــل قــضى نحبــه لــه محتــسبا

لله درك يــا أرض المدينــة كــم حزت همام يجلــي الهــم والكربــا

لو أن واحدهم بالصين حــق بــأن تسعى إليه المــوالي تطــرد النجبــا

فليهن قــوم أقــاموا في جــوارهم ومن أناخ بهــم مقــدار مــا حلبــا

وإن أتيت على بــدر فــزر شــهدا بدر ومن في حمــى آثــارهم ضــربا

من مثلهم قتلوا ســبعين واحتملــوا سبعين في القيد ممن طــول العــذبا

واذكر بــضاعة أو بطحــان أنهمــا مسامري حين نامت أعــين الرقبــا

كانت مواطن أنسي حيث كان بهــا معراج قدسي وكانت لي زمان صبا

مع الحبيب الذي أروتــه مــا فيهــا راحات سلمى فأسقي بعدما شــربا

فآه يا ليــتَ أوقــاتي تعــود بهــا وهل يعــودُ زمــان بعــدما ذهبــا

فيــا خليلــي إن وافيتمــا وطنِــي في طيبة طنبــا في ســرحها وطبــا

ويا حويذا المطايــا ذا النقــا فــاتح وانح الضريح الذي للمسك منه نبا

واقرَ السلام على من حلــه وأقــم مُستبشرا آمنــا في مــترل رحبــا

وخـــــصه بتحيـــــات مُباركـــــة عني وخص أبا بكـــر وخُـــص أبـــا
حفص وناد بقلـــب خاشـــع ولـــه مُستعطفا مستجيرا خاضـــعا أدبـــا
قل يا محمد إني جئـــتكم قاصـــدكم حَق الضيوف على أهل الوفا قد وجبـــا
قل يا محمـــد إني جئـــت زائـــركم لقولكم وجبا قـــل لي نعـــم وجبـــا
قل يـــا محمـــد إني مـــا قـــصدتكم إلا لأحسب فيمن عنـــدكم حـــسبا
قل يـــا محمـــد لا تنـــسوا سميـــكم وناشر المدح فيكم زاحـــم الأدبـــا
يرجو الإجـــازة بـــالقبول مـــنكم وبالإقبال لا يرتجـــي درا ولا ذهبـــا
ويطلب الإذن مـــنكم في زيـــارتكم في عامه مـــع صـــنو قلبـــه التـــهبا
بالـــشوق لكنمـــا الأقـــدار غالبـــة وهو الذي كان لي في نظمها ســـببا
فإن رضيتم فهـــذا جـــل مقـــصده وإن أبيتم فـــوا حزنـــاه وا حربـــا
لكن حاشاكم تخييـــب قاصـــدكم أبا حماهم يـــرد القاصـــدين أبـــا
فكيف لا ولـــه في حـــبكم صـــلة بشيخه العلوي مـــن للعـــلا خطبـــا
قطب الوجود غياث الجود ســـيدنا محمد بن علوي مـــن عـــلا وربـــا
به رضـــيت إمامـــا مرشـــدا وبـــه أمنت من وهَـــج البلـــوى إذا لهبـــا
وجده المصطفى المختـــار لي ســـند وشـــافع نـــافع دنيـــا ومنقلبـــا
فصل رب وسلم ما بقيـــت علـــى مُحمد من لـــه في المعجـــزات ربـــا
فـــلا تعـــد ولا تحـــصى وأيـــسرها أحييت أما له قـــد أســـلمت وأبـــا
فنوره كان من صـــلب إلى رحـــم في الساجدين من الأخيـــارِ منقلبـــا
نعم وهذا حقـــير مـــن خصائـــصه فكم قرانا بمـــا قـــد خـــصه كتبـــا
والآل والصحب ثم التـــابعين لهـــم والأولياء مَـــع الـــسادات والنجبـــا

واغفر لناظمهـا حقـا ومنـشدها أيضا وسامعها وعيـا ومـن كتبـا

واغفر لعبد الرحيم الحبر من بـرع فقـد أتـاني مـن نيابتـه نبـا

فقال في خلدي هل من عراض على مثل لعينيك خدرا في الحمى ضـربا

فقلت بـالعجز والتقـصير ممتـثلا مثل لعينيك دارا شـام نجـد قُبـا

وهذه القصيدة كما ترى فيها أبيات سلسلة منسجمة، وفي بعضها ركاكة وتعقيد وشبه تصحيف، ولا أدري هل ذلك من أصلها أو من تصحيف الكاتب، إذ لم آخذها عن منشئها، وقد ذكر في آخرها أنه عارض بها قصيدة أولها: مَثِّلْ لعينيك خِدْراً في الحمى ضُرِبا...

بسؤال صاحبه الشيخ عبد الرحيم البرعي، أثابه الله على قصده الصالح، وجعلها من سعيه الناجح.

وخرجنا من جدة قافلين إلى مكة بعد صلاة الظهر، من يوم الثلاثاء، وسرنا على طريقنا الأولى، ننيخ بالقهاوي المذكورة للاستراحة، ودخلنا مكة مع أذان الصبح، وتوضأنا وأدركنا الصلاة بالمسجد الحرام. وقد شاهدنا في هذه الحضرة من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى، والأمان التام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنا لقينا عيراً في ليل مظلم، تحمل أحمالاً من البز الهندي والقماش الرفيع نحواً من عشرين جملاً، وطلبنا أحداً من أصحابها نسأله عن خبر البلد فلم نجد معها أحداً، وذهبنا نحواً من ميل فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين، وأخبرونا أنها لو ذهبت كذلك إلى مكة لم يتعرضها أحد، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت أيام الأمير زيد وولده محسن، فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلاً جاء للسلطان محسن فقال: إني وجدت بالبلاد الفلانية حملاً من البز في الطريق. فقال له: ومن أخبرك أنه من البز. فقال: مسسته برجلي. فأمر بقطع رجله وقال له: لم مسسته برجلك؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات لا نعلم صحيحها من سقيمها.

ومن لطيف ما شهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها، أن المسافرين من مكة إلى جدة، ومن جدة إليها، يكترون الحمير للركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها، فإذا بلغ المكتري إلى المحل الذي ذهب إليه أرسل الحمار، ولا عليه فيه، فلا يأخذه أحد إلا ربه إن كان في ذلك البلد أو نائبه، ولكل واحد من أصحاب

الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكريها له ممن يرجع إلى البلد الذي هو فيه.

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهاباً وإياباً صاحبنا الحاج علي العنابي التونسي، وكان من التجار المجاورين بمكة في هذه السنة، وكان معه جملة من أصحابه، فلم يتركنا أن ننفق في هذه السفرة ولو درهما واحداً، وكان الإنفاق من عنده في كل ما ينوب في منازل الاستراحة وكراء المنزل وما ينوب أيام الإقامة، فجزاه الله خيراً. وكانت فيه سخاوة نفس ودماثة خلق، قد نال غيرنا من المجاورين وأهل مكة من معروفه أكثر مما نالنا، ولقد طوقني من منته ما عجزت عن مكافأته إلا بالدعاء له، وقد أعارني فرسه للركوب مرات عديدة إلى أماكن مختلفة، ركبته مرة إلى الحديبية ومرة إلى الجعرانة، ومرة إلى الطائف، وكلما سمع بعزمي على التوجه إلى مكان يبعث به إلي ويعزم علي في ذلك. ولم يتيسر لي إحرام بعمرة يوم رجوعي من جدة فدخلت مكة بلا إحرام مترخصا في ذلك على مذهب من لا يرى الإحرام على من خرج إلى مثل جدة. ثم بدا لي أني قد غبنت في ترك الاعتمار من الحديبية إذ هي من الأماكن المأثور فضلها بإحلال النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فقامت له ولأصحابه مقام الوصول إلى البيت العتيق، وكانت فيها بيعة الرضوان، ومآثرها غير خفية، فخرجت إليها بعد ذلك بليال مع صاحب لي بعد أن صلينا العصر وبلغنا إليها بعد العشاء، ونزلنا واسترحنا ثم اغتسلت وصليت وأحرمت بعمرة، فبلغنا إلى مكة سحراً، فصرت بتلك العمرة متمتعا، وكان ذلك مني عن قصد؛ لأنه تقدمت لي حجات والحمد لله مفردا، فقصدت استيعاب أوجه الإحرام الثلاثة للاختلاف المشهور في أيها أفضل، ولذلك أحرمت عند إرادة الخروج إلى الحج قبل يوم التروية بالقران، فحصلت لي الأوجه الثلاثة، والحمد لله.

ولما رجعنا من جدة يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال كما تقدم، وجدناهم قد شرعوا في تجديد السقف الأعلى للبيت العتيق، وذلك أن للبيت سقفين بينهما مقدار ذراعين ونصف، أو ثلاثة على ما قيل، صيانة له عن وصول شيء من التغير إليه بنزول ماء أو غيره، فإن احتاج أحدهما إلى تبديل كان الآخر صونا للبيت. ثم إنه بعد ذلك السيل المتقدم ظهر في البيت شبه أثر قطر، فكشف عن ذلك، فوجد في بعض خشبات السقف الأعلى متآكل بالأرضة لطول العهد، فاقتضى نظر الخاصة تجديد السقف كله، فشرعوا في ذلك يوم الاثنين الثالث عشر

من شوال، فنصب سلاليم من جهة الحجر مشدودة بحبال وأعمدة متخذا لها شبه سرير من خشب في الهواء في مقابلة حزام ستر البيت يصعد منها الفعلة، ونصبت خصفات من الجريد على المحال التي يخشى عليها التلوث من أستار البيت، وجعلوا فيها بين الركن اليماني والحجر من أعلى البيت جرارة تجذب اللبن والجبص، واختير لذلك من الفعلة ما يحتاجون إليه، وبعثوا إلى نقل خشب الساج من جدة فجئ بخشبتين عظيمتين لتنصب عليهما الجوائز. قيل لي إنه اكترى على حمل كل واحدة من جدة إلى مكة بمائة وثلاثين ريالا، وتنافس الناس في العمل في ذلك ابتغاء الأجر، وقد منّ الله علي بالصعود يوما من الأيام ضحى بواسطة الحاج سليمان، صاحب لي صعيدي كان من الفعلة، فصليت في سطح البيت عدة ركعات، وناولتهم شيئا من الطين واللبن تبركاً بالخدمة، وأعطوني شيئاً من الخشب المنكسر المقطوع في حال الإصلاح، وتحيّلت على أن اشتريت نحو ثلاثين لبنة من خالص ما أجد، أدخلت في بناء البيت كل ذلك تطفلاً على باب أرحم الراحمين بالانتساب إلى ما صحت نسبته إليه من بيت وغيره وهو أكرم الأكرمين، فلا يخيب من تطفل عليه وما أخرج من الخشب من سقف البيت جعل فيما احتيج إليه من سقوف القبب والمنارات، وأما التراب فكوم في جانب من المسجد وقالوا إنه يجعل دكة، وأخذ الناس من نجارات الخشب وبعض التراب للبركة، وكثير من الناس لا يجيز ذلك بناء على أنه كتراب الحرم وأحجاره وأشجاره لا يجوز إخراج شيء من ذلك، ومن أخرج شيئاً من ذلك وجب عليه رده على ما نص عليه علماء الشافعية، وتبعهم على ذلك جماعة من المالكية ممن ألف في المناسك. قال ابن فرحون في منسكه: وهو لا يجري على أصول المالكية، بل الجاري على أصولهم الجواز، واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها. وهذا مستندنا في نقل ما نقلنا من خشب سقف البيت للبركة، والله ولي التوفيق.

ومنها محل في الجبل المشرف على المحصّب، على يمين الذاهب من مكة إلى منى، يزعم أهل مكة أن فيه قبر عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، فيخرجون إليه في إحدى ليالي ذي القعدة، أظنها الثالثة عشر، رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، فيبيتون هناك عامة ليلتهم، ولم أخرج معهم تلك الليلة، إذ لا أعلم أصلاً لذلك. وسألت أهل العلم بمكة فأخبروني أنهم لا يعلمون لذلك أصلاً.

غريبة:

من جملة خرافاتهم المتعلقة بتلك الليلة في ذلك المحل أنهم يأخذون معهم نوى التمر فيدفنونه بالأرض في ذلك الجبل تلك الليلة ويزعمون أن من دفن شيئاً حصل له في تلك السنة بعدده ريالاً أو دنانير. وأغرب من ذلك ما حكى بعض أصحابنا تصديقاً لزعمهم ذلك، أنَّ الشيخ علي بن الجمال الشافعي[1]، وكان من فقهاء مكة المعتبرين، خرج مع أهل مكة في بعض السنين إلى هذا المحل، فلما رأى فعلهم ذلك أنكره، ثم أنه جمع شيئاً من النوى نحو المائتين ودفنها، ثم وجد سبعاً أخرى ودفنها، وهو في كل ذلك كالمتلاعب، فلما كان وقت الموسم بينما هو جالس في المسجد الحرام، إذ جاء شخص من أهل العراق يسأل عنه حتى وجده فناوله صرّة كبيرة، وقال له: إن جماعة من طلبة الأحساء كانوا يقرؤون هنا عندك قبل هذا، وقد جمعوا لك هذه الدراهم بقصد التبرك منك وهم يسلمون عليك، وهي مائتا ريال. قال: فوقع في نفسي تصديق ما زعموا وإني كنت دفنت مائتي نواة، ثم قلت: وأين السبعة التي دفنتها بعد ذلك؟ فلم أبرح مكاني حتى رجع إليّ ذلك الإنسان وقال لي: يا سيدي وهذه سبعة أخرى قد تبعني بها شخص بعدما فارقت أولئك الجماعة. وقال لي: أوصلها إلى الشيخ. قال:فتعجبت من ذلك، ومن موافقته للحال. والذي أخبرني بذلك عن الشيخ ثقة عندي، و لم أدرك حياة الشيخ علي في هذه المرة، وأدركته فيما قبل هذا، و لم يتفق لي لقاؤه، ولا الأخذ عنه، وكان من فضلاء الشافعية المدرسين بالحرم المكي، رضي الله عنه، وأرضاه.

ولأهل مكة في هذه الليلة أيضا عمل مولد كبير في مشهد السيد العيدروس عند الشبيكة، يجتمع هناك جماعة من أولاده وأتباعه السالكين على طريقه، ويعمل هنالك سماع وقراءة وتلاوة، ويجتمع فيه خلق كثير، وقد فرش المشهد كله وما حوله، وأعدت للحاضرين أطعمة وأشربة، ويستكثر هنالك من المصابيح، وقد زرته في هذه الليلة، رضي الله عنه، ومشهده من المشاهد المشهورة بمكة والمزارات المعظمة، وبيتهم له صيت ومكانة عند الخاص والعام.

---

[1] علي بن أبي بكر بن علي، ابن الجمال المصري، فقيه شافعي، ولد بمكة سنة اثنتين ألف واشتهر بها إماما مشاركا، توفي سنة 1072 هـ: خلاصة الأثر 3:128. اقتفاء الأثر، ص: 133.

ومنها جبل حراء، وفضله مشهور، وفيه الغار الذي كان، صلى الله عليه وسلم، يتحنث فيه قبل النبوة، وفيه نزل الوحي أول ما نزل، وفيه نزلت سورة اقرأ لما في الصحيح. وهو جبل متوحد بأعلى مكّة على ثلاثة أميال منها، وعلى رأسه قبّة ترى من المسجد الحرام، والغار في أعلاه من الناحية الغربية الموالية لمكّة، وقد خرجت لزيارته مع جماعة من أصحابنا في إحدى ليالي ذي القعدة سَحَراً، وصلينا الصبح بعدما جاوزنا بيوت مكة كلها ووصلنا أعلاه عند طلوع الشمس، وهو مع صعوبته قد سُوّيت طريقه، وأُزيلت الأحجار المعترضة من غالب طريقه، وبُني ما يحتاج إلى البناء فيها بحيث إنّ الدابّة يمكنها الصعود براكبها إلى أعلاه، وفي أعلاه شبه مسجد على باب القبة، يصلي فيه الناس، والغار من أسفل القبة بين صخرات هناك، وهو صغير جداً يسع ثلاثاً أو أربعاً فيما أظن، ويصلّي فيه الناس للبركة، وقد جلسنا هناك هنيهة ريثما حلّت النافلة فصلينا فيه ودعونا. وباب الغار منتكب إلى ناحية الشمال، وقد كنت أسمع هذا -ورأيته منصوصاً- أن الجالس في الغار يرى الكعبة، ولذلك اختار النبي، صلى الله عليه وسلم، التحنث فيه، لأن النظر إلى البيت عبادة، فتجتمع له أنواع من العبادات، لا تكاد تجتمع في غيره، وهذا لا يصح إلا أن يريد المحل الذي هو فيه، فإن البيت قبل أن يكتنفه البنيان العظيم قد يظهر من خارج، وأما من الغار نفسه فلا.

غريبة:

أخبرني شيخنا أبو مهدي عيسى أنه خرج ذات مرة للتحنث بهذا الغار، وكان يخرج إليه قبل ذلك بهذا القصد، وخرج معه في هذه المرة ثلاثة من أصحابه من الهنود[1]، وكان اثنان منهما مقيمين معه، والثالث يتردد عليهما بما يحتاجان من ماء وطعام، قال: وكان معي كتاب بداية المجتهد للحفيد ابن رشد، أطالع فيه أحياناً، فبينما هو ذات يوم في الغار وصاحباه في القبة، والثالث تحت صخرة هناك، إذ عرض في السماء عارض غيم وبرق، ثم أرزم الرعد[2]، وأتى بأمر هائل، قال: ما رأيت مثله قط، فلم أشك أنه الموت، ولزمت مكاني، وطبت نفساً بشرف البقعة، وقلت: حبّذا لقاء الله في مثل هذا المكان، وألزمت نفسي حضور القلب،

---

[1] في ط: الهند.
[2] أرزم الرعد: اشتد صوته: لسان العرب: رزم.

منتظراً حلول القضاء، حتى انكشف ذلك، وخرجت من الغار فإذا صاحباي اللذان في القبة قد ماتا، وأحدهما جالس على هيئته، لم تتغير منه شعرة، والآخر ساقط قد سال الدم من بعض منافذه، فلم أرَ منظراً أهول ولا أفزع من ذلك، فالتمست الثالث من أصحابي فوجدته تحت صخرة وقد سلمه الله، فبعثته إلى مكة ليعلم أصحابنا، فبقيت هنالك وحدي منفرداً في الليل، فلم أرَ أمراً أفزع ولا أوحش من ذلك، وكان أعظم وأشق علي من الحال التي كنت عليها في الغار، فما جاءني الناس مع صاحبي حتى كدت أهلك غمّاً، فاحتملنا صاحبينا، وذهبنا. فمن ذلك الوقت ما رجعت للتحنث فيه إلا أن أذهب زائراً ثم أرجع.

قلت: والانفراد عن الناس، سيما في المفازات والمغارات البعيدة من العمران لا يقوى عليه إلا من أيد بروح القدس، وكانت له همة عالية، وسقطت من قلبه مخافة غير الله، فإن الإنسان مدني الطبع لا يتحمل وحشة الانفراد، سيما إن نزلت به مُلِمَّة وهو منفرد عن الناس، فإن عيشه يتكدر، وحاله يتغير، وتضيق نفسه، وتخرج عن معتادها، فربما يتلف من ذلك أو يذهب عقله. وأما من كان قلبه متعلقاً بالله لا يلتفت إلا إليه في السراء والضراء، فذلك موقرة عينه، ولو انطبقت السماء على الأرض ما زاده ذلك إلا تلذُّذاً بما فيه، لأنه في تلك الحال يقوى تعلقه بربه وانحياشه إليه، وتنتفي الخواطر المشتتة له في أودية الأغيار، وأي شيء هو طلبة المريد وبغيته إلا هذه الحال. ولذلك قيل: مواسم الفاقات أعياد المريدين. ولا أظن أن شيخنا في ذلك الوقت كان من أهل هذه الحال لما غلب عليه من محبة العلوم الرسمية وصرف همته إليها، يدلك على ذلك استصحابه لكتاب بداية المجتهد، ومن كانت هذه حاله، وإن كانت محمودة، لا يقوى على تحمل واردات القدر الخارجة من باب القهر المتلفعة بمروط الجلال والهيبة لتعَلُّق قلبه بأمور وخيالات وعلوم هي في الحقيقة وسائل، فإذا تجَلَّى الحق بصفة القهر ذهبت الوسائل وحق الحق (وبطل ما كانوا يعملون)[1]، فيفجأ القلب أمر غير معهود له ولا مألوف ولا متصور قبل ذلك، فلا تسأل عما يكابده من ألم الغربة والوحشة والخروج عن المألوف، نسأل الله أن يثبت قلوبنا ويؤيدها بنور المعرفة عند كل وارد، وعند واردات القهر خصوصا، ويشهدنا اللطف المصحوب بها، ويغرقنا في بحار التلذذ بمشاهدته حتى لا نحس بذلك، وعافيتك أوسع لي يا أرحم الراحمين.

---

[1] الأعراف: 117.

ومنها الجعرانة، وهي موضع بين مكة والطائف، إلى مكة أقرب بكثير، بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، ومنها كانت عمرة النبي، صلى الله عليه وسلم، في ذي القعدة حين قسم غنائم حنين كما في الصحيحين. وذكر المحب الطبري عن الواقدي أن إحرامه بالعمرة منها كان ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، قال المحب الطبري: ومنها يحرم أهل مكة كل ليلة في ليلة سبع عشرة من ذي القعدة، وذلك خلاف ما ذكر الواقدى، هـ. قال القاضي تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة في شفاء الغرام: "وما ذكره الطبري يخالف ما أدركنا عليه أهل مكة فإنهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر، ويحرمون ويتوجهون إلى مكة وهو يلائم ما ذكره الواقدي"[1]. قال الحطاب: وعلى ما ذكره القاضي تقي الدين أدركنا عمل أهل مكة.

قلت: ولا أدري متى انقطع عمل أهل مكة هذا فإنهم الآن لا يحرمون منها، ولا تكاد تجد أحداً يعلم أنه من مواقيت العمرة، إلا من مارس كتب الفقه منهم، وأما العوام فلا يطلقون اسم العمرة إلا على التنعيم. ومن أغرب ما وقع لنا في ذلك أنا لما نزلنا بالمحصب بعد تمام الحج في آخر سنة أربع وستين بدا لنا أن نذهب من هناك إلى الجعرانة لنحرم منها بالعمرة لأفضليتها على غيرها من الأماكن كما هو مقرر، فطلبنا من يهدينا الطريق إليها، وسألنا من هناك من الأعراب وأهل البلد فقالوا: وما شأنكم بالجعرانة، فذكرنا لهم الاعتمار، فاشتد نكيرهم وقالوا: ما نعلم أحداً يعتمر من هناك، وإنما العمرة من التنعيم، ولكنكم قوم مغاربة أهل حيل قد يكون قصدكم إخراج كنز هناك، فعميتم قصدكم بذكر العمرة، وإلا فأي عمرة في الجعرانة. وما كادوا يصدقوننا في ذلك، فقلنا لهم: يذهب معنا أحدكم بأجرته ويشاهد ما نريد من ذلك، فاكترينا رجلاً منهم، فأسرى بنا حتى اعتمرنا، ولما كان اعتماره، صلى الله عليه وسلم، منها إنما هو في ذي القعدة في السابع عشر والثامن عشر، توخينا ذلك في هذه السنة إذ أمكننا بالمجاورة في مكة هذه المدة، فخرجنا مع جماعة من أصحابنا ليلة الاثنين السابع عشر من ذي القعدة اغتناما لفضيلة الوقت والمكان، فوصلناها بعدما ذهبت طائفة من الليل، وأنخنا بها إلى قريب من السحر، ومكانها واد أفيح كثير العضاه، ماؤه شديد الحلاوة غزير، وبها

[1] شفاء الغرام 192:1.

بئران عظيمان مطويان بالحجر المنحوت، وعنده دوحات عظيمة، وعلى شفير الوادي مكان مسجد يقال إن منه أحرم النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه أحرمنا بعد الاغتسال والركوع، وقفلنا إلى مكة ودخلناها ضحى، والحمد لله.

ومن فضائل الجعرانة ما ذكره الجندي عن ابن ماتك أنه اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي. ويقال إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم فحص موضع مائها بيده المباركة فانبجست، فشرب منه وسقى الناس. ويقال إنه غرز فيه رمحه فنبع.

ومن الأماكن التي لا ينبغي للمجاور أن يهمل زيارتها بلد الطائف فإن فيها مزارات كثيرة، حسبما أذكر بعضها، وقد خرجنا إليها من مكة بعد العشاء الأخيرة ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة مع جماعة من أصحابنا في رفقة من أهل مكّة والطائف، ومررنا على طريق الحاج إلى منى ثم إلى مزدلفة، ثم إلى بسيط عرفة، ثم تركنا الموقف شمالاً، وأنخنا هناك في قهوة قريباً من نصف الليل، والطريق من مكة إلى الطائف فيها قهاوي يستريح المارة بالنزول فيها، واشتراء المحتاج من طعام وعلف، على نحو ما ذكرنا في طريق جدة.

ثم ارتحلنا من هناك قرب طلوع الفجر، وسلكنا مع طريق الساقية التي تأتي من أصل الجبل إلى عرفات ثم إلى المشاعر، ثم إلى مكة، ومنها تأتي المياه إلى مكة في هذه الأزمنة بعد اندثار الأخرى التي تأتي من الجعرانة، وقد ذكر المؤرخون أخبار العينين معاً، وأن التي من الجعرانة من عمل بني أمية، وهذه من عمل بني العباس، وهي من صدقات زبيدة بنت جعفر بن المنصور، إلا أنها ما وصلت إلى مكة إلا في دولة بني عثمان، ملوك العصر من التركمان، وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية ما يدل على فخامة ملكهم، وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين. فكلما مررنا غلوة أو غلوتين وجدنا عيناً منها مفتوحاً عليه بناء وثيق، ووجدنا الفعلة في وقتنا جَادِّين في إصلاح ما وَهى من بنائها، وكنسِ ما تَهوَّر من أرجائها، وهي صاعدة مع وادي نَعمان الأراك، بفتح النون، الذي أكثرت شعراء العرب فمن بعدهم من ذكره، وهو وادٍ عظيم أفيح، منحدر من جبل نجد، وبه أدواح يانعة، يصافحها نسيم نجد فتهتز أغصانها طرباً، وتميل إلى أن تلثم أفواه الأزهار الغضة الناعمة الملتفة بحافتي ذلك الوادي. وقد كساه الخصب من مروط الزهر ألواناً، وعمَّم رؤوس هضابه أقاحى وأرجوانا، فلم نزل نسايره صاعدين إلى أن قربنا من جبل أكرا، فعدلنا يميناً مع بعض تلك الهضاب، وآوانا الحر إلى قهوة بأصل الجبل بين صخور عظام،

حولها ماء صافٍ يجري على حصباء كالزبرجد، عذب بارد، سهل التناول للصادر والوارد، ما رأينا فيما سلكنا من بلاد الحجاز مكاناً أشبه ببلادنا منه، فلما زالت الشمس وتوضأنا للصلاة أخذنا في صعود الجبل العظيم الذي لا يماثله في عظمته جبل من جبال تهامة، وسلكنا في طرق تميل مع خراطيمه الهابطة من أعلاه، وغالب الطريق في هذا الجبل قد نقي من الصخور العظام، ونضدت الحجارة فيه ببناء وثيق مصفح على ممره، يقال: إن ذلك من عمل بني العباس لكثرة اعتنائهم ببلد الطائف ونزول ولاة الحجاز منهم به، وقد أثّرت السيول مع طول العهد في أماكن كثيرة من هذا الجبل فخربت بناءه، وكثرت للسالك عناءه، ووجدنا في هذا الجبل أشجاراً عظيمة من العرعر وغيره من أشجار بلادنا، فأنسنا بذلك غاية، ورأينا القرود به تصيح، وتثب في أعالي تلك الصخور، فتعجبنا من ذلك، فأخبرنا أنها توجد في هذا الجبل، وما سمعنا قد أنها بأرض الحجاز، وإنما يقال إنها تجلب من الشام والروم إلى مصر والحجاز.

ولقد لقينا في صعود هذا الجبل مشقة ونزلنا عن الدواب، وأرجلتنا أوعاره وأغواره كرهاً، وما كدنا نصل أعلاه حتى تمكن وقت المغرب وصليناه، وتلفعنا بثيابنا لشدة البرد، وتعجبنا من صنع الله وبديع قدرته، فقد قاسينا أول النهار من شدة الحر وسمومه ما كادت العظام منه تذوب وتتفطر القلوب. وكابدنا من شدة البرد آخره ما ارتعدت المفاصل منه، وكلّت القوى عنه. ثم وصلنا إلى قهوة هناك ونزلنا بعد العشاء، وطلبنا خِصا يُكِننا من شدة البرد، فأدخلونا محلا أوقدوا فيه نيراناً عظيمة فاصطلينا بها عامة ليلنا، وحمدنا الله على ذلك. وكان هذا في إبان الحر الشديد، ولذلك خلفنا ثيابنا في مكة، و لم نلبس منها إلا ما يوافق الوقت، وقضينا عجباً من شدّة الحر والبرد معا في المكانين المتقاربين.

ثم ارتحلنا من ذلك المكان قرب صلاة الصبح وهبطنا عقبة هناك هي دون التي طلعناها بكثير إلا أنها وعرة، وسلكنا في شعاب ذات مياه غزيرة ونبت ملتف، إلى أن خرجنا إلى قرن الثعالب الذي هو ميقات أهل نجد، وبإزائه قرية ذات مزارع وأشجار من أنواع الفواكه، حولها وادي يسيل ماؤه، وتجاوزناها قرب الطلوع، وسلكنا بين تلول هناك في صعود وهبوط واستواء إلى أن وصلنا بلد

الطائف وهو قصور في مستوى من الأرض، تحيطها جنات من نخيل قليل وأعناب كثيرة، (وفواكه مما يشتهون)[1].

وقصدنا المسجد الأعظم، فأول من لقيناه على بابه رئيس المقرئين وأستاذ المجوّدين، الذي لا يشاركه في تحقيق فن القراءة بأرض الحجاز غيره، ولا يجهل عند الخاص والعام من أهل تلك الديار أمره، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي، رضي الله عنه، و لم نكن نعرفه قبل ذلك، ولا يعرفنا إلا بالخبر، وإنما عرف كلاً منا بصاحبه السيد الأجل الفقيه الأمثل، صاحبنا السيد عمر المدني، من متفقهة أهل المدينة، تعرفنا به فيها، فوجدناه جالساً مع الشيخ المذكور، عند باب المسجد، فرحب بنا الشيخ غاية، وأظهر لنا من بشره النهاية، وطلب منا الترول عنده في داره، وأقسم على ذلك جهد يمينه، وبذل في القِرى المستطاع من ملك يمينه، فدخل معنا إلى المسجد، ووصل معنا إلى محل الزيارة، فزرنا وصلينا في المسجد، ثم ذهبنا إلى المترل، وأنزلنا في أطيب مكان فيه، وأدخل أمتعتنا ودوابنا.

فلما استقر بنا المجلس، وخرج عنا في بعض شؤونه قلنا لصاحب لنا: (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً)[2]. فخرج إلى السوق واشترى لنا ما يصلح للوقت، فلما وضعه بين أيدينا دخل علينا الشيخ، وقد رآه حين دخل وهو يقول: واعيباه واعيباه يكررها، وتلك لغة أهل البلد، كيف تشترون الطعام وأنتم في مترلي؟ ولكن الذنب مني إذ أبطأت عليكم بالقِرى، فاعذروني، وما كنت مشتغلاً إلا في ذلك، فأخجلنا واعتذرنا له، فلم نبرح من مكاننا حتى أتى بالغداء، فأكلنا واسترحنا.

ولقد أجزل لنا القرى مدة الإقامة فجزاه الله خيراً. إلا أنه لما بلغ خبر قدومنا إلى جواد زمانه، وحاتم أوانه، وجُنيد عصره، وغوث قطره، السيد عبد الرحمن المكناسي، وكان إذ ذاك بالطائف، بعث إليه بعض خدامه بالمحتاج إليه من طعام وإدام ولحم ونحو ذلك، وقال له: إنما علينا قراهم لا عليك إلا أنهم لما نزلوا في مترلك لم يمكنا إخراجهم من عندك، فعليك المترل وعلينا النُّزُل والقِرى، و لم يزل يتعاهده بأمثال ذلك إلى أن خرجنا.

---

[1] المرسلات: 42.
[2] الكهف: 61.

ولما كان الغد ذهبنا لزيارة السيد عبد الرحمن في مترله، وكان بأعلى البلد، فدخلنا عليه وبالغ في الترحيب والتحفي، وهشّ وبشّ، وسأل عن الحال وأظهر السرور بقدومنا، وكنا لقيناه في مترله مترله بمكّة يوم دخولنا أو غده وهو متهيئ للخروج إلى الطائف في يوم لقائنا له، ووجدنا ركائبه ببابه، وآلة السفر بين يديه، فلم تطل مجالستنا له، واعتذر لنا عن ذلك، وأخبرنا أن الخروج في ذلك الوقت لم يكن باختياره، وأنه لوارد قهري، وكان اتخذ ذلك عادة منذ أعوام كثيرة، إذا أقبل رمضان وقرب خرج إلى الطائف، وكثيراً ما يستهلُّ له رمضان في الطريق، لأنه كان يسير سيراً رفيقاً، وربما أقام، وربما أفطر بعض أصحابه يوماً أو يومين في الطريق لأجل السفر، فاتخذ الجهال والحسدة له ذلك ذريعة، وتطرقوا منه إلى الوقوع في عرضه، والاتهام له في دينه، وقالوا: إنه إباحي، وما جعل السفر في هذا الوقت ديدنه إلا ليتوصل به إلى الأكل في نهار رمضان، وإلا فأيُّ ضرورة تلجئه إلى الخروج في هذا الوقت كل سنة إلى غير ذلك مما يلقيه الشيطان إلى أوليائه من شياطين الإنس والجن (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)[1] سنة الله في أنبيائه وفي أوليائه بالإرث، إذ جعل الله لكل نبي عدواً من المجرمين[2]. وكذا كل وليّ، على ما نص عليه غير واحد، على أنَّ هذا الشيخ ممن ظهرت شواهد صدقه في حاله، واشتهرت كرامته، وعلمت ديانته، فينبغي التسليم له، سيَّما في الأمور التي لا تصادم الشريعة كهذا، وقد أخبرني، رضي الله عنه، ببعض حاله في سفره هذا، وكأنه توهم أني سمعت شيئاً مما يقوله الناس في ذلك وقال لي: والله ما كنت أخرج من هذا البلد مع غلبة الحال وقوة الوارد حتى أسمع النداء: يا عبد الرحمن ألا تخرج تخاف على إيمانك، فأخرج حينئذ خوفاً على نفسي.

قلت: ومن كانت له بصيرة نورانية وذوق رباني وكشف إلاهي، لا ينكر مثل ذلك، فإنَّ أحوال الواردات الإلهية لا تنضبط لزمام، والناس في تحملها أنواع، وقد علم من أحوال هذا الشيخ أنه أسير الحال في أكثر الأحوال، ولعل السر في قهره على الخروج عند قرب رمضان، فاعلم أن شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان، وإن الواردات الإلهية تقوى في هذا الشهر وفي أشهر الحج بعدها، فإذا انضاف إلى شرف الوقت شرف المكان ربما ورد على القلب الضعيف من

---

[1] الأنعام: 112.

[2] إشارة إلى قوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا): الفرقان: 31.

الواردات ما يعجز عن حمله ولا يقوى على القيام بحقه، سيما إن كان مغلوبا من قبل، كهذا الشيخ، فقد يتسع عليه النطاق، ويرد عليه مالا يطاق، وربما أداه ذلك إلى خرق سياج الشريعة مغلوباً، فيخاف عليه في دينه كما وقع للحلاج وغيره من المغلوبين. فعلى هذا فقد يكون الخروج إلى محل يخف عليه فيه الحال وتنكسر سورة الوارد فيه بعدم معاضدة شرف البقعة ألطف به وأرفق وأرحم وأليق بحاله، وهذا أمر غامض لا يدركه إلا أهله.

فإن قيل:ينقض عليك هذا بشهود الموسم فإنه لا مكان ولا زمان أشرف من تلك المشاعر العظيمة في تلك الأزمان الشريفة. قلت: إنَّ الموسم يجتمع فيه من الخلائق من سائر الآفاق من لا يعد كثرة، وفيه من طوائف أهل الحضرة كل صنف من أبدال ونقباء ونجباء وأوتاد والغوث والقطب، وأنواع أهل دائرة الولاية على اختلاف مراتبهم، فتتعاضد أنوارهم وهممهم وعزائمهم سيما والقطب المتصرف في الكل حاضر حساً ومعنى، فيقوى المدد ويكثر سريانه في كل سالك على قدر قوته وضعفه، فينجبر بذلك ضعف القابل، ويقوى به عجز المغلوب، وهذه إشارة إلى ما عجزت عن إبانته العبارة، يعلمه أهله، ولا ينكره إلا من لم يؤمن بطريقهم، فإن أول درجات هذا الطريق الإيمان بأحوال أهله التي لم يقم دليل قطعي على عدم صحتها.

وأحوال هذا الشيخ في الوجود غريبة، وأعظم شاهد على صدقه في حاله زهده في الدنيا، مع كثرة ما يُجبى إليه منها، فلا يبالي من أخذها من يده من غني وفقير، ومأمور وأمير، ورفع همته عن الخلق سيما أرباب الدولة، فإنهم لا يرون في مكان أذل منهم في بابه. ولقد كنا عنده بمنزله في الطائف فاستأذن عليه السيد حسن بن زيد، أحد أولاد السلطان زيد، فلأياً بلأي ما أذن له، وعند دخوله لم يقم له، ولا احتبل له، وغاية ما قال له، كالمعتذر عن تأخير الإذن: إنا اشتغلنا بهؤلاء السادات، وما هم دونك في المكانة عندنا، وإن كان لك حق الشرف، فلهم حق النسبة إلى الله، وطلب العلم، والغربة، أو نحو من هذا الكلام، و لم يأنف ذلك الشريف من هذا الكلام مع ما هو فيه من حداثة السن ونخوة الملك والشرف بل ألان الكلام بين يديه وتلطف. وذلك شأن هذا الشيخ مع أرباب الدول، وأهل المناصب الدنيوية، وسنذكر بقية أخباره عند ذكر من لقيناه بمكة من أهل الفضل.

و لم نلقَ بالطائف أحداً ممن ينتسب إلى علم أو صلاح، سوى الشيخ عبد العزيز الذي نزلنا عنده، وأصله من المغرب من بلاد أوكرت من بلاد تيجورران، وشهرته بالتواتي، وقد جال في المغرب وقرأ على كثير من علمائه كسيدي الصغير ابن المنيار التادلي، ودخل فاساً وقرأ على سيدي عبد الواحد ابن عاشر[1] وعلى غيره، ثم ارتحل إلى المشرق قديماً بعد الأربعين وألف، ودخل القاهرة، وأتقن القراءة على مقرئها وأستاذها الشيخ سلطان، وختم عليه إحدى عشرة ختمة، وأجازه بالقراءات السبع، بل وبالعشر، وكتب له خطه بذلك، ثم انتقل إلى الحجاز وحج، ثم استوطن الطائف منذ أعوام كثيرة، وتزوج امرأة من أهله، ورزق منها عدة أولاد، وله عند أهلها مكانة. يحج كل سنة ويحضر الموسم.

وقد سمعت منه المسلسل بسورة الصف، قرأها علينا أمام ضريح الحبر ترجمان القرآن، عبد الله بن عباس ثلاث مرات؛ مرتين بقراءة قالون[2]، ومرة بقراءة ابن كثير، وأجازنا بها. قال: قرأتها على شيخ الإقراء بالقاهرة الشيخ سلطان. قال: قرأها علينا الشيخ حجازي. قال: قرأها علينا الشمس العلقمي. قال: قرأها علينا جلال الدين السيوطي. قال: قرأها علينا أبو عبد الله الحاكم. قال: قرأها علينا أبو إسحاق التنوخي. قال: قرأها علينا أبو العباس الصالحي. قال: قرأها علينا أبو المنجا الليثي. وسند الشيخ سلطان إلى ابن الجزري. قال: قرأها علينا أبو الحجاج الصيرفي. قال: قرأها علينا أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد المطعم. قال: قرأها علينا ابن المنجد عبد الله بن عمر الليثي. قال: قرأها علينا أبو الوقت عبد الأول السجزي[3]. قال: قرأها علينا أبو محمد الداودي[4]. قال: قرأها علينا محمد بن كثير. قال: قرأها علينا الأوزاعي. قال: قرأها علينا يحيى بن أبي كثير. قال: قرأها علينا أبو سلمة. قال: قرأها علينا عبد الله بن سلام. قال: قرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها.

---

(1) عبد الواحد بن أحمد بن عاشر، الأندلسي الفاسي، فقيه مشارك، له تآليف منها المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، توفي عام 1040 هـ: خلاصة الأثر 96:3. التقاط الدرر، ص: 91.شجرة النور الزكية 434:1.

(2) أبو موسى عيسي، قالون: مقرئ المدينة وتلميذ نافع، توفي سنة 220 هـ: سير أعلام النبلاء 326:10. النجوم الزاهرة 235:2.

(3) في ط: السجزرني.

(4) في ط: الداودي.

وقرأت عليه أيضا في المحل المذكور من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)[1] بقراءة نافع من طريق قالون، رواية أبي نشيط والحلواني، ومن طريق ورش رواية الأزرق والأصبهاني، كل ذلك بطريق الطيبة. وأجازني به. ولنذكر نص ما كتبته بين يديه بعدما ناولني إجازة الشيخ سلطان له:

الحمد لله، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم. يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي: خرجت من مكة المشرفة بعد العشاء الأخيرة ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة إلى الطائف لزيارة حبر الأمة، ترجمان القرآن، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، ووصلناها ضحى يوم الأربعاء، ولقينا هنالك رئيس المقرئين، وأستاذ المجودين، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي، وأنزلنا عنده، وقام بالحق الواجب أتم قيام، فجزاه الله خيرا. وسمعت منه سورة الصف، قرأها علينا أمام ضريح الحبر ابن عباس ثلاث مرات؛ مرتين بقراءة قالون، ومرة بقراءة ابن كثير. وأجازنا بها بإسناده الآتي إلى ابن الجزري. وقرأت عليه من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)[2] أمام الضريح المذكور، بقراءة نافع من طريق قالون، على روايتي أبي نشيط والحلواني، ومن طريق ورش على روايتي الأزرق والأصبهاني، كل ذلك بطريق الطيبة. وأجازني به وبكل ماله قراءة وحديثا ونحوا وأصولا وتصوفا حسبما سطر ذلك كله في إجازة الشيخ سلطان، شيخ الإقراء بمصر، له بعدما ختم عليه إحدى عشرة ختمة. أما سند القراءة فأخذ الشيخ سلطان عن الشيخ سيف الدين الشافعي ابن عطاء الله الفاضلي البصير بقلبه، وهو عن الشيخ شحاتة اليمني، وهو عن الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، وهو عن زكرياء الأنصاري، وهو عن الشيخ شهاب الدين البيجوري، وهو عن شمس الدين ابن الجزري، وهو عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي البغدادي المصري، وهو عن محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري المعروف بالصائغ، وعن أبي الحسن علي بن شجاع العباسي المصري صهر الشاطبي، وهو عن أبي القاسم الشاطبي. قال الشيخ سلطان: وهذا الإسناد لا يوجد اليوم أعلى منه، تسلسل بمشايخ الأفراد وبالشافعية وبالديار المصرية وبالإقراء

---

(1) البقرة: 17.
(2) البقرة: 17.

والتلاوة، وأخذ الشاطبي عن أبي الحسن علي بن هذيل عن أبي داوود سليمان، عن أبي القاسم الأموي، عن أبي عمرو الداني، وسند الداني معروف. قال الشيخ سلطان: وأخذت الحديث على جماعة منهم: الشيخ شهاب الدين بن خليل السبكي (مع زيادة)[1]، وقرأت عليه أيضا في التصوف. ومنهم الشيخ سالم السنهوري، ومنهم الشيخ نور الدين الزيادي، ومنهم الشيخ يحيى الحنبلي. وأخذت أصول الفقه والدين والنحو والعروض عن جماعة يطول ذكرهم، وقد أجزت بكل ذلك الشيخ عبد العزيز المذكور يرويه ويرويه لمن شاء، هـ باختصار من خط الشيخ سلطان المذكور في إجازته لشيخنا عبد العزيز. وقد أجاز لنا شيخنا ذلك كما أجيز له، هـ. وكتب عشية يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي قعدة الحرام سنة ثلاث وسبعين وألف.

هذا نص ما كتبته بيدي وما ناولته إياه فتصفحه وكتب تحته بخطه ما نصه: صحيح ذلك كما ذكره، ولا ينساني من دعائه، وكتب الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن الحسن الحفصي كان الله له آمين.

وإنما أطلنا بكتابة ما كتبته وما كتبه بلفظه تبركا بألفاظه في الرواية، وتثبتا في النقل على طريقة أئمة النقل من المحدثين، ولا ينكر هذا إلا الجاهل بأصولهم واصطلاحهم، ولولا ذلك لكان الاختصار والإتيان بألفاظ قليلة تؤدي هذا المعنى ممكناً.

---

[1] زيادة من ط.

وأما الأماكن التي تُزار في بلد الطائف: فمنها البلد نفسه فقد وردت آثار تدل على فضله، وأنه منقول من الأرض المقدسة، نقله جبريل عليه السلام (بإذن الله تعالى)[1]. وورد في الحديث أن، النبي صلّى الله عليه وسلّم، حرّم عِضَاه وَجٍّ[2]، وهو الطائف، وهو عند الشافعية كحرم مكة لا يقطع شجره، وكفاه هذا فضيلة شارك فيها الحرمين الشريفين.

ومنها قبر ترجمان القرآن، حبر الأمة، سيدنا عبد الله بن عباس، وهو في قبلة المسجد الأعظم من يمناه[3]، وعليه بناء فخم حوله على يمين الداخل من الباب قبر البطل الهمام، والليث المقدام، فارس بني هاشم، سيدنا محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (رضي الله عنه)[4]، فضائله مشهورة، وسبب انحيازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس إلى الطائف مذكور في التواريخ، فلا نطيل بذكره. وبإزاء قبر ابن عباس قبر يُقال إنه قبر عبد الله الطيب الطاهر، ولد سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، والناس يتبركون به بهذه النية.

ومنها المسجد الأعظم نفسه فإنه في محل نزول عسكر النبي صلّى الله عليه وسلّم عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين، وفي صحن المسجد مسجد صغير يقال إنه منزل النبي، صلّى الله عليه وسلّم، في الحصار المذكور، وفيه محل يقال إنه محل قبة أم المؤمنين أم سلمة وقبة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنهما، وخبر حضورهما معه، صلّى الله عليه وسلّم، في هذه الغزوة وإنه اتخذ لكل واحدة قبة، ومصلاه، صلى الله عليه وسلم، بين القبتين مذكور في كتب السير.

---

(1) ساقط في ط.

(2) جاء في مسند أحمد: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن الحرث من أهل مكة مخزومي، حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان قال: وأثنى عليه خيرا، عن أبيه عن عروة بن الزبير، عن الزبير رضي الله عنه قال: ثم أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلة، حتى إذا كنا ثم السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الأسود حذرها فاستقبل نخبا ببصره، يعني واديا ووقف حتى اتفق الناس كلهم، ثم قال: إن صيد وج وعضاه حرم محرم لله، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيف: مسند أحمد 1:165.

(3) أنظر: شفاء الغرام 2:89.

(4) زيادة من ط.

وآثار حصن ثقيف الذي انحازت إليه بعد الهزيمة وحوصروا فيه باقية إلى اليوم. وقريب من ذلك محال متعددة فيها آثار في الصخر الصلد كأثر ظلف الغزالة، والناس يتبركون بها ويقولون إنها أثر غزالة جاءت النبي صلّى الله عليه وسلّم وسلّمت عليه في ذلك المحل، و لم نرَ لذلك ذكراً في شيء من كتب السير وأخبار معجزاته صلّى الله عليه وسلّم.

ومن المحال التي تزار بالطائف مسجد على شفير الوادي بأعلى البلد، فيه شجرة كبيرة أظنها سدراً، لها أصلان متقاربان بينهما مثل ممر الشاة، يقال إنها الشجرة التي اعترضت النبي، صلّى الله عليه وسلّم، في طريق له فأنشقت شقين، حتى مر بينهما لئلا تعنته فيمر يميناً أو شمالاً [1]، وخبرها مذكور في بعض الأحاديث. و لم أرَ من ذكر أنها في هذا المحل، ولا أنها باقية إلى هذا العهد، وأظن أن حديثها مذكور في معجم الطبراني الصغير[2]، والله أعلم.

وهناك مسجد آخر على شفير الوادي قريب من هذا يزار أيضاً. ولا أذكر الآن شيئاً من خبره. فهذا ما علق بذهني من المحال التي تزار بالطائف.

وفي هذا البلد أسواق حافلة، يحضرها الناس من أطراف نجد، ويجلب إليها من الحبوب والثمار والزبيب والعسل ما قضينا العجب من كثرته، بحيث يخيل إلينا أننا لم نرَ مثل ذلك في الكثرة من الأسواق العظيمة.

و لم تطل إقامتنا في هذا البلد لقرب زمان الموسم، ولأنا وجدنا به مرضاً كثيراً فاشياً في أهله، وأخبرونا أن ذلك شأنه في السنة التي تكثر أمطارها كهذه السنة، وإنما كانت إقامتنا فيه بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة.

وخرجنا منه ليلة السبت قريباً من نصف الليل على طريقنا التي مررنا عليها ذهاباً، ووصلنا قرن الثعالب الذي هو ميقات أهل نجد بعد طلوع الفجر، ونزلنا حتى توضأنا وصلّينا، وأحرمت من هناك بعمرة و لم أغتسل للإحرام لبرد الماء والهواء، بل اقتصرت على الوضوء.

---

[1] أنظر: شفاء الغرام 89:2

[2] لم يرد هذا الحديث في معجم الطبراني الصغير.

لطيفة:

كنت قبل ذلك كثيراً ما أطيل الفكر في مسألة من الحقائق تتعلَّق بوحدة الوجود الذي يقول به كثير من محققي الصوفية، كالشيخ محي الدين وأتباعه، فلا ينقدح في قلبي من فهمها شيء يثلج له القلب وينشرح له الصدر، فلمَّا كان وقت السحر من هذه الليلة أطلت الفكر فيها على عادتي، فكشف لي من معناها الموافق لكلام الأئمة ما لم يخطر لي قبل ذلك على بال، وانشرح الصدر لقبوله لأنه لم يعارض نص كتاب ولا سُنَّة، ففرحت بذلك، وحمدتُ الله كثيراً، وتعجبت من ذلك كيف اتضح من دون إلقاء أحد ولا تبيينه، وقد تعسر قبل ذلك مع تقرير المشايخ وتبيينهم، ثم وقع في نفسي أن ذلك لعله لخاصية في المكان كما ذكر الشيخ محي الدين في الفتوحات[1] أن الفتح يسرع في بعض الأمكنة بالخاصية، ثم ردف ذلك خاطر آخر يشهد لصحة هذا الظن، وهو ما ورد في قضية عرض النبي، صلى الله عليه وسلم، نفسه على القبائل؛ إذ عرض نفسه على ابني عبد يا ليل، وإساءتهما إليه، صلى الله عليه وسلم، وأنه قال: فانطلقت مهموماً، ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فإذا بملك الجبال، إلى آخر الحديث. ومعلوم أن استفاقته، صلى الله عليه وسلم إنما هي بالترقي من مقام إلى مقام أعلى، وأن ذلك الترقي حصل له في ذلك المكان بدليل ما عقب ذلك من الرحمة التي استولت عليه، صلى الله عليه وسلم، إذ أجاب ملك الجبال حين قال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال عليه السلام: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً[2].

---

[1] يقصد كتاب الفتوحات المكية، ولم ترد الإشارة في الطبعة التي اعتمدناها من الكتاب.

[2] جاء في صحيح مسلم: وحدثني أحمد بن عمرو بن سرح وحرملة بن يحيى وعمرو بن يخلو العامري وألفاظهم متقاربة، قالوا: حدثنا بن وهب، قال: أخبرني يونس عن بن شهاب، حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ ز فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا: صحيح مسلم 1420:3.

وانظر هذه الرحمة العظيمة والشفقة العميمة التي استولت عليه بعد ذلك الهم الذي انطلق معه بلا شعور، فلا تسأل عن شدة المقام الذي انتقل عنه، وشدة المقام الذي انتقل إليه، فما أجدى هذا المكان الذي حصل فيه هذا الترقي لسيد الوجود، صلى الله عليه وسلم، بأن تكون خاصية الفتح القريب في الأمر الغريب والعلم عند الله تعالى.

ثم صلّينا الصبح في الميقات، وذهبنا ومررنا على القهوة التي بتنا بها قبل عند الطلوع؛ أي طلوع الشمس، وانحدرنا مع العقبة الكؤود؛ عقبة أكرى المتقدم ذكرها، وتعجبنا من صعود إبل أهل ذلك البلد فيها، وهبوطها بأحمال الفاكهة الثقيلة، مع كثرة الأوعار، وتضايق الصخور الكبار، مع الأحجار المعترضة فيها، المشرفة على المهاوي البعيدة، وما وصلنا إلى القهوة التي بسفح الجبل حتى اشتدَّ النهار، وحمى وطيس الهجير، فاتقينا بأخصاصها وهج الظهيرة إلى أن فاء الفيء، فآثرنا الركاب، وعالجنا بقية الحرّ في التلوي مع أطراف تلك الشعاب، وما وصلنا وادي نعمان الأراك إلا بعد العصر، وسايرناه مع العشي مسايرة الخل الرقيق والخدن العشيق، نكرع من عيونه المترعة التي هي من أصل الساقية المتقدم ذكرها، إلى أن وصلنا إلى القهوة التي هي على حَدٍّ بسيط عرفات بين العشائين، ونزلنا بها في أرغد عيش، حول عين من الساقية تجري على وجه الأرض، وصلينا صلاة العشاء، وتعشينا ثم أغفينا إغفاءة، ثم ارتحلنا قريباً من ثلث الليل الآخر، ومررنا بنمرة، ثم بالمأزمين، ثم بجمع، ثم ببطن مُحَسِّر[1]، كل ذلك ليلاً، فطلع الفجر ونحن بمنى، فدخلت مسجد الخيف، وصلّيت به الصبح، وليس به داعٍ ولا مجيب. وقد كان في وقت الموسم ربما لا يجد الإنسان أن يضع جبهته من الأرض أحياناً لكثرة الزحام.

وتأملت بسيط منى وشعابه، وتبينت سعتها وامتدادها، وكانت في أيام الموسم ربما يخيل إلى الناظر ضيقها لكثرة الخلق. ومن رأى منى وما حولها من الأماكن في غير أيام الموسم علم حسن تشبيه من قال: من أراد أن ينظر إلى الدنيا بعد انقراض أهلها فلينظر إلى منزل الركب بعد ارتحاله.

---

[1] محسر: واد بجمع وهي مزدلفة: معجم ما استعجم 4:1190.

ومنى في أيام الموسم هي الدنيا بأسرها؛ قصور عالية وأسواق حافلة وجنود مجندة، وملابس فاخرة، وأطعمة شهية، ومراكب هنيّة، وبضائع غير معدودة، ومتاجر ثمينة، إلى أنواع العبادات من تكبير وتهليل، وصلاة وقراءة ونحر وذبح وإطعام طعام ورمي جمار، وما الدنيا محمودها ومذمومها إلا ما ذكرنا. ولا تمر على ذلك كله ثلاثة أيام حتى (لا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً)، فلا ترى في منازلهم إلا عظاماً نخرة وخرقاً بالية، وفضلات منتنة، وغثاء أحوى، وقتاما[1] أغبر تسفيه الريح وتذروه، وهذا هو المثال الحقيقي للدنيا، فليعتبر أولو الأبصار من سكان البادية والأمصار.

ثم دخلنا مكة ضحى يوم الأحد، وأحللت من عُمرتي، ووجدنا مكة قد غصَّت بساكنها، والوفود ترد عليها من كل أوب. ولله المِنَّة.

---

[1] القتام: الغبار: لسان العرب: قتم.

ذكر من لقيته بمكة من الأفاضل أيام المجاورة
وذكر بعض من لقيته من الإخوان وما اقتبسته من الفوائد خلال ذلك

فممن لقيته بمكة عالمها وابن علمائها مفتي الشافعية وإمام المقام شيخنا زين العابدين الطبري الحسيني[1]، و لم يتيسر لي قراءة شيء عليه في هذه المدة، وقد طلبت منه ذلك فاعتذر بكثرة الأشغال ومباشرة خطة الفتوى، وقد كان السيل الذي ذكرنا خبره قد اجتاح جانباً من إيوان داره، فاشتغل ببنائه و لم يمكن إلا مجرد اللقاء والتبرك بدعائه. ولما كتبت الاستدعاء الذي استدعيت فيه الإجازة لي ولإخواني من علماء الحرمين كان هو ممن كتب عليه، وسيأتي نص ما كتب في آخر الرحلة عند ذكرنا للرسالة التي جمعت فيها كتاباتهم، وقد كنت لقيته سنة أربع وستين وقرأت عليه ما تيسر، وأجازني، وأسانيده مستوفاة عندي في اقتفاء الأثر[2] وفي تحفة الأخلاء[3]. وممن انتفعت بلقائه، وكان معظم استفادتي بمكة من تلقائه، وجل مروياتي من سماعه وإلقائه، شيخنا العلامة، المحقق الفهامة، نادرة الزمان، وإمام من ضمه الحرَمان، خائض بحار العلوم، ومطير مكتومها من جنس المعلوم، المرقى من الرواية على أعلى ذروته بعدما جلس من الرواية على أرفع منصتها، الحائز من علم الباطن أوفر نصيب بعدما رمى في العلم الظاهر بسهم مصيب، شيخنا ومفيدنا وهادينا ومرشدنا، سيدي أبو مهدي[4] عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، رضي الله عنه[5]، أوحد عصره في حسن الأخلاق، وغريب الشكل في دهره على الإطلاق، قائم بحق الله في نفسه وفي معاملة أبناء جنسه، لا تُمل محادثته، ولا تسأم مجالسته، إن حادثته في أخبار الدنيا أمتعك، وفي أحوال

---

(1) تقدمت ترجمته.
(2) اقتفاء الأثر، ص: 136 – 137.
(3) إتحاف الأخلاء، ص: 134 وما بعدها.
(4) في ط: محمد
(5) تقدمت ترجمته.

الآخرة نفعك، لم يتنسك تنسك المتنطعين من المتصوفين، ولا استرسل مع العادات استرسال المسرفين، بل سلك في ديانته أقوم سبيل، واقتدى من الكتاب والسنة بأهدى دليل، مع اعتقاد تام في سالكي طريق القوم، واشتراء بضائع علومهم بأعلى سَوْم، يخضع عند ذكر أحدهم غاية الخضوع، ويخشع عند سماع كلامهم نهاية الخشوع، يسلم لهم غاية التسليم في كل الأفعال والأقوال، حتى ربما عِيب عليه ذلك في بعض الأحوال، تلقى من عدة مشايخ، وسلك على طريقهم، إلا أنه لم يعدل عن حزب الشاذلية وفريقهم، فلذلك كان مقبولاً عند أهل الباطن والظاهر كما هو شأن أئمة الشاذلية المشاهر، لا يملك عينيه إذا ذكرت الآخرة وأهوالها، ولا تستفزه نضارة عيش الدنيا وأموالها، لا يغشى أبواب الأمراء، ولا يستنكف عن مجالسة الفقراء، لا يسأل الناس شيئا من أموالهم، ولا يرد ما أتاه الله من نوالهم، قاسى في أول مجاورته من الفقر شدة، فاتخذ الصبر عُدة، فلم يكشف قناع وجهه لطلب نوال أمير، وقنع بالكسرة والماء النمير، ثم اشتهر بعد ذلك أمره، وظهر للناس خيره، فانثال الناس عليه من كل جانب، وبسط له من الرزق، وأشربت قلوب الخاصة والعامة محبته، وعكف في آخر أمره على سماع الحديث وإسماعه، فجمع من الطرق العوالي والأسانيد الغريبة والفوائد العجيبة ما لم يجمع غيره، وكتب الكثير وسمع وأسمع من المسانيد والمعاجم والأجزاء ما لم يتفق مثل ذلك ولا قريب منه لأهل عصره. وكان أول نشأته، رضي الله عنه، في بلاده من وطن الثعالبة قومه، وهي من عمالة الجزائر بإفريقية، وعشيرته ينتسبون إلى الإمام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ العالم الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي[1] المشهور رضي الله عنه، ثم نشأ في حجر أبيه وجده وحملاه على الاشتغال بالقراءة، فقرأ في بلاده على فقهائها، فاشتاقت نفسه إلى طلب العلم، وسمت همته إلى ما تقاصرت عنه همم أهل وطنه من الإفادة والاستفادة، فدخل الجزائر وقرأ على علمائها وتبرك بصلحائها، وكان من مساعدة القدر له على ما رامه من ذلك أن صادف دخوله للجزائر بقصد القراءة وصول العالم العلامة حافظ وقته سيدي علي بن عبد الواحد

---

[1] تقدمت ترجمته.

الأنصاري الفيلالي[1] إليها، وإقباله على نشر العلم بين أهلها وتصَدِّيه للتعليم بكليته وحصول القبول التام له عند عامتها وخاصتها، فاتصل به الشيخ أبو مهدي ولازمه لزوم الظل للشاخص، وخدمه خدمة الراغب الناصح، حتى اختص به وصار من علية أتباعه، وحظي عنده الحظوة التي ليس فوقها شيء، فزَوَّجه ابنته، وصار من جملة أهل بيته، وهو في خلال ذلك لم يذخر عنه من علومه شيئاً إلا أبداه له، وقرأ عليه كتبا عديدة في علوم كثيرة استوفى ذكرها في فهرسته المسماة بكنز الرواة[2]، وكان مع لزومه لشيخه المذكور ينتفع بغيره في بعض الأحيان، وممن انتفع به من أهل الجزائر أيضاً عالمها وصالحها وفقيهها العلامة المشارك المسن سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة[3]، أجاز له جميع ما يرويه عن شيوخه ومنهم سيدي سعيد المقري، رضي الله عنه، ولم تزل حال شيخنا سيدي عيسى مع شيخه تترقى إلى أن وقع له ما أوجب تطليق ابنة الشيخ بأمر من والدها، فلم ينقطع مع ذلك عن خدمته وملازمته، وكانت للشيخ مكانة علية عند والي البلد يوسف باشا، وكان ذا همة عالية وشهامة تُركية، ومع ذلك يحب العلماء ويفهم بعض مقاصدهم، فعظمت مكانة شيخنا أبي مهدي عنده أيضاً، واتصل به، وكان من جملة خواصه إلى أن وقع للأمير المذكور ما أوجب عزله عن الولاية وتنقله خارج البلد في عمالتها، فكان شيخنا في صحبته في كل ذلك إلى أن وقعت أمور وأمور، ومات الشيخ الأنصاري، ومات الأمير، ومات كثير من أقارب شيخنا أبي مهدي في الوباء الواقع لذلك العهد، وبقي هو متنقلا في تلك البلاد بين جبال زَواوة[4] وقسَنطينة وبسَكرة ونواحيها، ثم لقي صالح وقته ببلاد الزاب سيدي أحمد بن المبارك الملقب بالَتواتي[5]، وهو كبير أولاد سيدي ناجي لذلك العهد، وبقي عنده مدة معظم

---

[1] علي بن عبد الواحد بن محمد، أبو الحسن السجلماسي، فقيه مالكي، ولد بتافيلالت، أقام بمصر مدة قبل أن يستقر بفاس، نصب مفتيا للجبل الأخضر، من مؤلفاته: المنح الإحسائية في الأجوبة التلمسانية، توفي بالجزائر سنة 1057 هـ: خلاصة الأثر 1:173. الأعلام 4:310.

[2] قال العياشي إتحاف الأخلاء: وقد اقتصر شيخنا في هذا الثبت على عد المشايخ ولم يرفع من أسانيدهم شيئا لضيق الوقت، وقد استوفى مشايخهم وما رواه عنهم في كتابه الذي لم يؤلف في هذا الفن مثله المسمى كنز الرواة المجموع من درر اليواقيت المسموع، وهو نافع جدا يطلع في نحو من مجلدين: (إتحاف الأخلاء، ص: 144 – 145)، وقال الكتاني في فهرس الفهارس أنه ظفر بالمجلد الأول من هذا الثبت الذي سماه: كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع: فهرس الفهارس: 1:503.

[3] تقدمت ترجمته.

[4] زواوة: بليد بين إفريقية والمغرب: معجم البلدان: زواوة.

[5] تقدمت ترجمته.

الحرمة إلى أن مات الشيخ المذكور، وكنت لقيته إذ ذاك[1] ببسكرة أوائل سنة تسع وخمسين، و لم آخذ عنه شيئا، وإنما كانت مذاكرة ومحادثة أبانت منه عن عقل ذكي وفضل جلي، ولما توفي الشيخ التواتي ومات إخوانه وأقاربه، و لم تبق له علاقة في تلك البلاد قادته أزمة السعادة، وساقه سائق الإرادة، فألقى في قلبه التوجه إلى الأماكن المختارة لقضاء الحج والزيارة، فتوجه إلى الحج في سنة إحدى وستين، فكمل الله عليه، فحج وجاور بالحرمين سنتين، وأقبل على نشر العلم وبثه، وكان كامل الأدوات من نحو وتصريف ومنطق وكلام وبيان وأصول، فأعجب أهل الحرمين بحسن تقريره وتبيينه وتحقيقه، فطار له عندهم صيت، وانتشر له ذكر، وتجدّدت له رغبة في خدمة الحديث النبوي، وكان فيه قبل ذلك من الزاهدين، فأقبل على الرواية والأخذ والسماع مشمرا عن ساق الجد، فأخذ عمن أدرك من علماء الحرمين كشيخنا القشاشي، وشيخنا زين العابدين الطبري، وأخيه أبي الحسن، والشيخ عبد العزيز الزمزمي[2]، والشيخ علي بن الجمال[3]، وشيخنا تاج الدين المالكي، والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري[4]، وكان إذ ذاك مجاورا بالحرمين الشريفين، واستفرغ ما عند هؤلاء من الروايات فلم يشف ذلك غليل أوامه، ولا أبرأ عليل هيامه، وإنما زاده ذلك نهما في طلبه وتغاليا في ارتياحه وطربه، فرجع إلى مصر للأخذ عن علمائها والتبرك بصلحائها، فاستوطنها سنة أربع وستين وخمس وستين، فأكثر الأخذ عن شيخنا الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، إمام المالكية وشيخهم أبي الحسن علي الأجهوري، وعن المحقق المسن شيخنا شهاب الدين الخفاجي الحنفي، وعن شيخنا المسند أبي الحسن إبراهيم الميموني الشافعي، وعن جملة كثيرة من مشايخ القاهرة، وقيّد الكثير، وقرأ من الأجزاء والمسانيد الغريبة ما صار به فرد وقته في رواية الحديث، وأعطي القبول التام عند المشايخ وأصحابهم بحيث لا يبخلون عليه بكتاب، ولا يضجرون منه عند إرادة سماع، بل كان يخف على قلوبهم، ويرتاحون للقائه، وقد أخبرني أن شيخنا الأجهوري، مع أخذ الكبر منه غاية وضجره من طنين الذباب في أغلب الأوقات، كان إذا دخل عليه يبتدئه قبل أن يطلب السماع، فيقول له: شنف الأسماع، علما منه أنه لا يأتي إلا لسماع

---

[1] في ط: إذ ذاك لقيته.
[2] تقدمت ترجمته.
[3] تقدمت ترجمته.
[4] محمد بن علاء الدين البابلي المصري، الحافظ المحدث، جاور بمكة ودرس بها، توفي سنة 1076 هـ: اقتفاء الأثر، ص: 135. خلاصة الأثر 4:39. التقاط الدرر، ص: 168.

حديث أو رواية غريب، وما دخل على أحد قط من المشايخ فيخرج إلا بفائدة له وللحاضرين، ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم لم يبعد لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرواية، وهم يستفيدون منه في درايته وتحقيق معانيه. وقد أخبرني أن الشيخ البابلي كان يقول له: ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقري ولا أذكى منك. فأقول له: يا سيدي إنما تقول ذلك لإنصافك.

ثم ارتحل شيخنا أبو مهدي بعدما قضى حاجته من القاهرة إلى الصعيد للقاء الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي أبي الحسن علي المصري، رضي الله عنه، فتلقى منه وقرأ عليه من مصنفاته في طريق القوم، وسمع عليه الحديث. وقد لقيت شيخنا أبا مهدي بالقاهرة في آخر سنة أربع وستين وأوائل سنة خمس وستين، وأخذت عنه وتلقنت منه، وسمعت منه ما تيسَّر، ورافقته في السماع من بعض المشايخ، وكان لقائي له في أواخر رمضان، فكتبت له يوم عيد الفطر أبياتا أهنيه بالعيد، ومن جملتها قولي:

[متقارب]

هنيئًا لأهلِ الصيامِ الذي ... حباهُمْ بهِ اليوم مولاهمُ

لئن جاءَ إن لهُمْ فرحتينْ ... فعندي ثلاثٌ بلقياهمُ

وقد كتبتُ له أيضاً بعد رجوعنا من الحجاز قصيدة يقدمها نثر استعطفه وأستعين به على قضاء الوطر من لقاء المشايخ والأخذ عنهم، إذ كان أعرف بي منهم، وأجرأ على الهجوم عليهم مني، وهذا نص ما كتبته له:

إنَّ أولى ما استعمل به الأديب بنانه وأرسل فيه الأريب عنانه، وأحلى ما تغالت فيه النفوس من مراشف الكؤوس، وأعلى ما استخدمت فيه الألباب، واستعملت الأوتاد والأسباب، واختير له من الألفاظ أبلغها، ومن المعاني أسبغها، ومن المباني أبرعها، ومن الحلي أبدعها، رسالة تهدى، أو يتيمة تسدى، من طالب شائق، أو محب عاشق، إلى شيخ فائق، أو محبوب وامق، تحف بكل لفظ رائق، وتزف بكل معنى لائق، فإن أصاب فمشكور، ولمثله يقال لصدقه في المقال: منحت جواد الفضل من هو راكبه، وإن أخطأ فمعذور، والعذر من مثله مقبول،

والعفو عن زلته مأمول، فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه، وقد تحرك أشعب[1] طمعي، وأجرى جفان هلعي، إن أهدى قصيدة، وليتها عصيدة، لبعض من تمنطق بالجوزاء علوا، وأخذ من الفرقدين سُمَوًّا، وارتدى بالمهابة والديانة، واتزر بالعفاف والصيانة، وتوج تاج البهاء والكرامة، فقدم على رغم الحسود للإمامة. وهذه القصيدة وإن أبانت عواري، وفضحت ما كنت من الفهامة أواري، فربما استحسن منها، تفضلا منه، ما استقبح، ورضى منها تكرما قليل ما منح، فتكون ترميما لما عفا من رسوم الوصال، وتجديدا لما ارتث من حبال الاتصال، فاغتفرت ذلك لهذا، وهب إن بان نقصي كان ماذا. وأقول تطفلا وإن لم يجز فريضة فتنفلا[2]:

[طويل]

إذا غلبتكَ[3] النائباتُ فغالِب ... بفخرِ فُحولِ العلم عيسى الثعالب

أجل الورى قدْرا وعلمًا وفطنةً ... وألينهمْ عطفا على كل طالب

وأحسنَهم خُلقا إذا ما اختبرتَهُ ... وبدرُ سماء المجدِ صدرُ المناقب

إمامٌ همامٌ لا ترَى مثله ولو ... ضربتَ جميعَ الأرضِ جم المناقب

وبحرُ نوالٍ لا تغيضُ زلالُهُ ... ولو كثرتْ ورادهُ كف ساكب

فحرفتهُ التقوى وصنعته الندَى ... ومكسبه التفويضُ خير المكاسب

رئيسُ المعالي نخبة الدهرِ ماجدٌ ... وعقد لآلي الحمدِ تاج المراكب

وأفضلُ من تسمو له همةٌ سَمَتْ ... ودانتْ لأدناها عَوالي الكواكب

على رتبةٍ من دونها البدرُ قد غدَا ... وزاحمَ فيها المُشتري بالمناكب

وخاضَ بحارَ العلم غير مُذَمم ... على مركبِ الإنصافِ أنجى المراكب

فكمْ صاغَ من دُر يقل نظيرُهَا ... ولم تبتذلها قبلهُ كف ثاقب

---

[1] إشارة إلى أشعب الطماع؛ ابن جبير المدني، ويعرف بابن أم حميد، وهو مضرب المثل في الطمع، توفي حوالي سنة 154 هـ: سير أعلام النبلاء 7:66.

[2] وردت القصيدة في الثغر الباسم ص: 271.

[3] في ط: غالبتك.

وكم نثرتْ سـلكَ البلاغـةِ كفـهُ وكم نظمتـهُ بـالنجومِ الثواقـبِ

بحقكَ أنصِتْ هل سمعـتَ بفاضـلٍ سَني سواهُ سـاطع الـذهن ثاقـبِ

فليسَ له مأوى تـراهُ بـه سـوى صدورِ الكراسي أو بطونِ المحـاربِ

فلا تلتفـتْ يومـا لقـولِ عداتـهِ ولو نقنقتْ منهم شـيوخُ مَحـاربِ

يوفِّي لكلِ من ذوي الحـق[1] حَقـه ويخضعُ للمـولى بـصدرِ مراقـبِ

إذا رمتَ منه القربَ يومـا لحَاجـة فلا تغلُ في الإطْرا وسـددْ وقـاربِ

وليسَ من الإطـراءِ إن قلـتَ إنـه لأفضلُ من مُدتْ له كـف راغـبِ

هو الفـذ في كـل العلـومِ وإنـهُ على من معالي أصْلها فوق راغـبِ

وما قلتُ ذا ظنـا ولكـن لخبرتـي بكـل الـبلادِ شـرقها والمغـاربِ

فكمْ من تآليف لـهُ يُهتـدى بهـا إلى الرشدِ ممن جهلـهُ في غياهـبِ

لمذهبـه فخـرٌ بـه ومكانَـة وعز بـه يعلـو جميـعَ المـذاهبِ

حباهُ الذي حلاه علمـا وحكمـةً وشرفهُ بالـذكر أعلـى المواهـبِ

وبلغـهُ في كـل مـا رامَ عـاجلا من الله في دنيـاهُ أسـنى المطالـبِ

وبَـوّاهُ في[2] دار الكرامـةِ آجـلا وعقباهُ عنـد الله خـير العواقـبِ

وقد أجابني عن هذه الأبيات بما نصه: الحمد لله، يقول كاتـب الأحـرف المسمى نفسه آخرا: إن صاحبنا الأديب البليغ الناظم الناثر، ريحانة الآداب وواسطة الأحساب، سيدي عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، وصل الله إكرامه، وبلغه من محمود المقاصد مرامه، خاطب العبد الفقير بقصيدة متمكنة الأعجاز والصدور، مسبوقة بأسجاع متناسقة، ولا تناسق القلائد في النحور على الصدور، فجرى قلم فكري الفاتر وذهني القاصر، شاكرا لفضله بهذه الأبيات المتأخرة عـن مبـاراة

---

(1) في ط: الحق.
(2) زيادة من ط.

الصاحب الأرضى، البائنة عن صوب معاقد البلاغة، إن لم تنظر بعـين المسـامحة والإغضاء، وهي هذه:

[طويل]

حبا بابنة الفخـم العـلا والمناقـب　　فريدة فـرد في امتطـاء المناصـب
أتتْ تتـهادى في مُـروط ملاحـة　　تجررها تيها علـى كـل كاعـب
وتأنف إن كانـت يتيمـة دهرهـا　　جمالا بديعا عـن إجابـة خاطـب
ولا بِدع في إعجاب بكـر محاسـن　　من ابن أبي بكـر أتـتْ بعجائـب
سوت غُررا في مشرق آي حـسنها　　كما بهرت مـن مغـربِ بغرائـب
وقد يممتْ فـضلا عـديم كفـاءة　　وعاطل جيد مـن حلـى المناقـب
أباحتْ لـه وهـي المنـوع جمالهـا　　ودانت وما كانتْ تـدين لراغـب
فأهلا بها بكرا عرُوبا قـد أعربـت　　قضايا ثناها عـن براعـةِ عـارب
ومنت ومـا منـت بـود مؤيـد　　بجازم عقد واجـب غـيرِ واجـب
فيا روحَ آداب وشـخص فـضائل　　وناظر أحـداق الـذكاء لطالـب
جُزيت بما أسديت أفـضل منحـة　　وبُلغت من رغباك أسـنى المطالـب

قاله وكتبه العبد الفقير إلى مولاه، الطامع في واسع رحماه، عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري.

وممن أجاب عن قصيدتي المتقدمة أيضا صاحبنا الفقيه النبيه سـيدي أحمـد القصري الملقب بالسبع، وكان إذ ذاك بالقاهرة معدوداً من جملة أصحاب شيخنا أبي مهدي، فكتب إلي قصيدة طويلة في روي قصيدتي ووزنها، تركـت إيرادهـا لطولها، ولما وقع من الانحلال في كثير من أبياتها، فأجبته عنها بأبيات هذا نصها:

[طويل]

أتـاني نظـامٌ كـالنجوم الثواقـبِ　　أو الدر مجلـي في نـور الكواعـبِ

أو الزهر المزهو في الروض قد بـــدا تصافحُ أعـــلاه أكـــف الـــسحائبِ

فما هو إلا البـــدرُ أشـــرق نـــورهُ فأبدى لنا وجهَ الضحى في غياهـــب

أو الراحُ أبـــدتْ للعيـــون حبابهـــا وقد أخذت بالثأر من عقل شـــاربِ

بسحرِ حلال واضـــح نفثـــت بـــه قريحة خل واقـــد الـــذهن ثاقـــبِ

إمـــام همـــام فاضـــل متـــبين أديب زكي الأصل جـــم المناقـــب

ليهن بلاد الشرق ما افتخـــرتْ بـــه قديما عليها منـــه أقـــصى المغـــاربِ

فلا تعجبوا من غربـــة قـــذفت بـــه فكم مثلها في دهرنا مـــن عجَائـــب

وقدما نبـــت الأكـــرمين ديـــارهم وما قصروا عن نيل أعلى المناصـــبِ

وكم من غريب حل بعـــد اغترابـــه من المجد في أعلى الدرى والغـــواربِ

هزبر العلوم اللوذعي ومـــن غـــدا يُنادي إذا ما حاربت باسم غالب

إذا اغبرت الهيجا واحمـــرت القنـــا وقيدت لدرس العلم حُمر النجائـــب

هنالك يبـــدو حاســـرا غـــير دارع لها بجنـــان حاضـــر غـــير غائـــبِ

فيوضـــح منـــها مـــشكلا ويزيلـــه وترنو له الأحداق من كل جانـــبِ

ودانت له صعب العلـــوم بأســـرها ومدت له الأعناق من كل طالـــبِ

هو العلـــمُ الفـــرد الـــذي بجنابـــهِ مخافة جهل يلتجـــي كـــل هـــاربِ

جزاه إلاه الخلـــق مـــا هـــو أهلـــه وسن له في القرب أعلى الرغائـــبِ

ولما قضى نهمته من بلاد مصر واستفرغ ما عند علمائها، كَرَّ راجعـــاً إلى الحرمين فاستوطنهما، وألقى عصاه بهما وقر عينا بتلك البقاع المطهرة كما قرت به أعينا، نادته السعادة هنا امكث أزمنا، فتفرغ حينئذ لجمع ما كتب ونـــشر مـــا نشر[1]، وإقراء ما قرأ، وإسماع ما سمع، وجمع من عوالي المسند وغرائب المسلسلات

---

[1] في ط: لنشر ما جمع، ونشر ما كتب.

ونوادر التواريخ ما تقاصرت عن أدناه همم أهل زمانه، وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز فاستخرج منها غرائب المصنفات، قيد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث وما فوق ذلك إلى العشاريات من كثير من المصنفات والجوامع والمسانيد والأجزاء بحسب أزمنة مؤلفيها، فينتقي من كل مصنف أعلى ما فيه، وضبط من الأسماء والأنساب ما قَلَّ أن يوجد عند غيره، وأظهر من طرق الرواية ما كان عند غيره مخفياً. وبالجملة فهو نادرة الوقت ومسند الزمان. ولما علمت إني، وإن اجتهدت فوق طاقتي وطفت ما عسى أن أطوف على المشايخ، لا يمكنني أن أجمع ما جمع، ولا أن أحصل من النفائس ما حصل، رأيت أنه قد كفاني المؤنة، وأن الله قد جمع لي ما كان مفرقاً في واحد، فرأيت كل العلمين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا[1].

فعكفت على القراءة عليه والسماع منه، فيسر الله تعالى أن قرأت عليه وسمعت في أزمان قليلة ما لم يسمع غيري في عمره، وكفيت مؤنة تقييد الأسانيد بموافقتي له في كثير من شيوخه وكثرة ما جمعت من ذلك قبل بحمد الله، وإن كان دون جمعه، مع تحصيلي لفهرسته المسماة بكنز الرواة، وهو تأليف سلك فيه مسلكاً عجيباً، ورتَّبه ترتيباً غريباً جمع فيه من غائب الفوائد شيئا كثيراً، وهو إلى الآن لم يكمل، وإذا مَنَّ الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء. والمسلك الذي سلك فيه أنه رتبه على أسماء شيوخه فبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ، وذكر مؤلفاته ومقرؤاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر قراءته هو عليه وما قرأ عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف فيكتب شيئاً من أوله، ثم يعرف بمؤلف ذلك الكتاب أبسط تعريف مع ما يستتبع ذلك من الفوائد والضبط، وكذلك يجعل في كل شيخ من شيوخه وفي كل مؤلف قرأه عليه أو شيئا منه، فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأئمة المؤلفين وأسانيد مؤلفاتهم، وذك مما يدل على اعتناء عظيم وحفظ تام ومطالعة واسعة، والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين وغبطة السامعين. وقد وَهَبَ لي خليلي الشيخ حسن بن علي العجيمي نسخة بخطه مما وجد من هذا المؤلف، وأجازني به مؤلفه وناولنيه. وسألته هل سميته؟ فقال لي: ما سميته شيئا ولا وضعت في أوله خطبة. وقال لي: أريد منك أنت أن تضع له

[1] تضمين لبيت المتنبي (شرح ديوان أبي الطيب المتنبي 2:290):
ولقد لقيت كل الفاضلين كأنما   رد الإله نفوسهم والأعصرا

خطبة في أوله وتسميه، فتعللت واعتذرت، فلم يقبل عذري. فلما رأيت أن الأمر منه جد قلت: أيكون ذلك على لساني أم على لسانك؟ فإن لكل مقام مقالا. فقال لي: أيهما شئت فافعل، فقلت: إن الذي في خاطري إنما يتيسر لي على لساني، فقال لي: انهج أي طريق شئت، فاخترت أن يكون ذلك على لساني ليتيسر لي ما أردت من البناء على المؤلف والتأليف، وهذا نص ما كتبت له مستعينا بالله:

باسم الله الرحمن الرحيم: إنَّ أصح ما يستند إليه الضعيف من أحسن الأعمال، وأعز شاهد يعتبره العقل ويتابعه النقل على بلوغ الآمال، حمد العزيز الفرد المطلق في كل أمر ذي بال على ما تسلسل واشتهر واستفاض من آلائه عند كل ذي بال، ونشكره على تواتر على العالي والنازل من آحاد خلقه من مقبول الأفضال، وتحمله الأبناء على الآباء من مِننه على التفضيل والإجمال. وأفضل صلاة وسلام على خير مرسل على غيره عند الله مرفوع، وأكمل من أدرج في خلقه كل مفرق من الكمال ومجموع، فإليه ينتهي كل مروي من الفضل ومسموع، وببعثته كل منكر متروك وموضوعٍ، وكلٍ رشاد موصول غير مقطوع ولا ممنوع. أنزل الله عليه أحسن الحديث كتاباً متشابهاً، وأخمل بظهوره ما كان من الكفر والضلال ناهاً؛ صلى الله وسلم عليه وعلى كل هاد من أصحابه وسائق، وكل سابق من آله ولاحق، وكل تابع لهم بإحسان غير ملحد في الدين ولا مارق، وعلى كل حامل للدين بعدهم غير مجانب للجماعة ولا مفارق، خصوصا عصابة أئمة الأثر السالكين بعدهم على الأثر، الناظمين من درر الحديث في سلك الرواية ما انتشر، والمجددين لما عفا من رسومه واندثر. هذا وإني قد جبت غالب البلاد بتيساري، وحككت جل المنتحلين للعلم بها على معياري وأسبر غور أنجادهم بمسباري، واسم بواتر سيوفهم بمصماري، وأسابق بين جيادهم في مضماري، عسى أن أصادف سيفاً منهم مع مقارعة النوائب لا ينبو، وجوادا إذا تصادمت الفرسان في الميدان لا يكبو، تكون له قوة إقدام على تفريق كتائب المعقولات وجمع شوارد المنقولات، متضلعاً من علوم الرواية، جامعا لفنون الدراية. أجعله في فتح معاقل المشكلات أميري، وأتخذ كلامه في وحشة الجهل سميري، وأصعد في سلمه إلى غرف من الرواية من فوقها غرف من الدراية تجري من تحتها أنهار من الرعاية، واستغني بتطوافه على أعلام الرواية عن تطوافي وتردادي وبجوْبه لمهامه الدراية عن تجوابي، وإسنادي يكون مانعاً جامعاً، وجامعاً لا مانعاً، يغني بعلم، ويقني ويقرب

بفهمه، ويدني ويؤنس بخلقه ولا يؤيس، ويقوم على ساق الجد ولا يجلس، ويطلق عنان التقرير ولا يحبس، فلما كاد ظلام اليأس أن يكسف نور رجائي، وأخذ الوهم في إقصائي عن نيل المطلوب وأرجائي، هممت أن أميل إلى بعض القرى وأستبدل من فوائد الإقراء موائد القرى، وأقتصر من التعليم على ما لا بُدَّ لي منه ولا غنى لي عنه، وأتخذ لأورادي سبحة، ولا أطالع من أوراقي صفحة، و لم أزل في أمري متحيراً، ولما أنتحله من النحل متخيراً، إلى أن هتف بي هواتف السعادة أن تعلم العلم من أقوى العبادة، فلا تترك الاستفادة والإفادة، وامزج الطلب بالإرادة، واتخذ العزم إمامك، فالذي تطَلَّب أمامك، وأمّ أُم البلد وابذل في ذلك الطريف والتلاد، عساك تصادف هنالك بعض بغيتك، وإلا فأنت على نيتك في أوبتك، فلما بلغت البيت العتيق، وتضمخت بمسكه الفتيق، طفقت أتصفح الوجوه ببصري، وأسِمُ البصائر بميسم فكري، فبينما أنا كذلك متفكر إذ حانت من فكري التفاتة متذكر إلى إمام الحرمين المشرفين، وعلم المغربين والمشرقين، فارس المنابر، ومخدوم الأقلام والمحابر، جامع أشتات العلوم النقلية، ومبرز خفايا لطائف الآراء العقلية، محي رسوم الرواية بعدما عفت آثارها، ومشيد مبانيها الأنيقة بعدما انهدم منارها، وسالك مسالك أئمة السلوك، ومالك ملاك أمره في مجانبة الملوك، وهالك في محبة الله مستهلك فيه عن كل هالك وهلوك، المهاجر في الله وبالله وإلى الله عن أهله وبلاده، السائر بسيرة الإنصاف والتواضع لله في عباده، حامل راية الهداية في موكب الولاية بكف العناية لأهل البداية والنهاية، المقتبس له بالإشارة على سبيل البشارة من صريح العبارة في قول خير من ركب عيسا: لا مهدي إلا عيسى[1]. ولا بدع في إشارة مثاره لا تعفى من الظاهر آثاره لنكتة لا تنكر وقد لا تذكر، شيخنا الفهامة، ومعلمنا العلامة، أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، رأس مقانب[2] العلوم، العبقري، نسب عريق في السيادة، مثمر للمتقين، ولا يزال كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. لا زال وأغصان دوحات علومه يتفيا ظلالها العقبات، وحواس إدراكه المدركات لخفي المدركات سالمة من كل الآفات. فلما ألقي في روعي ما ألقى من أمره، علمت أنه الحق الذي لا معدل عنه إلى غيره، فصرفت عنان الاعتناء لاجتناء جنى ثماره، وحدقت بصر البصيرة في استطلاع شوارق أقماره، فاستخرجته و لم أكن به من

---

[1] المستدرك على الصحيحين 4: 488.
[2] مقانب: جمع مقنب، كف الأسد: لسان العرب: قنب.

قبل، وإن كنت ممن يخبر عنه خبيراً، فوجدتُه قد حصل من العلم والعمل والذوق جانباً كبيراً، فهَزَّني ما خبرت منه، وشاقني وقادني إلى التتلمذ له برقبتي، وساقني ثم قال لي الوهم: جدد النظر ولا تقلد ما يبدو للبصر، فإن الحس قد يغلط، والغث بالسمين قد يختلط، فارجع البصر هل ترى من فطور أو خلل، ثم ارجع البصر كرتين[1] بلا ملل، فرأيتُ أن قوله الحزم والأمر الجزم، فعاودت النظر كرة ثم أخرى فوجدتُه أحق بأكثر مما ظننت فيه وأحرى، وما اختبرته في أمر ما إلا وجدتُه حُرًّا، وهلم جرا، يزيد وجهك حسنا إذا ما زدته نظرا، ثم قلت للوهم المسير بالتوفيق حين حصل التعرف: إليك عني فما تري مني.

[وافر]

أَلمْ تعلَمْ بأني صَيرفيٌّ ... أحُكُّ المدعينَ على مِحَكي[2]

فمنهمْ بَهرجٌ لا خيرَ فيهِ ... ومنهمْ من أجَوزُهُ بِشكِ

وهذا الخالصُ الذهبُ المُصَفى ... بتزكيتي ومثلِيَ من يُزكي

وعندما انكشف الغيب وزال الريب، علمت أني على الخبير سقطت، وأزلت الحجاب عن مطلبي وأمطت، فتوجهت إلى الأخذ عنه بكليتي، وتركت ما كنت أتعلل به قبل من الذي والتي، فاستفدت ورويت، وشربت من حوضه المعين وما رويِت، وصرت في مطلبي المزيد ذا إمعان ومنهومان لا يشبعان، إلى أن رأى نار حرصي على الأخذ بما في يديه لي لا تنطفي، وظمئان عزمي في هواجر التلقي عنه بصغار الكؤوس لا يشتفي، فأطلعني على بحر زخار وعسكر جرار، ومجموع له جموع لو تروْحن لكان منتهى الجموع، جمع فيه الطم والرزم من مروياته ومسموعاته ومرئياته، جمعه لما علم أن هذا الأمر عليه قد تعين، وإن صباح انفراده بهذا العلم لذي عينين قد تبين، وقصده الإشراف من سائر الأطراف للأخذ عنه والتلقي والتسليك على يديه والترقي، فلم يكن له بد من جمع مروياته في سلك تصنيف ليأخذ منه كل طالب حاجته من غير تطفيف، فلما سبحت في بحاره، وأجلت جواد فكري في مضماره، غرقت فيه وكنت قبل أحسن العوم. وقال الفكر النفاذ: هذا شيء ما رأيته قبل اليوم، فلم أزل أتردد ما بين أزهاره وأنهاره

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير): الملك: 4.
[2] الأبيات ليحيى الصنافيري: الدرر الكامنة 6:235. الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 375.

وحياضه وأشجاره، فما أفتن من عجب إلا إلى أعجب، ولا أخرج من طيب إلا إلى أطيب، حتى أهميته بالمطالعة، وعدت عليه ثانياً بالمراجعة، فوجدته بسائر المطالب كفيلاً، وعلمت أني لا أجد له في فنه مثيلاً، فاقتطفت منه على حال استعجال من الأمر واختلاس من يد الدهر أزهارا على تعاقب الفصول لا تذبل، ودرراً لا تُبَاع من الذهب بوزن يذبل، وكيف لا وقد اختص بأشياء لا توجد في غيره، ولا يسير فيها أحد قبله ولا بعده بسيره، وامتاز بطرائق عديدة ولطائف حميدة تمتطى في اقتناء أدناها الركائب والمراكب، ويزاحم محصلها الجوزاء بالمناكب، أحدها ما شنف به المسامع وانقطعت عن وجدانه مجموعا في غيره المطامع من التعريف بكل إمام اتصل به سنده تعريفاً يصيره كالمشاهد بالحس ولو طال أمده. ثانيها ما أتعب الأفكار في الأبكار والآصال[1]، ومن ضبط غالب أسماء الرجال، وقد ضاق على كثير من الفحول فيه المجال. ثالثها: ما طرز به برده المحبر حتى فاق المنظر فيه المخبر من الإتيان بجملة من أول كل مروي تنشر من محاسنه بعض المطوي. رابعها: ما أدرج في خلاله من الحكايات والطرف الآخذة من الحسن بطرف إلى غير ذلك مما بين النظر مكمونه، ويثير الفكر مدفونه.

وحاصل الأمر فيه أن متأمله لا يقف لمحاسنه على غاية، وأنه على تمهر صاحبه في العلوم أكبر آية. وقد سألت مستخرج درره من البحور إلى أعالي الأجياد والنحور بمَ سميت هذا العقد بعد نظم جواهره، وهذا الرياض بعد انفتاق أزهاره؟ فقال لي: إلى الآن ما سميته، ولا حليته بما يستحقه بعدما أمليته، غير أني لا أراه أهلا للتحلية، وإليك النظر في التسمية، فبادرت إلى تنميق هذه الأسطار المتأرِّجة بطيبه المعطار، فكتبتُها على حسب حالي لا على حسب حاله، وسَمّيتُه لئلا يتطرق مُدَّعٍ إذا تطاول الأمد إلى انتحاله: كنز الرواة المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع. وجعلت ما كتبته خطبة يدخل من بابها لهذا الحرز، وطلسما يستعان به على فتح هذا الكنز، فمن أضافها إلى أول الكتاب فلا حرج عليه ولا عتاب، وقد اقتدى بي ونعم ما فعل، وإلا فكل لرجله انتعل، ومن منع فلا يلام في منعه، وربما يحمد في صنعه، لأنه كره إضافة الترب للتبر، والذهب للصفر، وأنفَ من إضافة الشكل إلى غير شكله، فلا حرج عليه أيضاً في فعله، إلا أن إضافة الجميل إلى الأجمل قد يكون في التنويه به أكمل، والسيف الصقيل لا ينقصه رثاثة

---

[1] في ط: الآصال والأبكار.

غمده، والسيد لا يؤاخذ بجناية عبده، فإن أحسن العبد فهو لسيده وما ملك، وإن أساء فالعبد فيما جنى وما استهلك، والله لا يضيع أجر من أحسن عمـــلا[1]، ولا يخيب لراجيه وإن أساء أملا، فنعم المولى ونعم النصير، وهو حسبي وإليه المصير.

قال شيخنا، أطال الله بقاءه، وأدام في أوج الكمال ارتقاءه، فيما قرأت عليه بعضه وأجازنيه وأذن لي فيه وناولنيه، أن أول ما غمرتني إفادته، وشفعت الخطبة المتقدمة بقصيدة دالية أدرجتها[2] فيها أدراج القنو المذلل بين أغصان الدالية، جبرت بانسجام نظمها ما عسى أن يقع في النثر من تفكيك، وبلفظها الفصيح ما لعلـــه وقع من معنى ركيك، وهي هذه:

[طويل]

أتتيكَ تهديني الرشــادَ أبــا مهـــدي ... فمثلي من استهدى ومثلك من يهـــدي

جمعتَ خصالا لم تكن جمعــت لمــن ... سواكَ بهذا العصر من خالص المجـــد

جُبلت عليها ثم أخــرى اكتـــسبتها ... فحزت كلا المجدينِ بالجـــد والجَـــد

وخُضت بحارا مـــن علـــوم كـــثيرة ... فأخرجتَ منها الدر عارٍ من الزبـــدِ

فحليتني من ذاك الـــدر مـــا غـــدا ... على الرأس تاجا أو سوارا على الزنـــدِ

غنيت به بعد العنـــا غايـــة الغـــنى ... فأثرت به وكفى وأوري بـــه زنـــدِ

فحسبي الذي قد قلتُ منك فلا أرى ... مدى الدهر محتاجا لعمرو ولا زيـــدِ

شكرتك بعـــد الله فيمـــا حبـــوتني ... فأنت حر بالمـــدح مـــني وبالحمـــدِ

فقد جاء من لم يشكر الناس لم يكن ... ليشكر رب الناس والـــضد بالـــضد

تقبل بفـــضل منـــك تُحفـــة قـــادم ... ووصلة ظمآن الحشا صادق الـــود

فيا ليت شعري ما الذي لي عنـــدكم ... من الود هل ياتي كبعض الذي عنـــدي

أحبك حبـــا صـــادقا أرتجـــي بـــه ... من الله ظل العرش في جنـــة الخلـــدِ

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا): الكهف 30.

[2] في ط: درجت.

فلا تنسني مـــن دعـــوة في تـــضرع	لكم بفناء البيـــتِ للواحـــد الفـــردِ
فـــإني محـــسوب عليـــك وإنـــني	عيال عليك اليوم في القرب والبعـــدِ
فمُن علـــى فقـــري بعقـــد أخـــوة	تزيد على طول المدى شـــدة العقـــدِ
وودي لو أســـطيع عقـــد عبـــودة	ولكن أخاف العجز من خدمة العبدِ
أقل انتساب منك يكفي ولا غـــنى	عن أكثره للعبد لو كـــان ذا ســـعدِ
فإنـــك جـــار الله جـــار رســـوله	فإن كنت جار الجار قد فزت بالرشدِ
وقصدي بهذا كله أن يكـــون مـــن	دعائك لي سهم ولو كـــان بالوعـــدِ
على أن وعد الحـــر عـــين عطائـــهِ	ووعد ســـواه في الحقيقـــة لا يُجـــد
أبنت لكم قصدي وأخفيـــت جلـــه	فلله مـــا أخفـــي ولله مـــا أبـــدي
وأزكـــى صـــلاة الله ثم ســـلامه	على خير هاد قد تكلـــم في المهـــدِ
يكونان لي في الحشر خـــير وســـيلة	إلى الله ترضيني وشيخي أبا مهـــدي

فلما قرأت عليه النثر المتقدم والقصيدة سر بهما واستبشر وتلقاهما بالقبول، وأطنب في الثناء والحمد ودعا لي بدعوات كثيرة ووعد بأمثالها في مظان الإجابة، فحمدت الله وشكرته إذ وفقني لما استجلبت به مودة الصالحين من عباده، وأغتنم به بركة دعائهم، وعقد لي ما قرت به عيني من أخوته ومودته، وألبسني قباء لـــه كان يشهد به مواسم الخير من جمع وزيارات، وحباني من بره وإكرامه ما لم أكن أهلا لبعضه فضلا عن كله.

وكتبت له أيضاً أُهنّيه بمولود ولد له ونحن إذ ذاك بمكة شرفها الله تعالى هذه الأبيات مؤرخا بها ولادته:

[كامل]

يهنيكَ يـــا مـــولاي بـــدر طـــالعٌ	في أفْق ســـعد قـــد بـــدا إســـعادهُ
أبقـــاه ربي نافعـــا لعلاكـــمُ	بـــأتم مـــا نفـــعَ امـــرءا أولادهُ

وأدامَ نفعــــك للعبــــاد معظمـــا حــــتى تقبـــل كفكـــم أحفـــادهُ

وأقـــر عيــــنكم بـــه في نعمــــة تغــــشاه مقرونــــا بهــــا إرشــــادهُ

تاريخــه الميمـــون وقـــولي صــادقا ولـــد ســـعيد ســـركم مـــيلاده

ذكر بعض ما سمعت عليه من المرويات (رضي الله عنه)[1]

سمعت منه، رضي الله عنه، جميع معجم الطبراني الصغير بلفظه، إلا مجلســاً واحداً بروضة الجنَّة من المسجد النبوي، لما قدم المدينة للزيارة في شهر رجــب. وسمعت من لفظه أيضاً أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً للشيخ تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة ونزيلها بالحرم النبوي أيضا، وسمعت منه أيضا بالحرم النبوي نحو الربع من الشمائل بلفظه، وسمعت من لفظه أيضا بالمسجد الحرام في شهر رمضان جميع الخلعيات إلا مجلساً واحداً، وهي الفوائد المنتقبات الحسان من الصحاح والغرائب، تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي، رضي الله عنه[2]، وهي عشرون جزء، وكان يسمعنا كل يوم جزء.

ولنذكر بعض أحاديث هذا الكتاب تبرّكاً بها وبجامعها لغرابة، هذا الكتاب بقطرنا، ولسماعنا لها من لفظ مسند الزمان في أشرف مكان وزمان، فأقول: وهذا ما انتقيته من الجزء الخامس: أخبرنا الشيخ أبو مهدي عيسى ابن محمد الجعفــري المالكي المغربي بالمسجد الحرام قبالة الركن اليماني في شهر رمضان من سنة ثلاث وسبعين وألف، عن الشيخ أبي الحسن الأجهوري، عن الرملي، عن زكرياء، عن الحافظ ابن حجر، عن أبي الفرج الغزي الشهير بابن الشيخة، عن أبي الحسن علي بن قريش المخزومي، عن الزكي عبد العظيم المنذري، عن أبي محمد عبد الله بــن المجلي الرملي، عن القاضي أبي محمد عبد الله بن رفاعة، عن القاضي أبي الحــسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي، رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو عبد الله شعيب

---

[1] زيادة من ط.

[2] علي بن الحسن بن السين الخلعي الشافعي، كان يبيع الخِلع لملوك مصر فنسب إليها، ولد بمــصر ســنة 405 هــ وبها توفي سنة 492 هــ، خرج أحمد بن الحسين الشيرازي أجزاء من مسموعاته في الحــديث سماها الخلعيات: الأعلام 4:273.

بن عبد الله بن المنهال قراء عليه وأنا أسمع، نا أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمر عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة بنت عمر؛ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كـــان إذا أذن المـــؤذن بالفجر قام فصلى ركعتي الفجر ثم خرج إلى المسجد ويحرم الطعام،قال: وكان لا يؤذن حتى يصبح[1].

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع: نـــا أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة[2].

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال، نا أحمد بن الحسن بـــن إسحاق الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن عطاء عـــن جابر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: عمرة في رمضان تعدل حجة[3].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزار، نا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التغلبي، نا إبراهيم بن عبد الله اللهي[4]، نا محمد بن عبد الله الأنصاري، نا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أنس قال: قال رســـول الله، صلى الله عليه وسلم: من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار[5].

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن الخصيب القاضي، نا أبي عبد الله بن محمد بن الخصيب، أملأنا أحمد بن يحيى بن إسحاق، نا سعيد بن سليمان عن شريك عـــن

---

(1) المعجم الكبير 192:23.
(2) الأحاديث المختارة 233:10.
(3) أنظر: صحيح البخاري 659:2.
(4) في ط: الكحبي.
(5) المعجم الكبير 170:2.

جامع بن أبي راشد، عن وائل عن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ولم يكن يعلمنا هذا كما يعلمنا التشهد؛ اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، أو قال: ذريتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين مثنين بها عليك قائليها، وأتمها علينا بخير.

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو عمر مقدام بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى، نا مروان بن معاوية، نا محمد بن أبي قبيس مولى بني هاشم عن رجل، عن عبد الله بن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرموا المهاجرين الأولين، أكرموا الذين صاحبوني، أكرموا الذين آووا ونصروا، ثم الذين يلونهم خير ممن بعدهم، ثم الذين يلونهم ثم أولئك خير ممن بعدهم، ثم يظهر الكذب، فيشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف ولا يستحلف، ويبذل نفسه بخطب الزور، ولا يدعي إلا بمن هو بحبوحة الجنة، فلا ينتر من جماعتكم التي أفارقكم عليها فإن ملائكة تحرسها، فمن رغب عنها برئت منه ذمة الله ورسوله، وهو من الهالكين، ألا وإياكم أن يسأل أحدكم عن الإيمان ليعرف الرجل نفسه، إلا فمن أشفق منكم من سيئة ورجا حسنة فذلك المؤمن.

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدام بن داوود ابن عيسى بن تليد الرعيني، أملأنا أسد بن موسى نا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه سعد بن إبراهيم عن محمد بن جبير قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم

فكلمته بشيء، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ تعني الموت، قال: إن لم تجدني فآت أبا بكر[1].

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن الخشاب، نا علي بن أحمد بن الحسن البغدادي، نا مقدام بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني، نا أسد بن موسى، نا محمد بن حازم الكوفي عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعبد الرحمن بن أبي بكر: إيتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يفترق عليه. قالت: فقام ليجيء بالكتف فقال: اجلس يأبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكر، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المدني سنة سبع وتسعين ومائتين، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال: جمع علي عليه السلام الناس في الرحبة فقال: أنشد الله امرؤا مسلماً سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول يوم غدير خم ما قال، من كنت مولاه فعلي مولاه[2]، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، إلا قام يشهد. قال: فقام أناس من الناس يشهدون. قال أبو الطفيل: فخرجت، فكان في نفسي شيء، فلقيت زيد بن أرقم فقلت: إني سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول كذا وكذا. قال: وما ينكر من ذلك؟ فقد سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول ذلك كله.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين ابن جعفر العطار: نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكر، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق ابن جامع المديني، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي، نا علي بن هاشم بن البريد عن فطر عن ابن إسحاق وعن سعيد بن وهب وعمرو ذي مر وزيد بن بثيع، قال: قال علي عليه السلام: أشهد الله امرؤا مسلماً سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما قال الإمام. قال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا، ستة من جانب، وسبعة من جانب. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

---

(1) صحيح مسلم 1856:4.

(2) المعجم الكبير 202:5.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين ابن خلف الفراء البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني الحافظ، نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا وهب بن بغية، نا عبد الله بن سفيان الواسطي عن ابن جريج عن عطاء بن أبي الدرداء قال: رآني النبي، صلى الله عليه وسلم، أمشي أمام أبي بكر، رضي الله عنه، فقال: يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيئين أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين الفراء: قال أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، نا إبراهيم بن محمد العمري، نا أحمد بن سهيل الواسطي، قال: نا محمد بن ماهان، نا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض، ولم يرني إلا من بعيد. وبه إلى الدار قطني، نا ابن منيع، نا عبد الله بن عمر الكوفي، نا عبد الله بن حراش، نا العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر نزل جبريل، عليه السلام، على النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد قد استبشر أهل السماء اليوم بإسلام عمر، رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل ابن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني، نا أبو بكر محمد بن أحمد الخندري المقري بعسقلان، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا حاضر: نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن أبي بكر السكسكي عن سفيان وعباد والربذي، عن سهيل ابن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم، صلى الله عليه وسلم، يقول: حَرَّم الله عيناً بَكَت من خشية الله على النار، وحرم الله عينا سهرت في طاعة الله على النار، وحرم الله عينا بكت في الدنيا على الفردوس على النار، ويل لمن استطال على مسلم فانتقضه حقه، ويل له[1]. وبه إلى السكسكي عن الربذي عن محمد بن كعب القرطبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: هنيئا للمتحابين في الله جنات عدن، ومن أحب أن يرافقني فيها فلينصف من نفسه،

(1) الكامل في ضعفاء الرجال 6: 430.

ومن أمسى وأصبح وهمه الدنيا والدرهم تكاثرا، حشر مع اليهود والنصارى والذين قالوا: و(ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)[1].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقري قراءة عليه وأنا أسمع، نا القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجير بن عبد الله بن أسامة الذهلي، إملاء، نا أبي، نا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، نا عثمان بن عمر، نا شعبة عن قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه، وإني محمد رسول الله دخل الجنة[2].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل ابن عمرو بن إسماعيل المقري، نا أبو القاسم الحسين بن عبد الله القرشي، نا أبو القاسم علي بن الحسن بن قُديد الأزدي، نا أبو الربيع بن أخي رشدين، نا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبب قال: قال هشام بن عبد الملك لابن شهاب: أَبَلغكَ أنه من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال له: يا أمير المؤمنين: كان ذلك قبل أن تترل الفرائض، فلما نزلت الفرائض فلم تنفع لا إله إلا الله إلا بأدائها[3].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل ابن عمرو بن إسماعيل المقري، نا أبو محمد الحسن بن أبي الحسن المعدل، نا أبو علي الحسن ابن علي بن الحسن السرقمدي الأعسم، حدثني أشعت بن محمد الكلابي، نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ربى صبيا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله[4].

أخبرنا الخصيب بن عبد الله ابن عمر بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبي إملاء، نا يوسف بن يعقوب، نا أبو الربيع، نا أبو شهاب عن القاسم بن الوليد عن داوود بن أبي غمرة أن عليا، رضي الله عنه، قال: لا يخافن أحدكم

---

(1) الجاثية: 23.

(2) ملء العيبة 5: 383.

(3) ملء العيبة 5: 383.

(4) ورد الحديث في كتاب المغني في الضعفاء بصيغة: " إبراهيم بن البراء، عن سليمان الشاذ كوني عن الدراوردي عن هشام عن أبيه عن عائشة مرفوعا: من ربى صبيا حتى يتشهد وجبت له الجنة اتهم به: المغني في الضعفاء 1: 11.

إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم[1].

أخبرنا الخصيب بن عبد الله، نا أبي، نا جعفر بن محمد الفرياني، نا أحمد بن أبي الحواري، نا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بشر بن عبيد الله الحضرمي، قال: إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد.

أخبرنا الخصيب بن عبيد الله، نا أبي، نا جعفر بن محمد، نا أحمد بن عيسى، نا عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس، أن سعيد بن المسيب كان يقول: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد[2].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد البزاز، أملأنا الشيخ الزاهد أبو العباس أمد بن الحسن بن داناج الأصطخري إملاء سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل وموسى بن هارون، ومحمد بن العباس المؤدب قالوا: نا الحكم بن موسى أبو صالح، قال: نا عبد الله بن أحمد الشيخ الصالح، نا العلاء بن أسلم بن أخي العلاء بن زياد عن رؤبة بن العجاج قال: دخلت على النساب البكري فقال لي: من أنت؟ قلت: ابن العجاج. قال: قصدت والله وعرفت. قال: ثم قال: لعلك كقوم عندي إن سكت عنهم لم يسألوني، وإن حدثتهم لم يعوا عني. قلت: أرجو أن لا أكون كذلك. قال: فما أعداء المروءة؟ قلت خبرني. قال: بنو السوء، إن رأوا صالحا دفنوه، وإن رأوا قبيحا ادعوه. ثم قال: إن للعلم آفة ونكد وهجنة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب، وهجنته نشره عند غير أهله.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد ابن النحاس إملاء، أنا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد العبدي، نا إسحاق بن إبراهيم ابن يونس، ثنا أبو الطيب الضرير أحسبه عن الأصمعي عبد الملك[3]:

[بسيط]

---

[1] ملء العيبة 5: 385.
[2] ملء العيبة 5: 386.
[3] الأبيات لأبي الأسود الدؤلي، الديوان، ص: 16.

العلم زينٌ وتشريف لصاحبه فاطلب هديتَ فنون العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصل بلا أدبٌ حتى يكون على ما زانه حدبًا
كم من حسيب أخي عي وطمطمة فدمٍ لدى القوم معروف إذا انتسبًا
في بيت مكرمة آباؤه نجب كانوا رؤوسا فأمسى بعدهم ذنَبًا
وخامل مغرب الآباء ذو أدب نال المعالي والأموال والنشبا
العلم كنزٌ وذخر لا نفاذ له نِعم القرين إذا ما عاقلا صحبًا
قد يجمعُ المرء مالا ثم يسلبهُ عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامعُ العلم مغبوط به أبدا فلا يُحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامعَ العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به درا ولا ذهبا
فاشددْ يديك به تحمد مغبته[1] به تنال الغنا والدين والحسبا

آخر الجزء الخامس من الفوائد المنتقات من مسموعات الخلعي، رضي الله عنه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبت من نسخة عتيقة عليها سماع جملة من المشايخ منهم: عبد العظيم المنذري وعليها خطه، ومن المتأخرين الحافظ بن حجر وعليها خطه.

ومما انتقيته من الجزء السادس: أخبرنا شيخنا بسنده المتقدم إلى القاضي أبي الحسن الخلعي قال: أنا أبو عبد الله شعيب بن أحمد بن المنهال، أنا أحمد بن الحسن ابن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا عمرو بن خالد، نا بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي عن ابن الطفيل عامر بن واثلة البكري أن معاذ بن جبل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في غزوة تبوك بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى رجعنا.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب ابن عبد الله بن المنهال، أنا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا

---

[1] في ط: معيشته.

عمرو بن خالد، نا بكر بن مضر عن عمر بن الحارث عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك أنه قال: صلينا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الظهر بالمدينة أربع ركعات ثم خرج إلى بعض أسفاره فصلى بنا العصر عند الشجرة ركعتين.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المديني، نا أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي، نا عبد الله بن وهب، حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال: لما جاء جبريل بالبراق إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: فكأنها صدت أذنيها، فقال لها جبريل: قر يا براق، فوالله ما ركبك مثله، فسار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بعجوز نائية على جانب الطريق فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال جبريل: سِر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا بشيء يدعوه منتحى على الطريق: هلم يا محمد. فقال له جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير. قال: ثم لقي خلقا من الخلق فقال: السلام عليك يا أول، والسلام عليك يا آخر، والسلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: اردد السلام يا محمد. فرد السلام، ثم لقيه الثاني فقال له مثل مقالة الأول، ثم لقيه الثالث فقال له مثل مقالة الأولين حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء والخمر واللبن. فتناول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اللبن، فقال له جبريل: أصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت ولغرقت أُمَّتُك، ولو شربت الخمر لغويت ولغويت أمتك، ثم بعث له آدم ومن دونه من الأنبياء، فأمهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تلك الليلة، ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جنب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل، وأما الذين سَلّموا عليك فذلك إبراهيم وموسى وعيسى[1].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن علان الحراني، أملأنا أبو العلاء أحمد بن صالح نا محمد بن حميد الرازي أراه قال: نا زافر بن سليمان، نا محمد بن عتبة عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن جبريل عليه السلام أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من

---

(1) الأحاديث المختارة 6:259.

أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس[1].

أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع، نا إسماعيل ابن يعقوب بن الجراب البغدادي، إملاء، نا عبيد الله بن عبد الواحد بن شريك، نا ابن أبي مريم، نا ابن فروخ، أنا أسامة، أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: هل في الناقة أجر، تأتي وقد لطت حوضي إن سقيتها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل كبد حرى أجر.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا محمد بن زياد السمسار، نا محمد بن حاتم، نا محمد بن الحسن الواثقي ثقة مرضي، عن معونة بن يحيى، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: ذكر النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يفضل الذكر الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفاً[2].

أنا أبو العباس منير بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو عمرو مقدام بن داوود بن عيسى بن تليد، إملاء، نا أسد بن موسى، نا ابن لهيعة، نا أبو قبيل أنه سمع سقا يقول: حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو قبيل لا أحسبه إلا عبد الله بن عمر قال: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففيمَ العمل إذا كان هذا الأمر قد فرغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سددوا أبشروا، وإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار،

---

(1) المستدرك على الصحيحين 360:4.
(2) شعب الإيمان 408:1.

وإن عمل أي عمل. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بيده ،فمدها، فـــرغ ربكم من الخلق (فريق في الجنة وفريق في السعير)[1].

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن الشاهد، نا أبو الحسن علي بـــن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدام بن داوود بن عيسى بـــن تليـــد الرعيني، نا أسد بن موسى، نا الليث بن سعد عن ابن قبيل عن شفي الأصبحي عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: قال: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفي يده كتابان، قال: أتدرون ما هذا؟ قلنا لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. فقال: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منـــهم أحـــد. فقـــال بعضهم: فلم نعمل إذا؟ قال: بلى، سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النـــار وإن عمل أي عمل، وقال: بيده فرغ ربكم من الخلق، (فريق في الجنـــة وفريـــق في السعير)[2].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد إملاء، نا الـــشيخ الزاهد أبو العباس أحمد بن الحسين بن داناج الإصطخري إملاء سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، نا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري قال: قرأنا على عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: سمعـــت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول في الشونيز: عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل شيء إلا السام ؛ يريد الموت[3].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزازي إملاء، أنا أبو الحسن أحمد بن سعيد البغدادي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، نا أبـــو مـــسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ومعاذ بن مثنى العنبري، واللفظ لأبي مسلم، قالا: نا بكار بن محمد السيريني، ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين، عـــن أبي هريـــرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخل على بلال فوجد عنده نوى تمرتين فقال:

---

[1] الشورى: 7.
[2] الشورى: 7.
[3] تحفة الأحودي 162:6.

ما هذا يا بلال؟ قال: تمر أدخره. فقال: ويحك يا بلال، أوَ ما تخاف أن يكون له بخار في النار؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً[1].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزازي، نا أحمد بن سعد البغدادي، نا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي، نا عاصم بن علي، نا قيس عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب، عن مسروق عن عبد الله قال: دخل النبي، صلى الله عليه وسلم، على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: ما هذا؟ قال: أعددته لك ولضيفانك. قال: أما تخشى أن يكون له بخار في جهنم، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع: نا القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي إملاء، نا محمد بن يحيى ابن إسماعيل، نا عاصم بن علي، نا المسعودي عن الفرات بن أبي الفرات، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد قال: أطلع علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ماذا تذكرون؟ أوَ تذكرون ماذا قدم ذلك أواخر الشك مني؟ قلنا: الساعة يا رسول الله. قال: إنّ الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة وثلاث خسوفات؛ خسف بمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وطلوع الشمس من مغربها، وفتح ياجوج وماجوج، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر[2].

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا إبراهيم بن هاشم أملى علينا في مسجده يوم الجمعة في جمادى الأخيرة من سنة خمس وتسعين، نا شيبان بن فروخ، نا جرير بن حازم، نا الحسن، نا عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أشراط الساعة أن تُقَاتِلوا قوماً من عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة[3].

---

(1) المعجم الكبير 341:1.
(2) المعجم الكبير 170:3.
(3) مسند أحمد 31:3.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المدني، نا يونس بن عبد الأعلى، عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن بن أنس، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم[1].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبو بكر محمد بن محمد الخندري المقري بعسقلان، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الدرادء هاشم ابن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن الربذي وعباد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يصيح صائح يوم القيامة: أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا؟ أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ويصيح صائح: أين الذين عادوا مرضى الفقراء والمساكين في الدنيا فيجلسون على منابر من نور فيحدثون الله والناس في الحساب[2].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الخندري، نا عبد الله بن أبان بن شداد أبو الدرداء هاشم بن أحمد الأنصاري، نا عمر بن بكر السكسكي عن الربذي عن محمد بن كعب القرطي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: خيار المؤمنين القانع، وشرارهم الطامع[3].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني، نا أبو بكر محمد بن أحمد الخندري، نا عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن سفيان وعباد عن منصور بن المغيرة عن مجاهد عن كعب، أن الرب تباركت أسماؤه قال: يا موسى إذا رأيت الغنى فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين. يا موسى إنك لن تتقرب إلي بعمل من أعمال البر خير من الرضا بقضائي، ولم تأت بعمل أحبط لحسناتك من البطر، وإياك والتضرع لأبناء الدنيا إذا أعرض عنك،

---

(1) المستدرك على الصحيحين 4:488.
(2) التدوين في أخبار قزوين 2:492.
(3) مسند الشهاب 2:240.

وإياك أن تجود بدينك لدنياهم إذا آمر بأبواب رحمتي فتغلق عنك، أدن الفقراء وقرب مجالسهم منك تكرم علي، وأبعد الأغنياء وبعد مجالسهم منك، لا تركن إلى حب الدنيا فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أشد عليك من الركون إلى حب الدنيا، يا موسى قل للمذنبين النادمين أبشروا، وقل للعاملين المعجبين اخسئوا.

أخبرنا أبو محمد الحسن ابن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي إملاء، نا محمد بن غالب بن حرب التمتام، نا أبو المعتمر عمار بن زربي، نا بشر بن منصور السليمي عن داوود بن أبي هند عن وهب بن مُنَبّه قال: رأيت[1] في بعض الكتب التي أنزل الله من السماء أن الله قال لموسى عليه السلام: أتدري لأي شيءٍ كلمتك؟ قال: لأي شيء؟ قال: لأني اطلعت على قلوب العباد فلم أرَ قلباً أشد حبا لي من قلبك[2].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الشاهد إملاء، نا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد العبدي، نا إسحاق بن إبراهيم بن يونس، نا الربيع بن الفضل قال من قول علي عليه السلام[3]:

[كامل]

أبـني[4] إني واعـظٌ ومـؤدبُ ... فـافهم فـإن[5] العاقـلُ المتـأدبُ
واحفـظْ وصـيةَ والـدٍ مُتحـنن ... يغـذوكَ بـالآداب لا يتغـضبُ[6]
أبـني إن الـرزقَ مكفـولٌ بـه ... فعليـك بالإجمـال فيمـا تطلـبُ
لا تجعلنّ المـال كـسبك مفـردا ... وتقى إلهك فـاجعلن مـا تكـسبُ
فاتل الكتابَ كتاب ربك موقنـا[7] ... فيمن يقـوم بـه هنـاك وينـصبُ
بتـدبر وتفكـر وتقـرب[1] ... إن المقـرب عنـدهُ يتقَـربُ

(1) في ط: قرأت.
(2) سير أعلام النبلاء 15:498.
(3) ديوان الإمام علي، ص: 36 – 37.
(4) في الديوان: أحسين.
(5) في الديوان: فأنت.
(6) في الديوان: كي لا تعطب.
(7) في الديوان: فاقرأ كتاب الله جهدك واتله.

واعبـد إلهـك بالإنابـة مخلـصا[2] وانظر إلى الأمثـال فيمـا تـضربُ
وإذا مررت بآيـة تـصف العـذا[3] ب فقل وعينك بالتخوف تـسكبُ
يا من يعذب من يـشاء بقـدرة[4] لا تجعلـني في الـذين تعـذبُ
إني أبـوءُ بعثـرتي وخطيـئتي هربا وهـل إلا إليـك المهـربُ[5]
بادر هـواك إذا هممـت بـصالح وتجنـب الأمـر الـذي يتجنـبُ
واعمل لنفسك إن أردت حباءهـا إن الزمـان بأهلـه يتقلـب
أبني كم صاحبت مـن ذي غـدرة فإذا صحبت فانظر مـن تـصحب
واجعل صـديقك مـن إذا آخيتـه حفظ الإخاء وكان دونك يـضرب
واحذر ذوي الملـق اللئـام فـإنهم في النائبات عليك فـيمن يحطـب
ولقد نصحتك إن قبلت نـصيحتي والنصح أرخص ما يبـاع ويوهـبُ

انتهى.

ومن الجزء الثاني: أخبرني[6] شيخنا بسنده إلى أبي الحسن الخلعي قال: نـا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز قراءة عليـه وأنـا أسمع، نا أبو سعيد أحمد ابن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري المعـروف بابن الأعرابي قراءة عليه بمكة وأنا أسمع، نا أبو عثمان سعد ابن نصر بن منـصور المخرمي، نا سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي عن عمر ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء ترويه عن أبي الدرداء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير، من حرم حظه من الرفق فقد

---

(1) في الديوان: بتفكر وتخشع وتقرب.
(2) في الديوان: واعبد إلهك ذا المعارج.
(3) في الديوان: وإذ مررت بآية وعظية تصف العذاب فقف ودمعك يسكب.
(4) في الديوان: بعدله.
(5) في الديوان: هربا إليك وليس دونك مهرب.
(6) في ط: أخبرنا.

حرم حظه من الخير. وقال: وإن أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش البذيء[1].

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال، نا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي،نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا يوسف بن عدي، نا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي صالح عن أبي الدرداء قال: سألت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن قول الله عز وجل: (لهم البشرى في الحياة الدنيا)[2] قال: ما سألني عنها أحد قبلك، هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له[3].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد، نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عثمان الإمام إملاء، أنا أبو عبد لله عبد الكريم بن إبراهيم بن حبان، نا الحسين بن الفضل بن أبي حديدة قال: سمعت ضمرة بن ربيعة القرشي الرملي يقول: سمعت يحيى بن أبي عمرو الشيباني يقول: سمعت عمرو ابن عبد الله الحضرمي يقول: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله استقبل لي الشام وولى ظهري إلى اليمن، فقال لي: يا محمد إني جعلت ما وراءك مردا لك، وجعلت ما تجاهك عصمة لك ورزقاً، قال: والذي نفسي بيده لا يزال الله يزيد في الإسلامٍ وأهله، وينقص الشرك وأهله حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى إلا جورا؛ يعني جور السلطان. قيل: يا رسول الله: وما النطفتان؟ فقال: نحو المشرق والمغرب. قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل[4].

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع، أنا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي، نا إسماعيل بن إسحاق القاضي، نا حفص بن عمر الحوضي، نا شعبة عن واصل الأحدب عن مجاهد عن أبي در عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: أعطيت الشفاعة، وهي ثابتة لمن مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئاً.

---

(1) مسند الشهاب 1:274.

(2) يونس: 64.

(3) مصنف ابن أبي شيبة 6:174.

(4) المعجم الكبير 2:58.

أخبرنا أبو العباس أحمد ابن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني سنة تسع وتسعين ومائتين، نا عبدة بن عبد الرحيم، نا وكيع، نا الأعمش عن عدي بن ثابت الأنصاري عن زر بن حبيش عن علي، رضي الله عنه، قال: لعهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأمي أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق[1].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني، نا عبدة بن عبد الرحيم، نا وكيع، نا ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي، عليه السلام، يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء، فقيل لأبي لو سألته عن هذا؟ فسأله. فقال: قلت يا رسول الله إني أرمد العين، فتفل في عيني وقال: اللهم اذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حَرًّا ولا برداً منذ يومئذ، فقال عليه السلام: لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفرار[2]. قال: فتشرف إليها الناس[3]، فبعث إلى علي عليه السلام فأعطاه الراية. قال: وقال ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو قال عبد الرحمن: وكان أبي يسمر مع علي عليه السلام.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي، نا الحسن بن سليمان بن نافع الدارمي، نا عبد الواحد، يعني ابن غياث، نا خلد، أنا حسن بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله (عَزَّ وجل)[4] أوجب الله له الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر، ومن عال ثلاث بنات فأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة. قال قائل: يا رسول الله أو اثنتين. قال: أو اثنتين، حتى لو قال أواحدة لقال واحدة، ومن أذهب الله عز وجل كريمتيه كان ثوابه على الله عز وجل الجنة. فقالوا: يا رسول الله وما كريمتاه؟ قال: عيناه.

---

(1) صحيح مسلم 1:86.

(2) الأحاديث المختارة 2:275.

(3) في ط: فتشوف الناس إليها.

(4) زيادة من ط.

قال: فكان ابن عباس إذا حَدَّث بهذا الحديث قال: هذا والله من كرائم الحـــديث وغرره[1].

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج قال: وأخبرنا أبو القاسم علـــي بن يعقوب بن إبراهيم الهمداني قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، نا محمد بن إسحاق بن الحريص، نا إبراهيم بن هشام، حدثني أبي عن عروة بن رويم عن هشام بـــن عروة عن أبيه عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من كان ذا وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في تبليغ بر أو تيسير عسيراً أعانه الله على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام[2].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد، نا أبو الطيـــب محمد بن جعفر بن در بن غندر، نا إسماعيل ابن علي الشافعي، نا محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي، نا أبو نواس الحسن بن هاني، نا حماد ابن سلمة عن ثابت عـــن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله وسلم: لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمنه الجنة[3].

أخبرنا أبو العباس منير ابن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد، نا أبو الحسن علي ابن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدام بـــن داوود بـــن عيسى بن تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى، نا المبارك بن فضاله، حدثني ثابت البناني، أخبرني عبد الرحمن أن رسول الله، صلى الله وسلم، صلى صلاة الـــصبح فلما قضى صلاته قال: أيكم أصبح اليوم صائما؟ فقال عمر بن الخطاب: أما أنا فبت الليلة وأنا لا أحدث نفسي بالصوم فأصبحتُ مفطراً. فقال أبو بكر: أنا يـــا رسول الله بت الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم، فأصبحت صائماً. قال: فـــأيكم عاد اليوم مريضاً؟ فقال عمر: إنا صلينا الساعة و لم نبرح فكيف عود المرضـــى؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، أخبرونا بالأمس أن أخي عبد الرحمن بن عـــوف وجِع فجعلت طريقي عليه فسألت عنه ثم أتيت المسجد. فقال رسول الله صلى الله وسلم: فأيكم تصدق اليوم بصدقة؟ فقال عمر: يا رسول الله، والله ما برحنا معك منذ صلينا، أو قال: لم نبرح منذ صلينا، فكيف نتصدق؟ فقال أبو بكر: أنـــا يـــا

(1) مسند أبي يعلى 342:4.
(2) أنظر: سير أعلام النبلاء 571:20.
(3) معجم الشيوخ 301:1.

رسول الله لما جئت من عند عبد الرحمن بن عوف دخلت المسجد فإذا سائل يسأل، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر معه كسرة فأخذها فناولتها للسائل. فقال: أنت فأبشر بالجنة، أنت فأبشر بالجنة. فلما سمع عمر بذكر الجنة تنفس فقال: هاه. فنظر إليه رسول الله، صلى الله وسلم، فقال كلمة رضي بها عمر، فقال رسول الله صلى الله وسلم: رحم الله عمر، إن عمر يقول ما سبقت أبا بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه[1].

أخبرنا الخصيب ابن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع قال: نا أبي القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد بن يحيى بن إسحاق، نا عبد الأعلى ابن حماد النرسي، نا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، نا سعيد بن خالد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله وسلم المؤمن واهي راقع، وسعيد من هلك على رقعة[2].

أخبرنا الخصيب ابن عبد الله قال: نا أبي عبد الله بن محمد إملاء، أنا يحيى بن محمد البختري، نا عباد بن الوليد النرسي، نا عبد الواحد بن زياد، نا سليمان الأعمش، نا أبو نجي مولى جعدة بن هبيرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خير فيها، هي في النار. وقالوا: فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بالأثوار؛ يعني الأقط، ولا تُؤذي أحداً. فقال صلى الله عليه وسلم: أبشر فهي في الجنة[3].

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء البغدادي، نا أبو الحسن علي ابن عمرو بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني الحافظ، نا أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، نا سيار بن نصر أبو الحكم، نا عمر بن حفص بصري، نا العلاء بن عمرو، نا الوضاح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأبي بكر، رضي الله عنه: يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق الله آدم

---

[1] مجمع الزوائد 3: 164.
[2] شعب الإيمان 5: 419.
[3] المستدرك على الصحيحين 4: 184.

عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، وإن الله أعطاك يا أبا بكر ثواب من آمن بي منذ بعثني الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة[1].

أنا أبو حازم محمد بن الحسين بن خلف الفراء، نا أبو الحسن علي بن عمر بن مهدي الدار قطني الحافظ، نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وأبو حمد الحضرمي والحسين بن إسماعيل قالوا: نا محمد بن عمرو بن سليمان بن أبي فرعون، نا هشيم، نا مالك بن مغول عن الشعبي وأبو إسحاق عن الشعبي عن الحارث عن علي عليه السلام قال: أقبل أبو بكر وعمر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كل واحد منهما أخذ بيد صاحبه، قال: فلما رآهما قال: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين المرسلين، لا تخبرهما يا علي[2].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني قرأ عليه وأنا أسمع، نا أبو بكر محمد بن أحمد الحيدري المقري، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن ابن المثنى عن ابن الزبير عن أبي الدرداء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يصيح صائح يوم القيامة من كانت له عند الله عدة فليقم، أين أهل العفو فيدخلون الجنة. ثم يصيح صائح: من كانت له عند الله عدة فليقم، أين أهل الصدقة؟ فيقومون فيدخلون الجنة، وهم أول الناس دخولا الجنة.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله، نا أبو بكر محمد بن أحمد الحيدري المقري، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن عباد عن أيوب بن موسى وإسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من مكارم الأخلاق التزاور في الله، وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده، وإن لم يجد إلا جرعة من ماء، وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر لم يزل في مقت الله يومه وليلته، ومن استحقر ما يقرب إليه أخوه لم يزل في مقت الله، عز وجل، يومه وليلته.

---

[1] الرياض النضرة 2:121.
[2] المعجم الأوسط 2:191.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد بن النحوي في المسجد الأقصى قـــراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر ابن محمد بن سهل الخرائطي بقيسارية، نا محمد بن جابر الضرير، نا عبيد الله بن عمر القواريري، نا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار عن الحسن قال: ما من عبد يخطب خطبة إلا سائله الله عنها يوم القيامة ماذا أردت بها. وكان الحسن إذا ذكر هذا الحديث بكى.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي، نا محمد بن يونس القرشي، نا حرم بن حفص نا صـــدقة بـــن عبادة الأسدي عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: (فعرفهم وهم له منكرون)[1] قال: دخل إخوة يوسف، عليه السلام، عليه وبين يديه جام من فـــضة مخـــوص بالذهب، وبيده حصاة يضرب بها الجام ويطن الجام، ثم قال لهم: تدرون ما يقول هذا الجام؟ قالوا: لا أيها الملك. قال: يقول لي إنه كان لكم أخ من أبيكم فعلتم به كذا وفعلتم به كذا. قالوا: معاذا الله. قال ابن عباس: وهو قول الله عز وجل: (فعرفهم وهم له منكرون)[2].

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي إملاء، نا الحسن بن سليمان بن نافع، نا هدبة بن خالد، نا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هارون، عليه السلام، مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال له: ما هذا الذي تصنع؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر. فقال هارون عليه السلام: اللهم أعطه ما سألك على مـــا في نفسه. فلما قفا هارون عليه السلام قال السامري: اللهم إني أسألك أن يخـــور. فكان إذا خار سجدوا، وإذا خار رفعوا رؤوسهم، وإنما خار لدعوة هارون.

أنشدنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي قال: أنشدنا القاضـــي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر قال: أنشدنا أحمد بن محمـــد بـــن المسلم قال: أنشدنا عبد الرحمن بن صالح قال: أنشدنا جلـــيس لأبي بكـــر بـــن عياش[3]:

---

(1) يوسف: 58.
(2) يوسف: 58.
(3) أنظر ترجمته وبيته في: معجم لأدباء 2:751.

[بسيط]

إن الكـريمَ الـذي تبقـى مودتـهُ ويكتم السر إن صـاف وإن صـرما

ليس الكريمُ الذي إن زل صـاحبهُ أفشَى وقال عليه كـل مـا كتمَـا

هـ.

ومن الجزء السابع عشر: أخبرنا شيخنا بسنده إلى القاضي أبي الحسن الخلعي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن النحاس قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو سعيد أحمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري المعروف، عن محمد بن عبد العزيز، عن مولى لأبي بكرة عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذنبان لا يغفران وتعجل لصاحبهما العقوبة؛ البغي وقطيعة الرحم[1].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين الصابوني، نا إبراهيم بن أبي داوود، نا آدم، نا إسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبد الله عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: والذي نفسي بيده ليأرز الإيمان إلى ما بين المسجدين؛ مسجد مكة ومسجد المدينة كما تأرز الحيّة إلى جحرها[2].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين الصابوني، نا إبراهيم ابن أبي داوود، نا آدم، نا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن يزيد السكوني عن أبي بحرية السكوني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية في سبعة أشهر[3].

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا عمرو بن خالد، نا عبد الله بن لهيعة عن

---

[1] مسند أحمد 5:36.
[2] الفتن: 2:491.
[3] مسند أحمد 5:234.

أبي يونس عن أبي هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: نعم القوم الأزد؛ نقية قلوبهم، بارة أيمانهم، طيبة أفواههم[1].

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع عن روح بن الفرج بن عبد الرحمن القطان، نا عمرو بن خالد نا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ناعم أن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل من الأعراب فقال: يا رسول الله إني أحب الجهاد والهجرة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بقي من والديك أحد؟ قال: نعم، كلاهما. قال: فارجع فأحسن صحبتهما.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي الشاهد قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو الفضل العباس بن محمد ابن نصر بن السري الرافقي إملاء، نا سعيد بن يحيى بن يزيد نا مصعب بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعي إلى جنازة سأل عنها، فإن أثنوا عليها خيراً صلى عليها، وإن أثنوا عليها غير ذلك قال لأهلها شأنكم بها، و لم يصل عليها[2].

وأخبرنا أبو العباس أحمد قال: وأنا أحمد بن إبراهيم بن محمد بن جامع نا علي هو ابن عبد العزيز قالا: نا عثمان بن ابن زفرح وأنا أبو العباس حمد بن محمد الإشبيلي قال: وأنا عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق بن الفراء له نا علي بن محمد بن كاس، نا محمد بن خلف التميمي، نا عثمان بن زبرزاد ابن جامع في حديثه الكوفي، نا محمد بن زياد، قال زكريا عن محمد بن زياد الطحان عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عله، فقيل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة إلا على هذا؟ فقال: إنه كان يبغض عثمان بن عفان[3]، هذا لفظ علي.

---

[1] مسند أحمد 2: 351.
[2] صحيح ابن حبان 7: 328.
[3] ساقط من ط.

وقال زكرياء: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل ليصلي عليه فأبى أن يصلي عليه، قالوا: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد غير هذا؟ فقال إنه كان يبغض عثمان بن عفان أبغضه الله.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المديني، نا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، نا ابن وهب، نا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو فكأنما رآني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي[1].

وقال أبو أسامة: قال أبو قتادة: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من رآني فقد رأى الحق[2].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي، نا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم ابن يوسف الميانجي إملاء بمصر، نا محمد بن طاهر بن أبي الدميك، نا سليمان بن الفضل الربذي أبو الفضل، نا عبد الله بن المبارك عن همام عن قتادة عن أنس أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من حسن عبادة المرء حسن ظنّه[3].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية بن زياد المعروف بابن الحداد إملاء، نا زكريا بن يحيى السجري، ويعرف بخياط السنة، نا أبو مروان العثماني محمد بن عثمان، نا أبي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عثمان وهو عند باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يخبرني أن الله تبارك وتعالى زوّجك أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها[4].

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا سمع، نا أبي القاضي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أحمد بن يحيى الحلواني، نا علي بن جعفر الأحمر، نا عبد السلام عن يونس بن عبيد عن زياد بن

---

(1) صحيح مسلم 4:1775.
(2) صحيح مسلم 4:1776
(3) لسان الميزان 3:100.
(4) المعجم الكبير 22:436.

جبير عن سعد قال: قامت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، امرأة جليلة كأنها من نساء مضر، فقالت: يا رسول الله أنأكل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما الذي يحل لنا من أموالهم: قال: الرطب تأكلنه وتهدينه[1].

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي عبيد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب، نا يحيى بن عبد الله بن الضحاك، نا الأوزاعي، وحدثنا الزهري، وحدثنا سعيد بن المسيب، أنه سمع أبا هريرة يقول: قرأ الناس مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في صلاة جَهَر فيها بالقراءة، فلما قضى صلاته، صلى الله عليه وسلم، أقبل عليهم فقال: هل قرأ معي منكم أحد آنفاً؟ فقالوا: نعم يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أقول مالي أنازع القرآن[2]. قال الزهري: فاتعظ المسلمون بذلك فلم يكونوا يقرأون.

أخبرنا القاضي أبو الحسن الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي، نا الحسن بن علوية القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا إسماعيل بن زكرياء عن سفيان ومسعد، عن زياد بن علاقة، عن يزيد بن الحارث، عن أبي موسى، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: فناء أمتي بالطعن والطاعون. قيل: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن، وفي كل شهداء[3].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن عبد الملك بن حميد عن الحكم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال: غزوتُ مع علي عليه السلام اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرته فتنقصته، فرأيت وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير،

---

(1) المستدرك على الصحيحين 4:149.
(2) سنن البيهقي الكبرى 2:157.
(3) مسند أبي حنيفة 1:99.

فقال: يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فإنَّ علياً مولاه[1].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن ابن هلال الراشدي عن قادة عن سعيد ابن المسيب قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً فخلف علياً عليه السلام، فقال: إنك مني بمنزلة هارون من موسى[2] إلا أنه لا يوحى إليك.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف الفراء البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي الدارقطني الحافظ قراءة عليه، نا علي بن عبد الله بن مبشر، نا محمد بن حرب النشاي، نا وكيع عن سفيان ومسعود ح ونا القاضي الحسين بن إسماعيل، نا يعقوب بن إبراهيم وسلم بن جنادة ويوسف بن موسى، قالوا: نا وكيع، نا مشعر بن كدام وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة الوالبي عن أسماء بن الحكم الفزاز عن علي ابن أبي طالب، عليه السلام، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حديثا نفعني الله بما شاء، فإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته.

وحدثني أبو بكر الصديق، وصدق أبو بكر، أنه قال: ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له.

أخبرنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد بن محمد الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني الحافظ، نا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، نا محمد بن يزيد الأدمي، نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أرَ ذنباً أعظم من آية أو سورة أوتيها

---

[1] المعجم الكبير 202.5.
[2] المعجم الكبير 146:1.

رجل ثم نسيها[1]. قال الدار قطني: هكذا قال الأدمي في هذا الإسناد عن الزهري عن أنس وغيره يرويه عن عبد المجيد عن ابن جريج عن المطلب ابن عبد الله بن حنطب عن أنس وهو الصواب.

أخبرنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد الكاتب إملاء، حدثنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ إملاء بمصر، نا أبو بكر أحمد بن نصر يعرف بحبشون البندار، نا إبراهيم بن الأدمي، نا داوود بن مهران، نا عمر بن يزيد عن أبي إسحاق عن عبد خير، نا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا بكر الصديق وهو الصدوق، يقول: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ما من عبد أذنب ذنبا فقام فتوضأ فأحسن الوضوء، وقام فصلى ركعتين ثم استغفر الله تبارك وتعالى إلا كان حقا على الله أن يغفر له[2]. قال: فجعل ينادي بها على المنبر صدق أبو بكر صدق أبو بكر، فإن الله يقول: (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)[3].

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي قراءة عليه وأنا أسمع في المسجد الأقصى، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي بقيسارية في رجب سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، نا علي بن حرب، نا أسباط بن محمد، نا سليمان التميمي عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن منكم قوما يتعبدون حتى يعجب الناس وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[4].

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي، نا أبو بدر عباد بن الوليد الغبري، نا أبو عمر الحوضي، نا عبد الحكم بن ذكوان عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر البرية عند الله منزلة يوم القيامة من أذهب آخرته بدنيا غيره.

---

(1) المعجم الأوسط 6:308.
(2) الرياض النضرة 2:160.
(3) النساء: 110.
(4) الأحاديث المختارة 7:18.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي، نا إبراهيم بن الجنيد، نا سعيد ابن أبي مريم، نا نافع بن يزيد، حدثني عياش بن عباس القتابي عن عيسى بن عبد الرحيم، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما يُبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني شيء سمعته من صاحب هذا القبر. قال: وما هو؟ قال: سمعته يقول: يصير الرياء شركا، وأن من عادى أولياء الله قد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا لم يقربوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة[1].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن أسد المقري قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني الحافظ، إملاء، نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، نا علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، نا الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً، وإنَّ الله عز وجل أمرٍ المومنين بما أمر به المرسلين فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)[2]، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)[3]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب أشعث أغبر، مطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذي بحرام، فأنى يستجاب لذلك[4].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد المالكي قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التغلبي البغدادي قراءة عليه في الجامع، نا خلف بن عمرو العكري، نا المعلى بن مهدي الموصلي، نا عمران بن خلد الخزاعي، نا ثابت عن أنس قال: دخل سلمان على عمر بن الخطاب رضي

---

(1) تهذيب الكمال 22:628.
(2) المومنون: 51.
(3) البقرة: 172.
(4) صحيح مسلم 2:703.

الله عنه وهو متكئ على وسادة فألقاها إلي ثم قال: يا سلمان ما من مسلم يدخل على أخيه فيلقي له وساد إكراماً له إلا غفر الله له[1].

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد المالكي، أنا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التغلبي البغدادي، نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا علي بن المديني، نا حاتم بن إسماعيل عن ابن مجمع عن أبي الزبير عن علقمة بن سفيان الثقفي قال: قال أبو أيوب سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه[2].

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو بكر محمد بن أحمد الخندري المقري بعسقلان، أنا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن إبراهيم بن أبي غبلة قال: سمعت أبا أبي بن أم حرام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالسنا والسنوت[3]، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام. قالوا: يا رسول الله: وما السام؟ قال: الموت[4]. قال أبو الدرداء: لعمري وما السنوت؟ قال في غريب كلام العرب: وفي عكة السمن تعصر فتخرج خطوطاً سوداً مع السمن، وقال الشاعر:

[طويل]

هم السمن بالسنوت لا السمن فيهم　　وهم يمنعون الجار أن يتقردا[5]

قلنا: ما السمن فيهم؟ قال: لا عسر فيهم. قلنا: ما يتقرد؟ قال: لا يذل جارهم. قال الشاعر:

[طويل]

وجاءت به شكلاء ذات أسرة　　يكاد عليها ربة النحر تكمدُ

(1) المعجم الأوسط 2:160.
(2) سنن النسائي 1:90.
(3) السنوت: قيل هو العسل، وقيل الرب، وقيل الكمون: لسان العرب: سنت.
(4) المستدرك على الصحيحين 4:224.
(5) البيت للحصين بن القعقاع: لسان العرب: سنت.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبي القاضي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد بن الحسن بن أحمد الحداء، نا أحمد ابن إبراهيم: حدثني أبو الوليد خلف بن الوليد، نا المحاربي عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال: قراء القرآن ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم قرأوا القرآن حروفه[1] وضيعوا حدوده، واستدروا به الولاة، واستطالوا به على أهل بلادهم، فقد كثر هؤلاء الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله، ورجل قرأ القرآن فبدأ بدواء القرآن فوضعه على داء قلبه، فسهر ليله، وهملت عيناه، تسربلوا بالحزن وارتدوا بالخشوع، ركدوا في محاربهم وحثوا برانسهم فبهم يسقي الله الغيث وينزل النصر ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر[2].

أخبرنا الخصيب ابن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي، نا أحمد بن الحسين بن نصر، نا أحمد بن إبراهيم، حَدَّثَني أبو النضر عن الأشجعي عن سفيان عن عمران المنقري قال: سألتُ الحسن عن مسألة قال: فلما أجاب قلت: إن بعض هؤلاء الفقهاء يقول فيها غير هذا. فقال: وهل رأيت فقيها بعيك، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير لدينه، المداوم على عبادة ربه.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن أحمد بن وهذاذ بن قهران قراءة عليه يوم الاثنين سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، نا محمد بن زكريا الغلاي، نا عبد الله بن الضحاك الهدادي، نا الهيثم بن عدي قال: أوتي الحجاج بن يوسف برجل من الخوارج فأدخل عليه والحجاج يتغذى، فجعل الخارجي ينظر إلى حيطانه وما قد نجد، فجعل يقول: اللهم اهدم، اللهم اهدم، اللهم اهدم. فقال له الحجاج: هيه، كأنك لا تدري ما يراد بك؟ فقال الخارجي: هيه، نزع الله ماضغيك وما عليك لو دعوتني إلى طعامك، أما أن فيك ثلاث خلال مما نعت الله به عادا فقال: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين)[3]، فامتلأ

[1] ساقط من ط.
[2] شعب الإيمان 532:2.
[3] الشعراء: 128 – 130.

الحجاج غيظا فأمر بقتله فأخرجوه الحراس[1] إلى الرحبة ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أتمثل بثلاثة أبيات. فقالوا: تمثل بما شئت، فأنشأ يقول:

[منسرح]

ما رغبةُ النفس في الحياة وإن عاشت طويلا فالموت لاحقها

قد أيقنتْ أنها تعود كما كان براها بالأمس خالقها

ألا تمتْ غبطة تمت هرما للموت كأس والمرء ذائقها

ثم مد عنقه فضربت، فانصرف قاتلوه إلى الحجاج فأخبروه، فقال: لله دره ما كان أصرمه في حياته وعند وفاته.

هـ ما انتقيته من الأجزاء المتقدمة تبركا بلفظها، واغتفرت طولها لفائدتها، وقد اقتديت في الإكثار من النقل من هذا الكتاب بإمام المرتحلين وشيخ المحدثين، الشيخ محمد بن رشيد السبتي في رحلته المسماة بملء العيبة بما جمع من طول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة[2]، وقد أكثر فيها من الفوائد، خصوصا من هذا الكتاب، فربما ينقل الجزء بكماله تكثيرا للفائدة، وقد علمت أن الناظر فيما كتبته لا يسأم من مطالعته هذه الأحاديث وأمثالها من الفوائد، إلا أن يكون ممن قصده الإسمار من الجهلة الأغمار، ولا عبرة بهم عند العلماء المحصلين.

ومما رويته عنه وكتبته من خطه رسالة الإمام أبي القاسم القشيري المسماة بشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة[3]، وهي غريبة ذكر فيها أشياء مما نسبه أهل البدعة للإمام الأشعري. أخبرني بها بسنده إلى ابن حجر عن الزين العراقي عن أبي محمد المقدسي العطار قال: أخبرنا الفخر بن النجاري عن ابن الفاخر قال: أنا زاهد بن طاهر السحامي قال: أنا أبو القاسم القشيري قال: الحمد لله المجمل في بلائه، المجزل في إعطائه، العدل في قضائه، المكرم لأوليائه، المنتقم من أعدائه، الناصر لدينه بإيضاح الحق وتبيينه، المبين للإفك وأهله، المسحق للباطل من أصله، فاضح البدع بلسان العلما، وكاشف الشبه ببيان الحكما، ومهمل الغواة حيناً غير مهملهم، ومجازي كل غدا على مقتضى عملهم. نحمده على ما عرفنا من

[1] في ط: الحرس.
[2] أنظر: ملء العيبة 381 – 393.
[3] وردت هذه الرسالة في: طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الرابع، ص: 400 وما بعدها.

توحيده، ونسترفقه على آداء ما كلفنا من رعاية حدوده، ونستعصمه من الخطإ والخطل والزيغ والزلل في القول والعمل، ونسأله أن يُصَلِّي على سيدنا محمد المصطفى وعلى أهله مصابيح الدجى وأصحابه أيمة الورى. هذه قصة سميناها شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة بخبر عن بثة مكروب ونفثة مغلوب، وشرع ملم مولم، وذكر مهم موهم، وبيان خطب فادح، ونشر سافح للقلوب جارح، رفعها عبد الكريم بن هوازن رحمه الله، إلى العلماء الأعلام لجميع بلاد الإسلام. أما بعد: فإن الله تعالى إذا أراد أمراً قَدَّره، فمن ذا الذي يمسك ما يسره، أو يقدم ما أخَّره، أو يعارض حكمه بغيره، أو يغالبه على أمره بقهره، كلا، بل هو الله الواحد القهار الماجد الجبار. ومما ظهر ببلاد نيسابور من قضايا التقدير في مسلخ سنة خمس وأربعين وأربعمائة من الهجرة ما دعا أهل الدين إلى شق صدر صبرهم وكشف قناع ضيرهم، بل ظلمة الملة الحنيفية تشكو غلبها وتبدي عويلها، وتنصب عوالي رحمة الله تعالى على من يستمع شكواها، وتصغى ملائكة السماء حين يندب شجوها، ذلك مما أحدث من لعن إمام الدين، وسراج ذوي اليقين، محي السنة، وقامع البدعة، وناصر الحق، وناصح الخلق، الزكي الرضي، أبي الحسن الأشعري قدس الله روحه، وسقى بالرحمة ضريحه،وهو الذي دب عن الدين بأوضح حجج، وسلك في قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبين منهج، واستفرغ عمره في النصح عن الحق، وأورث المسلمين بعد وفاته كتب الشهادة بالصدق. وسمعت الأستاذ الشهير أبا علي الحسن بن علي الدقاق، رحمه الله، تعالى يقول: سمعت أبا علي زاهر بن أحمد الفقيه، رحمه الله، يقول: مات أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه ورأسه في حجري، وكان يقول في حال نزعه[1] من داخل حلقه، فأدنيت إليه رأسي وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعي، فإذا هو يقول: لعن الله المعتزلة موهوا وغرقوا، وإنما كان أبو الحسن الأشعري، رحمه الله تعالى، يتكلم في أصول الدين على جهة الرد على أهل الزيغ والبدع تأدياً لما أوجبه الله سبحانه على العلماء من النصح في الدين وكشف تمويه الملحدين والمبتدعين، ولما من الله الكريم على أهل السنة بركاب السلطان المعظم المحكم في رقاب الأمم، الملك الأجل، شاهنشاه ظفرلنك السلجوقي[2]، وقام بإحياء السنة والمناضلة عن الملة، حتى لم يبق

[1] في ط: نزاعه.
[2] شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى،قتل شاهنشاه المذكور في الواقعة التي اجتمع فيها الفرنج سبعمائة ألف ما بين فارس وراجل على ما يقال وتقدموا إلى باب دمشق

من أصناف المبتدعة حزبا إلا سل لاستئصالهم سيفا عضبا، حرجت صدور أهل الزيغ عن محمل هذه النقم، وضاق صدورهم مقاساة هذا الألم، ومنوا بلعن أنفسهم على رؤوس الأشهاد بألسنتهم، و(ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)[1] بانفرادهم الوقوع في مهواة محنتهم، فسولت لهم أنفسهم أمراً وظنوا أنهم بنوع تلبيس وضرب تدليس يجلون لعسرهم يسرا، فسعوا إلى عالي مجالس السلطان المعظم بنوع نميمة، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة، وحكوا عنه مقالات لا يوجد في كتبه منها حرف، بث في المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلى زماننا هذا المنشي منها حكاية ولا وصفا، بل كان ذلك تصوير بتزوير، وبهتان بغير تقرير: وإن مما أدرك الناس من كلام النبوءة: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت[2].

قال: ولما رفعنا إلى المجلس العلي هذه الظلامة، وكشفنا قناع هذه الخطة، وذكرنا أنَّ هذه المقالات لم تسمع من السنة الزمرة، ولم توجد في كتبهم من هذه الجملة، ورجونا منه لهذه الظلامة نقض بنيانها وإبطال بطلانها، كان الجواب بغير ما أردنا وعما رجونا وأملنا، صددنا، إلى أن قال: ثم انصرفنا وما نقموا من الأشعري، إلا أنه قال بإثبات القدر لله خيره وشره، ونفعه وضره، وإثبات صفات الجلال له من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وبقائه وسمعه وبصره وكلامه ووجهه ويده، وأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى موجود تجوز رؤيته، وأن إرادته نافذة في مراداته، وما لا يخفى من مسائل الأصول التي يخالف طريقه طريق المعتزلة والمجسمة فيها، وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غير قول المعتزلة وقول الأشعري، فإذا بطل قول الأشعري فهل تتعين بالصحة لقول المعتزلة، وإذا بطل القولان فهل هذا إلا تصريح بأن الحق مع غير أهل معاشر المسلمين، الغياث الغياث، سعوا في إبطال الدين، ورأوا هدم قواعد المسلمين، وهيهات هيهات (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره)[3] وقد وعد الله الحق نصره وظهوره، والباطل محقه وثبوره،إلا أن كتب الأشعري في الآفاق منشورة، ومذاهبه عند أهل

وعزموا على قصد بلاد المسلمين قاطبة ونصره الله سبحانه وتعالى عليهم، وكان قتله في شهر ربيع الأول سنة 543هـ: وفيات الأعيان 2:452.

[1] التوبة: 118.

[2] صحيح البخاري 3:1284.

[3] التوبة: 32.

السنة من الفريقين معروفة مشهورة، فمن وصفه بالبدعة علم أنه غير محق في دعواه، وجميع أهل السنة خصمه فيما افتراه، فأما ما حكي عنه وعن أصحابه أنهم يقولون أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، ليس بنبي في قبره ولا رسول بعد موته، فبهتان عظيم، وكذب محض لم ينطق به أحد منهم ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ولا وجد في كتب لهم، كيف يصح ذلك وعندهم أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، حي في قبره. قال الله تعالى: (ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله)[1] الآية. فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم، والأنبياء أولى بذلك لتقاصر رتبة الكافة عن درجة النبوءة. قال الله تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء)[2]. فرتبة الشهداء[3] ثالث درجة النبوءة. ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة، فمن ذلك ما رُوي عن ابن مسعود عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض تبلغني عن أمتي السلام[4]، ولا تبلغ[5] السلام إلا لمن كان حياً. ومنها ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبي يموت فيقوم من قبره إلا أربعين صباحاً حتى يرد الله إليه روحه. ومنها عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام[6]، دل الخبر على أن الميت لا يعلم متى يرد الله عليه الروح، ودل على أن النبي، صلى الله عليه وسلم، حي في قبره.

ومنها عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من صَلَّى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي غائباً بلغتني. ومنها عن أنس بن مالك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أتيتُ على موسى ليلة أُسريَ بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. ومنها حديث الإسراء ومروره بالأنبياء في السماوات وخطابهم إياه. ومنها ما رواه ابن قتيبة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، فإذا ثبت أن نبينا، صلى الله عليه وسلم، حي، فالحي لا بد أن يكون إما عالماً أو جاهلاً، ولا يجوز أن

---

[1] آل عمران: 169.
[2] النساء: 69.
[3] في ط: الشهادة.
[4] الترغيب والترهيب 2: 326.
[5] في ط: يبلغ.
[6] مسند أحمد 2: 527.

يكون النبي، صلى الله عليه وسلم، جاهلا لقوله تعالى في صفته: (ما ضل صاحبكم وما غوى)[1]. وقال: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)[2]، فثبت أنه مؤمن، ورتبة النبوءة رتبة الشرف وعلو المترلة، وهو، صلى الله عليه وسلم، يزداد كل يوم شرفاً ورتبة إلى الأبد، فكيف لا يكون عارفاً ولا نبياً، والرسول فعول، بمعنى المرسل، ولا نظير له في اللغة، والأرسال كلام الله، وكلامه قديم، وهو قبل أن خلق كان رسولاً بأرسال الله، وفي حالة النوع، وإلى الأبد رسول لبقاء كلامه وقدم قوله واستحالة البطلان على أرساله الذي هو كلامه. ولقد سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقيل له: متى كنتَ نبياً؟ فقال: وآدم منجدل تحت طينته[3]. وقال، صلى الله عليه وسلم، إني لخاتم النبيّين وإن آدم سجد لي في طينته، فإن قيل: فأين وقعت هذه المسألة و لم يكن لها أصل؟ قيل إن بعض الكرامية ملأ الله قبره نارا، وظني أن الله قد فعل ألزم بعض أصحابنا. وقال: إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون، صلى الله عليه وسلم، في قبره غير مومن لأن الإيمان عندنا المعرفة والتصديق، والموت ينافي ذلك، ومن لا يكون مومنا لا يكون نبياً، وما ألزموه باطل، لأن عندنا أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حي يحس ويعلم وتعرض عليه أعمال أمته، ويبلغه الصلاة والسلام على ما بينا، ثم الأشعري لا يختص بقوله إن الميّت لا يحس ولا يعلم، بل جميع الطوائف ما عدا الكرامية عليه، وجواب الأشعري كجواب جميع الناس، وأما ما قالوه من أنه يقول أن الله لا يجازي المطيعين على إيماهم وطاعتهم ولا يعذب الكفار والعصاة على كفرهم ومعاصيهم، فذلك أيضاً بهتان، وكيف يصح من قول أحد يقر بالقرآن، وأن الله يقول: (جزاء بما كانوا يعلمون) (جزيناهم بما كفروا)[4] (جزاء من ربك عطاء حسابا)[5] (كذلك نجزي من شكر)[6] وغير ذلك من الآيات، وليس الخلاف في ذلك، وإنما الخلاف في أنه هل يجب على الله أن يثيب المطيعين وأن يعذب العاصين حتى تكون الطاعة والمعصية علتين في استحقاق الثواب والعقاب كما يقول المعتزلة، أو لا يجب شيء من ذلك، وهو مذهب أهل السنة، لأن الخلق

---

[1] النجم: 2.
[2] البقرة: 285.
[3] المعجم الكبير 20: 353، وفيه: وآدم بين الروح والجسد.
[4] سبأ: 17.
[5] النبأ: 36.
[6] القمر: 35.

خلقه، والملك ملكه، والحكم حكمه، فله أن يتصرف كيف شاء، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)[1] وقد وعد المؤمنين الجنة، وقوله صدق فلا محالة أنه يجازيهم، فالمطيعون لا محالة لهم جزاء الطاعة، ولكن بفضل الله عليهم لا باستحقاقهم، والعاصون لا محالة لهم ما توعدهم به ولكن بعدله لا باستحقاقهم، فالطاعات والمعاصي علامة للثواب والعقاب بلا علل ولا موجبات. قال الله تعالى حكاية عن أهل الجنة (الذي أحلنا دار المقامة من فضله)[2]. وقال: (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً)[3]. وقال: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً)[4]. وقال: (لو شئنا لآتينا كل نفس هداها)[5]. وقال: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)[6] الآية. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحدكم ينجيه عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه ومغفرة. وهذه المسألة من شعب مسألة القدر، وأهل الحق لا يقولون بوجوب شيء على الله، ويقولون: لله أن يحكم على عباده بما يريد ويخص من شاء بما شاء. ولقد روى ابن الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب فقلت: إنه وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه[7] من قلبي. فقال: لو أن الله، عز وجل، عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا دخلت النار. ثم لقيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم لقيت حذيفة فقال مثل ذلك، ثم لقيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بمثل ذلك. وروينا عن حذيفة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: سيكون قوم يقولون لا قدر، أولئك مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، فإنهم شيعة

---

(1) الأنبياء: 23.
(2) فاطر: 35.
(3) النور: 21.
(4) يونس: 99.
(5) السجدة: 13.
(6) الأنعام: 125.
(7) في ط: يؤتيه.

الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بهم[1]. وأما ما يقولون عن الأشعري أن مذهبه أن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله، فسبحان الله، كيف لا يستحي من يأتي بمثل هذا البهتان الذي يشهد بتكذيبه كل مخالف وموافق، إذ حد ما يجوز أن يسمع عند الأشعري هو الموجود، وكلام الله موجود قديم، وكيف يقول لا يجوز والله يقول: (وكلم الله موسى تكليما)[2]، وإنما هذا على مذهب القدرية القائلين إن كلامه مخلوق في الشجر، فلزمهم أن موسى سمع كلام الشجرة لا كلام الله، وهذا كما يقال في المثل: رمتني بدائها وانسلت. ومن نسب إلى أحد قولاً لم يسمعه منه ولا حكي له عنه ولا وجد في كتبه ولا قاله أحد من أصحابه ولا وجد في كتب المقالات لموافق ولا مخالف علم أنه بهتان وكذب، وقد قال تعالى: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا)[3] الآية. وأما ما قالوا أن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين فهذا أيضا تشنيع فظيع وتلبيس على العوام، فإن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع يقول إن القرآن كلام الله، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف لا على المجاز، قديم غير مخلوق، ولم يزل ولا يزال، ولا يجوز انفصاله عن ذات الله تعالى ولا الحلول في المحال، وكونه مكتوبا على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه ولا انفصاله عن المتكلم، قال الله تعالى: (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل)[4]، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، على الحقيقة في التوراة والإنجيل، وكذلك القرآن، مكتوب على الحقيقة في المصاحف، كما أنّ الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز معبود في مساجدنا، معلوم في قلوبنا، مذكور بألسنتنا، وهذا[5] واضح بحمد الله، ومن زاغ عن هذه الطريقة فهو قدري ومعتزلي يقول بخلق القرآن، وأما ما قالوه أنه يقول بتكفير العوام، فهو أيضا كذب وزور، وهو أيضاً من تلبيسات الكرامية على العوام؛ فإنهم يقولون الإيمان هو الإقرار المجرد، ولا فرق بين المؤمن والكافر إلا بالإقرار، وغير من أهل القبلة يقول: الإيمان هو جميع الطاعات، فرضها ونفلها، والانتهاء عن جميع ما نهى الله عنه تحريماً

---

(1) ورد الحديث في المعجم الأوسط بصيغة: حدثنا أبو مسلم قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، قال: حدثنا زكريا بن منظور قال: حدثنا أبو حازم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم: المعجم الأوسط 65:3.

(2) النساء: 164.

(3) النور: 16.

(4) الأعراف: 157.

(5) في ط: وهو.

وتتريهاً، وهذا مذهب أصحاب الحديث. وعند الأشعري: الإيمان هو التصديق، وهو مذهب أبي حنيفة، رضي الله عنه، والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون الله تعالى في أخباره، وأنهم عارفون بالله مستدلون عليه بآياته، فأما ما تنطوي عليه العقائد ويستكن في القلوب من اليقين والشك فالله تعالى أعلم به. فإن قيل: فقد قال الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يومن)[1] الآية. فمن أقر حكم بإيمانه فعلم أن الإقرار هو الإيمان، قيل: هذا لا يختص الأشعري بجوابه، بل هو وغيره فيه أسوة. فالجواب أنا نحكم في الظاهر بإيمانه، والله أعلم بحقيقة حاله، وهذا كقوله: (ولا تقربوهن حتى يطهرن)[2] فإذا قالت طهرت جاز قربها، وإن كانت في نفس الأمر على خلاف ذلك، فإن قالوا: الأشعري يقول إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام فهم أصحاب تقليد فليسوا بمومنين. قيل: هذا أيضاً تلبيس، فإن الأشعري لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا، بل هو كجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون: يجب على المُكَلّف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين من الجوهر والعرض، وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدّي إلى معرفة الله عز وجل، وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ على سبيل التقريب والتسهيل والسلف الصالح وإن لم يستعملوها لم يكن في معارفهم خلل، والمستعملون ليس بينهم وبين السلف مباينة في الحق، ولا ما استعملوه بدعة في الدين، وهذا كاصطلاح الفقهاء على ألفاظ مثل: العِلّة والمعلول والقياس وغيره، واصطلاح النحاة وأهل التصريف وغيرهم. فإن قيل: إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ومخالفة لطريقة المسلمين. قيل: لا يختص الأشعري بهذا دون غيره من متكلمي أهل القبلة، ثم الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تفصيل لهم، وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر وأنهم رضوا بالتقليد، حاشى أن يكون ذلك وصفهم. وبالجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين: جاهل ركن إلى التقليد وشق عليه سلوك طريق[3] أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر، والناس أعداء ما جهلوا، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمي عليهم فضائح عقيدته. هـ باختصار.

---

(1) البقرة: 221.
(2) البقرة: 222.
(3) ساقط من ط.

ومنها قصيدة: ما شأن أم المؤمنين وشأني، لأبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، سمعتها عليه بكمالها، وأخبرني بها بسنده المعروف إلى شيخ الإسلام زكرياء عن ابن الفرات عن العز بن جماعة، أنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحرم المكي السمسار سماعاً، أنا الحافظ الرشيد أبو الحسن يحيى بن علي القرشي عرف القطان عن ناظمها إجازة، (قال رضي الله عنه)[1]:

[كامل]

مـــا شــأنُ أم المــؤمنين وشــأني	هُدِيَ المُحب لها وضَـلَّ الـشاني[2]
إني أقــولُ مُبينــا عــن فــضلهَا	ومترجمًــا عــن قولهــا بلــسَاني
يا مبغضي لا تــأتِ قــبرَ مُحمــد	فالبيــتُ بــيتي والمكــانُ مكــاني
إني خصصت علــى نــسَاء محمــد	بــصفات بــر تحتــهن معــاني
وســبقتهن إلى الفــضائل كلــها	فالــسبقُ ســبقي والعنــان عنــاني
مرض النبي ومــاتَ بــين تــرائبي	فــاليوم يــومي والزمــان زمــاني
زوجــي رســول الله لم أرَ غــيره	الله زوجـــني بـــهِ وحبَـــاني
وأتــاه جبريــلُ الأمــين بــصورتي	وأحـــبني المختـــارُ حـــين رآني
أنا بكره العــذراء عنــدي سِــره	وضـــجيعه في مـــنزلي قمـــرانِ
وتكلـــم الله العظـــيم بحجـــتي	وبـــراءتي في مُحكـــم القـــرآنِ
والله خفَـــرني وعَظـــم حـــرمتي	وعلـــى لـــسان نبيـــه بَـــرَّأني
والله في القرآن قــد لعــنَ الــذي	بعــد الــبراءة بــالقبيح رَمــاني
والله وبَّـــخ مـــن أرادَ تنقـــصي	إفكــا، وســبح نفــسه في شــاني
إني لمحـــــصنة الإزار بريئــــة	ودليل حــسن طهــارتي إحــصاني

[1] زيادة من ط.
[2] قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب الصديقة عائشة رضي الله عنها، ص: 63.

والله أحـــصنني بخـــاتم رســـله ... وأذل أهـــلَ الإفـــك والبـــهتان
وسمعـــتُ وحـــي الله عنـــد محمـــد ... مـــن جبريـــل ونـــوره يغـــشاني
يوحِي إليـــه وكنـــت تحـــت ثيابـــه ... فجثـــا علـــي بثوبـــه وخبـــاني
من ذا يفـــاخرُني وينكـــر صـــحبتي ... ومحمـــــد في حجـــره ربـــاني
وأخذتُ عن أبـــوي ديـــن محمـــد ... وهما علـــى الإســـلامِ مـــصطحبان
وأبي أقـــامَ الـــدين بعـــد محمـــد ... فالنصلُ نـــصلي والـــسنان سـناني
والفخـــرُ فخـــري والخلافـــة في أبي ... حـــسبي بهـــذا مفخـــرا وكفـــاني
وأنا ابنة الـــصديق صـــاحب أحمـــد ... وحبيبـــهِ في الـــسر والإعـــلان
نـــصر الـــنبي بمالـــه وفعالـــه ... وخروجـــه معـــه مـــن الأوطـــانِ
وجنى العـــنى حـــتى تخلـــل بالعبـــا ... زهـــدا وأذعـــن أيمـــا إذعـــانِ
وتخللـــت معـــه ملائكـــة الـــسما ... وأتتـــه بـــشرى الله بالرضـــوانِ
وهو الذي لم يخـــش لومـــةَ لائـــم ... في قتـــل أهـــلِ البغـــي والعـــدوان
قتل الأُلى منعوا الزكـــاة بكفـــرهم ... وأذل أهـــل الكفـــرِ والطغيـــان
سبق الـــصحابة والقرابـــة للهـــدى ... هو شيخهم في الفضل والإحـــسان
والله مـــا اســـتبقوا النيـــل فـــضيلة ... مثل اســـتباقِ الخيـــل يـــوم رهـــان
إلا وطـــــار أبي إلى عليائهـــــا ... فمكانـــه منـــها أجـــل مكـــانِ
ويـــل لعبـــد خـــانَ آل مُحمـــد ... بعــــداوة الأزواج والأختـــــانِ
طُـــوبى لمـــن والى جماعـــة صـــحبه ... ويكـــون مـــن أحبابـــه الحـــسنانِ
بـــين الـــصحابة والقرابـــة ألفـــة ... لا تـــستحيل بنزغَـــة الـــشيطانِ
هم كالأصَابع في اليـــدين تواصـــلا ... هل يـــستوي كـــفٌ بغـــير بنـــان

حصرت صدور الكافرين بوالـدي وقلـوبهم مُلئـت مـن الأضـغان

حبـا لبتـول وبعلـها لم يختلـف مـن ملـة الإسـلام فيـه اثنـانِ

نسجت مـودتهم سـدا في لحمـة فبناؤهـا مـن أثبـت البنيـانِ

الله ألـف بـين ود قلـوبهم ليغـيض كـل مُنـافق طعـانِ

رحمـاء بينـهم صـفت أخلاقهـم وخلـت قلـوبهم مـن الـشنآنِ

فـدخولهم بـين الأحبـة كلفـة وسـبابهم سَـبب إلى الحرمـانِ

جمـع الإلـهُ المـسلمين علـى أبي واسـتبدلوا مـن خـوفهم بأمـانِ

وإذا أراد الله نُـصرةَ عبـده من ذا يطيـق لـهُ علـى خـذلان

من حبني فليجتنـب مـن سـبني إن كـان صـان محـبتي ورعـاني

وإذا محـبي قـد ألـظ بمبغـضي فكلاهمـا في الـبُغض مـستويانِ

إني لطيبـة خُلقـت لطيـب ونـساء أحمـد أطيـب النـسوان

إني لأم المـؤمنين فمـن أبَـى حُـبي فـسوف يبـوءُ بالخُـسران

الله حبـبني لقلـبِ نبيـه وإلى الـصراط المـستقيم هـداني

والله يكـرم مـن أراد كـرامتي ويهـين ربي مـن أراد هـواني

والله أسـأله زيـادة فـضله وحمدتـه شـكرا لمـا أولاني

يا من يلوذُ بأهـلِ بيـتِ مُحمـد يرجـو بـذلك رحمـة الـرحمنِ

صِلِ أمهـات المـؤمنين ولا تَحـد عَنـا فتـسلب حلـى الإيمـانِ

إني لـصادقة المقـال كريمـة إني والـذي ذلـت لـه الـثقلان

خُذها إليـك فإنمـا هـي روضـةٌ محفوفـة بـالروح[1] والريحـان

---

[1] في الأصل: الراح، والصواب من نص القصيدة المطبوع.

صلى الإلـه علـى الـنبي وآلـهِ فـيهم نـشتم أزاهـرَ البُـستان

انتهت القصيدة في مدح أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وإنما أثبتها بكمالها لحسنها وغرابتها.

وسمعت منه أيضاً بلفظي الأحاديث الدالة على الخصال المكفرة لما تقدم أو تأخر من الذنوب، جمع الإمام ابن حجر في جزئه المُسَمَّى بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة، رويتها عنه محذوفة الأسانيد بعد أن كتبتها من خطه، واتفق لي فيها اتفاق عجيب وأمر غريب، اغتبطت به اغتباطا كثيرا وحمدتُ الله عليها حمداً أثيراً، وذلك أني قرأتها بلفظها على شيخنا أبي مهدي وكلانا محرم بالحج والعمرة يوم عرفة بعرفة، وكنت تحينت ذلك الوقت وذلك المكان رجاء أن يغفر الله لي وله المتقدم والمتأخر من ذنوبنا فإنه لا يتعاظمه شيء سيما في الوقت الذي تنصب فيه رحمته انصبابا، وتنكب الخلائق على موائد أفضاله انكباباً، وتتسع الأطماع، وتمتلئ بالتضرع إلى الله الأسماع، والله يحقق رجاءنا فيه، فإنه الكريم الذي لا يخيب راجيه، ولنذكر الأحاديث بتمامها تبركا، محذوفة الأسانيد كما رويتها، فأقول: أخبرني شيخنا بسنده إلى الحافظ ابن حجر بسنده إلى حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان قال: دعا عثمان بماء فأكثر ترداد الماء على وجهه ويديه، فقلت: حسبك قد أسبغت الوضوء والليلة شديدة البرد، فقال: صب فإني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ومسنده.

وأخرج أبو عوانة في مستخرجه على مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع المؤذن فقال أشهد أن لا إله إلا الله، رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وفي رواية رسولاً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال له رجل: يا سعد: ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال: هكذا سمعته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم[1]. وأخرج أبو داوود أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس، يا عماه، ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته: أن

[1] مسند أبي عوانة 1: 284.

تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول كل ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون مرة في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل[1]، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة، هـ.

وأخرج ابن وهب في مصنفه عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[2].

وأخرج آدم بن أبي ياسر في كتاب الثواب له عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى سبحة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً كتب الله له بها مائتي حسنة، ومحا عنه مائتي سيئة، ورفع له مائة درجة، أو مائتي درجة، وغفر له ذنوبه كلها ما تقَدَّم وتأخَّر إلا القصاص[3].

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من قرأ إذا سلم يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، سبعاً سبعاً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطي من الأجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الآخر، وفي إسناده ضعف شديد جداً[4].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[5].

---

(1) المعجم الكبير 11:243.
(2) صحيح مسلم 1:307.
(3) تنوير الحوالك 1:85.
(4) فيض القدير 6:204.
(5) مسند أحمد 2:232.

وأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتها فإن الله تبارك وتعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر؛ تسع أو سبع، أو خامسة أو ثالثة، أو إحدى وعشرين[1].

وأخرج أبو سعيد النقاش في أماليه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صام يوم عرفة غُفِر له ما تقَدّم من ذنبه وما تأخر، من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة. أخرجه أبو داوود عن أم سلمة. من جاء حاجًّا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[2]، وشفع فيمن دعا له. أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود.

إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله، فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله، وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[3]، أخرجه أبو يعلى وأحمد بن منيع عن جابر. من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة من الآمنين. ذكره القاضي في الشفا[4]. من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أخرجه الثعلبي وابن مردوية في تفسيرهما. من علم ابناً له القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهرا فكلما قرأ آية رفع الله بها الأب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن[5]. أخرجه الطبراني عن أنس.وأخرج أبو محمد عبد الله بن محمد في فوائد الأصبهانيين عن أم هاني، وكانت تكثر الصيام والصلاة والصدقة، فدخل عليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فشكت إليه ضعفها، فقال: سأخبرك بما هو عوض من ذلك؛ تسبحين الله مائة فتلك مثل مائة رقبة تعتقينها متقبلة، وتحمدين الله مائة مرة، فتلك مثل مائة بدنة مجللة تهدينها متقبلة، وتكبرين الله مائة مرة، وهناك يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر[6].

---

(1) مسند أحمد 5: 324.
(2) فيض القدير 6: 204.
(3) الفردوس بمأثور الخطاب 1: 319.
(4) الشفا 2: 310.
(5) مجمع الزوائد 7: 16.
(6) شعب الإيمان 1: 432.

من عدد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وإن الأمواج لتحث الذنوب حَتّاً. ذكره أبو الحسن الربيعي في فضائل الشام.

وروي أيضاً عن أنس عنه عليه السلام: مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه، وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نوراً، ومن أفاض عليه منها كان طاهرا إلى يوم القيامة، هذا حديث منكر جداً.

من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[1]، أخرجه ابن مندة في أماليه.

عن ابن عمر: من سعى لأخيه المؤمن في حاجة قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان من النار وبراءة من النفاق، أخرجه ابن الناصح في فوائده عن ابن عباس ما من عبدين متحابين في الله، وفي رواية: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، ويصليان على النبي، صلى الله عليه وسلم، إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر[2]. أخرجه أبو يعلى عن أنس. من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني من الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوبا جديدا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[3]، أخرجه أبو داوود عن أنس.

وأخرج الحكيم الترمذي عن عثمان قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: قال الله عز وجل: إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث: من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً، فإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة، فإذا بلغ الثمانين سنة كتبت حسناته وألغيت سيئاته، فإذا بلغ تسعين سنة قال الملائكة:

---

(1) كشف الخفاء 2:353.
(2) مسند أبي يعلى 5:334.
(3) سنن الدرامي 2:378.

أسير الله في أرضه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفع في أهلـه[1]. قـال الحكيم: هذا من جيد الحديث هـ.

وأخبرني شيخنا أبو مهدي بحديث وضع اليد على الرأس عند خاتمة الحشر وكتبته من خطه قال: أخبرني به شيخنا أبو محمد عبد الكريم البكور القسمطيني، عن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي، عن الشيخ طاهر بن زياد عن الشيخ زروق، عن أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي، عن أبي القاسم البرزلي قـال: أخبرنـا شيخنا أبو الحسن البطرني عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم اللبيـدي، عـن الأستاذ أبي العباس أحمد بن علي البلاطي، عن المحدث أبي عمرو عثمان بن حسن بن علي بن دحية الكلبي، عن الحافظ أبي القاسم بن بشكوال، عن القاضي الشهيد أبي علي الصدفي عن أبي منصور عبد المحسن بن محمد بن علي المالكي، عـن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، عن أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأنـصاري الحافظ، عن أبي الطيب محمد بن أحمد المقري، عن إدريس بن عبد الكريم الحداد قال: قرأت على خلف فلما بلغت هذه الآية: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل)[2] قال لي: ضع يدك على رأسك فإني قرأت على حمزة فلما بلغت هذه الآية قال لي: ضع يدك على رأسك، فإني قرأت على الأعمش فلما بلغت هذه الآية قال لي: ضع يدك على رأسك، فإني قرأت على علقمة فلما بلغت هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك، فإنا قرأنا على عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، فلما انتـهينا إلى خاتمة سورة الحشر قال: ضعا أيديكما على رؤوسكما فإني قرأت على النبي، صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك فإن جبريل عليه السلام لما نزل بها إلي قال لي ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كـل داء إلا السام؛ والسام الموت[3].

---

(1) ورد الحدث في مسند أحمد برواية: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أنس بن عياض حدثني يوسـف بـن أبي بردة الأنصاري، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أنس بن مالك أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال: ثم ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من الـبلاء؛ الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة لين الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابـة إليـه بما يحب، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجـاوز عـن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيتـه: مسند أحمد 3:217.

(2) الحشر: 21.

(3) لسان الميزان 5:52.

ورويت أيضاً عنه هذه القصيدة وكتبتها من خطه، وهي للشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي ذكر فيها المسائل التي اختلف فيها الأشعرية والماتريدية، وهي ثلاث عشرة؛ سبعة منها الأولى الخلاف فيها بينهما لفظي، والستة الباقية الخلاف فيها معنوي، لكنه لا يؤدّي إلى تبديع وتضليل، وهذه القصيدة غاية في الحسن والسلاسة والإفادة، وقد رأيتها في محل آخر أطول من هذا إلا أن هذا القدر منها هو الذي يتعلق بما ذكرنا من الخلاف بين الإمامين. أخبرني بها إجازة و لم يكن سماعا بسنده إلى زكريا عن ابن الفرات عن المؤلف تاج الدين السبكي قال[1]:

[كامل]

يا صاحِ إن عقيدةُ النعمانِ — والأشعرى حقيقةَ الإيقانِ

وكلاهُما واللهِ صاحبُ سُنة — بهدى نبي الله مُقتديانِ

لا ذا يُبدع ذا ولا هذا وإن — تحسبْ سواه وهمت فى الحسبانِ

من قالَ إن أبا حنيفةَ مُبدع — رأيا فذلك[2] قائلُ الهذيانِ

أو ظَن أن الأشعَرى مُبدّع — فلقد أساءَ وباءَ بالخسرانِ

كُل إمام مُقتد ذو سُنة — كالسيفِ مسلولا على الشيطانِ

والخلفُ بينهما قليلٌ أمرهُ — سهلٌ بلا بدع ولا كُفرانِ

فيما يَقِل من المسائل عَدةُ — ويهونُ عند تطاعنِ الأقرانِ

ولقد يَؤولُ خلافها إما إلى — لفظٍ كالاستثناءِ في الإيمانِ

وكمنعهِ أن السعيدَ يَضِل — أو يشقَى ونعمة كافر خوانِ

وكذا الرسالة بعد موتٍ إن تكن — صحتْ وإلا أجمعَ الشيخانِ

وقد ادعى ابن هوازنَ أستاذنا — فيها افتراءً من عدو شانِ

وهو الخبيرُ الثبت نقلا والإرا — دةُ ليس يلزمُها رضا المنان

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى 3:383.

[2] في ط: ذاك

فـــالكفر لا يرضـــى بـــه لعبـــادهِ ويريـــــدهُ أمـــــرانِ مفترقـــــانِ
وأبـــــو حنيفـــــة قائـــــلٌ إن الإرا دةَ والرضـــــا أمـــــرانِ مُتحـــــدانِ
وعليهِ أكثرُنـــا ولكـــن لا يـــصـــ ـــح. وقيل مكذوبٌ على النعمـــانِ
وكذاكَ إيمانُ المقلـــد وهـــو مـــ ـــما أنكر ابـــن هـــوازن الربـــاني
ولـــو أنـــه ممـــا يـــصح فخلفهـــم فيـــهِ للفـــظ عـــادَ دون معـــانِ
وكذاكَ كـــسبُ الأشـــعَري وإنـــه صـــعب ولكـــن قـــامَ بالبرهـــانِ
من لم يقلْ بالكسبِ مالَ إلى اعتـــزا ل أو مقـــالِ الجـــبر ذى الطغيـــانِ
أو للمعانِي وهْـــو ســـت مـــسائِل هائـــت مـــداركها بـــدون هـــوانِ
لله تعـــذيبُ المطيـــع ولـــو جَـــرى ما كـــانَ مـــن ظلـــم ولا عـــدوانِ
متـــصرفٌ في ملكـــهِ فلـــهُ الـــذي يختـــارُ لكـــن جـــادَ بالإحـــسانِ
فنفَى العقابَ وقال ســـوف أثيبـــهم فلـــهُ بـــذاكَ علـــيهم فـــضلانِ
هـــذا مقـــالُ الأشـــعري إمامنـــا وســـواهُ مـــأثورٌ عـــن النعمـــانِ
ووجوبُ معرفةِ الإلـــهِ الأشـــعرى يقـــولُ ذاكَ بـــشرعةِ الـــديانِ
والعقلُ لـــيس بحـــاكم لكـــن لـــه الإدراكُ لا حكـــم علـــى الحيـــوانِ
وقضوا بـــأن العقـــلَ يُوجبـــها وفى كتب الفـــروعِ لـــصحبنا وجهـــانِ
وبـــأن أوصـــافَ الفعـــال قديمـــة ليـــست بحادثـــةٍ علـــى الحـــدثانِ
ورأيتُ فيهم مـــن يقـــول بـــأن ذا كـــذبٌ عيـــه جـــاء مـــن فَتـــانِ
وبأن مكتـــوبَ المـــصاحفِ مـــنزل عـــين الكـــلام المـــنزلِ القـــرآنِ
والبعضُ أنكرَ ذا فإن يـــصدق فقـــد ذهبـــت مـــن التعـــداد مـــسألتانِ
هـــذي ومـــسألة الإرادة قبلـــها أمـــرانِ فيمـــا قيـــلَ موضـــوعانِ

وكما انتفى هــذان عنــهم هكــذا | عنـــا انتفـــى ممـــا يقـــالُ اثنـــانِ
قالوا ولـــيسَ بجـــائزٍ تكليـــفُ مـــا | لا يـــستطيعُ فـــتى مـــن الفتيـــانِ
وعليه من أصحابنا شـيخُ العـراق | وحجـــةُ الإســـلامِ ذو الإتقـــانِ
ورآه مجتهــــدُ الزمــــانِ مُحمــــد | بن دقيقِ عيد[1] واضـح الـسبلانِ
قالوا وتمتنعُ الـصغائر مــن نبـــ | ـــي الإلـــه وعنـــدنا قـــولانِ
والمنعُ مروي عن الأســتاذِ والـــ | ـــقاضي عياض وهو ذو رجحـــانِ
وبه أقول وكــان رأي أبي كــذا[2] | رفعـــا[3] لرتبتـــهم عـــن النقـــصانِ
والأشـــعري إمامنـــا لكننـــا | في ذا نخالفـــةُ بكـــل لـــسانِ
ونقـــولُ نحـــن علـــى طريقتـــه ولا | كـــنْ صـــحبه في ذاك طائفتـــانِ
بل قــال بعــضُ الأشــعرية إنهــم | بــرآءُ معـــصومون مـــن نـــسيانِ
وأبو حنيفـــةَ هكـــذا مـــع شـــيخنا | لا شـــيء بينـــهما مـــع النكـــرانِ
متناصـــرانِ وذا اخـــتلافُ عـــين | عـــار عـــن التبـــديع والخـــذلانِ

وسمعت من لفظه أيضا نحو النصف من كتاب الشفا للقاضي عياض، رواية ودراية، يقرره أحسن تقرير، ويبين مقاصده، ويطالع عليه شرح شيخنا شهاب الدين الخفاجي، وكنت أمسكه عليه في حال التقرير وأسرد له المحتاج منه، ويحضر مجلسه فيه غالب النجباء من متفقهي أهل مكة، وكان يوم ختمه يوما مشهودا حضره أكابر الفقهاء، وأديرت فيه كؤوس الأشربة الحلوة، وأطلقت فيه أنواع البخور والروائح الطيبة، وهذه هي أبهى تكرمة عند أهل ذلك القطر.

وسمعت من لفظه أيضا كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا بكماله، وأجازني به وبكل ما اشتمل عليه من أدعية وأذكار، وبالأربعين الإدريسية، خصوصاً إذ هي

---

[1] في ط: محمد القوصي.
[2] ساقط من الطبقات.
[3] في ط: دفعا.

من جملة الأذكار الواردة فيه. وسمعت عليه جملة صالحة أيضا من صحيح مسلم بلفظه رواية ودراية، كان يكتب نسخة من صحيح مسلم بخطه فيصحح منها كل يوم حصة بحضرة الفقهاء وإحضار غالب المحتاج إليه من شروح الكتاب.

وسمعت من لفظه أيضاً جملة صالحة من سنن أبي داوود ومثلها من جامع أبي عيسى الترميذي، ومثلها من سنن ابن ماجة. وسمعت من لفظه أيضا جميع السنن للنسائي المسمى بالمجتبى، كل ذلك بالمسجد الحرام قبالة الركن اليماني بإزاء مترله الذي كان يسكن فيه، رضي الله عنه.

وأنشدت له، رضي الله عنه، يوم ختم كتاب المجتبى هذه الأبيات:

[طويل]

ختمنا كتابَ المُجتبى وأتمه ... وأسْمعناهُ شيخنا مسندَ الدنيا

مُحدث هذا العصرِ شيخ شيوخه ... ومن نالَ بالتحديثِ مترلةً عُليا

قُبالة بيتِ الله في المسجدِ الذي ... جميعُ عبادِ الله يأتونهُ سعْيا

شكرناكَ فيما قد حبوتَ فزد لنا ... إلى أن نرَى ما بين أظفارنا رَيا

أجزنا وكل الحاضرينَ جميع ما ... رويتم بلا شرطٍ يخص ولا ثنيَا

وسمعت عليه بلفظ غري جملة صالحة من مناسك الحطاب الكبيرة تفقهـا بالمسجد الحرام، وكان يحضر مجلسه فيها أرباب المذاهب غير المالكية، وكان يقرأ المناسك في أشهر الحج في غالب السنين، وسمعته يقول: إن عشنا إلى قابل، أو كلاما هذا معناه، قرأنا إن شاء الله منسك ابن جماعة الكبير، ويحضر جماعة أصحابنا من أهل المذاهب ليكون أتم نفعا، وهذا المنسك التزم فيه صاحبه ذكر كلام أرباب المذاهب الأربعة في المناسك، فأراد، رضي الله عنه، تحقيق مناسك الحج على المذاهب الأربعة كلها بحضور أصحاب المذاهب المحققين لفروع مذاهبهم لأنه اليوم ملجأ الناس في الاستفتاء في المناسك.

وسمعت منه خطبة القاموس في اللغة، وأجازني باقيه، وسمعت منه خطبة كتاب نفح الطيب في أخبار الأندلس وأبي عبد الله بن الخطيب للحافظ المتفَنِّن سيدي أحمد المقري، وهو كتاب حافل جمع فيه من أخبار علماء الأندلس

وشعرائها وأحوالها شيئا كثيراً، واستوفى فيه أخبار لسان الدين بن الخطيب، وكأنه هو المقصود أولا بالتأليف، وهذا التأليف فيما قيل لي يطلع في نحو من أربعة أسفار، و لم أشاهده كله، وقد أجاد في خطبته غاية، وجمع فيها من علوم البلاغة ما سحر العقول، فلا يمل سامعها مع طولها، لما اشتملت عليه من النثر الرائق، والنظم الفائق.

وسمعت من لفظه أيضا وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده الثلاثة، وهي من جملة ما اشتمل عليه التأليف المتقدم، وهي في غاية الحسن والسلاسة والجمع لمقاصد الوصية بما فيه صلاح الدين والدنيا. وقد أخبرني أنه سمعها على شيخنا تاج الدين المكي[1]، قال لي: ومن عجيب الاتفاق أن كان سماعها بحضور أولاده الثلاثة، وكأنها وصية منه لأولاده، إذ لم يعش بعد السماع إلا أمدا قليلا، وكان يخيل لي أن ذلك بالقصد منه رحمه الله تعالى.

وعرضت عليه قصائدي المدحية المرتبة على حروف المعجم، وقد تقدم بعضها أول الرحلة، وراجعته فيما يحتاج إلى المراجعة منها، فاستحسنها، ولقوة إنصافه استجازني فيها، رضي الله عنه، وصححت بمراجعته ضبط ألفاظ لغوية فيها، وسمعت بلفظه الدعاء في سجدات القرآن للحكيم الترمذي، ولنذكره لغرابته لأنه لا يوجد في كثير من نسخ نوادر الأصول، فأقول: أخبرني به سماعا وقراءة عليه شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي قال: أخبرني به سماعا وإجازة شيخنا أبو الحسن علي الأجهوري رحمه الله تعالى، عن القاضي بدر الدين القرافي وعن الجمال يوسف بن شيخ الإسلام زكرياء قالا: أنا أبو يحيى زكريا الأنصاري[2] عن أبي الفضل بن حجر بإجازته مشافهة من أبي الحسن علي بن محمد بن أبي المجد عن سليمان بن حمزة عن عيسى بن عبد العزيز، وهو آخر من حدث عنه، عن أبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، وهو آخر من حدث عنه بإجازته من أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد المطهر قال: أنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم ابن محمد البرقي الخطيب قال: أنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المقري قال: أنا أبو نصر أحمد بن أحيد بن حمدان أن البيكندي قال: أنا الحكيم محمد بن علي

---

(1) تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المكي المالكي، من قضاة مكة، فقيه مشارك، توفي سنة 1070 هـ: اقتفاء الأثر، ص: 136. خلاصة الأثر 1:457.

(2) أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي، قاضي القضاة بمصر، من شيوخ أبي سالم العياشي، مولده تقريبا سنة 826 هـ، ووفاته سنة 926 هـ: إتحاف الأخلاء، ص: 177. فهرس الفهارس 1:457.

الترمذي، رضي الله عنه، قال: فصل ما يقرأ في السجود: روي عن ابن مسعود عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا سجد يقول: سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوأ بنعمتك علي وأبوأ بذنبي، هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت. وروت عائشة أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول في سجود القرآن بالليل مرارا: سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته[1]. وأيضا روت عائشة أنه كان يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك يا عظيم[2]. وأيضا كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقيقه وجليله، أوله وآخره، سره وعلانيته. قال الشيخ رحمه الله: هذا ما جاءنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا نعلم أنه وقت شيئا في ذلك، فهذه الأشياء التي ذكرها كلمات ضرع وملق يريد أن يخرج بها إلى ربه من الأحداث، فكان ينطق بما يتراءى له في وقته، وبذلك يناجي ربه. ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم، وأما ما يتراءى لنا في كل سجدة من سجود القرآن فهو ما ذكرنا هاهنا:

سجدة الأعراف: طابت لهم منازل القربة عندك، فتطهروا عن الاستكبار وأذعنوا لك خضوعا بما عاينوا من عظيم كبريائك، وعزيز جبروتك في الملكوت فتلقوا عظمتك واستكانوا بالسجود لك خشوعا، هؤلاء بديع كلماتك، ونحن ولد بديع فطرتك وصنع يدك وأمة حبيبك الممدوحين في التوراة والموصوفين في الإنجيل بما منحتنا من مننك وفضلك، وأهديت إلى المخبتين منا هداياك وكراماتك رأفة، سجدنا لك بما منحتنا من رأفتك ورحمتك، وألقينا بأيدينا سلما نرجو مددك وسبيلك ومعروفك، يا معروفا بالعطايا الجزلة، ومحمودا على صنائعك الجميلة.

سجدة الرعد: سجدت الأحباب طوعا والأعداء كرها، سجد لك شخص الأحباب وظلال الأعداء، أدركت رحمتك شخص الأحباب فنالت السجود وانزوت عن الأعداء فحرمت، سجدت لك ظلالهم بالغدو والآصال تميل مع ميل الأظلة والأفياء، طهرت تلك الأجرام والأشباح فطهارة قلوبهم بنور التوحيد فأهلتهم للسجود لك، ونزهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست

---

(1) صحيح مسلم 1:553.
(2) سنن الدار قطني 1:144.

برجاسة الشرك وتمكن العدو منها، فلك الحمد على ما اصطنعت، إلي وإليك الرغبة يا إلهي في دوامها علي فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعا وسلما، فاجعلني في جميع متقلبي في محياي لك كذلك طوعا وسلما.

سجدة النحل: لك سجدت الملائكة وخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ذلك بأنك عريتهم من الشهوات وطهرتهم من الآفات، ومكنت لهم الزلفات، فخافوك فوقهم وفعلوا ما أمرتهم، و لم يسبقوك بقول وهم من خشيتك مشفقون، فهم عبادك المكرمون، ونحن عبيدك المرحومون المحبوبون، بالرأفة ابتدأتنا، ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعف خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللآفات عرضتنا، وبالوعد والوعيد في الوحي أدبتنا، وبجودك ومنتك هديتنا، وبعظيم حظنا منك وسعت علينا، وأشرعت إليك السبيل لنا، وجعلت منا أولياء وأحباء بالمنازل القربة لديك، فخوفنا لك مع الشهوات، وأفعالنا مع الوساوس والخطرات والآفات، فارحمنا فإنك أعلمتنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد يا خير من أشفق علينا ورحمنا.

سجدة سبحان: لك خرت العلماء سجدا، وحق لهم بأنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد، وعاينوا بنور علم القربة ماهيات لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد، فخرّوا لأذقانهم سجدا مع البكاء والعويل، وسجدوا لربوبيتك، وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك، وزادهم بكاؤهم لك خشوعا، فخشعت لك جوارحهم لأن الخشعة ميراث بكاء الخشية، ذلك بأنك جعلت للباكي من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحه في الدنيا والآخرة ضحكا، فيا حنان تحنن علينا بعطفك، وزدنا علما يقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبلها منا كما تقبلتها من الذين أوتوا العلم من قبلنا.

سجدة مريم: يا خير المنعمين أنعمت على النبيين المهديين والمخبتين بالنبوءة والهداية والخباتة فيك وصاروا إلى محبوبك من الأعمال، وخروا لتلاوة آيات الرحمن لك سجدا وبكيا، تلك خشعة الأحباب، وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقا إليك وقلقا بطول الحبس عنك في سجون الدنيا يا ودود، فليس من لقيك في السجن عبدا قنا في العبودية كمن لقيك في دارك دار السلام، حرا ملكا محبورا مسرورا، يراك جهرا قد كشفت الغطاء وتجليت لأهل الوداد عن حجب الكبرياء والجلال، فأنبأتنا عن أحوالهم وأخبارهم وحيا وتنزيلا، فحذونا على ذلك من

فعلهم هذا، سجودهم قد علمته، فليت شعري من أين بكاؤهم وما الذي أبكاهم، وأين أصول ذلك المنبع وهم أهل صفوتك ونجباء عبيدك، إلهي فسهل لنا السبيل إلى ذلك من فعلهم ظاهرا وباطنا، ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا.

سجدة (أول)[1] الحج: سجد لك الخلق والخليقة علوا وسفلا، وبرا وبحرا، والحجر والمدر والدواب والشجر وكثير من الآدميين، وكثير حق عليه العذاب. ثم قلت: (ومن يهن الله فما له من مكرم)[2]، فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك و لم تجعلنا ممن أهنته فما له من مكرم، ثم قلت: (إن الله يفعل ما يشاء)[3] فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا، وعلى الرحمة التي جرت بمشيئتك فينا، وبإكرامك إيانا، إلهي فلا تهنا بعدما أكرمتنا على تفريطنا وقلة شكرنا ووفائنا وجفوتنا، ولا تسلبنا خير ما أوليتنا، يا عظيم الرجاء، يا حسن البلاء، يا كثير النعماء، يا جزيل العطاء، يا جليل الثناء.

الثانية من الحج: بك آمنا، ولك ركعنا، ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا، وإياك عبدنا، وإليك أنبنا، ربنا وفعل الخير قصدنا، والفلاح رجونا وأملنا، والنجاح لك بك طلبنا، فأعنا ولا تقطع مردك وعنايتك عنا، خذ إليك بنواصينا، واجعل فيما لديك رغبتنا، ونور قلوبنا واشرح لنا[4] صدورنا، وحسن أخلاقنا، واختم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملتنا.

سجدة الفرقان: للرحمن سجدنا، وإياه وحدنا، وما عنده أملنا، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا، فالرحمن مولانا، والرحمن خالقنا ومالكنا[5]، والرحمن هادينا وناصرنا، والرحمن من مَنَّ علينا باسمه الرحمن ووَفَّر منه حظنا، وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمن حظنا، فالله ولينا ومولانا، والرحمن أحياناً، والرحيم أعاننا، والقيوم آوانا، فيا أكرم مأمول، ويا خير معبود، ويا أحسن خالق، ويا أكرم مالك، تمم علينا معروفك وما ابتدأت من الإحسان، وتول منا ما توليت من أهل رأفتك ورحمتك، وتعطف علينا بجودك وكرمك، تبارك اسمك الرحمن ذو الجلال والإكرام، علمت القرآن، وخلقت الإنسان، وعلمته البيان، فلك الآلاء والنعماء،

---

(1) زيادة من ط.
(2) الحج: 18.
(3) الحج: 18.
(4) ساقط من ط.
(5) ساقط من ط.

يا ذا الملك والملكوت، يا عزيز الجبروت، إليك الرغبوت، ومنك الرهبوت، هديتنا لاسمك الرحمن، ووفرت منه حظنا فأحييت به قلوبنا ونورت به أفئدتنا، فالفرح الدائم لمن وصل له اليوم الرحمن قلبا، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه غدا بدنا، عمتنا رحمتك العظمى فزادني اسمك سروراً وزاد أعداءك نفوراً، وإنما نفرهم عن اسمك الرحمن حرمان حظهم من الرحمن فلم تنلهم رحمتك فجهلوا اسمك ونفروا من ذكره وهو الاسم الذي به حييت القلب فتمكنوا به في دارك دار السلام.

سجدة النمل: سجدت لمن يخرج الخبء في السماوات والأرض، عالم الخفيات، محصل ما في الصدور ومبلي السرائر، ولم تخف عليه حركات جوارحنا ومكتوم ضمائرنا وخواطر قلوبنا، وهم نفوسنا، ونوازع الأهجاس منا، سجدت لله الذي (لا إله إلا هو رب العرش العظيم)[1]، يا ذا الأمثال العلى، والأسماء الحسنى، فأنت رب العرش العظيم واستويت عليه، وأنت عال على العرش، وكيف لا يعظم وهو مقامك للربوبية، يا حي يا قيوم، فمن دون (العرش)[2] إلى ما تحت الثرى في جوف العرش العظيم، يا شاهد كل نجوى، ومن حبل الوريد إلينا أقرب وأدنى، هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفناه على أنفسنا وتفضل علينا بعفوك يا ذا الجود والأفضال.

سجدة السجدة: آمنا بآياتك وخررنا لك سُجَّدا، فسبحانك اللهم وبحمدك تعاليت، ولك الكبرياء في السماوات والأرض وأنت العزيز الحكيم، نبرأ إليك من أن نتكبَّر على عظمتك، ونعوذ بك من أن ننازع أمرك أو أن نسبقك بقول أو نخالفك عن أمرك، أو نلجأ إلى أحد سواك، أو نركن إلى مخلوق، أو نعلق قلوبنا بمن دونك، لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلت نفسي، ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت أنفي، ولعظمتك خرت قامتي ساجدة، ولربوبيتك أسلم شخصي عبودة ورقا، فاجعل مولاي حركاتي ومتقلبي وهمي لك خالصا وعلى حقوقك عكوفا، وبالعبودة لك قائما فانيا، وبقلبي إليك هائما لا أوثر على حبك أحدا ولا على أمرك أمراً.

---

[1] النمل: 26.

[2] زيادة من ط.

سجدة ص: لك خررت راكعاً وساجداً مفتوناً وغير مفتون، مستغفراً تائباً منيباً، وأنت الذي مننت على عبدك داوود في وقت حلول الفتنة بأن جعلت لـــه السبيل إلى التوبة والاستغفار حتى خر راكعا وأناب، فغفرت له ذلك، وأعلمـــت العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب، وهذا في كرمك وفضلك على أحبابك موجود، يا جواد وأنت به معروف، وما أنهيت إلينا هذا الخبر من صنيعك به إلا أنك رجيت عبيدك وأملته ما أوليته من معروفك لئلا يقنط المفتونـــون، ولا يتحيَّر الخطاؤون ولا ييأس المذنبون.

سجدة فصلت: سبح لك من عندك فلم تلحقهم سآمة ولا فتور، ذلك بأنك قربت مقامهم وعريتهم من أشغال النفوس وأنقذهم من الوســـاوس والآفـــات، وخلقتنا بموضع رحمة من الشهوات والآفات، تعتورنا أسباب البلاء وأزمة القضاء، فنعوذ بك أن نتكبر عن عبادتك أو نرفع بأنفسنا عن السجود لك والإلقاء بـــين يديك سلما، فمن رام عزا فإنما ناله بالتذلل لك، وكيف لا يعز من انتصب لـــك خادماً وألقى نفسه بين يديك عبودة وتسليماً، إلهي لو كانت لي نفوس غير واحدة لحق لي أن ألقيها بين يديك وأجود بها كلها عليك، وكيف وإنما هـــي واحـــدة، وكيف لا أجود بها عليك وإنما نلتها من عندك، وكيف لا أجود بها وإنما سألتنيها لترحمها وتكنفها وتحوطها وتغذوها برأفتك لتصلح لجـــوارك غـــدا والمـــصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيارة فيك، أعوذ من جماحات نفسي وحرنها عن حقوقك يا أكرم داع ويا حق مجيب.

سجدة النجم: لك سجدنا وإياك عبدنا وبأمرك ائتمرنا، وحق أن نـــسجد، إلهنا خلقتنا من تراب ثم من نطفة ثم من علقة في ظلمات ثلاث في بطون؛ الأمهات والأرحام والمشيمات، ثم أخرجتنا إلى محل الابـــتلاء والامتحـــان ودار الـــسباق والمضمار، وعرضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الأخطار وفتن دار الغرور وكيد العدو وأمور الغيب في مشيئتك، يا ذا القدرة والعلو والرفعة، دعوتنـــا إلى دار الـــسلام وأنذرتنا سجون الأعداء، ومننت علينا مِنَّة الأحباب، وأبهمت العواقب علينا مـــن أمورنا فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا، من ذا يكشف ضرنا إن لم تكشف، يا خير مدعو وأكرم مسؤول، يا أرحم المذنبين تفضل علينا بعفوك.

سجدة الانشقاق: الحين والشقاء أحاط بهم مولاي فاستكبروا عن توحيدك، وفوت حظ منك نالهم إلهي فتعظموا على الإيمان بك، وجعلوا معك إلها مغترين بقول العدو، فلا إله إلا أنت سبحانك، وكيف يسجدون إذا قرئ عليهم القرآن وهم المطرودون من بابك (ينادون من مكان بعيد)[1]، إنما يسجد لك أحبابك وأهل رأفتك ورحمتك الممنون عليهم، بذلك قربتهم، ووفرت حظهم منك، ونورت قلوبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم آلائك، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلهم بحبلك، فكلما تلوا آياتك فذكروا ذكر الصفاء رموا بأنفسهم إليك خروا لوجوههم، واستروحوا إلى ذلك، وتنسموا روح القربة، وسكنوا بلطائف مقالتك، ضمأ الشوق إليك منهم وتلقوا أمرك بإلقائهم بين يديك مترضين لك، فاجعلني ممن يترضاك فترضى يا خير المقصودين.

سجدة القلم: لك سجدنا، وبأسباب وسائلك تعَلّقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا قصدا للاقتراب منك، مولانا قد أنزلت في وحيك علينا أن اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، ثم قلت لنبيك: (واسجد واقترب)[2]، فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلاً، من ذا يستحق القربة منك مولاي إلا من رحمته فقربته، فقد اقتربت بفعلي وإلقاء نفسي بين يديك تأميلا لفضلك وطمعا فيما رجيت عبيدك هـ.

ومما أجازنيه بالخصوص وسمعته منه بلفظي خطبة النبي، صلى الله عليه وسلم، الأخيرة من خطبه، وهي نهاية في الطول توازي إحدى الطوليين من القرآن، وما سمعنا حديثاً قط أطول منها، رواها الحارث بن أبي أسامة التميمي في مسنده بسند فيه داوود بن المحبر، قال ابن حجر إنه متروك، ولغرابتها آثرنا ذكرها، فنقول[3]: أخبرنا شيخنا أبو مهدي، رضي الله عنه، قال: حدثنا شيخنا الأجهوري بسنده إلى الحافظ ابن حجر بقراءته لبعض المسند منه، عن أبي المعالي عبد الله بن عمر الحلاوي وإجازته لسائره بسماعه والقدر المقدر عليه عن أبي العباس أحمد بن كشتغري الصيرفي وإجازته لسائره، قال: أنا به أبو النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني بإجازة من أبي سعيد خليل بن بدر مكاتبة من أصبهان قال: أنا أبو علي الحداد قال: أنا أبو نعيم، قال: أنا أبو بكر بن أحمد بن يوسف بن خلاد،

---

[1] فصلت: 44.

[2] العلق: 19.

[3] وردت هذه الخطبة النبوية الشريفة في مسند الحارث 1:310-321.

قال: أنا به أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة، رحمه الله، في مسنده الذي رتبه على الشيوخ قال: نا داوود بن المحبر بن قحذم بن سليمان البصري، قال أنا ميسرة بن عبد ربه عن أبي عائشة السعدي عن يزيد بن عمر بن عبد العزيز عن أبي أسامة ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة وابن عباس، رضي الله عنهم، قالا: خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خطبة قبل وفاته، وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل، فوعظنا فيها موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، واقشعرت منها الجلود، وتقلقت منها الأحشاء، أمر بلالاً فنادى الصلاة جامعة قبل أن يتكلم، فاجتمع إليه الناس فارتقى المنبر وقال: أيها الناس ادنوا فأوسعوا لمن خلفكم ثلاث مرات، فدنا الناس وانضم بعضهم إلى بعض، فالتفتوا فلم يروا أحداً، ثم قال: ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم، فدنوا وانضم بعضهم إلى بعض فلم يروا أحداً، فقام رجل فقال: لمن نوسع، للملائكة؟ قال: لا، إنهم إذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم، ولكن عن أيمانكم وعن شمائلكم، فقال: ولم لا يكونون بين أيدينا ولا خلفنا؟ أهم أفضل منا؟ فقال: بل أنتم أفضل من الملائكة، اجلس. فجلس. ثم خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، ونستغفره ونومن به ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أيها الناس إنه كائن في هذه الأمة ثلاثون كذاباً، أولهم صاحب اليمامة وصاحب صنعاء، أيها الناس إنه من لقي الله وهو يشهد أن لا اله إلا الله مخلصاً لا يخلط معها غيرها دخل الجنة، فقال علي: يا رسول الله بَيِّن لنا كيف لا يخلط معها غيرها، بأمي وأمي يا رسول الله، كيف يخلص بها حتى لا يخلط معها غيرها، بين لنا هذا حتى نعرفه، فقال: حرصا على الدنيا وجمعا لها من غير حلها، ورضا بها وأقوام يقولون أقاويل الأخيار ويعملون عمل الجبابرة والفجار، فمن لقي الله وليس فيه شيء من هذه الخصال يقول لا اله إلا الله فله الجنة، ومن اختار الدنيا على الآخرة فله النار، ومن تولى خصومه قوم ظلمة أو أعانهم عليها نزل به ملك الموت يبشره بلعنة ونار خالدا فيها وبئس المصير، ومن خف لسلطان جائر في حاجة فهو قرينه في النار، ومن دل سلطان على جور قرن مع هامان في النار وكان هو وذلك السلطان من أشد أهل النار عذاباً، ومن عظم صاحب دنيا ومدحه طمعاً في دنياه سخط الله عليه وكان في درجة قارون في أسفل جهنم، ومن بنى بناء رياء وسمعة حمله يوم القيامة مع

سبع أرضين يطوقه نار توقد في عنقه ثم يرمى به في النار. فقيل وكيف يبني بنـاء رياء وسمعة؟ قال: يبني فضلاً على ما يكفيه ويبنيه مباهاة، ومن ظَلَمَ أجيراً أجره أحبط الله عمله وحَرَّم عليه ريح الجنة، وريحها يُوجد من خمس مائة عام، ومن خان جاره شبراً من الأرض طَوَّقه يوم القيامة إلى سبع أرضين نارا حتى يدخل جهنم، ومن تعَلَّم القرآن ثم نسيه متعمداً لقي الله مجذوماً مغلولاً وسَلَّط الله عليه بكل آية حية تنهشه في النار، ومن تَعَلَّم القرآن فلم يعمل به آثر عليه حطام الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في درجة اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً[1]، ومن نكح امرأة في دبرها أو رجلاً أو صبياً حُشِرَ يوم القيامة وهو أنتن من الجيفة يتأذّى به الناس حتى يدخل جهنم، وأحبط الله أجره ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ويدخل في تابوت من نار وسد عليه مسامير من حديد حتى تشبك تلك المسامير في جوفه، ولو وضع عرق من عروقه على أربعمائة أمة لماتوا جميعاً وهو من أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة، ومن زنا بامرأة مسلمة، أو غير مسلمة حرة أو أمة، فتح عليه في قبره ثلاث مائة ألف باب من النار يخرج عليه منها حيات وعقارب وشهب من النار، فهو يعذب إلى يوم القيامة بتلك العقارب مع ما يلقى من تلك العقاريب والحيات، ويبعث يوم القيامة يتأذى الناس بنتن فرجه ويعرف بذلك حتى يدخل النار فيتأذى به أهل النار مع ما هم فيه من العذاب لأن الله حرم المحارم، وليس أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحد الحدود، ومن اطلع إلى بيت جاره فرأى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيئاً من جسده كان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتحينون عورات النساء، ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويبدي للناظرين عورته يوم القيامة، ومن تسخط رزقه وبث شكواه و لم يصبر، لم ترفع له إلى الله حسنة، ولقي الله عز وجل وهو عليه ساخط، ومن لبس ثوباً فاختال فيها خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، ومن نكح امرأة حلالاً بمال حلال يريد بذلك الفخر والرياء لم يزده الله إلا ذلاً وهواناً، وأقامه الله بقدر ما استمتع منها على شفير جهنم ثم يهوي فيها سبعين خريفاً، ومن ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان، يقول الله له يوم القيامة: عبدي زوجتك على عهدي فلم توف بعهدي، فيتولى الله حقها فيستوعب حسناته كلها، فلا تفي به، فيُؤمر به إلى النار. ومن

[1] إشارة إلى قوله تعالى: (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون): البقرة: 101.

رجع عن شهادة، أو كتمها، أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، ويدخل النار وهو يلوك لسانه. ومن كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقه حتى يدخل النار، ومن آذى جاره من غير حق حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، ألا وان الله عز وجل يسأل الرجل عن جاره كما يسأله عن حق أهل بيته، فمن ضيع حق جاره فليس منا. ومن أهان فقيراً مسلماً من أجل فقره فاستخف به فقد استخف بحق الله ولم يزل في مقت الله وسخطه حتى يرضيه. ومن أكرم فقيرا مسلما لقي الله يوم القيامة وهو يضحك إليه. ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا على الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، وإن اختار الآخرة عن الدنيا لقي الله وهو عنه راض. ومن قدر على امرأة أو جارية حراماً فتركها لله مخافة منه أمَّنه الله من الفزع الأكبر، وحَرَّمه على النار، وأدخله الجنَّة. وإن واقعها حراماً حرم الله عليه الجنة وأدخله النار. ومن كسب مالاً حراماً لم يقبل له صدقة ولا عتق ولا حج ولا عمرة، وكتب له بقدر ذلك أوزاراً ما بقي ثم موته وكان زاده إلى النار. ومن أصاب من امرأة نظرة حراماً ملأ الله عينيه ناراً ثم أمر به إلى النار فإن غض بصره عنها أدخل الله قلبه محبته ورحمته وأمر به إلى الجنة، ومن صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ثم يُؤمر به إلى النار، وان فاكهها حبس بكل كلمة كلمها في الدنيا ألف عام، والمرأة إذا طاوعت الرجل حراماً فالتزمها أو قبَّلها أو باشرها أو فاكهها أو واقعها فعليها من الوزر مثل ما على الرجل، فإن غلبها الرجل على نفسها كان عليه وزره ووزرها. ومن غَشَّ مسلماً في بيع أو شراء فليس منا ويحشر يوم القيامة مع اليهود لأنهم أغش الناس للمسلمين، ومن منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه منعه الله فضله يوم القيامة ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه هلك آخر ما عليها ولا يقبل له عذر. وأيّما امرأة آذت زوجها لن تقبل صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعتبه وترضيه ولو صامت الدهر وقامته وأعتقت الرقاب وحملت على الجياد في سبيل الله، وكانت أول من يرد النار إذا لم ترضه وتعتبه. قال: وعلى الرجل مثل ذلك من الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً. ومن لطم خد مسلم لطمة بدد الله عظامه يوم القيامة، ثم تسلط عليه النار، ويبعث حين يبعث مغلولاً حتى يرد النار. ومن مات في قلبه غش لأخيه المسلم بات وأصبح في سخط الله حتى يتوب ويرجع، وإن مات على ذلك مات على غير الإسلام. ثم قال: ألا إنه من غشنا فليس منا، حتى قال ذلك ثلاثاً، ومن تعَلَّق سوطاً بين يدي

سلطان جائر جعله الله حية طولها سبعون ألف ذراع فتسلط عليه في نار جهنم خالداً مخلداً. ومن اغتاب مسلماً بَطل صومه ونقض، يعني وضوءه، فإن مات وهو كذلك مات كالمستحل ما حَرَّم الله، ومن مشى بالنميمة بين اثنين سَلَّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة ثم يدخل النار. ومن عفا عن أخيه المسلم وكظم غيظه أعطاه الله أجر شهيد. ومن بغى على مسلم وتطاول عليه واستحقره حشره الله يوم القيامة في صورة الذر يطؤه العباد بأقدامهم ثم يدخل النار، ولم يزل في سخط الله حتى يموت. ومن رد عن أخيه المسلم غيبة سمعها تُذكر في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، وإن هو لم يرد عنه وأعجبه ما قالوا كان عليه مثل وزرهم. ومن رمى محصناً أو محصنة حبط عمله، وجلده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه، ثم يُؤمر به إلى النار. ومن شَرِب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساود وسم العقارب يشربه فيتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تفسخ لحمه وجلده كالجيفة يتأذّى به أهل الجمع، ثم يؤمر به إلى النار، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها سواء في إثمها وعارها، ولا يقبل الله له صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا عمرة حتى يتوب، فإن مات قبل أن يتوب منها كان حَقّاً على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من صديد جهنم، ألا وكل مسكر خمر وكل مسكر حرام. ومن أكل الربا ملأ الله بطنه ناراً بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه مالاً لم يقبل الله شيئاً من عمله ولم يزل في لعنة الله وملائكته ما دام عنده منه قيراط. ومن خان أمانته في الدنيا ولم يؤدها إلى أربابها مات على غير دين الإسلام، ولقي الله وهو عليه غضبان، ثم يؤمر به إلى النار فيهوي من شفيرها أبد الآبدين. ومن شَهِد بشهادة زور على مسلم أو كافر علق بلسانه يوم القيامة ثم صير مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. ومن قال لمملوكه أو مملوكته، أو لأحد من المسلمين، لا لبيك ولا سعديك، قال الله له يوم القيامة لا لبيك ولا سعديك، أتعس في النار. ومن أضر بامرأة حتى تفتدي منه لم يرض له بعقوبة دون النار، لأن الله يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم. ومن سعى بأخيه إلى السلطان أحبط الله عمله كله، فإن وصل إليه مكروه أو أذى جعله الله مع هامان في درجه في النار. ومن قرأ القرآن رياء وسمعة، ويريد به الدنيا، لقي الله ووجهه عظم ليس عليه لحم،

وزخ[1] القرآن في قفاه حتى يقذفه في النار فيهوي فيها فيمن هوى. ومن قرأه و لم يعمل به حشره الله أعمى فيقول: (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً)[2] فيقول (كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[3] ثم يؤمر به إلى النار. ومن اشترى خيانة وهو يعلم أنها خيانة كان كمن خانها في عارها وإثمها، ومن قاود بين امرأة ورجل حراما حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وساءت مصيراً. ومن غش أخاه المسلم نزع الله منه رزقه وأفسد عليه معيشته ووكله إلى نفسه. ومن اشترى سرقة وهو يعلم بها فهو كمن سرقها في عارها وإثمها. ومن ضار مسلما فليس منا ولسنا منه في الدنيا والآخرة. ومن سمع بفاحشة فأفشاها كان كمن أتاها. ومن سمع بخير فأفشاه كان كمن عمله، ومن وصف امرأة لرجل فذكر جمالها وحسنها حتى افتتن بها، فإن أصاب منها فاحشة يخرج من الدنيا مغضوبا عليه، ومن غضب الله عليه غضبت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وكان عليه من الوزر مثل وزر الذي أصابها، قلنا: فإن تابا وأصلحا؟ قال: قبل منهما، ولا تقبل توبة الذي وصفها. ومن أطعم طعاماً رياء وسمعة أطعمه الله من صديد جهنم، وكان ذلك الطعام ناراً في بطنه حتى يُقضى بين الناس. ومن فجر بامرأة ذات بعل انفجر من فرجه واد من صديد مسيرة خمس مائة عام يتأذى به أهل النار من ريحه، وكان من أشد الناس عذابا يوم القيامة، واشتد غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو من غير ذي محرم منها، وإذا فعلت ذلك أحبط الله كل عمل عملته، فإن أوطأت فراشه غيره كان حَقًّا على الله أن يحرقها بالنار من يوم وضعت في قبرها، وأيما امرأة اختلعت من زوجها لم تزل في لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين، فإذا نزل بها ملك الموت قال لها أبشري بالنار، فإذا كان يوم القيامة قيل لها ادخلي النار مع الداخلين، ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضر بالمرأة حتى تختلع منه، ومن أم قوما بأذنهم وهم بهم راضون فاقتصد بهم في حضوره وقراءته وركوعه وسجوده وقعوده فله مثل أجورهم، وإن لم يقتصد بهم في ذلك ردت عليه صلاته، و لم تجاوز تراقيه، وكان بمترلة أمير جائر معتد لم يصلح إلى رعيته و لم يقم فيهم بأمر الله. فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وما مترلة الأمير الجائر المعتدي الذي لم يصلح إلى

---

[1] زخ: زخ في قفاه: دفعه: لسان العرب: زخخ.
[2] طه: 125.
[3] طه: 126.

رعيته و لم يقم فيهم بأمر الله قال: هو رابع أربعة، وهم أشد الناس عـذاباً يـوم القيامة؛ إبليس وفرعون وقابل قاتل النفس والأمير الجائر رابعهم. ومن احتاج إليه أخوه المسلم في قرض فلم يقرضه وهو عنده حرم الله عليه الجنـة يـوم يجـزى المحسنين، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسب الأجر من الله أعطاه الله من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلـة مثل رمل عالج، فإن ماتت قبل أن تعتبه وترضيه حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. ومن كانت له امرأة و لم توافقه و لم تصبر على ما رزقه الله وشقت عليه وحملته ما لا يقدر عليه لم تقبل لها حسنة، فإن ماتـت على ذلك حشرت مع المغضوب عليهم، ومن أكرم أخاه المسلم فإنما يكرم ربه عز وجل، فما ظنكم؟ ومن تولى عرافة قوم حبس على شفير جهنم بكل يوم ألـف سنة، ويحشر ويده مغلولة إلى عنقه، فإن كان أقام أمر الله فيهم أطلق، وإن كـان ظالماً هوى في جهنم سبعين خريفاً، ومن تحلم بحلم كان كمن شهد الزور ويكلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين يعذب حتى يعقدهما ولن يعقدهما. ومن كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا جعل الله له وجهين ولسانين في النار، ومـن اسـتنبط حديثاً باطلاً فهو كمن حدث به. قيل: وكيف يستنبطه؟ قال: هو الرجل يلقـى الرجل فيقول: أكان ذيت وذيت، فيفتحه، فلا يكونن أحدكم مفتـاح الـشر والباطل. ومن مشى في صلح بين اثنين صلت عليه الملائكة حتى يرجع وأعطي أجر ليلة القدر، ومن مشى في قطيعة بين اثنين كان عليه من الوزر بقدر ما أعطي من أصلح بين اثنين من الأجر، ووجبت عليه اللعنة حتى يدخل جهنم فيضاعف لـه العذاب، ومن مشى في عون أخيه المسلم ومنفعته كان له ثواب المجاهدين في سبيل الله، ومن مشى في غيبته وكشف عورته كان أول قدم يخطوها كأنما وضـعها في جهنم، ثم تكشف عورته يوم القيامة على رؤوس الخلائق. ومن مـشى إلى ذي قرابة أو ذي رحم يسأل أو يسلم عليه أعطاه الله أجر مائة شهيد، وإن وصله مع ذلك كان له بكل خطوة أربعون ألف حسنة، ويحط عنه بها أربعون ألف سـيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، وكأنما عبد الله مائة ألف سنة. ومن مشى في فساد بين القرابات والقطيعة بينهم غضب الله عليه في الدنيا ولعنه وكان عليه كوزر من قطع الرحم. ومن عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة الله في الـدنيا والآخرة وحرم الله النظر إلى وجهه. ومن قاد ضريراً إلى المسجد أو إلى مترلـه أو إلى حاجة من حوائجه كتب الله له بكل قدم رفعها أو وضعها عتق رقبة وصلت

عليه الملائكة حتى يفارقه، ومن مشى لضرير في حاجة حتى يقضيها أعطاه الله براءتين: براءة من النار وبراءة من النفاق، وقضي له سبعون ألف حاجة من حوائج الدنيا، و لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع. ومن قام على مريض يوما وليلة بعثه الله مع خليله إبراهيم حتى يجوز على الصراط كالبرق اللامع. ومن سعى لمريض في حاجة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال رجل من الأنصار: فإن كان المريض قرابته أو بعض أهله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن أعظم أجراً ممّن سعى في حاجة أهله، ومن ضيع أهله وقطع رحمه حرمه الله حسن الجزاء يوم يجزي المحسنين، وصيره مع الهالكين حتى يأتي بالمخرج، وأنّى له بالمخرج. ومن مشى لضعيف في حاجة له أو منفعة أعطاه الله كتابه بيمينه. ومن أقرض ملهوفاً فأحسن طلبه فليستأنف العمل وله عند الله بكل درهم ألف قنطار في الجنة. ومن فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ونظر إليه نظر رحمة ينال بها الجنة. ومن مشى في صلح امرأة وزوجها كان له أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله حقاً، وكان له بكل خطوة عبادة سنة صيامها وقيامها. ومن أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن جبل أحد وحراء وثبير وطور سيناء حسنات، فإن رفق به في طلبه بعد حله جرى له بكل يوم صدقة، وجاز على الصراط كالبرق اللامع لا حساب عليه ولا عقاب، ومن مطل طالبه وهو يقدر على قضائه فعليه خطيئة عشار، فقام إليه عوف بن مالك الأشجعي فقال: وما خطيئة عشار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خطيئة العشار أن عليه في كل يوم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً)[1]. ومن اصطنع إلى أخيه المسلم معروفا ثم من به عليه أحبط الله أجره وخيب سعيه، ثم قال: ألا وان الله حرم على البخيل والمنان والمختال والجوّاظ[2] والجعظيم[3] والعُتُل[4] والزنيم[5] ومدمن الخمر الجنة. ومن تصدق بصدقة أعطاه الله بوزن كل ذرة منها مثل جبل أحد من نعيم [الجنة][6]. ومن مشى بها إلى المساكين كان له مثل ذلك، ولو تناولها أربعون ألف إنسان حتى تصل إلى المساكين كان لكل واحد

---

(1) النساء: 152.
(2) الجواظ: المتكبر الجافي: لسان العرب: جوظ.
(3) الجِعْظُ والجَعِظُ: السيئ الخُلُق المُتَسَخِّطُ عند الطعام: لسان العرب: جعظ.
(4) العُتُل: الجافي الغليظ: لسان العرب: عتل.
(5) الزنيم: الدعي في النسب: لسان العرب: زنم.
(6) زيادة من مسند الحارث.

منهم مثل ذلك الأجر كاملاً، (وما عند الله خير وأبقى للذين اتقوا وأحسنوا)[1].
ومن بنى لله مسجداً أعطاه الله بكل شبر، أو قال بكل ذراع، أربعين ألف مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، في كل مدينة أربعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف ألف دار، في كل دار سبعون ألف ألف بيت، في كل بيت أربعون ألف ألف سرير، على كل سرير زوجة من الحور العين، وفي كل بيت أربعون ألف ألف وصيفة وأربعون ألف ألف وصيف، وفي كل بيت أربعون ألف ألف مائدة، على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون من الطعام، ويعطي الله عز وجل وليه من القوة ما يأتي على الأزواج وذلك الطعام والشراب في يوم واحد. ومن تولى أذان مسجد من مساجد الله عز وجل يريد بذلك وجه الله أعطاه الله ثواب أربعين[2] ألف ألف نبي، وأربعين ألف ألف صديق، وأربعين ألف ألف شهيد، ويدخل في شفاعته أربعون ألف ألف أمة، كل أمة أربعون ألف ألف رجل، وله في كل جنة من الجنان [أربعون الف ألف مدينة، في كل مدينة أربعون ألف ألف] قصر، في كل قصر أربعون ألف ألف دار، في كل دار أربعون ألف ألف بيت، في كل بيت أربعون ألف ألف سرير، على كل سرير زوجة من الحور العين، سعة كل بيت منها مثل سعة الدنيا أربعين ألف ألف مرة، بين يدي كل زوجة أربعون ألف [ألف] وصيفة وأربعون ألف ألف وصيف، في كل بيت أربعون ألف ألف مائدة، على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون، لو نزل به الثقلان لأدخلهم أدنى بيت من بيوته بما شاؤوا من الطعام والشراب واللباس والطيب والثمار وألوان التحف والطرائف والحلي والحلل، كل بيت منها مكتف بما فيه من هذه الأشياء عن البيت الآخر، فإذا قال المؤذن أشهد أن لا اله إلا الله اكتنفه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه ويستغفرون له، وهو في ظل رحمة الله [حتى يخلو]، ويكتب ثوابه أربعون ألف ألف ملك. قال: ثم يصعدون [به] إلى الله عز وجل، ومن مشى إلى مسجد من المساجد فله بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر درجات. ومن حافظ على الجماعة، حيث كان ومع من كان، مر على الصراط كالبرق اللامع في أول [زمرة من] السابقين ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم وليلة حافظ عليها ثواب شهيد. ومن

---

[1] القصص: 60.
[2] ساقط من ط.

حافظ على الصف المقدم فأدرك أول تكبيرة من غير أن يؤذي مؤمنا أعطاه الله مثل ثواب المؤذن في الدنيا والآخرة. ومن بنى بناء على ظهر طريق يأوي عابر السبيل بعثه الله يوم القيامة على نجيبة من در، ووجهه يضيء لأهل الجمع حتى يقول له أهل الجمع: هذا ملك من الملائكة لم ير مثله حتى يزاحم إبراهيم في قبته ويدخل الجنة بشفاعته أربعون ألف رجل، ومن شفع لأخيه المسلم في حاجة نظر الله إليه وحق على الله أن لا يعذب عبدا نظر إليه حتى إذا كان ذلك يطلب منه أن يشفع إليه، فإذا شفع له من غير طلب كان له مع ذلك أجر سبعين شهيداً. ومن صام رمضان وكف عن اللغو والغيبة والكذب والخوض في الباطل، وأمسك لسانه إلا عن ذكر الله عز وجل، وكف سمعه وبصره وجميع جوارحه عن محارم الله عز وجل وعن أذى المسلمين كان له من القربة عند الله أن تمس ركبته ركبة إبراهيم خليله. ومن احتفر بئراً حتى يستنبط ماءها فبذلها للمسلمين كان له أجر من توضأ منها وصلى وله بعدد من شرب منها حسنات أنس أو جن أو بهيمة أو سبع أو طائر أو غير ذلك، وله بكل شعرة من ذلك عتق رقبة ويرد في شفاعته يوم القيامة حوضٍ القدس، قيل: وما حوض القدس؟ قال: حوضي حوضي حوضي. ومن حفر قبرا لمسلم حرمه الله على النار وبوأه بيتا في الجنة لو وضع فيه ما بين صنعاء والحبشة لوسعها، ومن غسل ميتاً وأدى الأمانة فيه كان له بكل شعرة عتق رقبة ورفع له بها مائة درجة، فقال عمر بن الخطاب: وكيف يؤدي فيه الأمانة يا رسول الله؟ قال: يستر عورته، ويكتم سيئته، وإن هو لم يستر عورته ولم يكتم سيئته أبدى الله عورته على رؤوس الخلائق، ومن صلى على ميت صلى عليه جبريل ومعه سبعون ألف ملك وغفر له ما تقدم من ذنبه، فإن أقام حتى يدفن وحثا عليه التراب انقلب وله بكل خطوة حتى يرجع إلى منزله قيراط من الأجر، والقيراط مثل أحد. ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل أحد في ميزانه، وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واصف. ومن عاد مريضا فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله سبعون ألف حسنة ومحي عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة ويوكلون به سبعون ألف ملك يعودونه ويستغفرون له إلى يوم القيامة. ومن تبع جنازة فله بكل خطوة يخطوها حتى يرجع مائة ألف حسنة ومحي عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة، وإن صلى عليها وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع، وإن شهد دفنها استغفروا له حتى يبعث من

قبره. ومن خرج حاجا أو معتمرا فله بكل خطوة حتى يرجع ألف ألف حسنة، ومحو ألف ألف سيئة، ورفع ألف ألف درجة، وله عند ربه بكل درهم ينفقه ألف ألف درهم، وبكل دينار ألف ألف دينار، وبكل حسنة يعملها ألف ألف حسنة، حتى يرجع وهو في ضمان الله عز وجل، فإن توفاه أدخله الجنة، وإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً له، فاغتنموا دعوته إذا قدم قبل أن يصيب الذنوب، فإنه يشفع في مائة ألف رجل يوم القيامة، ومن خلف حاجا أو معتمراً في أهله بخير كان له مثل أجره كاملا من غير أن ينقص من أجره شيء. ومن رابط أو جاهد في سبيل الله كان له بكل خطوة حتى يرجع سبع مائة ألف ألف حسنة، ومحو سبع مائة ألف ألف سيئة، ورفع مائة ألف ألف درجة، وكان في ضمان الله، فإن توفاه بأي حتف كان، أدخله الجنة، وإن رجعه رجعه مغفورا له مستجابا له. ومن زار أخاه المسلم فله بكل خطوة حتى يرجع عتق مائة ألف رقبة ومحو مائة ألف سيئة، ويكتب له بها مائة ألف درجة. قال فقلنا لأبي هريرة: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أعتق رقبة فهي فداؤه من النار؟ قال: بلى، ويرفع له سائرها في كنوز العرش عند ربه عز وجل. ومن تعلم القرآن ابتغاء وجه الله وتفقه في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أعطى الملائكة والأنبياء والرسل. ومن تعلم القرآن رياء وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء، ويطلب به الدنيا، بدد الله عظامه، [يوم القيامة وكان من أشد أهل النار عذاباً]، ولا يبقى فيه نوع من أنواع العذاب إلا عذب به لشدة غضب الله وسخطه. ومن تعلم العلم وتواضع في العلم وعلمه عباد الله يريد بذلك ما عند الله لم يكن في الجنة أفضل ثواباً، ولا أعظم منزلة [منه]، ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة إلا وله فيها أوفر النصيب وأشرف [المنازل]، ألا وان العلم أفضل العبادة وملاك الدين الورع، وإنما العالم من عمل بعلمه وإن كان قليل العلم فلا تحقرن من المعاصي شيئاً، وإن صغرت في أعينكم فإنه لا صغير مع إصرار، ولا كبير مع استغفار، ألا وإن الله عز وجل سائلكم عن أعمالكم حتى عن مس أحدكم ثوب أخيه. واعلموا عباد الله أن العبد يبعث يوم القيامة على ما مات عليه وقد خلق الله الجنة والنار، فمن اختار النار على الجنة فأبعده الله، ألا وإن ربي عز وجل أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على

الله عز وجل، ألا وإن الله عز وجل لم يدع شيئا نهى عنه إلا وقد بينه لكم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة)[1]، ألا وإن الله لا يظلم ولا يجوز عليه ظلم، وهو بالمرصاد(ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)[2] فمن أحسن فلنفسه (ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)[3] أيها الناس انه قد كبرت سني، ودق عظمي، وانهد جسمي، ونعيت إلى نفسي، واقترب أجلي واشتقت إلى ربي عز وجل، ألا وان هذا آخر العهد بيني وبينكم، فما دمت حيا فقد تروني، وإذا [أنا] مت فالله خليفتي على كل مسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم نزل فابتدره رهط من الأنصار قبل أن ينزل [من المنبر]، فقالوا: جعلنا أنفسنا فداك يا رسول الله، من يقوم بهذه الشدائد؟ وكيف العيش بعد هذا اليوم؟ فقال لهم: وأنتم فداكم أبي وأمي، نازلت ربي عز وجل في أمتي فقال لي: باب التوبة مفتوح حتى ينفخ في الصور، ثم قال: من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه. ثم قال: سنة كثير، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه. ثم قال: شهر كثير، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه. ثم قال: جمعة كثيرة،قال: (من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال يوم كثير. ثم قال)[4]: من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه. ثم قال: من تاب قبل أن يغرغر بالموت تاب الله عليه. ثم نزل فكانت آخر خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم، هـ.

وسمعت على شيخنا أبي مهدي الثعالبي جميع رسالة أبي محمد بن أبي زيد بلفظي في منزله بجانب المسجد الحرام، وأجازني بها وبسائر مروياته، خصوصا مؤلفات أهل مذهب مالك (بأسانيده إلى أربابها، حسبما أذكرها، وقد جمع، رضي الله عنه، سلسلة الفقه على مذهب مالك)[5] جمعا لم يسبق إليه بعدما حارت فيه فحول الأئمة كما هو معروف، فرفع الأسانيد من طريق شيخه الأنصاري إلى مشاهير أئمة المذهب المتأخرين، ثم إلى من فوقهم في الشهرة والزمان، ثم كذلك على أسلوب غريب إلى أن أوصلها إلى الإمام مالك، ثم إلى النبي، صلى الله عليه

---

[1] الأنفال: 42.
[2] النجم: 31.
[3] فصلت: 46.
[4] ما بين قوسين ساقط من ط.
[5] ما بين قوسين ساقط من ط.

وسلم، ولنذكر جمعه المذكور بلفظه، وإن كان فيه طول، فربما يغتبط به. قال، رضي الله عنه، وهو مما أدرجه في كتابه: كتر الرواة، ما نصه:

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم:

في ذكر سند الفقه من طريق شيخنا قدس الله روحه، قد تقدم ذكر ما أخذته عنه في الفقه، وهو أخذه، رحمه الله، دراية ورواية عن أعلامه الأدلاء، ومفاخره الأجلاء، أبي محمد بن طاهر الحسني[1]، وأبي عبد الله بن أبي بكر الدلائي[2]، والشهاب أبي العباس المقري التلمساني. أما الأول فأخذه كذلك عن غير واحد من، أجلهم العالم النظار أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي[3]، وهو أخذه عن جماعة منهم العلامة أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد القصري المعروف بسقين[4]، والعلامة أبو الحسن علي بن هارون المطغري[5]، والعلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن اليسيتني[6]، وأبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي[7] الفاسيون، وهم أربعتهم أخذوه عن حافظ المذهب في عصره أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي[8]، وزاد سقين عن شيخ العلمين، ومحقق الفنين، الإمام أبي أحمد زروق الفاسي، وزاد عبد الواحد عن أبيها حامل لواء المذهب أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ثم الفاسي، مؤلف المعيار المعرب في

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي، صاحب الزاوية الدلائية، إمام عارف، توفي سنة 1021 هـ: التقاط الدرر، ص: 65.نشر المثاني 1:163. اقتفاء الأثر، ص: 105.

(3) أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي، فقيه مشارك، له مراقي المجد في آيات السعد، وشرح عقيدة ابن زكري، مولده سنة 926 هـ، وتوفي سنة 995 هـ: دوحة الناشر، ص: 59، شجرة النور الزكية 1:415.

(4) عبد الرحمن سقين، فقيه مشارك، رحل إلى الحجاز ولقي المشايخ وأخذ عنهم، وعاد إلى فاس وتقلد بها الفتيا، توفي سنة 956 هـ: دوحة الناشر، ص: 56. لقط الفرائد، ص: 301.

(5) علي بن هارون المطغري، الشيخ الفقيه الراوية، تولى الفتيا والتدريس بفاس، توفي سنة 951 هـ: دوحة الناشر، ص: 51. لقط الفرائد، ص: 298.

(6) أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني، فقيه مشارك، رحل إلى مكة والقاهرة للأخذ عن شيوخهما، رجع إلى فاس سنة932 هـ للتدريس بها، له تآليف منها شرح على مختصر خليل، توفي سنة 959 هـ: دوحة الناشر، ص: 58، شجرة النور الزكية 1:409. الفكر السامي 4:316.

(7) أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي، الفقيه العالم المفتي، صاحب كتاب المعيار المعرب، توفي في آخر سنة 955 هـ: دوحة الناشر، ص: 53. لقط الفرائد، ص: 300.

(8) محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي العثماني، الشيخ الراوية، تولى الإمامة بجامع القرويين والفتيا بفاس، له كتاب: الروض الهتون في التعريف بأخبار مكناسة الزيتون، توفي عام 919 هـ: دوحة الناشر، ص: 46. لقط الفرائد، ص: 285.

النوازل. وأما الثاني والثالث فأخذاه عن شيخ الفتوى بفاس، العلامة المحقق أبي عبد الله محمد ابن قاسم القيسي الشهير بالقصار[1]، وهذا أخذه عن اليسيتني وغـــيره، وأخذه اليسيتني عمن تقدم، وعن الفقيه الحافظ أبي العباس أحمد بن علي الزقاق[2]، والفاسي، وهو أخذه عن أبيه العلامة المحقق أبي الحسن علي بن قاسم بن محمـــد الزقاق[3]، وزاد الثالث، وهو الشهاب المقري فأخذه عن عمـــه إمـــام الفتـــوى بتلمسان، بل بالمغرب سنين سنة، أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري[4]، وهو أخذه عن العلامة أبي عبد الله محمد بن محمد التنسي، وهو أخذه عن أبيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، وقد انتهت الطرق باعتبار ما اقتصرنا عليه إلى خمسة أعيان من أعلام فاس وتلمسان الإمام ابـــن غـــازي، والشيخ زروق، والعلامة الونشريسي، والمحقق أبي الحسن الزقاق، والحافظ التنسي.

أما ابن غازي فأخذه عن جماعة من أجلهم العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد بـــن قاسم القوري[5] اللخمي المكناسي ثم الفاسي، والمحقق النظار أبو العباس أحمد بـــن عمر المزدغي، والفقيه المتفنن أبو زيد عبد الرحمن الكاواني، أما القوري فأخذه عن الحافظ أبي موسى عمران ابن موسى الجاناتي، وأما المزدغي والكاواني فأخذاه عن شيخ الجماعة بفاس أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي، وتلميذه الحـــافظ أبي القاسم التازغدري، والحافظ الجاناتي، وابن علال المصمودي أخذاه عن الحـــافظ شيخ الفتيا بفاس أبي عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي الفاسي[6]، وهو أخذه عن الفقيه الضابط عبد العزيز القوري الفاسي[7] صاحب التقييد على المدونة المنسوب لأبي الحسن الصغير، وهو أحسن التقاييد وأصحها، وعن شيخ الرســـالة

---

(1) أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي، الشهير بالقصار، فقيه محدث، له مؤلفات مفيدة، ولد سنة 936 هـ، وتوفي سنة 1012 هـ:التقاط الدرر، ص: 39. خلاصة الأثر 4: 121. روضـــة الآس ص: 352.شـــجرة النور الزكية 1: 427.

(2) أبو العباس أحمد بن علي الزقاق، فقيه متكلم، رحل وحج، له تآليف منها شرح على منظومة أبيـــه فـــي القواعد، توفي سنة 931 هـ: دوحة الناشر، ص: 51.شجرة النور الزكية 1: 396.

(3) أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق التجيبي، الفاسي، فقيه مشارك، له لامية الزقاق وتقييد علـــى مختـــصر خليل، توفي سة 912 هـ: دوحة الناشر ص: 54.شجرة النور الزكية 1: 396.

(4) أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري، علامة مشارك، تولى الفتيا والتدريس بتلمسان، ولد قبـــل ســـنة 930 هـ، وتوفي في حدود سنة 1010 هـ: التقاط الدرر، ص: 38. شجرة النور الزكية 1: 427.

(5) أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري، شيخ الفتوى بفاس، توفي سنة 872 هـ: وفيات الونشريـــسي، ص: 149.

(6) أبو عمران موسى ابن معطي العبدوسي، فقيه حافظ، توفي سنة 776 هـ: شرف الطالب، ص: 85.

(7) أبو فارس عبد العزيز بن محمد القوري الفاسي، الفقيه العلامة، له تقييد على المدونة، توفي ســـنة 750 هـ: شجرة النور الزكية 1: 318.

والمدونة أبي زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي[1]، والقوري أخذه عن شيخ الإسلام والقائم على المذهب الجامع بين العلم والعمل، أبي الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي[2] المشهور بأبي الحسن الصُغير، بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة التحتية، وهو وابن عفان الجزولي أخذاه عن شيخ الفتيا، وأتبع الناس للحق أبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي الفاسي، وعن شيخ المدونة أبي إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الأعرج صاحب الطرر على المدونة، وهما أخذاه عن شيخ المغرب علما وعملا الإمام الكبير أبي محمد صالح الهسكوري الفاسي[3]، وهو أخذه عن الحافظ الكبير أبي موسى عيسى بن مع النصر الموماني الفاسي وأبي القاسم بن البقال، وهما أخذاه عن الحافظ الضابط الواسع الدراية والرواية أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، وهو أخذه عن فحول المذهب وأعلامه؛ أبي محمد عبد الرحمن بن عتاب، وأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

وأما شيخ الكمال أبو العباس أحمد زروق فأخذه عن القوري بسنده، وعن عالم الصلحاء وصالح العلماء أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري مؤلف شرح ابن الحاجب وغيره، وعن الحافظ أبي العباس ابن عبد الرحمن بن موسى المعروف بحلولو[4] شارح المختصر وغيره، وعن قاضي الجماعة ومفتيها أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع التونسي مؤلف شرح حدود ابن عرفة وغيره، والثلاثة: الثعالبي وحلولو والرصاع أخذوه عن العلامة النظار حافظ المذهب وشيخ الفتيا أبي القاسم بن أحمد بن إسماعيل التونسي البرزلي مؤلف النوازل المشهورة. وزاد الثعالبي عن العلامة النقاد أبي عبد الله محمد بن خلفة الأبي مؤلف كمال الإكمال، والحافظ أبي الفضل ابن مرزوق الحفيد. وزاد حلولو عن الحافظ أبي الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي[5] شارح الرسالة والمدونة. وزاد الرصاع عن

---

(1) أبو زيد عبد الرحمن الجزولي، فقيه حافظ، توفي بفاس سنة 745 هـ: شرف الطالب، ص: 80.

(2) أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي، الشهير بالصغير، فقيه علامة مشرك، توفي سنة 656 هـ: الفكر السامي 4:278.

(3) أبو محمد صالح بن محمد الهسكوري، فقيه مشارك، توفي سنة 631 هـ: شجرة النور الزكية 1:266.

(4) أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الشهير بحلولو، الطرابلسي، له شرحان على المختصر، كان حيا سنة 837 هـ: الفكر السامي 4:301.

(5) أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي، فقيه حافظ، له شرح على الرسالة مطبوع وشرح على المدونة، توفي سنة 837 هـ: شجرة النور الزكية 1:350. الفكر السامي 4:301.

العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن عتاب التونسي، وأخذ الرصاع أيضا عن الثعالبي عن نادرة الدنيا في الحفظ والاتساع أبي القاسم عبد العزيز بن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي الفاسي، والجميع ما عدا العبدوسي، أخذوه عن إمام المذهب وأستاذ التحقيق أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي، وزاد البرزلي عن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن حيدرة التونسي. وأما أبو القاسم العبدوسي فأخذه عن أبيه أبي عمران موسى بن محمد العبدوسي بسنده المتقدم، وأخذه الإمام ابن عرفة والقاضي ابن حيدرة عن جماعة منهم قاضي الجماعة وشيخ الفتيا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري[1] التونسي شارح ابن الحاجب، والإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن هارون التونسي[2] شارح ابن الحاجب ومختصر المتيطية، وهما أخذاه عن جماعة منهم العلامة الإمام المعمر أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي ثم التونسي، وهو أخذه عن الحافظ أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي، وهو أخذه عن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي، وهو أخذه عن شيخ الفقهاء أبي عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع. أما الحافظ أبو العباس الونشريسي فأخذه عن جماعة أعلام أجلهم شيخ الإسلام ومفتيه المجتهد أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني[3] وتلميذه ولده أبو سالم إبراهيم بن قاسم، والعلامة أبو عبد الله محمد بن العباس العبادي التلمساني، وأخذه ابن العباس عن أبي الفضل قاسم المذكور، وعن إمام المغرب وقطبه الحافظ المطلق أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني، وهما أخذاه عن الإمام الكبير المجتهد والد الأول أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني، وزاد الحفيد عن أبيه وعن العلامة المحقق أبي محمد عبد الله بن محمد الشريف التلمساني، وعن الإمام ابن عرفة بسنده المتقدم. أما الإمام سعيد العقباني وابن عرفة أيضا فأخذاه عن خزانة المذهب العلامة أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي، وزاد العقباني عن العالمين الراسخين، والعلمين الشامخين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني إمام التلمسانيين، وهما أخذاه عن جماعة منهم: الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني،

---

(1) محمد بن عبد السلام الهواري، الفقيه القاضي، له شرح على مختصر ابن الحاجب في الفقه، توفي سنة 750 هـ: شرف الطالب، ص: 81.: شجرة النور الزكية 1:301.

(2) أبو عبد الله محمد بن هارون التونسي، فقيه مفتي، توفي سنة 750 هـ: شرف الطالب، ص: 81.

(3) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، الإمام المفتي، توفي سنة 853 هـ: وفيات الونشريسي، ص: 144.

عرف بالطنجي، وهو والحافظ السطي عن شيخ الإسلام أبي الحسن الصغير بسنده. وأما والد الحفيد أحمد بن محمد بن أحمد ابن مرزوق فأخذه عن والده الإمام الجليل ابن مرزوق الخطيب، وهو أخذه عن الحافظ السطي[1] بسنده، وعن العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن راشد البكري القفصي[2] شارح ابن الحاجب، وهو عن العلامة الجهبذ واحد الدهر أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي مؤلف الذخيرة وغيرها، وعن القاضي ناصر الدين الأبياري، وعن العلامة النظار المتبحر في المعارف أبي العباس ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن المنير الإسكندري[3]، وثلاثتهم أخذوه عن إمام التحقيق وفارس الإتقان أبي عمرو جمال الدين عثمان بن أبي بكر ابن الحاجب، وهو أخذه عن العلم الراسخ شمس الدين علي بن إسماعيل المشهور بأبي الحسن الأبياري بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها مثناة تحتية، وهو أخذه عن إمام عصره المرجوع إليه في الفتوى أبي الطاهر إسماعيل ابن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري من ذرية سيدنا عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، وهو أخذه عن الإمام الكبير أبي بكر الطرطوشي. وأما العلامة عبد الله الشريف التلمساني فأخذه عن والده الإمام محقق النظار المجتهد أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني، وهو أخذه عن ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى، وعن الحافظ السطي بسندهم المتقدم، وعن العلامة أبي عبد الله البروني، وهو عن أبي الحسن الصغير بسنده. وأما أبو الحسن الزقاق والفاسي فأخذه عن القوري، وقد تقدم سنده، وعن الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري الغرناطي المعروف بالمواق[4]، وهو أخذه عن جماعة منهم: الإمام قاضي الجماعة بغرناطة وحامل لواء الفقه بها أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الغرناطي، وهو أخذه عن شيخ الشيوخ وإمام الفتوى أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي، وهو أخذه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد الأشعري المالقي المعروف بابن بكر، وهو أخذه عن الحافظ

---

(1) محمد بن سليمان السطي، شيخ الفتيا بالمغرب، إمام حافظ، توفي سنة 750 هـ: وفيات الونشريس، ص: 117. شجرة النور الزكية 1:319.

(2) محمد بن راشد البكري القفصي، فقيه مشارك، له شرح لمختصر ابن الحاجب والفائق في الأحكام والوثائق، توفي سنة 736 هـ: شرف الطالب، ص: 78.

(3) أبو العباس احمد بن محمد بن منصور الإسكندري، ابن المنير، فقيه مفسر، له ديوان خطب، توفي سنة 683 هـ: شجرة النور الزكية 1:269.

(4) أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري، المواق الغرناطي، له شرح على المختصر، توفي سنة 897 هـ: شجرة النور الزكية 1:378. الفكر السامي 4:311.

الكبير أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، وهو أخذه عن جماعة منهم: القاضي الجليل أبو عبد الله محمد ابن غازي الأنصار السبتي، والقاضي أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل بن واحب السكري، وهو أخذه عن أبيه أحمد بن خليل، وهو والقاضي ابن غازي أخذاه عن إمام الشورى وشيخ القضاء والفتيا أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي مؤلف التنبيهات وغيرها، وهو أخذه عن شيوخ المذهب وحفاظه وضابطي معانيه وألفاظه القاضي الكبير أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي وعليه عمدته، وقاضي الجماعة بقرطبة وشيخ الفتوى بها أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي مؤلف البيان والتحصيل والمقدمات وغيرها. والإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج القرطبي صاحب النوازل وغيرها. وشيخ الحفظ والإتقان القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي مؤلف القبس وغيره، والإمام الواسع المتبحر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي، وبالإجازة عن آخر المجتهدين أبي عبد الله محمد بن علي المازري التميمي مؤلف شرح التلقين الذي ليس للمالكية مثله. وأما الحافظ التنسي فأخذه عن جماعة منهم الحافظ أبو الفضل ابن مرزوق الحفيد، وهو أخذه عمن تقدم ومن جملتهم العلامة عبد الله بن محمد الشريف التلمساني، وهو أخذه عمن تقدم وعن الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن قاسم المعروف بالقباب[1]، وهو أخذه عن قاضي الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي[2] صاحب الوثائق، وهو أخذه عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي، وهو أخذه عن أبي عمر عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان بن حوط الله القرطبي، وهو أخذه عن أبيه أبي محمد عبد الله بن سليمان، وهو أخذه عن الإمام الجليل أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد مؤلف بداية المجتهد ونهاية المقتصد وغيره، وعن الحافظ المبرز أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون[3] مؤلف الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار وغيره. فالأول وهو الحفيد أخذه عن أبيه عن جَدِّه وعن الإمام النظار المجتهد المديد الباع في تحقيق النظر أبي عبد الله محمد بن علي التميمي

---

(1) أبو العباس أحمد القباب، فقيه مشارك، له شرح على قواعد عياض، وشرح على بيوع ابن جماعة التونسي، توفي سنة 79 هـ: شرف الطالب، ص: 85.: وفيات الونشريسي، ص: 128.

(2) محمد بن محمد بن احمد بن عبد الملك الفشتالي، قاضي الجماعة بفاس، توفي سنة 777 هـ: وفيات الونشريسي، ص: 127.

(3) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون الأندلسي، من تلامذة القاضي عياض، له كتاب الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار، توفي بإشبيلية سنة 586 هـ: شرف الطالب، ص: 66.

المازري مؤلف شرح التلقين وغيره. والثاني وهو ابن زرقون أخذه عن القاضي أبي الفضل عياض.

جامعة مشارق أنوارها لامعة:

قد انتهت الطرق إلى أعلام الطبقة وشيوخ الفتيا وأئمة الشورى، الإمام المازري وأبي الوليد ابن رشد وابن الحاج وأبي بكر الطرطوشي وابن العربي وأبي محمد بن عتاب والقاضي ابن عيسى التميمي. أما الإمام المازري فأخذه عن الإمام المتفنّن رأس الفتيا بإفريقية أبي الحسن علي بن محمد اللخمي مؤلف التبصرة، والمحقق النظار أبي محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ مكمل تعليقة التونسي، وهما أخذاه عن الإمام المرجوع إليه أبي إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي مؤلف التعلقة على المدونة، والعلامة النظار أبي القاسم بن محرز القيرواني مؤلف التبصرة، وهما أخذاه عن الإمامين الكبيرين والعالمين الجليلين أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي، وهما أخذاه عن شيخي المذهب وموشيي طرازه المذّهب، وحليّ الدنيا من سائر الأقطار أبي محمد عبد الله بن أبي زيد مؤلف الرسالة والنوادر والمختصر وغيرهما، وأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي[1]، وزاد أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي الجوهري المصري. وزاد أبو عمران الفاسي عن أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالوشا المصري، وهذا؛ أعني الوشا والجوهري أخذاه عن رأس المالكية في عصره بمصر أبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي[2]، بقاف مضمومة وراء ساكنة وطاء مهملة بعدها ياء النسبة، المصري مؤلف الزاهي ومختصر ما ليس في المختصر، وهو أخذه عن الفقيه الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن عيسى بن صدقة الصدفي المصري المعروف بالزيات[3]، وهو أخذه عن رابع المحمدين وكبير الفقهاء الراسخين، أفقه أهل عصره بمصر أبي عبد الله محمد بن عبد

---

[1] أبو الحسن علي بن خلف القابسي، فقيه متكلم، له تصانيف منها الممهد في الفقه وكتاب المعلمين وكتاب الذكر والدعاء، توفي سنة 403 هـ: شجرة النور الزكية 1:145.

[2] محمد بن القاسم بن شعبان المصري، ابن القرطبي، فقيه حافظ، له كتاب الزاهي في الفقه وغيره، توفي سنة 355 هـ: شجرة النور الزكية 1:120.

[3] أبو بكر أحمد بن موسى بن صدقة المصري، ابن الزيات، الفقيه الإمام، توفي بمصر سنة 306 هـ: شجرة النور الزكية 1:120.

الله بن عبد الحكم[1]، وهو أخذه عن أبيه وعن ابن القاسم وأشهب وابن وهب. وأما الشيخان والراسخان والجبلان الشامخان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسي فأخذاه عن الحافظ أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي، وعن عالم إفريقية القائم على مذهب مالك أبي العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الإبياني، بكسر الهمزة والموحدة المشددة المكسورة بعدها مثناة تحتية، وزاد ابن أبي زيد عن الحافظ المبرز الجليل القدر أبي بكر محمد بن اللباد القيرواني، وعليه عمدته، وعن العالم الثقة أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي. أما أبو ميمونة دراس فأخذه عن جماعة منهم الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي مطر، وهو أخذه عن محقق المذهب ومنقح مسائله والمعول على قوله في عصره أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن المواز مؤلف المختصر المعروف بالموازية، وهو أخذه عن محمد بن عبد الحكم وابن الماجشون وأصبغ والحارث بن مسكين والأخيران أخذاه عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب. وأما الثلاثة أبو العباس الأبياني وأبو بكر بن اللباد وأبو العرب التميمي فأخذوه عن الإمام الحافظ المجاب الدعوة أبي زكريا يحيى بن عمر الأندلسي القيرواني مؤلف اختصار المستخرجة، وعن الحافظ المقدم أبي جعفر أحمد بن أبي سليمان المعروف بابن الصواف، وعن العالم الورع أحمد بن محمد الأشعري المعروف بحمديس القطان، وثلاثتهم أخذوه عن إمام العلم والعمل أبي سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني مؤلف المدونة وتسمى أيضا المختلطة، وهو أخذه عن علي بن زياد التونسي وابن أشرص وابن غانم وابن القاسم وأشهب وابن وهب وعبد الله بن الحكم وعبد الملك بن الماجشون. وأما زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب؛ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، والحافظ المشاور أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج فأخذاه عن جماعة منهم شيخ الشورى أبو جعفر أحمد بن محمد بن رزق القرطبي، وعليه معولهما، وعن شيخ الفقهاء القوال بالحق أبي عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي مؤلف كتاب الشروط وكتاب الأحكام، وهما أخذاه عن أحفظ الناس للمدونة والمستخرجة إمام المذهب وشيخه أبي عمر أحمد بن محمد بن عيسى المعروف بابن القطان القرطبي، وهو أخذه عن الإمام الجليل أبي محمد عبد الله بن يحيى بن دحون

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم، العالم المبرز، له عدة تآليف، منها: كتاب الشروط والوثائق وكتاب أحكام القرآن، توفي سنة 268 هـ: شجرة النور الزكية 1: 101.

القرطبي وعن شيخ المفتين أبي محمد عبد الله بن سعيد المعروف بـابن الـشقاق القرطبي، وهما أخذاه عن أحفظ الناس لأقوال مالك وأصحابه أبي عمر أحمد بـن عمر بن عبد الملك المعروف بابن المكي القرطبي مؤلف كتـاب الاسـتيعاب في المذهب، وهو أخذه عن أفقه أهل زمانه أبي بكر محمد بن أحمد المعروف باللؤلؤي القرطبي، وعن صدر الفتيا أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة القرطبي مؤلف كتاب النصائح، فالأول، وهو اللؤلؤي، أخذه عن الحافظ أبي صالح أيـوب بـن سليمان المعافري القرطبي[1]، والثاني وهو إبراهيم أخذه عن أفقه الناس وأعـرفهم باختلاف أصحاب مالك أبي عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القـرطبي[2]، وعـن الحافظ الخبير بمسائل المذهب أبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي[3]، والثلاثة، أبو صالح وابن لبابة وابن أيمن، أخذوه عن الحافظ الكبير أبي عبـد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي نسبة إلى عتبة بن أبي سـفيان ولاء، ويقـال ولادة، القرطبي مؤلف العتبية، ويقال لها المستخرجة أيضاً، وعن الحـافظ معلـم الأندلس أبي عبد الله محمد بن وضاح القرطبي[4]، وعن فقه الشورى الحـافظ أبي زكرياء يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي[5] مؤلف المستقصية وغيرها، وعن الفقيه النظار أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج، وبه يعـرف القـرطبي، والأربعة، أعني العتبي وابن وضاح وابن مزين وابن مطروح، أخذوه عـن كـبير الأندلس ورئيسها أبي محمد يحيى بن يحيى الليثي القرطبي، وعن أفقه الطبقة الإمام الحجة النظار أبي عبد الله أصبغ بن الفرج المصري، وزاد الثلاثة سوى ابن مـزين عن الإمام سحنون، وزاد ابن مطروح وابن مزين عن فقيه الأندلس والمقدم للفتيا أبي محمد عيسى بن دينار القرطبي[6] صاحب الأسمعة، وهو وسحنون وأصبغ ويحيى

---

[1] أيوب بن سليمان بن صالح بن هشيم المعافري، أبو صالح القرطبي، فقيه حافظ، توفى سـنة301 هـــ: الديباج المذهب 1: 91.

[2] أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القرطبي، الفقيه الإمام، توفي سنة 314 هـ: شجرة النـور الزكيـة 1: 129.

[3] أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي، الإمام الفقيه، صنف كتابا علـى سـنن أبـي داوود، توفي سنة 330 هـ: شجرة النور الزكية 1: 132.

[4] أبو عبد الله محمد بن وضاح بن يزيد القرطبي، فقيه محدث، له تآليف كثيرة منها رسالة السنة وكتـاب الصلاة وغيرهما، توفي سنة 286 هـ: شجرة النور الزكية 1: 114.

[5] أبو زكريا يحيى بن زكريا بن مزين القرطبي، العالم الحافظ، له تفسير الموطأ والمستقصية وغير ذلـك، توفي سنة 255 هـ: شجرة النور الزكية 1: 112.

[6] عيسى بن دينار، فقيه مشارك، تولى الفتيا بقرطبة، حج حجات، وولي قضاء طليطلة للحكم والـشوري بقرطبة، توفي سنة 212 هـ: الديباج المذهب 1: 179.

عن ابن القاسم، وزاد ابن وضاح عن ثقة الثقات القاضي أبي عمرو الحارث بـــن مسكين المصري، وعن الفقيه الزاهد أبي مروان عبد الملك بن الحسن المعـــروف بزونان، وعن عالم الأندلس وحافظها أبي مروان عبد الملك بن حبيـــب مؤلـــف الواضحة وغيرها، والأولان: ابن مسكين وزونان أخذاه عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب، والثالث وهو ابن حبيب أخذه عن أصبغ بن الفرج وعن الغازي بن قيس، وعن زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون، وعن مطرف وابن الماجشون وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم. وأما شيخ الشيوخ أبو بكر محمد بـــن الوليد الطرطوشي فأخذه عن الإمام النظار الحافظ أبي الوليد سليمان بن خلـــف الباجي الأندلسي مؤلف المنتقى وغيره، وهو أخذه من طريق الأندلسيين عن حافظ المدونة والمستخرجة أبي الأصبغ عيسى بن سهل القرطبي مؤلف الأعلام بنـــوازل الأحكام، ومن طريق القرويين عن الحافظ أبي محمد علي بن أبي طالب القيـــسي القيرواني القرطبي، ومن طريق العراقيين عن إمام المذهب بالمشرق في عـــصره أبي الفضل محمد بن عبد الله بن عبدوس البغدادي. أما ابن سهل فأخذه عن أبي عمر بن القطان بسنده، وعن شيخ المفتين ومعتمدهم أبي عبد الله محمد بـــن عتـــاب القرطبي ولازمه واختص به، وعن الفقيه الأنبل أبي بكر يحيى بن محمد بن حسين الغساني المعروف بالقليعي[1]. أما ابن عتاب فأخذه عن جماعة منهم القاضي أبـــو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن بشير المعروف بابن الحصار[2] ولازمه واختص به وكان يفخر به، وعن كبير المفتين أبي بكر عبد الرحمن بن أحمد التجيبي المعروف بابن حويبل، فالأول، وهو ابن بشير أخذه عن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان[3]، وهو أخذه عن الإمام المشاور أبي محمد قاسم بـــن أصـــبغ البياني القرطبي[4]، وهو أخذه عن محمد بن وضاح بسنده، والثاني، وهو ابن حويبل

---

[1] أبو زكريا يحيى بن محمد بن حسين الغساني المعروف بالقليعي، الفقيه العامل، توفي ســنة 442 هـــ: شجرة النور الزكية 1:170.

[2] أبو المطرف عبد الرحمن بن احمد، ابن الحصار، الفقيه الإمام، توفي سنة 422 هـــ: شـجرة النـــور الزكية 1:167.

[3] أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان، الفقيه الإمام، توفي سنة 403 هـ: شجرة النور الزكية 1:153.

[4] أبو محمد قاسم بن اصبغ البياني القرطبي، الفقيه المحدث، له مؤلفات عدة، منها المجبى وأحكام القرآن، توفي سنة 340 هـ: شجرة النور الزكية 1:133.

أخذه عن شيخ الشورى والفتيا أبي عبد الله محمد بن حارث الخشني[1] مؤلف كتاب الاتفاق والاختلاف في المذهب، وهو أخذه عن شيوخ المذهب وحفاظه يحيى بن عمر، ومحمد بن سحنون، ومحمد بن عبدوس، وجميعهم أخذوه عن سحنون.

وأما القليعي فأخذه عن كبير المحدثين والفقهاء أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي زمنين[2]، بفتح الزاي والميم وكسر النون، البيري مؤلف كتاب المنتخب في الأحكام، وهو أخذه عن أبي إبراهيم بن مسرة بسنده. وأما أبو محمد مكي فأخذه عن شيخي المذهب أبي محمد بن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي بسندهما. وأما أبو الفضل بن عمروس فأخذه عن قاضي المذهب ومحكمي أحكامه العالم النظار أبي الحسن علي بن أحمد البغدادي المعروف بابن القصار[3] مؤلف عيون الأدلة في الانتصار للمذهب، وليس في معناه مثله، والعلامة القائم بالحجة للمذهب أبي محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي[4] مؤلف التلقين والمعونة والممهد وغيرها. وهو أخذه عن الأول، وعن الحافظ النبيه أبي القاسم عبيد الله بن الجلاب البغدادي[5] مؤلف التفريع، وهو وابن القصار وكذا عبد الوهاب أخذوه عمن انتهت إليه الرياسة في المذهب وتحقيق مداركه الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري[6] مؤلف الشرح لمختصر ابن عبد الحكم، وهو أخذه عن القاضي أبي الفرج محمد بن عمر الليثي البغدادي مؤلف الحاوي، وعن قاضي القضاة أبي عمر محمد بن يوسف من آل حداد، وعن الفقيه الكبير أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد

---

(1) أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني الأندلسي، الإمام الحافظ، له عدة تآليف منها كتاب الاتفاق والاختلاف في المذهب، وكتاب طبقات علماء إفريقية وغيرهما، توفي بقرطبة سنة 310 هـ: شجرة النور الزكية 1:141.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري القرطبي، الفقيه الحافظ، له تآليف منها تفسير القرآن العظيم والمنتخب في الأحكام وكتاب المه1ي وغير نلك، توفي سنة 399 هـ: شجرة النور الزكية 1:150.

(3) علي بن احمد البغدادي المعروف بابن القصار، الأبهري الشيرازي، الإمام الأصولي الحافظ، توفي سنة 398 هـ: شجرة النور الزكية 1:138.

(4) أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي، الفقيه الحافظ الحجة، ألف تآليف مفيدة منها: النصرة لمذهب مالك، والمعونة بمذهب عالم المدينة، والممهد في شرح مختصر ابن أبي زيد، والتلقين وشرحه، توفي سنة 421 هـ: شجرة النور الزكية 1:155.

(5) أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب، من أهل العراق، فقيه حفظ، له كتاب في مسائل الخلاف وكتاب التفريع في المذهب، تفي سنة 378 هـ: شجرة النور الزكية 1:137.

(6) أبو بكر محمد بن عبد الله البهري، الفقيه المقرئ، له تصانيف منها شرح المختصر لابن عبد الحكم وكتاب الأصول وغيرهما، توفي سنة 395 هـ: شجرة النور الزكية 1:136.

بن الجهم، ويعرف بابن الوراق، والمروزي مؤلف كتاب: مسائل الخلاف والحجة لمذهب مالك وشرح المختصر الصغير لابن عبد الحكم، وهو وأبو الفرج وأبو عمر أخذوه عن أستاذ المذهب والإقراء شيخ المالكية في وقته القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن حماد البصري، وهو أخذه عن نادرة الدنيا والمثل السائر في الذكاء أبي الفضل أحمد بن المعذل العبدي البصري، وهو أخذه عن أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ومحمد بن سلمة. وأما الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي فأخذه عن أبي بكر الطرطوشي بسنده، وعن أبيه عبد الله ابن العربي، وهو أخذه عن أبي عبد الله بن عتاب بسنده. وأما الإمام الصدر المشاور رحلة الدنيا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب فأخذه عن أبيه بسنده. وأما القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي فأخذه عن أبي محمد عبد الله ابن حمو بن عمر اللواتي المعروف بالمسيلي، والعلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز، واختص بهما وعليهما عمدته، وعن الحافظ أبي علي الحسين ابن محمد بن أحمد الغساني الجياني القرطبي. أما المسيلي فأخذه عن رأس فقهاء سبتة أبي إسحاق إبراهيم بن يربوع القيسي السبتي، وعن الحافظ النظار أبي محمد عبد الله بن غالب الهمداني السبتي، وهذا أخذه عن ابن أبي زيد أخذ عنه جميع كتبه بسنده، فالأول وهو ابن يربوع أخذه عن أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بالباجي، وهو أخذه عن ابن لبابة وابن أيمن بسندهما. وأما أبو عبد الله بن العجوز فأخذه عن أبيه الفقيه المشهور أبي محمد عبد الرحمن، وهو أخذه عن أبي إسحاق التونسي بسنده، وعن أبيه شيخ الفتيا أبي عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز الكتامي السبتي، وهو أخذه عن ابن أبي زيد ولازمه واختص به بسنده. وأما أبو علي الجياني فأخذه عن شيخ الأندلس ومسندها وأحفظ الناس بها لسنة مأثورة أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر مؤلف الكافي والاستذكار والتمهيد وغيرها، وهو أخذه عن أبي عمر بن المنكدر بسنده، وعن الحافظ القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي القرطبي، وهو أخذه عن جماعة أعلام منهم: الفقيه المشاور أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الفخار البيري وعن أبي الحسن مجاهد بن أصبغ الأندلسي البجاني بموحدة الجيم مشددة. أما الأول وهو ابن

الفخار فأخذه عن الحافظ الكبير أبي سلمة فضل بن سلمة[1] مؤلف مختصر الواضحة وغيره، وهو أخذه عن جماعة منهم الثقة العدل البارع في الفقه القاضي أبو القاسم حماس بن مروان الهمداني القيرواني، وهو أخذه عن محمد بن عبدوس، وهو عن سحنون، وأخذه حماس أيضا عن سحنون وعن محمد بن عبد الحكم. وأما الثاني وهو مجاهد بن أصبغ فأخذه عن الحافظ المشهور أبي عثمان سعيد بن مجلون البجاني[2]، وهو أخذه عن الحافظ النبيل يوسف بن يحيى المغامي الدوسي[3] من ذرية أبي هريرة، رضي الله عنه، وعن الإمام الجليل أبي بكر أحمد بن ميسر بفتح السين المهملة، فالمغامي أخذه عن يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وابن مزين وغيرهم بسندهم، وإن ميسر أخذه عن محمد بن المواز بسنده.

جامعة كبرى ولامعة دوافق أسرارها تترى:

قد ارتقت الأسانيد المتان وانتهت سلاسلها البديعة الإتقان إلى مشاهير أصحاب الإمام وأعلام أئمة الإسلام، مدوني طريقته الغراء، ومنتهجي محجته الزهراء، من المدنيين؛ الإمام الثقة أحد من دارت عليه الفتيا، المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي[4] والفقيه الثقة إمام الفتيا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن دينار الجهني[5] مولاهم، والثقة الجامع بين العلم والورع أفقه الفقهاء بالمدينة أبو هشام محمد بن سلمة ابن هشام[6]، والثقة المقدم أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري[7]، والفقيه بن الفقيه من دارت عليه الفتيا في وقته أبو

---

(1) فضل بن سلمة بن جرير الجهني البجاني، الحافظ، ألف مختصر المدونة واختصر الواضحة، مات سنة 319 هـ: شجرة النور الزكية 1:123.

(2) أبو عثمان سعيد بن مجلون الأموي، محدث الأندلس، توفي سنة 346 هـ: شجرة النور الزكية 1:133.

(3) يوسف بن يحيى المغامي القرطبي، الفقيه الإمام، له رحلة على المشرق،من تآليفه كتاب في فضائل مالك، مات بالقيروان سنة 288 هـ: شجرة النور الزكية 1:144.

(4) المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، الإمام الفقيه، أحد من دارت عليه الفتوى بعد وفاة مالك بالمدينة، توفي سنة 188 هـ: شجرة النور الزكية 1:84.

(5) أبو عبد الله محمد بن دينار الجهني، الفقيه الإمام، مفتي المدينة، توفي سنة 271 هـ: شجرة النور الزكية 1:86.

(6) محمد بن سلمة بن هشام، الجامع الثقة، أخذ عن مالك وغيره، توفي سنة 206 هـ: شجرة النور الزكية 1:85.

(7) أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف المدني، الإمام الثقة، توفي سنة 220 هـ: شجرة النور الزكية 1:86.

مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون[1]، والثقة الثبت أحد أئمة الفتوى أبو محمد عبد الله بن نافع[2] مولى بني مخزوم. ومن المصريين أثبت النـاس في الإمـام وأعلمهم بأقواله، صحيح الرواية والدراية، أبو عبد الله عبد الرحمن بـن القاسـم العُتقي[3]، وأفقه الناس الإمام أبو عمرو أشهب مسكين ابن عبد العزيز القيسي[4]، والإمام الجامع بين الفقه والحديث أثبت الناس في الإمام أبو محمد عبـد الله بـن وهب بن مسلم القرشي[5] مولاهم، والعلامة الصالح الثقة المحقق أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم[6].

ومن الإفريقيين الثقة المأمون،الخيار البارع في الفقه، أبو الحسن علي بن زياد التونسي[7]. والحافظ الثقة أبو محمد عبد الرحيم بن أشرص الأنصاري. ويقال اسمه عبد الرحمن. والإمام المجتهد المجاب الدعوة أحد أوتاد المغرب البهلول بن راشـد القيرواني[8]. ومن الأندلسيين إمام الناس بقرطبة وأول من أدخل الموطأ للأندلس أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي[9] القائل: والله ما كذبت منذ اغتـسلت. وفقيه الأندلس وأول من دخلها متقنا أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن المعـروف

---

(1) عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون القرشي، مفتي المدينة، تفقه بمالك وبغيره، توفي سنة 212 هـ: شجرة النور الزكية 1:84.

(2) عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، الفقيه الثقة، توفي سنة 216 هـ: شجرة النور الزكية 1:84.

(3) أبو عبد الله عبد ارحمن العتقي المصري، فقيه حافظ، صحب الإمام مالك وتفقه به، توفي سنة 191 هـ: شجرة النور الزكية 1:88.

(4) أبو عمر أشهب بن عبد العزيز القيسي المصري، الفقيه العالم، توفي بمصر سنة 204 هـ: شجرة النور الزكية 1:89.

(5) أبو محمد عبد الله بن وهب بن ملم القرشي، الإمام الجامع، له تآليف كثيرة، توفي سنة 197 هـ: شجرة النور الزكية 1:89.

(6) أبو محمد عبد الله بن الحكم، الفقيه الحافظ، له تآليف منها المختصر الكبير والأوسط والصغير، توفي سنة 214 هـ: شجرة النور الزكية 1:90.

(7) أبو الحسن علي بن زياد التونسي، الحافظ الثقة، أول ما أدخل الموطأ إلى المغرب، توفي سنة 183 هـ: شجرة النور الزكية 1:91.

(8) أبو عمران البهلول بن راشد القيرواني، الإمام الكبير، سمع مالك والثوري وسواهما، توفي سنة 183 هـ: شجرة النور الزكية 1:92.

(9) أبو محمد الغازي بن قيس الأموي، فقيه محدث، سمع الموطأ من مالك، توفي سنة 199 هـ: شجرة النور الزكية 1:95.

بشبطون[1] من ولد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه. والإمام الحجة رئيس الأندلس وكبيرها أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي[2].

وجميعهم قدس الله أرواحهم، وأجزل من وافر عطاياه أبراحهم، أخذوه عن إمام دار الهجرة، المعني بحديث عالم المدينة، عند من أظهر من كنوز خباياه سره، أبي عبد الله مالك بن أنس، رضي الله عنه، وهو أخذه عن أوتاد الدين وجهابذة الإتباع المهتدين، من ضربت إليهم من أرجاء البسيطة آباط المطايا، وتسامت إلى أوج الكمال بلقيهم المزايا، منهم إمام السنة الحافظ المجمع على جلالته أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي[3]، والإمام الحجة أحد من دارت عليه الفتيا بالمدينة أبو عثمان ربيعة بن أسد عبد الرحمن فروخ[4] مولى ربيعة بن عبد الله بن الهديد التميمي القرشي، والإمام المقدم أبو يحيى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري[5]، وأبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي نصر الليثي من أنفسهم، والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب[6] مولى الخرقة، والخرقة فخذ من جهينة، وأبو عبيدة حميد الطويل بن أبي حميد[7] مولى طلحة الطلحات، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الثقفي[8]، وأبو عثمان عمرو بن أبي عمرو ميسرة[9] مولى المطلب ابن عبد الله بن حنطب المخزومي. وهؤلاء أخذوا عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون، الإمام الحافظ،، توفي سنة 193 هـ: شجرة النور الزكية 1:94.

(2) يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، من علماء الأندلس وفقهائها الكبار، توفي سنة 233 هـ: شرف الطالب، ص: 42. شجرة النور الزكية 1:95.

(3) أبو بكر محمد بن مسلم الزهري القرشي، أحد أعلام الفقهاء بالمدينة،مات سنة 125 هـ: شجرة النور الزكية 1:70.

(4) أبو عثمان ربيعة بن عبد الرحمن فروخ، مفتي المدينة، أدرك جماعة من الصحابة واخذ عنهم، توفي سنة 136 هـ: شجرة النور الزكية 1:70.

(5) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري المدني، أخذ عن مالك بن انس، توفي سنة 132 هـ: شجرة النور الزكية 1:70.

(6) العلاء بن عبد ارحمن بن يعقوب المخزومي المدني، الفقيه الثقة، روى عن ابن عمر وانس وغيرهما، مات بعد بضع وثلاثين ومائة: شجرة النور الزكية 1:70.

(7) وأبو عبيدة حميد الطويل بن أبي حميد البصري، روى عن أنس، مات سنة 142 هـ: شجرة النور الزكية 1:70.

(8) وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الثقفي، روى عن أنس بن مالك: شجرة النور الزكية 1:71.

(9) أبو عثمان عمرو بن أبي عمرو ميسرة، روى عن انس، مات بعد الخمسبن ومائة: شجرة النور الزكية 1:71.

ومنهم الإمام أبو الزبير المكي محمد بن مسلم ابن تَدْرُس[1] مولى حكيم بن حزام وأبو عبد الله، وقيل أبو بكر محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التميمي القرشي، وأبو أسامة زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، وأبو نعيم وهب بن كيسان مولى عبد الله بن الزبير بن العوام، وهؤلاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري، رضي الله عنهما، وزاد وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه. ومنهم الإمام الحافظ الثبت الثقة أبو عبد الله نافع، والحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار موليا عبد الله بن عمر، وهما عن سيدهما ومولاهما أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وزاد نافع عن أبي سعيد الخدري وأبي لبابة رضي الله عنهما.

ومنهم الإمام أبو حازم سلمة بن دينار الحكيم مولى لبني ليث، وهو عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، وكذا عنه ابن شهاب الزهري أيضا. ومنهم الحافظ أبو سعيد المقبري سعيد بن أبي سعيد، واسمه كيسان مولى لبني جندع، وهو عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه. ومنهم نُعيم بن عبد الله المجمر[2]، وهو عن البحر الزاخر أبي هريرة عبد الرحمن ابن صخر الدوسي رضي الله عنه.

واقتصرنا على هؤلاء الأعلام من مشايخ الإمام لكونهم المروي لهم الثنائيات في الموطأ، والجملة المعربة من الصحابة المدركون عين صواب الإصابة تلقوه عن سيد الكونين وجمال الثقلين أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وهو عن الروح الأمين، عن رب العالمين جل جلاله وتقدس كماله، انتهى من خط جامعها وصاحب سلسلتها العالم الجليل السيد النبيل سيدي عيسى بن محمد الثعالبي نفعنا الله به آمين يا رب العالمين، وقيدها بالمسجد الحرام في أواسط ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وسبعين وألف، أسمع الله لنا فيه عن سائر تعلقاتنا وأحبابنا خيرا بمنه ويمنه آمين آمين آمين.

هذه وجادات وجدها بخط شيخنا أبي مهدي وقيدها عنا لتكثير الفائدة: الحمد لله الخزرجية: يرويها المقري عن عمه سعيد ابن أحمد بن جلال عن سعيد

---

[1] أبو الزبير المكي محمد بن مسلم ابن تدرس، روى عن جابر بن عبد الله وغيره، مات سنة 168 أو 128 هـ: شجرة النور الزكية 1:71.

[2] نُعيم بن عبد الله المجمر المدني، مولى آل عمر رضي الله عنهم:: شجرة النور الزكية 1:71.

الكفيف عن الشيخ السنوسي عن أبي الحسن القلصادي عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زاغو، بإجازته من شمس الدين محمد بن محمد بن القماح الخزرجي بسماعه لها من بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني[1] بثغر الإسكندرية، بسماعه لها من أبي محمد محي الدين عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بالقروي، بإجازته من ناظمها أبي محمد عبد الله الخزرجي.

البادسية: يرويها الحفيد ابن مرزوق، عن ابن قنفذ، عن ناظمها حسن بن أبي القاسم بن باديس[2] القسنطيني ولد سنة 701، يروي عن ناصر الدين المشدالي[3] والقاضي ابن عبد الرفيع وآخر عن الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي القدسي، وله نظم القصيدة توفي سنة 787. ولد شيخنا الأجهوري بمصر سنة خمس وسبعين وتسعمائة، وتوفي سنة ست وستين وألف، أخذ عن محمد بن أحمد الرملي وعن ابن أبي بكر نور الدين القرافي الشافعي، والبرهان إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، وشمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الفيشي المالكي، ومحمد البنوفري، وقاضي المالكية بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، والمسند الكبير عمر سراج الدين الجاني الحنفي، والمسند بدر الدين حسن الكرخي الحنفي، وصالح البلغيثي، وأحمد بن قاسم العبادي، وتفقه بالبنوفري والبدر القرافي، وكريم الدين البرموني والشيخ عثمان الغزي أصيب ببصره بسبب غريب، له ثلاثة شروح على المختصر الكبير في اثني عشر مجلدا، والصغير في مجلدين. العلقمي يروي عن الشرف السنباطي عن ابن حجر، وهو والنور القرافي وابن الجاني والكرخي عن السيوطي، ويروي الفيشي، عن أبي حفص عمر العبادي، عن أحمد بن عبد القادر طريف الشاوي، عن أبي الحسن بن أبي المجد عن الحجار. ويروي ابن الجاني أيضا عن الشهاب أحمد بن محمد الحجازي المنصوري، وهو سمع جميع الصحيح عن علي بن أبي المجد عن الحجار، صحب الشيخ الأجهوري بدر الدين القرافي والواعظ محمد بن الترجمان الحنفي، وهما صحبا الشعراني، وهو زكرياء، وهو رضوان الكعبي، وهو ابن

---

(1) بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني الإسكندري، أديب نحوي، له شرح على الخزرجية وجواهر البحور في العروض، توفي سنة 827 هـ قتيلا بالهند: شجرة النور الزكية 1:346.

(2) حسن بن خلف الله بن باديس، القيسي القسنطيني، قاضي قسنطينة، توفي سنة 784 هـ: شرف الطالب، ص: 87.

(3) أبو علي ناصر الدين المشدالي، فقيه مشارك، توفي ببجاية سنة 731 هـ: شرف الطالب، ص: 77.

الجزري، هو ابن حراقة المقدسي الحنبلي، وهو الفخر على بن أحمد المعروف بابن البخاري، وهو أبا علي حنبل بن عبد الله المكبر، وهو أبا القاسم هبة الله بن محمد الشيباني، وهو أبا علي الحسن بن علي المعروف بابن المذهب، وهو أبا بكر أحمد بن جعفر القطيعي، وهو أبا عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل، وهو أباه، وهو سفيان بن عيينة، وهو عمرو بن دينار، وهو ابن عباس، وهو صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة وأيضا صحب أحمد بن حنبل الشافعي، وهو مالكا ومحمد بن الحسن، ومحمد أبا حنيفة، وأبو حنيفة ومالك صحبا جعفر الصادق، وهو أباه محمدا، وهو أباه زين العابدين، وهو أباه الحسين، وهو أباه عليا، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سيدي عبد الكريم الفكون[1] بفتح الفاء وضم الكاف المشددة، أخذ عن والده وعن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي شرح نظم المكودي في التصريف، وشرح شواهد الشريف على الجرومية، والتزم عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد، وشرح جمل المجراد، وشرح مخارج الحروف من الشاطبية وكتاب في حوادث فقراء الوقت. أخذ والده عن جده سيدي عمر الوزان القسنطيني، وأخذ سيدي يحيى عن سيدي طاهر بن زيان الزواوي، عن سيدي زروق عن الثعالبي. وأخذ سيدي طاهر أيضاً عن عبد العزيز بن غانم الصحراوي، عن سيدي عيسى بن أحمد بن يوسف المليتشي عن الثعالبي. وألبس سيدي عبد الكريم الخرقة عن سيدي يحيى عن سيدي طاهر عن سيدي أحمد زروق الصغير، عن والده عن السنوسي عن سيدي إبراهيم شيخنا محمد بن عبد الفتاح الطهطائي، نسبة طهطا قرية بالصعيد، ثم القاهري الأزهري من نظم أبي جعفر الفارقي[2]:

[متقارب]

أجازَ لهم عمرُ الشافعِي ... جميعَ الذي سأل المستجيزْ

ولم يشترطْ غير ما في اسمهِ ... عليهم وذلك شرط وجيزْ

يعني العدل والمعرفة المانعين من الصرف.

---

[1] تقدمت ترجمته.
[2] ورد البيتان في تاج العروس: جوز.

ومن نظم الحلاج[1]:

[مجتث]

عجبـــــتُ منـــــكَ ومــــني أفنيـــــتُ بــــك عــــيني[2]

أدنيتِـــــي منـــــك حــــتى ظننـــــــتُ أنـــــك أني

ولغيره:

[رمل]

إنمـــا أجـــزعُ ممـــا أتقـــي فـــإذا حـــلَّ فمـــا لي والجـــزعْ

وكـــذا أطمـــعُ فيمـــا أبتغـــي فـــإذا فـــاتَ فمـــا لي والطمـــعْ

توفي الشعراني سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

الملخِص للقابسي، ذكر صاحب تثقيف اللسان[3] إنه بكسر الخاء، وكذلك سماه صاحبه، جمع فيه أحاديث الموطأ لأبي عمران موسى بن محمد بن عبـد الله الأندلسي، يرويها ابن الفرات عن العز بن جماعة، أنا أبو عبد الله محمد بـن أبي الحرم مكي السمسار سماعا، أنا الحافظ الرشيد أبو الحسين يحيى بن علي القرشي عرف العطار عن ناظمها إجازة. ولبعضهم:

[بسيط]

أبـــو حنيفـــة زيـــنُ التـــابعينَ روى عن جابرٍ وابن جزءِ والرضا أنَـــسِ

ابـــن ســـيار وحـــديث ووائلـــة وبنت عجرد علم الطيـــبين قـــبس

الحاجب[4]:

[مخلع البسيط]

---

[1] ديوان أبي المغيث الحلاج، ص: 97.

[2] في الديوان: يا منية المتمني.

[3] تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي.

[4] ابن الحاجب؛ الفاضل،عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الإمام العلامة النحوي،ولد سنة 571 هـ. وتوفي سنة 646 هـ: شرف الطالب، ص: 152.

كنـــت إذا مـــا أتيـــتُ عيْـــا   أقـــول بعـــد المـــشيب أرشَـــدْ

فـــصرتُ بعـــد ابيـــضاض شـــيبي   أســـوأ مـــا كنـــتُ وهْـــو أســـودْ

روى ابن حبيب في كتاب الرغائب أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ابتدءوا بلا إله إلا الله قبل كل كلام.

[وافر]

علـــومُ الكيميـــاءِ لـــديَّ أجْلـــى   مـــن الـــشمسِ المُـــنيرةِ للبـــصيرِ

علـــومٌ حقـــةٌ لا شـــك فِيهـــا   بتـــصْعيدٍ وتقطـــيرٍ يـــسيرِ

إذا مـــا رُمـــت تـــصعيدا فـــصَعِّدْ   إلى الـــرحمنِ أنفـــاسَ الـــزفيرِ

وقَطِّـــرْ دمعـــكَ المحـــزون حـــتى   يبينُ لـــك الـــصفاءُ مـــن الـــضميرِ

وقـــلْ يـــا جـــابرا رِفقـــا بعبْـــد   لمـــا أنزلـــتَ مـــن خـــيرٍ فقـــيرِ

ذكر في الإصابة نسطور الرومي، وقال: أحد الكذابين زعم أنه عاش بعد النبي، صلى الله عليه وسلم، ثلاثمائة سنة[1]. ومن حديثه قال: سقط سوط رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك، فترلت ومسحته ودفعته إليه، فقال لي: مد الله في عمرك. وذكر المعمر وقال: شخص اختلق اسمه بعض الكذابين من المغاربة، وذكر سند المصافحة إلى أبي الحسن علي الحطاب التونسي، قال: صافحني الصقلي، قال: صافحني المعمر وكان عمره أربعمائة، قال: صافحني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ودعا لي فقال: عمرك الله يا معمر ثلاث مرات. قال الحافظ: وهذا من جنس رتن قيس بن تميم وأبي الخطاب وثعلبة ونسطور. وقد بسطت ترجمة المعمر في لسان الميزان[2]، وقد استوعبت هؤلاء في كتاب المعمرين، وبالله التوفيق.

وذكر قيس بن تميم الطائي الكيلاني الأشج، من نمط أشج العرب ومن نمط رتن الهندي قرأت في تاريخ اليمن للجندي أنه حدث في سنة 817 عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: خرجت من بلدي

---

(1) الإصابة 1:555.
(2) أنظر: لسان الميزان 6:93.

وكنا أربعمائة وخمسين رجلا، فضللنا عن الطريق، فصال علينا ثلاث صولات، فقتل منا في كل مرة أزيد من مائة، فبقي منا ثلاثة وثمانون، فاستأمنوه، فإذا هو علي بن أبي طالب، فأتى بنا النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو يقسم غنائم بدر، فوهبني لعلي، فلزمته، ثم استأذنته في الذهاب إلى أهلي، فأذن لي، فتوجهت ثم رجعت إليه بعد قتل عثمان بن عفان، فكنت صاحب ركابه، فرمحتني[1] بغلته، فسال الدم، فمسح على رأسي وهو يقول: أمد الله يا أشج في عمرك مدا، ثم رجعت بعده إلى بلدي، ثم ساق أكثر من أربعين حديثا زعم أنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومسند الدارمي المسلسل بالعين: نا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: نا عبد الوارث عن أبيه، واسمه عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان النصف من شعبان فامسكوا عن الصوم[2].

سورة الصف. قال الشيخ سلطان قرأها علينا الشيخ حجازي قال: قرأها علينا الشمس العلقمي، قال: قرأها علينا الجلال السيوطي، قال: قرأها علينا أبو عبد الله الحاكم، قال: قرأها علينا أبو إسحاق التنوخي، قال: قرأها علينا أبو العباس الصالحي، قال: قرأها علينا أبو المنجا بن اللتي. قال ابن الجزري: قرأها علينا أبو الحجاج يوسف الصيرفي قال: قرأها علينا أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد المطعم، قال: قرأها علينا ابن المنجا عبد الله بن عمر اللتي، قال قرأها علينا أبو الوقت عبد الأول، إلخ.

من نظم الحصري:

[وافر]

وقالوا قد عميت قلت كلا   فإني اليوم أبصر من بصير

سواد العين زار سواد قلبي   ليجتمعا على فهم الأمور

---

[1] رمح: رمح الفرس والبغل والحمار وكل ذي حافر، ضرب برجله، وقيل برجليه جميعا: لسان العرب: رمح.

[2] سنن الدارمي 2:29.

قال في الإصابة: جميع من في الاستيعاب ممن ذكر فيه باسم أو كنية أو هما معا ثلاثة آلاف وخمسمائة. وذكر ابن فتحون في ذيله أنه استدرك عليه على شرطه قريبا ممن ذكر، قال: وقرأت من خط الذهبي على ظهر التجريد لعل الجميع ثمانية آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفسا. قال الحافظ: ومع ذلك فلم يحصل لنا جميعا من ذلك الوقوف على العشر بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي قال: توفي النبي، صلى الله عليه وسلم، (وجملة)[1] من رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعا أو رواية، قال ابن فتحون: أجاب أبو زرعة بذلك سؤال من سأله عن الرواة خاصة فكيف بغيرهم.

الحمد لله، ومن خط شيخنا العلامة[2] الثعالبي ما نصه: قال أبو الوليد الأزرقي في تاريخه في صفة الشاذروان، ومن أصله كتبت: ذرع البيت من خارجها في السماء من البلاط المفروش من حولها تسعة وعشرون ذراعا وستة عشر أصبعا[3]، وطول الشاذروان سبعة وعشرون ذراعا، وعدد الحجارة التي حول الكعبة ثمانية وستون حجرا في ثلاثة وجوه، من حدار الركن الغربي إلى الركن اليماني خمسة وعشرون حجرا، منها (حجر طوله ثلاثة أذرع ونصف، وهو عتبة الباب الذي سد في ظهر الكعبة، وبينه وبين الركن اليماني أربعة أذرع، وفي الركن اليماني حجر مدور، وبين الركن اليماني والركن الأسود تسعة عشر حجرا، ومن حد الشاذروان إلى الركن الأسود ثلاثة أذرع ونصف)[4] واثنا عشر إصبعا ليس فيها الشاذروان، ومن الركن الشامي إلى الركن الأسود ثلاثة وعشرون حجرا، ومن حد الشاذروان من هذه الجهة إلى الركن الأسود ذراعان ليس فيهما شاذروان، وهو الملتزم، وطول الشاذروان في السماء ستة عشر إصبعا وعرضه ذراع، هـ.

وقال في باب ذرع الكعبة: طول الكعبة في السماء تسعة وعشرون ذراعا، وذرع طول وجهها من الركن الأسود إلى الركن الشامي خمسة وعشرون ذراعا، وذرع دبرها من اليماني إلى الغربي خمسة وعشرون ذراعا[5]، (وذرع شقها اليماني

---

[1] زيادة من ط.
[2] ساقط من ط.
[3] ساقط من ط.
[4] ما بين قوسين ساقط من ط.
[5] ساقط من ط.

من الأسود إلى اليماني عشرون ذراعا)[1] وذرع سقفها الذي فيه الحجر من الشامي إلى الغربي أحد وعشرون ذراعا، وذرع عرض جدار الكعبة ذراعان، والذرع أربعة وعشرون إصبعا هـــ.

قال الحافظ تقي الدين ابن فهد في ذيله على طبقات الحفاظ: بلغ ابن حجر في سرعة الكتابة والكشف والقراءة إلى غاية لا تلحق، فمن ذلك أنه قرأ البخاري في عشرة مجالس من بعد صلاة الظهر إلى العصر، ومسلما في خمسة مجالس في نحو يومين وشطر يوم، والنسائي الكبير في عشرة مجالس، كل مجلس منها قريب مـــن أربع ساعات، والمعجم الصغير للطبراني من الظهر إلى العصر. وفي مـــدة إقامتـــه بدمشق، وكانت شهرين وعشرة أيام قرأ فيها قريبا من مائة مجلد مع مـــا يعلقـــه ويقضيه من أشغاله، توفي ليلة(...)[2] من ذي الحجة سنة 842، ودفـــن بالقرافـــة الصغرى.

قلت: قال المنوي في طبقاته في ترجمة سيدي علي بن وفا بعد أن نقل عـــن ابن حجر في حق سيدي علي كلاما فيه بعض الازدراء به ما نصه: ودأب الحافظ ابن حجر أنه إذا ذكر أحدا من الطائفة لا يبقي ولا يذر، والله يغفر لنا وله. ومن كلامه في سيدي علي قال: وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد كشعر أبيه[3]، ورتب لأصحابه أذكارا استمال بها قلوب العوام، وذكر أنه اجتمع به في وليمـــة، وأنكر على أصحابه. ومن مشايخ ابن فهد عبد الرحمن بن عمر اللخمي المصري القبابي بكسر القاف وفتح الموحدة، نسبة إلى القباب الكبرى من قـــرى أشمـــوم بالصعيد، سمع من الصلاح ابن أبي عمرو. ومنهم محمد بن عمر البـــارنتي بفـــتح الموحدة وبعد الألف راء مكسورة فنون ساكنة، جمال الدين المصري الشافعي سمع من الصلاح الزفتاوي والبرهان الشامي. ومنهم محمد بن عمر التونسي الشهير بابن عزم. قال: وقع لنا في مجلس شيخنا ابن حجر في الإملاء حديث أبي هريرة: ثلاثة لا ترد دعوتهم. فقال شيخنا: هذا قسيم بيت منظوم يا شعراء. فنظمت ذلك بيتين وهما[4]:

---

(1) ساقط من ط.
(2) فراغ في ط: خ وط.
(3) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 3:202.
(4) ورد البيتان في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 480.

[منسرح]

ديـــني وفقــرِي وهـــم عـــائلتي دعـــت نـــداك لعـــل تـــرحمهم

حاشا يخيبــونَ إن دعــوك وهـــم " ثلاثـــــةٌ لا تـــرد دعـــوتهم"

دمياط: أبو الحسن علي بن الصباغ السكندري، أخذ عن الشيخ عبد الرحيم القناوي عن أبي يعزى. وأخذ ابن شافع عن ابن الصباغ.

أبو الوليد الباجي روى عنه حافظ المشرق والمغرب الخطيب البغدادي وابن عبد البر، وهما أسن منه وأكبر.

ومن نظم الحُصري[1]:

[مخلع البسيط]

يمـــوتُ مـــن في الأنـــام طُـــرا مـــن طيـــب كـــان أو خبيـــث

فمـــــــستريحٌ ومُـــــــستراح منـــهُ كمـــا جـــاءَ في الحـــديثِ

وللشيخ محي الدين بن عربي في ليلة القدر بعد أبيات[2]:

[طويل]

وضابطُها في القـــولِ ليلـــة جُمعـــة توافيكَ بعد النصف في ليلـــة الـــوترِ

أخذ عن الخيطي بالإجازة أبو القاسم محمد بن إبراهيم الـــدكالي، وعبـــد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق، ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمـــساني، وأبو القاسم بن عبد الرحمن الحميري، وأبو عبد الله محمد القاسم الـــشهير بـــابن القاضي، ويحيى السراج[3]، وأحمد بن محمد ابن عيسى الماواسي، وأحمد بن علـــي المنجور، وعبد الواحد الحيري، وأحمد الزموري.

تصانيف شيخنا أحمد بن محمد بن خفاجة: شرح الشفا في أربع مجلـــدات، وحاشية على البيضاوي في نحو ست مجلدات، وشرح درة الغـــواص في مجلـــد،

---

(1) ورد البيتان في نفح الطيب 2:154.

(2) ورد البيت في نفح الطيب 2:169.

(3) يحيى بن محمد السراج، فقيه حافظ، تولى خطة الفتوى بفاس، توفي سنة 1007هـ: لقط الفرائـــد، ص: 330.

وكتاب المجالس مجلد، وحاشية على فرائض الحنفية، وكتاب السوانح في نحو سبعين كراسا، وكتاب الرحلة، وديوان شعره.

الشمس محمد بن أحمد الرملي[1] مولده سلخ جمادى الأولى سنة 919، وتوفي سنة 1000، أخذ عن زكرياء رواية، وعن ابن النجار الحنبلي وناصر الدين اللقاني والشيخ عبد الرحمن الديبع، ولد رابع المحرم سنة 866، وتوفي سنة 911.

[طويل]

عداد أحاديث البخـــاريِّ خالــصا | من العَودِ والتكرارِ ألفانِ معْ نِــصفِ
وزِدْ عشرةٌ مـــن بعــدِها وثلاثــةٌ | أضفها إليه تنجُ من سُــبُّةِ الخَلْــفِ[2]

سمع الشهاب الحجازي من زين الدين العراقي[3]، وسمع من ولده أبي زرعة عن محمد بن عطاء الله أخي الشيخ تاج الدين عن النووي.

سوء بخت المسلمين في ملوكهم أن الملك ليس في شريعتنا وإنما هو في شرع من قبلنا، وفي شرعنا الخلافة، فلما صارت ملكا لم يستقم.

ومما أفادنيه شيخنا أبو مهدي وكتبته من خطه ما نصه: محمد بن أحمد بـــن علي الهواري شمس الدين الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعيـــة مـــن نظمه[4]:

[بسيط]

في كُـــل فاتحـــةٍ للقـــولِ مُعتـــبرَه | حق الثناء على المبعُـــوث بـــالبقرهْ
في آل عمران قِـــدما شـــاعَ مبعثـــهُ | رجالهم والنساءُ استوضحوا خـــبره

إلى آخرها وهي من غرر القصائد، ولو لم يكن إلا هي له لكفت. وكثير من الناس ينسبها للقاضي عياض، وكنت في أول الاشتغال ممن يعتقد صـــحة تلـــك

---

(1) تقدمت ترجمته.
(2) الخلف: الخَلَفُ: الولد الصالح يبقى بعد الإنسان، والخَلْفُ والخالفةُ: الطالح: لسان العرب: خلف.
(3) زين الدين عبد الرحيم العراقي، إمام محدث، توفي بمصر سنة 806 هـ: وفيـات الونشريـسي، ص: 135.
(4) نفح الطيب 7: 324.

النسبة حتى وقفت على شرح البديعية لرفيقه أبي جعفر الإلبيري فإذا بـه نـسبها للناظم ابن جابر هـ من نفح الطيب لأبي العباس المقري[1].

ومنه أيضاً يذكر عند ركوب البحر: يا حفيظ عدده ويا لطيف عدده.

ومنه:

[وافر]

لقد كثـرتْ دعـاةُ الفقـهِ حـتى ... لقد غلبَ النـهيقُ علـى الـصهيلِ

وما كـل الوقـودِ كنـار موسـى ... ولا كـل الفـواطِم كـالبتولِ

ومنه مما قيل في معجم البرزالي وهو أكثر من عشرين مجلدا:

[كامل]

يا طالبًا نعتَ الـشيوخِ ومـا رووا ... ورَووا علـى التفـصيلِ والإجمـالِ

دارَ الحديثِ انزلْ تجدْ مـا تبتغـي ... لـك بَـارزا في مُعجـم البَـرْزَالي

ومنه في الضوء اللامع للسخاوي من قول حسان يرثي سيدنا إبراهيم بـن النبي عليه السلام[2] :

[طويل]

مضَى ابنُك محمُود العواقبِ لم يشبْ ... بعَيب ولم يُـذمم بقـول ولا فعـلِ

رأى أنهُ إن عاشَ سـاواكَ في العُـلا ... فآثرَ أن تبقَـى وحيـدا بـلا مِثـلِ

ومنه[3]:

[مخلع البسيط]

قرابـةُ الـسوءِ شـر داء ... فاحمـلْ أذاهُـمْ تعـشْ حَميـدا

ومـن تقـعْ قُرحـة بفيـهِ ... يـصبرْ علـى مـصه الـصديدا

---

(1) نفح الطيب 7: 327.
(2) الضوء اللامع 7: 126.
(3) البيتان للسميسير، وهما في نفح الطيب 4: 20.

ومنه الشيخ محمد البكري لقَّنني الذكر وهو: أستغفرِ الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً، ولا إله إلا الله ثلاثاً، ويدي في يده ورداؤنا من فوقنا هـــ.

قلت: وقد مَنَّ الله علي بتلقين الذكر المذكور من الشيخ محمـــد البكـــري المذكور على الصفة المتقدمة بجانب المنبر قبالة البيت العتيق بالمسجد الحرام يوم عيد الأضحى سنة أربع وستين وألف بعد الخروج من البيت والصلاة فيه بإثر طواف الإفاضة، فيا له من تلقين شريف من شيخ مكين في مكان عظيم في يوم كريم إثر عمل صالح بعد انتهاء الحج الأكبر، نسأل الله المتفضل بذلك أن يختم بالـــسعادة آجالنا، ويقرر بالعافية غدونا وآصالنا آمين.

ولنختم هذه الترجمة بقصيدة أنشأتها بالحجاز يحسن إنشادها حول البيـــت العتيق رجاء أن ينشدها هنالك في غيبتي أحد من المحبين فينفعني الله بذلك، ولا آلو ما استكثرت من الأسباب التي أتطفل بها على كرم الله تعالى عسى أن ينفحني منه بنفحة خير تغنيني عمن سواه دنيا وآخرة إنه جواد كريم منعم متفضل، وهي هذه:

[طويل]

ألا أيهـــا البيـــتُ العتيـــقُ المُرَفَّـــعُ ... جمالـــكَ لا يُخفيـــه عـــنيَ بُرقـــعُ

وقـــدركَ عنـــد الله لـــيسَ ينالـــهُ ... وإن كثُرتْ فيـــهِ المرافـــقُ موضـــعُ

أتاكَ عظـــيمُ الجُـــرمِ مـــا لندائـــهِ ... سوى الله في وقتِ الشدائدِ يـــسمعُ

أنادِي إذا ما كنتُ بـــالحِجر واقفـــا ... نـــداءَ مُنيـــبٍ دائمـــا يتـــضرعُ

وعند استلامِ الركنِ والحجرِ الـــذي ... إليه وجوهُ الخلـــقِ بـــاللثمِ تُـــسرعُ

وعنـــدَ مقـــامِ للخليـــلِ فيـــا لـــهُ ... مقامٌ جليـــلٌ والـــدعا فيـــهِ ينفـــعُ

فيا ربِّ أنـــتَ الله والملـــكُ الـــذي ... لهيبتـــهِ تعنُـــو الوجـــوهُ وتخـــضعُ

وإني أنا العبدُ الـــضعيفُ ولـــيسَ لي ... ســـواكَ إليـــه في الـــشدائدِ أفـــزعُ

يذكرني الإحسانُ فـــضلكَ ســـيدي ... فأرجو وأخشى العذلَ منك فأجزعُ

ولكنَّ أهلَ الفضلِ أولى بـــه فمـــن ... أتى يرتَجي إحسانهمْ لـــيس يرفـــعُ

فما ليَ من أرجو إذا مــا طــرَدتني وما ليَ بــابٌ غــير بابــك أقــرعُ
فكــن ليَ في يــوم طويــل وقوفــه به يحصدُ المرء الذي كــان يــزرعُ
وما إن زرَعنا غيرَ سُــوء اجترامنــا ولكننا في فــيض فــضلك نطمــعُ
ولا نرتجي دُنيــا وأخــرى يُغيثنــا ســواكَ إلهــي أو حبيبُــك يــشفعُ
ولِمْ لا ونحنُ مؤمنــونَ بكــل مــا أتانا بــهِ إذ جــاءَ بــالحق يــصدعُ
سَمعنا أطعنــا واتبعنــا ومــا لنــا منَ الأمــرِ إلا أن يقــولَ فنــسمعُ
فيــا رَب وَفــقْ لاتبــاعِ طريقــهِ عُبيــدكَ فهْــوَ الــسائِلُ المُتــضرعُ
وحُطني منَ الأسْواء في كل لَحظــة فأنتَ الذي منها إذا شــئتَ تمنــعُ
وهيئْ لنا من أمْرنــا رشَــدا وجُــد لنا بالرضا في كــل مــا الله يــصنعُ
أيا زائــرًا للبيــتِ قُــل بــسكينة أ مولايَ قل لي إنني فيــكَ أطمــعُ
وبلغْ أخــي عبــدَ الإلــهِ مُــرادهُ فمطلوبهُ مــا قــد ســألتكَ أجمــعُ
يدي يــدهُ عنــد الــدعا ولــسانُهُ لساني وقلبي قلبــهُ حــين أخــضعُ
ووارِدُ بَحر الجــود يُــروي برَيــهِ سواهُ وفضلُ الله مــن ذاك أوســعُ
بجاهِ رســولِ الله أفــضلِ مــن بــهِ توَســلنا وهْــو الــشفيعُ المُــشفعُ
أصَلي عليهِ مــا حييــتُ مُــسلما صلاة بها سَــعْيي غــدا لا يُــضَيعُ

ومما منَّ الله علي بمخاللته ومصافاته، وأسرى إلي من بــره وإحــسانه مــا عجزت عن مكافأته، خليلنا الأصفى، وحبيبنا الأوفى، أبسط من لقيته من أهــل مكة، كفا وأبر من اتخذته منهم إلفا، الشاب الظريف، الناسك العفيف، المشارك في العلوم الشرعية، المبرز في الأذواق الصوفية، أبو علي حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي[1] المكي الحنفي أدام الله مقامات العرفان وارتقاءه، وأطال في سلوك مسالك السعادة بقاءه، شاب نشأ في عبادة الله وجُبِل على محاسن الــشيم مــن

[1] تقدمت ترجمته.

صغره، وأعانته العناية الإلهية على اكتساب ما فاته منها في كبره، صحب من أدرك من مشايخ الحرمين، وانتفع بصحبتهم وخدمهم، فنال المقام الأعلى بخدمتهم، وأجل من انتفع بخدمته عارف وقته ووحيد عصره، غوث الزمان، شيخنا صفي الدين القشاشي، صحبه مدة مديدة، وسمع وتلقن واكتسى منه مرات عديدة، وترقت مترلته لديه حتى صار يعد من جملة من ينتسب إليه، وانتفع به في علوم كثيرة وأذواق غزيرة، يكثر زيارته، ويمتثل إشارته، ويتردد إليه من مكة مراراً، ويقدمه على نفسه إعلاناً وإسراراً، ويلازم مجلسه بالمدينة شهوراً إلى أن صار بين أصحابه علماً مشهوراً، أذن له على ما أخبرني بالاشتغال بعلم الأسماء والدوائر وأسرار الحروف وفن الدعوات وخواص الأذكار وسائر العلوم التي لم يزل المشايخ يتواصون على إخفائها، ويحذرون الضعفة من الاشتغال بها، وقال له إن فيك أهلية ذلك، ومثلك من يرجى له خيرها، ولا يخشى عليه ضررها، أو كلاماً هذا معناه أو قريب منه، فكانت له ببركة الشيخ في هذه العلوم يد طولى ومآثر تتلى، مع حسن الهدى والسمت بلا عوج في أحواله ولا أمت. وكنت ربما أنكرت عليه التفاني في طلب هذه العلوم وأحذره غائلتها كما هو معلوم، إلى أن أخبرني بإذن الشيخ له، فعلمت أن الرجل ملحوظ بالعناية، مؤيد بنظر أهل الولاية، فسلمت له حاله، وصدقت مقاله. ومع اشتغاله بسلوك طريق القوم لم يخل نفسه من الاشتغال بالعلوم الظاهرة، سيما علم رواية الحديث، فقد جد فيه كل الجد وبلغ في الاعتناء به منتهى الحد، فأخذ عن شيخه الصفي وأجازه بسائر مروياته عن سائر شيوخه، ولازم شيخنا أبا مهدي عيسى الثعالبي فسمع منه الكثير وروى عنه غالب مروياته، ولا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين الشريفين إلا جد في لقائه والأخذ عنه، ورزق في ذلك سعادة وإقبالاً من المشايخ ما رآه أحد إلا أحبه، ولا خالطه إلا ملأت مودته قلبه، فكثرت بذلك مروياته، واتسعت مسموعاته، وقد استجازني مراراً، وسمع مني كثيراً، وقيّد من أسانيدي ما احتاج إليه، وكان لقائي له أول مرة بالمدينة قدمها للزيارة في شهر رجب، وكانت أخباره ترد إليَّ بالمدينة وأخباري ترد عليه بمكة قبل الاجتماع بواسطة شيخنا الملا إبراهيم وأخينا السيد محمد بن رسول لارتباطنا جميعاً بالنسبة العلية القشايشة، جعلنا الله من المتمسكين بحبلها المتين، السالكين على منهجها الأقوم المبين. وعندما ورد المدينة، وبلغني خبر قدومه، بادرني بالمجيء إلي والسلام علي، فرحب وأنس واستقصى في السؤال على الحال، وأقبل بقلبه وقالبه غاية الإقبال، و لم يزل يواصلني وأواصله، وتجمعني وإياه

مجالس شيخنا الملا إبراهيم محافله إلى أن توجهت إلى مكة، فتخلف هو في المدينة لعارض وقتي، فأوصى إلى بعض أقربائه بمكة بالاعتناء بي وتهيئة المنزل، ولم يزلٍ في المدينة إلى أن قضى نسك صيامه، فقدِم إلى مكة فلازم زيارتي والإيناس بي، قلّ ما يمر علينا يوم إلا ويأتينا فيه طرفي النهار، وأفادني في تلك المدة أكثر مما أفدته، وقيّد لي بخطه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً، وأعانني باستعارة ما أحتاج إليه من الكتب من عند من كان بها ضنينا، وكانت له وجاهة وقبول تام عند أهل الدنيا والآخرة معا.

لطيفة:

وقد بلغني مكتوب منه ونحن بالقاهرة بعد الرجوع من القدس الشريف من جملته ما نصه: وقد استجزت لكم من رجل اسمه محمد من ذرية سيدنا عدي بن مسافر، وهو من صالحي أهل الشام، فأجاز لكم رواية ما تصح له روايته عن جميع أشياخه، أجلهم سيدي الشيخ أيوب بن أحمد الدمشقي الأموي[1]، وهو عن الشيخ إبراهيم أحمد الدمشقي عُرِف بالأحدب، وهو عن شيخ الإسلام أحمد بن حجر المكي، وعن الشيخ رضي الدين الغزي وغيرهما، وبهذا السند يروى الحديث المسلسل بالأولية بشرطه، انتهى المطلوب منه فجزاه الله عنا أفضل الجزاء آمين.

وقد جمع صاحبنا هذا رسالة استوعب فيها طرق أئمتنا الصوفية الموجودة في هذه الأزمنة غالباً، وذكر ما يتميَّز به أهل كل طريق وذكر سنده إلى إمام تلك الطريقة وكيفية اتصاله به، وهي غاية في الباب مستوعبة أتم استيعاب، ما رأيت مثلها لأحد قبله ممن سلك الطريق، وعد من أولئك الفريق، وهي دالة على سعة اطلاعه وكثرة اعتنائه بالطريق ولقاء أهله، ولم يفرغ منها أيام إقامتنا بمكة وبعد الرجوع من مكة كتبتُ إليه من طرابلس أطلبها منه وأستجيزه فيها وفيما اشتملت عليه من الطرق، فبعث إلي منها نسخة هي من مسوداته، وكتب إلي معها كتاباً، فلنذكر جملته تيَمُّناً بألفاظه، ونصه: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أهل المحبة والمودة، من العبد الفقير الحقير الكسير، حسن بن علي العجيمي إلى شيخه وأستاذه وبركته وسيده

[1] تقدمت ترجمته.

وحبيبه وصفيه ووليه في الله الشيخ العلامة، والحبر الفهّامة، القدوة المحقق، والعارف المتفنن المدقق، سيدنا ومولانا الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد حفظه الله بما حفظ به عباده الصالحين، وبلغه سؤله، وأدام النفع به آمين، أهدي إليه من محبه شريف السلام وعميم التحية والإكرام، ورحمة الله وبركاته على الدوام، صدرت الأحرف من مكة المشرفة لآداء واجب السلام وتجديد العهد بأخلاقكم الكرام، وينهي الحقير إلى سيدنا وصول كتابه الكريم ومثاله الجسيم، وإنه كان أعز واصل وأكرم نازل، حيث أخبرنا بصحتكم وسلامتكم التي هي القصد والمراد، مع ما اشتمل عليه من التعريف بخالص المحبة وصادق الوداد، وذكرتم، شكر الله صنيعكم، أنكم استجزتم لي من الشيوخ الذين لقيتموهم، فجزاكم الله عني خير الجزاء، وذكرتم أنه لم يتيسر لكم إفراد استدعاء لمحبكم فيما كتبتموه كفاية، كان الله لكم، وما ذكرتم من الأمر المهم من أننا نبذل الدعاء مع ما نعرفه بالخير من الإخوان بالفرج للمسلمين، فقد فعلنا ذلك مع الأخ سيدي الشيخ سليمان الحَجّار، ورفعنا أيدينا بالالتجاء إلى الله تجاه الكعبة في ذلك، ومع مولانا الشيخ عيسى حفظه الله، ونرجو من كرم الله الإجابة. هذا وقد استجزت لكم من مولانا الشيخ أبي بكر بن سالم شيخان مرتين بواسطة سيدي الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، فأجاب إلى ذلك ووعدنا بكتابة الإجازة إلى بعد خروج الحجاج من مكة، وذكرتم الاستجازة من مولانا الشيخ إسحاق جمعان[1]، فنعرفكم أنَّ مولانا الشيخ علي الديبع ما حج هذه السنة لاشتغاله بخدمة شيخه المذكور لأنَّه مريض نحو سنة، ومقصودي إرسال كتاب إليه أستجيز لكم فيه، وتأتيكم إجازته وإجازة السيد أبي بكر شيخان مع ما يتجَدَّد من الفوائد إن شاء الله العام القابل وأنتم بخير وعافية، والفقير على ما تعهدونه منه من النيابة عنكم في الطواف والاعتمار وعقد الأخوة لكم ممن ألقاه من الشيوخ الصادقين أرباب الأحوال، وطلب الدعاء لكم منهم ولمن تحبون، والاستجازة، إن شاء الله، ممن يفد إلى مكة من الفضلاء، فادع لي بالتوفيق والإعانة والسداد والصيانة، وما قصدي بذكر هذا إلا التعرض لنفحات توجهاتكم وبركات دعواتكم، وأبلغت سلامكم مولانا الشيخ عيسى وسيدي سليمان الحجار والشيخ أحمد باقشير ومولانا السيد محمد وسائر الإخوان ممن لقيت، وأكدتم في طلب الرسالة التي كنت جمعتها في الطرق وهي مشتملة على

---

[1] تقدمت ترجمته.

أربعين طريقاً مع التمييز بين كل منها، إلا أنها ما بيضت لاشتغالي عنها، ولأني ما أحب إظهارها، بل أستغفر الله على ما أقدمت عليه فيها من إفشاء أسرار ذوقية عز ببذلها كثير من أهل التحقيق في الطريق، هذا مع عدم منازلتي لذلك بكمال الذوق، وكان كثيراً ما يختلج في صدري محوها لذلك، لكن لما جاءني مكتوبكم ما وسعني ذلك، وما أمكنني إلا إرسالها، إلا أني أردت تبييضها واختبارها بالمرور عليها مع إمعان النظر فيها، فما تيسر لضيق الوقت، فإن مكتوبكم ما وصلني إلا أمس، فلعلكم تشرفوها بحلول نظركم السعيد عليها والتصرف فيها بما تستحسنوه من تقديم وتأخير وزيادة وحذف، بل ومحو إن لم تعجبكم، ففي رأيكم السديد كفاية، وإن رأيتم أن تجعلوا لها خطبة وتنسبوها إليكم إن ناسبتكم فلا بأس، لكن يا سيدي لا تُطلعوا عليها إلا من تتحققوا منه كمال الإيمان بكلام أهل الطريق وسلوك أحسن سبل التأويل للغامض من إشارتهم، وقد أمرتم محبكم بالإجازة لكم بها، وقد عظم علي ذلك لعلمي بحقارتي وقصور باعي وقلة معرفتي وكمال علمكم ومزيد فضلكم، ولكن لا يحمل مني إلا مقابلة أمركم بالامتثال فأقول: أجزتكم وكل من علمتم أهليته من أولادكم وأحبابكم روايتها وإلباس الخرقة، وتلقين الذكر، ومَد اليد بالتوبة للتائبين، وأخذ العهد والبيعة عليهم، وفتح مجالس الذكر والانتساب إلى أهل الله، كما أخذت ذلك، وأخص منه من شيخنا وأستاذنا وبركتنا وإمامنا الإمام الفرد صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي قدس الله سره ونفع به، وقد أخذتم ولله الحمد عنه وعن خليفته الملا إبراهيم، فلا حاجة لكم بالرواية عن هذا الحقير إلا ما سَطَّره في الأوراق، وهو رشحة من علومكم، فاستروا العبد ولا تذكروه فإنه أحقر من أن يذكر، وبز أوراقه حقيق بأن يُطوى ولا ينشر، واجعلوا ذكركم له ببذل الدعاء منكم والتماسه من صالحي أصحابكم له بحسن الختام، والفوز بمتابعة السنة المحَمّدية على الدوام، وجمع الشمل بكم على أسر حال وأنعم بال، والرسالة واصلة إليكم ومعها خرقة عتيقة ألبسوها من شئتم، والمقصود من إرسالها أن تذكروا العبد، فرب ذكرى قربت من ترجا، وسلموا لي على ساداتنا إخوانكم ومن شئتم، ويسلم عليكم الملا عبد الرحمن، وذكرتم أني أؤكد على سيدنا الملا إبراهيم في شرح القواعد الكبرى التي أرسلتموها إليه، فكذلك إن شاء الله أرسل إليه ورقة وأكلمه في ذلك، وهو إن خلد من الأشغال لا يقصر في مطالب الإخوان، جزاه الله خيراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم. كتبته عجلا تجاه الكعبة داعيا لكم في ضحى يوم الاثنين تاسع عشر ذي الحجة سنة 1070 ختمها الله بخير، هـ كتابه بحروفه رضي الله عنه.

ورسالته المذكورة مشتملة على أربعين طريقا وهذه أسماؤها: محمدية، أويسية، قلندرية، صديقية، ملاماتية، كبروية، همدانية، ركينية، نورية، خلوتية، مولوية، جهرية، برهانية، أحمدية، سهروردية، خفيفية، شاذلية، وفائية، زروقية، بكرية، جزولية، خواطرية، عيدروسية، مشارعية، حاتمية، قادرية، عرابية، مدينية، قشيرية، رفاعية، خرازية، جشتية، مدارية، شطارية، عشقية، نقشبندية، غوثية، حلاجية، جنيدية، سهلية، هـ.

أما المحمدية فمنسوبة إلى سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، ووجه اختصاصها بالانتساب إليه، مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه، أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المُبيَّن في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى أن تستولي محبته على قلبه، ويخامر سره تعظيمه بحيث يهتز عند سماع ذكره ويغلب على قلبه مشاهدته، ويصير تمثاله بين عيني بصيرته، فيسبغ الله عليه نعمه ظاهراً وباطناً، ولا يجعل لمخلوق عليه منة، إلا للنبي، صلى الله عليه وسلم، فيراه يقظة ومناما، يسأله عما يريد، وقد سلك على هذا المقام جماعة من المشايخ قديما وحديثا، ذكر صاحب الرسالة جماعة منهم.

قلت: وقد لقيت بالقاهرة سنة أربع وستين بجامع المارديني الشيخ محمد الخلوتي، وهو رجل مسن منقطع بالمسجد له أصحاب، فسألته عن طريقه ولمن ينسب. فقال لي: أما أنا فطريقي محمدية لا أنتسب لأحد، وذكر أنه محافظ على استحضار صورته عليه السلام في باطنه، فأغناه ذلك عن التقليد بشيخ والاستمداد منه، أو كلاماً قريباً من هذا.

وأما الأويسية فهم المنتسبون إلى روحانية بعض الأنبياء أو المشايخ كأخذ سيدنا أويس[1] عن روحانية سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم، وكأخذ أبي يزيد عن روحانية الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه، فصار كل من يأخذ عن روحانية المشايخ تسمى طريقه أويسية.

---

[1] الإشارة إلى أويس القرني الزاهد، أنظر أخباره في: الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 42.

وأما القلندرية فمبنى طريقهم على حصول طيبة القلب والتقلل من الدنيا وترك الادخار، ومن شأنهم أنهم لا يشتغلون بترك الملذوذات من الأطعمة المباحة، لا بالزيادة على الفرائض إذا حصل لهم.

وأما الصديقية فمنسوبة إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وقد ذكرها ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح.

وأما الملاماتية فمبناها على الخروج من رعونات النفس وتطهيرها من جناية العجب والرياء وحب الجاه والرياسة وإسقاط المترلة من قلوب الناس بأمور ينكرها العوام والمنسوب إلى هذه الطريق فرق ذكر صاحب الرسالة جملة منهم، وأسانيدها تنتهي إلى أبي يزيد البسطامي.

وأما الكبروية فمنسوبة إلى نجم الدين الكبرى، رضي الله عنه، وهي مشهورة.

وأما الهمدانية فهي شعبة من التي قبلها، إلا أن أهلها يختارون الإسرار بالذكر إلا بعد فريضة الصبح فإنهم يقرأون الأوراد الفتحية بالجهر، وبعد العصر الأوراد العصرية، وهما لشيخ هذه العصابة السيد علي الهمداني. وقد ذكر الملا جامي أن سيدنا علياً الهمداني ساح الربع المعمور وصحب ألفا وأربعمائة ولي، أخذ من كل واحد ذكراً وجد ذلك الشيخ ثمرته فجمعها، ثم لما زار النبي، صلى الله عليه وسلم، رآه وقد أعطاه شيئاً وقال له: خذ هذه الأوراد فرآها فإذا هي التي جمعها عن مشايخه، فجعلها ورداً في الصباح، وقف على بركتها كثير ممن لازمها، وقد أخذها صاحب الرسالة عن بعض ذريته.

وأما الركنية فهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لأستاذها مولانا زكي الدين علاء الدولة السمناني في كيفية الذكر بالكلمة الطيبة جلسة معينة وزيادة في الضروب.

وأما النورية فهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لشيخ خرقتها سيدنا نور الدين الإسفرايني كيفية أخرى.

وأما الخلوتية فمبنى طريقهم على الذكر بالكلمة الطيبة بكيفية مخصوصة، ثم يشتغل بذكر الجلالة، ثم يذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب وهي: هو حق

حي، قهار وهاب، فتاح واحد أحد، صمد قيوم، وتنتهي طريقهم إلى الشيخ قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري.

وأما المولوية فمبناها على دوام الذكر الخفي مع حبس النفس والــدوران، ومن أكبر المشايخ الذين تنتهي إليهم هذه الطريقة وينتسب إليه أكثرهم مولانــا جلال الرومي.

وأما الجهرية فمبناها على الجهر بالذكر في جميع الأوقات إلا في الخلوة، ولهم أوراد معلومة، وتنتهي إلى الخوجة أحمد اليسومي، رضي الله عنه، وهو عن سيدنا الخضر عليه السلام.

وأما البرهانية فتنتسب إلى سيدنا برهان الدين إبراهيم الدســوقي[1]، ومــن شأنهم الذكر بالجهر، والاستهتار بذكر دائم بياء النداء، ولبس الزي وهو الأخضر.

وأما الأحمدية فتنتمي لسيدي أحمد بن علي بن إبراهيم الشهير بالبــدوي، مبناها على الاشتغال بتلاوة القرآن وبالذكر الجهري على كيفية مخصوصة، ومــن شأنهم حمل العكاز عملا بالسنة وتذكيرا بسفر الآخرة، ولبس الزي وهو الأحمر.

وأما السهروردية فمعروفة. وأما الخفيفية فمنسوبة إلى أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي، وطريقه الغيبة والحضور. وأما الشاذلية فمعروفة، والأربعة بعدها شعب منها.

وأما الخواطرية فمبناها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخــصوصة لطرد الخواطر من القلب حتى لا يبقى فيه إلا الله، ومن شأنهم الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخ علوان الحموي وابــن عراق، وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخهما سيدي الشيخ علي بــن ميمــون الإدريسي الفاسي.

وأما العيدروسية فمبناها على الاشتغال بالذكر المفرد بالجهر، ومن شــأنهم دخول الخلوة بالجوع وضبط الحواس، وحفظ الأنفاس بالــذكر علــى الــدوام، ونسبتهم إلى سيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

---

[1] إبراهيم الدسوقي، من أجلاء مشايخ الفقراء، صاحب كرامات ومقامات: الطبقات الكبــرى للــشعراني، ص: 234.

وأما المشارعية فمبناها على ذكر الجهر، ومن شأنهم السماع بشروطه، ومطالع كتب القوم وقراءتها ولبس الزنبيل للدروزة، وهي الوقوف على الناس للسؤال، ونسبتهم إلى الشيخ أحمد بن موسى المشرع اليمني. وأما الحاتمية فمنسوبة إلى الشيخ محي الدين بن العربي، وهي معلومة. وأما القادرية فإلى القطب شيخنا أبي محمد عبد القادر الجيلي، رضي الله عنه، وهي معروفة.

وأما العرابية فشعبة منها منسوبة إلى الأستاذ سيدي عمر العرابي. وأما المدينية فمنسوبة إلى الغوث أبي مدين. وأما الرفاعية فإلى سيدي أحمد الرفاعي، وكلها شعب من القادرية. وأما القشيرية فإلى الأستاذ أبي القاسم القشيري. وأما الخرازية فإلى أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز[1].

وأما الجشتية فإلى قطب الدين مودود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتي. وأما المدارية فإلى الشيخ بديع الدين الشاه مداري. وأما الشطارية فمبناها على عمارة القلب بالتوحيد، ويشغلون المريد بالذكر الجهري، وقد يستعملونه إن كان قوي الاستعداد بفن الدعوة لمشاهدة عجائب آيات الله في ملكه وملكوته، وتنسب إلى الشيخ عبد الله الشطاري.

وأما العشقية فطائفة من الشطارية مبناهم على طريق الفناء المطلق والعشق، وتنسب إلى الشيخ أبي يزيد العشقي. وأما النقشبندية فمنسوبة إلى الخوجة بهاء الدين نقشبند. وأما الغوثية فهي خلاصة السادة الشطار فتنتهي إلى إمام العارفين سيدنا بهاء الدين محمد بن خطير الدين غوث الله صاحب كتاب الجواهر الخمس. وأما الحلاجية فإلى الحسين بن منصور الحلاج. وأما الجنيدية فمعروفة للجنيد. وأما السهلية فإلى سهل بن عبد الله التستري[2] رضي الله عن جميعهم وعنا بهم آمين.

وقد استوفى صاحب الرسالة أسانيده إلى أرباب الطوائف المتقدمة وما تتميز به كل طائفة، فجزاه الله خيراً، وإنما ذكرت من ذلك شيئاً قليلاً لئلاً تتشوف نفس الناظر في هذا الكتاب إلى من تنسب إليه هذه الطرق لغرابة أكثرها بقطرنا ما عدا الشاذلية وشعبها، والله تبارك وتعالى ينفعنا بمحبتهم ويرحمنا بالتطفل عليهم بمجرد

---

[1] أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادي الخراز، متصوف عارف، أخذ عن إبراهيم بن بشار الخراساني ومحمد بن منصور الطوسي، وتوفي سنة 286 هـ: سير أعلام النبلاء 420:13.

[2] سهل بن عبد الله التستري، من أئمة الصوفية واعلامهم، ولد سنة 200هـ، وتوفي سنة 283 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 400.

الانتساب العاري عن الاكتساب، فهو المتفضل على الإطلاق، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وما ذكر صاحب الترجمة في كتابه المتقدم من استجازته لي شيخنا أبا بكر بن سالم شيخان، رضي الله عنه، فقد وصل إلي بعد ذلك كتاب آخر منه ومعه إجازة الشيخ أبي بكر المذكور، وقد أجازنا فيه واستوفى التعريف بمشايخه وأسانيدهم، ومعه أيضا رسائل أخر لوالده سيدي سالم شيخان، ولنذكر بعض ما يتعلق به الغرض من كتابه هذا، فمن ذلك ما نصه: وقد استجزت لكم السيد أبا بكر بن سالم شيخان فكتب بعد ترددي إليه إلا أنه من جملة ما كتبه في الإجازة سند أبيه في دعاء السفر إلى الخضر عليه السلام، وطلبت منه النسخة المسندة، فوعدني بها مرارا وما أعطانيها لأشغال هو فيها حتى أنه ما كتب الإجازة إلا بعد أن أعنته بكتابة ترجمة شيخنا وأسانيده، ثم قابلتها معه، لكن إن شاء الله أكتب منه النسخة المذكورة وتأتيكم بعد، إن شاء الله، وسأكتب لكم نسختين من أحسن رسائل والده أحدهما تسمى إيوان المقعر الحر في جمع ضوابط الفن، فأوعى، وهي حقيقة بما قال فيها، تغني العارف عن شمس المعارف[1]، وتكفي الماهر عن الجواهر[2]، فإنها اشتملت على قواعد شتى من فن الدعوات وعلم البسط والتكسير وطرف من علم الخافية وفائدة جليلة في مثال وضع الطلاسم، وألحقت في آخرها مثالاً آخر فيه، ورسالة أخرى اسمها جل المغنم في حل الطلسم، جرى فيها على طريقة اختارها في وضع الطلاسم إلا أنه أوضحها غاية الوضوح، رحمه الله، وقد قابلتها على أصله واستجزت لكم الأستاذ محمد الشريف الصديقي شيخ الملا إبراهيم فأجاز لكم بجميع مروياته بإجازته من والده علي الرملي وبما كتبه على محلات من تفسير القاضي البيضاوي وبحاشية والده عليه، وأكدتم على كتابة ما تتشوف إليه النفوس من أخبار بلدنا فما تجدد من الأخبار سوى دوام الستر والسلامة إن شاء الله، نعم حصل في هذا العام مرض شديد بمكة وبقطر اليمن وقباء، ومات خلق كثيرون، فممن توفي إلى رحمة الله تعالى في رابع عشر ربيع الأول الشيخ إسحاق بن محمد جمعان شيخ سيدي علي الديبع، ودفن بزبيد، ومات محبكم الشيخ أحمد بن علي باقشير في النصف الأخير من شهر جمادى

---

[1] يقصد كتاب شمس المعارف الكبرى للبوني.

[2] يقصد كتاب الجواهر الخمس.

الأولى من سنة 74 العام الماضي، ودفن بمكة. وتوفي الشيخ جمال الدين الهندي النقشبندي ليلة الجمعة، ودفن صبيحتها سادس عشر جمادى الأولى من هذا العام، يعني سنة ست وسبعين، ودفن في البقيع، رحمهم الله تعالى وأبقاكم في عافية كاملة هـ. هذا نص ما أثبته هنا من كتابه لما اشتمل عليه من الفائدة، وفي آخر الكتاب حرر في سابع عشر ذي الحجة سنة 1072.

وأما إجازة شيخنا أبي بكر بن سالم فهي طويلة جدا حسنة غاية، وسأثبتها إن شاء الله آخر الكتاب مع إجازات من أجاز لي من المشايخ في هذه الرحلة، ولنذكر افتتاحها هنا تبركاً به، قال شيخنا قدس الله سره: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المحيط بما منه الذي لا يدرك غيره له كنه، حمدا لائقا بكمالاته الإلهية، جامعاً لمحامده الذاتية، صادراً من عبد الله الجامع في تعلقه بالتخلق للتحقق بنعوت الأسماء ومقتضياته في المظاهر وارداً عنه إليه بلسان جمع الجمع في موكب التجليات الربانية والمحاضر، متصلاً بصفات كمال الجمال، الأول والآخر مستغرقاً بشؤون جمال الجلال، من حضرتي الباطن والظاهر، حمدا معنويا من حيث هو لا إنشائيا ولا إخباريا، أزليا لا جزئيا ولا حكميا، أبديا لا سلبيا ولا عدميا، بسيطا في المقاعد العندية والمناظر ليتضح بذلك للسالك في المشاهد أنه هو الحامد والمحمود بلا ريب ولا شهود، ويعلم علما يقينيا سريان هوى الأحدية في الوجود واحتياز الأثر قي التعلق للمآثر، وارتباط ضمائر سر الألوهية بالموجودة الظواهر. والصلاة والسلام على الرؤوف الرحيم، أصل مبدإ الإنشاءات والدوائر في الأزل القديم المضمحل بنوره عن كل شيء في ليل العدم، المتولي به للفيض الإلهي على القوابل من سوابق القدم، وبالتبعية على الهيكل الموجود بكن، والمصطنع باليدين وكلتا اليدين يمين، وهو الجوهر الفرد الذي لا يسل من حيث هو التسديس والتثمين دار الندوة للشؤون، ومهبط القدس بالفيض المقدس من الغيب المكنون، وهو المقصود بالذات بالمظنون، والمفهوم من العبارة الأوان من الحجارة، وكم لائحة وبارقة في الإشارة، وبعد فإني:

[بسيط]

أهدي لحضرتكَ العليــاء تَحملــها ريحُ الصبا لتَبُث الشوقَ مــن قِبَــلِ

تحيةً هي مــن نــشرِ العــبيرِ شــذا أذكى وأشهَى لمفتــون مــن القُبَــلِ

وقد حثك سيدي باعث ظنك الحسن على طلب الإجازة والسند في الذكر السري والجهري ولبس الخرقة والمصافحة والصحبة والمشابكة واقتفاء ما لأهـل الطريق من الآداب والسنن. وفي المرويات من العلوم التي صح اتـصال سلـسلة سندي به وفيه إلى سيدي والدي وإلى غيره، وإلى التعرض لذكر طرق مما له ولي من منثور ومنظوم والإجازة في الرواية لما من ذلك أمكن.

ولعمري إني لحقيق بالتماس هذا منك، ولجدير بأخذ العلـوم واكتـسابها بالترقي عنك، وحيث كنت أيها السيد الجليل أهلا لتلبية داعيك ومحلا لإيـداع السر الخفي المأمول بناديك، اقتحمت خطر هذه العقبة، واجترعت على الارتقاء إلى تلك المرتبة إسعافاً لما له طلبت، وإتحافاً لما إليه وفيه رغبت مبتـدئاً في ذلـك بالتراجم المحضة، ثم أتبعها بزبدة الفوائد المتمخضة. هـ.

ثم ذكر ترجمة والده ومشايخه وأسانيده وأطال وأطاب، ثم ترجمـة شـيخه شيخنا صفي الدين القشاشي، فأجاد وأفاد، ثم ترجمة شيخه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن شهاب بن عبد الرحمن باعلوي فأوعب وأوجز، ثم ذكر شيئا مـن نظم والده ونثره، ثم نبذة من نظمه هو ونثره، فمن نظم والده قصيدة همزيـة في مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، مطلعها:

[خفيف]

لـك ذاتُ العلـومِ والأسمـاءِ ... يـا نبيـا نوابـةُ الأنبيـاءُ
شرفُ المرسـلينَ في القـدر أسمـى ... بـك يـا مـن هـمُ بـه سـفراءُ
عِصمةُ الله فـيهم عنـك كانـت ... لم يزالـوا بهـا هـمُ العـصماءُ
سبحة الوجه أنـت أنـت كـريمٌ ... أنـت في الأصـلِ درة بيـضاءُ
سـابق الكـل في الوجـودِ تَنبُّـا ... قبـلٌ لا آدم ولا حـواءُ
وأنـت خـاتم النبيـئين فـردا ... لـيس مثـلٌ لـه ولا أكفـاءُ

ومنها:

أنتَ أصـلٌ لكـل أصـل فكـل ... أصل عنك فـرعٌ وإن هـمُ آبـاءُ

قــد تبنــاهمُ بمعــنى فــلا غــر وَ لهــذا هــمُ لــهُ أبنــاءُ
هو تاءُ الضمير مــن كنــتَ كــترا كيــف ترقــى رقيــةُ الأنبيــاءُ
وكذا الباءُ منْ فبِي كنت يــا مــن فــوق عليــاهُ لم تكــن عليــاءُ

ومنها:

دروة للكمــال مركزهــا الفــر د محــــــــــيطٌ وراءهُ لا وراءُ

ومن نظم شيخنا أبي بكر قدس الله سره قوله:

[طويل]

أراهمْ معي لا بــل أرى أنــني هــمُ بنفــي حلــولِ واتحــادِ المكــذبِ
سلام عليكم أهلَ وديَ مــا انتــهى لمركــزكمْ دورٌ لــصدقِ التحبــبِ

وقوله:

[وافر]

ســقى الله العقيــقَ وســاكنيهِ وعهــدا في معاهــدهِ قــضيتهُ
بشُرب مدامــة مــن ثغــرِ حِــب حــشايَ علــى مودتــهِ طويتــهُ

وقوله:

[وافر]

جرى خلفَ الورى في فهــمِ مَعــنى ولِــي قــد صــانهُ المــولى العلــيُّ
وعنــدي مــن تــولاهُ بحفــظ وأولاهُ الــيقينَ هــو الــوليُّ

ومما أفادنيه صاحب الترجمة وكتبه لي بخطه رسالة لطيفة لسيدي سالم شيخان في علم الخط المسمى خط الرمل سماها سقط السمط وسمط المرط في علم الخط، وهي مع صغر حجمها مفيدة في بابها. ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه أيضا رسالة أخرى لسيدي سالم في مداخل الأوفاق سماها النصر المبين بالتصرف المبين، وهي وجيزة نافعة.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه للوصول إلى مقام الطيران والذهاب إلى أي مكان تريد ترتاض 3 أربعينيات بشرائطها من ترك الحيوان، ويذكر كل يوم يا حي يا قيوم عشرين ألفا يحصل لك ذلك بإذن الله تعالى ومشيئته.

ومما أفادنيه لرؤية النبي، صلى الله عليه وسلم، في المنام من فوائد السيد جلال الدين نفع الله به، قال: تذهب إلى الماء الجاري ثلاثة أيام بعد الإشراق وتغتسل وتقرأ البقرة وآل عمران وطه ويس، ثم تصلي ركعتين لروح النبي، صلى الله عليه وسلم، تقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة المزمل، وفي الثانية سورة الفجر، وبعد السلام تصلي على النبي، صلى الله عليه وسلم، ألف مرة بهذه الصيغة: يا حي يا قيوم، يا حي حين لا حي، يا حي محي الموتى، يا حي لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض، يا إلهي صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وتَرَحّم على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وترحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، ثم يغمض العينين ويراقب فإنه يتشرف برؤية جماله صلى الله عليه وسلم.

ومما أفادنيه من خط شيخ شيخنا سيدنا أحمد الشناوي نفع الله به: ترتاض 44 يوماً وتقرأ الفاتحة في كل يوم ألفا وفي كل ليلة ألفا، وتكون متروحنا عن أكل كل ذي روح وما خرج منه صائماً قائم الليل، فإن عرض عليك ملك شيئاً من الدنيا فلا تقبل ولا تلتفت إلى الآتي، ثم بعد أيام يأتونك ويقولون: ما حاجتك؟ فقل: مقصودي نور الهداية. فيقولون: وجهك إلى غيرنا وينصرفون. وبعد أيام يأتون ويقولون: ما حاجتك نحن نقضوها. فقل: ما حاجتي إليكم، حاجتي هو أعلم بها. فبعد أيام يأتيك رجل أعظم صورة وأحسن خلقة فترى الفاتحة مكتوبة في وجهه تقرأ منه كما تقرأ من اللوح، وهو واقف قبلك ويسألك عما تطلب من الله، فاسأله مطلبك ولا تفزع منه، فما هو من الملائكة، بل هو سيد المرسلين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم هـ.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه من فوائد السيد مخدوم العالم جلال الدين البخاري قدس الله سره ونفع به للوصول إلى قدم الكرامة والتشرف بزيارة البيت العتيق والطواف به في ليلة واحدة من الأماكن البعيدة، وبزيارة المدينة والروضة المشرفة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والعمل فيه بعد طول وهي

عن إظهاره (والله أعلم حيث يجعل رسالاته)[1] ومن يختص بموالاته، نسأل الله أن يجعلنا من أهل ولايته بمنه وكرمه.

ومما أفادنيه وكتب لي بخطه: للباسور يكتب في فتيلة ويتحمل بها المـــريض وهو: شلطيط ملطيط جهلطوط، ويكتب في إناء ويشرب محوا وهو هذا: باسم الله الرحمن الرحيم (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)[2] يا سلغتوت يا غلتوت يا ملغثوت أغث وأزل هذا المرض الذي يسمى باسورا، الله الله الله الله الله الله الله هـــ.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه لرفع البواسير وزواله بإذن الله: تصاغ حلقة فضة نقية صافية خالصة زنتها قفلة محررة من غير زيادة ولا نقصان، وهي ستة عـــشر حبة من نواة الخرنوب المتوسطة قبل طلوع شمس يوم آخر أربعاء من شهر صفر، ويختتم بها المريض في يده فإنه يشفى إن شاء الله، وقد أفادني بذلك الأخ الجليـــل الفاضل النبيل سيدي أبو بكر بن علي باشة الأحسائي عن شيخه سيدنا تاج الدين بن زكرياء العثماني رحمه الله تعالى ونفع به، وقد جربت مراراً فصحت.

وأفادني الأخ الثقة الزكي أحمد بن عبد الواحد المغربي عن الـــشيخ عبـــد الوهاب بن الشيخ عبد الكبير با حميد الحضرمي ثم المكي عن والده، وكان ممـــن اجتمع بالشيخ تاج الدين فيما يغلب على الظن، أن المريض بالباسور يداوم مـــع لبسه إياها، أعني الحلقة على قراءة (سبح اسم ربك الأعلى)[3] كل يوم وردا، ولو مرة.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه ما نصه: فائدة لطول العمر: يصلي ركعتين يوم عاشوراء ويقرأ هذا الدعاء وهو مستقبل القبلة بحضور قلب سبع مرات، كذا في الجواهر الغوثية. وقال قطب الدين الحنفي: يقرأ عشر مرات. قال سيدنا الغوث: فإن من قرأ العدد المذكور يوم عاشوراء لم يمت في تلك السنة، فإذا دنا أجلـــه لم يوفق لقراءته، هـــ. وممن جرب ذلك قطب الدين ووالده علاء الدين. وزاد قطب الدين على ما ذكره الغوث فقال: ينفخ على نفسه في كل مرة من العشر مرات، وأنه إذا قرئ على الأطفال الذين لم ينطقوا ونفخ عليهم القارئ في كل مـــرة لم

---

(1) الأنعام: 124.
(2) الإسراء: 82.
(3) الأعلى: 1.

يموتوا. قال: ويلقن لمن استطاع منهم النطق فإنه جرب مرارا وما تخلف قط هـ. والفقير جربه، وهذا هو الدعاء: سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلماته التامات كلها، أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه ما نصه: ذكر الشعراني[1] أن من الفوائد المجربة لإخراج سم الحية والحنش والعقرب أن يرفع الملدوغ مقدار مثقالين من العذرة بماء أو غيره، فإن السم يخرج من القيء من جميع جسده هـ. وأخبرني الشيخ أحمد بن إسماعيل الأزهري المعروف بالسرطان عن والده الشيخ محمد الحمصاني فعله الملدوغ فشفي من حينه، هـ.

وأفادني، رضي الله عنه، أشياء أخر كثيرة اقتصرت على القدر المتقدم من إفادته جزاه الله خيرا، وقد بالغ، رضي الله عنه، أيام إقامتي بمكة في المواصلة والقيام بالوظائف الدينية والدنيوية، وما رأيت في تلك الديار أكرم منه نفساً وأعلى همة، مع قلة ذات اليد، أردت إعانته بشيء من العرض الفاني فامتنع كل الامتناع، وفي ليلة خروجي من مكة شيعني إلى خارج البلد على رجليه، وتأسف لمفارقتي، وأودعته الدعاء وأودعنيه، وإني لأرجو أن يجعلني وإياه من المتحابين فيه، وأن يجمع الشمل به عن قريب. وقد أمرني عند الخروج من باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام بقراءتي (إن الذي فرض عليك القرآن)[2] فقرأتها داخل المسجد، ولما خرجت أمرني بقراءتها أيضا، ثم أمرني بالدخول وقراءتها ثالثة، ثم خرجت وأخبرني أنه مجرب بهذه الكيفية للرجوع إلى ذلك المكان، والله يحقق رجاءنا فيه آمين.

وممن لقيته بمكة ممن ينتسب إلى طلب العلم وسلوك طريق القوم صاحبنا النبيل الأسعد الجليل الفقيه المشارك سيدي أحمد بن باقشير[3]، أصله من اليمن،

---

(1) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، ص: 500.

(2) القصص: 85.

(3) أحمد بن علي بن عبد الرحمن باقشير، ولد بحضرموت، ارتحل إلى مكة وبها تلقن ولقن، وانفرد بعلمي الفرائض والحساب، توفي سنة 1075 هـ: خلاصة الأثر 1:252. نشر المثاني 2:146.

وبيتهم بيت علم، وعمه الشيخ عبد الله باقشير من أعلى طبقة فقهـــاء الـــشافعية بمكة، وقد انتفع صاحبنا هذا به في علوم كثيرة ولازمـــه وزوج بنتـــه وبـــالغ في خدمته، فصار عنده مثل الولد، ولما حل شيخنا أبو مهدي بالحرمين أكثر ملازمته وانتفع به كثيرا، ولم أرَ أحداً من أصحابنا المكيين أكثر منه له ملازمة، سمع معي الكثير مما تقدم عن الشيخ وسمعه أكثر من ذلك في فنون شتى، وانتفع درايـــة في الأصلين والمنطق، وأخبرني أنه قرأ عليه قراءة بحث وتحقيق شرح العقباني على جمل الخونجي، وقويت رغبته في الأخذ عن الواردين على مكة، فلأجل ذلك سمع مـــني أشياء واستجازني، وكان يرى لي من الحق أكثر مما كنت أرى له، ويبالغ في التودد والمحبة، ولي فيه اعتقاد صالح ومحبة خالصة، أسأل الله أن ينفعنا به، وقد بلغني خبر وفاته في سنة خمس وسبعين، رضي الله عنه وأرضاه، وتقبل صالح عمله وتجاوز عنه بفضله وكرمة. وأما عمه الشيخ عبد الله فلم يتيسر لي لقاؤه، وكان به مرض وقت إقامتنا هناك مع ضعف الكبر، فقل خروجه وتعذر الأخذ عنه، وقد أخبرني ابـــن أخيه المذكور أنه ليس عنده من الرواية ما يرغب في مثله، والغالب عليه الدراية، والوقت يضيق عنها، وكان يذكر لي عنه عجبا في فقه الشافعية تقبل الله منه.

وممن لقيته ممن ينتسب إلى الصلاح صاحبنا وأخونا في الله الشيخ سليمان بن شمس الدين الحجار، ولي من أولياء الله حقاً، وصديق فيما أعلم، ولا أقـــول إلا صدقا، مجهول بين أهل الأرض، معروف في أهل السماء، دؤوباً علـــى الـــذكر والتلاوة حيثما وكيفما، ما رأيت أعبد منه ولا أزهد ولا أورع، وسبب معـــرفتي به أني رأيته من يوم قدومنا إلى مكة مسرمداً للطواف بالبيت تالياً للقرآن سراً لا يسمع قراءته إلا من تنبه له، لا يكلم أحداً ولا يقف إليه، ولا شغل لـــه ســـوى الطواف بالبيت وقراءة القرآن، وأظن أنه يختم كل يوم لأني ترصدته مـــرات في وقت معلوم فأسمعه في الغد يقرأ قريباً من موضعه بالأمس، إما قبله بقليل أو بعده، وسألت الناس عنه لم أجد خبره إلا عند الخواص، وأخبروني أنه كان في أول أمره معلم الصبيان ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، فإذا اشتد الحر قرب الزوال وصارت حجارة المطاف كالرصف المحمي انقطع أكثر الناس عن الطواف، وهو في كـــل ذلك لا يبالي ولا يخرج من المطاف إلا هنيئة قبل الغروب، وأظنه مقدار ما يدخل إلى منزله لطهارة أو عشاء، ثم يعاود الطواف، ولا يزال كـــذلك إلى أن تـــذهب طائفة من الليل ويغلب على النوم، فأذهب وهو على حاله في الطـــواف، فـــإذا

خرجت إلى المسجد سحراً وجدته قد سبقني إلى الطواف، ولا أدري متى يذهب من الليل ولا متى يعود. وكنت أولاً إذا لقيته وسألت منه الدعاء، ربما أعرض عني إلى أن أنس بي وصار يقبل علي ويدعو لي، وتأكدت الألفة والمحبة بيني وبينه، وعقد لي معه عقد أخوة في الله، وقد رأيت منه خلقا غريباً في أهل وطنه، أعطيته ذات يوم دريهمات، فقال لي: إن كانت من الزكاة فلست من أهلها فأعطها لغيري. فقلت: إنما هي صلة مني إليك. فقبضها مني، ولو أعطيت الزكاة لأغنى غني من أهل الحجاز لقبضها ورأى أنه أحق بها من غيره.

وممن لقيتُه بمكة من أهل الفضل والإيثار والمبادرة إلى الخير والإكثار شيخنا الولي الصالح المشفق على عباد الله الناصح الدين، الناسك والمجذوب السالك، ذو المآثر الغريبة والأحوال العجيبة، سيدي أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد المكناسي الحسني[1] رضي الله عنه وعنا به، رجل ملأ الآفاق ذكره، وعم الوارد والصادر خيره، وسكنت قلوب أهل الدنيا هيبته، وعمر صدور أهل الآخرة محبته، أحبه الله فحببه إلى عباده، واصطفاه فأسكنه خير بلاده، وجعله رحمة لسكان حرمه، ومظهرا من مظاهر جوده وكرمه. كان أصله من مدينة مكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى، ونشأ فيها مع أبيه مرموقاً بعين الصلاح من صغره، موسوماً بنوع من البله بين أترابه في كبره، متغلبا في أمور الدنيا، ربما ينبز بلقب يتضاحك منه الولدان، كما هو شأن أسواء الأحوال في كل البلدان، وكان يلقب كأسلافه بالزناتي، وقد ذكر هو أنه شريف حسني إدريسي، وأصلهم من تامسنا، وهي وطن زناتة في العهد الأول، فطرأ أحد أجداده مكناسة على حالة رثة فاستحيى أن ينتسب شريفا، فانتسب زناتيا وعرف به بد ذلك، والله أعلم، وأكثر المغاربة يقدحون في نسبته هذه إذ لم يظهرها إلا في بلاد المشرق، والناس مصدقون في أنسابهم سيما من علمت عدالته كهذا الشيخ. وقد أخبرني الثقة أنه أقسم له أن أباه أوصاه بهذا النسب، قال: ومع ذلك لم أظهره حتى أمرني النبي عليه السلام بإظهاره. وقد جال في واسطة بلاد المغرب، ودخل فاسا وقصر كتامة وما والى تلك البلاد، وغلب عليه التنسك من صغره، وفاجأته الجذبة الإلهية، وأدركته العناية الربانية، فيسر له لقاء الأفاضل، فأخذ عن رجل من الصالحين بمكناسة يسمى سيدي مالك، ولقي بفاس سيدي موسى القاطن بكرنيز، واستمد منهم مدا

---

[1] تقدمت ترجمته.

قوياً، وأخذ أيضا بالقصر عن سيدي محمد القجايري، وكل هؤلاء كانوا من أهل الحال القوي غير معروفين بالتسليك والتربية، وإنما يتصرفون بالحـال والجذبـة، ولذلك كان هذا الشيخ أسيراً لأحوال، مغلوبا بالواردات الإلهية في كـثير مـن تصرفاته التي حارت فيها عقول المترسمين، وسلمها المحققون منهم، وأذعن لها أهل البصائر النورانية، و لم يزل بالمغرب يتقلب خامل الذكر لا يؤبه به، أشعث أغبر ذا طمرين، لو أقسم على الله لأبَرَّه، إلى أن قادته العناية السابقة والهداية اللاحقة إلى التوجه إلى بلاد المشرق لحج البيت وزيارة الرسول، فتوجه بعد الأربعين وألـف وحج مراراً، وجال في أرض المشرق ورجع إلى مصر ثم إلى الإسكندرية متوجهاً إلى المغرب، فركب في البحر، فألقتهم الريح إلى بر الروم، فدخل القـسطنطينية وانتشر له صيت هناك، وخضعت له رقاب الأمراء، وهو في كل ذلك على مـا أخبرني مسلم للأقدار منقاد له، وإن كانت نيته إلى المغرب، فهتفت به هواتـف السعادة من حرم الله الأمين: أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، فكر راجعاً إلى مكة فاستوطنها في حدود الخمسين إلى وقتنا هذا، فطار صيته في الآفاق، وأقبل الناس إلى زيارته من كل أوب، وأتحفه أمراء الأطراف بالهدايا السنية وفـاخر العطيـة، وحصلت له بمكة وجاهة كبيرة ومنزلة خطيرة عند أمرائها، وبث العطاء في العباد، وسال من غيث سخائه كل واد، فعم معروفه أهل مكة الأمراء فمن دونهم، ولا يتمسك من الدنيا بقليل ولا كثير، ولا يقتني منها ملبوساً ولا مركوباً، ما تـزوج قط ولا تسرى، وكان له عبيد وإماء للخدمة في غير الدار التي يسكنها، و لم يتخذ من الفرش سوى حصير يجلس عليه، أو لبد وما يشبه ذلك، غالب لباسه شـتاء وصيفا قميص واحد وكوفية على رأسه، كثر ازدحام الناس عليه إلى أن منع من الخروج، فكان لا يشهد جماعة ولا جمعة، واغتفر الناس له ذلك لما يعلمون مـن حاله، ووجد السبيل بذلك إلى الطعن عليه من لا يعد من أشكاله، ولـه خـبرة بطريق القوم وحكاياتهم وأذواقهم، سيما مشرب الشيخ محي الدين الحاتمي فإنـه يبالغ في اقتناء كتبه ويحض عليها ويفهم أسرارها، وقد غلبت عليه الرحمة لعباد الله والشفقة عليهم، فكثرت شفاعاته المقبولة عند أمراء البلد، وربما يثقل علـيهم في أمور ولا يجدون محيصاً عن قبول شفاعته. وقد تحدث معي يوما في هذا المعنى إلى أن قال لي: إني أرحم جميع عباد الله حتى اليهود والنصارى، ولعلك تنكر ذلـك. فقلت له: إني لست، والحمد لله، ممن ينكر ذلك، ولا أعظم منه ممن صار مظهراً لأوصاف الحق، وقد وسعت رحمته كل شيء، ورحم الطائع والعاصي، والمـؤمن

والكافر في هذه الدار، بل وفي تلك الدار على ما شهدت به بصائر أهل الكشف، إذ ما من عذاب إلا وفي قدرة الله ما هو أشد منه، فلا يخلو أحد من رحمة الله، وإن تفاوتت مراتب العباد فيها. والرحمة التي حرمها الكافرون إنما هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين المقترنة بالكرامة والنعيم والرضوان المقيم، فلا يبعد أن تكون منه رحمة أخرى للكافرين مقرونة بالإهانة والنكال والسلاسل والأغلال، فمن ظن انفكاك لطفه عن قدره فلقصور نظره. وكان، رضي الله عنه، لا يُشير بمقاله وحاله إلا إلى الله، ولا يدل إلا عليه، ولا يعبأ بالدنيا وأهلها قلامة ظفر، وقد تقدم شيء من خبره في غير هذا المحل. وقد أخبرني بعض أصحابنا أن له في كل يوم مصروفاً نحو من مائة قرش في أهل مكة، منهم ذو الدرهمين إلى العشرة إلى العشرين إلى أكثر، سوى ما يكون للفقراء والغرباء من خبز ولحم وغير ذلك. وكان بعد أن كثرت حمالته واتسعت دائرته وفشا معروفه في الناس وصار أكثر الفقراء والمنتسبين بمكة عيالا عليه، ربما يقل ما بيده فيستدين، وربما بلغ الدين الذي عليه إلى الخمسين ألفا أو إلى مائة ألف، فيؤدي الله ذلك عنه. وقد أخبرني بعض ثقات أصحابه أنه عذله مرة في كثرة ما عليه من الدين. فقال له: إن الله وعدني أن لا أموت حتى لا يبقى علي درهم واحد لأحد، ولما علم أبناء الدنيا ذلك من حاله فربما يبيعون له إذا احتاج ما يساوي المائة بأضعافها، فيربحون عليه وهو لا يبالي، ومع هذا كله فلا يتشوش فكره من ذلك ولا يختلج في سره شيء من أمور الدنيا، ولا يباشر شيئا من تلك الديون عند أخذها واقتضائها، وإنما كان له أصحاب ووكلاء يتعاطون ذلك، وقد لا يشعر بذلك الدين إلا بعد اقتضائه وقضائه.

وبالجملة فأحواله غريبة لا تنضبط لزمام، إلا أن معيار صدقه هو زهده في الدنيا مع نيله منها بلا كلفة ما عجز عنه أكابر الملوك مع الكلفة والمشقة. وقد أخبرني أنه أخذ بمكة عن سيدي أبي الحسن علي الغماري[1]، وهو أخذ عن سيدي عبد الرحمن الفيلالي وعن سيدي محمد الكومي كلاهما عن سيدي أحمد الفيلالي عن سيدي الغازي رضي الله عنه.

وأخبرني أيضاً أنّه أخذ عن الشيخ أحمد أفندي بأصطنبول وعن بعض السادات الخلوتية، وعن شيخنا صفي الدين القشاشي، وكلهم أجازوه وألبسوه

---

[1] أبو الحسن علي بن ميمون الغماري، متصوف من طائفة تعرف بأهل الخواطر، توفي سنة 1004 هـ: مرآة المحاسن، ص: 303.

رضي الله عنهم. وقد ألبسني، رضي الله عنه، مراراً ولقّنني وصافحني وناولني شرح الحكم[1] لسيدي محمد ابن عباد وقال لي: أجزتك به كما أجازني به مشايخي، ووهب لي النسخة المناولة. وقد من الله علي بملاقاته وزيارته مرارا عديدة مع عزة ذلك على غالب الناس، ربما يجلس أحد أعواما بمكة ولا يصل إليه ولا يراه، سيما إن كان من أهل الجاه الدنيوي، وقد لقيته قبل هذا سنة أربع وستين، وكانت بينه وبين والدي رحمه الله مواصلة غيبية وصحبة روحانية، ولقيته ثاني يوم دخولي مكة للمجاورة في داره وهو متهيئ للخروج إلى الطائف، ولقيته بالطائف أيضا، ولقيته بمكة مرتين أخريين بعد الحج، وودعته يوم الخروج وأحسن وتفضل ودعا، فجزاه الله خيراً آمين.

وممن لقيته بمكة ممن ينبغي ذكره ولا يهمل أمره، صاحبنا النبيه، الفقيه الوجيه، قاضي المالكية بمكة المشرفة وإمام مقامهم الشيخ أحمد بن شيخنا نادرة العصر، وإمام ذلك المصر، القاضي تاج الدين المالكي[2] ورث خطة أبيه في القضاء والتدريس والصلاة دون أخويه، وليس بأكبرهم سنا إلا أنه قد ترشح لذلك بأهليته، له خلق حسن وطبع مستقيم ومروءة ظاهرة ووجاهة باهرة، ملازم لشيخنا أبي مهدي من لدن حياة أبيه وانتفع به، ويراعي له شيخنا حرمة والده فيجلّه ويكرمه، وله مشاركة في الفنون. كتب لي بخطه أسعده الله قصائد من نظم والده رضي الله عنه. وكان والده إمام الأدباء وجمال الخطباء، ووارث فصاحة العرب العرباء، له رواية ودراية في فنون العلم، لقيتُه بداره بمكة سنة أربع وستين، وسمعت عليه بعض الصحيح، وأجازني وكتب لي بذلك خطه، رضي الله عنه وأجله، شيوخه؛ الشيخ خالد بن أحمد المالكي أجل تلامذة الشيخ السنهوري رضي الله عنه، وتوفي شيخنا تاج الدين رحمه الله قرب سنة سبعين. ولنذكر بعض قصائده رحمه الله التي كتبها لي ولده وهذا نص ما كتب لي: الحمد لله، يقول كاتب هذه الحروف الفقير إلى عفو الله الباري أحمد بن تاج الدين المالكي الأنصار عفا الله عن والديه وعنه والمسلمين، أن هذه القصيدة لسيدي الوالد المذكور أسكنه الله مع الحور في القصور، ممتدحاً بها سيد الكونين وإمام الثقلين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم:

---

[1] شرح الحكم العطائية لمحمد بن إبراهيم الرندي، ابن عباد المتوفى سنة 733 هـ، وهو مطبوع.

[2] تاج الدين المالكي، قاضي المالكية بمكة المكرمة وإمام مقامهم، توفي سنة 1070 هـ: نشر المثاني 106:2.

[بسيط]

طالَ المنامُ على أرجُوحــةِ الــصغرِ | وبالغَ الشيبُ في التحــذيرِ بالنــذرِ
وجيشُ ليلِ الــصبا فــرتْ كتيبتــهُ | لما أتى جيشُ صبحِ الــشيب بــالبترِ
فاغسلْ بدمعكَ جفنا بات مُكــتحلا | بنومهِ واكتحَل من إثْمــد الــسهرِ
وانهضْ لتصقلَ مرآة البــصيرةِ مــن | غينِ الغشاءِ وما للذنب مــن أثــرِ
إن الذنوبَ وإن جلــتْ فــإن لهــا | إتيان ســاحةِ طــهَ ســيد البــشرِ
فشد حزم المطايــا قــصده وأنــخ | ببابــهِ والــثم الأعتــابَ واعتفــرِ
وقفْ تُجاه شريفِ الوجه منهُ وقــل | أسندتُ ظهريَ مــن وِزري إلى وزرِ
ولذْ بمــن تفــدُ الأمــلاكُ مُحدقــة | به كما تحــدقُ الهــالات بــالقمَرِ
ونادِ يا نفسُ هــذا البحــرُ منهلــهُ | عذبُ الورودِ ورِد صفوا بلا كــدرِ
مُدي شباكَ الرجــا في مَــد لُجتــهِ | مدى الشباكِ لدى الشباك وأنتظــرِ
واستمطري عينَ سحب الجُود من يده | واذرفي المدامعَ لا تُبقــي ولا تــذرِ
فهْو الشفيعُ المُرجى يــوم لا أحــد | سِواهُ يشفعُ من خوف ومن خطــرِ
أســرَى بــهِ الله لــيلا ثم قربــهُ | وأم في ليلة الإســراءِ كــل سـبرِ
وشرفَ المــلأ الأعلــى وجــاوزهُ | بحُب من خلع التــشريفَ في مــررِ
سادَ الخلائقَ من جن ومــن ملــك | والرسْل والناسَ من بدوٍ ومن حضرِ
كم معجزات له جلــتْ وأعظمهــا | ما أفحمَ البلغــاء اللــسْن بالحــصرِ
أغناهُ عن مدحــة المُــداح قاطبــة | ما كان من ذلك من الآياتِ والسورِ
وجاءَ من جاءه مــستغفرا مُحِيــت | ذنوبهُ في الكتــب الــصادق الخــبرِ
وعنــك يــروى صَــلاة دائمــة | عليكَ يا صادق الأقوال مــن بــررِ

فيا نـبي الهُـدى وفيـت مرتجيـا منك الذي جاء في القرآن والأثـرِ
أرجوه منك ومالي غير حبـك قـد جعلتـه في معـادي خـير مُـدخرِ
حب أزِمتـةُ قـادتْ إليـك فـتى طوى بأيدي المطايـا شـقة الـسفرِ
جاب المهامِه من سـهل إلى جبَـل شوقا لمنظرِ تلك الروضـة النظِـرِ
وها أنا الآن ضيف قد حللـتُ بهـا والضيف يُقرى وأرجو أن يكون قرِ
ولي مطالب حسبي العلم منك بهـا إذ أنت أدرَى بما في النفس من وطرِ
فامنن بها من ذرى عطف على وجل بالباب يرجفُ من خوف ومن حذرِ
ما زال يطمعـهُ[1] طـورا ويؤيـسهُ حسنُ الرجاءِ وذنبٌ قاصِم الفِقـرِ
فامْحِ الإياسَ وحَققْ في الرجا طَمعـا وافتح بحُسن ختـام آخـر العمُـرِ
واشفعْ تَشفَّعْ وقل نسمعْ ومنَّ بمـا للقلبِ والعينِ من سُـؤل ومنتظَـرِ
واقبلْ هديةَ ذي فقرِ لـرب غِـنى يرجو خـزائنَ ذي جـود لمفتقِـرِ
أذابَ تِـبر المعـاني ثم أبرزَهـا في اللفظِ مُفرغة من فوطـة الفكَـرِ
لولا صـفاتُك لم تـصبحْ قوالبُهـا تُضيء كالزهرِ في الأفلاكِ والزهـرِ
بهـا تَطفـل تـاجُ دُره صـدقا فكلل التاج يـا ذا التـاج بالـدررِ
أنتَ جواهرُ تاجِ التاج تفصحُ عـن تاريخها وهْو وجـهٌ أبلـجُ الطـررِ
والظن أنـك قـد حليتـهُ فلقـد أتـى بـذا شـاهدٌ حـي بمعتـبرِ
فيهِ دليـلٌ بنيـلِ القـصدِ أجمعـهِ يا من مُرجيهِ بالمـأمولِ منـه حـرِ
دامتْ صلاةٌ صـلاة كـل آونـة تزف وهْي مـن الأمـلاكِ في زُمـرِ
تَغْشاك والآل والأصحاب ما عذُبتْ أرواحنا بـشَميم الروضـة العطِـرِ

---

[1] في ط: يطعمه.

هـ.

وكتب لي أيضاً ما نصه: ولسيدي الوالد المرحوم المتقدم ذكره يمتدح سلطان الحجاز وابن سلطانه الذاب بفيضه وسمره عن غنيه وصعلوكه، مولانا السيد الشريف ذي الحسب الباذخ المنيف، إدريس بن الحسن[1]، ويتشكر منه على تمكينه من وظيفة الخطابة وإلباسه القفطان يوم مباشرتها سنة 1028.

[طويل]

زها بك دستُ الملك والتاجِ والعقْدِ غداةَ إليك الحل أصبحَ والعقدُ
مُطاعا بعطفِ الله بعدَ رسُوله أولي الأمر فالعاصي لأمرك مرتد
أبا شَرف إدريس مُنتخب العلا أبي الشرفُ الوضاحُ غيرك والمجدُ
لقد خطبتْ شمسُ الخلافة بدرَها فقارنتها في الأوْجِ والطالعِ السعدِ
قنصت العلا بالترهيبة واللهى كما شركاها لا الأماني ولا الوعد
وقمتَ بعبءٍ آذ غيرُك حملهُ منالُ المهاوي ليسَ تدركهُ الرفدُ
وشرفتَ دستَ الملك حين حللتهُ ومرقاك المرقاة والفرس النهدُ
فكنتَ به إدريسُ إدريسَ إذ رقا مكانا عليا خصه الصمدُ الفردُ
وكنتَ ولم تفتْ سليمان إذ دعا فأوتيتَ ما لا ينبغي لفتى بعدُ
وما لم ينلهُ غير آبائك الألى ربوعَ الندا شادُوا وأزرَ العُلا شدوا
ملوكهم الأنياب للملك والسدى إذا نسبوا كانوا الزوائد أوعد
توّلوا وأفضَى مُلكهم لمُحجب تَصادم تيجانُ الملوكِ إذا يبدو
تأخرَ عصرٌ فاستزادَ من العُلى كما زادَ بالتأخيرِ ما ترقُم الهندُ
وأصبحَ عُطلا جيدُ من رامَ عقدها سواهُ وأضحى يستضيءُ به العقدُ

---

[1] إدريس بن الحسن بن محمد بن بركات، أمير الحجاز، ولد سنة 974 هـ، ولي بعد أخيه طالب سنة 1011 هـ، وتوفي سنة 1034 هـ: خلاصة الأثر 3: 288. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 338.

تفردَ طُود المُلـــك بالمَجـــد جامعـــا مزاياهُ فهْو الجـــامعُ العلـــمُ الفـــردُ

رأى إن عرتـــهُ خلـــة منـــه خلـــة فصيرهُ قـــصرًا عليـــه فـــلا يعـــدُ

فيا ملكا بالفـــضلِ أذعَـــن ضـــده وما الفضلُ إلا ما أقـــر بـــه الـــضدُ

بك الدستُ يزهو يومَ سلمَك البرد ويوم الوغى يزهو بك السرج والشرد

وما زلتَ في حاليْك سِلما وضـــده عليك رواقُ المجـــدِ يُرفـــع والبنـــدُ

فيشقى به الجَـــاني ويـــسعدُ مخفـــق ويأمنُ مطـــرودٌ وترهبـــك الأسْـــدُ

إذا بيَّت الأعـــداءُ أمـــرا تـــضاءلتْ لدى خطبه الآراء واســـتتر الرشـــد

وتَرْت قويمَ الفكر قوســـا لـــوترهم وأنفذتَ سهم الرأي لـــيسَ لـــه رَد

وحكَّمتَ فيهم عَاضبا غـــير مُغْمـــد من العزمِ لم يلـــهم لـــه أبـــدا حَـــد

وقُدت من الوفـــد الجِيـــاد مقاتبـــا إذا طُلبت يـــدنو بتقريبـــها البعـــدُ

وغل إلى الأعنـــاق يـــرى بطـــشهم من الرعبِ جيشٌ لا تُشام له جنـــدُ

فأحياؤهم في الأرض مـــوتى كأنهـــا عليهم وقد ضاقت بما رحبت لحـــد

ســـجايا أبي فـــلا يجـــار طريـــده ولا راع يوما جـــار عقبتـــه طـــود

ملك هـــو الطـــود الأشـــم للائـــذ هو البطل المطعان والأســـد الـــورد

جوادٌ لـــه في المـــال صـــولة ثـــائر تحكم في الجـــاني وأحفظـــه الحقـــد

صرت نحونا بالوفـــد كـــل تنوفـــة نجاة نجد الأرض مـــن حرهـــا خـــد

وصاد فلم يفقـــد مرامـــا فجـــوده فقل عوضا عن جاد قد فقـــد العـــد

هو البحرُ عذب للمـــوالي وللعـــدا عذاب لهم مربحـــة الحـــزن والـــد

هو الغـــوث يهمـــي للـــولي وليـــه فينبـــــتُ إلا أن منبتـــــه الحمـــــد

تعدو العدا والسم سمهـــا في لهابـــه وتبلغها منـــه الـــصواعق والرعـــد

أخا الجود قد قلبت الجود ودونها   تقلبت أعناق والمطامع تنفد
وأمطيتني من كاهل العزم مركبا   ترين ذكا كالغور صهوته النجد
ينافسني قوم شارت وقصروا   وما كضليع ضالع خلفه يعدو
ويبخس منهم در نظم زعانف   فوا عَجبا من أين للنقدى والنقد
سماء سمات الفضل لقطى نجمها   ولم يخفهِ ألا ترى ضوءه الرمد
وإني كما خلوتُ أهلي ولم أكن   كفوا مسودا إنما أسعد الجد
ولست به لا عين أسمو وإن يكن   هو الفخرُ يوم الفخر والشرف الفد
ولكن بنفسي والعبدية التي   بها شرف الآباء من قبل والجد
وإني لأرجُو منك ما نالَ من مضى   ولا عجب إن عز بالسيد العبد
بقيتَ بقاء الدهر فينا مملكا   بك التاجُ يزهو والغلائل والبرد

وله أيضا رحمه الله مؤرخا سكنى سيدنا ومولانا السيد الشريف الهمام الغطريف[1] سلطان الحرمين الشريفين مولانا السيد الشريف محسن بن حسين[2] دار الخلافة لما صارت إليه في أول ولايته، وذلك في سنة أربع وثلاثين وألف:

[سريع]

بشراكِ دارَ الملك قد صرت في   حوزة سُلطان الملوك العظيم
من أصبحت من وطء أقدامهِ   رؤوسنا تغبطُ منك الأديم
ملك زهت أم القرى عندما   أصبح للملك الكفيل الزعيم
إن ممشاه بها في بطحى فاح من   أفنيته كافور البطاح الشميم
يكادُ من عرفان كفيه أن   يمسكهُ البيت والركن الحطيم

[1] الغطريف: السيد الشريف السخي: لسان العرب: غطرف.
[2] محسن بن الحسين بن حسن، أمير الحجاز، ولد سنة 984 هـ، استقل بأمر الخلافة سنة 1034 هـ، توفي سنة 1038 هـ باليمن: خلاصة الأثر 309:3. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 340.

فرعٌ زكي مـــن دوحـــة المـــصطفى	أكـــرمِ بفـــرع وبأصـــل كـــريم

فخـــر بـــني عبـــد منـــاف وهـــم	فخرُ بـــني الـــدنيا أســـاة الكلـــيم

ســـــهم وفي الوعـــــدِ ذو فطنـــــة	إدراكها يكفـــي الكـــلام الكلـــيم

مطـــــاع حكـــــم نافـــــذ أمـــــره	حتمـــا بتتريـــل حميـــد حكـــيم

شبت كهـــولٌ عنـــده مثـــل مـــا	شاب برعب منـــه فـــود الفطـــيمْ

أمـــــد بالرعـــــب فأعـــــداؤه	عنـــدهم المقعـــد منـــه المقـــيم

يـــرد عنـــهم كيـــده خوفـــه	ســـهم مـــن قـــوس رأي قـــويم

والبيضُ والـــسمر ومـــن فـــوق ذا	وقايـــة الله الـــسميع العلـــيمْ

تـــبلجَ الملـــك بـــه مـــشفرا	عـــن طلعـــة غـــرا وأمـــر وســـيم

واعتـــدل الدســـت بـــه وازدهـــى	غـــداة أضـــحَى ملكـــه مُـــستقيم

وتـــاهَ قـــصر الملـــك مـــذ حلـــه	كالروح حلت جسمَ عظـــم رمـــيم

كـــل مهنيـــك بمـــا نلتـــه	قصر العلا مـــن ذا يـــسل الغـــديم

بـــشراك ألبـــست ثيـــاب البـــها	والعـــز والـــسعد الـــذي لا يـــريم

عـــز حكـــى التـــاريخ تأبيـــده	إذا صـــح فيـــه بيـــت در نظـــيمْ

وله أيضاً سامحه الله معارضا بها قصيدة لبعض فضلاء عصره ممتدحا سلطان الحجاز السيد الشريف مسعود بن المرحوم إدريس بن حسن[1] رحمهم الله آمين:

[بسيط]

غُديت دُر التـــصابي قبـــل مـــيلاد	فلا ترمْ يـــا عـــذولي فيـــه إرشـــاد

غي التصابي رشـــادٌ والعـــذاب بـــه	عذب لدي كبرد المـــاء للـــصادِي

[1] مسعود بن إدريس بن الحسن، أمير الحجاز، ولي سنة 1039 هـ، توفي سنة 1040 هـ: خلاصة الأثر 1:240. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 344.

وعاذل الصب في شرْع الهوى حرج يـــرومُ تبـــديل إصـــلاحِ بإفـــسادِ
ليت العذول حوى قلــبي فيعـــذرني أو ليت قلب عذُولي بـــين أكبـــادِي
لو شامَ برق الثنايـــا والتـــثني مـــن تلك القدود انتهى من عطف الأســـعادِ
ولو رأى هادي الجيـــداء كـــان درا أن انشقاقَ الهُدى مـــن ذاك الهـــاد
كم باتَ عقدا عليه ساعدي ويـــدي نطـــاق مجتمـــع المخفـــي والبـــادِ
إذا عين العـــين لا تنفـــك طاميـــة لـــو رد مـــاء شـــبابي دونَ أنـــداد
فيا زمنَ الصبا حييـــت مـــن زمـــن أوقاتـــهُ لم نـــرع فيهـــا بأنكـــادِ
ويـــا حبتنـــا زوى تعاهـــدكم في العهـــادِ ســـنون رائـــح غـــادِ
معاهـــدكن مـــصطفاي ومرتعـــى وكم لها طال بل كم طالَ تـــردادي
فيا راحلـــينَ وقلـــبي إثـــر ظعنـــهم ونازحينَ وهـــم ذكـــري وأورادي
إن يطلبوا شرح ما أيدي النوى صنعت بمعروف حلـــف لا عـــاس وإيجـــادِ
فقابلوا الـــريح إن هبـــت شـــامية تروي حديثي لكم موصول إســـنادِ
وا لهفَ نفسي على مغـــنى ســـلمت أيام صـــفو لنـــا كانـــت كأعيـــادِ
كأنهـــــا واد أم الله مـــــشبهها أيام دولة صـــدر الدســـت والنـــادِ
ذو الجود مسعود المـــسعود طالعـــهُ لا زال في بـــرج إقبـــال وإســـعادِ
عـــادت بدولتـــه الأيـــام مـــشرقة تهتـــز مختالـــة أعطـــاف ميـــادِ
وقلـــد الملـــك لمـــا أن تقلـــده فخرا علـــى مـــر أزمـــان وآبـــادِ
وقـــام بـــالله في تأييـــده فغـــدا موفقـــا حـــال إصـــدار وإيـــرادِ
حق لك الحمد بعـــد الله مفتـــرض في كـــل آونـــة مـــن كـــل حمـــادِ
أنقذتم مـــن يـــد الأعـــداء متخـــذا عنـــد الإلـــه يـــدا فـــيهم بأنجـــادِ

داركتهم سـهدا رفقـا فعـادلهم غمـض بجفـن وأرواح لأجـسادِ
بشراك يا دهر حاز الملـك كافلـه بشراك يا دهر أخرى بشريف بـادِ
عادتْ نجوم من الزهـراء لا أفلـت لعـودة الدولـة الزهـر المعتـادِ
وأخضل روض الأماني حين أصبحت الآجواد عقدا على أجيـاد أجيـاد
وأصبح الـدين والـدنيا وأهلـهما في حفظ مالك أهل العـدل ميـداد
مبيح هام الأعـداء مـن صـوارمهِ ما استحصدت بالعاص كل حصاد
شـهم أيـادي أياديـه ونائلـه على الورى أصبحت أطواق أجيـادِ
يفضي يعمـم جـود راحتيـه إلى طلق المحيا كـريم الكـف جـوادِ
بذل الرغائـب لا يعتـاده كرمـا ما لم يكن غـير مـسبوق بميعـادِ
والعفو عن قـدرة أشـهى لمهجتـه صينت وأشفى من اسـتيفاء إيعـادِ
مـآثر كالـدراري رفعـة وسـنا وكثـرة فهـي لا تحـصى تعـدادِ
تسمو مناقب من كل الكمال حوى وأنت ذلك عـن حـصر بأعـدادِ
وأنت من معشر إن غارت أو عرضت جبر إليهـا وفي النـادي كـأطوادِ
كم هزمة لك والأبطـال محجمـة ووقعة أوقفت ليث الـشرى العـادِ
بكـل أبـيض مقـصود لـصطهر وللمرائـر والمـرار قـصاد
فخر الملوك الألى فخر الزمان بهـم ذُم حـائز ملـك آبـاء وأجـداد
واسـتحل أبكـار أفكـار مخـدرة قد طال تعنيـسها في فكـر نقـاد
كم رد خاطبها حتى رأتـك وقـد أمتك خاطبتـه يـا نـسلَ أمجـاد
أفرغت في قالب الألفاظ جوهرهـا سبكا بـذهن ورى الزنـد وقـادِ
وصـاغها في معـاليكم وأخلـصها ود ضـميرك فيـه عـدل إشـهاد

يحدو بها العيس حاديهـا إذا زمـت   من طُول وجد وإرقـال وإسـهاد
كأنها الـراح بالألبـاب لاعبـة   إذا شـذا بـين سمـا ربها شـادِ
بفضلها فـضلاء العـصر شـاهدة   والفضل ما كان عن تسليمِ أضـداد
فلو عدت من حبيـب في مـسامعه   أو الصفى استحال بعـض حـسادِ
واستنزلا عن مطايا القول رحلـهما   واستوقفَ العيس لا يحدو بها الحـاد
وحسبها في التـسامي والتقـدم في   عـد المفـاخر إذ يعـدو لتعـدادِ
تقريضها عندما جـاءت معارضـة   عُوجا قليلا كدا عـن أيمـن الـواد
هـ.

وله رحمه الله ملغزا في مسألة فريضة:

[بسيط]

إلـيكمُ معـشرَ الفُـراض مـسألة   تدقُ إلا على من كـان ذا ملكـةْ
أبٌ توفي عن بنت فقـط فحـوتْ   بالإرثِ سبعة أثمـان مـن التركـةْ

وسئل، رحمه الله، عن حل لغز لبعض علماء البصرة، وصورة اللغز:

[خفيف]

أيهـا المـدعي التـصرفَ في صـر   ف ومـن تهتـدي بـه الفـصحاءُ
قل لنـا أي صـيغة لـيسَ فيهـا   مـن أصـولِ الحُـروف إلا الفـاء
وهي مع ذا حروفها[1] أربـع ليـ   س بهـا مريـة ولا افتـراء
وإذا مـا أردت زدت مثليهـا   عليهـا واللفـظ فيهـا سـواءُ
ليس فيها مـن النواصـب شـيء   لا ولا جـازم فمـاذا البنـاء

فأجاب سامحه الله عن ذلك بقوله:

---

[1] ساقط من ط.

[كامل]

يـــا فاضـــلا في جَامعيـــة فـــضله | لا خلفَ بـــين مُفـــصل أو مُجمـــلِ
طارَ حتى بالفحص عما فيــه ألغــز | ناظما كـــتر العـــلا عبـــد العلـــي
وطلبت كشفَ غطا محاسن وجهــه | فخذِ الجواب ونـــصهُ مـــن مقـــولِ
مهما رأيت تـــرى بنـــون مؤنـــث | قـــد باشـــرته فإنـــه لا ينجـــلِ
وإذا انجلى لك ما أراد فاسأله عنـــه | لغـــز يحـــير فكـــرة المتأمـــلِ
اســـم إذا صـــحفت بنيتـــه تـــرى | عددَ المسمى عنـــد أهـــل الجمـــلِ
لازلتمـــا بحـــرين تظفـــر فيهمـــا | بجواهر تـــسمو علـــى دُرر الحـــل

وقد تأملت ما ألغز فيه شيخنا آخر هذه الأبيات فوقع في نفسي أنه لفظ عام أو حول، لأنك إذا صحفت لفظ بنيته صار سنة، ونقطتها على حساب المغاربـــة ثلاثمائة وخمس وخمسين، وهي عدد أيام السنة العربية القمرية. وإن شئت قلـــت صار بعد التصحيف شنة بالشين المعجمة، ونقطها على حساب المشارقة كذلك، ويحتمل أن يكون اللغز في السنة مفرد السنين، ويكون المراد ببنيته لفظ السنة، أي حروفها، إلا لفظ بنيته كما في الوجه الأول. ولا شك أنك إذا صحفت سنة صار شنة بالشين المعجمة، ونطها على حساب المشارقة عدد أيام الحول المسمى بالسنة.
قلت: وسئل أيضا رحمه الله عن قول القائل:

[كامل]

سَلمْ على شيخِ النحـــاةِ وقُـــل لـــه | عندي ســـؤال مـــن يجيبـــهُ يعظـــمِ
أنا إن شككتُ وجـــدتموني جازمـــا | وإذا جزمـــتُ فـــإنني لم أجـــزمِ

فأجاب سامحه الله عن ذلك فقال:

[كامل]

أعـــدِ الـــسلامَ لـــسيبويْه زمانـــهِ | واذكُر له قبـــل الجـــوابِ المُحكـــمِ
أني مجيبـــك شـــارطا أن تلقـــي | السمع المـــصيخ إصـــاخة المـــتفهم

وإذا وفيـــت بـــه فجـــزم صـــادق   حصل الجواب به لـــدى المـــستدم

فمتى عراك الشك فيه جزمت مـــع   شك وإن تكـــن جازمـــا لم تجـــزم

فاجزم ولا تجزم واشـــكك جازمـــا   تر كيف صحة جزم مـــن لم يجـــزم

قلت: فإن يكن جواب اللغز ما ذكرته، فقد نظمته في أبيات في وزنه ورويه وهي هذه:

[كامل]

يا منْ له الوجـــهُ الجميـــلُ ومنطـــقٌ   منهُ اســـتعارَ جميـــلَ بعـــض تجمُّـــلِ

صحف بنيتـــه يـــا جميـــل فعنـــدها   من قصدك المكنـــون كـــل مؤمـــل

تصحيفها المعـــدود ألـــف منـــه في   وصل كتـــصحيف بكـــسر الأول

عش منه قرنا بعـــد قـــرن صـــاعدا   رتب الكمال إلى المقـــام الأكمـــل

أردت بالبيت الثالث أن تصحيف شنة سنة بفتح السين وألف سنة في وصال الحيا بها كسنة بكسر أولها.

ولنذكر بعض ما قيدته بمكة من كتب غريبة عثرت عليها فيها، فمنها: رحلة الشيخ المحدث محمد بن رشيد السبتي، رأيت منها عدة أجزاء بمكة عند شيخنا أبي مهدي، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق، وعلى هذه النسخة خط المصنف في أماكن[1]، وخط تلميذه الإمام عبد المهيمن الحضرمي، وكانت النسخة ملكا له، وهذه الرحلة كثيرة الفوائد العلمية، فمنها قال: أخبرني بعض الشاميين من أهـــل العلم بالروضة الشريفة يوم الجمعة قال: حكى لي أبو بكر بن العربي الحاتمي الطائي أنه قال: كنت هنا يوماً فجاء رجل فقال لي: أنت ابن العربي؟ فقلت: نعم. قال: أنت الطائي الحاتمي؟ قلت: نعم. فقال: أنت الفتى الذي تزعم أنك تخبر عن الله؟ فقلت: نعم. فقال: فما قال لك؟ قال: فرمت أن أنطق فلم أطـــق، فعلمـــت أن صاحب الحال يقطع صاحب المقال.

---

[1] أشار الأستاذ أحمد حدادي في دراسته لرحلة ابن رشيد أن العياشي "قد قرأ النسخة التي كانت في مكتبـــة الحرم الشريف، ويرجح أن تكون كاملة لما فيها من إفادات بعضها لا يوجد في أجزاء الرحلة المعروفـــة": رحلة ابن رشيد 225:1.

ومنها قال: "ولما وافينا ينبع خرج مغنون بأصوات طيبة عذبة يرددون هذه الأبيات ويحيّون بها القادمين ويحْيون نفوسهم الميتة بطيب تلك النغمات"[1]:

[خفيف]

أيها القادمونَ أهلا وسهلا كيف نجد وكيف بانُ المُصلى؟

كيف خلفتمُ العقيقَ وسلعا وقُبا والنقا ومن ثم حلا؟

فأجابوا لله ما كان أهنا زمن الملتقى وما كان أحلى

قال ابن رشيد: "لله درهم حادوا عن الجواب، لما رأوا أنهم لا عذر لهم في الإياب [...] وينبع عن يمين رضوى، ولمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر [...] روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صلى في مسجد ينبع"[2]، وهو من حديث محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم هـ كلامه.

قلت: يفهم من كلام ابن رشيد: لله درهم، أن كيف في كلام السائل للإنكار والتوبيخ عن الرجوع من تلك الأماكن، وكيف طابت نفوسهم حتى خلفوها، وليس في الكلام ما يدل على ذلك، بل يمكن أن تكون للسؤال حقيقة عن تلك الأماكن على وجه التحسر والتحزن والاشتياق إليها كالتي قبلها. وإذا كان كذلك فالجواب مطابق لأنه إخبار بما يزيد في شوق السائل وحنينه إلى تلك المعاهد.

وأما مسجد ينبع فقد ذكر السيد السمهودي أنه من المساجد التي صلى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنه مسجد القرية التي ينزلها الحاج، وقد ذكر أهل السير أن النبي، صلى الله عليه وسلم، وصل إليها في إحدى غزواته[3]. وأما الأبيات المتقدمة فقد اشتهرت بين أدباء المغرب في قرب ذلك العصر وعارضها بعضهم وذيل عليها آخرون، وممن ذيل عليها الأديب البارع أبو بكر محمد بن الحسن بن

---

[1] ملء العيبة 5: 277.
[2] ملء العيبة 5: 279.
[3] وفاء الوفا 3: 218.

يوسف بن الحسن ابن حَبيش اللخمي الزاهد[1] نزيل تونس المتوفى بها سنة سبع وثمانين وستمائة.

قال العزفي[2] بعد التعريف به وذكر جملة مستكثرة من نظمه ما نصه: وأنشد بعض حجاج المغاربة هذه الأبيات فذكرها وذكر له أنه سمعها بالبقيع وسأله أن يزيد عليها فقال رحمه الله [3]:

[خفيف]

حيثُ روضُ النعيم بالأنسِ يجنى | وعروسُ السرور بالسعدِ تجلى
حيثُ دار الحبيبِ تدعى سماء | والذي حجبت من الشمسِ أعلى
وحلى حمده من البدرِ أبهى | وعُلا مجده من الصبح أجلَى
من رأى ذلك المَحل المحلى | كيف بالصبرِ بعده يتَحلى
كيف يدنُو إلى دَنية دنيا | من له ذلك الجَلال تجلى
أجميلٌ ينسى بثينة أو يرضى | بذاك الجمال دَعدا وجملا
أو لقيس لُبانة غير لبنى | أو يرى عروة لعفرا مثلا
أو يزيد سوى حُبابة يهوى | أو كثير عن عَزة يتسلا
ويح صَاد أبيح وردا بصدى | إن حلا فهو بالفراق يَحلا
أصعب الهجر في المَحبة هجر | ذاقهُ الصب بعدما ذاق وصلا
يا أحبتنا وللعذر يعزى | من تعزى على النوَى أو تسلا
طيبة الطيبينَ قدس منها | مترل هيئتْ به الخلد نزلا
ضاعَ ريا وضاء رويا فقلنا | زهر طالَ أو صباح طلا

---

[1] أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف ابن حَبيش اللخمي، من شيوخ ابن رشد، توفي سنة 687 هـ: نفح الطيب 311:4.

[2] أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد العزفي السبتي، من فقهاء سبتة وعلمائها الكبار، توفي سنة 716 هـ: شرف الطالب، ص: 102. لقط الفرائد، ص: 174.

[3] رحلة ابن رشيد 467:2.

بعد وادي العقيقِ لا شهد يحلو | لا ولا مشهَد بعيني يحلا
مهلا كان رشفةُ أو يروى | وظمائي يزيدُ لو كان علا
ليس لي غير حُب أحمد ذخر | ليسَ يبلى إذا السرائرُ تبلا
هو لي في قبري وحرشي كما قد | همت فيه شيخا وكهلا وطفلا
ليس إلا مُحمد قيل فيه | سَيد الخلق وحده ليس إلا
مصطفاه أحبه وحباهُ بخصال | حَازت من السبقِ خصلا
ما عسى ينتهي له كُل مثن | والمثاني بوصفِ علياه تتلا
ما تنسمت بعد ذكراه مِسكا | ما تعرضت بعد جدواه وبلا
قلبوا القلبَ تبصروا فيه للرو | ضة والأقبُر الثلاثة شكلا
واقرأوا للهوى بخدي طِرسا | كتب الدمعُ فيه ما الشوق أملى
يا محب الرسولِ هذا ثراه | عَفر الخد حيثُ أوطأ نعلا
وقبول الصلاة والصوم إن رمت | فحاوله حيث صامَ وصلى
هاك يا ربعَ الأحبة مني | أربعا أمنت مُحبك محلا
مقلتي مُزنة وحيي روضا | وقريضي ورقا وصَدري ظلا

ثم أطال فيها وهي كلها سلسة غريبة المناحي رائقة الألفاظ عذبة المعاني.

ومنها قال: و"وافينا من ينبع [...] المُغَيِّرَة ماء يحتفر في أحساء، وضبطُ هذا الاسم مفعلة بفتح الغين من التغيير"[1].

قلت: والماء المذكور يسمى في هذه الأزمان نبط، وقد تقدم في محله، وما ذكر في ضبطه أن كان من التغيير كما قال، فيكون مفعلة بفتح الغين المعجمة وتشديد الياء اسم مفعول، والذي ينطق به الكافة في أمثالها وهي كثيرة، ومُغَيْرة

[1] ملء العيبة 5:279.

بفتح الغين المعجمة وياء ساكنة خفيفة، تصغير مغارة من الغور، وهو الأنسب بالأمكنة المسماة بهذا الاسم، والله أعلم.

ومنها قال: "مغارة شعيب [عليه السلام، و] هي ماء مدين [ومدينٍ] بلد جذام، ويروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال لوفد جذام: مرحباً بقوم شعيب وأصهار موسى، ولن تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له[1]"[2]. ومدين الذي سميت به أحد بني وائل بن جذام.

ومنها قال: "ورحلنا من نُخَيل ضحى يوم الأربعاء [...] إلى موضع يعرف بالقباب وافيناه ضحى يوم الخميس [فقِلنا هناك، و] فيه مصانع للماء كثيرة في جباب مقبوة، وفيه غدُر"[3]. وأنشد في وصف تلك الليلة[4]:

[بسيط]

ليل كأن مداه عكس أحرفه ليل وليل فلا طول ولا قصر

قلت: ولا أثر لشيء مما ذكر من المصانع والجباب في وقتنا هذا في الطريق التي يسلكها الحاج في تلك الناحية. وأما البيت الذي أنشده فليتأمله العارف بمقاصد البلغاء هل يدل على طول الليلة وشدتها، أو حسنها واعتدالها، وهو إنما ساقه مساق الدلالة على طولها وشدتها، ولم يتبين لي الآن وجه ذلك، والله أعلم.

ومنها[5] أنه نظر في قول ابن الصلاح وغيره أحاديث الصحيحين مقطوع بها بأن علماء الشأن لم يزالوا يرجحون بعض أحاديثهما على بعض باعتبار رجاله

---

[1] نص الحديث كما ورد في المعجم الكبير: حدثنا أبو خليفة، ثنا الحسين بن محمد بن سعيد الكرابيسي المعروف بشعبة، وكان يجالس علي بن المديني، ثنا حفص بن سلمة بن حفص بن المسيب بن شيبان بن قيس عن قيس بن سلمة عن سلمة بن سعد ثم أنه وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وجماعة من أهل بيته وولده، فاستأذنوا عليه، فدخلوا فقال: من هؤلاء؟ قيل له: هذا وفد عنزة، فقال: بخ بخ صحيح البخاري، نعم الحي عنزة، مبغي عليهم، منصورون، مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى، سل يا سلمة عن حاجتك. قال: جئت أسألك عما افترضت علي في الإبل والغنم والعنز، فأخبره. ثم جلس عنده قريبا، ثم استأذنه في الانصراف فقال له: انصرف فما غدا أن قام فقال اللهم ارزق عنزة كفافا لا قوت ولا إسراف: المعجم الكبير 7:55.

[2] ملء العيبة 5:279.

[3] ملء العيبة 5:279.

[4] ملء العيبة 5:279. ويشير الشاعر في البيت إلى أن كلمة ليل تقرأ من اليمين إلى الشمال كما تقرأ من الشمال إلى اليمين بنات المعنى.

[5] ملء العيبة 5:330.

وبغير ذلك من وجوه الترجيحات النقلية، ولو كان الكل مقطوعا به ما بقي مسلك للترجيح فهذا يعارض الإجماع الذي استقراه ابن الصلاح وبأن الأمة إذا أجمعت على ظن شيء إنما يلزم أن ذلك الشيء مظنون لا موهوم أو مشكوك أو معلوم. هـ قلت: أما قوله: وبأن الأمة إلخ، فقد قال جماعة من الأصوليين أن ظنهم لا يخطيء، وإذا كان كذلك فيفيد القطع. وأما الترجيح المذكور فيقال عليه إن كان باعتبار الرجال فلعله قبل انعقاد الإجماع أو عند من لم يتفطن له و لم ينتبه، إذ ليس هذا من الإجماعات المشهورة المعلومة لكل أحد، أو نقول لتلك الأحاديث جهتان: جهة نقلها آحادا، وجهة الإجماع عليها بعد النقل، فمن نظر إلى الطريق الذي نقلت به واقتصر عليه و لم يلاحظ كونها مجمعا عليها بعد نقلها بطريق الآحاد أمكنه الترجيح بينهما، فإذا لاحظ كونها مجمعاً عليها بعد ذلك ارتفع الترجيح. وأما إن كان الترجيح بغير اعتبار الرجال فلا يضر في كونها مقطوعا بها كما علم من محله، فليتأمل.

ومنها قال: "وضايقت شيخنا الشرف الكركي في تحقق الكسب فآل كلامه إلى أنه إطلاق لغوي من حيث أن العبد صدر منه ذلك الفعل، يعني على وجه الاختيار في الظاهر، فنسب إليه وأنه في الحقيقة مجبور، وهذا الذي قاله ليس بحث الأشعريين عنه"[1]. والكركي هذا شريف إدريسي ولد بفاس وقرأ بها على أبي محمد صالح، ثم انتقل إلى المشرق وقرأ على عز الدين ابن عبد السلام وأخذ على العبقوي، وهو الزكي عبد العظيم المنذري بن القوي المنذري العبقوي نسبة إلى أبيه[2] هـ.

قلت: فإذا علمت أن تحقيق الكسب من الأمور المعضلة عند الأشعرية التي عجزت عن تحقيقها الفحول منهم فلا تلومن من دفع منه إلى مضيق عجز فيه عن التحقيق، ولا تبادر إلى تضليل أو تبديع من أبدى فيه وجها غير معروف عندك ولا مفهوم، والله أعلم.

ومنها بيان في وصف بعض الطفيليين[3]:

[سريع]

---

(1) ملء العيبة 5: 344.
(2) نفسه.
(3) ملء العيبة 5: 342.

لــو طُبخـــت قـــدر بمطمـــورة في الهند أو أقــصى بـــلاد الثغــور

وأنـــت بالـــصين لوافيتـــها يا عالم الغيــب بمــا في القــدور[1]

هــ. قلت: لو قال بالغرب بل الصين لكان أبلغ، ولو قال: يا عالما بغيب ما في القدور، لحسن وتجافى عن لفظ عالم الغيب المشهور بكونه من أسماء الله تعالى، ومثله يتحامى وصف غيره به، ولو كان له وجه صحيح سيما في مقام الهزل، والله أعلم.

ومنها: وللحمّامي[2]:

لا تفُــهْ مـــا حييـــت إلا بخـــير ليكــون الجــواب خــيرا لــديكا

قــد سمعــت الــصدا وذاك جمــاد كـــل شـــيء تقــول ردٌّ عليكـــا

وله لغز في مخفية[3]:

[سريع]

مـــا اســـمٌ تـــراني أبـــدا شـــيّقا لـــه ولـــو كنـــت علـــى نيّـــه

حروفـــه تكتبـــها ظـــاهرا ولـــيس تُقـــرا غـــير مخفيـــه

وله يعرض بالسراج عمر الوراق من جملة أبيات لغز[4]:

[طويل]

أيا سامع الأبيات دونـك شـرحها وإلا فنم عنـها ونبّــه لهــا عمــر

---

(1) في ملء العيبة: الصدور، وهي قراءة من المحقق لأن الكلمة معفاة بالأصل.

(2) ناصر الدين نصير بن أحمد بن علي المصري الحمامي المُنياوي، نسبة إلى بعض منـى مـصر، مـن الأدباء الظرفاء، توفي سنة 712 هـ: ملء العيبة 5: 363.

(3) ملء العيبة 5: 367.

(4) ملء العيبة 5: 366. والأبيات في الأصل خمسة، لم يورد منها العياشي إلا البيت الأخير الـذي لا يقـدم مراد الشاعر الإلغاز بالنار والتعريض بالسراج، وبقية الأبيات:

ما اسم ثلاثي به النفع والضرر له طلعة تغني عن الشمس والقمر

وليس له وجه وليس له قفـــا وليس له سمع وليس له بصـــر

يمد لسانا تختشي الريح باســه ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر

يموت إذا قمت تسقيه قاصـــدا وأعجب من ذا أن ذاك من الشجر

ومنها كتب في صفة حمام بإشبيلية[1]:

[طويل]

ولم أدخل الحمَّامَ ساعةَ بينهم طلاب نعيم بل رَضيت ببُوسي
ولكن لتجْري دمعتي مُطمئنة فأبكي ولا يدْري بذاك جليسي

ومنها: دخل ابن الدوري الحمام ومعه ابن رزين فقال[2]:

[بسيط]

لله يوم بحمّام نعمت بها والماء من حوضها ما بيننا جار
كأنه فوق شقّات الرخام ضحا ماءٌ يسيل على أثواب قصار

قال ابن رشيد: ظن المجيب أنه من تشبيه المفردين فأتى بما يزري بالمشبه، وهو إنما شبه المجموع بالمجموع، ولا خفاء في حسنه.

قلت: والصواب أنه من تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد، فالتغاير حينئذ بين المشبه والمشبه به بتغاير القيدين بحسب غرابة القيدين يحسن تشبيه المقيدين، فالمشبه ماء هنا مقيد بقيد كونه جار فوق شقات الرخام ضحى، والمشبه به ماء مقيد بكونه يسيل على أثواب قصار. والقيدان، وإن كان وجه الشبه بينهما جليا لا غرابة فيه، فلما يخطر أحدهما بالبال عند خطور الآخر، فاكتسب التشبيه بذلك غرابة وحسنا كما هو معروف في محله، إلا أن ألسنة الشعراء حداد[3]، يصورون الحق بصورة الباطل، فمن سمع تشبيه الماء بالماء أنكر ذلك واستبرده من أول وهلة، فإذا تأمله الناقد للشعر العالم بمحاسنه ومعايبه علم حسنه، والله تعالى أعلم.

ومنها: قال أبو حيان: أنشدنا أمين الدين أبو اليمن بن عساكر لنفسه وقد بعث إليه صاحب له فتى اسمه محمد يستدعي ختمه، فبعثها وبعث معها[4]:

[كامل]

---

(1) ملء العيبة 5: 369.
(2) ملء العيبة 5: 369.
(3) رجل حَديدٌ وحُدادٌ: يكون في اللَّسَنِ والفَهم والغضب: لسان العرب: حدد.
(4) ملء العيبة 5: 375.

مـــــولاي إن مُحمـــــدا أوف إلى عليك بالــذكر الحكــيم رسُــولا

علقت بــه روحُ الأمــين صــبابة فعليـــه نـــزّل حُبّــه تتزيـــلا

قلت: وهذا في غاية اللطف في التورية، إلا أنه كان الأولى تجنب استعمال هذه الأسماء الشريفة في مقام المداعبة، وهو محمد والذكر الحكيم والرسول الروح الأمين والتتزيل، و لم ينكر ابن رشيد هذا عندما ذكره، ولعله استخفه لما لم يكن في معنى مستهجن، وإنما هي حكاية الواقع اتفقت فيه هــذه الأسمــاء والأوصــاف مستعملة في معانيها دون تجوز ولا كناية، وهو في غاية الحسن.

وأما أبو حيان[1] الذي ذكره فلا أدري هل هو النحوي المشهور أم لا، فإنه وصفه بصاحبنا، و لم يعده من المشايخ، ولا شك أن أبا حيان إن كــان دخــل القاهرة في ذلك الوقت فغايته أن يكون من لداته وأترابه لا من مــشايخه، إلا أني الآن لست على يقين وعلم بالوقت الذي وصل فيه أبو حيان إلى القاهرة، وابــن رشيد دخلها في حدود ست وثمانين وستمائة في غالب ظني. وبعد أن كنت كتبت هذا تذكرت أنه تقدم فيما اقتطفته من طبقات السبكي أنه قدم مصر قبل ســنة ثمانين وثمانمائة.

ومنها[2]:

[بسيط]

صنائع العرف عند الحــر موجبــة شكرا وعند لئــيم توجــب الإثمــا

كالغيث يثمر في الأصداف لؤلــؤه وفي فم الحيــة الرقطــا غــدا سمــا

وقد انتحلت هذا المعنى بأخصر من اللفظ من غير زيادة معنى فقلت[3]:

---

(1) ذكر ابن رشيد في رحلته أبا حيان قال: "قال أبو حيان الأندلسي، وسطره بخطه: حدثنا التاجر أبو عبد الله البرجوني بمدينة عيذاب من بلاد السودان، وبرجونة قرية من قرى دار السلام، قال: كنت بجامع كولم من بلاد الهند، ومعنا رجل مغربي اسمه يونس، فقال لي: أذكر لنا شيئا؟ قلت له: قال علــي صــلوات الله عليه: إنما وُضع الإحسان في الكريم أثمر خيرا، وإنما وضع في اللئيم أثمر شرا، كالغيث يقع في الأصــداف فيثمر الدر، ويقع في فم الأفاعي فيثمر السم. فما راعنا إلا ويونس المغربي قد أنشد لنفسه: " وأتى بالأبيــات المذكورة. ملء العيبة 5: 375.

(2) ملء العيبة 5: 375.

(3) ورد البيتان في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 496.

[سريع]

العـــرفُ في الحـــر بـــشكرِ حـــري   وعنـــدَ نـــذل مُوجـــب ذمـــا
كالغيـــثِ في الأصـــدافِ دُر وفي   فـــم الأفـــاعي مُثمـــر سُـــما

ثم اختصرته في بيت[1]:

[بسيط]

الغيثُ في صدفٍ أو في فَم الأفعَـى   كالعُرفِ في الحُر أو في النذلِ لا يُرعى

إلا أنه قد فات ذكر وجه الشبه.

وفي آخر[2]:

[بسيط]

العرفُ في الحُر مثل الغيثِ في صدف   يزكو ويخبثُ في قول كفِي الأفعـــى
العرفُ في الحـــر والنـــذلِ عواقبـــهُ   كالغيثِ في صَدفٍ أو في فمِ الأفعـــى

وأحسنها البيت الأخير.

ومنها[3]:

[وافر]

لهيـــبُ الخـــد حـــين بـــدا لعـــيني   هَـــوى قلـــبي عليـــه كـــالفرَاشِ
فأحرقـــه فـــصارَ عليـــه خـــالا   وها أثرُ الـــدخانِ علـــى الحواشـــي

وآخر[4]:

[بسيط]

---

(1) ورد البيت في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 496.
(2) ورد البيتان في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 496.
(3) ملء العيبة 5: 376.
(4) قال ابن رشيد: "وتوجهت يوما لزيارة قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، وتطوفت بالقرافة لزيارة فضلاء من بها، فقرأت في حائط مكتوبا بفحم...": ملء العيبة 5: 378.

لا تحسبنْ شـامةً في خـده طبعـتْ   علـى وضءة خـد راق منظـرهُ
وإنمـا خـده الـصافي تخـالُ بـه   سوادُ عينيك خـالا حـين تنظـرهُ

ومنها: وفي الجزء الخامس من الخلعيات عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، قالت: استيقظ النبي، صلى الله عليه وسلم، من نوم محمرا وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ثلاث مرات، ويل للعرب من شر قد اقترب[1]، إلخ. قال المؤلف: اجتمع في هذا الحديث أربع صحابيات؛ زوجتان للنبي، صلى الله عليه وسلم، وربيبتان.

ومنها يعرف مواقع الوتد المفروق من دائرته بأنه إنما يكون أبداً في التفعيل المفرد في الأنصاف هـ. ومعنى ذلك أنه لا يكون في التفعيل المكرر في شطر واحد كمستفعلن في الرجز والسريع، وفاعلاتن في الخفيف والرمل لتكرره في شطر واحد مرتين أو ثلاثاً، وإنما يكون في الذي لا يتكرر كمفعولاتن في السريع والمنسرح والمقتضب، ومستفع لن في الخفيف والمجتث، وفاع لاتن في المضارع.

ومنها مختصر رعاية المحاسبي لعز الدين بن عبد السلام في عدد المختصرات المفضلات على الأمهات.

ومنها قوله تعالى: (وما ربك بظلام للعبيد)[2]، قال ابن زيتون التونسي: لا ينتسب إلى الله قليل الظلم ولا كثيره، ولكن جرت عادة العرب ألا تنفي عن عظمائها إلا ما يصح نسبته إليها، فلا تقول مثلاً: الملك لا يضيم في تمرة أو يحيف في كسرة، وإنما تقول: لا يظلم بقتل النفوس ونهب الأموال، فيقولون على هذا الأسلوب: الملك ليس بظلام، ولا يقولون ليس بظالم. هـ. قلت: وهو حسن إلا أنه يرد عليه قوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)[3] و(لا يظلم الناس شيئا)[4]، وأشباه ذلك مما بقي فيه الشيء الحقير لإرادة نفي الكثير بالأولوية لإفادة العموم. والظاهر أن المراد المبالغة على بابها لنفي كثير الظلم. ووردت آيات أخر لنفي قليله

---

(1) المعجم الكبير 23:416.
(2) فصلت: 46.
(3) النساء: 40.
(4) يونس: 44.

وأخرى لنفي الظلم مطلقا الآيات المتقدمة، وكقوله (وما ظلمهم الله ولا يظلم ربك أحدا)[1] كما هو عادة القرآن في التفنن في التعبير، وكل ذلك منفي عن الله من قليل وكثير وشديد وغيره، فيقال: لم عبر في هذا المحل بظلام الذي للمبالغة، وفي محل آخر بغيره؟ وذلك من أسرار البلاغة التي لا يطلع عليها إلا الحذاق، كأن يقال مثلا في قوله (وما ربك بظلام للعبيد)[2] إثر قوله: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها)[3]، معناه أن إساءة الإنسان مقصور وبالها عليه، وجزاؤها لا يتعداه إلى غيره ممن عمل صالحا، ولو تعدى لغيره لكان ذلك نهاية في ظلم من يصح أن يصدر منه ظلم كما يقع من بعض ملوك الدنيا يؤاخذون الجار بذنب جاره، والمرء بجريرة غيره، وهو في النهاية في الظلم. ولما كان الظلم المتصور منا عظيم حسن الإتيان بصيغة المبالغة لتدل على أن الظلم المنفي هنا لو وقع كان عظيما حذر الله بذلك عباده لئلا يقعوا في مثل هذا الظلم الفظيع، وإلا فهو تعالى لا يتصور منه ظلم أصلا، إذ لا يتصرف إلا في ملكه، فليتأمل.

ومنها قوله: رُفِع عن أمّتي الخطأ، أي حكم الخطأ، وهو أولى من إثم، إذ لا تحصل المبالغة من نفي الحقيقة إلا برفع جميع لوازمها، ومن قدر إثما فلأن المحزون يتقدر بمقدار الضرورة وإثم أخص وهو أيضا مجمع عليه، وما سواه مختلف فيه هـ. قلت: والمسألة مبسوطة في كتب الأصول. ومنها قوله في الحديث لا ها الله إذ لا يعمد، معناه: لا إله إلا الله، أي لا يكون ذلك، ثم ابتدأ، إذ لا يعمد بفتح الياء وضمها، وفتح الميم وكسرها. ومنها قوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[4] برفع الله ونصب العلماء، أي يجامل، لأن الخاشي يخاشي ويرضي من يخشاه.

ومنها: إذا تعارض في المجاز حمل اللفظ على مسببه أو سببه، فالثاني أولى لأنه يستدعي مسبباً خاصاً كما إذا قلت: أكلتُ خبزاً كثيراً، فيستدعي الشبع، وإذا قلت: شبعت استدعى مأكولاً غير معين، وهذا معنى قولهم إطلاق السبب على المسبب أقوى من العكس.

---

(1) الكهف: 49.
(2) فصلت: 46.
(3) فصلت: 46.
(4) فاطر: 28.

ومنها كتاب الفصوص تأليف أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي جمعه للمنصور بن أبي عامر لما قدم الأندلس ليضاهي به كتاب النوادر لأبي علي القالي هـ.

قلت: وحكايته معروفة عند المؤرخين إذ أمر المنصور بتغريقه، فأنشد فيه بعض الشعراء[1]:

[سريع]

قد غاصَ في البحر كتابُ الفصُوص ... وهكذا كل ثقيل يغوصْ

فأجابه مؤلفه بقوله[2]:

[سريع]

عاد إلى عنصُره إنما ... تخرجُ من قعر البحورِ الفصوصْ

وهذا نهاية في حسن الجواب.

ومنها مشكلات التلقين للقاضي عبد الوهاب في ألفاظ ومشكلات التفريع لابن الجلاب في فقهه.

ومنها لأبي الفضل ابن شرف[3]:

[وافر]

ولم أجزعْ لهولِ الموْت لكن ... بكيتُ لقلة الباكي عَليا

وأن الدهرَ لم يعرفْ مكاني ... ولا عرفتْ بنوهُ ما لديا

زمانٌ سوف أُنشَر فيه نشرا ... إذا أنا بالحِمام طُويت طيا

أُسَر بأنني سأعيشُ ميْتا ... به ويسوؤني أن مت حَيا

هـ.

---

(1) ورد البيت بلا نسبة في نفح الطيب 3:78.
(2) ورد البيت في نفح الطيب 3:78.
(3) وردت الأبيات في نفح الطيب 3:229.

قلت: و لم أسمع بأحد رثى نفسه في حياته بأبلغ من هذا.

ومنها يروي عبد الكريم ابن عطاء الله عن أبي الطاهر بن عوف الزهري عن الطرطوشي هـ.

قلت: والذي في كثير من الفهارس أن ابن عطاء الله يروي عن الطرطوشي، وكنت أستبعد ذلك إلى أن ظفرت بهذا فعلمت أنه سقط واحد في كلام أهل الفهارس.

ومنها لما ذكر عبد الله الصُنابحي راوي حديث الموطأ: إذا توضأ العبد فمضمض واستنشق خرجت خطاياه من فيه[1]، ما نصه: اختلف الناس هل وجد في الصحابة من اسمه عبد الله الصنابحي أو لم يوجد، وإنما هو أبو عبد الله الصنابحي التابعي المشهور. ثم ذكر العلماء وأطال إلى أن قال: "وقد وقفت على كلام جيد في المحاكمة بين هذين القولين في كتاب المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإغفال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم من الأخلال أو الإغفال وما انضاف إليه من تتميم وإكمال مما تولى تعليقه الحافظ الناقد أبو عبد الله محمد بن الإمام يحيى بن المواق رحمه الله تخريج بعضه من المبيّضة، ثم اخترمته المنية و لم يبلغ من تكميله الأمنية، فتوليت تكميل تخريجه مع زيادة تتمات، وكتب ما تركه المؤلف بياضا"[2] هـ. وذهب فيه إلى صحة وجود عبد الله المذكور، وهو صحابي، وأنه غير أبي عبد الله التابعي المشهور.

قلت: وإنما كتبت هذا لأني رأيت في نسخة من تكملة ابن الأبار عند ذكر عبد الحق الإشبيلي، أن ابن القطان ألف في أوهام كتابه الأحكام، فرأيت في هامشه بخط الإمام القصار ما نصه: وتعقب الناقد المحقق أبو عبد الله المواق كتاب شيخه ابن القطان هذا تعقبا ظهر فيه إدراكه ونبله هـ. فظن بعض الأصحاب أن المراد به المواق شارح المختصر، فاستبعد ذلك، فلما ظفرت بهذا علمنا أنه غيره، والله أعلم.

ومنها: قال: حضر في مجلس بعض شيوخه بتونس شخص من طلبته قال: ما كنت أعرفه قبل ذلك، فجرى ذكر مسألة من شك في النجاسة. فقلت إن شك في

---

(1) سنن ابن ماجة 103:1.

(2) ملء العيبة 50:5.

النجاسة وتحقق الحصول وجب النضح كمن حلف بالطلاق وشك في الحنث وهو سالم الخاطر حنث على المشهور، وإن شك في الحصول وتحقق النجاسة لم يلزم النضح، أو كان مستحبا كمن شك أطلق أم لا، لا يؤمر بالطلاق إذ لم يستند إلى أصل، وإن شك فيهما فلا نضح. قال: فقوي عندي هذا التنظير وأعجبني وغفلت عن مشهور المذهب، فقلت: هذا هو المعروف. فقال ذلك الشخص: يا سيدي هذا المعروف يحتاج إلى معرف، فكأنما ألقمني حجرا، فقام و لم أجتمع به بعد ذلك. ثم أنشد ابن رشيد:

[متقارب]

ومن ظن ممن يُلاقي الحُروب بأنْ لا يصابَ فقد ظن عَجزا[1]

ثم ذكر المذهب بعد ذلك إلا أنه في خلال ذلك قوي التنظير الذي ذكر.

قلت: وفي تقويته نظر إذ لا يتمشى على قواعد مذهب مالك، فإن الشك في المانع عندنا لا يضر بخلاف الشك في الشرط والسبب. والشك في الحنث بعد تحقق الحلف شك في الشرط عندنا، وهو دوام العصمة، وعند الشافعية شك في المانع كالشك في الحدث بعد تحقق الطهارة، فعندنا يضر وعندهم، لا بناء على ما تقدم. وأما الشك في الطلاق فشك في المانع عند الجميع، وكذلك الشك في النجاسة مع تحقق الحصول أو دونه شك في المانع الذي هو النجاسة، فلا يضر. وتحقق النجاسة مع الشك شك في الشرط الذي هو عدم ملاقاة المصلي للنجاسة فيضر؛ إذ طهارة الخبث شرط في الصلاة على المشهور، والشك في ملابسة الشيء الحاصل مانع من صحة الصلاة، وانتفاء حصول الشيء النجس شرط لها، والفرق بينهما يدرك بالتأمل، فالشك في أحداهما غير الشك في الآخر من كل الوجوه، وتحقق المسألة يحتاج إلى طول وبيان أن انتفاء المانع هل شرط أم لا، وهي مسألة خلاف بين الأصوليين.

ومنها: قال من تردد نظره في العمرة لاختلاف العلماء بين الوجوب والندب، هل يأخذ بالنية العامة، وهي كونها مطلوبة. أجاب شيخنا ابن عبد القادر التونسي بأنه يقلد أحد القائلين.

[1] البيت للخنساء، الديوان، ص: 277.

قال ابن رشيد: ولي في تسويغ النية العامة سؤال شديد ملخصه أن أحد الأمرين لازم، أما إبطال القول بأن الأحكام الشرعية منحصرة في خمسة، أو خلاف الإجماع في جواز الإقدام على العمل من غير وقف بالمطلقات إذا تعرت عن القرائن كأعتق وأضرب، فمن جعل الأمر حقيقة في القدر المشترك دفعا للمجاز والاشتراك لزم القول بالقدر المشترك فنشأ عن هذا جواز الإقدام من غير توقف عند قول الشارع، مثلا اعتمروا من غير قرينة معتقدين للقدر المشترك، وذلك يستلزم ثبوت حكم سادس، وهو كونه مطلوبا، وذلك أعم من كونه واجبا أو مندوبا، والعام لا إشعار له بالخاص، وهذا معنى النية العامة، أو يلزم التوقف على الإقدام على العمل في المطلقات العريات عن القرائن وهو خلاف الإجماع، فلقد لزم أحد الأمرين إما ثبوت حكم زائد، أو لزوم التوقف، وكلاهما خلاف الإجماع. ومما يستدل به لصحة النية العامة قول ابن عمر لما سئل عن الوتر أواجب أم لا؟ قال: أوتر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأوتر المسلمون. فأعيد عليه السؤال، فأعاد الجواب، والسؤال قوي وما يجاب عنه به ضعيف هـ كلامه.

قلت: ولم يتبين لي قوة السؤال بل تبين لي ضعفه من وجوه أحدها: لا نسلم انحصار الأحكام الشرعية في الخمسة لأن تقسيمها اصطلاح أصولي. وقد اختلفت أقوالهم، فمنهم من قسمها إلى ثلاثة أقسام، وعد خطاب الوضع منها لأنهم قسموا خطاب الله المتعلق بفعل المكلف المفسر به الحكم الشرعي إلى طلب وإباحة ووضع لهما، ثم قسموا الطلبة إلى أربعة والوضع إلى ثلاثة كما هو معلوم، فصارت الأحكام تسعة. ثانيها أن ميل المراد خطاب التكليف لا خطاب الوضع، وإن كان يسمى حكما، فنقول: هو كذلك أيضا منهم من قسمه إلى قسمين: طلب وإباحة، وإلى ثلاثة: طلب فعل، أو طلب ترك أو إباحة. وبعضهم لا يعد الإباحة من خطاب التكليف. ومنهم من قسمه إلى خمسة، وهو المتعارف، وعد الإباحة. وزاد بعضهم سادسا وسماه خلاف الأولى، وعليه جرى المتأخرون، فإذا صح زيادة قسم سادس فلم لا يصح زيادة سابع بعد أن يكون داخلاً تحت التعريف وهو خطاب الله إلخ.

ولا شك أن هذا القسم الذي قال ليس خارجا عن التعريف، بل هو مثل تقسيم من قسم إلى طلب فعل وطلب ترك. وهذا طلب فعل، ثم بعد أن يعد قسما يمكن تصييره قسمين أو أقساما كما تقدم، أو إبقاؤه قسما واحدا ثالثها: سلمنا

انحصارها في خمسة فلا نسلم أن هذا خارجاً عنها بل هو واحد من اثنين منها لا بعينه، فيكون المطلوب به الإنسان عند قبوله، اعتمدوا الإتيان بالعمرة بنية الفرض والنفل، وأيتهما ترى كفت في سقوط الطلب، ولا بدع في ذلك كما في الواجب المخير، وكما في كثير من النوافل التي تقوم مقام الفرض ويسقط بها طلبه سيما في باب الحج. رابعها: لا نسلم بأن القول بالقدر المشترك قول بالنية العامة لأن معناه أن الأمر موضوع للقدر المشترك بين أقسام الطلب، فهو مقبول عليها بالتواطئ حقيقة في كل قسم منها حذراً من المجاز والاشتراك، وهذا معنى القدر المشترك عند المحققين، فإذا فهمت هذا فالمتواطئ هل هو عام في إفراده فيلزم الإتيان بها كلها إذ هو ظاهر فيها على المشهور، أو مطلق، فيكفي فرد منها، أو مجمل، وقد قيل به فيتوقف عن العمل حتى يقع البيان في الأقوال الثلاثة خلاف طويل عريض مشهور بين الأصوليين، فليت شعري قوله آخراً وكلاهما خلاف الإجماع متى استقر هذا الإجماع بعد الخلاف الذي تلوناه عليك في كلا القسمين، ولا يمكنه دفعه، أم قبله. والحاصل أن الإجماع لا يصح بحال في قسم من القسمين.

وأما قوله: والعام لا إشعار له بالخاص، يعني من حيث خصوصه. أما من حيث كونه فرداً من أفراد العام غير معين فيشعر به، وإلا لما كان عاماً. وعلى كل حال فمن أتقن ما يتعلق بالمسألة من أصول الفقه علم عدم تحرير السؤال وأنه ليس بالمكان الذي زعم من القوة، وأنه لا يلزم ثبوت حكم زائد ولا التوقف عن العمل وعلى تقدير لزومهما أو أحدهما لا كبير محذور فيه من مخالفة إجماع لأنها أقوال قيلت معزوة لأربابها من الأئمة في محالها فليتأمل.

ومنها لأبي بكر بن صقلاب:

[كامل]

كم قلتُ ما أجفى مُحبا غافلا | حتى ابتليتُ فقلتُ ما أجفاني
زارَ الحبيبُ فلم يجدني بَاسطا | بطريقهِ خدي ولا جفّانِي

ولغيره:

[كامل]

وإذا أتيتكَ زائِرا مُتشوقا | قصرَ الطريقُ وطال عند رُجوعي

قلت: لو قال: سهل الطريق وشق عند رجوعي لكان أولى لأن المحب يستسهل كل ما يلقى في طريق لقاء محبوبه. أما وصفه بالقصر فهو خلاف المعروف عند الشعراء من استطالتهم أيام الوعد في طريق الأحبة، فمن واعده حبيبه بأن يزوره غدا طالت عليه تلك الليلة غاية الطول، وإنما يستصغرون أيام الوصل مما يترقبون بعدها من الفراق. والحاصل أن كل زمان يترقب بعده حصول محبوب، فهو عند النفس طويل، وكل زمان يترقب بعده حصول مكروه فهو قصير، هذا بالنظر إلى ما قبل زمان الحصول وما بعده. وأما بالنظر إلى زمن الحصول فلا يخفى أن زمن حصول المحبوب قصير وضده طويل فليتأمل.

ومنها: أراد أبو الحسن الرعيني سفرا فشيعه الوزير أبو الحسن سهل بن مالك، فمر معه على بعض حدائقه، فقَدَّم له خياراً، فلما أراد القيام قال له: ألم تسمع قول الشاعر[1]:

[طويل]

ولو نُعطى الخيارَ لما افترقنا ... ولكن لا خيارَ مع الزمانِ

وقد أعطيتك الخيار.

ولأبي الفتح[2]:

[طويل]

لأول أشكالِ القياس نتائِج ... تفيدُ شفاءً في جميعِ المطالبِ

وليسَ لثانِيها إذا ما سبرتَهُ ... نتائجُ في التحقيقِ غير السوالبِ

وللثالث الجزئي إذا ما نظرتَ في ... نتائجهِ والحق أصدقُ طالبِ

فكنْ حَفظا ما قلتهُ تنتفعْ بهِ ... فلن يستجيبَ الدَّر إلا لحالبِ

ولغيره:

[طويل]

(1) ورد البيت بلا نسبة في نفح الطيب 2: 454.
(2) رحلة ابن رشيد 2: 888.

وكُل قَـصِيٍّ الـدارِ يـذكُرُ أهلـهُ ولكنْ كذِكْري ليسَ يـذكرُ ذاكـرُ

ولغيره[1]:

[كامل]

صـبرًا لحُكمِـك أيهـا الـدهرُ لـك أن تجـورَ ومـنيَ الـصبرُ

آليـتُ لا أشـكوكَ مُجتهِـدا حـتى يَـرُدكَ مـن لـهُ الأمـرُ

قال أبو الحسن الزيات: ماشيت بعض الأدباء بشرقي قرطبة، فمررنا بمسجد خرب وذلك في وقت خلاء وقائلة، فكتب ذلك الأديب على المسجد هذا:

[وافر]

بـأي جنايـةٍ وبـأي ذنـب بُيـوت الله خرَّبهـا الزمـانُ

فأفحم، ودُرنا بجوانبه ثم عدنا و لم نَرَ أحداً، فوجدنا بيتاً مكتوباً:

[وافر]

فـسادُ النـاسِ خرَّبهـا ولـولا فسادُ النـاس مـا فـسد الزمـانُ

ومنها[2]:

[طويل]

لئن درستْ أسبابُ ما كـان بيننـا من الأنس ما شوقي إليكم بـدارس

وما أنا مِـن أن يجمـعَ الله شملنـا على خيرِ مـا كنـا عليـه بـآيسِ

ومنها: أكثر ما ورد من رواية الصحابة بعضهم عن بعض أربعة، وذلك فيما رواه البخاري في كتاب الأحكام من جامعه قال: نا أبو اليمان، نا شعيب عـن الزهري قال: نا السائب بن يزيد أن ابن أخت نمر حويطب ابن عبد العزى، أخبره أن عبد الله بن السعدي، أخبره أنه قدم على عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في

---

[1] البيتان لابن سيدة، وهما في النجوم الزاهرة 165:5.
[2] ورد البيتان بلا نسبة في زهر الأكم 190:3.

خلافته فقال له عمر: ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالا، فإذا أعطيت العمالة كرهتها[1].

ومنها: وممن تجدد لنا لقاؤه بحضرة تونس عند[2] مقدمي عليها قافلاً من الوجهة الكريمة صاحبنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الشاطبي[3] قال لنا: حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد ابن علي المصري التوزري[4] قال: ولد عندنا بتوزر حرسها الله ليلة غرة رجب الفرد عام أربعة وسبعين وستمائة جدي أسود غرته بيضاء وفيها مكتوب بالأسود: محمد، بخط بيِّن يقرؤه كل أحد، فألفت في ذلك تأليفا سميته بكتاب الغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الخطوط الصمدية والمفاخر المحمدية، ونظمت في ذلك قصيدة منها:

[كامل]

جدي غدا كالجَدي أشرق نُوره ... فمحلهُ فوقَ السماكِ الأعزلِ

رقمَتْ يدا الأقدارِ صفحةَ وجهه ... رقما بديعا باسْم أكرَمِ مُرَسلِ

ثم ساق أكثر أبياتها، ثم قال: أبو عبد الله التوزري هذا أحد أعلام العلماء وصدور القضاة الفضلاء، وله معارف جَمَّة وتصانيف مفيدة، وكان زاهداً فاضلاً نَفَع الله به، مولده بتوزر ليلة الخميس السادس والعشرين من شعبان المكرم عام ثمانية عشر وستمائة، وفاته يوم السبت حادي عشر شهر ربيع الأخير سنة إحدى وثمانين وستمائة، شرح قصيدته التي خمس بها الشقراطيسية في مجلدات عدة، هـ.

ومنها: قال لنا ابن حيان عندما أنشدنا هذه القصيدة، يعني قصيدة ابن سهل في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[5]، قال لنا أبو مروان بن خليل عندما أنشدناها:

---

(1) صحيح البخاري 6:2620.

(2) ساقط من ط.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان، الأوسي الأنصاري، الشيخ المقرئ، ولد سنة 631، أجاز له جماعة من أهل المشرق والمغرب، له فهرسة شيوخه على حروف المعجم لم تكتمل، مات بتونس سنة 718هـ: فهرس الفهارس 1:361.

(4) أبو عبد الله محمد بن علي المصري التوزري، ابن الشباط، من القضاة الفضلاء، له تآليف مفيدة، توفي بتوزر سنة 681 هـ: شجرة النور الزكية 1:274.

(5) هي قصيدة عينية في 26 بيتا، مطلعها: (الديوان ص: 53 – 55).

تنازعني الآمال كهلا ويافعا ... ويسعدني التعليل لو كان نافعا

كان ناظمها أبو إسحاق إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي[1] يهوديا وأسلم وتبين إسلامه، وكان يكره أن يذكر له دين اليهود أو يداعب به، ولما علم الوزير أبو علي الحسن بن أحمد بن خلاص القضاعي حبه في الإسلام ظاهراً نهى أن يذكر له، وشدد في الوعيد لمن ذكره له أو داعبه به. قال: ومات أبو إسحاق عام خمسة وأربعين وستمائة غريقا في الغراب الميمون صحبة أبي القاسم محمد بن الوزير أبي علي بن خلاص، وسنه نحو أربعين سنة، هـ ما قاله ابن حيان.

وقال ابن رشيد: قلت: أبو إسحاق هذا هو الكاتب المشهور الشاعر الغزِل المجيد، إشبيلي الدار وبها قرأ وتأدب، وكان يظهر الإسلام، وقد اختلف في أمره، وقد ذكر لي شيخنا أبو القاسم القَبْتَوْري[2]، وكان ممن صحبه أنه سأل عنه بعض من يعرف دخلته فأخبره أنه يسر دين قومه ويظهر دين الإسلام، والله أعلم. وقد رأيت بخط أبي عبد الله بن الجنان[3] ما يدل على أن ابن سهل باق على يهوديته، وكان يسيء الرأي فيه، والله أعلم هـ كلام ابن رشيد.

قلت: ورأيت في الهامش هنا من هذه النسخة بخط الخطيب ابن مرزوق جد الحفيد ابن مرزوق ما نصه: صحح لنا من أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام.

ومنها: وممن لقيته بتونس الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني[4]، وقد وصفه صاحبنا حفيد عمه أبو الفضل محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد في كتابه الذي سماه الحلى التيجانية الذي جمعه برسمنا حفظه الله فقال: آدب الجماعة، وحافظ الآداب، وكاتب العلامة، وعلامة الكتاب، وناظم

---

(1) إبراهيم بن سهل الإشبيلي، نشأ في إشبيلية الأندلسية في عهد الدولة الموحدية، ثم هجرها فور استيلاء الإسبان عليها، اتصل بابن خلاص والي سبتة، ومات غريقا معه سنة 649 هـ: ديوان ابن سهل، ص: 5 من مقدمة المحقق.

(2) أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري، الإشبيلي المولد والمنشأ، ولد سنة 615 هـ، كتب لأمير سبتة، وحدث بتونس عن العراقي وجاور زمانا وتوفي بالمدينة سنة 704هـ: نفح الطيب 2:595.

(3) محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله ابن الجنان، من أهل مرسية، محدث راوية،كاتب شاعر، خرج من بلده سنة 640 هـ فاستقر بأريولة إلى أن دعاه إلى سبتة الرئيس أبو علي ابن خلاص، فوفد عليه، ثم توجه إلى إفريقية فاستقر ببجاية إلى أن توفي بها سنة 650 هـ: نفح الطيب 7:416.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد التيجاني، الأديب، لقيه ابن رشيد بتونس خلال رحلته: رحلة ابن رشيد 1:328.

الحفاظ، وحافظ أولي النظم، وعالم الحفاظ، وحافظ أولي العلم. وأنشد له أبياتا منها[1]:

[هزج]

لا تحـــزن ولا تقـــنط فـــإن الـــرزق مقـــسوم

فـــإن ضـــاقت بـــك الحـــال فتفـــويض وتـــسليم

قوله: وإن ضاقت بك الحال استعمل فيه التخميع، ويقال التجميع، وهو عيب، ومعناه أنه هيأ البيت للتصريع و لم يصرع لاضطراره للقافية، ولو قال: وإن ضاقت به حيل، يعني بالرزق، لخرج عن هذا العيب اللاحق.

ومنها: أبو العباس بن محمد بن أحمد الأزدي الإشبيلي عرف بابن الحاج، توفي من خارج تونس عام تسعة وأربعين وستمائة، له تصنيف على كتاب سيبويه، ونقد على مغرب ابن عصفور، وكان يقول: إذا أنا مت صنع أبو الحسن بن عصفور في كتاب سيبويه ما أراد لأنه لا يجد من يرد عليه.

ومنها: ولأبي الحسن حازم[2]:

[وافر]

صـــليه أو كليـــهِ لمـــا يُلاقـــي ولا تتكلفـــي خـــدع المـــآقي

ودُونك فانظُري طمحـــان عـــرفي إلى أعلـــى المراقـــب والمراقِـــي

بأعمـــالي حروفـــا مُـــضمرات نواصـــب في الهجـــير لمـــا تلاقـــي

قال ابن رشيد: عرض له بقوله في الهجير انصراع، لأن المقصود من التورية أن لا يكون في الكلام لفظ يعين المقصود من التورية إلى الوجه الواحد. وقوله في الهجير عيّن أنه النوق، وكثيرا ما وقع هذا الصدع بجماعة من الشعراء و لم أر من تفطن له. قلت: وهو كثير في كلام فحول الشعراء، و لم أر من عابه إلا هذا الإمام، بل هو كالترشيح في الاستعارة بالكناية.

---

(1) ورد البيتان في كتاب: رحلة ابن رشيد 328:1.
(2) رحلة ابن رشيد 626:2.

ومنها: روى عن أحمد بن خزيمة الكناني قال: كنت ليلة في بستاني وصليت الغداة، قد سقط الطل عن الزهرة، فاستحسنتها ورأيت شقائق النعمان ففكرت فيها، وقلت في نفسي: ليت شعري من النعمان الذي تنسب إليه هذه الريحانة، ثم غلبني النسيم فنمت، فرأيت في منامي كأن قائلا يقول لي: إن النعمان ولي من أولياء الله سأل الله أن يريه لباسه في الجنة فنبتت هذه الريحانة فنسبت له، وقعت هذه الحكاية في تاريخ [ابن] السمعاني[1] الذي ذيل به تاريخ بغداد للخطيب في اسم عبد الرحمن بن أحمد الطبري.

ومنها:

[وافر]

كأن عذارةُ المسكي لامٌ ... ومبسمهُ الشهي اللثم صادُ

وطُرة شعره ليلٌ بهيم ... فلا عجَبٌ إذا سرقَ الرقادُ

وهذا معنى عجيب أنتج مما تخيله من مقدمة اللام والصاد التي ركب منها لصا، ومن مقدمة الليل البهيم تمكن اللص من سرقة الرقاد، فوجب أن ينتفي التعجب من سرقة الرقاد.

ومنها: ولعبد العزيز المعروف بابن رأس الحجلة[2] يخاطب بعض الأمراء في مداعبة دعاه فيها إلى المشاركة في اصطناع طعام:

[بسيط]

منك السَّميدُ ومني النار أنفخها ... والماءُ مني ومنك الزبدُ والعسلُ

كل على قدرهِ في حالِ قدرته ... الوقت سيفٌ فلا ريث ولا مهلُ

فدفع له ستة دنانير ذهباً.

---

[1] ابن السمعاني: أبو سعد عبد الكريم ابن الحافظ معين الدين أبي بكر بن أبي المظفر منصور التميمي السمعاني المروزي، صاحب التصانيف، ولد سنة 506 هـ، وتوفي بمرو سنة 562 هـ: فهرس الهارس 1039:2.

[2] أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن الجعدي المعروف بابن رأس الحجلة، أديب ناظم، تولى بعض الخطط بتونس، وهو ممن التقاهم ابن رشيد خلال رحلته: رحلة ابن رشيد 314:1.

ومنها: بعث بعض وزراء مدينة شريش[1] إلى أبي بكر بن رفاعة جبنا، فكتب إليه أبو بكر[2]:

[سريع]

قد أقسمَ الجبنُ على حرد[3] لا ينثني عن صحبة الزبدِ

وغلظ الزبدُ يمينا لما يحل عقد من يد الشهدِ

واختصمُوا في حكم أيمانهم وغلبوا الأوحدَ في المجدِ

فوجه الدَّرْمَك[4] يقضي لهم بالجمع في مائدة الحمْد

أكْرِم به من حاكم فاضِل قد أوتي الحكمة في المهدِ

وهو من السهل البديع الممتنع الرفيع.

ومنها: [قال] أبو عمرو بن الصلاح: ويرقى على قُزح[5]، وهو جبل صغير إن أمكنه، وإلا وقف عنده وتحته. قال: وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذي ذكرناه الوقوف على بناء مستحدث في وسط المزدلفة، ولا تتأذى بذلك هذه السُّنة، والله المستعان[6].

قال أبو عمرو: "أول مُحسر من القرن المشرف من الجبل الذي على يسار الذاهب إلى منى، ثم يخرج منه سائرا إلى منى سالكا للطريق الوسطى التي تخرج إلى العقبة، وليس [وادي المحسر] من مزدلفة ولا منى، وهو مسيل ماء بينهما"[7].

ومنها[8]: يستحب تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر لما يرجى من اجتماع البركات التي وردت في الآيات الثلاث وهي قوله تبارك وتعالى: (إن أول

---

(1) شريش: مدينة كبيرة من كورة شذونة بالأندلس: معجم البلدان: شريش.
(2) أنظر: رحلة ابن رشيد 2:639.
(3) حرد: الحَرْد: الجد: لسان العرب: حرد.
(4) الدرمك: دقيق الحُواري: لسان العرب: درمك.
(5) قُزح: جبيل صغير، وهو آخر المزدلفة: ملء العيبة 5:102.
(6) ملء العيبة 5:102.
(7) ملء العيبة 5:101.
(8) أنظر: ملء العيبة 5:84.

بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً)[1]، وقوله: (كتاب أنزلناه إليك مبارك)[2]، وقوله: (ونزلنا من السماء ماء مباركا)[3]. وفي هذا القدر كفاية لما انتقيته من رحلة ابن رشيد.

لطيفة:

رأيت بمكة سِفْراً في القالب الكبير في أمداح النبي، صلّى الله عليه وسلّم، قال كاتبه في آخره: كمل السفر التاسع من كتاب منتهى السول من مدح الرسول[4]. وذلك في أوائل ربيع الآخر عام ثلاثة وسبعين وستمائة. وكتب محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري، قلت: وهذا التأليف لم يقصد فيه جامعه جمع كلامه أو كلام مخصوص، بل ما انتهى إليه عمله من الأمداح النبوية وما شاكلها، والله أعلم كم بقي لتمام الكتاب.

ومن جملة ما في هذا السِّفر: المعلم الرابع من كتاب الدرَّة السنية في المعالم السنية[5]، وهو في السيرة النبوية والأعلام المحمدية، للقاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي، وذكر في آخره أن عدد أبيات الكتاب سبعة آلاف بيت من الرجز، وأنه أنشأه بقرطبة سنة أربع عشر وستمائة في أشهر، آخرها مستهل صفر من السنة المذكورة. والمعالم الثلاثة لا أدري فيما هي.

ومن جملة ما في هذا السفر، وهو نحو النصف كتاب اللآلئ المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام في صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام. مما انتدب لجمعه رجاء نفعه عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي، وسبب جمعه -على ما قال- أنه سئل منه نظم أبيات تكتب على النعل المشرفة فكتب في

---

(1) آل عمران: 96.

(2) ص: 29.

(3) ق: 9.

(4) كتاب منتهى السول من مدح الرسول للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الأنصاري: نفح الطيب 7:459.

(5) الدرة السنية في مقتضى المعالم السنية للقاضي محمد بن عيسى بن محمد بن اصبغ الأزدي المالكي القرطبي، وهي أرجوزة في مجلد، أولها الحمد لله اله الحمد الخ، رتب على أربعة معالم؛ الأول في التعريفات، والثاني في النكت الاصولية والادلة الشرعية، والثالث في الفروع، والرابع في السير، وأبياتها سبعة آلاف واثنان، فرغ بقرطبة في صفر سنة 614 هـ: كشف الظنون 1:740.

ذلك قطعة، وندب أدباء قطره الأندلسي لذلك فأجابوا، وكتب من ذلك ما وصل إليه، وجملة ما فيه من المقطعات ما ينيف على مائة وثلاثين بين صغيرة وكبيرة.

قلت: ولم يطلع على هذا التأليف شيخ مشايخنا الحافظ سيدي أبو العباس المقري مع سعة حفظه وكثرة اطلاعه، ومبالغته في التنقير والتفتيش عما قيل في النعل، ولم يطلع لمن قبل عصره إلا على عدد أقل من هذا بكثير، وغالب ما أودعه في كتابه فتح المتعال في مدح النعال[1] كلامه وكلام أهل عصره، ولو اطلع على هذا الكتاب لاغتبط به كثيراً[2].

ومما رأيته من الكتب الغريبة بمكة المشرفة تاريخ الإسلام[3] للحافظ أبي عبد الله الذهبي[4]، وهو عشرة أجزاء كبار رتبه على السنين من أول الهجرة، فجعل كل عشر من سنين طبقة، فصار سبعين طبقة، إلى آخر المائة السابعة، وهو كتاب حافل لم يدع شاذة ولا فاذة مما تتشوق إليه النفس من علم التاريخ إلا أودعها كتابه مع الاختصار والإتقان، فكأنما جمعت له الدنيا وأهلها في صعيد واحد، وهو موجود في وقف قايت باي بمكة في رباطه المعروف. وقد رأيت منه أجزاء وطالعت بعضها، ومما قيدت من بعضها ما أذكره من ذلك في ترجمة أبي الحسن السخاوي، قال ابن خلكان: رأيته مراراً راكباً وحوله اثنان أو ثلاثة يقرأون عليه في أماكن مختلفة دفعة واحدة، وهو يرد على الجميع[5]. قال الذهبي: وفي نفسي شيء من صحة الرواية على هذا النعت لأنه لا يتصور أن يسمع مجموع الكلمات فـ(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)[6]، وأيضا فإن مثل هذا الفعل خلاف

---

[1] فتح المتعال في مدح النعال لأحمد المقري،طبع الكتاب بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد سنة 1334 هـ.

[2] أشار الأستاذ إحسان عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب نفح الطيب إلى هذا الرأي وفنده، مستدلا بإشارة المقري للكتاب المذكور ونقله عنه: انظر: نفح الطيب 7:459.

[3] وقفنا على طبعة دار الكتاب العربي لكتاب تاريخ الإسلام للذهبي التي وقفت عند حدود سنة 400 هـ.

[4] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ولد سنة 673 هـ، من مؤلفاته: تاريخ الإسلام، وهو عشرة أجزاء كبار رتبه على السنين من أول الهجرة إلى آخر المائة السابعة، توفي الذهبي بدمشق سنة 748 هـ: فهرس الفهارس1:417.

[5] وفيات الأعيان 3:341.

[6] الأحزاب: 4.

السنة، ولا أعلم أحدا من شيوخ المقرئين كان يترخص في هذا إلا الشيخ علم الدين، ومن شعره[1]:

[سريع]

قالوا غدا نأتي ديارَ الحمى ... وينزلُ الركب بمغناهمُ

الأبيات الأربعة المشهورة.

ومنه في ترجمة يعيش النحوي[2] سأله رجل عن معنى قوله:

[طويل]

أيا ظبيةَ الوعساءِ بين جلاجل ... وبين النقا آأنتِ أمْ أُم سَالِم[3]

فأوضح وأطال، والسائل ساكت إلى أن فرغ، فقال له السائل: يا سيدي وأي شيء في المليحة يشبه الظبية. قال: قرونها وذنبها هـ.

قلت: ولما ظهر له جهله وجموده علم أن تقريره له لم يصادف محلا فأجابه تهكما، فأقبح ما في الظبية وأبعده من وصف الآدمي تنبيها له على غباوته وأن مثله لا تقرر له لطائف المعاني، والحكاية مذكورة في تاريخ ابن خلكان[4].

ومنه في ترجمة قطب الدين العلوي: كان من ظرفاء وقته، بدت منه كلمة فقال: نريد حليقة حديد، على وجه التصحيف، فبلغت الناصر فقال: ألا يكفيه حليقة ولكن حليقتان، فقيد وحمل فسجن بالكوفة، ثم استخلف الظاهر فأطلقه.

ومنه في ترجمة هبة الله عز الكفاة[5]، ولي الحجابة لبعض الأئمة فعزل للين جانبه كما عزل الذي قبله لخيانته، وكتب الإمام: يلحق الثقة العاجز بالخائن الجلد[6].

---

(1) ورد البيت في وفيات الأعيان 3: 341.

(2) موفق الدين ابن يعيش،أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري، وشرح تصريف الملوكي لابن جني،كانت ولادته سنة 553هـ بحلب وبها توفي سنة 643هـ: وفيات الأعيان 7: 46.

(3) البيت لذي الرمة: الديوان 2: 767.

(4) وفيات الأعيان 7: 46.

(5) الصاحب عز الكفاة، أبو المعالي هبة الله، ولد سنة 561هـ، كان والده وكيل الناصر، وولي هبة الله واسط ثم صرف للينه، توفي سنة 645هـ: شذرات الذهب 3: 233. سير أعلام النبلاء 23: 230.

(6) ورد هذا التوقيع في: سير أعلام النبلاء 23: 230.

ومنه قول ابن شخانة على ابن رواج فقال: الإبط بكسر الباء، فقال: لا تحركه يفح صنانه[1].

ومنه في ترجمة ابن مطروح وقد أبدع في هذين البيتين[2]:

[طويل]

إذا ما سقاني ريقهُ وهْو باسِم تذكرتُ ما بين العذيب وبارقِ

ويُذكرني من قده ومدامعي مجر عوالينا ومَجرى السوابق

ومنه في سنة إحدى وأربعين وستمائة حجت والدة المعتصم بالله من بغداد وعدت جمال الركب عند المدائن فكانت زيادة على مائة وعشرين ألفاً.

ومنه في حوادث سنة سبع وأربعين وستمائة: وفيها وصل إلى بغداد أبو منصور الأصبهاني رجل كهل صغير الخلقة جداً، طوله ثلاثة أشبار وثلاثة أصابع، ولحيته طولها أكثر من شبر، فحمل إلى دار الخلافة فأنعم عليه، ودار على الأكابر. وفي السنة التي قبلها ولدت امرأة ببغداد أربعة أنفس في بطن، فطلبهم الخليفة ورآهم وتعجب منهم، ثم أمر لهم بستمائة.

ومن الكتب الغريبة التي رأيتها بمكة طبقات الصوفية للمنوي وقد أجاد فيها سيّما للمتأخرين من الصوفية فلم أرَ أخبارهم مستوفاةً في غيرها، فمنها في ترجمة الشيخ زروق[3]: وكتب على الحِكَم نيفاً وثلاثين شرحاً [4]هـ. وهذا شيء ما رأيته في غيره، فأعلى ما رئ من شروح الشيخ زروق السابع عشر.

ومنها في ترجمة سيدي علي بن وفا[5]، رضي الله عنه، بعد أن نقل عن الحافظ ابن حجر أنه إذا ذكر أحدا من الطائفة لا يبقي ولا يذر، والله يغفر لنا وله. ومن كلامه في سيدي علي قال: وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد كشعر

---

(1) الصنان: نفر الإبط: لسان العرب: صنن.

(2) ورد البيتان في وفيات الأعيان 6:263.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) طبقات الصوفية 3:167.

(5) علي بن محمد وفا السكندري الشافعي، من كبار الصوفية وأئمتهم، ولد بالقاهرة سنة 759 هـ، طبقات الصوفية 3:201. الطبقات الكبرى للمنوي، ص: 315.

أبيه، ورتب لأصحابه أذكاراً استمال بها قلوب العوام، وذكر أنه اجتمع بـــه في وليمة وأنكر على أصحابه[1].

قلت: وأخبرني ثقة عن بعض متأخري صلحاء المغرب أنه قال: إن ابن حجرٍ ينكر كرامات الأولياء و لم يتابع على ذلك، واستبعد كون ابن حجـــر متـــصفاً بذلك، ولعله إنما قال: يكثر الطعن على أهل الطريق والازدراء بهم كما هو شأن كثير من الأكابر المحدثين، كالذهبي وابن نعيم وابن الجزري وغيرهم، يعرف ذلك من كلامهم. وأما الكرامات فلا ينكرها سني، ومن تأمل كلام الحافظ ابن حجر في مواضع كثيرة علم منه ذلك، وما كان ينبغي له ذلك والله يغفر له.

ومنها من دعائه صلى الله عليه وسلم: اللهم أنك سألتنا من أنفسنا مـــا لا نملكه إلا بك، فأعطنا منا ما يرضيك عنا.

ومنها ورد أن من صلى كل ليلة بعد صلاة المغرب قبل أن يتكلم ركعـــتين يقرأ في كل ركعة بالفاتحة (وإنا أنزلناه) وسورة الإخلاص ستا، والمعوذتين مـــرة مرة، ويسلم منهما فإن الله يحفظ عليه الإيمان. وبمعناه جاء عن ابن عمر مرفوعـــاً هـــ.

قلت: وقد ذكرها الشيخ السنوسي عن بعض أهل الكشف بزيادة: اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي ثلاثا في كل سجود، و بزيادة كون الإخلاص سبعا، و لم يذكر رفعهما والله أعلم.

ومنها: وقال محمد بن إبراهيم الرجراجي مما جربنا لرد الضالة: اللـــهم يـــا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع علي ضالتي، ويقرأ قبله سورة الضحى ثلاثا[2].

ومنها: ومن كلام كعب الأحبار: من أراد أن لا يتخم من طعام فليقرأ عند أكله (شهد الله أنه لا إله إلا هو)[3] الحي الحكيم، ومن قرأ آية الكرسي أول السنة ثلاثمائة وستين مرة دفع الله عنه الحزن والمكروه والشر والوباء، وحفظه من كـــل خوف.

---

[1] طبقات الصوفية 202:3.
[2] طبقات الصوفية 125:2.
[3] آل عمران: 18.

ومنها في ترجمة الشيخ قطب الزمان أبي الحسن الشاذلي ما نصه: نشأ ببلده فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا هـ.

قلت: وما ذكره من كونه ضريراً أمر مستغرب، مع ما عرف له من السياحات في البلاد البعيدة، شرقاً وغرباً، وسكنى الجبال والمغارات وقطع المفاوز وحده، وهذه الأمور يتعذر مثلها عادة من الضرير وقد أنكرته حين رأيته، ثم رأيت في تاريخ الإسلام للذهبي مثله أيضاً، وقد سألت عن ذلك الشيخ المسن خادم رتبة الشيخ أبي العباس المرسي بالإسكندرية، رضي الله عنه، وكان واعية لأخبار الشاذلية، فأخبرني بذلك أيضا، إلا أن الذي يظهر لي من كلامه أن ذلك حصل له في آخر عمره لا كما يتوهم كلام المنوي، قال: فإن كان كذلك فممكن والله أعلم.

ومنها لخوف العطش يقرأ الفاتحة سبعا عند الصباح ويتفل في يديه ويمسح بهما وجهه، ويكون على الريق فإنه لا يظمأ ذلك اليوم هـ.

ومما رأيته بمكة من الكتب كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى[1] للشيخ نجم الدين عمر بن فهد وطالعته وانتقيت منه أشياء فمنها: وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدي بشراء جميع ما كان من الدور بين المسجد والمسعى، فاشترى كل ذراع مكسراً مما دخل المسجد بخمسة وعشرين ديناراً، وما دخل في الوادي بخمسة عشر ديناراً، ودخل في ذلك دار خيرة بنت سباع الخزاعية بلغ ثمنها ثلاثة وأربعون ألف دينار دفعت إليها، ودار الأزرق وثمنها ثمانية عشر ألف دينار.

ومنها أن شهود صيام رمضان بمكة يزيد في الإيمان. ومنها: حملت ملابس جسم سليمان بن عبد الملك لما حج على سبعمائة بعير، وقيل تسعمائة بعير.

ومما رأيته بمكة القوانين[2] لابن أبي الربيع في علم النحو، وقيدت منها ما نصه: اعلم أن ياء حيي يجري مجرى الشين من خشي لا تعتل كما اعتلت في هاب، لأنك لو أعللتها فقلت: حاي كما قلت هاب، لوجب أن تعلها في المضارع فتقول: يحاي كما تقول يهاب، ولو فعلت ذلك لظهرت الضمة في اللام وهي ياء،

---

[1] إتحاف الورى بأخبار أم القرى للشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكي المتوفي سنة 885 هـ: كشف الظنون 1:306.

[2] يقصد كتاب: ملخص القوانين في النحو لعبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع العثماني الإشبيلي الأموي المتوفى سنة 688هـ: كشف الظنون 2:1819.

وقد اطرد في اللام إذا كانت ياء أن تكون ضمتها مقدرة، فإن حذفتها كما حذفتها مما آخره ياء توالى إعلالان، وهذا ليس من كلامهم، يعني العرب، فصحت لذلك العين وجرت مجرى الصحيح، فإن كانت اللام مفتوحة فتحة لازمة جاز لك وجهان؛ أحدهما الإدغام لالتقاء المثلين. الثاني: الإظهار، فتقول في حيي حيي، وفي أحيي أحي. وحكى يونس عن كثير من العرب حي وأحي، قريء بهما هـ منه.

قلت: وإنما قيدت هذا منه لأني كنت استشكلت عدم إعلال عين حيي وعيي وأشباههما مع استكماله لشروط الإعلال المذكورة عند النحاة، فكتبت ونحن بالمغرب سؤالاً منظوماً وأجاب عليه صاحبنا العلامة المحقق سيدي محمد بن شيخنا سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنهما، وقد رأيت أن أذكر هنا السؤال والجواب معا تتميما للفائدة، وتربية للإفادة، ونص السؤال:

[وافر]

نُحاةَ العصْرِ أربابَ المعاني ... فُحول العلم أعلامَ الزمانِ

أسَائلكم ولا حرج على من ... يُسائل للرشادِ وللبيانِ

فعينُ عيي أعيتني أجيبُوا ... وفكوا بالكتابة ما أعَاني

مُحركة أتت من بعد فتح ... وقد فقد الموانعُ بالعيانِ

فلمَ صحت ولم تعلل كما قد ... أعل نظيرُها في ذا المبانِ

سلامُ الله يصحبكم جميعا ... ورحمتهُ فتلك مِني الأمان

ونص الجواب:

[وافر]

سلامٌ باللسانِ وبالبنانِ ... عليكمْ ما أقام الفرقدان

وبعد فإن المنصوصَ فيما ... رأيت فيما سيوضحه بيان

فقيلَ لم تعل لأنهم قد ... تحاموا من يحاي في المبان

وقيل إنهم قد ألحقوهُ ... بباب قوي في هاذي المعَان

وباب قــوي قــد أجــروهُ مجــرى | رضـــى إذا عـــل منـــه ثـــان
وأبقـــى أول خَـــوف اجتمـــا ع | للإعلالـــين فـــأظهر بالأمـــان
ولا عجب إذا ما الفــرع ضــاهى | أصولا أو عفا عــن ذنــب جــان
فقابل بالــسماح ســخيف نظمــي | فأنــت الفــذ يــا بــدرَ الزمــان

ثم ذكر نص ابن الحاجب في الشافية نثراً، ونص السعد، وهو نحو ما تقــدم عن ابن أبي الربيع، إلا أن كلام ابن أبي الربيع أوضح، والله أعلم.

لطيفة:

قد نزلت ونحن بمكة نازلة فقهية، وهي أن إمام الحنفية هو الذي يتقــدم في صلاة المغرب ويصلي معه غالب الناس، فلما قرب الموسم تقدم يصلي في الحجر، وصلى معه الناس على عادتهم، فجرى كلام في ذلك بين الطائفة المالكية في صحة الصلاة وراءه وعدمها، فكتبت في ذلك رسالة أوضحت فيها الحق إن شــاء الله وهذا نصها:

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وســلم تسليما، الحمد لله الذي عهد إلى إبراهيم وإسماعيل (أن طَهِّــرَا بــيتي للطــائفين والعاكفين والركع السجود)[1]، وجعل الكعبة والبيت الحرام قياما للناس ومثابــة وأمنا يأتونه من الأغوار والنجود، وشرف بها المسجد الحرام على سائر المساجد، وصيرها قبلة لكل راكع وقانت وساجد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادي الخلق إلى الحق بالحق، وداعيهم إلى التصديق والصدق بالــصدق، وعلــى آلــه وأصحابه وسائر أحبابه.

أما بعد، فهذه رسالة غريبة الوضع عظيمة النفع يحتاج إليها أهل مكة البررة الكرام، ويرغب عنها من لم يكن حاضري المسجد الحرام، سميتها رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر، رتبتها على مقدمة وتنبيهات وخاتمة.

---

[1] البقرة: 125.

أما المقدمة ففي ذكر سبب وضعها وذكر اختياري الاقتداء بإمام الحجر، وأما التنبيهات ففي كلام الأئمة في الاقتداء بالمخالف في الفروع وبيان دلالتي على هذه المسألة بالأولوية أو المساواة، وأما الخاتمة ففي محصل كلام الأئمة المنقول في التنبيهات وتبيين طريقهم في المسألة وتوجيه الحكم بالصحة في مسألتنا على جميع طريقهم، والله أسأل أن ينفع بها، ويجعلها لي وسيلة عنده، ويعتدها لي خدمة مقبولة لساكن حرمه الأمين، آمين.

مقدمة: اللهم اهدنا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم[1]، سبب تأليفي لهذه الرسالة أنه قد نزلت نازلة فقهية ونحن بمكة المشرفة في سنة ثلاث وسبعين وألف، وذلك أن الأئمة في المسجد الحرام متعددون بتعداد أئمة المذاهب، ولكل أهل مذهب مقام يصلي فيه إمامهم، إلا أنهم لا يصلون جميعاً في سائر الأوقات إلا في أيام الموسم وما قرب منها، وأما فيما سوى ذلك فإمام الشافعية والحنفية يصليان الصلوات الخمس، وأما المالكي فلا يصلي إلا الصبح والعشاء، وأما الحنبلي فما رأيته يصلي إلا الصبح، وكان الذي يتقدم في الصلوات كلها ما عدا المغرب هو الشافعي، ويصلي معه غالب الناس ممن في المسجد من أهل المذاهب لما علم أنه لا يجوز لمن حضر المسجد بشروط الصلاة أن يجلس بعد إقامة الصلاة منتظراً لجماعة أخرى يصليها معها، وقد حكى بعضهم الإجماع على هذا. وأما المغرب فيتقدم فيها الحنفي فيصلي معه غالب الناس أيضا لما ذكرنا بناء على جواز تعدد الأئمة في المسجد الحرام باعتباره كمساجد متعددة، وإن كان المشهور خلافه، وأن التعدد لا يجوز، وأن الإمام الراتب هو الشافعي إمام مقام إبراهيم كما ذكر غير واحد ممن ألف في مسألة تعدد الأئمة بالمسجد الحرام، وقد ألف فيها رسائل بالجواز والمنع نقل زبدتها الحطاب مقويا قول من قال بالمنع، والمسألة بين أرباب المذاهب شهيرة[2]، ولكن لما كانت المسألة ذات خلاف، والجلوس بعد الإقامة في المسجد بلا صلاة ممنوع بالإجماع، آثر المتدينون الصلاة مع الأول في المغرب، وهو الحنفي، وإن كانت الصلاة مع الشافعي أولى على الجلوس بلا صلاة، وعلى الصلاة بنية النفل قبل صلاة المغرب لكراهته أو منعه أيضاً، ولأجل هذا كنا معشر المالكية من المجاورين وأهل مكة نصلي المغرب مع

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم): يونس: 25.

[2] حول اقتداء المذاهب بعضهم ببعض كالحنفي يصلي وراء المالكي وبالعكس، أنظر الفكر السامي: 505:4. وقد استشهد المؤلف في هذا الفصل بالرأي الذي ساقه العياشي هنا.

الحنفية، والحال أن الإمام الحنفي يصلي في مقامه مقابل الحجر، فلما كان في إحدى ليالي بعض أشهر الحج تقدم الإمام الحنفي للصلاة في الحجر، وكانت العادة أنه لا يُصَلِّي في الحجر إلا في أيام الموسم حيث يصلي كل إمام في مقامه سائر الصلوات، و لم يشعر بذلك المالكية حتى أقيمت الصلاة، فاختلف ذوو الرأي منهم، فمنهم من جلس و لم يصل، ومنهم من صلى بنية النفل وأضاف إليها رابعة، ومنهم من صلى واقتصر على تلك الصلاة فاكتثر الكلام في ذلك. وكنت ممن رأى، والحالة هذه، أن الصلاة معه بنية الفريضة أولى من الحالتين الأخريين محتجا على ذلك بأن الأمر في هذه النازلة دائر بين أحد أمور ثلاثة كلها جارية على غير مشهور المذهب، وهي الجلوس بلا صلاة، أو النفل قبل المغرب، أو الاقتداء بإمام يصلي في الحجر، والثالث أخفها وأقربها، بل لو قيل بأنه المشهور لم يبعد لما سيذكر من نصوص الأئمة، لأن الصلاة في الحجر لا يحكم ببطلانها لأن الإعادة فيها وقتية على المشهور، هذا لو كان الإمام مالكيا فإنا لا نتجرأ على القول ببطلان صلاة المقتدي به، كيف ونحن لا نقول ببطلان صلاة الإمام نفسه، وإنما نأمره بالإعادة في الوقت، ومعلوم أن كل إعادة وقتية هي على الاستحباب فما بالك إذا كان الإمام حنفياً أو شافعياً ممن[1] يرى صحة ذلك وجوازه، فإن الاقتداء بمخالف الفروع الظنية جائز إجماعاً كما حكى عن ذلك الإجماع المازري وغيره، وهو على إطلاقه في الظنية، سواء تحقق فعله لسائر الشروط والواجبات على مذهبنا أو لم يتحقق، وهو الموافق لظاهر عبارة المختصر، وأخذه ابن ناجي من المدونة وبه جزم القرافي في الفروق، وفي كتاب الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، وسأذكر نصه، و لم يستثن القرافي من ذلك إلا ما خالف إجماعاً أو نصاً أو قياساً جلياً، أو جرى على خلاف القواعد، وأما ما كان مدركه ظنياً فلا يمتنع الاقتداء فيه، ولا شك أن هذه المسألة ليست من إحدى المسائل ولا مما يقرب منها فإن المدرك فيها ظني ودليل المخالف فيها في غاية القوة. ولما كان تحقيق هذه المسألة يتوقف على نقل كلام أئمتنا في الصلاة في الحجر هل هي جائزة أو مكروهة، أو ممنوعة أو باطلة، وعلى نقل كلامهم في الاقتداء بالمخالف هل يمتنع مطلقاً أو يجوز مطلقا، أو يجوز في حال دون حال، أردنا نقل ذلك في ذلك، ونبين انطباقه على النازلة إذ لم أرَ فيها نصاً، إلا أنها من جزئيات قاعدة الاقتداء

[1] ساقط من ط.

بمخالف[1] في الفروع، وسألت أهل العلم بمكة هل عند أحد منهم في النازلة ما يشفي، وذكر لي أن بعض المتأخرين من أهل مكة ألف فيها رسالة، فذكر لي شيخنا أبو مهدي أنه ليس فيها ما يعتمد، فتكلفت كتب هذه الرسالة وجمعها من مظانها رجاء انتفاع أهل البلد الحرام بها:

[طويل]

وكنتَ كذي داءٍ تبغي لدائهِ طبيبا فلما لم تجِدهُ تَطببا

فرتبت أقوال الأئمة في تنبيهات، وأدرجت في كل تنبيهة ما يتعلق به من بيان أشكال وذكر كيفية أخذ حكم نازلتنا منه فأقول:

التنبيه لأول: قال في باب السهو من كتاب الصلاة الثاني من المدونة: ومن صلى خلف من يرى السجود في النقصان بعد السلام فلا يخالفه لأن الخلاف أشد، ويروى أشر. قال ابن عرفة: لا مفهوم لما ذكره من التصوير، بل وكذلك العكس لقوة الخلاف. قلت: وقول ابن عرفة لقوة الخلاف يشير إلى ترجيح ما ذكره القرافي من أنه لا بأس بالاقتداء به من كل أمر مختلف فيه، وإنما يمتنع في الأمر المجمع على خلافه، أو يكون الخلاف ضعيفاً لمخالفته القياس الجلي والقواعد والنص، ومعلوم أن الصلاة في الحجر ليست بهذه المثابة لقوة الخلاف في المذهب نفسه بالكراهة والمنع والجواز في الصلاة في الكعبة فضلاً عن الحجر. حمل جماعة من شراح الرسالة ظاهرها على جواز الصلاة في الكعبة. قال ابن ناجي: ظاهر كلام الشيخ أن الصلاة في حرف الكعبة جائزة، وهو كذلك، سواء كانت فريضة أو نافلة، قاله اللخمي هـ. وقد قال اللخمي: أجاز أشهب في مدونته الفرض في الكعبة من غير إعادة، وإن كان لا يستحب له أن يفعل إلا أني لم أر من شهر هذا، وعبارة الفاكهاني في نقل مذهب أشهب. وأجاز ذلك أشهب في مدونته في الفرض وقال: إن فعل فلا إعادة عليه، وإن كان يستحب له أن لا يفعل، والعبارة الأولى لابن الملقن في شرح العمدة، والفرق بينهما أن الأولى لا تقتضي كراهة، والثانية تقتضي خلاف الأولى. ونقل الفاكهاني عندي أصح، ويصح الجمع بين العبارتين، والمشهور في المذهب أن الصلاة في الحجر مكروهة أو ممنوعة، ومع ذلك فهي صحيحة، ولذلك كانت الإعادة وقتية، ولو كانت باطلة لأعاد أبدا كما

[1] في ط: بالمخالف.

صرح به الشيخ سالم السنهوري في شرحه، إذ قال: إن الإخراج في قوله لا فرض من الجواز إلى المنع لا من صحة إلى بطلان قطعا بدليل قوله: يعاد في الوقت، ومن تأمل كلام الشارحين علم أن المشهور الأرجح عندهم إطلاق الإعادة الوقتية، وأن التأويل المقيد بالناسي لا يقاومه في القوة، فعلم أن المشهور صحة الصلاة مطلقا، عامداً أو ناسياً. قال بعض: و لم أرَ من شهر الإعادة أبداً إلا التقي الفاسي هـ.

قلت: والمنع المذكور، وإن كان على جهة التحريم فلا يستلزم البطلان، ويحتمل أن يكون المراد به الكراهة الشديدة، فإن ابن عرفة قد عبر بالكراهة إذ قال: وكره الفرض فيها مالك وأعاده في الوقت، وقد صرح محقق المذهب وناصره القاضي أبو محمد عبد الوهاب بالكراهة في كتاب المعونة فقال: وتكره الصلاة داخل الكعبة عند مالك لأنه يستدبر بعض البيت، والأولى أن يصلي بحيث يكون جملة البيت تجاهه، لا يستدبر شيئاً منه، ويجوز فيه النفل، ثم وجه الفرق بين النفل والفرض، ثم حكى عدم الجواز عن أصبغ وقوم من أصحابنا البغداديين وجهه أيضاً. قلت: وقوله: وأولى أن يصلي إلخ، نص في أن الكراهة عنده ليست للتحريم، وإنما المراد بها خلاف الأولى، وعلى كل حال حيث حكمنا بصحة الصلاة، ولو مع التلبس بممنوع أو مكروه، فلا وجه لبطلان صلاة المقتدي، بل ولا بمنعها، إذ صلاته هو سالمة من ملابسة هذا الممنوع والمكروه على القول بعدم الارتباط، وعلى القول بالارتباط فصلاة إمامه صحيحة، إلا أنه متلبس بممنوع أو مكروه في مذهبنا، وأما في مذهبه هو فلا منع ولا كراهة، ولو اقتصرنا على هذا التقرير لكفى في جواز الاقتداء بإمام الحجر، ولكن لما كانت هذه الرسالة برسم تحقيق هذه المسألة، آثرنا ذكر نصوص الأئمة وبيان تطبيقها على هذه النازلة وتناولها بالأولوية والمساواة كما يتضح عند التقرير.

الثاني: قال ابن ناجي: ويقوم عندي من قولها أن صلاة المالكي خلف الشافعي جائزة، ولو رآه يفعل خلاف مذهبه، يعني بقولها ما تقدم في أول التنبيه الأول. قلت: وما أقامه ابن ناجي من المدونة هو الذي حمل عليه جماعة من شراح المختصر كلام المصري، وأنه على إطلاقه. قال شيخ مشايخنا السيد إسماعيل السندفاوي ما نصه: وجاز اقتداء في الصلاة برجل مخالف في الفروع الظنية كمالكي بحنفي. وحكى الإمام المازري وجماعة الإجماع على ذلك، وإن نظر فيها بعضهم بوجوه الخلاف، وظاهر كلام المصري الصحة، ولو رأى المخالف يفعل ما

يخالف مذهبه؛ كما لو رأى مالكي شافعيا يمسح بعض رأسه، أو حنفيا يقبل زوجته، وهو كذلك، و لم يعتبر تقييد من قيد ذلك بما إذا لم يره يفعل ما يخالف، لأنا إذا قلنا كل مجتهد مصيب فلا إشكال، أوالمصيب واحد لا بعينه، فمجزئة لعدم تحقق المصيب، قاله في كفاية المسائل[1].

وقد علم أن الإمام يرى أن كل مجتهد مصيب، ولذا شهر الصري الاقتداء بالمخالف في الفروع الظنية. قال العلامة اللقاني: وأنا أقتدي به لأنه على صواب ولا أصلي منفردا مع وجوده هـ كلامه بحروفه، وهو في غاية الحسن وكفاية المسائل الذي ذكره هو شرح العلامة التتائي على الشامل، والعلامة اللقاني المذكور المراد به محقق المذهب ناصر الدين اللقاني، فهو من أشياخه. قلت: وقد علم تناول هذا التقرير لمسألتنا بالأولوية لأنه مثل فيها بمسح بعض الرأس وهو مبطل للصلاة عندنا، وبتقبيل الزوجة، وهو ناقض عندنا أيضاً، والصلاة في الحِجر صحيحة على المشهور كما تقدم، وعلى القول ببطلانها فمعلوم أن القول ببطلانها ليس في القوة كالقول ببطلان صلاة تارك المسح والمقبل، وما نقله هذا الشارح قد نقله جماعة من شراح المختصر بعبارات مختلفة، واقتصرت على نقله لجمعه واختصاره، وما ذكر من تشهير المصنف لصحة الاقتداء مطلقا هو ظاهر من تركه التقييد مع شرطه، تبين ما به الفتوى، وكفى بتشهير المصنف حجة. الثالث: قال ابن الحاجب: وحكى المازري الإجماع في المخالف في الفروع الظنية واعتذر عن قول أشهب فيمن صلى وراء من لا يرى الوضوء من القبلة أعاد أبدا فإنه رآه كالقطع وقواه بقوله مس الذكر. وخرج اللخمي الخلاف من قول أشهب هـ. قال في التوضيح: ولفظ المازري وقد حكى حذاق الأصوليين إجماع الأمة على إجزاء الصلاة خلف الأئمة المخالفين،لأنه إن كان كل مجتهد مصيب فواضح، وإن كان المصيب واحدا فكذلك لعدم تحقق المصيب. ثم ذكر كلاما مضمونه البحث في حكاية الإجماع وتقوية وجود الخلاف، وليس في ذلك ما يمنع كون المشهور هو الائتمام مطلقا كما يفيده تصديره به. ومعنى قوله: وقواه بقوله بخلاف مس الذكر، ووجه التقوية أن أشهب لو كان يرى المنع مطلقا لما فرق، ولولا أن وجوب الوضوء من القبلة عنده كالقطع لما فرق بينه وبين المس حتى منع في

[1] يقصد كتاب: كفاية المسائل لأبي نصر بن الصباغ عبد السيد بن محمد الشافعي المتوفى سنة 477 هـ: كشف الظنون 2:1501.

أحدهما دون الآخر مع وجود المخالفة فيهما معا، فقوي بتفريقته أن المخالفة عنده ليست مانعة، وأن الذي قال فيه بالمنع ليس للمخالفة فقط، بل لكونه رأى الدليل عليه كالقطعي، وسيأتي مزيد بيان لهذا.

الرابع: قال الفاكهاني في شرح الرسالة: الصنف السابع، يعني من المختلف في إمامته، المخالف في سائر الفروع لا خلاف أنه لا يفسق ولا يمنع الاقتداء به، وخرج اللخمي الخلاف فيه من قول أشهب في قوم صلوا في بيت مظلم فأصاب الإمام القبلة وأخطأوها أنهم يعيدون، وإن أصابوها وأخطأ الإمام أعادوا أجمعون. وذكر قول أشهب أيضاً فيمن صلى وراء من لا يرى الوضوء من القبلة،أنه يعيد أبدا لأن القبلة من اللمس، وإن صلى وراء من لا يرى الوضوء من مس الذكر أنه لا يعيد، وقول سحنون بل يعيد فيهما بحدثان ذلك، فإن طال لم يعد. قال المازري: فخرج اللخمي على هذا صلاة المالكي خلف الشافعي والعكس، ورأى أنها مختلف فيها. قال الإمام: وإجراؤكم ذلك على الإطلاق عندي لا يصح. قال: وقد حكى بعض الأصوليين إجماع الأمة على إجزاء صلاة الأئمة المختلفين في الفقه بعضهم وراء بعض، ثم اعتذر عما حكى عن أشهب من الإعادة في القبلة أبدا، فإنه رأى المسألة من الوضوح حيث يقطع بخطإ المخالف. قال: وهو معنى قوله إن القبلة من اللمس لأن القرآن جاء به، وكان إيجاب الوضوء به يلحق بالمقطوع به. قال: وأدل دليل على صحة هذا التأويل تفرقته بين مس الذكر والقبلة. قال: وعلى هذا يجري اختلاف أصحابنا في نقض بعض الأحكام في مسائل اختلف فيها وإمضاء الأحكام في غيرها، وإن كان قد اختلف فيها هـ.

قلت: وقد ظهر من كلام الفاكهاني أنه لا يمنع الاقتداء مطلقا بلا خلاف وصدر به ثم ذكر أن الخلاف مخرج، وسيأتي أن الكلام على أن محامل الفروع المخرجة عليها ما عدا القِبلة بكسر القاف فقد كفانا المئونة فيها القرافي وأتباعه، وأنها مما لا يصح الاقتداء فيها بالمخالف كمسألة الأواني والثياب، وأوضح الفرق بينهما وبين غيرهما من الفروع، وسيأتي كلامه بتمامه.

الخامس: ولسند بن عنان[1] في طرازه قال: وفيه تحقيق ذلك أنه متى تحقق فعله للشرائط جاز الاقتداء به، وإن كان لا يعتقد وجوبها كما لو مسح الشافعي

[1] سند بن عنان بن إبراهيم الأسدي المصري، الفقيه الإمام، ألف كتاب الطراز الذي شرح به المدونة، توفي بالإسكندرية سنة 541هـ: شجرة النور الزكية 1:184.

جميع رأسه فلا يضر اعتقاد سنيته بخلاف ما لو أم في الفريضة بنية الفريضة أو مسح رجليه. قلت: والتحقيق الذي أراده سند تحقيق الجمع بين الإجماع الذي حكاه المازري وبين الخلاف الذي استقراه اللخمي من قول أشهب يعيد من صلى خلف من لا يرى الوضوء من القبلة، لا من لا يرى الوضوء من مس الذكر. سحنون: يعيد فيهما ما لم يطل، ومن قول ابن القاسم في العتبية: لو أعلم أن أحدا يقرأ في الركعتين الأخيرتين ما صليت خلفه، فجمع سند بينهما بأن الإجماع إنما هو في المخالف في الفروع من حيث الاعتقاد فإن الشافعي وإن كان لا يقول بوجوب مسح جميع الرأس يقول به على وجه السنية، وإذا مسح فلا يضر اعتقاده إجماعاً، وأما إذا خالف اعتقاداً وفعلاً كان قبل أو مس الذكر و لم يتوضأ أو ترك القراءة في الأخيرتين فليس من محل الإجماع وإذا تبين لك تحقيق سند إنما دل على أنه إذا خالف فعلا فلا يتناوله الإجماع، لا على أنه إذا خالف لا يصح الاقتداء به كما توهمه كثير ممن نقل كلامه، علمت أن كلامه لا يكون حجة على من أجاز الاقتداء مطلقا، أو حيث لم يخالف أحداً علمت أن كلامه لا يكون حجة لأشياء أربعة كما ذكر القرافي، وما ذكر سند هو نحو ما ذكر ابن ناجي عن شيخه ابن عرفة أنه كان ينقله عن عز الدين ابن عبد السلام ويفتي به من أن جواز الاقتداء حيث لا يراه المخالف بفعل وإلا فلا.

قلت: وعلى كل حال فلا بد من تقييد كلام ابن عرفة وغيره ممن يختار ذلك من كونه يراه مخالفا بترك ما هو من شروط الصلاة وواجباتها التي تبطل بتركها، أو بفعل ما هو من مبطلاتها كما يشير إلى ذلك تعبير سند بالشرائط لأن مجرد المخالفة فيما ليس من قبيل ما ذكر لا قائل ببطلان صلاة فاعله عن صلاة المقتدي بفاعله متأولاً.

وهذا واضح غني بنفسه عن الإيضاح، وإذا كان كذلك فمسألتنا على مشهور المذهب ليست المخافة فيها من قبيل ما تبطل الصلاة بفعله كما تقدم بيانه، وإنما المخالف فيها متلبس بممنوع أو مكروه إن كان من أهل مذهبنا ولا نتجاسر على إطلاق المنع والكراهة عليه إن كان من أهل المذاهب الصحيحة حتى المتداولة التي ندين الله تعالى باعتقاداتهم، وكلهم على هدى كالحنفية والشافعية، فبعيد أن يقال ببطلان صلاة المقتدي بأحد منهم عند تلبسه بأمر لم يقم نص صريح ولا قياس جلي على بطلان الصلاة به، فضلا على الإجماع، وإنما هو رأي رآه الإمام

مستندا فيه إلى ظواهر وعمومات تقبل التأويل والتخصيص بأخرى مثلها في القوة أو أقوى منها، ولذلك ألم يقل الإمام مالك، رضي الله عنه، ومحققو أتباعه ببطلان صلاة فاعل ذلك، فضلاً عن صلاة المقتدي، وإنما قال بالبطلان بعض الأتباع تخريجاً لا نصاً.

السادس: اختار العوفي من عند نفسه ضابطاً، وهو أن كل ما كان من الشرائط في صحة الصلاة التي المؤتم مطلوب بها في نفسه لا ينفعه فيها صحة صلاة من ائتم به، مثل أن يكون الإمام[1] متنفلا فلا يصح لمن لا يجيز أن يأتم المفترض بالمتنفل، وإن كان الإمام يعتقد صحة هذا، لأن المأموم هو في خاصة نفسه مطلوب في مذهبه بأن لا يأتم بمتنفل، بخلاف ما إذا كانت الشرائط معتبرة في حق الإمام؛ مثل مسألة المتدلك مع من لا يتدلك، أو لا يرى الوضوء من القبلة أو اللمس، فأن هذه عند المأموم شروط في صحة الصلاة للمصلي لا في صحة الائتمام.

قلت: حاصل ما اختاره العوفي التفريق بين ما هو شرط في صحة الاقتداء، ككون الإمام غير متنفل وغير صبي، ومساواة الصلاتين ونية الإمامة في الجمعة، وما ذكر معها وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفروع وبين ما هو شرط في صحة صلاة الإمام، فتضر المخالفة عنده في القسم الأول دون الثاني، وقد يشكل على ذلك كون صحة صلاة الإمام شرطاً أيضاً في صحة الاقتداء، إذ لا يصح الاقتداء بالكافر والمُحْدِث وغيرهما من متلبس بما تبطل به صلاته. فيجاب بأمرين أحدهما أنا لا نسلم أن كل ما يبطل صلاة الإمام يبطل صلاة المأموم فإن المحدث الساهي تصح صلاته وتصح صلاة المقتدي به، وكذلك غيره ممن تجب إعادته دون إعادة مأمومه، وإذا كان كذلك فليس كل ما هو شرط في صحة الصلاة شرط في صحة الاقتداء. ويجاب أيضاً بأنا لو سلمنا كون صحة صلاة الإمام شرطاً في صحة الاقتداء فمعناه صحة صلاته في مذهبه، فإنا لو سئلنا عن نفي مس ذكره وصلى، أو عن شافعي ترك الدلك أو مسح كل الرأس، لما أمكننا أن نقول بطلت صلاته، وإلا بطل المعتقد من كون الأئمة المجتهدين على هدى وأن مقلديهم كذلك، فإذا فهمت ضابط العوفي علمت أنه لا يتناول مسألتنا، إذ ليس من شروط المقتدي، لأن المصلي مطلوب به في خاصة نفسه، ولو لم يقتد به أحد، أو ما هو من شروط

---

[1] ساقط من ط.

الاقتداء إنما يطالب به الإمام أو المأموم، أو هما معاً، لا الفذ المصلي وحده، وكل ما يطالب به الفذ فهو من شروط الصلاة لا من شروط الاقتداء، وقد نقل الفيشي في حواشيه عن شيخ مشايخنا الشيخ إبراهيم اللقاني أن طريقة سند والعوفي متفقتان على أن الاقتداء صحيح ما لم يأت بمناف، أي يتيقن أنه أتى بمنـــاف برؤيـــة أو إخباره، وارتضاه ابن عرفة، وأنا لا نعمل إلا به، هـــ ما نقله[1] عنه.

قلت: ومراده بالمنافي إخلال بشرط أو وجود مانع، وليس في مسألتنا إخلال بشرط ولا وجود مانع، بل تلبس بجائز على مذهب أشهب، أو مكروه أو ممنوع تصح الصلاة معه على مذهب غيره الذي هو المشهور، إلا أن ظاهر كلام اللقاني أن العوفي وسند متفقان في سائر المنفيات وليس كذلك كما يظهر من كلاميهما الذي نقلته، فإن المنافي عند العوفي خاص بما فيه إخلال بشرط من شروط الصلاة لا في الاقتداء، وعند سند عام في كل ما فيه إخلال بشرط من شروط الـــصلاة، سواء كان من شروط الاقتداء أو لا، على ما يظهر من كلام ناقلي كلامه، وقد تقدم لنا أن كلامه المذكور لا يقتضي ذلك، وإنما يقتضي أن ما حـــصلت فيـــه المخالفة الفعلية ليس من محل الإجماع، اللهم إلا أن يكون له كلام آخر صريح في المسألة غير المنقول، ولم ينقل الشارحون والمتكلمون على المسألة عنه إلا ما ذكرنا، ورأيت في طرة غير معزوة أن المعتبر في شروط الصلاة مذهب الإمام، وفي شروط الإمامة مذهب المأموم. وإذا كان الإمام يرى أنه يصح أن يعيد الـــصلاة ثانيـــة مأموماً، والمأموم لا يرى ذلك، فلا يصح الاقتداء به لأن العبر بعقيدته هـــ. وكأنه تحصيل لطريقة العوفي. فإن قيل لا نسلم أنه ليس من شرط الاقتداء، لأنه داخل في محل النزاع، فإن النزاع في كون المخالفة تمنع من الاقتداء أو لا تمنع، وأن الموافقة هل هي شرط في الاقتداء أم لا. وجوابه أنه لا قائل بأن مجرد المخالفة يمنع مـــن الاقتداء، ولا بأن الموافقة في غير الشرط والواجب شرط في الاقتداء، لأنَّ الإجماع منعقد على أن مالكياً لو اقتدى بشافعي مستكمل لشروط الصلاة وشروط الاقتداء على مذهبنا صَحَّت صلاتُه، ولو أخَلَّ بشيء مما ليس بشرط ولا واجب، والإجماع في هذا لا أظن أن له مخالفا، والنزاع إنما هو حيث يخـــل بـــشرط أو واجـــب، والإجماع في هذا لا أظن أن له مخالفا، والنزاع إنما هو حيث يخل بشرط أو واجب من شروط الصلاة أو من شروط الاقتداء، فخص العوفي المنع بأحد الإخلالـــين،

[1] في ط: نقلته.

ومعلوم مما تقدم أن الصلاة في الحجر إنما قال أهل المذهب أنها ممنوعة في حق المصلي نفسه سواء اقتدى به أحد أو لم يقتد، ومع ذلك فليس مانعاً من صحة الصلاة على المشهور، وإنما هو ممنوع في نفسه، ولو سلم أنه مانع من الصلاة فليس تركه من شرط الاقتداء، لأن ما كان من شروط الاقتداء إنما يتصور تركه في صلاة فيها اقتداء، إذ هو فعل لا بد فيه من مقتد ومقتدى به، فكل فعل اشترط أو منع في حق صلاة الإنسان وحده فلا يقال فيه أنه من شروط الاقتداء، والصلاة في الحجر إنما قيل بمنعها في حق المصلي وحده ولو لم يقتد به أحد. نعم يرد على هذا الضابط في الجملة أشكال من قيل من يقول أن المخالفة الفعلية في الشروط والواجبات تمنع من صحة الاقتداء مطلقاً، ومنهم القرافي في الذخيرة فإنه قال: الشرط السادس من شروط الإمامة موافقة مذهب الإمام في الواجبات، ثم ساق كلام ابن القاسم في العتبية، وكلام أشهب وسحنون، ثم كلام سند وما ذكره في الذخيرة مخالف لما ذكر في الفروق، والعبرة بما في الفروق لأنه متأخر عن الذخيرة، وبيان الإشكال وهو أن يقال: التقسيم الواقع في الضابط مختل لأن المقسوم لا بد أن يكون أعم من كل واحد من قسميه أو أقسامه، كتقسيم الحيوان إلى ناطق وطائر وناهق، وهو غير ذلك، فكل واحد من الأقسام أخص من المقسوم في الأمور المعنوية، أو أقل منه في الأمور المحسوسة، وهذا التقسيم على خلاف ذلك، لأن المقسوم عندنا هو المخالفة الفعلية الكائنة بين الإمام ومأمومه في الشروط والواجبات، فقسمناها إلى مخالفة فيما هو من شروط الاقتداء تمنع من الاقتداء، وإلى مخالفة فيما هو من شروط صحة صلاة المصلي نفسه، فلا تمنعه. والقسم الأول هنا أعم من المقسوم، فإن من شروط الاقتداء عندنا موافقة الإمام لمأمومه في فعل الشروط والواجبات، فإذا خالف فقد وقعت المخالفة فيما هو من شروط الاقتداء مساوية بالمخالفة في شروط الاقتداء مساوية للمخالفة في الشروط الفعلية أو أعم منها، فكيف يكون قسما منها، وإن شئت قلت أن المخالفة في شروط الاقتداء أعم من المخالفة في شروط صحة صلاة المصلي، فكيف يكون قسيما له، والجواب أن يقال هذه مغالطة، فإنما هو في الشروط التي يمكن أن تقع فيها المخالفة لا في نفس المخالفة، والشروط التي يمكن أن تقع فيها المخالفة منقسمة إلى قسمين ليس أحدهما أعم من المقسوم ولا مساو، ولا يقال أن الموافقة في الشروط من جملة شروط الاقتداء لأنا ننقل القسمة إلى الشروط التي تقع فيها الموافقة فيدور، فعلم أن

ما وقعت فيه القسمة لا يصح إدخاله في أحد الأقسام غير القسم. وإذا أوقع القسمة فيه فكيف يجعله من جملة الأقسام.

السابع: ولما كان عمدة المتأخرين في تحقيق مسألة الاقتداء بمخالف في الفروع، وهو كلام القرافي في الفروق، وكان أبسط وأوعب وأقرب إلى التحقيق من غيره، أردنا أن ننقل من كلامه في كتاب الفروق وفي كتاب الأحكام ما تتضح به المسألة، ثم نعقبه بكلام من اقتفى أثره من المؤلفين في قواعد المذهب كالقاضي أبي عبد الله المقري وإمام المذهب سيدي أحمد الونشريسي وغيرهم، فنقول: قال القرافي في كتاب الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية ما نصه: الفرق السادس والسبعون بين قاعدة المسائل الفروعية التي يجوز التقليد فيها من أحد المجتهدين فيها للآخر، وبين قاعدة مسائل الأواني والثياب والكعبة وغيرها لا يجوز لأحد المجتهدين فيها أن يقلد الآخر هذه المسألة، يقال إن الشافعي، رحمه الله، سُئل عنها فقيل أيجوز أن يُصَلِّي الشافعي خلف المالكي، وإن خالفه في مسح الرأس وغيره من الفروع، وهل يجوز لأحد المجتهدين في الكعبة والأواني أن يصلي خلف المجتهد الآخر، فسكت عن الجواب عن ذلك، وكان الشيخ عز الدين رحمه الله يحكي ذلك عنه، وكان يفرق هو رحمه الله بأن الجماعة في الصلاة مطلوبة لصاحب الشرع، فلو قلنا بالمنع من الائتمام بمخالف في المذهب، وأن لا يصلي المالكي إلا خلف مالكي، ولا شافعي إلا خلف شافعي لقلَّت الجماعات، وإذا منعنا من ذلك في القبلة ونحوها لم يخل ذلك بالجماعات كبير خلل لندرة وقوع مثل هذه المسألة، وكثرة وقوع الخلاف في مسائل الفروع، هذا جوابه رحمه الله، وقد ظهر لي في ذلك جواب هو أقوى من هذا، وهو أن القاعدة أن قضاء القاضي متى خالف إجماعاً أو نصاً أو قياساً جلياً، أو القواعد، نقضناه، وإذا كنا لا نقر حكما تأكد بقضاء القاضي، فأولى أن لا نقره إذا لم يتأكد، فعلى هذا لا يجوز التقليد في حكم هو بهذه المثابة، لأنا لا نقره شرعاً، وما ليس بشرع لا يجوز التقليد فيه، فعلى هذا كل من اعتقدنا أنه خالف الإجماع لا يجوز تقليده، وبهذه القاعدة يحصل الفرق في غاية الجودة. بيانه بذكر[1] أربع مسائل: المسألة الأولى المجتهدون في الكعبة إذا اختلفوا لا يجوز أن يقلد أحدهم الآخر، لأن كل واحد منهم يعتقد أنه ترك أمرا مجمعا عليه، وهو الكعبة، وتارك المجمع عليه لا يقلد، أما المختلفان في

[1] ساقط من ط.

مسح جميع الرأس، فإنما يعتقد كل واحد منهم في صاحبه أنه خالف ظاهراً من نص أو منطوق آية أو مفهوم لفظ، وذلك ليس مجمعاً على اعتباره، ولا وصل إلى حد القطع، بل هو في محل الاجتهاد، فجاز له الصلاة خلفه وتقليده، بخلاف اعتقاده أنه خالف الكعبة المجمع عليها المقطوع باعتبارها، وهذا فرق في غاية الجلاء، فأين المقطوع من المظنون، وأين المجمع عليه من المختلف فيه هـ. ثم ساق المسائل الثلاث الأخر وهي من هذا النمط. الثانية: منها المجتهدون في الأواني التي اختلف طاهرها بنجسها، إذا اختلفوا. والثالثة المجتهدون في الثياب التي اختلط طاهرها بنجسها إذا اختلفوا، وذكر أنه لا يأتم أحدهما بالآخر. والرابعة: إناء وقع فيه روث عصفور توضأ به مالكي، وصلى يجوز للشافعي أن يصلي خلفه ولا يضره ذلك كما لا يضره ترك المالكي البسملة وغيرها مما يعتقده الشافعي، ثم ذكر لو أنه اختلط هذا الإناء بإناء طاهر فاجتهد فيه شافعيان فاختلفا لا يجوز لأحدهما أن يقتدي بالآخر، وفرق بينه وبين اقتداء الشافعي بالمالكي المتوضئ، لأن الشافعيين مقلدان لمن يعتقد نجاسة الروث، والإجماع منعقد على أن حكم الله تعالى في حق الشافعي ومن قلده ما ظهر من اجتهاده يعتقد أن الشافعي الآخر قد أصاب ما هو مبطل لصلاته بالإجماع، ومن اعتقدنا فيه مخالفة الإجماع لا نقلده بخلاف صلاة هذا الشافعي خلف المالكي، لأنَّ حكم الله في حق مالك ومن قلّده صحة صلاته بروث العصفور إجماعاً، وأنه لم يخالف إجماعاً بل خالف قياساً مظنوناً، أو ظاهر نص غير مقطوع به. ثم قال: فتأمَّل هذه المسائل وهذه المباحث فهي دائرة كلها على حرف واحد، وهو من اعتقدنا فيه أنه خالف مقطوعا به لم يجز لنا تقليده والصلاة خلفه، وهو روح الفرق، وهو فرق جيد جدا، ولكن بعد التأمل هـ. مع بعض اختصاره.

قلت: وبما ذكره القرافي في المسألة الأولى يتضح ما ذكرناه في آخر كلام الفاكهاني الذي نقلته أنه لا يصح تخريج اللخمي الخلاف على قول أشهب في قوم صلوا في بيت مظلم لافتراق المسألتين، فلا يصح تخريج إحداهما على الأخرى، وبقوله لو اختلط هذا الإناء بإناء طاهر إلخ، يندفع النظر الذي ذكره المؤلف كما سيأتي بعد ذكره للفرع الذي نقله ابن عبد البر عن ابن حنبل، وحكايته عن القرافي في جواز التقليد في المسائل الفروعية دون الثياب والأواني. قلت: وقد علم مما تقدم مرارا أن نازلتنا ليست في ورد ولا صدر مما ذكر القرافي أنه يمتنع فيه الاقتداء، لأن

المصلي في الحجر لم يخالف إجماعاً ولا نصاً قاطعاً، ولا قياسا جليا، ولا جرى على خلاف القواعد، هذا كله لو كان مشهور مذهبنا بطلان صلاة المصلي فيه، وأما من حيث كان المشهور الصحة كما تقدم فنحن في غنى عن الاستدلال بهذا كله. الثامن: لما كان من المستفيض عن المتأخرين أنه لا يقبل من كلام القرافي في الفروق إلا ما قبله الإمام أبو القاسم بن الشاط السبتي رحمه الله في كتابه الذي سماه: أدوار الشروق على أنوار الفروق، وأردت أن أذكر كلام ابن الشاط فيما تعقب به هذا الفروق، وليعلم الناظر فيه أنه لم يتعقب من فقهه شيئا، وإنما تعقب أمورا ترجع إلى تحقيق الفرق وبيانه وأن فقهه مسلم عنده كما يظهر من مجرى كلامه. فأقول: تعقب عليه قوله: يجوز التقليد فيها، فقال هو موهم، ومراده يجوز الاقتداء، ثم ذكر فرق عز الدين بن عبد السلام فقال بعقبه. فقلت: الفرق الصحيح أن مسألة اقتداء المالكي بالشافعي مع أنه لا يتدلك، لا يمكن الخطأ فيها على القول بتصويب المجتهدين، أو لا يمكن فيها تعيين الخطإ على عدم التصويب. ومسألة الأواني ونحوها لا بد من الخطإ فيها، ويمكن تعيينه في بعض الأحوال هـ كلامه.

قلت: وما فرق به ابن الشاط وزعم أنه هو الصحيح نص في مسألتنا مما يصح فيها الاقتداء إذ هي مما لا يمكن فيه الخطأ أو تعيينه، وأنت خبير بأن فرقه لا يخالف فرق القرافي في فقهه لأن كل ما يقول فيه بصحة الاقتداء يقول به القرافي، وإنما اختلفا فيما يفرق به بين ما يصح فيه الاقتداء وما لا، ولا شك أن فرق ابن الشاط أوضح وأبين وأقل تشعيبا، وإن كان فرق القرافي مآله إلى هذا، لأن من خالف إحدى الأمور الأربعة تعين خطؤه إن انفرد وإن التبس بغيره أمكن تعينه، والمصلي إلى غير القبلة مخالف الإجماع إلا أنه إن كان وحده لا يتعين خطؤه إلا بعد ظهور الدليل، وإن كان اثنان وصلى كل واحد إلى جهة فأحدهما مخالف للإجماع، ويمكن تعيينه بظهور الأدلة إذ لا يمكن كون القبلة في جهتين، والمنصف يعلم أن فرق ابن الشاط وإن كان حسنا، فالقرافي هو الذي نهج له الطريق في تحقيق ذلك وبسيره اقتدى في تبيين ما هنالك، فله فضل السبق في استنباطه، والآخر له فضل التتبع في تحقيقه وتبيينه، ثم ذكر فرق القرافي، ثم قال ما نصه: قلت: الفرق إنما ينبغي أن يكون من لوازم أحد الأمرين المفرق بينهما وذلك موجود فيما ذكر ولا فيما ندري. قال في المسائل: صحيح بناء على ما قرر، وهو أن الفرق مخالفة الإجماع في أحد الطرفين ذلك صحيح، غير أن الإجماع إنما انعقد

في أحد الطرفين دون الآخر لتعين المناط في مسألة الأواني، وعدم تعينه في مسألة البسملة ونحوها، هـــ كلامه بحروفه، و لم أترك شيئاً مما تعقب به هذا الفرق.

قلت: وما ذكره من انعقاد الإجماع في أحد الطرفين دون الآخر فيه عندي شيء إن كان معناه ما فهمته، وهو أن مسألة القبلة أحدهما مخطئ بالإجماع دون ترك البسملة لتعين المناط في الأولى دون الثانية، لأنا نقول أن عدم تعيين المناط في مسألة البسملة لا يمنع انعقاد الإجماع، فإن مراد القرافي كما يظهر من كلامه أن مسألة البسملة ونحوها، وإن لم يتعين فيها المناط بالإجماع منعقد على أن حكم الله فيها في حق كل واحد ما أداه إليه اجتهاده فيها، وكذا كل من قلده. وإذا كـــان كذلك فالإجماع منعقد في كلا الطرفين، إلا أن مستنده في الطرفين مختلـــف، ولا ضرر في استناد الإجماع إلى أمر مظنون كما نص عليه الأصوليون وإن كان معنى ما يذكره غير ما فهمته، فليبين من فهمه وجه كون الإجماع منعقـــدا في أحـــد الطرفين دون الآخر، والله أعلم. التاسع: وأما كلامه في كتاب الأحكام في تمييـــز الفتاوى عن الإحكام فقد قال في آخر السؤال الثامن والثلاثين ما نصه: مـــسألة بعيدة الغور معضلة، نقل الشافعية أنها سئل عنها الشافعي رحمه الله و لم أرهم نقلوا جوابه فيها، وهي أن المقلدين لأرباب المذاهب يجوز أن يصلي بعـــضهم خلـــف بعض، وإن كان كل منهم يعتقد أن مخالفه فعل ما لو فعله هو لكانـــت صـــلاته باطلة، كمن مسح بعض رأسه أو ترك البسملة أو التدلك في الطهارة ونحو ذلك، وكذلك يجوز لأحد المجتهدين في هذه المسائل أن يصلي خلف من يخالفـــه مـــن المجتهدين. ويحكى أن ذلك جائز إجماعاً وأن الخلاف فيه مسبوق بالإجمـــاع، ثم انعقد الإجماع على خلاف ذلك في المجتهدين في الأواني والقبلة والثياب المختلط نجسها بطاهرها ونحو ذلك إذا أدى اجتهاد أحد الشخصين إلى خلاف ما أدى إليه الآخر أنه لا يجوز تقليده له ولا أن يصلي خلفه لأنه يعتقد بطلان صلاته باعتبار ما خالفه فيه، فما الفرق بين البابين؟ لم ينقل عن الشافعي، رحمه الله، فيها جوابـــا. وأجاب بعض متأخري الشافعية بأن القسم الأول لو منعنا الاقتداء منه لأدى إلى تقليل الجماعات لعموم موانع الاختلاف في تلك المسائل وكثرتها بخلاف القـــسم الثاني فالاختلاف فيه نادر، فمنع الاقتداء فيه لا يفضي لذلك وهو ضعيف فـــإن مصلحته للاقتداء إن كانت لا يبطلها الخلاف في الاجتهاد وجـــب تجويزهـــا في الجميع، وألا فيمتنع في الجميع، ولأنه فارق وبحث لا يشهد له شاهد بالاعتبـــار.

والجواب الحق أن فقه المسألة أن الله تعالى شرع لكل فريق من المخالفين في مسألة مسح الرأس ونحوها ما أدى إليه اجتهاده وجعله شرعا مقررا في نفس الأمر، كما جعل الحل في الميتة للمضطر وتحريمها على المختار حكمين ثابتين في نفس الأمر لفريقين بالإجماع، وجعل الله تعالى الظنين في حق المجتهدين كالوصفين من الاضطرار والاختيار في حق المكلفين بالنسبة إلى الميتة. أما المجتهدان في القبلة ونحوها فقد أجمعا على أن ثم حكماً معتبراً في نفس الأمر، وهو القبلة أو الطهورية، وأن تركه خطأ بإجماع الفريقين إذا تعين، وكل واحد من الفريقين غلب على ظنه أن مخالفه مخالف للإجماع امتنع تقليده إجماعاً، ولذلك ينتقض ما خالف الإجماع المنقول بخبر الآحاد أو القواعد أو النص، وإن كان ذلك مظنوناً فهذا قاعدة انعقد الإجماع على اعتبارها، ولا يقطع باعتباره وهو معارض البتة، فلم يمكن تقليده من يخالفه في ظننا، وفي الأول لما تقابلت الظنون أمكن أن يكون كل ظن معتبراً في حق صاحبه، ولذلك تقرر شرعا عاما في حق ذلك المجتهد وحق من قلده إلى يوم القيامة، سواء فرّعنا أن كل مجتهد مصيب أم لا، ونظيره لو اجتمع شافعيان يعتقدان أن نجاسة الأرواث، واجتهدوا في ثوب نجس بالأرواث لم تجز صلاة أحدهما خلف الآخر، وتجوز صلاته خلف المالكي المعتقد طهارة ذلك الثوب، بسبب أنهما اجتمعا في الأول على عدم تقليد مالك والصلاة بالروث مع عدم تقليد من يعتقد طهارته باطلة بالإجماع، فامتنع تقليده له لأنه غلب على ظنه أنه خالف الإجماع وكذلك ماء نجس لم يتغير غير أنه أخذ من ماء دون القلتين إن كان شافعي امتنع، أو مالكي وشافعي جاز، فضابط هذا الباب أبدا أنه متى كان المقلد فيه على خلاف الإجماع في ظن المقلد امتنع وإلا جاز، وهو سر الفقه في المسألة فتأمله. هـ بكماله و لم أختصر منه شيئاً لحسنه وهو أبيَنُ وأوضح من كلامه في الفروق، وبه يتضح ما ذكرناه من كون الإجماع منعقداً في الطرفين لا كما زعمه ابن الشاط، وهو صريح في قوله، ومن غلب على الظن أنه مخالف امتنع تقليده إجماعا، والحاصل أن كلام القرافي في المسألة هو المعتمد عند المتأخرين وتلقوه بالقبول. العاشر: وممن تبعه قاضي الجماعة أبو عبد الله المقري في قواعده فقال ما نصه: قاعدة القرافي لا يجري القول بأن كل مجتهد في القبلة لتعارض أدلة الأحكام دون أدلة القبلة، فلا يقع فيها الخلاف فيها بين عالمين، لكن بين عالم وجاهل. قلت: ومن ثم قال المالكية لا يأتما، بخلاف من يوجب الفاتحة مثلا لمن لا يقرؤها، وأصل القاعدة أن تعيين الحكم يمنع تعَدُّد المصيب وبالعكس كأحد

الإناءين والثوبين، وكالعقليات ونحو ذلك، ومن قال المصيب واحد إنما قالـه لأن اعتقاده أن لله، عز وجل، في الاجتهاديات أحكاماً معيّنة أمر المجتهدين بالبحـث عليها، وقدرهم بعد استفراغ الوسع بعدم إصابتها بل آجرهم على بذل جهدهم في طلبها، وهو الأقرب. ومن قال: كل مجتهد مصيب فما قاله إلا على الاعتقاد أن لا حكم إلا ما ظن المجتهد فيها، والأحكام تابعة للمظنون، وليس في نفس الأمـر حكم معين، وهذا يقول حكم الله عز وجل في هذه الواقعة التحليـل والتحـريم لشخصين أو لشخص في وقتين هـ كلامه.

قلت: وإذا تأملت كلام المقري وجدته زبدة كلام القـرافي في الكتـابين وموافق لكلام ابن الشاط غير مخالف لكلام القرافي عند التحقيق. وقوله: ومن ثم قال المالكية إلخ نص في نازلتنا وشاهد لها بالأولوية لأن الحكم فيها ليس بمـتعين، ولا الخلاف فيها كالفاتحة التي مثل بها والله أعلم. الحادي عشر: وممن تكلم على المسألة وأجاد حافظ المغرب من المتأخرين وإمام المحققين، شيخ مشايخ مـشايخنا سيدي أبو العباس أحمد المنجور في شرحه لكتاب المنهج المنتخب إلى نظم قواعد المذهب، وجامعه الشيخ أبو الحسن علي بن قاسم بن محمـد التجـيبي الـشهير بالزقاق[1] فقال في شرح قول الناظم:

[رجز]

هل كل من لـهُ اجتـهاد واحـد فيمـا يظـن نـسبة أو واحـد

ما نصه: أي هل كل مجتهد في الفروع الظنية مصيب، أو المصيب واحد لا بعينه، اختلفوا فيه ومن ثم أجمعوا على إجزاء صلاة المـالكي خلـف الـشافعي وبالعكس، وإن اختلفوا في مسح الرأس وغيره من الفروع. حكى هذا الإجمـاع المازري واعتذر عن قول أشهب: من صلى خلف من لا يرى الوضوء من القبلـة أعاد أبداً فإنه رأى الوضوء من القبلة كالأمر القطعي، وقوى اعتذاره بقول أشهب بخلاف مس الذكر لأنه رآه ليس كالقطعي، وخرج اللخمي الخلاف في جـواز ائتمام أهل المذاهب الفرعية الظنّية من قول أشهب ابن راشد. وفيما قاله المازري نظر، ومن أين لأشهب دليل قطعي على وجوب الوضوء من القبلة، وقد قال ابن

---

[1] أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق التجيبي، فقيه علامة، ألف لامية في الأحكام معروفة بلاميـة الزقـاق، توفي سنة 912 هـ: شجرة النور الزكية 1:396.

الخطيب في محصوله: الدلائل السمعية لا تفيد اليقين إلا بنفي تسع احتمالات، وما أظن ذلك بموجود. نعم مراتب الظنون تقوى وتضعف، وبالجملة استقراء اللخمي صحيح.

ابن عبد السلام ليس هناك إجماع، وقد نص الشافعية على الخلاف عندهم في ذلك، بل ظاهر كلام المازري في كتاب الأقضية وجود الخلاف في ذلك لأن في العتبية عن ابن القاسم: لو أعلم أن أحداً لا يقرأ في الركعتين الأخيرتين ما صليت خلفه. ابن عرفة: هب أن المازري اعتذر عن قول أشهب فيما يعتذر به عن قول سحنون: من ائتم بمن لا يرى الوضوء من القبلة أو مس الذكر أعاد ما لم يطل. ابن عرفة: فالإجماع المذكور في المخالف هو من حيث اعتقاده لا من حيث تركه ما يوجب المأموم، فهذا هو المخرج فيه، وكذا لابن عبد السلام، وعليه إذا اختلف اجتهاد الرجلين في القبلة أو الأواني أو الأثواب التي بعضها نجس هل يؤم أحدهما الآخر أم لا. ابن الحاجب في القبلة: وإذا اختلفا لم يأتما. ابن عبد السلام: هذا بين، وهو أبين منه في مسألة الأواني إذا كثرت. ابن راشد: رأيت في بعض كتب المالكية جواز الائتمام مع كراهة، فيصلي كل واحد إلى الجهة التي أدَّاه إليها اجتهاده هـ. ثم ذكر كلام المقري المتقدم وبعض كلام القرافي المتقدم غير منتقد لشيء منه، وذكر كلام الونشريسي في إيضاح المسالك، وسأذكره بعد هذا. وتنظير ابن راشد في قول المازري مدفوع بأن المازري إنما قال إن أشهب يراه كالقطعي، ومستنده ما تقدم في كلام الفاكهاني أنه يرى القبلة من اللمس الذي جاء به القرآن، فإذا كان أشعب يرى بالأدلة الصحيحة عنده أن القبلة من اللمس المذكور في القرآن، فهو عنده كالقطع، ويحتمل أن أشهب لا يسلم ما قال ابن الخطيب، وعلى تقدير تسليمه، فقد يكون أشهب ظهر له ما ينفي الاحتمالات التسع، وعلى كل حال فالمازري لم يقل إنه أمرٌ مقطوع به إنما قال إنَّ أشهب يراه كالقطعي، وليس فيما ذكر ابن راشد ما يدل على أن أشهب لا يراه كالقطعي، وإنما يدل على أنه ليس قطعياً، وفرق بين قولنا هو أمر قطعي، أو أشهب يراه كالقطعي، فإذا احتمل أن يكون أشهب يراه كالقطعي صح اعتذار المازري، ولو لم يصح كونه قطعيا، يظهر ذلك بالتأمل. قلت: وإن كلامه نص في جواز مسألتنا وغيرها من الفروع التي يقع فيها الخلاف من غير تقييد بشرط أن لا يراه يفعل ما ينافي ما في مذهبه، وما صدر بهذا حتى ارتضاه كما هو ظاهر كلام غيره أيضا،

وعليه يحمل كلام صاحب المختصر كما ذكره جمع من شراحه، وقد تقدم هـذا وما عقبه به مما يقدح في الإجماع لا يقدح في كون هذا هو مشهور المذهب، لأنّ النزاع إنما هو في كونه مجمعاً عليه أو محل خلاف، وعلى تسليم الخلاف فليس في كلام المثبتين ما يدل على تشهير المنع، وهاهنا نكتة تقوي الصحة في مسألتنا بالخصوص، وذلك أن أقوى ما استدل به مثبتو خلاف قول أشهب بالإعادة خلف من لا يرى الوضوء من القبلة، وقد تقدم أن قول أشهب في الصلاة في الحجر الجواز بلا منع، فليست هذه المسألة عند أشهب داخلة في المخالفة أصلاً. وإذا كان كذلك فهي داخلة في الإجماع لا يتطرق إليها اختلاف أشهب كيف وأشهب يقول بخلاف مس الذكر فإنه لا يرى الإعادة على من صَلَّى خلف المخالف فيه، ولا يشك منصف أن الصلاة في الحجر عنده أخف من مس الذكر، بل وعند غيره، لأن مشهور المذهب أن مس الذكر عندنا ناقض مبطل للصلاة بخلاف الصلاة في الحجر. وأما قول ابن عرفة بم يعتذر المازري عن قول سحنون إلخ، أقول: إن قول سحنون لا يدل على بطلان الصلاة، بل يدل على الصحة لأن قيد الإعادة عدم الطول، وذلك يدل على صحة الصلاة عنده، وإلا لقال بالإعادة أبداً. وأما قول ابن القاسم في العتبية: لو أعلم أن أحداً لا يقرأ في الركعتين إلخ، فلا نسلم أن قوله: ما صليت خلفه، يدل على بطلان صلاة المصلي خلفه، لأنه إنما ينبغي أن يصلي خلفه، وذلك لا يدل على بطلانها لاحتمال أن يرى ذلك هو مكروهاً أو ثقيلاً عليه، أو أنه خالف الأولى عنده، وقد علم من ديانة ابن القاسم وورعه واحتياطه في دينه ما يمنعه من ارتكاب المكروه، وخلاف الأولى، ويصير ذلك كالممنوع في حقه تورعاً. هذا إن لم ينقل عنه سوى هذا اللفظ، ولو نقل عنه ما يكون صريحاً في البطلان فلا يبعد أن يكون ذلك عنده مخالفا للقطعي فلا يكون داخلا في الإجماع، لأن دليل القراءة في الأخيرين في غاية القوة والوضوح والصحة، وكل من يخالف فيه من أرباب المذاهب لا يبعد أن يعد خلافه من الخلاف الضعيف الذي ينقض معه حكم الحاكم، وهو خارج عن محل الإجماع، وإنما الخلاف عندهم هل تتعين القراءة بالفاتحة أو بما تيسر من القرآن. وأما ترك القراءة فيها أصلا للفذ والإمام فلا. وهذه الأقوال الثلاثة، وهي أشهب وسحنون وابن القاسم هي التي خدش بها الإجماع، وقد ذكرنا محاملها حتى أنها لا تتناول مسألتنا، وما يقرب منها من الفروع الظنية، والله الموفق للصواب.

الثاني عشر: قال الإمام المحقق حافظ المغرب في أوانه، وجامع شوارده المتفق عليها والمختلف فيها، سيدي أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي في كتابه: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ما نصه: قاعدة: كل مجتهد في الفروع الظنية مصيب، أو المصيب واحد لا بعينه، اختلفوا فيه، ومن ثَمَّ أجمعوا على إجزاء صلاة المالكي خلف الشافعي وبالعكس، وإن اختلفا في مسح الرأس وغيره من الفروع، ثم قال: تنبيه: قد تقرر في مذهبنا أنه لا يجوز تقليد أحد المجتهدين الآخر في مسألة الأواني والقبلة، وجاز ذلك في أكثر المسائل الفروعية. وقيل إن الشافعي سئل عنها فلم يجب، ثم ساق جواب العز ابن عبد السلام وقبله وارتضاه، ثم ذكر كلام القاضي أبو الدعائم سند بن عنان، ثم قال: فائدة، وذكر فيها الحكاية التي ذكر ابن رشيد في رحلته فيما وقع بينه وبين ابن دقيق العيد في قراءة المالكي البسملة أول الفاتحة، وأن المازري كان يعد ذلك خروجاً من الخلاف، والحكاية مشهورة فلا نطيل بذكرها. ثم ذكر جواب القرافي عن المسألة التي سكت عنها الشافعي و لم يتعقبه، وقد تقدم هذا، حاصل ما ذكره الونشريسي في هذه القاعدة، وقد تقدم لنا من الكلام في مواضع ما يغني عن بيان دلالته على جواز نازلتنا، والله الملهم للصواب.

الثالث عشر: قد نقل المواق عند قول صاحب المختصر: ولا يقلد مجتهد غيره ما نصه: عبد الوهاب إن اختلف مجتهدان لم يأتما. اللخمي: اختلف في هذا الأصل في صلاة المالكي خلف الشافعي والعكس. أبو عمر: سئل أحمد بن حنبل عن رجل صلى وعليه جلد ميتة فقال: لا بأس بالصلاة خلفه، إذا تأول قيل له: أفتراه أنت يطهر؟ قال: لا. قيل: فكيف يصلي خلفه وهو مخطئ؟ قال: ليس من تأوَّل كمن لا يتأول. ثم قال: كل من يتأول شيئاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أو عن أحد من أصحابه فيذهب إليه، فلا بأس أن تصلي خلفه، وإن قلنا نحن بخلافه من وجه آخر. ثم ذكر حكاية إمام الحرمين وتقديمه عبد الحق الصقلي المالكي للصلاة لما اجتمع به بمكة وقال له: البعض يدخل في الكل، يعرِّض له بمسألة الرأس. ثم ذكر قول القرافي في المسائل الفروعية: يجوز التقليد فيها من أحد المجتهدين فيها للآخر بخلاف الأواني والثياب، ثم قال: انظر قوله في الثياب مع قول ابن حنبل في جلد الميتة هل بينها وبين اختلاط الطاهر بالنجس فرق هـ كلامه.

قلت: أما قول عبد الوهاب إن اختلف مجتهدان لم يأتما، فالظاهر أنه إنما قال ذلك في المختلفين في القبلة، ولذلك نقله الشارح في القبلة، وقد فحصت على هذا الكلام في كتاب المعونة فلم أره فيه، ولعله في غيره، وعلى تسليم عمومه في المختلفين فهو حيث يرى كل واحد منهما أن صاحبه مخالف للقطعي كالمجتهدين في القبلة والأواني، وإن حملناه على غير ذلك فلا بد من تقييده بالاختلاف في الشروط والموانع المبطلة. وأما قول اللخمي: اختلف في هذا الأصل إلخ. فمعناه اقتداء المجتهد بالمجتهد المخالف به والمقلد بالمقلد المخالف، وما نقل أبو عمر عن ابن حنبل موافق لقول جماعة في جواز التقليد مطلقا، ووجهه بين. وأما حكاية أبي المعالي فلا تدل على الجواز مطلقا لاحتمال أنه إنما قدمه لكون مسح كل الرأس مخالفا لبعضه كما ذكر، ولا على المنع مطلقا، لأن المخالفة ليست محصورة في مسح الرأس لأن الشافعي يوجب البسملة ولا يوجبها المالكي، وغير ذلك. وما قوله: انظر إلخ، فإنه ذهول منه، رحمه الله، وهل حقق القرافي في الكتابين إلا ذلك، فقول القرافي المتقدم ونظيره لو اجتمع شافعيان يعتقدان نجاسة الأرواث إلى آخر ما ذكر في آخر المسألة المنقولة من كتاب الأحكام هو نص في الفرق الذي نظر فيه المواق رحمه الله، ولذلك أشرنا إليه عند نقلنا لكلام الفروق.

خاتمة: فإذا تأملت نصوص الأئمة وتطبيقنا إياها على النازلة وتبيين ما أشكل منها وتوجيه ما خفي منها[1] على مدر بضاعتي المزجاة علمت أن تحصيل المسألة في تقليد المخالف في الفروع الظنية أقوال أحدها، وهو أشهرها، الجواز مطلقا، وهو الذي حكى عليه المازري الإجماع على ما فيه، وهو ظاهر كلام المختصرين، كابن الحاجب، وصاحب المختصر وغيرهما، وهو أسعد بظاهر النقول وبقواعد أصول الدين. ثانيهما: طريق القرافي في كتاب الفروق وفي كتاب الأحكام، وهو الجواز مطلقا، إلا فيما خالف إجماعاً أو نصاً قاطعاً أو قياساً جلياً، أو القواعد، ولا يبعد أن يكون ذلك هو قصد المازري أيضاً لاعتذاره عن أشهب في القبلة بأنه رآه كالقاطع، فعلم أن ما خالف القاطع عنده ليس من الجواز في شيء، بل يتعين حمل كلامه على ذلك، لأن الكلام إنما هو في المخالف في الفروع الظنية وما فيه إجماع أو نص قاطع ليس من الظن في شيء، فالإجماع عنده إنما قام على صحة الاقتداء بالمخالف في الفروع التي مدركها ظني. وأما ما مدركه قطعي فيلغي خلاف

[1] ساقط من ط.

المخالف فيه، فعلى هذا فطريقه وطريق القرافي شيء واحد، ويكون كلام القرافي كالبيان لكلام المازري، إلا أنه يبقى النظر فيما خالف القواعد والقياس الجلي هل يلتحق عند المازري بما خالف القاطع فيكون خارجاً عن الإجماع، أو يكون سبيله سبيل ما كان المدرك فيه ظنياً إن لم يخرج بعد عن رتبة المظنون ولا وصل إلى حد القطع الذي لا يعتبر غيره. ثالثها: طريق سند وهي الجواز إذا كانت مخالفته في الشروط اعتقاداً لا فعلاً، وقد تقدم شرحها، وأن كلامه المنقول إنما يدل على الإجماع إذا كانت المخالفة اعتقاداً والخلاف إذا كان فعلاً. رابعها: طريق العوفي، وهو المنع إذا خالف فيما هو من شروط الاقتداء، وقد تقدم تقريرها أيضاً، وبقي طريقان آخران ربما يفهمان من عموم كلام بعض المصنفين و لم أرَ من صرح بهما، بالخصوص أحدهما، وهو الجواز مطلقاً، ولو خالف قطعياً فإنه ربما يفهم من كلام المختصرين والمصنفين في القواعد كالمقري والونشريسي. وثانيهما المنع مطلقا بمجَرَّد المخالفة، ولو وقع الاتفاق في الشروط والواجبات، وربما يفهم من قول من يطلق الخلاف من أهل القواعد، فيقول اقتداء المالكي بالشافعي مسألة خلاف بالجواز والمنع. ولا أظن أحداً يقول بهذا إذ لا وجه له فقها وتفقها. والصحيح الذي لا محيد عنه أن الأقوال الأربعة المتقدمة المتوسطة بين الطرفين كلها مقبولة لها وجوه في النظر والنقل، وأقربها الأول ثم الثاني إن لم يكونا قولاً واحدا، ثم الثالث، ثم الرابع، والقولان الأخيران غير معتبرين سيما الأخير منهما.

وأما نازلتنا فقد علم أن الصلاة فيها صحيحة على الأقوال الأربعة في مشهور المذهب أن صلاة المصلي في الحجر صحيحة، سواء قلنا إنها ممنوعة أو مكروهة، فضلاً عن كونها جائزة، وإذا قلنا إنها باطلة إذا تعمدها كما هو مذهب ابن حبيب وأصبغ وبعض البغداديين، وهي صحيحة أيضاً إلا على قول سند، إن وجد في كلامه ما يدل على ما نسبوه إليه، فمجموع التقريرات المعتبرة فيها ستة عشر تقريراً، تبطل في واحد منها وتصح في الباقي، وبيان ذلك أن كل واحد من الأقوال الأربعة له أربع تقريرات فعلى قول المازري يصح الاقتداء، سواء قلنا أنها جائزة أو ممنوعة أو مكروهة أو باطلة، وكذا قول القرافي أيضاً في الأوجه الأربعة، وكذا قول العوفي في الأوجه الأربعة، وكذا قول سند إذا قلنا إنها جائزة أو ممنوعة أو مكروهة، وإن قلنا إنها باطلة فتبطل على قوله، وهو التقرير السادس عشر، وأي مشهور أقوى مما يصح على خمسة عشر تقريرا، وبطل على تقرير واحد بعدما

اعتضد به من حكاية الإجماع الشامل له، ولغيره مما هو أولى منـــه بـــالمنع، والله الهادي إلى الصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمـــد وآلـــه وصحبه وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله: ومن المزارات المشهورة بمكة دار الأرقم[1] التي اختفى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، وفيها كان إسلام عمر، وخبرها مشهور في السير، وهي الآن مسجد قرب الصفا. ومنها موضع بسوق مكة يسمى المودع، يقال إن فيه ودّع النبي، صلى الله عليه وسلم، أهل مكة لما أراد الخروج إلى المدينة في حجة الوداع، وهو مكان مشرف تظهر منه بعض أستار الكعبة، وليس في أسواق مكة محل تظهر منه الكعبة إلا هذا، فيقف الناس فيه للدعاء. وقريب من هذا المكان رباط ينسب للشيخ عبد القادر الجيلاني يسكنه الفقراء، وله أوقاف، وبه قبور تُزَار، لا أتحقق أصحابها. ومنها مسجد الجنّ، وهو بأعلى مكة بجانب الطريق بين الدور، وفيه شجرة، يأوي إليه الفقراء، ويستظلون فيه، وهو المكان الذي جاء فيه الجنُّ إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وأسلموا. ومنها مولده، صلى الله عليه وسلم، وقد تقَدَّم ذكره. ومنها دار خديجة[2] ومولد فاطمة[3]، ومنها مولد علي، ومنها دار أبي بكر[4]، وكل هذه اتخذت مساجد. ومنها حجر في بعض أزقة مكة مبني في جدار فيه أثر مرفق يقال إنه مرفق النبي، صلى الله عليه وسلم.

ومنها شِعْب أبي طالب الذي انحاز إليه هو وبنو هاشم، وخبره مشهور في السِّير. ومنها جبل أبي قبيس يشرف منه على مكة كلها، والمسجد والبيت وفيه مغارة يقال إن فيها قبر آدم، والحجاج يشترون من مكة رؤوس الغنم المشوية ويصعدون إليه يأكلونها فيه، ويزعمون أن من فعل ذلك أمن من وجع الأسنان والرأس. ومنها قبل على الجبل الذي على يسار الذاهب إلى السبيكة، يقال إن فيها مولد عمر رضي الله عنه.

وأما المقابر فالحجون كلها مزارات، وأشهر المزارات فيه قبة فيها قبر أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، وقبة فيها قبر الفضيل بن عياض وغير ذلك، ومحوط فيه قبور كثيرة للأئمة من العلماء الغرباء، قرأت على حجر فيه: هذا قبر

---

(1) دار الأرقم المخزومي، وهي الدار المعروفة بدار الخيزران عند الصفا، والمقصود بالزيارة منها هو المسجد الذي فيها، وهو مشهور، شفاء الغرام، ص: 274.

(2) دار خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، رضي الله عنها، تقع بالزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة، ويقال أيضا زقاق العطارين: شفاء الغرام، ص: 272.

(3) هي نفس الدار السابقة كما ذكر التقي الفاسي: شفاء الغرام، ص: 272.

(4) بني على هذه الدار مسجد في المحرم من سنة 623 هـ: شفاء الغرام، ص: 274.

الإمام القشيري، وهذا غريب إلا أن يكون نقل بعد موته إلى هناك فلم نَرَ أحداً من المؤرخين ذكر أنه مات بمكة. وعلى حجر آخر قبر أبي حامد بهاء الدين السبكي وجماعة كثيرة.

وبأسفل الحجون بجانب الطريق قباب كثيرة غالبها للشرفاء من أمراء مكة. ومنها قبة سامية عالية يقال لها قبة أبي طالب، وعوام الغرباء يظنونها قبة أبي طالب عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يقول أبو طالب المكي، فسألت أهل العلم بمكة، فأخبروني أنه أمير من أمراء مكة المتأخرين من أشرافها من آل أبي نمي اسمه أبو طالب[1]. قالوا: وكان في حياته شجاعاً مقداماً فاتكاً، دَوَّخ بلاد الحجاز وقهر عربانها غاية القهر، وأهل نجد وتهامة إلى الآن يؤرخون بموته فيقولون: كان هذا في زمان أبي طالب. قالوا: وكان سَفّاكاً للدماء، ومع ذلك كان حسن السيرة، و لم يكن أحد يأنه بالولاية لما هو عليه من الفتك والبطش، إلا أن بعض أهل الكشف كان يقول: هو مظهر من مظاهر أسمائه تعالى القهرية أقيم في مقام الجلال، فلما توفي ظهرت له كرامات كثيرة وصار قبره من أعظم المزارات. فمما ظهر له أنهم قالوا: جلس جماعة من القراء حول قبره يقرؤون القرآن قرب موته كما هو عادتهم، وبين أيديهم شمعة تضيء بليل فوقعت إلى الأرض، فانطفت، فتحيروا و لم يجدوا من يوقدها لهم، فانشق القبر عياناً وخرج منه فأوقد لهم الشمعة ورجع. أخبرني بذلك ثقة وزعم أنه مستفيض عندهم. ومنها أن بدوياً خرج من مكة بقفص عنب، فلما وصل قبره تذكر حاجته بمكة، فوضع القفص ورجع، فجاء سارق ليأخذه، فيبست يده والتصقت بالقفص وبقي واقفا عنده حائراً إلى أن جاء البدوي فرأى ذلك، فلما علم الأمر قال على حسب نيته: جد يا أبا طالب، جد يا أبا طالب، أطلقه الآن فقد قضيت حاجتي، فانطلقت يد السارق وذهب.

ومن المزارات قبر القطب الولي الشهير الذكر عند أهل مكة وأعرابها سيدي عمر العربي، وغالب السائلين بمكة والمستصرخين إنما يهتفون باسمه، وأهل البادية تسمع الرجال منهم والنساء يقولون: شيء لله يا عربي، وهو عندهم عظيم القدر

[1] أبو طالب بن الحسن بن محمد بن بركات، أمير الحجاز نيابة عن أبيه ومستقلا بها بعد وفاة والده سنة 1010هـ، ولد سنة 965 هـ، كان حسن الهيئة شديد الهيبة، توفي سنة 1012 هـ: خلاصة الأثر 131:1. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 337.

شهير الذكر، وحق له ذلك، فإنه كان من أئمة الطريق رضي الله عنه. ومزارات مكة كثيرة جدا فلنقتصر على هذا المقدار منها. وقد زرت جميع ما ذكرت هنا، لكن سقت أخبارها مختصرة.

ولما استهل شهر ذي الحجة غصت مكة بالوفود وكثُر الناس بها كثرة ما رأينا مثلها في غير هذه السنة، وحج خلق كثير من أهل اليمن وأطراف نجد والحجاز لأن السنة كانت مخصبة، فسهل عليهم ذلك وهم أكثر الناس في هذه السنة، وإن كان الأفاقيون أيضاً في غاية الكثرة إلا أن رحاب المسجد وأفنيته والشعاب إنما امتلأت من هؤلاء، فتهيأ أهل مكة للخروج من أول الشهر، وخرج غالب أهلها حتى العواتق وذوات الخدور، وبالغوا في انتقاء الفرش والمراكب للزينة ولذيذ الأطعمة كما هي عادتهم وخروج غالبهم إلى عرفات في اليوم السادس، ويقيمون بها السابع والثامن، وتكون لهم فيها سوق عظيمة حافلة لا يرى مثلها، يجلب طرائف الأطعمة، كما هو عادتهم، من الفواكه وغيرها من كل مكان، وأحرم بعض الناس من أول الشهر، وغالب القادمين من الآفاق من قبل ذلك بقوا على إحرامهم لأنهم أحرموا بالحج، وغالب الناس إنما يحرمون يوم خروجهم. وأما أنا فأحرمت ليلة الجمعة السابع من الشهر قارنا، ونويت الاعتكاف في هذه الليلة ويومها، وجمع الله لي بين عبادات قلما تجتمع من حج واعتكاف وصوم، وأقمت بمكة إلى ضحى اليوم الثامن، فخرجنا من مكة راجلين بلا دابة وقلت لأصحابنا: قد حججنا مراراً ركبانا فتعالوا بنا نحج في هذه المرة مشاة لتمكن ذلك لنا لخفة الحال وقلة الأتباع، وليست عندنا دواب تشوشنا، ولا خباء يثقلنا، فنأوي إلى المساجد والكهوف فنجعلها حجة صعلوكية عسى الله أن يرحمنا بالتزيي بزي الفقراء والضعفاء، فخرجنا يحمل أصحابنا زادنا على ظهورهم وأدواتنا، ولم نخرج معنا ما يثقلنا لتمكن شراء المحتاج إليه في كل مكان، فوصلنا إلى مِنَى ظُهْراً، ونزلنا بمسجد الخيف[1] مختلطين بالفقراء، وطاب وقتنا وخفت ظهورنا، وكنا في غير هذه المرة لا نتمكن مما نريد من الجلوس في المساجد والتطواف على القانتين بها، فبتنا بالمسجد ليلة مباركة، ولم يكن به إلا طوائف قليلة من الفقراء لذهاب كثير من الناس إلى عرفات كما هو شأنهم من إماتة هذه السنة؛ وهي البيات بمنى، فلما كان الغد خرجنا قرب طلوع الشمس وذهبنا إلى عرفات فلم نصل إلى نمرة حتى اشتد

[1] مسجد الخيف، يقع بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل: شفاء الغرام، ص: 265.

الحر وتعبنا واستقينا من المشعر ماء للاغتسال بعرفة، وآوينا إلى ظل جدار من جدران المسجد، ووجدنا الماء كثيراً في أبواب المسجد سبله بعض أرباب الدولة، جزاه الله خيراً، يبعث راوياً، حتى إذا فرغت بعث غيرها لا يزاد عنها شارب ولا متطهر إلى أن صَلَّى الناس وذهبوا إلى الموقف و لم يعهد ذلك في غير هذه السنة، فقدمنا على تحمل المشقة في استصحابه، وكان شيخنا أبو مهدي نازلاً في رواق مظلل لبعض أصحابنا التونسيين، فذهبت إليه وقَيَّلتُ عنده وقرأت عليه هناك أحاديث الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة حسبما تقدم في ترجمته، ولما زالت الشمس وجمعنا الصلاتين ذهبنا إلى الموقف في حر شديد ما رأيت طول عمري مثله، وبلغ مني الجهد غاية، وتذكرت حر القيامة فكنت كلما عزمت على الجلوس في مكان جددت ذكره، فتحاملت فكنت أنظر يميناً وشمالاً عسى أن واحداً أعرفه فآوي إلى خبائه، فمن الله علي، فلم أرَ أحداً، وتحاملت على أشد ما يكون من التعب ومقاساة الحر الشديد، سيما بعد أن دخلنا مزدحم الناس وانضغاطهم وامتزاج حرارة أنفاس الحيوانات بحرارة الشمس، وثوران غبار الأقدام على الرؤوس، حتى لا يكاد الإنسان يشك أنها نار تلظى، إلا أنها بحمد الله لا يصلاها إلا السعيد الذي آمن وأقبل على الله تعالى، وتحاملنا في ذلك الحر مع المشَقَّة التامة إلى أن وصلنا إلى موقف النبي، صلى الله عليه وسلم، وما عرفناه قبل هذه السنة، وبعث معنا شيخنا أبو مهدي رجلا دلنا عليه، وهو تحت موقف الإمام اليوم في أصل الجبل على صخرات مفترشة، وبنى على تلك الصخرات محوط شبه مسجد، فوقفت فيه[1] ساعة، فغلبت ثم جلست إلى أن فات وقت العصر، وقضيت الوظيف المعهود من الدعاء والاستغفار والتكبير والتهليل والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، فخرجنا عن مزدحم الناس، وطلبت هديا اشتريته لقراني وتمتعي لأذبحه بمنى، فلم يتيسر ذلك، وتأخرت إلى أن اشتريته بمكة وأرسلته إلى الحل، ثم ذبحته بمكة، و لم نزل بقية يومنا ندعو ونكبر، واشترينا لبنا خالصا سائغا للشاربين، فترويننا منه للسنة.

ولما كان قرب الاصفرار نفرت محامل الأمراء والجند، وذهب معه حطمة الناس، وتلك عادتهم لا ينتظرون الغروب في الموقف، إلا أنهم في الغالب لا يتجاوزن الحل إلا بعد الغروب. وأما الجمالون ومن في معناهم فيرحلون بعد

[1] في ط: به.

الزوال، فيذهبون بلا حج إلا على قول من قال إن الوقوف بعد الزوال، وإن لم يكن فرضا، يقوم مقام الفرض، وما نفرنا نحن إلا بعد الغروب وإقبال الليل، فنفرنا مع أواخر الناس على أشد ما يكون من التعب، فلم نصل إلى مزدلفة حتى قاسينا من التعب ما لا مزيد عليه، وجمعنا العشاءين، وصعدنا إلى جبل قزح وبتنا عليه تنحيا عن مواطئ الأقدام ومواضع الأداء، وبتنا حتى أصبحنا، ووقفنا إلى قرب الطلوع بالمشعر الحرام، ثم سرنا رويدا نجر الأقدام على الأرض جَرًّا، فما وصلنا مسجد الخيف حتى اشتد الحر، وخفت أن أجلس للاستراحة فأغلب عن رمي جمرة العقبة، فذهبت على ما بي حتى رميت الجمرة، فرجعت فبمجرد جلوسي ثار علي قيء وتدويخ حتى كدت أن يغشى علي، فبقيت عامة يومي لا أنتفع بنفسي، ويئست من طواف الإفاضة في تلك الأيام، وحلقت رأسي وأخرت الإفاضة إلى أن رجعنا من منى، وأقمنا بمنى ثلاثاً و لم نتعجل مع من تعجل.

ولما كان اليوم الثالث من أيام منى، وخف الناس من منى و لم يبق بها إلا بقية قليلة مع ركب أهل العراق، وهم يترلون أقصى منى، فخرجت لزيارة الأماكن التي تزار بمنى؛ منها المسجد نفسه، فإنه مترل النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو في القبة التي في وسط الصحن، وهي قبة كبيرة مثمنة الشكل، والمسجد حولها منازل أصحابه. ومنها الغار الذي نزلت فيه سورة المرسلات، وهو فوق المسجد. ومنها مسجد النحر وهو موضع منحر النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو في وسط الدور مقابلة الجمرة الوسطى، وما عرفته إلا في هذه السنة، دَلَّني عليه شيخنا أبو مهدي، وهو مسجد واسع حسن البناء إلا أنه انهدم أكثره، وتلَوَّث بالأقذار والكناسات. وغالب المساجد والمزارات التي هي خارج مكة تنتهك في أيام الموسم، ويترلها الناس بدوابهم، ويطبخون فيها من غير نكير، وهي من البلايا العظيمة.

ومنها مسجد الكبش[1] وهو في شعب مقابل الجمرة الوسطى على يمين الذاهب إلى العقبة، وهو بين صخور كبار، ليس حوله ديار، ويقال إنه الموضع الذي أخذ فيه إبراهيم، عليه السلام، الكبش الذي فدى به الذبيح عليه السلام، وهناك ذبحه.

---

[1] مسجد الكبش: مسجد مشهور بمنى، والكبش المشار إليه هو الذي فدى الله تعالى به نبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام: شفاء الغرام، ص: 263.

ومنها مسجد صغير حول جمرة العقبة يقال إنه المحل الذي حلق فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ومنها مسجد العقبة في وسط الشِّعْب الذي هو أسفل من جمرة العقبة على يمين الذاهب إلى مكة، وفيه بايع الأنصار بيعة العقبة المشهورة.

ولما زالت الشمس من اليوم الثالث من أيام منى رمينا الجمار وذهبنا وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمحصب، فدخلنا مكة بعد العشاء فوجدنا المسجد الحرام غاصا بأهله لا تكاد تجد فيه مجلس رجل واحد ليس به أحد، فجلست إلى الأرض ريثما أستريح وأطوف طواف الإفاضة، فوقعت ضجة في المسجد، وانجفل الناس انجفال الغنم من غير سبب، وأخبرنا أنها وقعت ضجة أخرى مثلها قبل دخولنا أظنها بسبب سارق، فلما رأيت ذلك تركت الطواف ذلك الوقت، وخشيت أن يقع شيء وأنا متلبس بالطواف فتلحقني معرة، فذهبت إلى منزلنا وأخرت الطواف والسعي إلى آخر الليل، فوجدت الزحام قد خف، وطفت وسعيت في سعة، وتجشم بعض أصحابنا ممن أخر الطواف والسعي في ذلك الوقت، وطاف وسعى فلقي من المشقة والحرج مالا مزيد عليه. وقال بعد أن تلبست بالطواف ندمت ووددت أني اقتديت بك وأخرت إلى آخر الليل لما رأى من المشقة، وما وصل إلينا إلا بعد هزيع من الليل.

ذكر خروجنا من مكة إلى المدينة المشرفة

ولما قضينا تفثنا[1] وفرغنا من نسكنا، أخذنا في الأهبة بالرحيل وليس معنا من آلته شيء، وعزمنا على الخروج مع القوافل التي تذهب إلى المدينة قبل خروج الأركاب، وما تهيأ لنا ذلك إلا مع القافلة الثانية بعد لأي ولأي، وقاسينا مشقة عظيمة في ذلك، ولم نجد مكاريا، ولا اشترينا غالب أسباب الرحيل من خباء وأثاث إلا قرب الرحيل، واكترينا من عند أناس من عرب الحجاز ليس لهم دين ولا مروءة، كلما عقدنا معهم عقداً حلوه، وأبرمنا أمراً نقضوه، طلباً للزيادة في الكراء إلا بعد شد الأحمال على الجمال. وكان خروجنا من مكة ليلة الثلاثاء في الثامن عشر من الشهر، وكنت طفت طواف الوداع وقت العصر من يوم الاثنين، وأخذنا في حمل الأمتعة ووداع الناس من المشايخ والأصحاب، فخرجت الرواحل ولم أتمكن أنا من الخروج حتى صليت المغرب في المسجد، ولم أتمكن من إعادة الطواف، وذهبت حتى قبّلت الحجر ودعوت عنده، وخرجت ومررت بالشيخ أبي مهدي في منزله، وودعته وبكى وأبكاني، فجزاه الله عني خيراً، وخرج معي صاحبنا أبو علي حسين العجيمي، رضي الله عنه، فما لحقنا برواحلنا إلا في ذي طوى، فصلينا العشاء هناك وودعناه والقلوب مطويات على أساها، وحسرات على طول المدى لا ننساها، وأشغلنا ما دفعنا إليه من القلق ومقاساة أجلاف الأكرياء عن التألم بآلام الفراق والتسويغ لأجاجة المر المذاق، واكتفينا بعلم الله بما تكنه جوانحنا، وإن لم تقم بواجب حق البقعة جوارحنا، وسلينا أنفسنا بدعاء من خلفناه من الأصحاب، وأودعناه الدعاء من الأحباب، نسأل الله أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بتلك الأماكن المعظمة والمشاعر المحترمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه هو حسبنا ونعم الوكيل.

[كامل]

ما كان أحلاها ليالِيَ قد مضتْ ... بالمكتين وعينُ دهري غافلهْ

---

[1] التفث: وهو ما يكون في النسك من قص الشعر وقطع الأظافر: لسان العرب: تفث.

ما كنتُ أحسبُ من حيَاتِي غيرهـا — وأرَى سِـواها مـن زمـاني نافلـهْ
أيام جار الله كنـتُ وجـارَ مـن — جمـع المحامـدَ والمزايـا الكاملـهْ
عُدْ لي بها يا دهـرُ بيعـا واحـتكم — في غيرهـا مـني تجـدني باذِلـهْ
صـلى عليـه الله خـيرَ صَـلاته — وأمـدني بـصِلاته المتواصـلهْ

ثم سرنا مع رفقة ليس فيها أحد من أبناء جنسنا، وضاقت علينا الأرض بما رحبت، وأساء الأكرياء معنا في الركوب والنزول والحملان، ونزلنا بمر الظهران، وهو الموضع المسمى بالوادي، بعد نصف الليل، وأقمنا به إلى أن زالت الشمس، وهبت ريح شديدة سموم تلفح الوجوه وتثير الأرض حتى لا يكاد أحد يرى رفيقه، وظننا أن الناس لا يرتحلون في مثل ذلك، فارتحلنا وقاسينا ما الله عالم به من المشقة، وسرنا حتى نزلنا آخر الليل ببرقة، ثم منها إلى خليص، ونزلنا برأس العين بقهاوي هناك، واستطال علينا المكارون، وإذ ليس بالقافلة أحد من المغاربـة، وقـالوا إن أمتعتكم ثقيلة، فإما أن تزيدوا في الكراء، وإما أن نطرح لكم أمتعتكم هنا حـتى يقدم عليكم الركب، وزدنا لهم في الكراء.

والحاصل أن ما اكترينا به من مكة إلى المدينة أزيد مما اكترى الناس به من مكة إلى مصر، واغتفرنا ذلك كله رغبة في إقامة أيام بالمدينة قبل الركب، فكمل الله مرغوبنا.

ثم ارتحلنا من خليص ونزلنا السيل الذي بين قديد ورابغ، وفي تلك المرحلة التقيت بصاحبنا الشيخ عبد الله باعفيف اليمني أحد أصحاب شيخنا السيد محمد باعلوي، رضي الله عنه، سايرته بعدما نزلنا من عقبة السكر من المغرب إلى العشاء على أرجلنا، وتعرفت عليه وجدته من احسن الناس خلقا وأطيبهم عشرة.

وكان معنا في الركب معاشر للشيخ علي الضرير أحد فقهاء المدينة، وللشيخ صالح أحد فقهاء الحنفية بالمدينة، وكان الثلاثة في خباء واحد، وكلهم أهل فضل جمعتهم النسبة العلمية وتوطن بالمدينة المشرفة، وربما نزلنا في بعض الأحيان بقربهم، وسيأتي ذكر صاحبنا هذا فيمن لقيته بالمدينة بعد الرجوع من مكة، ثم ارتحلنا من السيل ونزلنا رابغ. ثم إلى مستيرة، ثم خرجنا منها، وعدلنا يمينا عن طريق الركب المعهودة، وتركنا المسافة المسماة بالبزوة يساراً، ودخلنا بين تلول وكثبان رمـل

عظيم، ونزلنا بئر الملا نافع قرب الصباح، بعدما غلبت الإبل، وهذه البئر تنسب إلى أحد الفقهاء الحنفية المستوطنين المدينة، وقد تقدم ذكره، وهو الذي حفرها بماله، ونفع الله بها العباد، لأنها في مكان منقطع بين رمال كثيرة، وكان صاحبها الذي تنسب إليه حاضراً معنا في القافلة لأنه حجَّ في هذه السنة.

وهذه الطريق لا يسلكها إلا القوافل لكثرة رمالها، وإنما سلكوها لأنها أقصر من الأخرى بيوم فإنها تأخذ عن يمين بدر إلى أن تنزل بالصفراء، ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا الصفراء وسط الليل. ثم منها إلى حديدة، وكنا نسير في هذه الليالي كلها سيرا رفيقا على معتاد القوافل نترك الإبلٍ على حسن اختيارها. ولما ارتحلنا من حديدة جدوا في السير، وساروا سيراً حثيثا. ونزلنا قبورٍ الشهداء عند طلوع الشمس، ثم ارتحلنا من هناك قبل الظهر، وساقوا سوقاً عنيفاً، وكانوا يتخوفون عادية من لصوص عَنَزَة في تلك المسافة، وما غابت الشمس حتى دنونا من جبل مفرح.

وكان معنا في القافلة شيخ حرم المدينة، تجدّد في تلك السنة، وقدم من اصطنبول، وعزل الذي كان قبله، فقدم مكة أولاً وحج، ثم سار إلى المدينة، وعندما وصلنا السبيل الذي هناك وجدنا طائفة هناك من عسكرٍ المدينة جاءوا يتلقونه، فأمن الناس واطمأنت قلوبهمٍ، وخرج شيخ الحرم من محفّته ولبس أحسن ثيابه، وركب فرسه وسرنا سيراً حثيثاً فوصلنا ذا الحليفة نصف الليل، ولم ينيخوا بها، فسرنا حتى جئنا آخر العقيق، وأخذنا في الصعود إلى الحرة الغربية، فهممت بالنزول والمشي على رجلي تأدبا لقرب المدينة، وكنت أركب أنا وأخي في شبرية واحدة، فرأيت ظلمة الليل وسرعة السير واختلاط الناس وليس معنا سائق إلا بدوي واحد، وله جمال أخر، فقلت إن نزلت وتعبت واشتغلت بسوق الإبل، تشتت فكري، ولم أحصل على طائل من أمري، فحضور القلب بالركوب أولى، فلما استقر هذا الخاطر في نفسيٍ لم أشعر بالجمل إلا وقد مال، فلم ننتبه حتى وقع بالأرض، فسقطت سقوطاً منكراً على أم رأسي، وسلم أخي لأني سبقته على الأرض، وتكسرت الشبرية، فعلمت أني قد أوتيت من ذلك الخاطر، وأن المشي أولى، ورعاية الأدب مع تلك البقعة المشرفة أجدر بي، فقلت لنفسي: أَبيتِ من النزول على رجليك فنزلت على رأسك، هذا جزاء عبد يهمل رعاية الأدب مع

سيده، فاستغفرت الله وسرت على رجلي حتى دخلت المدينة قريبا مـــن الثلـــث الأخير من ليلة السبت التاسع والعشرين من ذي الحجة.

ذكر دخولنا إلى المدينة المشرفة

ولما وصلنا وجدنا أبواب المدينة مغلقة، فطرحنا أمتعتنا بالمناخة قرب مسجد العيد، وقد بقي معها أصحابنا، وذهبت إلى الباب فوقفنا به ساعة حتى فتح، فدخلت مع أول داخل، وقصدت المسجد فوجدته مغلقاً، فذهبت إلى العين التي في شرقي المسجد من ناحية باب البقيع فاغتسلت بها، وجئت إلى رباط سيدنا عثمان فلقيت بعض أصحابنا المجاورين، وجلست هنيئة حتى فتحت أبواب المسجد، فدخلت وصليت وسلمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعلى صاحبيه، رضي الله عنهما، ودعوت بما تيسر، وجلست في المسجد حتى صليت الصبح، ودخل أصحابنا الذين تركتهم بالمناخة، وطرحنا أمتعتنا في مترلنا الأول بمقام سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق، رضي الله عنه، وأقمنا بالمدينة ثلاثة أيام، فدخل الركب المغربي ليلة الثلاثاء، واغتنمنا تلك الأيام وزرنا البقيع وقباء، ولقينا أصحابنا ومشايخنا، فذهبت إلى شيخنا الملا إبراهيم ولقيته بمترله، فرحب بنا غاية، ووجدته مشتغلا بملاقاة شيخه الذي عليه معوله في العلوم العقلية الملا محمد شريف[1]، وكان حج في تلك السنة وقدم المدينة مع القافلة التي جاءت قبلنا، ودخلوا قبلنا بيوم، فترل بجوار شيخنا الملا إبراهيم، فأقبلت معه للقائه والسلام عليه، وذكر له شيخنا الملا إبراهيم قصدي، وأثنى علي عنده، وراطنه بالفارسية هنيئة، وإذا هو يثني علي ويصف له حالي، وقال له إن له مشاركة في العلوم، وله اعتناء برواية الحديث، وقد حصل منه ما قل أن يوجد عند غيره، ولقوة إنصافه، رضي الله عنه، أشار عليه بالاستجازة لي، وسماع الحديث المسلسل بالأولية مني، فذكر لي ذلك شيخنا بحضرته، فأخجلني غاية، وتضاءلت لدي نفسي وأكبرته أن أكون ممن يجيزه أو يسمعه، فلم يملكني من أمري شيئا، فأسمعته وأجزته لفظا، ولما خرجت من عنده سألت من شيخنا التوسط في سماع مجلس واحد من تفسير البيضاوي، وكانت له في معرفته يد بيضاء، ولولده عليه حاشية، وله هو كتابات كثيرة على محال منه،

---

[1] محمد شريف بن محمود الكوراني، عالم محدث، توفي سنة 1078 هـ: خلاصة الأثر 4:280.

فوعدني الغد، فرجعت إليه غدا وأحضر شيخنا نسخة من التفسير قال لي: اختر أي محل شئت قراءته، فاخترت قراءة تفسير سورة (تبارك الذي بيده الملك) رجاء بركتها، وحضر في قلبي ذلك الوقت ما قيل أنها سورة المتوكلين، وأن قدوة المتوكلين في زمانه الغوث أبا مدين كان يلازمها ويقول: هي سورة من القرآن، فقرأت عليه تفسيرها إلى آخره مع السؤال عن محال مشكلاتي منه، قرر لنا تقريرا حسنا في كلام البيضاوي على قوله تعالى (فسحقا لأصحاب السعير)[1]، وأخبرني شيخنا هذا أن لشيخه هذا كتابة عجيبة في تقرير هذا المحل، وأن بعض مشايخه كتب أيضا على هذا المحل، وطال الكلام بينهم فيه، ولا أدري هل استجزته أنا أم لا، وقد استجازه لي أخونا وخليلنا حسين بن علي العجيمي المكي بعد ذلك، لأن الشيخ محمد استوطن المدينة بعدنا، وهذا نص ما كتب به إلي خليلنا المذكور جزاه الله خيرا آمين:

الحمد لله، اجتمعت بمولانا الشيخ الأستاذ إمام المعقولات، فارس التفسير الملا محمد شريف بن القاضي المحقق يوسف بن محمد الصديقي الكوراني ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة 1076 بعد صلاة العشاء، فسألته أن يتفضل بالإجازة العامة لشيخنا العلامة أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي المغربي، فأجاب إلى ذلك وتلفظ بها، وأخبرني أنه ما انتفع في العلوم إلا بوالده، ولم يكن له شيخ غيره، وأن والده أدرك حياة الجمال الرملي فشملته إجازته، وأن له حاشية على تفسير القاضي البيضاوي، ثم سألته أن يكتب ذلك بخطه الشريف فقال لي: في إخبارك عني كفاية، أو كلاما قريبا من هذا، ولله الحمد أولا وآخرا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله تعالى حسين بن علي بن يحيى العجيمي المكي الحنفي غفر الله له وللمسلمين هـ ما كتبه إلي بخطه نفع الله به آمين.

وأخذنا تلك الأيام التي أقمناها في أهبة السفر وتهيئة الزاد والتزود من زيارة النبي، صلى الله عليه وسلم. ومما زرته من الأماكن التي لم أزرها من قبل البير المسماة بزمزم، وهي إحدى الآبار المتبرك بها بالمدينة المنسوبة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، واشتهرت بزمزم تشبيها لها بزمزم المكية المشهورة لبركتها واستشفاء الناس بها، وكانت هذه البير إذ ذاك بيد رجل من أصحابنا المغاربة، فخرجنا معه

[1] الملك: 11.

إليها، وهي في غربي المدينة مما يلي الحرة، وماؤها عذب، فشربنا من مائها وتوضأنا، وأكلنا من ثمارها.

وممن لقيته بالمدينة هذه المرة صاحبنا المتقدم ذكره، الشيخ عبد الله باعفيف اليمني، وكان ذكر لي إذ لقيته بين الحرمين الشريفين، كما تقدم، أن له قصائد في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي مدح شيخنا فريد وقته السيد محمد باعلوي الحضرمي المكي، وواعدني بالاطلاع عليها بعد الوصول إلى المدينة، فلما لقيته بالمدينة ناولني بعض ذلك، ولنذكر منها ما يدل على نباهته ومعرفته بأساليب البلاغة واطلاعه على مقاصد الصوفية والتحلي بأذواقهم السنية. فمن ذلك قصيدة له في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، عارض، بها دالية شيخنا الشيخ إبراهيم الخياري المتقدم ذكرها في ترجمته وهي هذه:

[بسيط]

كُوني سلامًا وبردا نارَ أكباد ... على خليلك أو زيدِي حشا الصادِي
واستبدلينا جُلودا كلما نضجتْ ... منا جلودٌ عنت للناشئ الشاذِي
قال ادخلوا فدخلنا طوع مالكها ... في أممٍ قد خلت من خير أجنادي
لما بدت لكليم الوجد آنسها ... بذاته لا بأطوار وأطوادِ
هي النعيمُ وإن دارت على خلدي ... وأمها قلبي المضنى بأخلادِ
فاقصد ربوعَ اللوى والرقمتين وجُز ... وادي العقيق وزمزم أيها الحادي
وانح الديار وإن شطت مرابعُها ... وحالَ من دونها أصلابُ أصلاد
أفدي السواري في جنح الظلامِ طوت ... طي السجيل هضابا ذات آمادِ
إلى رياضٍ من الفردوس فائحها ... يفوقُ رياه ريا المسك والجادِ
دارتْ على الأيك أقدام مُعطرة ... من سَجسج الصبح تهدي نشرَ أعواد
فغادر الورق والأوراق دائرة ... من رَاقص أو لعوب فوق ميادِ
وتلك آثارُ غزلان النقا نفحت ... من حولها الريجح واجتازت بأبراد

مست قدودا كساها الحسنُ رونقــه … فاستيقظَ البانُ إذ مرت على الوادي
ومالت العــذبات الخــضرُ مائــسة … ميلَ المتيم إذ يشدو لــه الــشادي
فـــذكرنا عهُـــودا في دِيـــار قبـــا … فاســتهترت بــين أغــوار وأنجــاد
تناوح البوم بالوجــدِ الــشديد إلى … بطحانا لا جفاةُ الــرائح الغــادي
منازل القومِ لا عهدي القــديم بها … عهدي ولا عادهم بــالُمنحنى عــاد
من لا يــرد تــلاق لا لحــاق بــه … وجيرة بــالحمى النجــدي وفــادِ
هيهات ذلك وقت فــاتَ عائــده … لولا تذكر فضلِ المصطفى الهــادي
مُحمد خير مبعــوث دعــا فمحــا … صبح الهدى ليل إشــراك وإلحــادِ
مُهذب قد زكــا في أصــل فطرتــه … من قبــل تكــوينِ آبــاء وأجــدادِ
وسارَ في الجــد لا للمجــد ربتمــا … قد كــان بالجــدِ تمجيــد الأمجــاد
وكيف يسمو بشيء وهو منه سمَــا … إذ كان أصلا بــدا في كــل إيجــادِ
شمس وما الشمس لولا نورُ طلعتــه … بدر وما البدر لــولا وجهــه البــادِ
غيثٌ وما الغيث والسحب الرزان كما … على متون الــروابي وقــع أجــوادِ
بحر وما البحرُ يغني الــواردين بمــا … يجاوز القصدَ مــن آمــال مرتــاد
فــإن علــتني أقــوام ودونهــم … نفسي وإبليس قــد قامــا بمرصــادِ
وصدني الحظ عن قصدِ السبيل فلي … من نوره جــذب مــستخذ بإيقــادِ
أبيتُ أشــدو بأوصــاف مقدســة … زانــت تفاعيــل أســباب وأوتــادِ
لعــل ممــدوحها يومــا يجــازيني … علــى مجــادع أنجــاب وأوتــادِ
إلى نزاهـــة معـــنى في حقائقهـــا … تجلـــي دقـــائق زهـــاد وعُبـــاد
في موطنِ الفرق بعد الجمع شاخصة … على تباهي النهى عن جمع أضــدادِ

يا كـــنزَ رســـل وأمـــلاك مطهـــرة		وأوليــــــاء وأقطــــاب وأفـــــرادِ
وافي عبيـــــد والعــــبرات لؤلؤهـــــا		يجري على خده في لـــونِ فرصـــاد
من موبقاتٍ أنالتـــه الهـــوان علـــى		كز التخاليط مـــن إلـــف ومعتـــادِ
وفي جوائزك العظمى النجـــاح فمـــا		جوائز الصيدِ مـــن أمـــلاك بغـــداد
وما ابن حيـــان أولى بالحيـــاءِ وقـــد		أثـــنى زهـــير بإكثـــار وتعـــداد
فخذ به لروابي الجمـــعِ واســـمُ بـــه		من ذي الوهاد وبـــرد حـــر وقـــاد
جوزيتَ خير جزاء الله أكـــرم مـــن		يغـــني ويغـــني ولا يلـــوي لتـــرداد
فقد أتيتك بالعجزِ الصريح وبالـــــ		ــفقر الصحيح بـــلا مـــاءِ ولا زاد
ونحن في زمن أفـــصحت فيـــه لنـــا		عن أجر خمـــسينَ نلناهـــا بآحـــاد
فما ترى بعـــدها هـــاذي بـــضاعتنا		رُدت إلينـــــا بأتعـــــاب وأنكـــــاد
وأمن صحبي وأحزابي ومـــن لهـــم		يعـــزى بـــود وإخـــوان وأولاد
وخص منهم فتى مـــا زالَ تـــرمقني		منه المـــودة بـــين الحـــضر والبـــادِ
وكن له من صـــروف النائبـــات إذا		قام الأذى بـــين أعـــداءِ وحـــساد
واشمله في الـــدينِ والـــدنيا برحمـــة		لا يهتدي الدهر معها لـــه بإفـــساد
واقبلْ مديحي وإن إكرام وجـــه لـــه		تحت المقادر من مهـــد ومـــن هـــادِ
فساق نظما لأعلى من بهم شـــرفت		فصاحة العرب عند النطق بالـــضادِ
تعرضا لعظيمِ الفـــضل منـــك لمـــن		يـــدلي إليـــك بإنـــشاء وإنـــشادِ
وهبْ لنـــا خـــيرَ مـــامول منازلـــة		بقـــدرِ مجـــدك واكفنـــا بإســـعادِ
وسق إلى عبدك اســـتعداد منتـــهج		سبل اتباعـــك للخـــيراتِ منقـــاد
قل قد فعلت وعندي الخـــير أجمعـــه		دُنيا وأخرى بـــإذن المحـــسن الهـــادِ

وقــم بــأمر جميــع المــسلمينَ إذا | قــام الكفــور بــأغلال وأصــفادِ
صلى عليك الإله جل عــن مثــل | وعن شــريك وأضــداد وأنــدادِ
تعداد وصفكَ ما دام الوجــود وفي | دار الخلــود وفي آبــاد الآبــاد
والآل والصحب ما غنــتْ مُطوقــة | علــى أرائــكِ أفنــان وأعــواد
موصــولة بــسلام منــه يعقبــها | أسنى التحيات يعيي ضــبط أعــدادِ

انتهت، وذو الذوق السليم يعلم أن جيد هذه القصيدة أعلى طبقة في مراقي البلاغة من جيد القصيدة المعارضة، والله تعالى أعلم.

ومنها قصيدة رائية يرثي بها شيخنا السيد محمد باعلوي، وهي مــن غــرر القصائد أثابه الله عليها:

[طويل]

عواطــف آلاء بأيــدي غــوامر | علينا الشعب عامر شــعْب عــامر
بها أنعمت نُعمى وجــادت لعبــدها | وحقت بتحقيــق المُــنى والبــشائر
دعتنا إلى اللقيا وقد كــشفتْ لنــا | خبايا زوايا عــن محــاجرِ حــاجر
أعادت لنــا عــن لعلــع وطويلــع | أويقــات أسمــار بتلــك المــسامرِ
ليــال إذا مــا زارَ ليلــى طيفهــا | بتــذكار أهلــها تبلبــلَ خــاطر
لنا ولهم مذ أخلف الــدهرُ بــالنوى | قلوب تلاقــى في جــسُوم نــوافر
حيي يا ثنيات اللوى زمنــا مــضى | بلذة عيشِ الوصل في سفح ســامرِ
بأعلى الكثيبِ الفرد والصمد من قبا | مسارح مع غزلانِ الكناس السوامر
إذا ما تمــشت ســاجِبات برُودهــا | وأبدت شموسا من فُــروع غــدائر
غدا من سناها البدرُ والشمس خجلة | وأزرت بمياس الغــصونِ النــواظر
فيــا طلــلا بــالغور في أذكــارهِ | تبلبــلَ مــشتاق وأنــة حــائرِ

يـــسمني مـــن جزعـــه وعقيقـــه عقيق وجزع حائص مـــن محـــاجر
فديت الأولى أأنت ربـــاط شموســـه بلا غلالها صرف الليـــالي القـــوائرِ
هم الغرر السادات من آل هاشـــم بنو الماجد المفـــضال تـــاج المفـــاخرِ
إمـــام المَعـــالي نعمـــة الله ســـيدي أبي عـــامر أكـــرمْ بـــه وبعـــامر
همام رقى في القرب أشـــرفَ رتبـــة وقـــام مقـــامَ الأكـــرمين الأكـــابر
وسافر مـــن علـــم الـــيقين لعينـــه إلى حقه في غيبِ غيـــب الـــسرائر
وعادَ مـــن المـــولى بـــأكرم خلعـــة لأكرم جحجاح[1] عظـــيم الـــشعائرِ
دقـــائق تجلـــى في علـــوم حقـــائق تقاصرَ عن إدراكهـــا كـــل مـــاهرِ
وفي أن تعـــدوا نعمـــة الله مـــشعر بنيل الكرامـــات العظـــام البـــواهرِ
ولِمْ لا وفي جرثومة الفضل قد غدت ســـلالته تنمـــى لعبـــد القـــادر
ظـــواهره تـــنبي بحـــسن بـــواطن بواطنـــه تـــنبي بحـــسن ظـــواهرِ
وماذا إذا رقَّ الزجاج ورقت الحميا ترى الأعيـــان مـــن كـــل نـــاظرِ
لـــه في مقامـــاتِ الـــسلوك مـــآثر تـــؤمُ البرايـــا نحـــو تلـــك المـــآثر
خلوص وداد في اســـتقامةِ مخلـــص وعزلـــة وأوسمتـــه سمـــت ســـاهرِ
وزفت له الأمداح من كـــل مـــادح ينـــافسُ في أشـــعاره كـــل شـــاعرِ
فغادرها تحـــت الركـــام حـــواملا سحابا ثقـــالا أرســـلت بـــالمواطرِ
جوائز لا يدري ابن حيـــان طرفهـــا وإن جادَ بالأيدي البوادي البـــواترِ
فإن أنطقـــتني بـــالقريضِ صـــفاته فكم علمتني البكم من كل قاصـــرِ
فبان لهـــا ســـحبان تحـــت ثرائـــه فصيحَ السجايا بين بـــاد وحاضـــرِ

(1) الجحجح: السيد الكريم: لسان العرب: جحجح.

فيا أيها الصيدُ الأكـــارم حيـــث لا | ت حين تلاق وبعد تلـــك المحاضـــرِ
إذا استجمعت عند الضريح ذواتكم | بنور التجلي في القلـــوب الظـــواهرِ
فلا تحرمونا من عظـــيم ابتـــهالكم | لذلكم الصمصام جـــنح الـــدياجرِ
فذلكم البحـــر الغطمطـــم[1] أنـــتم | جداوله يحظـــى بهـــا كـــل زائـــرِ
وخصوا إذا رحـــتم لابنـــة خويلـــد | قبي عندها في الشعب زاكي العناصر
إمامي وشيخي عُدتي عنـــد شـــدتي | وفي موقف الأشهاد أســـنى ذخـــائرِ
ألا فالثموا عـــني ضـــريحهما فلـــي | هنـــاك مقـــام المـــستبد المثـــابرِ
وإن حال صرف الدهر بيني وبينـــه | فقلبي مُقـــيم بـــين تلـــك المقـــابرِ
واذكر ما يشدو بـــه ابـــن حمامـــة | وقد نالَ بالمختار وصـــف المهـــاجرِ
كأن لم يكن بين الحجون إلى الـــصفا | أنيس وما بالـــدار وقفـــة ســـامرِ[2]
وقولوا لهم عني خويـــدمكم ونـــت | ركائبـــهُ تحـــتَ الهمـــوم القواصـــرِ
وصـــلى الإلـــهُ كـــل آن مـــسلما | على المُصطفى مفني العـــدا بـــالبواترِ
محمـــد المختـــار مـــن آل هاشـــم | وأصـــحابه والآل خـــير العـــشائرِ

ومنها أيضاً قصيدة أخرى في معنى ما تقَدَّم، وهي هذه:

[بسيط]

عز العزاءُ وجد الوجـــدُ واشـــتعلا | لست الملوم على ما نهـــلَ وانهمـــلا
دعني أداوي كُلومي إن بكيت فـــي | من جملة الكل خلى الكل وارتحـــلا
أحل من مقلتي للدمع أوكية القـــلال | حـــتى أراهـــا وارت القُلـــلا

---

[1] الغطمطم: العظيم الكثر الأمواج: لسان العرب: غطمط.

[2] ينظر هنا الشاعر إلى قول عمرو بن الحارث بن مضاض:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا | أنيس ولم يسمر بمكة سامر

لسان العرب: حجن.

فقف بتلك الربوعِ الهامـدات لـمـا قد نالها وقفـة النحـرين إن ذُهـلا
واستخبرِ الدار ما أبقى الزمانُ لهـا بعد الحبيب الذي عن سومها انفـتلا
عج بالحجونِ ترى الأنوارَ سـاطعة فـإن لي ثم بـدرا كـاملا أفـلا
والشمس تجـري لـمستقرها لقـرا ن مكسب نورها من تحتها حـصَلا
فتدرك البدر وبدرا في المحاق وقـد ألقى البراء العصا من حيثُ ما وصلا
أعني خـديجتنا الكُـبرى وسـيدنا إمامنـا قـدوة الهـادين والنـبلا
شيخي التريل بأقصَى الشعب تحت لوا بنت الخويلد أوفى مـن لـه نـزلا
عليها من رضـا الـرحمنِ أكملـه ما ضوى النيِّران والسهل والجـبلا
وقل إذا شـئت يومـا أن تؤرخـه عز العزاء وجد الوجـد واسـتقلا

وهذا الشطر الأخير أرخ به سنة موته، وهي يوم الجمعة الرابع عشر من ربيع الثاني سنة 1071.

ومنها تصدير وتعجيز بقصيدة ابن الخيمي البائية التي أولها: يا مطلباً ليس لي في غيره أرب[1].

وهي مشهورة عند أهل الحجاز، ينشدها المؤذنون في الحـرم الـشريف في بعض الأوقات، وهي من الطراز العالي في الرقة والسلاسة، متضمنة لمعان رشيقة في الاستعطاف والتذلل والتشوق، ويزيدون في آخرها أبياتا مشعرة بأن كل ذلـك التغزل المتقدم في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، وأظنها ليست من أصلها لأني رأيتها في بعض الدواوين وليس فيها هذه الأبيات.

ولنذكر هذه القصيدة لكونها ما ينشد في الحرم الشريف، وتلذذا بما تضمنته من المعاني الأنيقة والألفاظ الدقيقة، وهي هذه:

[بسيط]

ما إن تقضي طلابي عن جنابك بـل يا مطلبـا لـيس لي في غـيره أرب

---

[1] عجز البيت: إليك آل التقصي وانتهى الطلب: نفح الطيب 2:619.

من ذله بالمعنى يحمل الهــرب إليـــــ ك آل التقــصي وانتــهى الطلـــب
وما طمحـــت لمــرأى أو لمــستمع يستعذب السمع أو يستهدف الهرب
فما أذاعت خبايا الكون من ملــح الألمعــــي إلى عليــــاك ينتــــسب
ومــــا أراني أهـــلا أن تواصـــلني لأنني عنك للـــسلوان أصــطحب
نعم أنزه ذاك الحسن عـــن نظـــري عسى علوا فـــإني فيـــك مكتئـــب
لكـــن ينــــازع شـــوقي تــارة أدبي وربما عنك يومـــا زالـــت الحجـــب
جاز دمعي وباشـــتياقي في خليفتـــه فاطلب القرب لمـــا يــضعف الأدب
ولست أربح في الحـــالين ذا قلـــق لمعهد بالحمى شـــطت بـــه الحقـــب
غدوت عنه غـــداة الـــبين ذا ولـــه تام ووجد لــــه في أضـــلعي لهـــب
ونـــاظر كلمـــا كففـــت صـــبيه أقل وعارضـــه في عارضـــي يجـــب
لا تنـــسحب وأطعـــني في مكـــالمتي صونا بحبـــك يقـــصيني وينـــسحب
ويدعي في الهوى دمعـــي مقـــاسمتي مع التصابي وعندي غـــيره عجـــب
وعنـــد عجـــب أيـــضا ينـــازعني حزني ووجدي ويجري وهو مختضب
كالطرف يزعم توحيد الحبيـــب ولا يفارق الطـــرف والعـــدا ينتحـــب
هيهات توحيده يبكي الربـــوع ولا يـــزال في ليلـــه للـــنجم يرتقـــب
يا صاحبي قد عدمت المسعدين فسا همني فلي مهجة أودت بهـــا كـــرب
ومسني وصب أســـعد فيـــه فـــسا عدني على وصبي لا مسك الوصب
بالله إن جزت كثبانا بـــذي ســـلم حادت بأردافها أكنافهـــا العـــرب
فغادرت عندها بانـــا علـــى كثـــب قف بي عليها وقل لي هذه الكتـــب
ليقضي الخد من جرعائهـــا وطـــراً من لثمها ومعنى الـــدمع ينـــسكب

فينبت العشب مخضر الفـروع بـه ... من تربها ويؤدي بعـض مـا يجـب

ومل إلى البان من شـرقي كاظمـة ... ميل المتـيم دارت حولـه النجـب

وقف لأقضي مـن شـرقيها أربـا ... فلي إلى البـان مـن شـرقيها أرب

حيث الهضاب ورضواها يروضـها ... شئوب دمع وصب المدمع الوصـب

فإن عفت بالـسنين الغـبر عرقهـا ... دمع المحـبين الأنـداء والـسحب

أكـرم بـه مـنزلا تحميـه هيبتـه ... تحت السكينة والأعداء تـضطرب

دعني أعلل نفـسا عـن مطالبـها ... حـتى عـراني الكـرى والتعـب

فيبعث للوصل روحا عـز جانبـها ... فيه وقلبـا لعـذر لـيس ينقلـب

ففيه عاهدت قدما حب من حسنت ... به العلا وفنـون المجـد والحـسب

وعز في ذاتـه لقـد شـرفت بـه ... الملاحـة واعتـزت بـه الرتـب

دان وأدنى وعـز الحـسن يحجبـه ... عمن تحكم منه القـصد والطلـب

حتى رأيت جنـود الحـب تمنعـه ... عـني وذلي والإجـلال والرهـب

أحيا إذا مت مـن شـوقي لرؤيتـه ... والنور للأم يدعى عنـدها الهـدب

فأنثني وأنـا الـصب الكلـيم بـه ... لأنـني لهـواه فيـه أنتـسب

ولست أعجب من حـبي وصـحته ... كيموسها الصدق والبهتان والكذب

حتى سلا النفخ والهجـران منـشأه ... من صحتي إنما سقمي هو العجـب

يا لهف نفسي لـو يغـني تلـهفها ... وما التلـهف بـالمغني ولا الرعـب

إن لم تجـدهم الـدنيا فـو أسـفا ... وجدا ووا حربا لو ينفـع الحـرب

يمضي الزمان واشـوقي مـضاعفة ... لهم فاسجد من شـوقي وأقتـرب

وعـزة المجـد والإجـلال يمـنعهم ... يا للرجال ولا وصـل ولا سـبب

هبت لنا نفحـــات مـــن ديـــارهم تناوب الأيك مـــن هباتهـــا نـــوب
حتى إذا لعبت من وجـــدها طربـــا لم يبق في الركب من لا هزه الطرب
كدنا نطير سرورا مـــن تـــذكرهم ففيه منهم لنا الألطـــاف والقـــرب
فاستهزت لنا فنون مـــن لطـــائفهم حتى لقد رقصت من تحتنا النجـــب
يا راقيا بأعـــالي الـــرقمتين ســـدى من أين شاكلتني لا هـــزك العجـــب
هم أقول بحر أنـــت حيـــث تـــرى لقد حكمت ولكن فاتـــك الـــشنب
أما خفوق فؤادي فهو عـــن ســـبب وجد عـــلاه ونـــار فيـــه تنتـــهب
قد كنت في المهد لا أدري برؤيتـــه وعن خفوقك قل لي ما هو الـــسبب
ويا نسيما سرى من نحـــو كاظمـــة فعانق البان حتى ماســـت القـــضب
فبات يمليهما عـــن حـــاجر ســـيرا بالله قل لي كيف البـــان والعـــذب
وكيف ذاك الحـــي هـــل حفظـــوا ما أحرز الرحم الموصول والنـــسب
فقد تحملت مذ فارقـــت معهـــدهم عهداً أُراعيه إن شَـــطُّوا وإن قربـــوا
أم ضيعوا ومرادي منـــك ذكـــرهم على الحقيقة إن مـــروا وإن عـــذبوا
فالسلب منهم عطاء وافـــر وهـــم هم الأحبة إن أعطـــوا وإن ســـلبوا
وإن كان يرضيهم إبعـــاد عبـــدهم فليفعلـــوا مـــا أرادوه ولا عتـــب
فإن هم بعـــدوا ولات حـــين قلـــى فالعبد منهم بذاك البعـــد مقتـــرب
والهجران كان يرضيهم بلا ســـبب فهو الغنيمة لا نجـــس ولا صـــخب
كأنـــه جـــاء في اللقيـــا يخـــبرني بأنه من قبيـــل الوصـــل يحتـــسب
وإن هم احتجبوا عـــني فـــإن لهـــم عزا تزاح به عـــن بـــاطني الريـــب
لأن عنـــدي مـــن آثـــار عـــشقهم شهود حسن بقلبي ليس ينحجـــب

قد نزه الحسن والإشـراق بهجتـه | فاستهترت في هواها العجم والعرب
بدت فلم تخـف بـالأنوار تمنعهـا | عن أن تمنعها الأسـتار والحجـب
ما ينتهي ناظري منـهم إلى رتـب | فينتهي في مداها الوجـد والطـرب
إذ ما يلوح له مـن لحظهـا رتـب | في الحسن إلا ولاحت فوقها رتـب
وكل ما لاح معـنى مـن جمـالهم | راحت لبهجتـه الأرواح تنجـذب
أظل دهري ولي من حسنهم طـرب | آثاره الحب لا الـصهباء والحبـب
فمن عظيم غرامـي فـيهم فـرح | ومن إليهم استباقي نحـوهم هـرب
وكم أموه بالعرب الكواعب والـ | وادي التياغـا ولا واد ولا عـرب
فكم أفوه بكثـب والقـضيب بـه | تشذو الحمام ولا قضب ولا كثـب
كالشمس يسترها بالمـاء ناظرهـا | إن خاف منها على الأبصار تنسلب
والقـصد خـير نـبي عـم نائلـه | تضيق عن وصفه الأشعار والخطـب
وأين يـترل مـدح المـادحين لـه | مما رووا عنه من فضل ومـا كتبـوا
فمدحة الوحي والتتريـل معجـزة | لا ما تـصنعه الأقـلام والكتـب
محمد المصطفى الهادي الـشفيع إذا | أودت بمحشرنا الأهوال والكـرب

ومن فوائد صاحب الترجمة الشيخ عبد الله باعفيف ما نصه: قال في العقد النبوي من كلام الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس[1]: وصية ثلاثة أيام وخلوة أسبوع وخلوة شهر وخلوة أربعين يوماً. أما خلوة ثلاثة أيام فهي الاثنين والخميس والجمعة، ولها وظائف دوام ذكر الليل والنهار، والاعتزال في الزاوية وأكله بعـد العشاء، وترك النظر إلى الحرام، ولا ينام حتى يقول قبل النوم على طهارة في خلوة واحدة: يا كريم يا رحيم ألف مرة، والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسـلم، ألف مرة، فقد فتح لجماعة في هذا. وأما خلوة الأسبوع بالصوم والعزلة وتـرك

---

[1] عبد الله بن علي العيدروس، صاحب الشبيكة بمكة المكرمة، أثرت عنه أحوال وكرامات، تـوفي سـنة 1050 هـ: خلاصة الأثر 62:3.

ذكر الدنيا وأهلها، وكذلك خلوة الشهر والأربعين، ولكن الأدب نصف الدين، بل الدين كله، والأدب مع الله وترك كل معصية، ومع الصالحين ترك الاعتراض عليهم، والمسلمين سلامتهم من لسانه ويده، والخير كله في تلاوة القـــرآن، مـــع الأدب بين يدي المتكلم رب السماوات والأرضين هـــ.

وقد أخبرني صاحب الترجمة أن الشيخ محمد باعلوي كان يأمر أصحابه بهذه الخلوات، ولها بركات عظيمة.

ومن فوائده أيضاً قال: ومما كان السيد يعلمه أصحابه ما نَصَّه، وهو مـــن كلام الشيخ محي الدين: اعلم أنَّ القهر عذاب، ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا شوب، بل ينظر في كل ما وقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد، له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا، فلا يزال مـــن حاله هذه مقيما في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة. قال: ومـــا رأيـــت الواقع التغير له تغير تطلب الحق منه التغيير، وكامن هذا التغيير هو المطلوب، لأنه هو الواقع إذ ذاك، وليس بمقهور فيه، بل هو ملتذ بالموجب للتغيير فتأمل هـــــــ. وهو نفيس لمن رزق استعماله. وأقمنا بالمدينة خمسة أيام وكأنها طيف منام، فتهيأ الرحيل ودنا، ولم نظفر بالمنى، وعاقتنا أشغال السفر عن ملازمة الحرم واتباع النهل بالعلل من موارد الكرم.

ذكر الخروج من المدينة المشرفة

فكان سفرنا من المدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عشية يوم الخميس الثاني من محرم فاتح سنة أربع وسبعين وألف، واكترينا جملين من رجل من المغاربة القاطنين بأرياف مصر، وكانت فيه مروءة، فأحسن وأجمل، فكان خروجنا من المدينة بعد صلاة العصر، وودعنا النبي، صلى الله عليه وسلم، وخرجنا نعثر في أذيال الحسرات، ونُتبع الزفرات بالزفرات، وعطف الشوق علينا رجله وخيله، وكأننا لم نبت بطيبة إلا[1] ليلة، فكان خروجنا على باب الشامي لأن مترل المغاربة كان به، فوجدناهم قد قضوا، وذهب المكاري بالأمتعة، فانعطفنا من وراء المدينة إلى ناحية المناخة حتى ودعنا شيخنا الملا إبراهيم في مترله، وخرج معنا إلى قرب داره، وأذن خلفنا، وذهبنا على أرجلنا، ولم نلحق بالإبل، فلما هبطنا إلى واد العقيق تعبت غاية، فلحقنا هناك رجلا من الفلاحين ومعه جمل يسوقونه، وحان وقت المغرب، والمحل محل خوف، فخاف أن يذهب أصحابنا عنه ويبقى وحده. فقال لي: تعال يا شيخ تركب على الجمل، وأقسم عليَّ، وعلم أن أصحابي لا يذهبون ويتركوني، فركبت وتعجبت من لطف احتياله، وما قدر الله لي في ذلك من اللطف لأني لولا الجمل ما ظننت أني ألحق بالركب إلا أن يكون بعد مشاق عظيمة، فسرنا وما لحقنا بالركب إلا في ذي الحليفة قد نزلوا بعد صلاة العشاء، فبتنا بها ثم ارتحلنا صباحا. وأعد الناس السير، ولم يقيلوا إلا سويعة قدر ما أكلوا شيئا قريبا من العريش، ومررنا بشرف الروحاء قبل المغرب، ولم نبت إلا قرب منصرف الروحاء، وفي الغد ارتحلنا ومررنا بمسجد الغزالة، وسرنا حتى نزلنا بالجديدة بعدما اشتدت القائلة، ووقف الناس بها هنيئة ريثما أخرجوا أمتعتهم التي اختزنوها، فارتحلوا ولم يترلوا إلى قرب الصفراء، حيث تنصرف الطريق يمينا إلى ينبع.

[1] في ط: ولا.

وفي الغد ارتحلنا وملنا يميناً مع شعاب متوعرة، وعند المنصرف قبر يقال إنه قبر عبيدة بن الحارث سيد شهداء بدر، أحد المبارزين في ذلك اليـــوم، وزرنـــاه وسرنا إلى قريب من الظهر، فوصلنا بسيط الدهناء، ووجدنا البركة المعمولة هناك ممتلئة ماء، ووقع شنآن بين المغاربة الإفريقيين والجُوانيين، و لم يترلوا حتى كاد يبدو لهم نخل[1] ينبع، وانحاز كل إلى ناحيته في الترول، وما سرنا قط مثل هذه المراحل طولا، إلا أن الله لطف بالركب فلم يروا محارباً ولا سارقاً.

وفي الغد نزلنا ينبع صباحاً، وبات الركب فيه ليلتين، واشتد الحر يوم إقامتنا غاية، وحمدنا الله تعالى إذ لو صادف ذلك اليوم الرحيل لكان فيـــه فنـــاؤهم. ثم ارتحلنا من ينبع واشتد الحر أيضا وسط النهار، وبقيت من الركب إبـــل، ونـــزل الناس عصرا بعدما جاوزوا وعرتين من السبع وعرات، و لم يترلوا حـــتى عـــاينوا الهلاك وخافوا من الاستيصال. ووقعت عن الجمل وقعة منكرة يومئـــذ بـــسبب الدخول بين قطارين من أقطار الجمال أدمت وجهي وأوهت مفاصلي.

وتزايد الحر بعد الترول وخافوا بعدما نزلوا، فأذنوا بالرحيل ليلا، ونـــادى المنادي أن تعشوا بعد المغرب وتهيأوا للرحيل، فشق ذلك علينا، وكانت من أعظم الليالي التي قاسيناها في سفرنا. ارتحل الناس بعد العشاء وصاروا ليلهم خائفين من اللصوص ومن إدراك الحر لهم قبل بلوغ المنهل. فأناخوا هنيئة قبل السحر في وسط واد النار، و لم يحطوا الأحمال إلى أن طلع الفجر فارتحلوا وساروا سيراً حثيثاً.

ولما طلعت الشمس ووقع شعاعها على الأرض ثار منها لهيـــب روعـــت الركائب كما هو شأنها غب السرى، فلم يصلوا إلى المنهل حتى قرب الـــزوال، وضاع ناس من الفقراء بقوا في الوادي بمضيعة، وهلكت إبل، ولكن لطف الله أتم ما كان الناس يظنون، إلا أنه يتلف معظم الركب، وتخوفوا مثل ما وقع في العـــام الماضي للركب في ذلك المحل فقد تلف فيه آلاف من الخلـــق، ســـيما الركـــب المصري، وسلم الله المغاربة في هذه السنة، ووقع مثل ذلك للمصري في الحضيرة، فمات منهم نحو السبعمائة على ما زعموا وهم نازلون، وهبت عليهم ريح فكان الرجل في حوائجه حتى يقع ميتا، ثم قيَّل الركب على منهل النبط حتى اســـتقوا

[1] في ط: نخل

وسقوا إبلهم، فارتحلوا بعد العصر ونزلوا قريبا من المغرب لأنهم رأوا لصوصا على رؤوس الجبال فتخوفوا عاديتهم إذ اختلط الظلام.

وفي الغد نزلنا الحوراء قرب العصر وباتوا بها، وفي الغد ارتحلنا فلما طلعنا من العقبة السوداء اشتد الحر غاية وسرنا سويعة فترل الناس قهرا وتفرقوا في العضاة يستظلون، فترلنا تحت سمرة وتفرق عنا أصحابنا، و لم نجد من نستعين به في نصب الخيمة، فبسطنا ثوبا على أغصان رثمة وأدخلنا رؤوسنا تحته، و لم يرتحل الناس إلى قريب من العصر، فخافوا معرة العطش لبعد المنهل وقبح المياه التي وردوها، والتي أمامهم، فأسروا ليلهم وخسف القمر في تلك الليلة، وسار الناس إلى أن ذهب أزيد من نصف الليل فترلوا، وفي الغد نزلنا كُدا قرب الزوال، وبات الناس به، وبالغد سار الناس و لم يبيتوا إلى قرب الوجه، وفي الغد نزلنا الوجه عند طلوع الشمس ووجدنا به أول الملاقي، ورخص السعر وكثر العلف وارتحل الناس منه عشاء، وباتوا بعد أن خرجوا من تلك الشعاب وقربوا من واد الأراك.

وفي الغد مررنا باصطبل عنتر، واستقى الناس منه وتجاوزوه، وفي الغد مررنا بالأزلم وتجاوزوه، وفي الغد مررنا بكفافة، فلما قرب الناس من شق العجوز، ودخل معظم الركب فيه و لم يبقَ إلا القليل، أغار اللصوص على أواخر الركب قرب بئر الدويدر، فلم يجدوا هناك جماعة إلا طائفة قليلة من أعراب برقة، ورجلان من أصحابنا ذهبوا لسقي ماء من البئر فقاتلوهم أشد قتال، وقتل من اللصوص رجلان، ومع ذلك أخذوا من الإبل قريباً من الثلاثين بأحمالها، ودخلوا في مضيق تلك الشعاب وتعذّر الغوث، بيد أنه ليس في الركب في هذه السنة من يدفع، بل ولا من ينفع، وكان شيخ الركب سيدي أبو زيان حفيد سيدي أحمد ابن يوسف الملياني، وهو رجل لين وليست له عصبة قوية، إنما كان يتأخر في بعض الأحيان هو وفارس آخر من أصحابه، فكان من قدر الله في ذلك اليوم أن ركب[1] على جمل لإراحة فرسه، وتقدم وما رأى الناس قطا لصا في ليل ولا نهار من مكة إلى هذا المحل، وكأنهم أمنوا وقل حذرهم، فساروا حتى جاوزوا دار أم السلطان، وباتوا، وفي الغد أتينا المويلح ضحى بعدما اشتدَّ الحرّ، ولما قربنا من البندر تقدمت أمام الإبل، وملت إلى حائط من نخل لأستريح، فوجدت حارسه رجلاً من المغاربة من زناتة إفريقية، تعوّق هنا فأدخلني الحائط وآواني إلى عريش له، حوله خابية ماء

[1] في ط: أن ركب في ذلك اليوم.

بارد، وقدّم لي من رطب الحائط، فأكلت وقيّلت هناك عنده واسترحت حتى ذهبت سورة الحر، فتقدمت إلى المترل، فجزى الله أهل الإحسان خيرا وأثابهم.

وبات الركب تلك الليلة في المويلح في أرغد عيش، وفي الغد ارتحلنا بعد الزوال ونزلنا حيث تنعطف الطريق يميناً عن البحر، وفي الغد مررنا بعيون القصب واستقينا، وفتناه غير بعيد ونزلنا، وفي الغد نزلنا مغارة شعيب قرب المغرب، وفي الغد ارتحلنا بعدما طلعت الشمس وارتفعت، وبتنا أعلى الوادي دون شرف بني عطية، وفي الذي يليه نزلنا أسفل الوادي قريباً من البحر حيث تميل الطريق إلى ظهر الحمار، وفي الذي يليه نزلنا العقبة ظهراً. ووجدنا أهل غزة وأهل معان قدموا بعنب كثير وفاكهة، وبات الناس بها تلك الليلة وأقاموا غدا، وهناك تجددت لنا نية السفر إلى القدس الشريف وزيارة ثالث الحرمين ومشاهدة الأرض المقدسة المباركة ومعاينة آثار الأنبياء وزيارة الخليل ونبيهم عليهم الصلاة والسلام، وكان ذلك يختلج في أفكارنا أيام المجاورة كلها ونرغب إلى الله تعالى في تيسير ذلك في مظان الإجابة، وهي إحدى المسائل التي سألت الله تعالى فيها الملتزم، وجعلنا هذه عنوان ما غاب منها، فمنَّ الله بالإجابة، إلا أنا مع ذلك كنا نرى الوصول إلى تلك الأماكن متعسرا أو متعذراً على أمثالنا لقلة ذات اليد وعدم القدرة على مقاساة المشاق العظيمة التي يوجبها الانفراد عن الطريق المألوف والسلوك في بلاد غير معهودة، والمعارف بها مفقودة، والرفقة إليها غير مأمونة، والمخاوف فيها إن لم تحقق فهي مظنونة، فكنا نُمني أنفسنا بعد الوصول إلى مصر واستقرار الأركاب بها نجدد رحلة من هناك إلى القدس، (وكان أمر الله مفعولاً)[1]، ومن اختار له كان على كاهل السلامة محمولا، فلما نزلنا بالعقبة ووجدنا بها رفقة أهل غزة، قوي عزمنا على ما كنا نأمله، وتركنا الالتفات إلى ما كانت النفس تسوله، وفوضنا الأمر إلى الله، وتوكلنا عليه وأعاننا على ذلك صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي، وكان معنا في الركب وقوى عزائمنا، واكترى لنا جملين للركوب وحمل الماء من رجل اسمه صبح الرباب من عرب الحكوط، وهم أهل تلك الناحية، وسلف لنا ما نحتاجه من النفقة في الطريق، وبعثنا كتبنا وأمتعتنا مع بعض أصحابنا في الركب إلى مصر، وفارقنا ركب المغاربة هناك. وارتحلوا صبيحة يوم الأحد التاسع والعشرين من محرم، وأقمنا بعده يوما، وزرنا في ذلك اليوم قبر الشيخ

---

[1] النساء: 47.

إبراهيم اللقاني، وهو دون البندر في مقبرة هناك معلم عليه بأحجار، وما عرفناه إلا في هذه المرة دلنا عليه بعض أصحابنا الإفريقيين. فلما خلا المترل منهم و لم يبق داع ولا مجيب اشتدت علينا الوحشة، وتسوغت مرارة الاغتراب في الغربة، وبقينا منفردين ليس لنا خباء يكننا من الحر، وثلاثتنا مثل الأثافي لا رابع لنا إلا عناية الله التي شملتنا ولطفه الذي حف بنا، فحملنا أمتعتنا على ظهورنا إلى حائط نخل قرب الركب المصري، ونزلنا فيه حتى جاء صاحبنا المكاري عشاء، فأتينا[1] مأواه في قافلة أهل غزة، فنقلنا إليه أمتعتنا وبتنا عندهم.

وفي الغد أخذ الركب المصري في الارتحال من العقبة من نحو نصف الليل، وما خرج آخره من الدار حتى زالت الشمس، وكان أول من رحل باشة الأزلمية، وهو الأمير الذي يقدم مع أول الملاقين إلى الوجه، و لم يزل الناس يرحلون بعده شيئا فشيئا، وقبل الظهر رحل المحمل وبعده باشة العقبة، وهو آخر من رحل، و لم يبق بعده إلا من أراد المشي إلى غزة.

فلما خرجوا من المترل و لم يبق به أحد منهم، وذهبوا[2]، وتأخر رفقتنا الشاميون حتى غابوا عن أعينهم ودخلوا في شعاب العقبة أخذوا في الارتحال، وارتحلوا في خفارة أمير الوحيدات وما والاها من عرب غزة المسمى الشيخ بشير، وكان ورد العقبة في نحو من عشرين فارسا من أصحابه، وهو صاحب درك الركب المصري والشامي في تلك البلاد. وكانت بينه وبين كبير حجاج أهل غزة في تلك السنة الحاج حسن المغربي معرفة، فتكلم معه على أن يذهب بهم بإتاوة إلى غزة يؤدونها له، فخاف الحجاج غدره وعدوانه، فتكفل لهم صاحبه الحاج حسن المغربي بكل ما يقع منه من نقض وغدر، وتوقى منه بصاحبه، وذهبوا به إلى أمير الحاج المصري حتى تكفّل لهم بذلك بين يديه، وكتبوا عليه سجلاً على ما زعموا، وسبب ذلك أن هؤلاء الأعراب نافقوا على عسكر غزة في هذه السنة، ووقع بينهم وبينه قتال، ونهبوا عسكر أمير غزة، وخرجوا عن طاعته، فلذلك خاف منهم الحجاج الشاميون، ولولا توثقهم بضمان حسن المغربي ما ذهبوا معه، ومع ذلك فقد ذهب أكثرهم إلى مصر و لم يأمنوا أن يذهبوا معه، وكانت الجعالة التي تكلموا بها معه ثلاثة قروش لكل جمل، وفي الرفقة أزيد من مائة جمل، ولحسن المغربي منها

---

(1) في ط: أرانا.
(2) ساقط من ط.

نحو من أربعين. وسرنا إلى العقبة بعدما صلينا الظهر واستقينا الماء سيرا رفيقــا لا خوف فيه ولا قلق، ووصلنا فم النقب عند صلاة المغرب وصــليناها في المــضيق الذي هو مبدأ الصعود، وطلعنا العقبة رويدا، ووافينا ذروتها قريبا من ثلث الليــل الأول، و لم نرَ فيها لصاً ولا سارقاً ولا طارقاً، إلا طارقا يطرق بخير، لأن غالــب المكاريين من عرب تلك الناحية، وكل من في تلك الناحية من الأعراب، في درك خفير الركب بشير. وشرف في تلك الليلة حمل من الفلفل للحاج حسن المغــربي فبعث بشير من قص الأثر، فأتى به و لم يضع منه شيء، فلما طلعنا لسطح العقبة فارقنا أواخر ركب المصري، وكنا أدركناهم في العقبة، وعدلنا ذات اليمين وقــد وجدنا من الإبل الباقية من الركب المصري في صعود العقبة ما ينيف على المائتين بين حي وميت، فربما يكون بالموضع الواحد خمسة أو ستة مــصرعين، فكأنمــا جزرهم جازر، فقضينا العجب من ذلك، وما ذاك إلا من الثقل وللسوق العنيف، وما كانت إبل الأعراب الذين معنا إلا دون تلك في السمن بكثير، ومع ذلك لم يضع منها واحد. و لم نزل نسير تلك الليلة في سطح العقبة إلى قريب من ثلــث الليل الآخر، فأنخنا في فحصاص أسود لا ماء به ولا كلأ ولا ظل، وأصبحنا فيه، وجعل الأعراب يعدون الإبل والأجمال لأخذ الغفر الذي شارطوهم عليه، فأخذوا على كل جمل قرشين، وعلى كل جمل من جمال الأقوام ثلاثة، والأقوام عندهم هم الفلاحون. وكنا توهمنا أنهم يأخذون منا، فصرفهم الله عنا، وليس معنــا متــاع يأخذون عنه، والإبل التي ركبنا عليها هي لهم، فلم يتعرضوا لنا بسوء. و لم نرحل من ذلك المترل إلا بعد العصر، وسار الناس سيرا شديدا طول ليلهم، وقل الماء في القافلة، وأضر بنا السهر حتى وقعت مني خيزرانة كانت عندي حججــت بهــا وشهدت بها المشاهد، فتألمت لفقدها، و لم أصب في طريقي كلها بمثلها.

ولما كان آخر الليل ذهب مكارينا سلمان، وهو ابن أخي صبح المتقدم بعثه معنا، ورجع هو حين قل الماء، وقال لنا إني أعلم هنا موردا كنا حفرنا في هــذه السنة لنعمنا، وذهب معه بالجمل ليأتنا بالماء، فلم يدركنا حتى نزلنا ضحى قريبــا من ماء آخر، فأتانا بماء بارد حلو، وأقمنا يومنا هناك إلى العصر فارتحلنا، فلما كان الثلث الأول من الليل دخلنا في جبال وعرة وسلكنا في عقاب إلى آخــر الثلــث الثاني، فترلنا على ماء يسمى مائق، وهو ماء بارد حلو في مسيل واد في حفــائر، وكان أصله ماء المطر المتحقن في باطن الأودية، وأقمنا فيه إلى العصر، فارتحلنــا

وحصر شيخ العرب الناس حتى عاود لحساب الإبل والأجمال، فأراد أن يعد إبلنا، فقال شيخ القافلة حسن المغربي: هؤلاء حجاج فقراء لاشيء معهم فتركها، فلما كان بعد المغرب رأوا سواداً عقبهم إلى الماء فظنوهم عدوًّا، فرجعت الخيل إلى الماء وبات الناس هنالك، فإذا هم قوم من العرب معهم أحمال للتجارة فروا بها من الغفر، فأتوا بها وغفروها، ثم ارتحلنا صباحا وقيلنا في واد قرب موضع يقال له العين، فلقيني قرب المنزل شيخ العرب وقال: يا حاج، يا مغربي، هات القرسين، يداعبني. فقلت: إن شاء الله. و لم يذكرها لي بعد، وعطشت خيل العرب فأخذوا من الناس الماء قهرا لسقيها، ثم ارتحلنا من هناك نقطع أرضا بها أثر العمارة والحرث أشبه الأرضين بأرض برقة، ومررنا تحت الموضع المسمى بالعين. وبعد نصف الليل نزلنا على ماء يسمى بيرين، وهو عبارة عن آبار غزيرة المياه باردة حلوة عليها أدواح عظيمة من شجر البطم، وأصبحنا بها وأقمنا إلى العصر، فارتحلنا وانحدرت بنا الأرض إلى سواحل الشام. وفي الثلث الأول من الليل وصلنا إلى كثبان رمل وجبال منه ممتدة، و لم نزل نقطعها إلى أن غاب الغمر في السادسة، ونزلنا إلى الصباح فارتحلنا وقيلنا في موضع يسمى الرحيبة[1]، وبه آثار عمارة كبيرة ومدينة خالية نزلنا عن يسارها، ثم ارتحلنا عند العصر ومررنا بموضع يسمى الرابية عند الأصفرار[2]، فلما كان عند المغرب أمر شيخ العرب الناس فنزلوا قرب الوادي المسمى بالفارغ، وكانت إبل حسن المغربي قد تأخرت، فلما جاء وجد الناس قد نزلوا، وأبى عن النزول، فارتحل الناس بعدما حطوا رحالهم، وفارقهم شيخ العرب وجماعته لأنهم خافوا من باشة غزة، فإنهم قتلوا منه في الشهر الذي قبل هذا نحو ثلاثمائة، وسار الناس على حالة، وجل ليلهم أجمع، لأن المحل موضع بين الفريقين، فلما طلع الفجر صبيحة الاثنين السابع من صفر أناخوا بباب غزة، فنزلنا خارجها، واطمأنت القلوب بعدما كانت في وجل، ورأينا البساتين والأشجار والمنازل والقصور وكأنما نشرنا من القبور، ودخلنا في عالم آخر سوى الذي كنا فيه، وحمدنا الله كثيرا، وشكرنا شكراً أثيراً، ودخلنا المدينة بعد طلوع الشمس، وتلقانا أول ما دخلنا رجل من تجارها فأدخلنا داره تبركا وأطعمنا، ثم ذهبنا إلى المسجد الكبير ونزلنا به، وما شعرنا أن به الدويبة المسماة عندهم بالدلم، وهي أضر شيء لبدن الإنسان، تلسع لسعاً تسري سميته في البدن فيحكمه أياماً، وكثيراً ما يعقب

---

[1] في ط: الرجبية.
[2] في ط: الأصفر.

مرضاً ردياً والعياذ بالله، فتأثر من ذلك بعض أصحابنا، ورأينا من غزة بلدا فسيحا ومنظراً رائقاً، وأسواقاً حافلة، وأسعاراً رخيصة، وفاكهة كثيرة، مع ما هم فيه من التشويش من أجل العرب المخالفين فإنهم يغيرون على القرى التي حول المدينة وينسفون زروعها، وعجز الباشا عن مقاومتهم، وكان في تلك الأيام يضم البيارق من النواحي ويتهيأ للخروج إليهم، والبيرق عندهم عبارة عن جماعة من الخيل لهم رئيس يقدمهم، ولكن الباشا مع كثرة ما جمع يقدر على البروز إليهم لنجدتهم وشجاعتهم، وكانوا يحكون عن بشير وجماعة من أقاربه الأبطال أموراً غريبة من الشجاعة، وقد رأيت عند بشير فرساً أنثى كحيلية زعموا أنه اشتراها بألف قرش، والكحيلية نوع من الخيل عندهم معروفة بالنجدة والعتاقة، وقد كنت استصحبتُ كتاباً من عند صاحبنا الشيخ إسماعيل النابلسي الحنبلي لما افترقت معه في العقبة، كتبه إلى صالح علماء غزة وعالم صلحائها ذي البيت الشهير، والجاه الكبير، الشيخ عبد القادر بن الغصين[1] أوصاه فيه بشأني، وعرفه فيه بحالي، فلما دخلت المسجد الكبير وكنا تعبنا ليلنا، وأثّر فينا السرى، لم أطق حراكاً ولم أخرج من المسجد حتى صلينا الظهر، وسألت عن الشيخ عبد القادر فعرفت بصفته، فلما جاء وقت العصر ودخل المسجد للصلاة ناولته الكتاب فأخذه وذهب به إلى مترله، وبتنا تلك الليلة بالمسجد ولم يرجع إلينا شيئا[2].

وهذا المسجد من أحسن المساجد رواء عالي البناء فسيح المنظر له صحن رائق مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة وفيه دالية عنب قد غطت بأغصانها الناعمة جهة منه، وفيه شجرتان كبيرتان من الزان بسقتا في السماء بسوقاً مفرطاً كأنهما نخلتان سحوقتان، وعلى يمين قبلة الصحن مسجد كبير مرفوع على سواري كبيرة من الحجارة المنحوتة، وهو مفصول عن الصحن بشبابيك غريبة الصنعة ولا يصلون فيه إلا في أيام الشتاء، ووجدنا الفعلة مجتهدين في تبييضه وتجديد نقوشه، وأما بنيانه فلا يحتاج إلى تجديد لفخامته ووثاقه، وكان أصله كنيسة كغالب مساجد ذلك الساحل،إلا أن المسلمين لما ملكوا البلاد من يد الإفرنج صيروها مساجد، وقد سمعت من بعض أهل غزة أن مسجدهم ذلك كان كنيسة في زمن المسيح عليه السلام.

---

[1] عبد القادر بن أحمد بن يحيى ابن الغصين، الغزي الشافعي، عالم عامل، رحل إلى مصر وأخذ على يد شيوخها، ولد سنة 1013 هـ، وكانت وفاته سنة 1087 هـ: خلاصة الأثر 47:2.
[2] في ط: بشيء.

ومما عيب على أهل هذا البلد عدم احترامهم للمساجد، فإن لهذا المسجد، وهو أعظم مساجدهم، أبواباً بعضها إلى ناحية السوق، وبعضها إلى ناحية الدور، فلا يكون لأهل الدور مروراً إلى السوق إلا في وسط المسجد، ويمرون في صحنه بنعالهم ويستعملون فيه الدخان الذي يشربونه، وقد قال بعض المغاربة المجاورين هناك مداعباً: إن هؤلاء لا يعدون المسجد إلا الحصير بنفسه فإنهم يحترمونه مادام مبسوطاً ولا يطئونه بنعالهم، وما سوى المكان المفروش لا فرق عندهم بينه وبين الأزقة. ولما كان الغد من يوم وصولنا دخلت على الشيخ عبد القادر في مدرسته فسلمت عليه، وقال لي: أين الرجل الموصى عليه في الكتب الذي ناولتني أمس؟ أين نزل فإني لم أجد من يدلني عليه، وكان لا يظنني إياه لما رأى من رثاثة هيئتي، فقلت: أنا هو. فأعاد السلام ورحب، واعتذر عما صدر منه من التغافل، وبعث في الحين من أتى بأمتعتنا وأصحابنا من لمسجد، وأنزلنا في مكان واسع مهيأ للمرافق من مدرسته، وأحسن غاية الإحسان، ومدرسته هذه في قبلة المسجد الأعظم ليس بينه وبين المسجد إلا الطريق، وغالب جلوسه فيه، ويأوي إليه أصحابه فيه، ويقرؤون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الشمس مناوبة، وفيه خزانة كتب، وتقرأ فيه كتب علمية، وأخبرني، رضي الله عنه، أن أمير البلد هو الذي بنى هذا الرباط وأوقفه عليه، وجعل له أوقافا، وأخبرني أن الشيخ أبا العباس المقري، رضي الله عنه، هو السبب في ذلك، وأنه لما جاء من مصر إلى الشام، وكان نزوله عند والد الشيخ الغصين، وكانت للشيخ المقري مكانة عند الأمير. قال: وكانت دارنا بعيدة من المسجد، فآتي إلى المسجد أقرأ فيه وأقري، فسألته أن يطلب لي الإذن من الأمير في بناء بيت ببعض رحاب المسجد وأشتغل فيه بالمطالعة والقراءة، فقال لي: لابد من حضورك معي عند الدخول على الأمير. قال: فلما دخلنا عليه قدم له الشيخ مقدمات في فضل بناء المساجد والمدارس، ثم أثنى على الشيخ عبد القادر وقال له: إنه من أهل العلم وليس ببلدكم مثله وأراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه ويقري. فقال الباشا: مثله لا يليق له البناء في المسجد، ولكن هنا موضع نحبسه عليك، وهو موضع المدرسة الآن، وكان يسكنه أقوام لا خلاق لهم من أعوان الدولة. فقال له الشيخ المقري: لما هممت بهذا فامضه الآن ولا تُؤخر. فلم يبرح من المحل حتى دعا القاضي وكتب وشهد الشهود، وأخرج ما كان في ذلك المحل، وحبس على المحل أوقافا يتحصل منها نحو خمس قطع كل يوم. و لم يزل المحل بعد ذلك عامرا بالذكر والقراءة ولله الحمد.

قال: فما نحن فيه كله من بركة الشيخ المقري، قال لي: ومن قوة تواضع الشيخ المقري، رضي الله عنه، أنه لما أتى من مصر جاء بكتاب من عند الشيخ النجار فيه وصاية إلى والدي به، فأنزله والدي عندنا وأكرمه غاية، فلما أنس بنا وتداخل معنا قال له والدي يوماً: يا سيدي أحمد إنا نشتهي الطعام المسمى عند المغاربة بالكسكس، فهل في أصحابكم من يحسن صنعته؟ فقال له فيهم؟ والله لا يصنعه لكم أحد غيري. قال: فأتينا بشاة لحم ودقيق وسمن وما يحتاج إليه، فصنع لنا بيده طعاماً من أجود ما يكون من ذلك النوع. ومما حكي لي عنه أن والده أتى إليه بولده الصغير المسمى عبد الرحمن وسأله أن يدعو له. قال: فدعا له وبرك وكتب له وفقا في صحيفة من فضة وأمر بتعليقه عليه، فقال يحصل لذلك الولد جاه عظيم وحظوة كبيرة عند الأمراء وأرباب الدولة، وهو الآن شيخ التجار بتلك البلاد، وكلمته نافذة عند العام والخاص، وله أخ بمصر هو من كبار تجارها، وأخوهم الثالث هو الشيخ عبد القادر مشتغل بالعلم والعبادة، لا يشتغل بشيء آخر من أمور الدنيا قد كفاه إخوانه مئونة كل شيء، فانتشر له صيت وجاه بتلك الديار من قبل علمه وصلاحه، ومن قبل جاه أخويه الدنيوي، فجمع له جاه الدين والدنيا معا، وقد استجزته فأجازني حسبما أذكره في جملة الإجازات في آخر الكتاب.
وقرأت عليه بلفظي منظومة شيخه المقري في العقائد المسماة بإضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة كلها، وأخبرني بها عنه وقال لي: أنا ممن كان السبب للشيخ في نظمها فإني كنت أقرأ عليه صغرى الشيخ السنوسي بمصر، فسألنا منه نظما في العقائد، فكان كلما قرأ درسا نظمه فيقرأه غدا كذلك، إلى أن ختمها، وعند الشيخ الغصين نسخة من هذه المنظومة عليها خط الشيخ في أماكن، وعليها إجازة لمالكها الشيخ عبد القادر، ولنذكر بعض ما رأيته مكتوبا في هوامشها بخط المؤلف تبركا به، وزيادة للإفادة، فمن ذلك قوله: واستحل معنى من لنفسه عرف ما نصه، حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه. قال النووي فيه أنه غير ثابت، وقال بعضهم، وأظنه السمعاني، من كلام يحيى بن معاذ، وألف بعض شيوخنا المغاربة فيه مصنفا سماه: القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه. قال مؤلف العقيدة الفقير أحمد بن محمد المقري وفقه لله: وممن صرح بأنه حديث العارف سيدي محي الدين بن عربي فإنه صرح في المسامرات في غير ما موضع بنسبته إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وأظن أنه صرح به أيضا في وصايا الفتوحات، والله أعلم.

وكتب أيضا على قوله: آخرها وفاء عده بنصف الألف، البيتين ما نصه، قولي وفاء، عده بنصف المائة، ألفيتها خمسمائة، وهذا لم أسبق إليه، والله أعلم. وقولي: وكان إتمامي له في القاهرة، هو جملة التاريخ لأن عدة حروفه بالجُمل 1039، قاله وكتبه مؤلفه أحمد المقري.

وكتب أيضاً في آخرها ما نصه: يقول مؤلف هذه العقيدة العبد الفقير أحمد المقري المالكي، جبره الله، أني صححت هذه النسخة جهد استطاعتي، وأصلحت فيها ما عثرت عليه، وقد كتب من هذه العقيدة فيما علمت بمصر المحروسة والشام والحجاز والمغرب نيف على ألف نسخة، ولله الحمد، وكتبت خطي على نحو المائتين منها، وقد كتبها غالب طلبة مكة لما قرأتها هنالك وأهل بيت المقدس لما قرأتها به أيضا، وأهل دمشق حين درستها بها، وأخذ منها أصحابنا إلى المغرب والصعيد نسخا، وكتب لي بعض أصحابنا بالصعيد أنه كتب منه هناك نيف على مائة نسخة، وكذلك الأمر برشيد والإسكندرية، جعلها الله خالصة لوجهه الكريم، وكتب لشوال سنة 1037، وعرض علي شيئا من منظومة أبي الحجاج الضرير في العقائد، وسألني عن تفسير أبيات منها، وكان فيه قوة إنصاف وزيادة تواضع، رضي الله عنه، وله ولد نجيب شارك في العلوم، حافظ للقرآن، نَهجَ نَهْج أبيه في اكتساب الأخلاق الحميدة، وغالب من له مشاركة في علم من العلوم يحضر عند الشيخ عبد القادر في هذه المدرسة أحيانا كثيرة، وبالجملة فهو الملحوظ والمنظور إليه في البلد علماً وصلاحاً وحسن سمت وهدى، وهو ملجأ الواردين من العلماء والفقهاء، وإليه يأوون، فهو محط رحالهم ومنتهى آمالهم إذا أحب الله عبدا حببه إلى خلقه، وقد كتبت له أبياتا بعدما أنست به وأنس بي وعمني بره، وهي هذه:

[وافر]

لدى الشيخ الغصينِ أنختُ رحلي — بعزةَ ما أعز بها مكان
فأكرمني وأتحفني بنزل — ونلتُ بقربه كل الأمانِ
ولِمْ لا وهْو شيخ العصر علما — وجودا وهو نادرةُ الزمان
فمن خافَ الردى وأتاه جارا — أجير وباتَ في ظل الأمان
إمام عارف بالله حقا — سخا قلبهُ بسط البنان

به الحسب الصميم وحسن خلق إذا تلقاه يظهر للعيانِ
فمن خلق الكرام له صفات حسان ليسَ تحصر باللسان
جزاهُ الله عني كل خير يكون ختامه سكن الجنانِ

وهذه الأبيات، وإن كانت في الرتبة الوسطى من البلاغة فقد ابتهج بها سروراً وبالغ جلساؤه في إطرائها، وتناقلوها، وذلك لشغور البلد من أهل هذه الصناعة، بل وممن يحقق غيرها من العلوم، فإن أمثل ما فيها شيخنا هذا، إنما له مشاركة حسنة وديانة ظاهرة أكسبته وقارا وهيبة ووجاهة عفت ما عسى أن يظهر أثره من قصور أو تقصير، وقد رأيت قريبا من مقابلة المكان الذي يجلس فيه في المدرسة بيتين في رق ملصق في حائط ذكر لي أنهما لبعض الواردين هناك وهما:

[مجزوء الرمل]

يا سائلي عن غزة ومن بأرضها مقيمْ
فابن الغصين إنه على صراط مستقيم
وسائل عن غزة ومن بها من الكرام
أجبته مختصرا نجل الغصين والسلام

وكتبت[1] بإزائهما ما هذا قريب منه إن لم يكنه:

مدرسة ذات جمال وبهاء باهر
لكن كمال حسنها بالشيخ عبد القادر

وممن لقيته بغزة أيضاً قاضي الحنفية بها الشيخ عمر المشرقي[2]، وهو صهر الشيخ عبد القادر، وله مشاركة أيضاً، ويُشار إليه في المعقولات على حسب مقتضى الحال، وبيتهم بيت علم، وأسلافه بغزة، كانت لهم رياسة علمية، فانضاف إليها موالاته في الوقت لآل الغصين، فاكتسب بذلك رياسة تولى بها خطة القضاء،

---

[1] ساقط من ط.
[2] عمر بن عبد القادر المشرقي الغزي، العلامة المتفنن، تولى خطة الفتيا ببلده، كانت وفاته بغزة سنة 1087 هـ: خلاصة الأثر 212:3. نشر المثاني 140:2.

فعظمت بها منزلته، وكان أولا على مذهب الإمام الشافعي كأسلافه، ثم اتفق موت قاضي الحنفية في البلد، ولم يكن معه في البلد من يقوم بوظيفة القضاء، فرشح لذلك، فانتقل لمذهب أبي حنيفة بسبب ذلك على ما أخبرني به بعض أهل البلد، وغالب من يتمذهب بمذهب أبي حنيفة في هذه الأعصار وما قبلها بأزمان إنما ينتقلون لمثل هذه الأغراض، بل هذا من أحسنهم عذرا لأنه ما انتقل إلا بعد أن احتيج إليه في ذلك المذهب، وغيره ينتقل رجاء في التقرب إلى أرباب دولته، ولينال خطة يوما ما من الدهر، وقد حذر العلماء حتى الحنفية بأنفسهم من الانتقال في المذاهب لأغراض سوى ظهور ترجيح المنتقل إليه، سيما إن كانت الأغراض دنيوية. وسيأتي بقية الكلام على ترجمة هذا الشيخ عند ذكر لقائي له عند الرجوع من القدس.

وفي مدينة غزة مزارات كثيرة ومساجد فاضلة في أطراف البلد قد استولى الخراب على أكثرها، فإن هذه المدينة كانت في أول الأمر من أمهات المدن في الجاهلية والإسلام، وقد أثر الهدم فيها لوقتنا غاية، وبلغ الوهن في أطرافها النهاية، ولم يبق بها إلا رسوم ماثلة تدل على أبهة كاملة في قصور الأمراء والمساجد والرباطات والمشاهد، ومعظم عمارتها اليوم إنما هو في قرب المسجد الكبير إلى دار الإمارة، وما يقرب من ذلك مما هو في أعلى الربوة التي هي فيها لأنها في رابية مشرفة على بساتين وجنات من نخيل وأعناب (وفواكه كثيرة مما يشتهون)[1]، ومعظم أجنتها في زمننا هذا من جهتها البحرية متصلة إلى قريب من عسقلان، وهي على ساحل البحر بينها وبين غزة نحو من ثلاثة فراسخ، وبين غزة والبحر نحو من فرسخ.

ومن المزارات التي زرناها مولد الإمام الشافعي، رضي الله عنه، وهو في مغارة تحت الأرض قرب الجامع الكبير، وقد ذكر المؤرخون أنه ولد بغزة. ومنها قبر هاشم بن عبد المطلب جد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإليه تنسب غزة إلى الآن، فيقال: غزة هاشم، وهو في طرف المدينة من الناحية البحرية، وقد ذكر أهل السير أنه مات بغزة، إلا أنه يبعد تعيين قبر عربي مات في زمن الجاهلية بأرض غربة في أرض العجم ويستمر تعيينه إلى زمننا هذا، ولاشك أن هاشما رئيسا في قومه، جواداً سخياً ممدحاً عظيماً في قريش، لا تجهل مكانته، والعرب كانت تعتني

---

[1] المرسلات: 42.

بتعظيم مقابر عظمائها، فلو كان في بلاد العرب ما بعد كل البعد أن يتعين في الجاهلية ثم يبقى كذلك في الإسلام لمكانته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإلا فكم من قبر لعظيم من عظماء العرب كان مشهورا في الجاهلية ينحر عنده ويستجار به كما هو مذكور في مآثرهم قد محا الإسلام بنوره آثار ذلك كله، وجرت عليه الرامسات ذيولها (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)[1]، وقد زرنا هذا المكان بحسن النية لغرابته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واقتداء بمن قال من الأئمة أن أجداده، صلى الله عليه وسلم، مسلمون كلهم على دين إبراهيم عليه السلام، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

ومن المزارات أيضا بغزة قبر الإمام الأوزاعي، رضي الله عنه، ومكانته في العلم والصلاح مشهورة، وهو إمام أهل الشام في زمانه، وله مذهب مُتّبع، وزرنا أماكن كثيرة سوى هذه، نسأل الله أن ينفعنا بذلك آمين. وكانت إقامتنا بغزة خمسة أيام، وارتحلنا منها يوم السبت الثاني عشر من صفر، واكترينا حمارين لركوبنا إلى الرملة، وخلفنا بعض ما يثقل من حوائجنا. وكتب لنا شيخنا الشيخ عبد القادر كتابا إلى الرملة، وآخر إلى القدس وآخر إلى الخليل، يوصي بنا، فخرجنا ضحى مع قافلة وسرنا في أجنة غزة وكرومها قريباً من فرسخ، ثم خرجنا إلى فحص واسع ذي مزارع وزيتون كثير، ومررنا بقرى متعددة، وتركنا عسقلان على الشمال بيننا وبين البحر، وكنت أود زيارتها وزيارة ما فيها من المساجد فلم يقدر لي ذلك، وكانت في العصر الأول من أمهات المدن إلى أن خربها السلطان صلاح الدين بن أيوب بعد فتح القدس، خشية استيلاء الإفرنج عليها فيجعلونها ذريعة إلى التوصل إلى القدس، وقد عجز المسلمون عن حفظها في ذلك الوقت كما ذكر المؤرخون، ولم أر من ذكر أنها عمرت بعد ذلك عمرانا معتبرا. وسرنا يومنا[2] إلى العصر فوصلنا محلاً يُسَمَّى خان أردود، وهو منزل معلوم تنزله القوافل الآتية من مصر على الطريق السلطانية أو من الشام، ولهم منازل معلومة لا يتعدونها، طالت الرحلة أم قصرت من مصر إلى الشام، بل وإلى اصطنبول على ما أخبرني من مارس تلك البلاد، وبجانب هذا الخان مسجد فيه قبر ولي الله تعالى

---

[1] مريم: 98.

[2] في ط: ذلك اليوم.

الشيخ إبراهيم المتبولي[1]، وهو من أكابر الأولياء، وقد أطنب سيدي عبد الوهاب الشعراني في التعريف به وذكر له كرامات، وإلى جانبه من جهة القبلة مسجد صغير تحته مغارة يقال إن فيها قبر سلمان الفارسي، ونزلنا في ذلك المترل وصلينا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقرأنا فيه من القرآن ما تيسر، وكنت جهدت أن أختم فيه ختمة كان ابتداؤها من مكة المشرفة، فلم يتيسر ختمها إلا بالمسجد الأقصى.

ثم ارتحلنا منه نصف الليل ونزلنا الرملة حين ارتفعت الشمس، ومررنا بقرب الرملة بقبة عتيقة يقال إن فيها كان باب المدينة في قدم العصر، وقد الهدم رأس تلك القبة، وأخبرنا من معنا من أهل الرفقة أن سبب هدمه أن كان مكتوبا فيه: العقل في الرأسِ، ولا يعلم أحد معنى ذلك إلى أن جاء رجل ليلاً فهدم رأس القبة ووجد فيه مالاً على ما زعموا، فلما دخلنا الرملة نزلنا عند محبنا الفقيه الصالح السيد محمد بن أبي الوفاء الأشعري الحسيني، وإليه كتب لنا الشيخ عبد القادر الغصين فأكرمنا غاية الإكرام، وأقام بالحق الواجب، فجزاه الله خيراً، وهذا السيد من أمثل فقهاء الشافعية في تلك البلاد، وقد تولى القضاء مدة بالقدس، ومترله بالرملة مألف الأفاضل إليه يأوون، وعنده يترلون وهو محترم يقصده الناس للزيارة، وأسلافه كانوا أهل فضل وبركة، وهو الآن منفرد في مترله أعد فيه مكانا للوضوء والصلوات، يقيم الصلوات الخمس بمترله مع من حضر، وصادفنا وقت اجتناء القطن عندهم، فكان يمتهن نفسه في ذلك مع من حضر في المترل، ولا يأنف منذ ذلك، ولم يحوجنا مدة إقامتنا إلى شراء شيء من النفقة، فجزاه الله خيرا، ولما كان الغد من يوم نزولنا بالرملة توجهت مع السيد محمد إلى لقاء الشيخ المسن العلامة المتقن السيد الراوية، إمام الحنفية ومفتيهم، وإليه مرجعهم في تلك الديار الشيخ خير الدين الرملي، وكان لقائي له يوم الاثنين الرابع عشر من صفر بداره الجديدة التي شرع في عمارتها بمدينة الرملة، فسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية، وأوائل كل من الكتب الستة، ومسند الشافعي وأحمد وأبي حنيفة والسنن للدار قطني، وكان يورد أبحاثاً رائقة في خلال ذلك تدل على تمهره، وأجازني عن شيخه الحنبلاطي، وعن الشيخ سالم وغيرهما ممن كان في عصرهما، وأخبرني أنه دخل

[1] إبراهيم المتبولي، المصري، صوفي عارف، توفي أثناء رحلته إلى القدس سنة نيف وثمانين وثمانمائة: الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 398.

الأزهر المعمور للاشتغال سنة سبع وألف وعمره أربع عشرة سنة، وخرج منه وعاد إلى الرملة سنة سبع عشرة. ومما أخبرني أنه غرس بيده المباركة ما يزيد على مائة ألف شجرة كلها أطعمت وأكل من ثمرها، وهذا أغرب ما يكون، وما سمعنا بمثله. وأغرب ما ذكر البلوي في كتابه ألف با عن بعضهم أنه غرس ثلاثين ألف شجرة[1]. قال لي: وكان ابتداؤه في الغرس من سنة سبع عشرة وألف، وكان هذا الشيخ مباركا له في عمره، وجمع له فيما بين الدين والدنيا، وليس في تلك السواحل كلها أكثر منه عقارا، ومع ذلك فلم يترك ما هو فيه من الاشتغال بالعلم تدريسا وفتوى. أخبرني الثقة أنه بنى في الرملة ما يزيد على ألف عتبة، وغالب خانات الرملة وكرومها له، أخبرني أنه أدرك الرملة وليس بها من الفاكهة إلا القليل، فلما اشتغل بالغرس تابعه الناس فصارت الآن من أكثر بلاد السواحل فاكهة. وأخبرني أنه لا يدخر شيئا إنما يدخل بيده من المستغلات، فما فضل عن حاجته أنفقه. وأخبرني الثقة أن مدخوله في كل يوم يزيد على مائة قرش، وما ولي قط ولاية ولا منصب، وإليه انتهت الفتوى ببلاد الشام. جلست عنده عامة يومي والفتاوى ترد عليه من أقطار الشام فيجيب عنها بلا أجر، وله ملكة وقوة عارضة في مذهب أبي حنيفة، وكان بين يديه صهره الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي، شاب صالح له مشاركة يكتب الأسئلة ويجيب عنها الشيخ، ولما اكتريت إلى القدس نادى المكاري وقال: لا تأخذ منه كراء، ودفعه من عنده واعتذر إلي. ومما أخبرني به أن عند علماء الحنفية إذا لم يوجد حكم الفرع منصوصا عليه عندهم ووجد حكم ذلك الفرع في مذهب مالك فإنه يجب العمل به عندهم لأن أصول الإمامين متقاربة. وأخبرني أيضا أن مما جرى به العمل في مملكة بني عثمان كلها، ويكتب في عهد العمال أن لا تسمع دعوى بعد خمسة عشر سنة إلا في وقف أو حق يتيم أو غائب، وقال لي إن الحاكم إذا حكم بغير ذلك فسخ حكمه لأنه معزول في غير ما عهد إليه، فلا ولاية له.

ونص ما كتبت من خطه في هذه المسألة: سئلت عن مسألة كثر وقوعها والسؤال عنها، وهي إذا منع السلطان نصره الله عن سماع كل دعوى مضى عليها خمسة عشر سنة إلا مال اليتيم، والغائب والوقف هل يمتنع على القاضي سماعها في غير هذه الثلاثة أم لا، فأجبت: يمتنع على القاضي سماعها في غير هذه الثلاثة،

---

[1] لم نقف على هذه الإشارة في الطبعة التي اعتمدناها من كتاب ألف باء.

والقاضي فيها كالرعية، ولو سمعها لا ينفذ قضاؤه لأن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحوادث والأشخاص، صرح به كثير من علمائنا، وهو مما أجمع عليه فقهاؤنا، فكان القاضي فيه كواحد من الرعية، والله أعلم. وكتبه الفقير خير الدين أحمد الحنفي الأزهري حامداً مصلياً مسلماً، وأنشدته بعد المذاكرة لبعض الأقدمين[1]:

[بسيط]

ما أكثرَ الناس بل ما أقلهم ... الله يعلمُ أني لم أقل فندا[2]

إني لأفتحُ عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرَى أحدا

فأنشدني لبعضهم في معناه:

[رجز]

ما أكثرَ الناس وما أقلهُم ... وما أقل في القليلِ النجبَا

يا ليتهمْ إذ لم يكونوا خُلقوا ... مُهذبينَ صحبوا المُهذبا

وهما أخصر من الأولين وأتم فائدة، وقد كتبت له يوم لقائي أبياتاً وهي هذه:

[طويل]

إلى الشيخ خير الدين أمت ركائبي ... فابن ومن يحملنه خير آيب

وردنَ خفافا ثم عدن كما ترى ... ثقال المتون من سَنى الرغائب

وحاشا لمن قد مد كفا إليكم ... تردُ إليه منكم كف خائب

هو البحرُ في أي العلوم اختبرته ... تجده عبابا زاخرا بالغرائب

على أنه عذب زُلال لوارد ... فلم يخشَ منه غصة كل شارب

يفيدك في أي العلومِ استفدته ... بذهن ذكي حاضر غير غائب

---

[1] البيتان لدعبل، وهما في العقد الفريد 1:236.

[2] الفند: الخطأ في الرأي والقول: لسان العرب: فند.

ولا سـيما علـمَ الحـديث فإنـه | إمام هـدى فيـه عظـيم المناقـبِ
وقد رامَ هذا العبـد منـه إجـازة | وإن لم يكن أهـلا لتلـك المراتـبِ
بكل الذي يرويهِ عن فئـة مـضوا | ونالوا من التحقيق أعلى المناصـبِ
وإن كان من بعد السماعِ لبعض ما | يخف عليكم كان أسـنى مطالـبِ
جزاكم إله العرشِ عن نـشر دينـه | بأزكى تحيـات وأسـنى المواهـبِ
وأزكـى صـلاة الله ثم سـلامه | على المصطفى المبعوث من آل غالبِ
يدومان ما دامـت نجـوم علومـه | وأقمـاره تجلـو ظـلام الغياهـبِ

وسيأتي نص إجازته لي، وكتبها نظما.

ومن المزارات المشهورة بالرملة قبر الصحابي المشهور الفضل سيدنا الفضل بن عباس عم النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر المؤرخـون أنـه مـدفون بفلسطين، وكانت الرملة قاعدة فلسطين في العهد القديم، وقد مـن الله علـي بزيارته، وحصل لي من السكينة والوقار والتعظيم له عند زيارته ما لا أشك إذ ذاك معه أن ذاك قبره، وقد ذهب معي لزيارته صاحبنا الذي نزلت عنده السيد محمـد الأشعري، وكان من أهل الخير ومن أفاضل أهل النسبة إلى الله، أقمت عنـده في مترله ثلاثا، فرأينا منه خلقاً باهراً وفضلاً ظاهراً وديناً متيناً، وقد من الله علي بعقد أخوة معه عند قبر سيدنا الفضل ابن عباس، وكتبت خطي بذلك وكتب لي هو[1] أيضا هو بخطه، ونص ما كتبه لي: الحمد لله، واصل المنقطعين، والصلاة والسلام على من بشر المتحابين في الله بأسنى مراتب المقربين، وعلى آله وأصحابه صـلاة وسلاما دائمين باقين متلازمين ما حن غريب إلى أوطانه واشتاق للمحبين، وبعد، فمما منَّ الله به من النعم أن قدر لي الاجتماع بحضرة مولانا العالم النحرير المفخم، من جمع شتات الفضائل، وأبرز من يم بنات أفكاره فوائد هي من نظـم ونثـر، ورسائل حضرة الأخ في الله والمحب لوجه الله، أبي سالم عبد الله ابن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي المغربي، كان الله له حيث يكون، ودبرني وإياه في الحركـة

[1] ساقط من ط.

والسكون، ونفعني بأخوته (يوم لا ينفع مال ولا بنون)[1]، آمين آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، قاله بلسانه، وكتبه ببناه، أضعف العباد وأحوجهم إلى عفو ربه يوم التناد، محمد الأشعري الحسيني الشافعي، حامداً مصلياً مسلماً.

ومن المزارات العظيمة بالرملة الجامع الأبيض[2]، وهو مشهور الذكر عند الصوفية، وقد ذكر الشعراني في كثير من كتبه أن جماعة من الأولياء كانوا يأتونه من الأقطار البعيدة للصلاة فيه، وقد زرناه، ولله الحمد، وصلينا فيه. وفي صحنه مسجد تحت الأرض فيه مغارة قد زعموا أن بابها مسدود برصاص، وأن فيها جماعة من الأنبياء، وفي جانبه الغربي مسجد يقال أنه متعبد صالح عليه السلام، وفي شرقيه قبر الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي صاحب السنن، وهذا المسجد خارج البلد على حد العمران، وهو خال في أكثر الأوقات مع سعته وبهائه وانشراحه لا يشك ذو ذوق أنه مأوى الصالحين.

وفي اليوم الثالث من إقامتنا بالرملة ذهبت إلى مدينة لُد[3] لزيارة بعض الإخوان هناك، وهي مدينة مليحة فسيحة مجاورة لمدينة الرملة، بينهما نحو من فرسخ من ناحية البحر، وفيها أسواق ومساجد ومزارات، ومن مزاراتها قبر يقال إنه للمقداد بن أسود[4] الصحابي المشهور، ومشهد يقال إنه لعبد الرحمن بن عوف، إلا أن الصحيح أنه مات بالمدينة المشرفة.

ومن الغرائب التي شاهدناها في هذه المدينة أنَّ مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة، وصار اليوم نصفه مسجد ونصفه كنيسة، تسمع أصوات كل من المحلين في الآخر، وزعموا أنَّ سبب ذلك أن المسلمين في وقت فتح البلد دخل بعضهم من ناحية صلحا، وبعض من الناحية الأخرى عنوة، فاجتمعوا في وسط الكنيسة، فصار نصفها مسجد والنصف الآخر كنيسة، والله أعلم، وأظن أن ذلك في فتح الشام عند فتح دمشق. وقد صادف دخولنا الرملة نزول أكابر أغوات

---

(1) الشعراء: 88.

(2) الجامع الأبيض: يقع بالرملة، ويقال أن في قبلته ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين عليهم السلام: رحلة ابن بطوطة 1:80.

(3) لد: بالضم والتشديد، قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين: معجم البلدان: لد.

(4) المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني، من الصحابة الأجلاء وشهد بدرا، توفي سنة ثلاث وثلاثين في أرضه بالجرف، وحمل إلى المدينة وقبره بالبقيع: شذرات الذهب 1:39. سير أعلام النبلاء 1:385.

السلطان بها، وقدم من اصطنبول في أبهة عظيمة على ما يُحكى، وزعموا أنه هـو الذي ربَّى السلطان في حجره، وهو المتولي الدار التي فيها حرم السلطان وجواريه، ثم حصل بينه وبين السلطان جفوة، واستحيا السلطان أن يواجهه بمكروه، فبعثه إلى مصر مصحوباً بجميع ماله، و لم يرزأه شيئاً، ثم أتبعه رسولاً إلى مصر يأمرهم بقتله خفية، فأخذوا جميع ماله وبعثوه إلى الصعيد، فلم يظهر له أثر بعد ذلك. وقد حكى لنا من أبهته أمور مستغربة، من ذلك أن له خمساً وثلاثين مَحَفَّةً، في كل محفة جارية من حظاياه، وأزيد من مائة فرس من عتاق الخيل بجميع ما تحتاج إليه من الآلة كلها محللة. وزعموا أنه اكترى من اصطنبول نحواً من خمسين سائساً لخيله بأزيَد من أربعين فرساً لكل واحد سوى ما يتبع هذا من بسط وفرش وأموال وذخائر وإبل وعبيد وإماء للخدمة، بحيث يستغرب أن يكون مثل ذلك لملك من ملوك الأرض.

وقد سمعت ونحن بالرملة من يقول إنَّ أهل البلد قد تضرروا بالعطش في هذه الأيام، فإن أمير البلد قد أمر بجميع كل سقاء في البلد يستقون للآغا. وقد أخبرني أهل خان يونس أنه لما نزل بهم لم يجد أحد من أين يستقي جرعة ماء من جميع السواني التي في البلد، وقد أشغلها كلها يسقي خيله وإبله وملء قربه ورواياه.

وفي اليوم الرابع ارتحلنا من الرملة صبيحة الأربعاء عند طلوع الفجر قاصدين إلى القدس الشريف، وطلعنا شعابا وعرة فوجدنا بها قوما من أهل تلك الجبال يأخذون الغفر من كل من مر من تلك الطريق، وكانت على رؤوس أصحابنا مظللة من الدَّوْم[1] أو من جريد النخل كنا نتقي بها من حر الشمس، فلما رآنا قوم من أهل تلك الجبال صاحوا بنا من أعلى الجبل: يا للعر والشتم. فقلنا للمكاري الذي كان معنا: ماذا يقولون؟ فوجم أن يخبرنا، فلما ألححنا عليه قال لنا: إنهم لما رأوا ما ظللتم به على رؤوسكم ظنوا أنكم نصارى فجعلوا يسبونكم، فإن هذا إنما يفعله النصارى في هذه البلاد، فأزلناها عن رؤوسنا و لم نعد إليها من ذلك اليوم، والإنسان يحمي عرضه ودينه.

و لم نزل يومنا سائرين في صعود وهبوط في أرض وعرة، وعلى يميننا ويسارنا قرى ذات كروم، إلى أن وصلنا إلى قرية هي أدنى القرى إلى المدينة بها عين ماء

---

[1] الدوم: شجر المُقل، واحدته: دَوْمة: لسان العرب: دوم.

يجري، فترلنا بها وتوضأنا وصلينا الظهر، وسرنا ودخلنا مدينة القدس وقت العصر، وصلينا العصر بقبة الصخرة، وأنزلنا حوائجنا أولاً بزاوية المغاربة حتى لقيت الشيخ محمد الصيداوي نقيب رواق الشيخ منصور الكائن تحت صحنِ الصخرة المقدسة، وقد كتب إليه الشيخ عبد القادر كتابا يوصيه بنا، فأعطانا بيتاً بإزاء الرواق نقلنا إليه حوائجنا، وكان داخل المسجد، فاغتبطنا به لتمكننا من الجلوس في المسجد والصلاة فيه في أي وقت أردنا، وهذا المسجد المُقَدَّس آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار، فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة، تحت كل شجرة مصطبة مبنية بالحجر المنحوت على قدر ما تظله أغصان الشجرة، فيه شكل محراب يجلس الناس تحتها للصلاة والقراءة، ويأوي إليها الفقراء المتجَرِّدون، وطوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراعٍ وخمسة وستون ذراعاً بالذراع المالكي، وعرضه أربعمائة ذراع وستون ذراعاً بالذراع المالكي، وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه، فشيء كثير. وفي وسط المسجد قبة الصخرة ماثلة في الهواء مُثمنة الشكل، لها أربعة أبواب دون القبة، كلها نحو من خمسمائة قدم. وحيطان القبة وأرضها كلها مزخرفة بأنواع الفسيفساء المصبوغة بأصباغ مختلفة ونقوش عجيبة، وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمة والإتقان، وداخل الأبواب درابيز[1] فيما بين الأساطين على دور الصخرة، وفي داخل الأساطين الصخرة المقدسة يحيط بها شباك من خشب دوره نحو من تسعين خطوة، والصخرة لونها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة، وشكلها فيه استدارة يغلب عليه الطول، وغلظها نحو من ذراعين، وعلى ظهر الصخرة ندوب ومربعات صغيرة وكبيرة كأنها أماكن أحجار قطعت منها، وقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت في زمن بني إسرائيل طويلة جدا، وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة[2]، وعجائب هذه الصخرة والسلسلة التي كانت عندها في عهد بني إسرائيل مرتفعة، وهي واقفة في الهواء على ما ذكروا، لا يمسكها إلا الله.

وأما في عصرنا هذا فقد بُني بإزائها ومن تحتها إلى أن صار ما تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد يُصَلِّي فيه الناس، ويدخل الناس إليه من تحت طرفها

---

(1) في ط: دربيز.

(2) قمامة: أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس، وصفها لا ينضبط حسنا وكثرة مال وتنميق عمارة، وهي في وسط البلد والسور يحيط بها، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح أن اسمها قمامة لأنها كانت مزبلة أهل البلد: معجم البلدان: قمامة.

المُسَمَّى بلسان الصخرة، وهو من ناحية القبلة، وكنت أدخل إليها في غالب أوقات الصلوات وأُصَلِّي تحتها ما تيَسَّر. وبين الباب القبلي والغربي في أحد الأساطين حجر يقال إن فيه بعض أثر أعضائه صلى الله عليه وسلم، والناس يتبركون به.

ومن وراء قبة الصخرة قبة لطيفة يصلي فيها الناس، يقال إن منها عرج برسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة المعراج، ويحيط بمسجد الصخرة صخر كبير مفروش بالحجر المنحوت، وعلى أطراف الصخر بيوت يترلها المتعبدون، وكذلك تحته، وهي متعددة. وفي قبة الصخرة من تحت الصحن بغلوة المسجد الأقصى، وهو كله مسقف، وفيه تصلى الجمعة، وبناؤه من أرفع الأبنية، وفيه موضع زعموا أن فيه صلى عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس، وفي ركنه الشرقي موضع يزار فيه حجر منحوت يقال له مهد عيسى، وهناك طاقات واسعات في جدار المسجد يشرف منها إلى الوادي الذي يقال له وادي جهنم، وورد في بعض الآثار تسميته بذلك، وهناك رأس عمود من رخام خارج من جدار المسجد يقولون إنه رأس الصراط المنصوب على جهنم، وهو لا أصل له، ويترل من ذلك الركن في درج إلى مسجد آخر تحت المسجد الأقصى واسع جدا مرفوع على أساطين من حجارة منحوتة هي من البناء السليماني، وزعموا أن ذلك هو المسجد في عهد سليمان، وأن الذي فوقه إنما بني بعد ذلك، وما ذكروه هو الأقرب، وذكروا أنه ممتد كذلك إلى الصخرة، وأن أرض المسجد الآن كلها سطح ذلك المسجد، ولا يبعد ذلك.

وبالجملة فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولها من المزارات شيء كثير، وقد أُلِّفت فيه التآليف، وإنما نذكر من ذلك بعض ما رأيناه وزرناه، فمن ذلك حجر خارج بعض أبواب المسجد الغربية مثقوب هو في أصل حائط يزوره الناس ويدخلون فيه أيديهم ويتمسحون به، يقولون إنه الذي ربط به النبي صلى الله عليه وسلم دابة البراق ليلة المعراج، وخبره مذكور في الصحيح[1]، ومن عجائب صفة هذا المسجد أن ناحية منه شرقية قد غلب عليها العشب والكلأ اليابس فلا يقدر أحد أن يمشي فيها بلا نعل لكثرة شوكها المنكسر بعضه على بعض، وإنما يمر الناس في خط رقيق بين ذلك المشيح، وذكروا أن ذلك المحل ربما زرعوا فيه بعض الحبوب في بعض الأحيان ويستغلوها بالبعل لأن البلد كثيرة

[1] صحيح ابن حبان 1:235.

الأمطار، وقد ذكر بعضهم أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما ريئت السماء صاحية فيه يوماً كاملاً، صيفاً ولا شتاء، ولا بد أن يرى في السماء غيم، ولا يبعد ذلك، فقد ورد في الآثار أن الأرض المقدسة هي أرفع مكان في الأرض وأقربه إلى السماء، وأنها أقرب إلى السماء من جميع الأرض بثمانية عشر ميلاً، وبقدر ما ترتفع الأرض تقل حرارتها وتكثر أمطارها.

ومن المزارات خارجها طور زيتا[1] من شرقي المسجد، بينه وبين الوادي الكبير المسمى بوادي جهنم وطور زيتا مشرف على القدس كله، وعلى غالب تلك البلاد التي حوله، وفي أعلاه مزارة فيها مكان يقال إن منها رُفِع المسيح عليه السلام من فوق حجرة هناك، وكان هذا المحل في أيدي النصارى، وسعى شيخ مشايخنا قطب زمانه، الشيخ محمد العلمي[2] جد شيخنا الشيخ الآتي ذكره في استخلاصه من أيدي النصارى ونصح لله في ذلك، وتعصب عليه النصارى بأهل الدنيا، وبذلوا في ذلك الأموال، فأعانه الله عليهم حتى أخرجه من أيديهم، وهو الآن في يد أولاده، وعمر تحته مشهدا ورباطا فيه قبره رضي الله عنه.

ومن المزارات التي على جبل الطور قبر العابدة العدوية[3] في مغارة تحت الأرض. ومن المزارات قبر مريم عليها السلام في كنيسة في أصل الوادي، وهي بأيدي النصارى، فتحرجنا من الدخول إليه، وزرناه من خارج. ومنها عين سلوان[4]، وهي في أسفل الوادي و لم أصل إليها إلا برأي العين، فبعثت من أتانا منها بماء، ووردت آثار في فضلها، وزعم بعض الفقراء أنه وقعت منه آنية في بئر زمزم بمكة فذهب إلى القدس فوجدها على باب المحل الذي فيه عين سلوان، وزعموا أنهم استخرجوها من العين، فيقولون إن مادها من زمزم، ويذكرون في

---

(1) طور زيتا: جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر، ولذلك سمي طور زيتا، وفي فضائل البيت المقدس: وفيه طور زيتا وقد مات في جبل طور زيتا سبعون ألف نبي... وهو مشرف على المسجد، وفيما بينهما وادي جهنم، ومنه رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيه ينصب الصراط، وفيه صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه قبور الأنبياء. قال البشاري: وجبل زيتا مطل على المسجد شرقي وادي سلوان وهو وادي جهنم: معجم البلدان: طور زيتا.

(2) محمد بن عمر بن محمد العلمي القدسي، عالم عارف، استقر أولا بدمشق، وحج وجاور، ثم عاد إلى القدس واشتهر بها أمره، كانت وفاته سنة 1038 هـ: خلاصة الأثر 4:78. الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ص: 197.

(3) مقام السيدة رابعة العدوية البصرية المشهورة، وقبرها على رأس جبل الطور في زاوية ينزل إليها بدرج: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ص: 197.

(4) عين سلوان: عين مشهورة برأس الوادي: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ص: 187.

ذلك أثرا وهو بعيد من حيث العادة أقرب شيء بالنظر إلى أثر قدرة الله تعالى، وليست عينا معينا يجري ماؤها على وجه الأرض، إنما هي مثل حوض يترل إليه بدرج على ما أخبروا. قالوا: وربما ارتفع ماؤه حتى يجري على وجه الأرض في سنين الخصب.

ومن المزارات قبر شداد بن أوس[1] وعُبَادة بن الصامت الصحابيان، رضي الله عنهما، وهما تحت سور المسجد الشرقي بينه وبين الوادي الذي يقال له وادي جهنم، وهناك مقبرة عظيمة وحول قبرهما في سور المسجد صخرة عظيمة منحوتة طولها نحو من أربعة عشر ذراعا، وعرضها نحو من ذراعين أو أزيد، والله أعلم كم عرضها الداخل في الجدار، وسور المسجد هذا كله من بناء نبي الله سليمان عليه السلام بنته له الجن بتسخير الله لهم، وأثر ذلك ظاهر ليس في قوة البشر تعاطي مثل ذلك.

وحول باب المسجد الموالي لناحية الوادي موضع يقال إن فيه عرش سليمان، وهو من المزارات، وقد ذكر بعض العلماء أن الدعاء عنده مستجاب، وهو قريب من الباب الذي يقال له باب حطة. وفي خارج المدينة قريباً من غربيها مزار يقال إن فيه قبر داوود عليه السلام، وكان بأيدي النصارى فاستخلصه منهم أيضاً الشيخ العلمي أو غيره من الصالحين، وغالب مزارات تلك البلاد هي بأيدي النصارى، فمما بأيديهم بيت لحم الذي فيه مولد المسيح، وهو على نحو فرسخ من المدينة إلى ناحية القبة، وقد مررنا قريباً منه لما ذهبنا إلى زيارة الخليل عليه السلام، ومنها قبر يونس بن متى، عليه السلام، في قرية قرب مدينة الخليل[2]، وقد مررنا قريبا منه أيضا، وزرناهما من بعيد تأثما من دخول متعبد النصارى ولضيق الوقت.

وأما قبر موسى، عليه السلام، بينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة أو أزيد إلى ناحية المشرق، وقد أروني ما يحاذيه من الأمكنة عندما صعدنا إلى الطور، وأخبروني أن المسافة بيننا وبينه مخوفة غاية، ولا يوصل إليه إلا في قوة ومنعة،

---

[1] شداد بن أوس بن ثابت بن حرام، هو ابن أخي حسان بن ثابت، من فضلاء الصحابة وعلمائهم، نزل بيت المقدس، مات سنة 58 هـ وهو ابن خمس وسبعين سنة: معجم الصحابة 1:333. سير أعلام النبلاء 2:462.

[2] الخليل: وتسمى حبرون، وهي القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل،ويقال لها أيضا حبرى، وروي عن كعب الحبر أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام: معجم البلدان: حبرون.

وكنت كثير الاشتياق لزيارة[1] ولمشاهدة ما هناك من العجائب، وإن لم يرد أثــر صحيح في أن ذلك قبره، ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم ولا في صـــدر الإسلام، وإنما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك، وأظن ذلك كان في المائة السادسة أو السابعة بإشارة أهل الكشف.

ومما ذكروا من العجائب هناك أن حول القبر حجراً في حائط لا يزال ترى فيه صور منها ما يكون كالفارس أو الراجل عليه سلاح أو غير ذلك، يشاهده كل من كان في ذلك المكان، وقد أخبروني بكرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبـــة وذلك أن المحل الذي هو فيه ليس فيه عمران إنما يأتيه الوفود في وقـــت معلـــوم للزيارة، وعليه بناء متقن عظيم، وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها بحيلة حتى يقدم القيم من القدس فيفتحها، ثم إن الستر الذي على قبره، وكانت له قيمة عظيمة، وُجد مبيعا في بعض أسواق الشام، وعرفه الناس فسألوا عن بائعه، فإذا هو أعرابي فقير، فأُخِذ وأُتي به إلى والي البلد، فبعث إلى المـــشهد فوجدوا الستر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة، فأمر بعقوبة الأعرابي، فأقَرَّ أنه هو الذي سرقه، فسأله كيف تَمَكَّنت من أخذه مع غلق الأبواب. فقـــال: إني أصدقكم في ذلك، فإنه لما أن حان وقت موسم من مواسم السنة، وأنا فقـــير ذو عيال ولا مال لي، جئت إلى المشهد فناديت: يا نبي الله، يا كليم الله، إني فقـــير ومضطر، وقد أقبل الموسم ولاشيء عندي، فأعطني ما أنفق على بناتي، أو قريباً من هذا الكلام. قال: فمددت يدي إلى أول مغلق فانفتح، وكلما وقعت يدي علـــى مغلق انفتح حتى وصلت إلى القبر وأخذت الستر، فلما خرجت غلقت الأبـــواب كما كانت، وظهر لهم أثر صدقه فأطلقوه ولم يعاقبوه.

واستشرت بعض الإخوان في وجه نتوصل به إلى زيارة المحل المـــذكور وإلى مدينة الخليل عليه السلام، فإن الطريق في تلك المدة قـــد فـــسدت ولا يوصـــل لزيارتهما إلا مع قوة، وقد خشيت أن أحرم زيارة المكانين ونحن في غاية القلق لا يمكننا تطويل الإقامة خشية فوات الركب بمصر، فأشار علي المستشار بالوصـــول إلى قاضي البلد والتعرف له فإنه قد يتمكن ذلك على يده، وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد النفاتي التونسي المغربي، قدم من اصطنبول متقلـــدا لقـــضاء القدس، وكانت له وجاهة عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي

---

[1] ساقط من ط

الحسن النفاتي رحمه الله، فترقى بجاه أخيه، واستوطن اصطنبول مدة أعوام، وقدم في هذه السنة إلى القدس وليست له قوة الحافظة العلمية، إنما هو مجرد ترسم ووجاهة أكسبته ذلك، إلا أنه ينتمي إلى الصلاح بسبب أسلافه، فيظهر الانخراط في سلكهم، فتوصلت إليه وسلمت عليه، وأكرمني غاية، وهش وبش، وأظهر المسرة بقدومي وقال لأصحابه: هيئوا له مترلاً يترل فيه هو وأصحابه، وأجروا له من الضيافة ما يليق به مدة إقامته. فقلت له: إنا قد نزلنا ببيت في المسجد ولا يمكننا التحول منه إيثاراً لقرب المسجد والصلاة فيه، فأجرى لنا المحتاج له من خبز ولحم يصلنا كل يوم إلى مترلنا، بل أجرى لنا ما يفضل عن كفايتنا، فجزاه الله خيراً، فأبنت له مقصدي من إرادة الوصول إلى المقامين فقال لي: أما مشهد الكليم عليه السلام فلا يتيسر في هذه المدة، مع هذا الضيق الذي أنتم فيه لشدة الخوف وبعد الشقة، ولا عمران هناك، ويحتاج إلى ذهاب القيم من هنا، وعليه في الذهاب كلفة، ولا أرى لك تحمل هذه المشقة كلها مع كون المحل ليس موثوقا به أنه قبر الكليم ولا هو قريب من الوثوق، فقبلت عذره في ذلك، ورأيت أن النية كافية، وتوجهنا إلى المحل بقلوبنا ووجوهنا عندما طلعنا إلى الطور وزرناه من هناك، والله يتقبل. قال لي: وأما الخليل عليه السلام فلا بد لكم من زيارته، وسأبعث معكم إن شاء الله من يوصلكم، و لم أزل أتعاهده بالسلام أيام إقامتنا إلى أن تهيأ لنا السفر للخليل على يده حسبما أذكره إن شاء الله، وقد امتدحته بقصيدة مكافأة له على بره ومآله على إنجاز الغرض المطلوب فتقبلها بقبول حسن، وهي هذه:

[طويل]

لقاضي قُضاة القدس قدس سرهُ ... عُلو غدا فوق السما مُستقرهُ

تَبَدى بأفْقِ الغَرب من خير عِشرة ... هلالا به قدْما تشرقَ قطرهُ

فصارَ بأفْقِ الشرقِ يَسري إلى العُلا ... ولم ينقطعْ حتى علا النسرَ سَيرهُ

غدا قمرًا فيهِ يضيءُ لقاصدٍ ... ولكنهُ في القدسِ قد تم بدرهُ

تولى به دونَ البلادِ لنسبةٍ ... يراها لبيبٌ قد تهذبَ فكرهُ

وذلك أن القدسَ أرفعُ بلدة ... كما قد أتانَا في الأحاديثِ ذكرهُ

وهذا الإمامُ البحرُ أرفعُ عالمٍ ... تفتقَ في ذا العصر بالجودِ نورهُ

ولله ســـر في التناسُـــبِ غـــامض خفا وقد يُبديه مـــن شـــاءَ غـــيرهُ
فـــأكرمْ بـــه مـــن عـــالمٍ مُتبحـــر بكل فنونِ العلـــم فالعـــدلُ أمـــرهُ
فمن ذا سواهُ اليومَ في الأرض كلها إذا ما تولى الحكـــمَ يـــؤمنُ جـــورهُ
وما ذا عجيبٌ فهْو من ســـادة فـــلا يُقاس بهم زيدُ الزمـــانِ ولا عمـــرهُ
وقد نالَ هذا الفضل إرثا أتـــاهُ مـــن أبي الحسنِ المشهور في الناس خـــيرهُ
فمن حَل أرضا كان فيها ومـــا بـــه تشرف لم يقبل لـــه الـــدهرُ عـــذرهُ
لذلك هذا العبدُ قـــد جـــاءَ زائـــرا لأرضٍ بها نورُ الهُدى انـــشق بحـــرهُ
ترددَ في ذا الأمـــرِ إذ كـــان شـــأنهُ قديما مـــن الحكـــامِ ينفـــرُ ســـرهُ
فرامَ انقباضـــا ثم قـــال ألـــيس ذا أبوهُ الـــذي عـــم الأفاضـــل بـــرهُ
فليسَ على نهـــج الـــذينَ ظننتـــهم فبـــادرْ إليـــهِ يَـــستبنْ لـــك أمـــرهُ
تجده على نهـــجِ الإمـــام أخيـــهِ لا يخالفُ فيه ســـره الـــدهرَ جهـــرهُ
بطبـــعِ كـــريم لا يغـــيره الـــذي ترى بـــل بـــه يـــزدادُ لله شـــكرهُ
هو البدرُ لكن ليسَ يكسفُ نـــورهُ هو البحرُ لكن ليس يـــدرك قعـــرهُ
علـــى أنـــه عـــذب زلال وموجـــهُ غرائـــر فـــضل والمعـــارف درهُ
فللـــه مـــا أسْـــنى فوائـــد علمـــه ولله في در الكمـــــــــالاتِ درهُ
فخذها وغض الطرفَ عن بنت سَـــاعة بها يغـــبطُ الـــنظم المهـــذب نثـــرهُ
فأغض بفضل منك عن عيبها وجُـــد لها بقبول يـــشملُ العيـــبَ ســـترهُ
وأزكـــى صـــلاة الله ثم ســـلامهُ على مُـــصطفى الله المعظـــم قـــدرهُ
تبلـــغ عبـــد الله غايـــة ســـؤله ويعطـــى بهـــا أجـــرا ويغفـــر وزرهُ

وقد أطنب جلساؤه في مدح هذه القصيدة وما ذلك منها ببعيد.

وممن لقيته بالقدس رجل يسمى شهاب الدين الحنفي المصري، قدم من مصر إلى القدس قبلنا بمدة، وأقام بالقدس نحو الشهرين، وبلغنا بالرملة وغزة أن عالما من علماء القاهرة ورد إلى القدس وأخذ يدرس الحديث، وبالغوا في الثناء عليه، وذكروا له محلاً عظيماً في العلوم الشرعية، فاشتقت إلى لقائه لأجل ذلك، فلما وردت القدس ونزلت برواق الشيخ منصور داخل المسجد، وكان هو نازلاً بقربه، فبعث إلي بين العشاءين قبل أن أذهب إليه، فدخلت إليه في مترله، ورحب بي وسأل عن أخبار الحجاز، وكنت ألحظه بعين التوقير على قدر ما كنت أسمع، وإن تبين لي من كلامه أن ليس عنده تحصيل، فأحمل ذلك على محامل حسنة، وفي الغد رجعت إليه ووجدت بعض الحنفية يقرأون عليه المناسك في فقه الحنفية، فجرى ذكر يوم التروية[1]، فقال: إنه مشتق من الرؤية، فقلت إن هذا لا يصح، وإنما هو مصدر تروى من الماء لأنهم كانوا يتروون فيه من الماء لعرفة، لأن عرفة لم يكن بها إذ ذاك ماء على حسب ما ذكر غير واحد، وإما من الرؤية فبعيد من اصطلاح أهل التصريف، فأبى من قبول ذلك وأصر على ما عنده، ثم جرى ذكر فسخ الحج إلى العمرة، فقال: الإجماع على أنه لا يصح، ولم يقل به أحد من العلماء. فقلت: كيف ينعقد الإجماع على أمر أمَر به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحض عليه في حجته قبيل موته بقليل، ومع ذلك فمشهور مذهب الحنابلة جوازه، بل بعض محققيهم يراه أولى من غيره لأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، به في تلك السنة وعدم الترخيص فيه لمن لم يسق الهدى وتمنى أن يكون فعله بقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما فعلت، ولولا أني سقت الهدى لأحللت[2]. فأنكر أن يكون ورد في الحديث أصلاً. فقلت له: مثلك في جلالة قدره وغزارة علمه لا يخفى عليه مثل هذا، وهو في الصحيحين تكرر جدا في أبواب عديدة، خصوصاً صحيح البخاري فقد أورده مكرراً كثيراً بأسانيد مختلفة ومتعفقة مطولاً ومختصراً، فألح على إنكاره وأعرضت عنه، فعلمت أنه ممن طبع على قلبه وتبيّن لي جهله وغباوته، وأن ما انتشر له من الصيت إنما هو بغلبة الجهل على أهل تلك الديار وقلة المحصلين بها، فضلاً عن المحققين، واستعان على ذلك بما أُعطي من الجرأة والتجاسر على الحديث الشريف، وهو رجل صيت لسِن، فكان يدرس لهم

[1] يوم التروية: يوم قبل يومِ عَرَفَةَ، وهو الثامن من ذي الحجة، سمي به لأن الحجاج يتَرَوَّوْنَ فيه من الماء، وينهضون إلى مِنىً ولا ماء فيتزوَّدون ريَّهم من الماء؛ أي يَسقُون ويَستَقُون: لسان العرب: روي.
[2] المعجم الكبير 7:124.

في صحن الصخرة بين العشاءين الأربعين النووية، ويطرز مجلسه بحكايات ونقول فقهية، وأعانه أيضاً كون ذلك الكتاب كثرت شروحه واتسعت نقول أربابهـــا، وغالب أحاديثه أحكام، فمن كانت له أدنى ممارسة بالفقه لا يعسر عليه تدريسه، وهو قد شد طرفاً من فقه الحنفية زعم أنه أفقه من زفر أو محمد بن الحسن، ومع ما عاينت من جهله وغباوته تعاميت عنه وأعرضت، و لم أرد فضيحته كما هـــو شأني في عدم الرغبة في الفضول والدخول في مثل ذلك، إلا أن ألجئت، فلما كان الغد وأراد الله فضيحته على رؤوس الأشهاد، دعانا شيخنا أبو حفص عمر بـــن عبد الصمد بن الشيخ القطب محمد العلمي إلى مترله، وكانت لشيخنا هذا مكانة عظيمة في قلوب الخاصة والعامة، فحضر في داره جماعة من وجوه الناس، وكان هذا المصري ممن حضر، لأنه عندهم في مكانة خطيرة، فتفاوضت الكـــلام مـــع شيخنا العلمي، وكان ربما سألني عن أشياء من معاني بعض الأحاديث والآيات، وربما تكلم المصري أيضاً، ثم إنه قال لي في خلال الحديث قاصدا بذلك انتقاصي لما رأى من إقبال الشيخ علي: لقد راجعت صحيح البخاري فما وجدت فيه مـــا ذكرت بالأمس أنه فيه. فقلت: لعلك نظرت في غير محله. فقال: ليس ذلك فيـــه قطعاً، وصمم ولا ورد شيء من الأحاديث. فقلت لشيخنا: أخرج لنا ما حـــضر هنا عندكم من كتب الحديث. فأخرج البخاري وكتاب المواهب، فأخذت الجزء الذي فيه الحج من كتاب البخاري، فسردت عليه حديثا في ذلك، ثم آخر، ثم آخر وآخر، وأقرر له وللحاضرين دلالة الحديث على فسخ الحج إلى العمرة، وأنا أسرد عليه الأحاديث وأقول له: أكفاكَ أم أزيد؟ إلى أن وجم وسكت، وأخذت كتاب المواهب، وقرأت عليه ما نقل من أقاويل العلماء في معنى الأحاديث، وأنه لم يأخذ به من أرباب المذاهب الأربعة إلا ابن حنبل وغيره أنه حمله على أنه خاص بتلـــك السنة لبيان جواز العمرة في أشهر الحج مستندين في الخصوصية إلى حـــديث رواه النسائي في ذلك، فلم يقم من ذلك المجلس إلا مدحوراً، إلا أنه لجرأته أظهر عدم المبالاة و لم يقم في البلد بعد ذلك المشهد إلا يوما أو يومين وخـــرج راجعـــا إلى مصر.

ولما دخلت مدينة الخليل وجدته فيها، فخرج وأدركته بغزة، ثم اجتمعت به في خان يونس، وألجأه الأمر إلى أن كان عديلي في شقة شقدف، وكنت أنا وهو

إلى الطينة، فجاملته على خلقه، وعاملته معاملة أنه فقيه إمام إلى أن افترقنا بضمياط[1] على خير.

ولما كان صبيحة يوم الخميس ثاني يوم دخولنا دخلنا إلى الشيخ إمام الصوفية وابن إمامها في تلك الديار الشيخ عمر العلمي، وهو حفيد العالم العامل، الغوث الشيخ محمد العلمي، وجده هذا هو شيخ شيخنا العالم العلامة سيدي أبي بكر بن يوسف السكتاني، تلقى عنه الذكر، وألبسه وأجازه، وكان يثني عليه كثيراً ويقول: ما رأيت أعبد منه مع علمه وورعه.

وممن أخذ عنه أيضاً الشيخ المقري، وهو الذي أشار على الشيخ أبي بكر بلقائه والأخذ عنه، وسأذكر التعريف بهذا الشيخ آخر الترجمة. ثم إن الشيخ عمر عزم علينا إلى داره بعد عصر يوم الجمعة الثامن عشر من شهر صفر، فأخذت عليه العهد، ولقنني وشد المئزر في وسطي وأقعدني وأقامني، ثم أقعدني قائلاً: اجلس مريداً، وقم خادماً للفقراء، واجلس مربيا لهم، ووهب لي الفوطة التي شد بها وسطي، وأجازني وكتب لي إجازة متضمنة لخطوط جماعة من أصحابه وأصحاب جده يشهدون بذلك، ونص الإجازة سأذكرها بعد هذا، وقد كتبت له قصيدة بعد ذلك أمتدحه بها وهذا نصها:

[طويل]

جزَى اللهُ عنا كل خيرٍ أبا حفصِ ... إمام الهُدى من للكمالاتِ ذا قنصِ

سليل إمامٍ كان قطبَ زمانهِ ... ومنزلةُ في خاتم الفضل كالفَص

فكم من مُريد جاءه وهْو ناقص ... فكلمهُ حتى غدا ليسَ ذا نقصِ

ولْمْ لا وقد ولاهُ ذلك جدهُ ... وطهره مما يشينُ من الغمصِ[2]

فكل كمالاتِ المشايخ جُمِعت ... له فهو [فيها] واحد الفضل بالشخص

فأنوارُ أهلِ الفضل من شمسه بدتْ ... يمد الجميعَ وهو للكل كالقرصِ

سبرتُ بلادَ الغربِ والشرق كلها ... وأعملتُ فيها غاية السبرِ والفحصِ

---

[1] دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل: معجم البلدان: دمياط.
[2] الغمص: العيب.

لئن حازَ قــومٌ بالقيــاسِ فــضائلا		فقد حُزتَها يا سيدي أنــت بــالنص
فلم أرَ فيهــا مثــل أخلاقــه الــتي		يكادُ لها المحــزونُ يعلــن بــالرقص
فحسبي فــإني لا أطيــقُ أعــد مــا		حباهُ به الرحمنُ منــها ولا أحْــص
هو البحر والأخلاق فيــه جــواهر		وما كنت في إخراجها محسن الغوص
كفــانيَ فخــرا أن لي منــهُ نــسبة		كستني حُلى أغنت عن التاجِ والقمص
تقــربني مــن كــل خــير أرومــة		ومن كل شر أتقــي أبــدا يقــص
أصلي على المبعوثِ للنــاس رحمــة		أجل صلاة للكمــالاتِ تــستقص

ومن أصحاب شيخنا عمر محبنا وأخونا في الله الشيخ محمود السالمي والشيخ قاسم إمام، وقد عقدت معهما عقد أخوة في الله وتكفلا لي بالدعاء مدة حياتهما في تلك المقامات الشريفة، ووهب لي أخونا الشيخ محمود السالمي ديوان الــشيخ محمد العلمي، وفيه من جيد القصائد المحتوية على قصائد الصوفية وأمداح خــيرِ البرية ما لا يحصى كثرة، ووهب لي جملة من رسائله، وسأذكر بعــضها إعلامــا بمقامه وحاله. وشيخنا عمر هو القائم مقام جده في تربية المريدين وخليفته في إقامة وظائف الدين وترتيب مجالس الذكر، ويجلس للذكر كل ليلة مع جماعة كثيرة من أصحابه بين العشاءين بباب الصخرة، وكان أبوه عبد الصمد توفي في حياة والده، وبقي ولده هذا في كفالة جَدِّه إلى أن تُوفي فصار هو الخليفة من بعده، وقد شملته عناية جده وظهرت عليه آثار بركته ولله الحمد.

وهذا نص الإجازة التي كتبها لي، رضي الله عنه، وقد نقلتها مع طولها تبركا بها: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع للفقراء منزلة وقدرا وأعزهم في الدين دنيا وأخرى، وأيدهم بالتوفيق في الأقوال والأفعال سراً وجهراً، وأزال من قلوبهم حسداً وضَرًّا، وحماهم من الشيطان فأنكبه منهم خائفاً صِفرا، فمن أحبهم نال من الله الكريم أجراً، وصار له بين الأنام عزا وفخرا، فهم أولياء الله تعــالى، بذكرهم تكسى الأكوان عطراً، ليس لهم إلا حب مولاهم ذكراً، إذا نزلوا أرضاً مجدبة أصبحت من وطء أقدامهم خضرا، بهم يرحم الله العباد ويسقي ماحل البلاد قطراً، فسبحان من خصهم بهذه العطايا وسقاهم كؤوس المحبة تترى، أحمده سرا

وجهرا، وأشكره على نعم لم نحط بها حصرا، وأسأله التوبة والمغفرة وأن يجعلها لنا ذخرا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله قهر العباد قهرا، وأسبغ عليهم نعمه وأجزل لهم أجرا، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أرسله رحمة شاملة بالبشرى، وصلى الله عليه وسلم وعلى روحه الطيبة الزكية صلاة دائمة غرا، وعلى آله الذين فازوا السعادة الكبرى، وعلى أصحابه الذين نصروا الدين نصرا، خصوصا على أفضلهم أبي بكر الصديق الذي حاز قصب السبق فنال مرتبة غرا، وعلى عمر الفاروق الذي بهر بسطوته أهل الكفر بهرا، وعلى عثمان ذي النورين الصابر على البلاء صبراً، وعلى علي بن أبي طالب الذي كان للعلوم بحرا، وعلى الستة الذين كمل بهم العدد عشراً، وعلى سائر الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيراً دائماً يقرا، وبعد: فهذه سلسلة أهل الكمال من الأقطاب والأوتاد والأنجاب والأبدال، فهم أحباء الله تعالى في حضرة قدسه، المخصوصون بألطاف كرمه وأنسه، طريقهم أشرف الطرق وأعلاها، ومطلبهم أعز المطالب وأغلاها، فهم في الحقيقة أهل الكشف والأسرار المشاهدون للأنوار في حضرة الجبار، ومددهم منه مع ذلك على أقسام بحسب ما منحهم ذو الجلال والإكرام، فلذلك قسمهم أقساماً وفرقاً، وأخذ عليهم عهداً قديماً وموثقاً، ومنحهم بعنايته ورحمته، ونظر إليهم بعين كرامته ومحبته، وحماهم من الأعيان، ووقاهم من الأقذار، ورعاهم بحسن رعايته، ونقاهم من الحظوظ البشرية، ورفعهم إلى حضرته العلية، وسقاهم بكأس محبته الهنية، فطاب كل منهم بنشوة شرابه، وسما إلى حضرة أحبابه، ولَذَّذهم بسماع الخطاب، وزال عنهم الشك والارتياب، فأورثهم بذلك البلاد، وأقامهم لصلاح العباد، وجعل لهم منهم[1] غوثاً وأقطاباً، وأبدالاً وأوتاداً، ونقاباء ونجباء[2] رجالا، فالأبدال الأربعون أقرهم بالشام سواحا وجوابا، والنقباء سبعون أقرهم بمصر حفاظا ورقابا، والنجباء ثلاثمائة استخلفهم بالغرب للقيام بالحرب، فانتصبوا في طاعته انتصاباً، والأوتاد سبعه أركزهم في الأقاليم السبعة فلا يزالون لمصالح العباد طلابا، والغوث واحد جعلت له مكة بابا، فسبحان من اصطفاهم، ومن الكدر صفاهم، وقربهم وطهرهم واجتباهم ومن عليهم بفتح الباب، وكل منهم دعي فأجاب، فترى منهم الداهش والحيران والولهان والصاحي والسكران، فمنهم من سقي بكأس الوصال، ومنهم من غلب

[1] ساقط من ط.
[2] في ط: أجدابا.

عليه الحال، ومنهم من استغرق في ذات الأحد، فما شاهد في الدارين غير الصمد، ومنهم رجال الحضرة الذين أطلعهم على عجائب القدرة، فمن اقتدى بهم نجا من نار الجحيم، ومن تبع طريقهم هدي إلى صراط مستقيم، ويكفيهم عزا وشرفاً قوله تبارك وتعالى في كتابه المكنون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1]، فمن أجلهم ذو الكرامات والأحوال التي شهدت له بها الأكابر من فحول الرجال، الفرد القطب الرباني سيدنا ومولانا المحمدي الشيخ حسن الراعي القطناني، فهو الذي سارت بأمداده الركبان، وثبت أنه يمحو ويكتب في الديوان، فسبحان من تفضل بمنه وكرمه عليه، وأنقذه من الدعي وأحسن بفضله وجوده إليه، إذ أصله من فلاح شهبة من قرى حوران، فجاء إلى قرية قطنا ورعى بها المعز بخير قدر له وحان، فبينما هو ذات يوم في المرعى وإذا ثلاثة رجال خيالة إلى نحوه تسعى، ففر الرعاة بين يديه، وثبت هو إلى أن وصلوا إليه، فإذا هم الأقطاب السادات الذين تتشرف بوجوههم الأزمنة والأوقات، وتقضى ببركتهم عند الله الحاجات، القطب الرباني، الهيكل الصمداني، سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني، والقطب العارف الذي أجاب الداعي، سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الرفاعي، والقطب العارف بربه القادر سيدنا ومولانا عدي بن مسافر[2]، فقرأوا عليه السلام، وطلبوا منه قرى الكرام، و لم يكن له من المعز سوى عترة فريدة، فأحضرها وحلبها ببركتهم على مرات عديدة، وكان السعد له هناك داعي، فجلبها ووضع اللبن أمام الأستاذ الشيخ أحمد الرفاعي، رضي الله تعالى عنه، فقال له: هو لك يا أستاذ. فقال: وله منكما الامتداد. فقال له: افعل ما تريد وله من كل خير مزيد، فأخذ عليه العهد والميثاق، وأمدوه إلى أن علا على أهل عصره وفاق، وثفلوا له في اللبن، وقال: خذها يا حسن فإن شربها لك وحدك، أو مخفية لك ولذريتك ومحبيهم بعدك. فقال: بل مخفية، وسرها لي ولجميع الذرية، الإناث والذكور، وسائر أولاد الظهور، فشربها وقد ظهرت منه الكرامات والأحوال، وغارت منه فحول الرجال، وكان في زمنه رجل بالأحوال مشهور يعرف بالشيخ أبي بكر، وهو من قرية يعفور، فلما بلغه خبر الشيخ حسن المذكور قال له: لا بد وأن تظهر لك شيئا من الأمور. فقال له: أمرك على طاعة، فأمر بما شئت في هذه

---

(1) يونس: 62.

(2) عدي بن مسافر الأموي، من كبار المتصرفة وأقطابهم، أثرت عنه خوارق وكرامات، استوطن بالس، وبها توفي سنة 558 هـ: الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 196.

الساعة. فقال له: يا حسن، تقد في بيتي ست قناديل متوالية، وأنا أنفخ وأطفيها من هذه الزاوية. ففعل. فنفخ الشيخ فيها وأطفاها، وأخرج ليلها، وأخفى سناها. فقال الشيخ حسن لامرأته: اصعدي السطح واركضي عليه في ست مواضع، فعادت القناديل تشعل ونورها بإذن الله ساطع. ومنها أن البلاد بجميعها كانت بيده، فلما ظهر الشيخ حسن تغيروا عليه، فاشتكى عليه للأولياء وللسادات والأقطاب والأنبياء، وكانت القرى بوادي بردا، فأرسلوا يقسمون عليه بأن يكف عنه الأذى والردى وأن لا يدخل إلى بلاده لئلا تحول أصحابه عن اعتقاده، فجاء لقرية بعيدة وحرك إحدى يديه، فما أحس أهل تلك البلدة إلا وهم بين يديه من نساء ورجال تركوا ما كانوا فيه من الأشغال، وهم مدهشون حيارى كأنهم من تلك الحركة سكارى، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الكرامات الظاهرة والأحوال الشهيرة المتواترة.

ولما كانوا مع الله تعالى بهذا الشأن والتأييد الصادق والبرهان، أحب أن يندرج في سلك أهل هذه الطريقة الغرا، وأن ينتظم في عقد أصحاب هذه الحقيقة الزهرا، مولانا الشيخ الصالح والعالم الناجح، المحدث المحقق والعلامة المدقق، زبدة أهل الفضل والصلاح، ومعدن الحلم والسماح، فخر المتقين السالكين، وعين أرباب اليقين، الشيخ عبد الله أبو سالم بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، كان الله تعالى له وليا، فقدم بعزم صادق وقلب بحب[1] السادة الرفاعية واثق، وطلب من مولانا وسينا الشيخ الإمام العالم النحرير الهمام صاحب المعارف الربانية والعوارف الصمدانية، والأنفاس الزكية المرضية والأحوال السنية البهية، ذو المنار الأسنى، والسيرة الحُسنى، سراج الدنيا والدين، مربي المريدين، وكهف الصلحاء الواردين، المعمر بمدد الله تعالى العلي المبين، سيدي عمر بن سيدنا ومولانا الإمام العارف قدوة أهل الخير والمعارف، الواثق بالواحد الأحد الفرد سيدي عبد الصمد بن سيدنا ومولانا قطب العارفين وعين أعيان الجهابذة المحققين، من فضله كالعلم المشهور، شمس الدنيا سيدي الشيخ محمد العلمي القدسي الرفاعي قدس الله تعالى أسراره الطاهرة ونفعنا بعلومه المتكاثرة، الإجازة بسلوك أهل طريق الله تعالى، فأخذ عليه العهد والميثاق، ولاحظه فكان ممن سما مجده وفاق، وكان ممن انتقل من حال إلى حال، واستحق الخلافة بين الرجال، فأجلسه

[1] في ط: محب

على السجادة، وأذن له أن يتصرف من طريقتهم المنيرة على العـــادة، وأمـــره أن يتمسك مع الله سبحانه وتعالى بالأدب والافتقار والتواضع والذل والانكـــسار، مستوثقاً بالقواعد الشرعية والطريقة المحمدية الشريفة المرعيـــة، ملازمـــاً علـــى الصلوات المفروضات بالخشوع والآداب والمسنونات، منتهياً عن جميع المحظورات، وأن لا يفعل كبيرة ولا يصر على صغيرة، وأن يفشي السلام ويطعـــم الطعـــام، ويستعين بالصبر والصيام والصلاة بالليل والناس نيام، محافظـــاً علـــى الخـــضوع والخشية والطاعة، والورع والزهد والقناعة، والاستقامة في نفسه ليستقيم به مـــن صحبه من أبناء جنسه، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والغيبة والنميمـــة في مجلسه لا تذكر، وأن يوقر الشيخ الكبير ويرحم الطفل الصغير، وأن يعفو عمـــن ظلمه، ولا يشتم من شتمه، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يؤذي من يؤذيـــه، وأن يرى نفسه دون كل جليس، وأن يكون للفقراء والغرباء نعم الأنيس، وأن يصفح للإخوان عن الزلات، ولا يأخذهم بالهفوات، وأن يسعى في مصالح إخوانه الفقرا ويقضي حوائجهم على حسب ما يرى، وأن يعاهد الفقرا ويربيهم ويسقيهم اللبن ويحسن إليهم، وأن يجري في شعورهم المقراض، ويظهر لهم أن تربيتهم لها لا يكون بغير الله تعالى، وينهاهم عن العمل بسيء الأعراض، وأن يقبل ويرد مـــن غـــير اعتراض، وأن يخلف ممن فيه الأهلية لذلك، وأن ينقب ممن هو بطريـــق الفقـــراء سالك، وأن يمص السم من الملسوعين، ويدوس ظهور الموجوعين، ويرد اللقـــوة للمصابين، وأن يفعل ذلك كله وهو بالله سبحانه وتعالى يستعين، وأن يلبس الخرقة السوداء ويلبسها من أراد كما كان يفعل الأستاذ لما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء[1].
وعن الحسن، رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كانت عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء، وكانت رايته، صلى الله عليه وسلم، المسماة بالعقاب سوداء، إلى غير ذلك. وأن يقام الوقت بحضرته في أي مكان أراد، ويسلك بذلك طريق أهل السداد، وأن يضرب بين يديه بالدف مثل أهل الهمم، وأن يحمل على رأســـه إذا سار العلم، ثم طلب من مولانا المشار إليه نظر الله تعالى بعين عنايته إليه أن يمـــده بسلسلة الطريق لتكون فرجا له من كل مضيق، فأخبره أنه صحب بها وأخذها من أجل هذه الذرية القطبانية، وأكمل شيوخ الطريقة الرفاعية سيدنا ومولانا الشيخ

---

[1] صحيح مسلم 2: 990.

حسن، وسيدنا ومولانا محمد القطنانيين نسباً، الرفاعيين طريقة، المصحب كل منهما آباءه وأجداده المتصل ذلك بحضرة سيدنا قطب العارفين سيدي أحمد الرفاعي قدس الله تعالى أسراره الطاهرة، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركات مواهبه الزاهرة، وأخبره أنه صحب بها وتلقاها وتلقنها من حضرة جده وشيخه ومرشده شيخ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، عمدة العلماء العاملين، وإمام الزاهدين السالكين، الشيخ العارف العلامة والعالم المحقق الفهامة العلم الفرد في الآفاق، من طاب نشره، وصفا ذكره، وفاق شيخ الإسلام والمسلمين، وحجة الحق على المريدين، العارف الرباني، المحقق الصمداني، سيدي الشيخ محمد بن مولانا شيخ الإسلام ومفتي الأنام، وعمدة علماء الأعلام، المكرم سراج الدين عمر العلمي المقدسي، وهو صحب بها وأخذها عن جميع ذرية الأستاذ الكبير، لاسيما الشيخ موسى ذي المقام الخطير، وهو صحب بها مولانا المذكور أيضاً أجل هذه الذرية، وأكمل هذه الطريقة الرفاعية، القطب الرباني، سيدي الشيخ حسن القطناني عبد الله، وهو صحب بها والده الشيخ طعيمة، وهو صحب به والده الشيخ محمد أبا كرش، وهو صحب بها والده الشيخ عبد الله، وهو صحب بها والده الشيخ يوسف الذي رد المركب بيده الشمال، وهو صحب بها والده الشيخ عبد الله المدفون بقب الياس، وهو صحب بها والده الشيخ عبد الهادي، وهو صحب بها والده القطب الرباني الشيخ عبد الرحيم القطناني، هو صحب بها الشيخ الكبير الغوث الرباني سيدنا ومولانا الشيخ حسن القطناني، وهو صحب بها سلطان الأولياء والعارفين، وقدوة السالكين والمحققين، ذي الكرامات الكثيرة والأحوال الشهيرة، الذي صحت له الإرادة، وثبت أنه يمحو الشقاوة ويثبت السعادة، بإذن الله تعالى ذو القدرة والإرادة، موصل كل عرجاء بالسليمة، وملحق كل عوجاء بالمستقيمة، من ذلت الله الأسود والأفاعي، سيدنا ومولانا أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وعنا به. وهو صحب بها الشيخ علي القاري الواسطي، وهو صحب بها الشيخ أبا الفضل بن كامخ، وهو صحب بها الشيخ علام بن بركان، وهو صحب بها الشيخ علي الروذباري[1]، وهو صحب بها الشيخ علي العجمي، وهو صحب

---

[1] أبو علي أحمد بن محمد الروذباري، من أعلام التصوف، أصله من بغداد، أقام بمصر وبها توفي سنة 322هـ: الرسالة القشرية، ص: 416.

بها أبا بكر الشبلي[1]، وهو صحب بها صاحب الأمداد المحمدية، وسيد الطائفة الصوفية، أرباب المقامات العلية والأحوال المحمدية، أبا القاسم الجنيد البغدادي[2]، وهو صحب بها الولي الكبير سيدي سري الدين السقطي[3]، وهو صحب بها سيدنا العارف الجليل والأستاذ النبيل أبا محفوظ المعروف الكرخي[4]، وهو صحب بها مولانا الشيخ داوود الطائي[5]، وهو صحب بها الولي الكبير سيدي الشيخ حبيب العجمي، وهو صحب بها سيد التابعين سيدنا الحسن البصري، وهو صحب بها الإمام الهمام زوج البتول وابن عم الرسول صلى الله تعالى وبارك عليه وزاده فضلا لديه، البحر الزخار، والفارس الكرّار، باب مدينة العلم والعرفان، وبواب حضرة الغرب والرضوان، آية الله في خلقه، ونقمته على منكري حقه، كاشف المشكلات، ومحل المعضلات، عن الأئمة العبدلين، ورابع الخلفاء الراشدين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، فارس المشارق والمغارب، أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعنا به، وأعاد علينا من بركاته، وهو صحب بها ابن عمه نبي الثقلين، وجد الحسنين، وأفضل العالمين، وشرف الكونين، وحياة الدارين، نبي الرحمة، وكاشف الغمة، زين من وافى للقيامة، ونال المقام المحمود والوسيلة والكرامة، سيد الأولين والآخرين، حبيب رب العالمين، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى سائر إخوانه السادات الأنبياء والمرسلين وآلٍ كلٍ وصحبه أجمعين، وسائر عباد الله الصالحين، والحمد لله أولاً وآخرا، ظاهراً وباطناً، نسأله سبحانه الهداية والتوفيق لمناهج هذه السادات الكرام، أهل المجد والاحترام، لنندرج في طريقهم، ونعد من حزبهم وفريقهم بحول الله تعالى وقدرته، وجوده ورحمته، متوسلين بسيدنا وحبيبنا المختار صلى الله عليه وسلم في نيل ذلك، إنه تعالى القادر على ذلك، آمين.

---

[1] أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، البغدادي، من أعلام التصوف، توفي سنة 342 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 419.

[2] الجنيد بن محمد، أبو القاسم، من كبار أهل التصوف، توفي سنة 297 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 430.

[3] أبو الحسن سري بن مغلس السقطي، خال الجنيد وأستاذه في طريق القوم، توفي سنة 253 هـ: الرسالة القشرية، ص: 417.

[4] أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من أعلام الصوفية، توفي سنة 200 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 427.

[5] أبو سليمان داود بن نصير الطائي: اشتهر بالزهد والورع، أنظر أخبار في " الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 109.

انتهت الإجازة البهية على يد أضعف البرية، محمود السالمي القدسي، راجيا دعوة بظهر الغيب من أستاذنا الشيخ الكبير المجيز، ومولانا وشيخنا المجاز، حفظهما الله تعالى آمين، وذلك آخر صفر الخير سنة 1074.

الحمد لله الذي اختار من عباده من شاء لنفسه وقربه إليه وأجلسه على بساط أنسه وسقاه من كؤوس محبته فأصبح هائما ببهاء جمال قدسه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو لكل طريقة عنوان المرسل بأشرف معجزة وأبهر برهان، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان ما تعاقب الملوان، وبعد: فقد شاهد وحضر ما في هذه السلسلة الفخيمة والإجازة الكريمة الصادرة من أهلها لمنِ هو أهلها ومحلها، الإمام المُحَدِّث المُحَقِّق والنبراس الوهاج المدقق كان الله له ولياً وبه حفياً، والمرجو أن لا ينساني وأهلي وأولادي من دعوته المجابة في خلواته وجلواته وأحواله المستطابة. قال ذلك بفمه وحرره بقلمه أفقر البرية عبد الباقي بن عبد القادر بن الأستاذ الكبير الشيخ محمد العلمي، أمدنا الله بمدده، المدعو بأحد العلمية غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهما وإليه. شهد بذلك الفقير إلى الله سبحانه وتعالى درويش التميمي أحد الفقراء العلمية، شهد بذلك نقيب الحضرة العلمية والفقراء الرفاعية بالقدس المحمية، النقيب يحيى بن شيبنانة عامله الله بغفرانه آمين.

الحمد لله الذي أمد من اعتمد عليه وفوض أموره كلها إليه، ولازم بابه بالافتقار فبلغ بفضله تعالى غاية في الأوطار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي من اعتمد جاهه الشريف ما خاب، وعلى آله الكرام والسادة الأصحاب، وبعد فقد حضر وشهد بما في هذه الإجازة الكريمة والسلسلة المستقيمة الواقعة في عين الصواب بالصواب الصادرة بالحق المستطاب، راجياً من حضرة مولانا وشيخنا المجاز أن يشملني بدعواته الكريمة، ولا يخليني من خواطره المستقيمة، سيما عقب إيراد الأحاديث الكريمة الجليلة، والمسائل الفقهية الجميلة، وإني الفقير إليه سبحانه علي بن عمر بن عبد الصمد بن القطب الرباني سيدي الشيخ محمد العلمي الرفاعي القطناني قدس الله سره آمين. شهد بذلك النقيب أحمد بن حسن الرجواني نقيب الجلسة العلمية، وقارئ الفاتحة بها، لطف الله به رب البرية. شهد بذلك الفقير إلى رحمة ربه الغني الفقير قاسم بن عبد المعطي الملتمس من مولانا الشيخ

المجاز صالح الدعوات، وأن لا يخليه من خامر خاطره في المجالس السنيات، فإنه تشرف بصحبته، وملازمته[1] له على الدعاء بالقدس الشريف.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وقرة أعيننا محمد الحامد المحمود، وعلى سائر الأنبياء الكرام أهل الفضل والجود، وعلى آل كل وصحبه ما تعاقب الجديدان واستقبل الفرقدان، وأضاء النيران، وبعد: فيقول الفقير كاتب أصل هذه الإجازة الكريمة محمود السالمي القدسي أني شملتني بركة من الله سبحانه بحضور ما وقع في هذه الإجازة الكريمة، وبالاجتماع بمولانا وشيخنا المجاز الإمام العلامة الذي لأصناف الفواضل والفضائل حاز، سيدي المحدث المحقق أبو سالم عبد الله العياشي حفظه الله، وكان به حفيا وله وليا وحافظا وناصرا وواقيا وراجيا، أن لا ينساني من دعواته الكريمة في خلواته وجلواته وفي مجالس حديثه ورواياته، وإني أيضا لا أنساه، وكيف وهو شيخي في الحديث الشريف المبجل المنيف، فأكرم بها من إجازة صادرة بالحق من الحق، والله تعالى ولي الهداية والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. شهد بذلك الفقير إلى الله سبحانه الخلاف عبد الرحمن بن الحاج أحمد الدقاق لطف الله به وبسائر الرفاق.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه، وبعد: فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي علي الحوراني خليفة الأستاذ ولي الله تعالى سيدي الشيخ محمد العلمي قدس الله سره، وقد وقفت على هذه الإجازة السنية والسلسلة المرضية فرأيتها صادرة بالحق والصواب من أهلها ومحلها إلى من هو أحق بها وأهلها، (وإني)[2] راج منه أن لا ينساني من دعائه وأنفاسه، حفظه الله تعالى ولطف به وبلغ مراده على أكمل حال آمين آمين. شهد بذلك نقيب السجادة الفقير يحيى بن المهدي لطف الله تعالى به. شهد بذلك الفقير إلى ربه الكريم الفقير علي الكرمي أحد الفقراء العلمية.

الحمد لله الذي فتق رونق الغياهب بجلال الخشية، ونور المواهب على سماء قلوب من شاء، واختار من عباده العلماء العاملين وأشرق لهم معارف نجوم الكواكب بأرض أبحر المطالب، فكانوا بضيائها مهتدين، منحهم بنفحات عبير

---

(1) في ط: بأنه ملازم له.
(2) زيادة من ط.

طيبها لا ينكر، بل هو من كل طيب أشهر، وعوارف معارف در جوهرها من الشمس في الظهيرة أظهر، سقاهم من رحيق شرابه المختوم، وأودعهم خزائن سره المكتوم، وجعلهم من أهل حضرته، ونظمهم في سلك عقد محبته، نصبهم لشرف طاعته، فتراهم لها مسرعين، ورفع قدرهم بأنواع عبادته، فترملوا بها مجددين مجتهدين، وعلى قدم الإخلاص ملازمين، ومن الحول والقوة متبرئين، ليس لهم مقصد سواه، ولا طلب إلا إياه، جذبهم بسابق الفضل إليه، ودلهم به عليه، والصلاة والسلام على بحر الأمداد، وعين العناية والإرشاد، سيدنا ومولانا محمد زين العباد، وعلى آله وأصحابه السادة القادة الأمجاد، وعلى تابعي هداهم الأنوار، وسننهم الأزهر صلاة وسلاما دائمين ليوم البعث والمنشر. وبعد، فلما قدم من الحج الشريف والمعبد المنيف، الشيخ الصالح، والعالم الناصح، الفاضل المحقق، والكامل المدقق، عمدة المحدثين، وقدوة السالكين، مولانا الشيخ أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي شكر الله مساعيه، وأمده بما يسره ويرضيه لزيارة البيت المقدس والمعبد الذي على التقوى مؤسس، حصل معه بركة الاجتماع، ونظر الاطلاع، والتشرف بأنوار علمه وعمله، فكان من حسن السلوك إلى الله تعالى على قدم أكمل، ومنهاج لمراقي رتب المجد والكمال هو به أحرى وأجمل، أجزت بما أجزت به وتلقيته من السادات الكرام والأئمة الفخام، وجعلته خليفة يخلف وينقب ويلقن الأذكار والأوراد، راجيا أن يكون نفعاً للطالبين وموصلاً للسالكين، وكهفا للغرباء والواردين، سائر فضله سبحانه أن يمن لنا وله بفيض الأمداد ودوام العناية والرشاد، والتوفيق في الأقوال والأفعال، تحقيق حقائق إرادات الأحوال، وأوصيه وإياي بتقوى الله في السر والعلن، ومراقبته سبحانه وتعالى فيما ظهر وبطن، فإن أكرم الخلق لدى الملك الحق المتقون، وأن لا ينساني وأبنائي وإخواني وأحبائي من صالح دعواته في أوقات طاعته وخلواته وجلواته، لاسيما عقب إيراد أحاديث سيد الأنام ومصباح الظلام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. والله سبحانه وتعالى يمن بالقبول إنه خير مأمول ومسؤول بجاه نبيه محمد الرسول صلى الله عليه وسلم، وزاده شرفا وكرما لديه آمين. اللهم آمين.

وكتب ذلك العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير، خادم السادات الصوفية بالقدس البهية السنية، عمر بن عبد الصمد بن محمد العلمي الرفاعي، عفا الله عنه وعن والديه، وأحسن في الدارين إليهما وإليه، وللمسلمين أجمعين آمين. وكان

تحرير ذلك نهار الاثنين المبارك من شهر صفر الخير من رابع وسبعين في العشرة الأخيرة وألف.

ذكر التعريف بجده الإمام الهمام قطب الأنام الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد العلمي

وقد ألَّف رحمه الله ورضي عنه رسالة لطيفة ذكر فيها مبدأ أمره وتنقلات أحواله ومشايخه في الطريق، فرأيت ذكرها بتمامها أوعب وأتم فائدة، وهي هذه، وسماها رسالة معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير في الطريق، ونصها: باسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله المنعم البر الجواد الجاذب إليه من أحب وأراد، وصلاته وسلامه المتواليان بالأمداد على من أتانا بالخير والإسعاد والهداية والإرشاد، أفضل الخلق وأشرف العباد، وعلى آله السادات الأمجاد وأصحابه الهادين إلى سنن السداد، وعلى تابعي طريقهم إلى يوم البعث والتناد، وبعد: فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير، خويدم السادات الفقراء، محمد بن عمر العلمي من بجناب مولاه الكريم منتمي، ورد على خاطر الفقير وارد إحسان، أحببت أن أخبر به[1] الأبناء والإخوان ليكونوا من حضرة الكريم المنان على بصيرة وإيقان، إذا سئلوا عن كيفية دخول الفقير إلى طريق الإله، المولي آلاء الصدق والعز والجاه، من أضافه بفضله وكرمه إليه، وأخذه عنه ودله عليه، فأضحى فريدا في الأنام لا يعرف إلا الملك العلام، مشغوفا بوجوده عن شهوده. قال سبحانه وتعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[2]. ويروى في بعض كتب الله المنزلة: ابن آدم خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء كلها من أجلك، فلا تشتغل بما خلق لك عما خلقت له، ابن آدم، أنا برك اللازم فالزم برك. ومن كلام السادات جذبة من جذبات الحق توازي أعمال الثقلين من أعمال الجوارح. وقال جل وعلا (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[3]. وهذا أوان الشروع في المقصود بفضل الملك

---

(1) ساقط من ط.
(2) الذاريات: 56.
(3) آل عمران: 73.

المعبود، ولا بأس بذر بعض من اجتمع بهم الفقير من سادات هذا الطريق الذين هم من أرباب الأحوال والتحقيق، ولا بأس أيضاً بذكر شيء من بعض المبشرات المدليات لسبل العناية والمسرات، كما أخبر به بعض الصلحاء من المنامات لأنها جزء من أجزاء النبوة، ولذلك تحرك جأش العبد إلى متابعة الأكياس الذين حفوا بنفائس الأنفاس، ولتظهر آثار الفتوة والتقوى لمن رآها أوريت له في عالم السر والنجوى، والله الموفق إلى الهداية والصواب، ومنه المبدأ وإليه المرجع والمآب. فأول شيء أتحف به العبد في حالة المراهقة أنه مرض مرضاً شديداً قل أن يرجى البرء من مثله، وكان ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم، في شهر رمضان المعظم قدره في شهور عشر الثمانين بعد التسعمائة، فبينما الفقير في شدة تلك الحال وما يكابده فيها من الأهوال في حالة بين النوم واليقظة إذ دخل عليه رجلان عظيمان، فتخيل للفقير أنهما حلقا رأسه، وجاءوا له بدهن بنفسج ودهن به جبينه وأنفه، ومضى أحدهما وجلس الآخر عند رأس الفقير وقال له: لا ترفع رأسك إلى المساء، وربما أن دخولهما كان بين الصلاتين، والله سبحانه وتعالى أعلم. فأخذت الفقير منه هيبة، وامتثلت أمره، ووضعت اللحاف على وجهي، فكنت إذا ضاق نفسي أرفع اللحاف برفق على وجهي، فنظرت إليه، فإذا هو ذو شيبة لطيفة، وعليه صوف أخضر في غاية ما يكون من اللطف والحسن، فأجرى الله على لساني أن أسأله عن اسمه الكريم وعن اسم رفيقه، فذكر أنه خليل الرحمن، صلى الله عليه وسلم، وأن رفيقه الشيخ سيدي علي بن عليل الشهير بابن عليم قدس الله سره العظيم، ثم أخذتني ببركته شبه سنة نوم إلى قرب المغرب، فاستيقظت عرقاناً، ومنَّ الله بالعافية، فعلق قلبي حب هذه السادات، وصار يخطر لي إذا أحياني الله تعالى، وكبرت أن أنقطع عند سيدي الشيخ علي بن عليل، لما كنت أسمع عنه وعن مكانه الشريف، وأنه على شاطئ البحر بمكان حسن، ثم منّ الله تعالى علي[1] برجل من كبار الصالحين من أرباب الأحوال والكرامات والتمكين صحبته مدة من الزمان بالقدس الشريف يقال له الشيخ حسن الكركي، وكان خليفة لسيدي الشيخ عمر العقيبي الدمشقي، وسيدي الشيخ عمر المذكور خليفة للعارف الرباني سيدي الشيخ علوان الحوني، والشيخ علوان خليفة بحضرة قطب زمانه الشيخ الشريف الحسيب النسيب الشيخ علي بن ميمون نفعنا الله بهم أجمعين. فلازمت الشيخ

[1] ساقط من ط.

سيدي حسن المذكور مدة مديدة في ابتداء حال السيبوبة بمسجد بيت المقدس بجامع المغاربة، لأن والدي، رحمه الله تعالى، كان يجتمع به كثيراً، وكانت الفقراء يشكون له الخواطر، وكان يقول لإخواني السادة الكبار: ليتكم لو كنتم مثل هذا الشاب، وكان قبل ذلك قدر الله تعالى علي المرحوم سيدي وشيخي الوالد بالتوجه إلى دمشق الشام لأمر أراده الله تعالى غصباً عليه بعد انقطاعه بمسجد بيت المقدس قدر عليه بالتوجه إلى ديار السلطنة ببلاد الروم، وأخذ المدرسة النورية والفتيا بمدينة بعلبك المحمية، فتبعه الفقير إلى هنالك، ثم قدر عليه بالتوجه إلى ديار الروم، فتوجه الفقير معه في خدمته، ودخلت في طريق المدرسين بدمشق المحروسة، وكان في يد الفقير حصة في قرية شرقي دمشق يقال لها ضمير[1]، فاجتمعت فيها برجل من السادات أرباب الأحوال الظاهرة والكرامات المتكاثرة يقال له الشيخ جمعة من قرية عذراء، وكان من جملة كراماته إذا نذر له إنسان نذرا يأتي إليه ويقول له: يا ولدي هات نذري، فبعض الناس ينكر عليه، ويقول له: يا سيدي، وما نذرك؟ فيقول له: الشيء الفلاني، ألا كنت بالمحل الفلاني، وحصل لك الشيء الفلاني، فيصدقه ويدفع له نذره. فلما بلغ الفقير عنه مثل ذلك، ورأيت سمته وصلاحيته ظاهرة سألت منه الأخوة لله تعالى، فتخاويت[2] معه، وزاد به شوقي في محبة الصالحين.

ومنهم رجل يقال له الشيخ علي[3] اللؤلؤي، وكان يدعى بأبي الفقراء، وكان من كبار رجال الشام، والله أعلم، أنه كان من الأبدال، وله أحوال كثيرة ومحبة ورحمة زائدة للفقراء، رحمه الله، وكان أولا مصاحبا لسيدي الشيخ شهاب الدين ولد شيخ الإسلام بدر الدين الغزي رحمه الله تعالى، وكان هذا الشيخ أولاً من أهل العلم، وابتلى بمحبة الصالحين والفقراء، فكان أكثر ما يجالسهم وينفق عليهم ما يقدره الله تعالى من الخير، فلما تُوفي رحمه الله تعالى جاء وصحب الفقير، وكان قبل صحبته عند الفقير رجل من الصالحين اسمه الشيخ خليل ابن قزقوز[4] القدسي رحمه الله تعالى، وكان ممن نوره الله تعالى ظاهرا وباطنا، وكان يخبر كثيرا أن أهل الله لا بد أن يأخذوا الفقير إلى طريقهم، وكان أيضاً بجوار الفقير بدمشق

(1) في ط: خمير.
(2) في ط: فتخاللت
(3) ساقط من ط.
(4) في ط: قزمون.

المحروسة امرأة كبيرة صالحة حبشية، وكانت كثيرة الاعتقاد لحضرة سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز، فأخبرت الفقير، و[1] كانت بجواره أنها رأت ذات ليلة في المنام أنهم أخذوا الفقير ووضعوا على[2] رأسه علمين، إلى غير ذلك. ثم إن الفقير رأى في ليلة جمعة أنه بجامع بني أمية، وأن حواليه جماعة، وأنه استفتح بهم الذكر فجاء إليه شخص وقال له: اصبر ما لك؟ أو لعله قال: إلى أن تستدعي الناس، فحصل خجل للفقير من كلامه، فبينما الفقير كذلك، وإذا بالوقت قد قام واتسع المجلس، وإذا برجل صار يتواجد في المجلس ويرتفع على الأرض، فإذا عاد إلى الأرض نبت العشب تحت أقدامه قدر شبر أو نحو ذلك. فقال الفقير عند ذلك للرجل: هذا شيخي. فلما أراد الفراغ من المجلس وجاء إلى جانب الحائط الشمالي ضم (ذلك)[3] الشيخ، قدس الله سره، الفقير إلى صدره الشريف وقال له: أجزتك بجميع ما يجوز لي، وأخذ الفقير وسار به إلى جهة باب العيرانية[4]، فاستقبلنا رجل ذو شيبة بهية وعليه جابية بيضاء، وتصافح مع الفقير، ولم أعرفه، وصار بي الشيخ، رحمه الله، ونفعنا به إلى قرية قطنا[5]، وأخذ يريني أشياء ويذكر لي أشياء، فاستيقظت وقد وعيت ذلك، ولم أكن قبل هذا أعرف الشيخ رحمه الله، ولا دخلتُ تلك القرية، فلما أصبحت وجلست في محل الجلوس مع الإخوان، وجاء بعضهم، ذكرت لهم ذلك، وكان بمنزل الفقير رجل من قرية سقيا من أعمال دمشق المحروسة في جماعة من المشايخ، فلما سمع ذلك من الفقير رجل وصفة الشيخ المذكور، قال: هذا سيدي الشيخ حسن أبو علي، وجميع ما ذكرته صحيح كذلك، ثم تشاغل عن مثل ذلك بما هو فيه من أحوال خدمة العلم الشريف وأحوال الدنيا، ثم بعد مدة رأيت في المنام أنهم أخذوا الفقير إلى قرية قطنا، وأن رجلاً جالساً إلى جانب قبة مرتفعة وبيده شد أحمر وهو يرمي بطرفه إلى الفقير لأتمسك به وأطلع إليه، فاستيقظت وأصبحت[6]، فذكرته لبعض الإخوان، ووصفت الرجل الذي كان بيده الشد، فذكر لي أنه والد سيدي الشيخ موسى، واسمه الشيخ محمد عين رحمه الله تعالى. ثم بعد مدة رأيت أن خمسة رجال

---

(1) في ط: إذ.
(2) في ط: فوق.
(3) زيادة من ط.
(4) في ط: العنبارية.
(5) قطنا: من قرى دمشق: معجم البلدان: قطنا.
(6) ساقط من ط.

دخلوا على الفقير ثلاثة جاؤوا من الجانب الأيمن، واثنان جاؤوا عن يسار الفقير، والفقير يشبه حالة الجالس، فجلس أحدهما إلى جانب الفقير، وصار بمنزلة المتكئ على فخذي الأيسر، وبقي الواحد قائماً وبيده بند أو شيء يشبه ذلك، وطرفه بيد، وأخذ الثلاثة الواقفين عن يمين الفقير، أو هو بيد الثلاثة، من شدة هيبتهم، ما علمت حقيقة ذلك، ووضعوه على ظهر الفقير، وصاروا يحركون الفقير به حركة لطيفة، وإذا بي كأني أسمع من يقول لي: هذا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره العزيز، وكأني به وهو يقول لي عن الشيخ الذي على فخذي: الزم هذا الراعي، وكأني بالشيخ، فأمرني بلبس الخرقة السوداء، وألبسنيها ولا أعلم أي حقيقة، ذلك كان من هيبتهم وجلالتهم، فلما استيقظت خطر ببالي أن الراعي سيدي الشيخ أحمد البدوي قدس الله سره العزيز، لما يحكى عنه أنه رعى الجمال لبنت بري، قدس الله سرهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك للإخوان بارك الله فيهم، فقال لي بعضهم: الراعي الشيخ حسن القطناني جد هذه السادات الموجودين الآن بقرية قطنا، أدام الله تعالى قدرهم وكثر عددهم، ثم بعد مضي مدة من ذلك بينما الفقير ذات يوم عند الشيخ الوالد رحمه الله تعالى بمحلته العمارة بدمشق، وإذا برجل من أصحاب الفقير جاء وقال لي الفقير[1] الشيخ القطناني في المنزل، فظن الفقير أنه غير الشيخ حسن الذي رأيته أولاً، وكان بيت الفقير قريبا من باب توماق الغيرية، فلما أتيت المنزل رأيت شابا لطيفا حسن الهيئة والمنظر، ومعه بعض جماعته من فقرائهم، فسَلَّمتُ عليهم، وجلسنا فقال سيدي الشيخ للفقير في أثناء مصاحبته[2]: إن لم تجيئونا جئناكم، ما في المحبة من عار. وجلس مدة أيام بلياليهن يقيم الأوقات والأوراد بالمنزل عند الفقير، ثم دعاني وأجلسني بين يديه فأخذتُ العهد عليه، وكل شيء أمر به الفقير امتثلته منه لما تقدم لي قبل ذلك، وهو سيدي الشيخ موسى ولد الشيخ محمد عين قدس الله تعالى روحهما. وأخبر الفقير بأن مدده بالأكثر من سيدي حسن والد سيدي الشيخ علي أطال الله تعالى بقاءه، ورحم والده الشيخ المذكور[3]، ثم إنَّ الشيخ موسى أخذ الفقير وتوجَّه به لقرية يقال لها سقيا، من قرى دمشق، كان بها في زيارة الأستاذ سيدي الشيخ حسن، رحمه الله تعالى، مع بعض جماعة، وحصلت أيضاً الإجازة بالخلافة من الأستاذ بعناية الملك الجواد لأنَّه هو

---

[1] ساقط من ط.
[2] في ط: مداعبته.
[3] ساقط من ط.

أول من رآه الفقير في منامه وجميع طائفته وغيرهم من صلحاء عصره الكائنين بدمشق المحروسة، يعترفون بعلو شأنه وبما أولاه به مولاه من فيض بِرِّه وإحسانه، وإن كانت طائفته جميعه بعناية الله تعالى أرباب أحوال النساء منهم والرجال والكبار والأطفال، وبذلك جرى مددهم من العلي المتعال، وهم مشهورون ومعروفون به عند أهل تلك المسالك (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء)[1]، ثم توجه بعد ذلك السيد الشيخ موسى لمحروسة صيدا، وكان قبل ذلك فتح الله تعالى على يده خيراً كثيراً بتلك الديار لتربية المحبين، فاخترمتُه المنية، ودفن هناك خارج بابها على شاطئ البحر بمكان كان يشير بدفنه فيه إلى جانب قبر رجل من السادات يقال له سيدي الشيخ أبو الريش، فعمل له مدفن، وجعلت عليه قبة، ويعمل عنده به محيا في يوم من أيام الجمعة رحمه الله تعالى.

فصل:

في ذكر من حصل منهم الإجازة للفقير من السادات الكرام والأئمة القداة للأنام، وذلك علم الله من غير طلب من الفقير، وإنما ذلك فضل من الله تعالى الكبير. قال بعض السادات:

شعر:

[بسيط]

من أين من أين لي إن لم توفقني　　　مولاي مولاي من لي بتوفيق من قبلي[2]

وقال سبحانه وتعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)[3].

فمنهم سيدي وشيخي والدي، رحمه الله تعالى (ورضي عليه ووالاه بالعفو والرضوان)[4]، اجتمع بكثير من عباد الله الصالحين. وممن جمع الله له بين الشريعة والحقيقة، كان يكتب له في براءته مفتي ومدرس، وكانت الفقراء يشكون له

---

(1) آل عمران: 73.
(2) البيت مكسور.
(3) يونس: 58.
(4) ما بين قوسين ساقط من ط.

الخواطر وبياديهم، وكان من جملة دعائه للفقير: وهبك الله تعالى التصديق كما وهبه لأبيك، أجاز الفقير بما أجيز به من الأشياخ والأسياد أهل العناية والأمداد.

ومنهم سيدي الشيخ أحمد ذو الأحوال الظاهرة والكرامات الباهرة، وله شهرة شهيرة في غالب البلاد عند السلاطين وغيرهم من أفاضل العباد، الشهير نسبه الكريم بابن عبدو القصيري الخلوتي صاحب الأسماء، أخبر أنه أخذ عنه حين مجيئه لزيارة القدس الشريف. ومنهم الشيخ الرباني سيدي الشيخ حسن الكركي، وتقدم أنه أخذ عن سيدي الشيخ عمر وسيدي الشيخ عمر عن سيدي الشيخ علوان عن سيدي الشريف العارف الصمداني والعالم الرباني سيدي الشيخ علي بن ميمون المغربي، قدس الله أسرارهم، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاتهم آمين.

ومنهم الشيخ النبيل خليفة المحب الشريف بدمشق المحروسة سيدي الشيخ عبد القادر بن سوار[1]، رحمه الله تعالى، تفضل في حاله ابتداء تحول الفقير إلى هذا الطريق الشريف إلى محل الفقير بدمشق المحروسة، فهنيئا للفقير بذلك، وعقد الأخوة مع الفقير[2]، وأجازني بالمحيا الشريف، وكان من جملة من صحبه من الإخوان الأعز الأخ الصالح المعروف بين الأشياخ بالشيخ محمد اللباب الصعيدي، صيرفي القلوب، وله من المكاشفات والأحوال شيء كثير، منها أنه كان في بعض ما عوض له من المكاشفات يخبر بعض الناس بما وقع له في ابتداء أمره إلى ذلك الحين وإلى غير ذلك.

ومنهم المرحوم الأخ في الله تعالى سيدي الشيخ علي اللؤلؤي، وكان يشار له[3] أنه من الأبدال بدمشق المحروسة، وكان نفعه متعديا لكثير من الأنام، وتقدم ذكره، ويقال إن الست زينب الكبرى بنت سيدنا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه[4]، هي التي كنته بأبي الفقراء. ومما حصل للفقير منها قدس الله تعالى سرها ونور ضريحها في بعض الزيارات أن غلب على الفقير حالة نوم في النهار فتمددت تجاه بابها الداخل وتوجه بقلبه إليها، فبينما هو بين حالة نوم ويقظة، وإذا بها طالعة من محلها الشريف وبيدها الكريمة عمامة كبيرة تشبه عمائم العلماء، غير أن محل

---

(1) عبد القادر بن محمد، ابن سوار الدمشقي، من الصلحاء، رحل إلى مصر بقصد التجارة وعاد إلى دمشق حيث اشتهر أمره بالصلاح، توفي سنة 1014 هـ: خلاصة الأثر 2: 454.

(2) في ط: معه.

(3) في ط: إليه.

(4) في ط: رضي الله عنه وعنها.

شكلتها باق لم يوضع في محله، وعليها حلتان حريراً من الختم الفوقانية ياقوتية بأكمام إلى خلف، والسفلى بيضاء، وهي تتهادَى بين خادمتين، وكل واحدة منهما آخذة بيدها من تحت إبطها، ودفعت العمامة للفقير فلبسها، وكان ذلك في بدء دخول الفقير في الطريق. ومن المشهور عنها أنه لا يعطى أحد ولاية بأرض الشام إلا من بابها الشريف.

ومنهم الشيخ الجليل الرباني سيدي الحسيب النسيب الشيخ محمد الصمادي[1] القادري والد سيدي الشيخ مسلم[2]، رحمهما الله رحمة واسعة، وكان من أعيان المشايخ المشهورين في غالب الآفاق بالأحوال والكرامات، فمن بعض كراماته الظاهرة مع الفقير حين توجه لزيارته في بعض الأعياد مع شيخ الإسلام ابن العم مفتي دمشق الشيخ محمد العلمي، ومع فخر المدرسين شمس الدين الصمادي القدسي، ومع الأخ في الله الشيخ العلامة محمد السروري، وبعض المحبين (رحم الله الجميع)[3]، فلما انتهى المجلس من عنده وصافحه السادات المذكورون وتأخر الفقير لصغره عنهم لتقبيل يده الشريفة، فأخذنه إلى صدره وضمه[4] إليه وجعل يقبل بين عيني الفقير[5]، من هنا ومن هنا، يفعل ذلك مراراً بتلَهُّف وتشوق، فتعجبت من ذلك من حيث أن المشايخ المشار إليهم لم يفعلوا مع أحد شيئاً من ذلك، ولعله دعا للفقير بدعاء همهمه و لم أفهم منه، فقدس الله تعالى سره، وسر آبائه وأبنائه وأتباعه إلى يوم الدين.

ومنهم سيدي الشيخ الصالح العالم العلامة الشيخ تاج الدين بن داوود القدسي رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وذلك أن الفقير كان بأهله ببيت المقدس بمحلة المغاربة من مدة تزيد على خمس وعشرين سنة، ولعله في ختام الألف، والوقت كان مقاربا لأذان العصر فإذا بباب منزل الفقير يدق، فنزلت إلى الباب فرأيت سيدي الشيخ المذكور ومعه نقيبه الشيخ محي بن قاضي عصفور، فتلقاهما الفقير وطلع بهما لمحل جلوسه مع الإخوان فإذا بالشيخ، قدس الله سره، رفع صوفاً

---

(1) محمد بن محمد بن خليل الصمادي القادري الشافعي، شيخ الطريقة الصمادية بالشام، توفي سنة 994 هـ: خلاصة الأثر 363:4.

(2) مسلم بن محمد بن محمد بن خليل الصمادي القادري الشافعي، شيخ الطريقة الصمادية بالشام بعد أبيه، سافر في آخر أيامه إلى بيت المقدس، كانت وفاته سنة 1015 هـ: خلاصة الأثر 363:4.

(3) زيادة من ط.

(4) في ط: فأخذني إلى صدره وضمني.

(5) ساقط من ط.

أخضر عن كتفيه وألبسه للفقير وقال: عملت هذا لنفسي فرأيت سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، قدس الله تعالى سره العزيز، وكان الشيخ خليفة له في طريقته وقال لي: البس هذا الصوف لفلان، يعني الفقير، وها أنا فعلت ما أمرت به، فقرأ الفاتحة بما ألهمه الله تعالى، ولعله أخذته العبرة عند ذلك، فجزاه الله خيراً، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ومنهم السيد الجليل والعارف النبيل، الأخ في الله سبحانه وتعالى الشيخ عبد القادر الشهير نسبه الكريم بابن قضيب البان[1]، كان قدم لزيارة بيت المقدس مجردا ومعه أخوه سدي الشيخ عثمان ومعهما جماعة من الصالحين، وكان ذلك في التاريخ المذكور أو قريب منه، والله أعلم، فقدر الله بالاجتماع معه في بعض المرات بالمسجد الأقصى بالخلوة التي بقرب الأقصى العتيقة، وكان الشيخ المذكور، أطال الله بقاءه، لابسا صوفا لطيفة أهداه له بعض المُحِبِّين، وكان على الفقير جبة صوف سوداء، فقال: يا أخي تلبسني هذه؟ فخلع الفقير الجبة، وخلع الشيخ حفظه الله، وألبسني جبته، ولبس من الفقير الجبة المذكورة، وكان آخا الفقير قبل ذلك، وفي هذا التاريخ أيضا قدم الشيخ الفاضل الصالح الكامل الشيخ موسى المصري الشعرواي لزيارة القدس الشريف، وآخا الفقير واجتمع مع النفير ببلد الله الحرام، وهو الآن ببجيلة، حفظه الله تعالى.

ومنهم العارف الرباني الشيخ النبيل القدر الجليل الشيخ أحمد بن سليمان كان من أجلاء المشايخ بدمشق رحمه الله. أخبر الفقير في مجلسه بزاويته أن بينه وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين، أربعة أيدي في المصافحة، وأن يده الخامسة، وحصلت المصافحة معه مراراً، ولله الحمد (ورحمه الله تعالى)[2].

ومنهم سيدي الشيخ محمد بن عبد الهادي نسيب الشيخ عبد القادر بن سوار، وكان من كبار الصالحين وأجل أرباب التمكين، حصلت معه المحبة

[1] عبد القادر بن محمد أبي الفيض المعروف بابن قضيب البان، صاحب أحوال وكرامات، جاور بمكة المكرمة مدة، وانتقل إلى القاهرة قبل أن يعود إلى حلب، له كتاب نهج السعادة في التصوف، ورسالة في أسرار الحروف، وديوان شعر، توفي سنة 1040 هـ بحلب: خلاصة الأثر 2: 464.
[2] ساقط من ط.

والأخوة الأكيدة والإشارة بالمبشرات العديدة، وكان قادرياً، رحمه الله تعالى وسلفه، وجعل البركة في ذريته آمين.

ومنهم شيخ السادات الغزاة بدمشق، وكان من المعمرين بالتقوى والدين، الشيخ حسن الصلتي، أخبر الفقير ومن كان في مجلسه من المشايخ بجامع كريم الدين بالقرب من باب الله بدمشق المحروسة أنه اجتمع في حال شبابه لما زار بيت المقدس بسيدي الشيخ أبي العون الغزي المدفون بالرملة المحروسة، وأنه لوى له المئزر على رأسه، وربما أن الشيخ حسن، رحمه الله تعالى، جاوز المائة، والله أعلم. ومنهم سيدي الشيخ علي بن سيدي الشيخ عمر العقيبي، وربما أنه وصل إلى هذا السن أو أكثر، وكان من كبار الصالحين.

ومنهم سيدي الشيخ نجم الدين، كان إماماً بقلعة دمشق، ولعله عمره نحواً مما تقَدَّم، وكان يُخبر الإخوان بالفقير، والفقير إذ ذاك في صغيره[1]، أنه يخدم سيدي الشيخ العارف الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي قدس سرهما العزيز.

ومنهم سيدي الشيخ العارف بالله أبي البركات البزوري، تخاوى مع الفقير بدكانه بسوق البزورية بدمشق المحمية، ورأى الفقير في المنام أنه قطب الشام، وكان مشهورا بالكرامات والأحوال، ولعَلَّه كان في السن نحو مما تقدم ذكرهم، وكان من أصحاب سيدي الشيخ محمد بن عراف قدس سرهما العزيز.

وبالجملة، فنعم الله تعالى على هذا الفقير في هذا الطريق المنير لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ولكن شيخ القلب في الحقيقة سيدي الشيخ حسن والد سيدي الشيخ علي القطناني، وهو الذي لف المئزر للفقير وألبسني لبادته التي كانت على رأسه الشريف من مدة تزيد على خمس عشرة سنة، ونصب (في البحر)[2] الأعلام ورسوله الذي كان في اليقظة سيدي الشيخ موسى المدفون بشاطئ بصيدا قدس سرهما وأعلى درجاتهما لديه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وتنتهي طريقتهما إلى سيدي الشيخ الكبير ذي الأحوال الشهيرة والبركات الكثيرة جدهما المعروف بالشيخ حسن الراعي قدس الله أرواحهم، ويقال بينما هو ذات يوم في المرعى وإذا

---

(1) في ط: كان صغيرا.
(2) زيادة من ط.

بثلاثة من السادات لنحوه تسعى، فإذا بهم سيدي القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني والقطب سيدي أحمد الرفاعي، والقطب العارف بربه القادر سيدي عدي بن سامر، فأتاهم بشيء من حليب الغنم ووضعه بين أيديهم بفضل المولى المنعم، وكان له هناك للخير داعي، وكان قريبا من سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي، فأخذ عليه العهد، وتفلوا له في اللبن، فحبي ببركتهم بجزيل الفضل والمنن، أعاد الله علي من بركاتهم والمسلمين آمين.

فصل في ذكر بعض السادات المشايخ الأعلام أئمة العلماء الكرام الذين أخذت عنهم ما تيسر من العلم الشريف، وانتفعت بفوائدهم الجليلة تبركا بذكرهم، وإيضاحا لجليل قدرهم، واستجلابا للدعاء لهم، رحمهم الله تعالى أجمعين آمين. فأولهم سيدي وشيخي والدي رحمه الله تعالى، أخذت عنه كثيراً من الفقه، قراءة وسماعاً وكشفاً للفتاوى ومطالعة لدروس من كان يقرأ عليه، ذلك نحو من خمسة عشر درسا في علوم متفرقة كل بحسب مطلبه، وأخذت عنه الحديث الشريف، وقرأت وسمعت عليه كثيراً من كتب النحو وشيئا من التصريف والأصول وغير ذلك من العلوم.

ومنهم شيخ الإسلام العالم العامل الورع الزاهد المحقق الكامل الشيخ شمس الدين محمد الخديم الحنبلي المقدسي، قرأت وسمعت عليه كتبا كثيرة في النحو وغيره، ولازمته مدة مديدة أحضر دروس الإخوان في النحو وفي كثير منها يفيد من علوم كثيرة، وحصل لي منه نفع كثير رحمه الله رحمة واسعة.

ومنهم شيخ الإسلام مفتي دمشق ابن عم والدي وخالي، سيدي الشيخ شمس الدين محمد العلمي الحنفي خدمته في قراءة بعض كتب النحو من شروح ألفية ابن مالك وفي غالب مختصر المعاني والبيان، وكنت أسمع كثيراً من دروسه وأبحاثه المفيدة من غالب العلوم بالتحرير وحسن التقرير، رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخ الإسلام والمحدثين بدمشق الشام شمس الدين محمد بن داوود المقدسي، أخذت عنه شيئاً كثيراً من النحو من شرح ملا جامي على الكافية، ومن الحديث والمعاني والبيان بقراءة غالب عقود الجمان وغير ذلك من دروسه التي كان يبدأ فيها من آخر الليل إلى أواخر النهار مشحونة بالفوائد الجمة والفرائد المهمة، رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخ الإسلام مفتي الأنام، إمام العلوم، النحرير ذو البيان والتحرير، الشيخ تقي الدين بن غالب الحنفي، قرأت عليه في النحو مغني اللبيب لابن هشام بطرفيه قراءة تحقيق، مع حضور دروس له كثيرة بمدينة بعلبك، وكان يفتي بها على المذاهب الأربع قبل أن يلي الفتيا بها سيدي الشيخ الوالد رحمهما الله تعالى، ومع ذلك كان بها جماعة من العلماء الأعلام، لاسيما من الشافعية والحنابلة.

ومنهم الشيخ الحافظ العلامة الحبر النحرير الفهامة سيدي الشيخ علي المغربي المالكي صاحب الأخلاق المرضية والأيدي السخية، قرأت عليه غالب ألفية ابن مالك حفظا وحلا مع غيرها من العلوم والقراءات، توفي بالقدس الشريف، ودفن بباب الرحمة، رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخي الذي قرأت عليه القرآن الشريف، سيدي الشيخ حسن الشهير بابن حسين، حفظت عليه نحواً من ربع كتاب الله العزيز، ونحو ربع كتاب الكنز وملحمة الأعراب والأجرومية، ولعل، كان ذلك، وسن الفقير ثمان سنوات أو تسع، والله سبحانه وتعالى أعلم، رحمة الله تعالى عليه وعلى المسلمين أجمعين، والقصد بذكرهم التبرك والترحم عليهم، والحمد لله رب العالمين.

فصل في ذكر بعض من اجتمعت بهم من السادات بمكة المشرفة والمدينة المنورة، زادهما الله شرفاً، فمنهم السيد الحسيب النسيب العالم العلامة الفهامة صاحب التحقيق والتدقيق والعلوم والفوائد المهمة صبغة الله الهندي، روّح الله تعالى روحه ونور ضريحه، حصل الاجتماع به بالمدينة المنورة سنة إحدى وعشرة بعد الألف.

ومنهم من السادات من أهل اليمن السيد الأستاذ عارف الوقت والزمان صاحب الكمالات والعرفان، سليل السادات الأقطاب المنقذين من حال إلى حال، صاحب اليد الموسوية، سر العصر اللطيف، مولانا السيد الشريف الشيخ أحمد ابن القطب الكبير صاحب العرف العبير، صائم الدهر، صاحب الكرامات الباهرة والبراهين الظاهرة القائل: من رآني أو رأى من رآني ضمنت له على الله الجنة، فخر الدنيا والدين، أبي بكر بن سالم الحضرمي القافي، أعاد الله تعالى علينا من بركاته، وقد اجتمعت به بمكة المشرفة تجاه بيت الله الحرام عند مقام المالكي، وتصافحت

معه يد الأخوة، وأشار لي بإشارات وأخبار بشارات لحالة الفقير، وما من الله به عليه، وذلك في عام أحد عشر بعد الألف.

ومنهم السيد الشريف الوله بحب سيده ومولاه، المتصرف في أبناء عصره حسبما من به عليه مولاه الذي بذلك تولاه وأولاه، سيدي الشيخ أبو الغيث الشهير بالفخر اليمني الأصل، رحمه الله تعالى، وكان عند الفقير تردد في العزم على المجاورة أو العود إلى الوطن، فأطلعه الله تعالى على خاطر الفقير، وأشار بالمجاورة، وحصلت معه يد الأخوة، وكان له كرامات ظاهرة، وبركات متكاثرة، رضي الله عنه تعالى عنه.

ومنهم الشيخ الصالح الناسك الناجح المعمر لأوقاته بالذكر والعبادات، الشيخ شهاب الدين أحمد العمودي اليمني الحضرمي رضي الله تعالى عنه. ومنهم سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سليل السادة الأولياء الكرام أرباب القدر والجد والاحترام، الشيخ ياسين ابن الشيخ عمر بن الشيخ الكبير، صاحب العرف العبير الشهير، بعبد الله رحمه الله تعالى، المدفون ببلد شبيكة، اجتمعت به بمترله بين الصفا والمروة. ومنهم من جذبته يد الإحسان بلطائف المجد والامتنان للمجاورة بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، أخونا في الله تعالى الشيخ الزاهد المنقطع إلى الله الشيخ شهاب الدين الملكاني. ومنهم الشيخ العارف الجليل والبحر النحرير النبيل سليل السادات الكرام والأئمة العلماء الأعلام الشيخ شهاب الدين أبو المواهب أحمد الشناوي الغزي[1] حفظه الله وبنيه وأهله ومحبيه. ومنهم الشيخ الصالح شيخ الطريقة والحقيقة، الملازم لتلاوة كتاب الله الموله بحب مولاه الهادي إلى صراط الله الشهير بالشيخ محمد الجيد اليمني، رحمه الله تعالى. ومنهم صاحب القدر والإجلال، الشيخ بلال شيخ الطائف الأحمدية بباب الرحمة رحمه الله. ومنهم صاحب النفحات الزكية والأوقات المرضية سيدي الشيخ أبي الفتح الأحمدي الحلبي خادم سيدي حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء، رضي الله تعالى عنه، من أكابر السادات أرباب الكرامات، وبكثير من المجاورين والقاطنين ممن كان في ذلك العام بالحرمين الشريفين والواردين عليهما نفعنا الله والمسلمين ببركاهم آمين.

---

(1) تقدمت ترجمته.

فصل في بيان المقصود من ذلك على التفصيل والإعادة فيها الإفادة، ليتضح بذلك للأبناء والإخوان، وفقهم الملك المنان، إذا سُئلوا عن شيء ذلك أن يخبروا بالحقيقة ما يقفوا عليه بعون الله تعالى بقرب من اجتمع بهم الفقير من المشايخ الكرام إلى من يُعَوَّل عليهم من أرباب المجد والاحترام.

فمنهم سيدي الشيخ والدي رحمه الله تعالى، أخذ الأسماء عن سيدي الشيخ أحمد بن عبدو، واجتمع بكثير من المشايخ أرباب المعارف والأحوال، وسيدي الشيخ حسن الصلتي اجتمع بسيدي الشيخ أبي العون الغزي، وسيدي الشيخ أحمد بن سليمان، ذكر أن بين يده ويد الشيخ عبد القادر الجيلاني قَدَّس الله سره العزيز أربعة أيدي. وسيدي الشيخ نجم الدين إمام القلعة كان من جماعة الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي، وسيدي الشيخ حسن الكركي هو أول من لازمت مجلسه بجامع المغاربة وحصل منه خير كثير، أخذ عن سيدي الشيخ عمر وسيدي الشيخ عمر عن سيدي الشيخ علوان، والأخ الشيخ علي اللؤلؤي أجاز الفقير بذكر الأنفاس، ونسيت اسم شيخه الذي أخذ عنه، وسيدي الشيخ عبد القادر ابن سوار، وأجاز الفقير بمحيا النبي المختار. وأما لبس الفقير للخرقة السمراء وغيرها فقد تقَدَّم ذلك، وأما حقيقة المبايعة فلشيخي سيدي حسن القطناني والد سيدي الشيخ علي حفظه الله تعالى يروي عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام: ليس الصيد لمن أثاره، إنما الصيد لمن اقتنصه[1]. وعن سيدي الشيخ أبي مدين: شيخك من سدت فيك لإشارته وحلت في وجودك عبرته.

وبالجملة فكراماته أجل من أن تحصى، ومناقبه عند عارفيه لا تستقصى، ولقد أخبرت من الثقات أنه كان في يوم نزوله من قريته إلى محروسة دمشق يرتج له كثير من رجالها إجلالا ومهابة لشأنه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة على ممر الأزمان آمين.

وأما الذين تخاووا مع الفقير من سادات الناس وغالب الأجناس فربما يزيدون على ألف إنسان مشهورين بالخير والصلاح والهداية والفلاح، فلا أخْلاني الله تعالى والمسلمين من بركاتهم آمين، ورحم الله من مضى، وحفظ من كفى منهم، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

---

[1] لسان الميزان 2:253.

فصل في ذكر من منَّ الله تعالى بهم على الفقير من الأولاد، وعددهم ثلاثة عشر ولدا، ثمانية من بنت العم ستة ذكور وبنتان، وخمسة من بنت الشيخ موسى العسيلي، فأول الثمانية محمد، وبعده الشيخ عبد الصمد حفظه الله تعالى وبنيه، وبنية لابنة، وعيسى وزاهرة وعبد القادر وبعده محمد أيضاً، وبعده الشيخ عبد القادر حفظه الله وبنيه، ولم يبق منهم إلا الشيخ عبد الصمد، والشيخ عبد القادر، أطال الله بقاءهما وجعل البركة فيهما وفي بنيهما ومحبيهما. ومن بنت المرحوم الشيخ موسى ولدان ذكران نزلاً في إخلاصهما ميتين، وثالث بنات توفي منهما ثنتان وبقيت واحدة حفظت بحفظ الله تعالى بالتقوى والإيمان آمين. وأما أبناء القلب فلا يعلم عددهم إلا الرب سبحانه، وجعل تبارك وتعالى البركة فيهم وفي بنيهم وأتباعهم ومحبيهم إلى يوم الدين، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. وأما مولد العبد الفقير فأخبرني سيدنا الوالد رحمه الله أنه كان في شهر رجب سنة ثلاث وستين وتسعمائة، وأسأل الله خاتمة الخير من غير فتنة ولا بلاء ولا محنة بمنه وكرمه إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. وأوصي الجميع من أبنائي وإخواني وأحبائي وإياي بتقوى الله الكريم الديان في السر والإعلان، وأسألهم صالح الدعاء لي ولأشياخي وآبائي وأبنائي وإخواني ولمن في الله تعالى أحبني ووالاني، والحمد لله رب العالمين هـ.

وخرجنا من القدس الشريف ضحى يوم الأربعاء الثالث والعشرين، وما كنا عزمنا في ذلك اليوم على الخروج في ذلك اليوم إلى أن بعث إلينا القاضي النفاتي المتقدم ذكره، وقال: إني وجدت رفقة مأمونة وهي تيسير لنا، فاعزموا على المشي، فودعنا الشيخ عمر، وخرج معنا أصحابنا إلى خارج المدينة، وودعنا القاضي ودفع كراء الدواب التي ركبناها إلى الخليل من عنده، وكتب كتاباً إلى نائبه في مدينة الخليل عليه السلام يوصيه بنا، فسرنا في حفظ الله تعالى، ومررنا بالجوابي التي يأتي منها الماء إلى المسجد الأقصى، وهي جوابي عظيمة في غاية السعة لم أرَ أوسع منها، وهي ثلاثة متوالية يجتمع فيها الماء من عين هناك حتى إذا امتلأت ذهب في قنوات محكمات تحت الأرض إلى أن يدخل المسجد، ولم نجد فيها في هذه السنة إلا قليلا من الماء لقلة الأمطار، فغارت العيون، ثم مررنا ببيت لحم وزرناه من بعيد، ولم نزل نسير يومنا في ارتقاء وانخفاض بين غياض ذات أشجار مختلفة من شجر البادية، وعلى يميننا ويسارنا قرى إلى أن دخلنا مدينة الخليل قرب العصر، وأنزلنا قاضيها نائب قاضي القدس ببيت في جوار المسجد، وقام بالواجب جزاه الله خيرا، واسمه الشيخ عثمان، وهو تركي، فتوضأنا هناك ودخلنا المسجد للصلاة والزيارة، فزرنا قبر خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبور بنيه الكرام، سيدنا إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وقبور أزواجهم، والقبور كلها في مغارة تحت أرض المسجد، وفي المغارة طاقة مفتوحة في وسط المسجد مثل البئر قد علقت فيها مصابيح توقد ليلاً ونهاراً، وفي أرض المسجد شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور من ديباج في مقابلة قبور الأنبياء التي في المغارة، إلا قبر يوسف عليه السلام فإنه في آخر المسجد في ركنه الغربي في محل يغلق عليه ولا يفتح إلا في أوقات مخصوصة، واقتحمنا دخول المسجد اقتداء بمن جوز ذلك من العلماء ورخص فيه، وإن كان كثير من أئمتنا المالكية قد شددوا في ذلك النكير وقالوا: لا يحل دخوله لأن قبور الأنبياء مقطوع بأنها هناك، ولا نعلم أعيانها، فكل محل يطأ فيه يمكن أن يكون هو موضع القبر، ولا يحل الجلوس والمرور على قبر مسلم، فكيف بقبر نبي، ولكن العمل منذ افتتحت البلاد على خلاف ذلك، فقد صار ذلك المحل مسجداً تقام فيه الجمعة والجماعات على مر الأعصار، والعلماء الأخيار يفدون عليه

ويسمونه في تآليفهم وأسمعتهم مسجداً، وحكم المسجد لا يمنع أحد من الدخول فيه، وقد استدل لجواز الدخول فيه الحنبلي مؤرخ القدس بما يطول ذكره.

وممن لقيته بمدينة الخليل الفقيه الراوية المسن المسند يوسف القاسمي الجنيدي من ذرية أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه فسمعت عنه من أول الصحيحين، وأجازني بأسانيده، وستأتي عند ذكر الإجازات.

وممن لقيته بحرم الخليل صاحبنا الأبر، الفقيه الأطهر، الشيخ إبراهيم ابن شهاب الدين المرواني، وهو من فضلاء ذلك البلد، له ديانة ومروءة وأخلاق حميدة، ومشاركة في العلوم الشرعية، وهو ممن صحب شيخنا القشاشي وانتفع به. كتب إليه الشيخ عبد القادر الغصيني يوصيه بنا، فقام معنا أتم قيام، فجزاه الله خيراً، وله بيت في صحن المسجد فيه كتبه يأوي إليه عامة يومه. ولقوة إنصافه رضي الله عنه استجازني بعدما سمع مني ما تيسر، فكتبت له إجازة مشتملة على نظم ونثر لأنه أطلعني على إجازة الشيخ المقري لوالده، وهي نظم، فعلمت أنه يحب الكتابة على ذلك المنوال، وهذا نص الأبيات التي كتبتها في الإجازة:

[وافر]

أجزتُ بكل ما أرويهِ طُرا ... وما صنفتهُ نظما ونثرا
وما لي من مجَاز عن شيوخي ... بمكة أو بطيبةَ أو بمصرَا
وما أرويهِ عن عُلماء قطري ... شيوخ الغربِ ما أزكاهُ قطرا
من المعقولِ والمنقولِ مما ... قرأتُ أو سمعتُ الغيرَ يقرا
حديثًا أو تصَوفا أو كلاما ... وتفسيرا وفقها فهْو أحْرا
ونحوًا أو عرُوضا أو سواها ... فيروي إن أحاطَ بذلك خبْرا
أبا إسحاق إبراهيم أكْرم ... به حبرا يفوقُ البحرَ حبرا
على الشرطِ الذي شرَطوا وإني ... أزيدُ له شروطا ثم أخرى
صفا قلب وإخلاصا وأيضا ... دعاء لي بحيث قرا أو أقرَا
وأشياخِي الذينَ رويتُ عنهم ... كثيرٌ لم أطقْ للكل حصرا

لم أذكـــــرهم نظمـــا ولكــــن | سأذكرُ بعـضهم مـــن بعـد نثْــرا
صــــلاةُ الله تمـــلأ كـــل كَـــون | وخـــيرُ ســلامه عـــشرا فعــشرا
وألفــــا ثم ألفــــا في أُلـــــوف | على الهادي ختـام الرسْـل تتْــرا
وأصـــــحاب فتـــــابعِهم وآل | فتـــابع تـــابع فلــــهم جـــرا
يعـــود علـــيَّ منـــها كـــل نفــع | ويعظـــمُ لي بهـــا الــــرحمنُ أجـــرا
ويجعـــل لي بهـــا وأخـــي المُـــسمى | خـــلال الـــنظم في عـــدن قفـــرا
ويعظـــم خيرُهـــا فيُــصيب كـــلا | مـــن الأهلـــين والإخـــوان طـــرا
وكـــل المـــسلمينَ وكـــل هـــذا | يعـــد مـــن عطـــاء الله نـــزرًا

وصاحبنا هذا ممن يتولى الإمامة في مسجد الخليل، ويقيم مجلس الذكر فيه في أدبار الصلوات كما هو عادة أهل تلك البلاد كلها[1]، فقد استبدلوا من مجـــالس العلم بمجالس الذكر، فقلما يخلو مسجد من مجلس ذكر برفع الصوت والجماعات والإنشادات على هيئة سماع الصوفية، إلا أن متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا، فقلَّ بذلك العلم في هذه البلاد والسواحل الشامية كلها، بقياس ما لم أر منها على ما رأيت، وبأخبار من رآها من الواردين، وقد سمعت صاحب الترجمة يختم مجـــالس الذكر هو وأصحابه بقصيدة فيها التوسيل بخليل الله تعالى نظمها لـــيس حـــري بذلك، ولكن نية صاحبها بالغة إلى أن صارت تقرأ في ذلك المكان المبارك، وقـــد منَّ الله علي في بعض أيام الإقامة هناك بإنشاء قصيدة تضمن ما في تلك وزيـــادة امتدحت بها خليل الله، وتوسلت إلى الله به وببنيه الكرام، وتضرعت إلـــيهم بمـــا أرجو من الله قبوله ببركتهم، فكتبتها له وتركتها عنده عسى أن ينالها من بركات أولئك السادات ما نال تلك القصيدة، فتقرأ في ذلك المشهد العظيم، فيسعد بذلك منشئها سعادة عظيمة، وهذا نص القصيدة المذكورة[2] التي أنشأها:

[طويل]

---

(1) ساقط ن ط.
(2) ساقط ن ط.

ألا يــا خليــلَ الله جئتــكَ زائِــرا أجوبُ الجبالَ السود نحوك سَــائِرَا
يقود بيَ التوفيقُ والـــشوقُ ســائق إليك فلو أســطيعُ جئتــك طــائِرا
وقد كنتُ قدْما أرتجي الوصلَ ها أنا بذاكَ بحمــدِ الله أصــبحتُ ظــافِرا
وقفتُ بباب الجودِ ببابــكَ خاضــعا ذلــيلا مُنيبــا حامــدا لله شــاكرًا
مددتُ أكف الفقرِ نحوكَ حاشَ يــا أبا الرسْل عنكَ أن تُــرد خَواســرا
وأنت الذي سَن القِرى ودعا الورى لأم القُرى لمــا امتثلــتَ الأوامــرا
فيا فوزَ عبدٍ قــد أجــابَ نــداءكم وجاءَ لِحج البيتِ يــسْعى مُبــادرا
وأدى به النسكُ الذي قد شــرعتهُ ولبّى وطــاف ثم جــاء المــشاعِرا
ومن بعدهِ زارَ ابنك المُصطفى الــذي لــه جمــعَ الله العظــيمُ المــآثرَا
وفضلهُ قطعاً على الرسْــل كلــهم وأُرســلَ للــدينِ الحنيفــي ناشِــرا
وبــيَّنَ أعــلام الحنيفيــة الــتي شرعْتَ فعادَ باطنُ الــدين ظــاهرا
محمـــد المحمُـــود حيـــا وميتـــا وأحمــد المبعــوث للــذين ناصِــرا
وأول رسْـــلِ الله طـــرا نبـــوءة وإن كان في الأرسالِ قد جاء آخرا
عليـــهِ صـــلاةُ الله ثم ســـلامُه يَعُمان آصــالَ الــدنا والبــواكِرا
ومن بعــدهِ يــأتي إليــك مُــؤملا نداكَ أبا إســحاق للكــسرِ جــابرا
يُمرغ في أعتــابِ بابــكَ وجهــهُ وبابُ بنيــكَ الأكــرمينَ الأكــابرَا
ويــضرعُ فيــه بكــرةً وعــشية حقيرًا ذليلا خاملَ الــذكرِ صــاغرًا
لتنظــرَ فيــه نظــرة تُبلــغُ المنــا وتهدي طريقَ الرشد من كانَ حــائرا
وتــشفعُ للــرحمنِ فيــه لعلــهُ يُجللهُ عفوا عــنِ الــذنبِ ســاتِرا
ويمنحــهُ علمــا وخلقــا مُهــذبا ويلبسهُ ثوبا من الــشوبِ طــاهرًا

ويلهمــــهُ بعــــدَ الغوايــــةِ رشــــدهُ ويجعلــــهُ بَــــرا وإن كــــان فــــاجرا
فإنــــكَ عنــــد الله أعظــــمُ شــــافِع متى تدْعُ أو تشفَع تشفع بــــلا مِــــرا
وأنــــتَ خليــــلُ الله أولُ مــــن قَــــرا ضيوفا وقد أصبحتُ ضيفكَ حاضِرا
وإن قرايَ أن أُجــــابَ بكــــل مــــا طلبتُ من المَولى وإن كنــــتُ آثــــرا
وإني لأرجــــو أن يكــــونَ قــــراكمُ على قدركم حتى يعــــم الــــذخائِرا
وأما إذا كان القِرى منــــك ســــيدي على قدر هذا العبد قد عادَ خاسِــــرا
أجــــرني وإخــــواني وكُــــل أحــــبتي وأهلي وأبنــــاء العبيــــد الأصــــاغرا
فــــإنيَ عبــــدٌ مــــستجير بكــــم ولا يُضامُ لكم جَار وإن كــــان جــــائرا
وبالباب عبدُ الله ضــــيفكَ فالتفــــتْ إليــــهِ التفاتــــا للمواهــــب عــــامِرا
تُنلــــه بهــــا قلبــــا مُنيبــــا مقارنــــا لسانا مــــدى الأوقــــاتِ لله ذاكــــرا
وإحضار قلب في العبــــاداتِ كلــــها وعمْرا طــــويلا بالمعــــارفِ عــــامرا
وعافيــــة مقرونــــة كــــل لحظــــة بعفــــو يكــــون للمــــآثم غــــافِرا
ويَــــسرْ إلهــــي كــــل أمــــر يرومــــهُ لعبــــدكَ تيــــسيرًا يزيــــلُ الــــضرائرا
وهيئ لــــه رشــــدا ولطفــــا مُقارنــــا لــــه ثاويــــا في أهلــــهِ أو مُــــسافرا
وكنْ راضيا عنه وحَببْ لــــه الــــذي يُرضيك واجعله على ذلــــك قــــادرا
ووفقهُ للخــــيراتِ واخــــتمْ حياتــــهُ بخــــير إذا حَــــل الفقــــيرُ المقــــابرا
بجاهِ الخليل المُجــــتبى وبنيــــهِ والــــ رسولِ الذي نالَ المدى والمَفــــاخرا
محمــــد الهــــادي الحبيــــب علــــيهمُ صــــلاةٌ وتــــسليم يــــنيرُ الــــسرائرا

ثم ارتحلنا من مدينة الخليل عليه السلام يوم السبت الــــسادس والعــــشرين، واكترينا حميراً لركوبنا من المكان الذي أكرى لنا من القدس، وكان فيه حــــسن

خلق، ولم نخرج من فناء المدينة حتى متع النهار[1] جداً، وكنا ننتظر رفقة معها عدة فرسان لنسير معهم لأن المحل مخوف، وغالب أهله متلصصون، وقد أخبرنا بعض من سافر معنا من أهل البلد بعد ذلك أن جماعة من متلصصي ذلك البلد جاؤوه وقالوا له: وافِقنا على سلب هؤلاء المغاربة، فإذا شلحناهم[2] أخذنا نحن الأمتعة وأخذت أنت ما معهم من الذهب، وشلح في لغتهم بمعنى سلب، والمغاربة في أقطار المشرق كلهم متهمون بالذهب ولو كان أحدهم ذا أسمال خلقة، ولولا أن صاحبنا الشيخ إبراهيم المرواني كان أكد كثيرا على كل من سافر معنا من أهل البلد وقال لهم: لا يخلص إليهم[3] بسوء إلا إن عمكم، لباعونا وأكلوا أثماننا، ولكن الله سلم.

وسرنا بقية ذلك بين غياض وتلول وقرى إلى أن نزلنا بعد العصر بقرية يقال لها بيت حيرين وفيها قلعة فيها بعض العسكر، وبتنا بها وأضافنا أهلها، وفي الغد ارتحلنا منها ضحى وفارقنا الجبل واستقبلنا أرضاً جرداء ذات مزارع وخصب كثير، وسرنا فيها بقية يومنا خائفين من العرب لأنهم يغيرون في ذلك المحل لما وقع بينهم وبين باشة البلد كما قدمنا. ونزلنا قرب المغرب بقرية يقال لها السوافر، وأضافنا أهلها ضيافة حسنة، وأدخلونا دارا خوفا علينا من إذاية السراق، وفلاحة بلاد الشام كلهم أهل كرم وصدق ووفاء خلاف فلاحة مصر.

ثم ارتحلنا بعدما صلينا الصبح وسرنا خائفين إلى أن قربنا من مدينة غزة، فلقينا هناك بيرقاً معه خيل كثيرة خرجت من عند الباشة لغزو العرب، فاطمأنت قلوبنا وحصل لها الأمن، فدخلنا غزة قرب الظهر، ونزلنا بمحلنا الأول من رباط الشيخ عبد القادر الغصيني ووجدناه (قد خالفنا إلى القدس مع أكبر أولاده لغرض لهم عند قاضي البلد)[4]، وكانوا يرون أنهم يدركوننا هناك لنتوسط لهم عنده فلم يقدر ذلك، وقد أظلم علينا الجو لما لم نجده هناك، فإنه كان سراج هذه المدينة، على كبرها وإنسان عينها ونور بصرها، إلا أن الله تعالى بلطفه أنس وحشتنا ونفس كربتنا لقاء شيخنا فقيه البلد وابن فقهائها وكبيرها وابن كبرائها المشارك في فنون من العلم، المتخلق بأخلاق ذوي النهى والحلم، الشيخ عمر بن عبد القادر

---

[1] متع النهار: ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال: لسان العرب: متع.
[2] شلح: شُلّج فلان: إذا خرج عليه قطاع الطريق فسلبوه ثيابه وعروه: لسان العرب: شلح.
[3] في ط: لهم.
[4] ساقط من ط.

المشرفي، وكان يتعاهدنا بقِراه كل يوم، يبعث به إلى محلنا لما علم غيبة شيخنا الشيخ عبد القادر، وأنا في خلال ذلك لا أفارق مجلسه ويحلني فوق ما أستحقه من الإجلال، ويفاتحني بالكلام، وذاكرته في مسائل كثيرة من فنون العلم، وله في البحث قوة إنصاف وحسن تحل بالعلم واتصاف، وقد قرأتُ عليه بعض صحيح البخاري، واستجزته لي ولمن يذكر في الاستدعاء من الأصحاب، فأجاز بذلك وكتب لي خطه بذلك، وسيأتي نص إجازته لي في آخر الرحلة عند ذكرنا لإجازات المشايخ، وله في الرواية سند قوي. أخذ عن شيخ لإسلام الأستاذ المحقق الشيخ الصالح التمرتاشي بأسانيده، وأخذ أيضا عن الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الشيخ غرس الدين الخليلي ثم المدني رضي الله عنه، وأخذ أيضاً عن شيخنا شهاب الدين الخفاجي المصري رحمه الله، لقيته في رجوعي من بلاد الروم، وقرأ عليه وأجازه حسبما رأيت ذلك بخطه عنده، وقد أطلعني على تأليف له سَمَّاه الدر والعقيان في طبائع الإنسان، ذكر فيه أول نشأة الإنسان وما يعرض له من الأحوال وكيفية تنقلاته في سائر أطوار من طور النطفة فما بعده، ونقل فيه كثيراً من أقوال الحكماء والأطباء والأدباء وما يشاكل ذلك من الآيات والأحاديث إلى غير ذلك مما هو مشاكل لغرضه. وكتبت له عليه تقريضا حسناً من جملته هذه الأبيات[1]:

[كامل]

حُبُ الورى للدر والعقيانِ طبعٌ بَدا في نشأةِ الإنسانِ
لاسيما العقدُ الثمينُ منهما فيه الفصوصُ مثلث الأركانِ
فالنفسُ أميَلُ ما تكونُ لمشتهى يبدُو لها في غايةِ الإتقانِ
مثل الذي أبداهُ أوحدُ عصره مُفتي الأنامِ ووارث النعمانِ
عمر بن عبد القادر الأسمَى الذي خَضعتْ لرفعتهِ علا الأقران
لله ما أسْنى فضائلهُ وما أزكى مواصلهُ على الإخوانِ
خاضَ البحارَ زواخرا فأجاد في إخراجه الدر العظيم الشانِ
من كل جوهرة تكادُ لحسنها أن لا تُنالَ بغاية الأثمان

[1] وردت الأبيات في: نشر المثاني 2:141.

لكنـــه جـــادتْ يــدهُ بهــا علـــى طُلابهـــا مــــن جــــودة المتـــان
فأفـــادَ في هـــذا الكتـــاب وجمعـــهِ مـــا لم يُفَـــد أحـــدٌ مـــن الأعيـــانِ
وأجـــــاد في ترتيبــــــهِ وســـــياقهِ فغـــدا رياضـــا نـــاعِمَ الأغـــصانِ
من شـــك في ذا فليطـــالعْ بعـــضه تغنيـــه رؤيتـــهُ عـــن البرهـــانِ
كم فيه من حِكـــم يلـــذ سماعُهـــا ويحـــارُ فيهـــا ثاقـــبُ الأذهـــانِ
حسبي فلا أستطيع حـــصر صـــفاته ولـــو اســـتعنتُ بـــسائرِ الأوزان
لازال جامعــــهُ إمــــام يُقتـــدى بعلومــــهِ في ســـائرِ الأزمـــانِ
فجزاهُ عن إحـــسانهِ رب الـــورَى بـــالعفو والإفـــضال والإحـــسانِ

ولما طالع الأبيات طار بها فرحاً، واختال في برد الإعجاب بها مرحـــاً، ولا أقول ليست بذلك جديرة، فقد حوت من محاسن البلاغة جملة كثيرة، يعلمها كل ذي ذوق سليم إذا أنصف وقال بما هو به عليم، وقد حمله الإطراء لها والتبجيح بها إلى أن أبلغها إلى مجلس الأمير، وكانت له ماسة بالطلب وخبرة ببعض أســـاليب الكلام على ما قيل.

ولما طالت إقامتنا وجلوسنا بغزة وتعذرت السبل وانقطعت لاشتعال نـــار الفتنة بنهب الأعراب المخالفين لسائر الضواحي، وعجز الباشا عن مدافعتهم، لحقنا قلق لذلك وانزعاج خاطر خوف فوات الركب وخروجه من مصر، واستعنت في أمرنا بكل ذي رأي من أصحابنا فعجزوا، وزادني غما غيبة الشيخ عبد القـــادر الغصين عن البلد، وانتظرت قدومه فأبطأ علينا، فعلمت أنه لا ينجي إلا اللجء إلى الله والتوسل إليه بخالص أحبابه وإمام أنبيائه، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليـــه وسلم، ففزعت إلى عادتي المعروفة وسجيتي المألوفة من مدح المصطفى لما عـــودني الله تعالى عند أمداح نبيه من تفريج الغموم ونيل المطلب[1] المروم، وفي ذلك قلت في القصيدة الهمزية:

[طويل]

[1] ساقط من ط.

إذا نـــابني أمـــرٌ فزعـــتُ لمدحـــهِ   فأُعطى به خيرا وأُكفى بـــهِ سُـــوءا

ولقد تحققت عند انقداح ذلك في خاطري وجولانه في ضمائري أني ألهمت رشدي، وبلغت بحمد الله قصدي، فوقعت بيدي نسخة من بردة الإمام[1]، فتأملتها فوقع في نفسي أن لو تكلفت تخميسها، وإن كنت لا أحسن تجنيسها لما جرب من بركتها ويُمن نقيبتها، فاستخرت الله تعالى، وشرعت في ذلك بحسن النية وصادق الطوية على أسلوب عجيب ومنهج غريب، محولاً أكثر معانيها الغزلية إلى مقاصد وعظية، مع حسن التناسب والارتباط الوافي، ولزوم ما يلزم في غالب القـــوافي، فراق بذلك مدؤها عند من جمع بين الأدبين، وقضى به منشدها منتهى الأربـــين، فقلت:

[بسيط]

كادتْ دُموعي تُباري البرقَ في الظلمِ   من خوفِ ذنبِ على ظهري كالعلمِ

فقـــالَ لي لائِمـــي لـــا رأى ألمـــي   أمِن تـــذكرِ جـــيران بـــذي ســـلمِ

فقلتُ: كلا ولكن خـــوف خاتمـــة   إذ هل منا الحشا عـــن لـــوم لائـــمِ

فمـــا أبَـــالي أبـــانَ حـــي فاطمـــة   أم هبت الريحُ من تلقـــاء كاظمـــة

وكتبت من ذلك التخميس نحو الخمسين بيتا، فيسَّر الله تبارك وتعالى الأمر وتيسر لنا الخروج بعدما بلغ منا القنط كل مبلغ، وخرج من كان معنا من الحجاج ممن لهم قدرة على المشي يتسللون مع السواحل، إذ ليس لهم أمتعة يخافون عليها. وكان خروجنا من غزة يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول مع السرايا الجـــالبين للبطيخ من خان يونس، واكترينا منهم أربعة من الحمير باثني عشر فضة، ووصلنا إلى الخان بين الظهرين بعد جهد وخوفٍ كثير، فنزلنا في علية على باب الخـــان، ووجدنا الآغا علي صاحب الخان غائباً في ناحية العريش، ذهب مع الأولاق الذي جاء من اصطنبول، وكان الشيخ عمر كتب لنا كتابين مختومين بخاتم الخوجة عبد الرحمن الغصين، وهو صاحب الأوامر بغزة، أحدهما إلى الأغا صـــاحب الخـــان، والآخر إلى الأغا أحمد صاحب العريش يوصيهما علينا ويؤكد عليهما في شـــأننا،

[1] يقصد قصيدة البردة للإمام البوصيري.

وأقمنا بالخان حتى قدم صاحبه علينا وأعطيته الكتاب، فما أحسن ولا أجمل، فأقمنا بالخان ثلاثة أيام واشتد الأمر علينا أكثر مما كان في غزة، واشتغلت بما شرعت فيه من التخميس هناك، إلى أن وصلت إلى قوله:

تباركَ اللهُ ما وحْيٌ بمكتسَبٍ[1]

وكان من لطف الله بنا أن صادفنا صاحب الخان محتاجا إلى الطعام، واضطر إلى بعث إبله إلى الطينة لتأتيه بالعلوفة، فاكترينا من عنده الركوب والحملان بستة قروش، فلم يحسن الاقتضا، و لم يأت بما يرتضى.

لطيفة:

لما كان يوم الجمعة بكرت إلى المسجد بالخان وتطهرت، وأخذت المصحف العظيم أقرأ فيه، وخطر لي أثناء القراءة وأنا متفكر فيما يؤول إليه أمرنا من المسير أو التعويق، وقلت في نفسي وأنا مسترسل على القراءة، فإذا جاء الخطيب فأي آية وافق مجيئه قراءتي لها يكون فيها جلية أمري إن شاء الله، وكان ابتداء قراءتي من المائدة، ولا أظن أني أصل في القراءة إلى سورة الأعراف قبل مجيء الخطيب لأنهم يبكرون بالصلاة، فتماديت على القراءة وأنا أنتظر دخول الإمام، فلما دخل صادف قراءتي لقوله تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)[2]، ففرحت بذلك كثيراً واستبشرت بالفرج بعد الشدة، لأن أصحابنا الذين قدموا معنا من القدس ذهبوا كلهم و لم يبق إلا ثلاثتنا، فكان الأمر كذلك والحمد لله فقد تيسر لنا الخروج آخر ذلك اليوم و لم يقع لنا بحمد الله تعويق بعد ذلك.

لطيفة:

لما قدم الأغا علي صاحب الخان من العريش وأعطيته المكتوب الذي كتب الشيخ عمر، و لم يهتبل بذلك، ورأيته في خلال كلامه يحسن شيئا من العلم ويفهم

---

[1] بقية البيت: ولا نبي على غيب بمتهم: قصيدة البردة، ضمن مجموع مهمات المتون، ص: 86.
[2] التوبة: 118.

بعض مقاصد أهله، فخطر في نفسي أن لو كتبت إليه بأبيات أستعطفه بها، فزجرت نفسي عن ذلك فقلت: إنه يفتح لي التعلق بمخلوق بعد التعلق بالله ورسوله، وكنت كالمعاهد نفسه أن لا نمدح أحداً من الولاة رغبة في نواله، فانفتح لي باب من حسن التلطف في السؤال فقلت: إن احتجت إلى التوصل إلى وال في طلب نوال أو دفع مكروه التجأت إلى الله، فإن طالبتني النفس في امتداحه امتدحت أحدا من الصحابة أو أكابر الأولياء أو العلماء، فمن كان اسمه موافقا اسمه، وتوسلت إلى الله فإن اللطيفة التي وقع بها الاشتراك في التسمية ستطلب على سميه ذلك حتى يتيسر المطلوب من قبله، وكان اسم هذا الأمير عليا، فامتدحت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهذه الأبيات، فيسر الله المقصود من قبل سميه هذا في أقرب مدة، وهي هذه:

[طويل]

ألا يا أبا السبطين يا فارسَ الحرب ... ويا قدوةَ الأبطالِ في الطعنِ والضربِ

قصدتكَ يا زوجَ البتولِ وخيرِ من ... ينم لخيرِ الخلقِ بالصهر والقربِ

لتشفعَ عند الله لي فيمدني ... بيُسر وتيسيرٍ إلى بلدِ الغَربِ

فلي فيهِ أفراخٌ يعز عليهمُ ... فراقي وأخشَى أن أُعاقَ عن الركبِ

ووالدةٍ قد أوجبَ الله حقها ... يَحن لها رُوحي ويصبو لها قلبي

فيَسرْ وعَجلْ بالوصولِ إليهمُ ... وقَربْ مسيري بالمسرة يا ربي

ثم يَسَّر الله خروجنا من الخان آخر يوم الجمعة قبل[1] غروب الشمس، وهو اليوم العاشر من ربيع الأول، وسرنا ليلنا أجمع ونحن خائفون من سلابة العرب، ومررنا بالزعقنة نصف الليل ولم نترل بها، وهي قناق للقوافل، والقناق بلغتهم اسم لكل حصن تترل فيه القوافل الذاهبة من مصر إلى اصطنبول، فإن لهم منازل معلومة يترلون فيها حصون معدة لذلك يسمونها بلغتهم القناق.

وسرنا بقية ليلنا وجئنا إلى العريش بعدما أمتع النهار واشتد الحر، ونزلنا به وأقمنا بقية يومنا فيه، ولم أذهب إلى أميره أغا أحمد بالكتاب الذي كتب إليه المفتي

[1] في ط: قبل.

من غزة وقلت: وهل يفعل إلا مثل ما فعل صاحبه الذي بالخان، والعريش بلـــد كبير على ساحل البحر فيه نخل كثير وأجنة، وبه مسجد كبير وفنادق وأسواق، وهو آخر عمالة الشام وأول عمالة مصر، فقد ذكر المؤرخون في حدود مصر أنها من العريش إلى أسوان بلد بأعلى الصعيد، وذكروا في حدود الشام أنها من العريش إلى الفرات نحو مسافة شهر، وقد دخلت علينا ليلة المولد فيه، وودنا أن لو بات الجمالون فيه تلك الليلة للاستراحة واغتنام بركتها، فأبوا وارتحلوا بنا بعد صـــلاة العشاء من تلك الليلة الشريفة، وسرنا ليلنا أجمع سيراً حثيثاً في سباخ ولـــيس في الطريق حجر ولا شجر، وكان عديلي في شق المهية شهاب الدين المصري الذي لقيته بالقدس، فكنت أقطع الليل معه بمحاورات ومذاكرات، لأنه ينتحل العلـــم ويزعم أنه فيه أوحد عصره، وكنت أعامله على حسب ما يقتضيه حاله في زعمه وأسايره فيه بسيره وأتأدب معه ولا ألاحيه، وإن تبين خطأه في المذاكرة، و لم نزل كذلك معه حتى افترقنا في دمياط وكانت تلك الليلة من أشد الليالي التي سرناها في تلك الطريق، فلم ننزل حتى طلعت الشمس فنزلنا في موضع يقال له الجونيـــة، ولا ماء به، وفيه رسم قرية داثرة، وهو رأس ثلاثة برود من العريش قطعناهـــا في ليلة واحدة. ثم ارتحلنا منه قبل الزوال وجئنا إلى محل يقال له أم الحسن عند العصر، وهي من المنازل المعروفة عند الجمالين لأنها نصف الطريق بين العريش وقاطية فإنها رأس أربعة برود، وبين البلدين ثمانية برود، وعند أم الحسن هـــذه أثـــر عمـــران خراب، وفيها ماء مالح لا يكاد يُساغ، وقد تجاوزناها و لم نبت إلى موضع يقال له رأس الدروب، نزلناه عند المغرب وارتحلنا منه في النصف الأخير من الليل ونحـــن خائفون لأنا وجدنا حلة من العرب نازلين في تلك الرمال، وجئنا إلى بئر العبد مع الفجر وتجاوزناه، و لم ننزل إلى قطيبة، وجئناها عند الزوال، وعندما قربنـــا منـــها أنزلنا المكارون عن الإبل لئلا يؤخذ منا غفر، وكانوا أخبرونا أن لا غفر علينـــا، ولأجل ذلك تغالينا في الكراء وقصدنا المسجد، وهو على طرف البلد، في هيئـــة الصعاليك نحمل بعض أمتعتنا على ظهورنا، ودخلنا المـــسجد واضـــطجعنا فيـــه للاستراحة، فلم يرعنا إلا خادم الكاشف جاء يطلبنا، و لم أدرِ لماذا، فمررت معه إلى أعوان الكاشف، فطالبوني بالغفر، فقلت له: إني اشترطته علَى الجمالين، وأنكر الجمالون ذلك، فلم يسمع مني، ودخلت إلى الكاشف في محله الذي هـــو فيـــه، فوجدت بيده سبحة يديرها، فقلت: عسى أن أصادف عنده فرجا، فإذا أقسى من جلمود، وقال لي: هذا مال السلطان لا يمكننا ترك شيء منه، وإن اشترطت أنت

شيئاً على الجمالين فخذه منهم، فلما أيست من خيره وخيرهم دفعت لهم أربعة قروش غير ربع بعدما هددونا بالحبس، وطالبوني بالغفر عن رجل من أصحابنا كان يخدمنا، فتعللت لهم بأنه فقير ليس عنده ما يعطي، فأدخلوه الحبس و لم يخرج منه حتى دفعت عنه ما ينوبه من الغفر، وبتنا تلك الليلة في نكد عظيم وغم أليم لما فعل بنا ولحقنا من المذلة والإهانة، و لم نعهد مثل ذلك قبل هذه الواقعة، ونزلنا هناك تحت أثل عظيم قريباً من البلد إلى أن كان بعد العشاء بقليل إذا بضجة في البلد وقالوا إن العرب جاؤوا لقتال الكاشف بسبب محبوس منهم كان عنده، فنقلنا حوائجنا من ذلك المكان إلى المسجد خوفاً علينا وأغلقناه على أنفسنا، وكنت قبل ذلك شرعت في قراءة أسماء يدعى بها على الظالم لما لحقنا من ظلم ذلك الكاشف وأعوانه، وأقبلت على تلاوتها بجد وجمع همة، فلما وقع من الضجة وأدى الحال إلى أن خفنا على أنفسنا أقلعت عما شرعت فيه وتركته وأعرضت عن ذلك خشية أن يترل به من عقاب الله ما يعمنا وإياه.

وبتنا في المسجد على حالة وجل إلى الصباح، فلما أردنا الخروج من البلد قرب الظهر أخبرونا أن من لم يأخذ معه كتابا من النصراني القابض بأنه قد دفع الغفر لا يتركه أهل الطينة[1] يدخل البلد، فذهبنا إلى النصراني القابض، فبعث معنا غلاما له إلى مشيد الطينة وهو اسم لمن يتولى القبض في الطينة، وكان حاضراً هناك في البلد إذ ذاك، وقال له إن هؤلاء قد أنقدوا ما عليهم فلا تتعرض لهم، وحينئذ ارتحلنا من قطيبة فلما خرجنا من البلد اعترضنا خيل أخرى وقالوا لنا: لا بد أن تؤدوا لنا غفر الطريق من هنا إلى الطينة فإن أمامكم بالرمانة عرب إن لم تؤدوا إلينا درهما لكل راكب سلبوكم، فأدينا ليهم. فسرنا بقية يومنا في رمال كثيرة، ومررنا ببلد الرمانة وهي ذات نخل كثير قد غلب الرمل على أكثرها فترى النخلة السحوق قد رسيت في الرمل حتى لا يظهر إلا جريدها، وهي مع ذلك في غاية الاخضرار والنعومة كأنها في أطيب تربة وأعذب ماء، و لم أرَ مثل نضارتها في جريدها واحمرار ثمارها واصفرار قنوانها، فتجتمع من تلك الألوان الناعمة هيئة عجيبة تسر الناظرين، ووقفنا هناك حتى صلينا العصر وشربنا من ماء فيها عذب، وسرنا و لم نصل إلى الطينة حتى قربت العشاء، ونزلنا بمسجد هناك مبني على ساحل البحر المالح يضرب موجه حيطانه، وبتنا فيه إلى الصبح، وجاءنا أعوان

---

[1] الطينة: بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر: معجم البلدان: الطينة.

واليها يفتشون أمتعتنا هل فيه شيء من تجارة تُعطي عليه المكس، فلم يجدوا عندنا إلا قربتين جئنا بهما من بلد الخليل، فأعطينا عليهما درهما أو درهمين، فما أكثر المكوس بهذه السواحل وأقل العوافي، فلا كثر الله في بلاد المسلمين أمثالها، وعجل على ولاة الظلم بها بسبب أفعالهم وبالها آمين، و لم نبت في الطينة إلا ليلة واحدة، وهي قرية خبيثة لا دنيا بها ولا دين، وليس فيها ماء إلا ما يؤتى به في القوارب من سواحل النيل على مسافة يوم أو أزيد، وطلبنا فيها مركبا من دمياط فلم يتيسر لنا إلى الظهر، فاكترينا فيه بثلاثة فضة لكل واحد منا، وركبنا فيه في بحيرة من البحر المالح قد دخلت إلى ناحية البر كثيراً، وسرنا فيها بقية يومنا إلى الليل، وفي تلك البحيرة كثير من صيد البحر، وقد رأيت فيها الدابة المسماة عند البحريين بالدنفيل، ويقولون هي خنزير البحر، كبيرة الخلقة جافية تأتي إلى قرب المركب، وسرنا ليلنا أجمع فلما طلعت الشمس بدا لنا ساحل دمياط، و لم نصل إلى مرساها إلا قرب الظهر، فنزلنا بها خارج البلد، واكترينا على جمل أمتعتنا ودخلنا إلى البلد بين أجنة كثيرة وبساتين مخصبة إلى أن دخلنا المدينة، وهي مدينة كبيرة ممتدة على ساحل النيل ذات مساجد كثيرة وأسواق حافلة وخانات عامرة ومرسى عجيبة غصت بها السفن الكبار والقوارب الصغار فيها من أنواع الفواكه والثمار وصنوف الأطعمة ما لا يكاد يوجد في غيرها، وكان نزولنا بمسجدها الكبير، وهي مسجد وثيق البناء فسيح الفناء على ساحل البحر يضرب الماء في سورها، يتناول الشارب والمتوضئ الماء بيده من البحر وهو جالس في باب المسجد، وفي المسجد طائفة من الطلبة يقرؤون ويدرسون على هيئة ما في الأزهر، ولقيت بهذا المسجد الشيخ المدرس العالم العامل المحدث الراوية الشيخ عبد الله بن محمد السديري، وحضرت تدريسه بعد العصر في سيرة شيخه إمام المحدثين الشيخ علي الحلبي، وقرأت عليه أوائل البخاري ومسلم، وقرأت عليه الفاتحة، وأجازني وسائر الجماعة المذكورين في الاستدعاء، وسيأتي بقية خبره عند ذكر الإجازات.

وبتنا بالمسجد تلك الليلة، وكانت ليلة الجمعة، وأحيا أهله الليل كله بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك دأبهم في كل جمعة، فلما أصبحنا ذهبت لأنظر مركبا في المقايسة فإنهم يسافرون إلى مصر في كل جمعة ويوم اثنين، و لم أزل أضرب يمينا وشمالاً إلى قرب الظهر حتى لغبت[1] ودخلت أكثر جهات

---

[1] لغب: أعيا أشد الإعياء: لسان العرب: لغب.

المدينة، فلما صلينا ظهر يوم الجمعة خرجنا إلى المرسى فوجدنا قياسة صغيرة تسافر إلى منية عمرو، واكترينا منهم بثلاثة فضة لكل واحد، وسافرنا بعد الصلاة من دمياط، وسرنا بقية يومنا إلى العشاء وبتنا في بلدة قرب فارس كور، وهي مدينة كبيرة على ساحل النيل. وفي الغد سافرنا ومررنا بقرى كثيرة ومدن عديدة على ساحل البحر منها مدينتان إحداهما تسمى رأس الخليج والأخرى تسمى السرو متقابلتان وبينهما قتال على ما أخبرونا في غالب الأوقات، وسرنا يومنا إلى العشاء ومررنا بشربين وغيرها من المدن، وبتنا بإزاء قرية، وفي الغد جئنا إلى منية عمرو عند الزوال يوم الاثنين العشرين من ربيع، والله يسهل الطريق وييسر الرفيق، ويمن بالتوفيق ويزيل التعويق، بجاه كل نبي وولي وصديق.

وفي هذا اليوم مررنا بقرية، وأخبرنا النواتية أن كل من قال لهم أبو الحسن هل هو هناك ؟ شتموه وضربوه ويتأذون بذلك، وأنهم لا يتسمون بهذا الاسم ولا يذكرونه، وسبب ذلك قصة شنيعة، وقد ذكر لهم بعض النواتية عند مرورنا بهم ذلك، فجعل بعضهم يشتمنا وبعضهم يرمينا بالمدر إلى القياسة، وقد مررنا بامرأة منهم فقال لها صاحب المركب: يا حرمة أبو الحسن هل هو عندكم؟ فقالت له: هو عند امرأتك يؤنسها أيام غيبتك. ومررنا بقرية أخرى يتأذون بكلمة أخرى ولا أعلمها الآن.

ولما نزلنا بالمنية، وهي مدينة كبيرة فيها مساجد وخانات لم نجد بها مركبا يسافر، وضاقت صدورنا خوف التعويق، وسألنا هناك بعض من جاء من مصر، فأخبرونا أن الركب عازم على الخروج من مصر، فأقلقنا ذلك، وقد رأيت بهذه المدينة المشعوذ المسمى بو لهوان، وهو صبي صغير دون البلوغ قد ركب حبالاً على أعمدة وهو يمشي فوقها بقبقاب من حديد، فرأيت أمراً عجيباً وصنعاً غريباً ما رأيته قبل ذلك، ولما اشتد غمنا خشية التعويق أخرجت أوراقي ودخلت إلى المسجد، وكان على ساحل البحر، لأكتب شيئاً من تخميس البردة، فبينما أنا كذلك إذ سمعت مناديا ينادي: يا ماشي لمصر. فخرجت، فإذا بمركب كبير جاء من المحلة الكبرى ذاهبا إلى مصر، وهم يريدون من يحملونه معهم، فاكترينا منهم بثلاثة فضة لكل واحد، وقلت لأحد النواتية: انظر لنا محلا يخصنا ولك عندي قهوة، ففعل، وكان جلوسنا بموضع بإزاء نصارى في المركب، ولم تحصل لنا منهم إذاية ولا حصلت لهم منا إلى أن افترقنا بخير، وكان المركب جيدا ركبنا فيه قرب

الاصفرار وسرنا إلى قريب من الثلث الأول من الليل، ونزلنا وخرجنا إلى البر، ونمنا نوما قليلا إلى قريب من نصف الليل، فأقلعوا وسرنا بقية ليلتنا، وطاب الهواء آخر الليل وسائر اليوم، ومررنا أول ذلك اليوم بقبر الشيخ داوود الأعزب، وقرأنا له فاتحة، وذلك دأب البحرية كلما مروا بقرية فيها قبر رجل من الصالحين قرأوا له فاتحة، ومررنا بموضع يقال له كرش البقرة قد اتسع البحر فيه عرضا وبعد عن العمران فصارت المراكب تخاف فيه من اللصوص إن مرت هناك بليل يجتمع لصوص من ملاحي تلك النواحي فيركبون في زورق إذا جنهم الليل، فكل من استقبلوه في ذلك المحل وقدروا عليه سلبوه، وقد يسر الله علينا بطيب الهواء، فكان الخروج منه نهارا، ولم يأت وقت المغرب آخر ذلك اليوم إلا وقد أرسينا ببولاق، وهي مرسى القاهرة الكبيرة التي تجتمع فيها مراكب دمياط ورشيد والصعيد، وهممنا أن نبيت في المركب إلى الصباح، فاستخرت الله تعالى، فقوي عزمي على الخروج، وتجشمنا مشقة الخروج من السفينة بين العشاءين من الزحام الكثير من كثرة المراكب بحيث لم يتمكن لنا الخروج إلا على ظهور المراكب من مركب إلى آخر، وأصحابها يمنعوننا ويشتموننا، فلما خرجنا تعرضنا المكاسون، فلما لم يجدوا عندنا شيئا يعشر أخذوا يشتموننا، فأعرناهم أذنا صماء لأنها آخر ساعة لنا معهم، وكثيرا ما كنت أسمع صاحب المركب التي ركبنا فيها من دمياط يقول لمن في المركب إذا وقعت بينهم خصومة على مكان أو أمر غيره، اصبروا واعلموا أن السفر قصير، فنفعني الله بهذه الكلمة، وأثرت في، فكلما وقع لي في سفري أمر[1] يحرج الصدر تذكرتها[2] فيخف علي الأمر، ولقد صدق فإنما الدنيا كلها سفر لأنها ساعات تنقضي شيئا فشيئا، وما كانت ماهيته مركبة من الانقضاءات فهو أقصر من كل قصير، وإلى الله المصير.

ولما خرجنا من مرسى بولاق حملنا أمتعتنا إلى جامع السانية، وإليها يأوي فقراء المغاربة ببولاق، فأدخلنا حوائجنا فيها ووجدنا هناك بعض من نعرفه من المغاربة، فأخبرونا عن أصحابنا الذين خلفناهم وعن الركب أنه لم يخرج، فاطمأنت نفوسنا، وفي الغد اكترينا حمارين بنصف فضة لكل واحد، وركبت أحدهما وحملت على الآخر أمتعتنا، وجئنا إلى الأزهر بعد طلوع الشمس،

---

[1] في ط: شيء.
[2] في ط: تفكرتها.

واجتمعنا بأصحابنا وبالشيخ علي الدمشيتي، وطلبنا بيتاً للكراء فليم يتيسر لنـــا، وهممنا بالقعود في المسجد لقرب الوقت، فلم يخف علينا، فيسر الله لنا بيتا بسطح المسجد في الركن الشرقي، واكتريناه بثمانية فضة، وهو ضيق غاية، إلا أنا أدخلنا فيه حوائجنا، ولا يفارقه أحدنا ليلاً ولا نهاراً، وكنت أنا أبيت في المسجد إلى أن احتلمت فيه ليلة فشق ذلك علي، ولم أبت فيه بعد ذلك، ثم أخذنا في تهيىء أمر السفر وشراء الإبل، ولم يتيسر لنا لقاء المشايخ إلا القليل، منهم الشيخ الميمـــوني ترددت إليه مرارا وسمعت عليه أوائل كل من أبي داوود والترمـــذي والنـــسائي والموطأ. ومنهم الشيخ سلطان، وسمعت عليه حديثاً واحداً من أول البخاري، وقال لي: أجزتك بالبخاري ومسلم، وانتهرني لضيق خلقه الذي جبل عليه، فعفا الله عنا وعنه، وقد كان من أفذاذ الرجال علماً وعملاً وزهادة، إلا أن شكاسة أخلاقـــه غطت على ذلك ومنعت كثيرا من الناس عن الانتفاع به، وقد ضاق صدري من انتهاره حتى كدت أن أجاوبه، فعصمني الله تعالى، مع أني ما قدمت على ذلـــك حتى استأذنته فأذن، إلا أني قلت له: أقرأ حديثا أو حديثين؟ فلما سمع الحـــديث الأول من البخاري ظن أني أريد أن أقرأ الحديث الذي بعده الطويـــل في بـــدء الوحي، فنهر[1]، وقال لي رحمه الله: حتى ترجع من بلادك.

ومنهم شيخنا المقرئ المحقق شيخ الإسلام الشيخ علي الشبراميلي رضي الله عنه، فما أغزر علمه وأوسع حلمه وأكثر احتماله وأجمل أفضاله، وهو والـــشيخ سلطان فارسي الإقراء وإمامي القراء بالقاهرة، وهما مع ذلك على طرفي نقيض في الأخلاق، وسمعت عليه أوائل كل من الكتب الستة وابـــن ماجـــة، وأجـــاز لي وللجماعة المذكورين في الاستدعاء بأسانيده الآتية عند ذكر الإجازات. ومنـــهم الشيخ عبد النور الشافعي من أصحاب اللقاني، أقعد فلازم بيته منذ زمان، سمعت عليه من أوائل الصحيحين. ومنهم الشيخ البابلي، سمعت عليه بعض الأربعة وبعض الموطأ وبعض مسند ابن أبي الدنيا وأجاز لي وللجماعة. ومنهم الشيخ عبد السلام اللقاني[2] أجاز لي وللجماعة وكتب لي خطه بذلك. ومنهم الشيخ أحمد البشيشي أجل تلامذة الشيخ علي الشبراميلي له قوة إدراك وحسن تصرف ومشاركة حسنة في كثير من العلوم إلى ما أعطى من سكون وتؤدة وحسن خلق، مـــا رأيـــت في

---

[1] في ط: فوجد.

[2] عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني، المصري المالكي، حافظ محدث مشارك، تـــصدر للتـــدريس بالأزهر، له ثلاثة شروح على عقيدة والده الجوهرة، توفي سنة 1078 هـــ: خلاصة الأثر 416:2.

مدرسي الجامع أعقل منه ولا أكثر تحقيقا، سيما العلوم المعقولة فهو فيها آية، قرأت عليه بلفظي دروساً من شرح المحلي على ابن السبكي، وحضرت مجالس في التصريح للشيخ خالد الأزهري يقرر تقريراً حسناً بسكون وتؤدة وتفهم وإنصاف. ومنهم الشيخ العالم العامل الناسك الورع المتقشف الزاهد المتعفف مدرس المالكية الشيخ محمد الخرشي، سمعت عليه أوائل كل من النكت الستة، وأجاز لي وللجماعة.

فهؤلاء الذين تيسر لي لقاؤهم في هذه الكرة لمزاحمة الأشغال وضيق الوقت، واستحثاث الركب للخروج، وكنت طول نهاري ذاهبا وجائيا في قضاء الأوطار وتهيئة أسباب الأسفار وشراء كتب، وقد يسر الله منها جملة اشتريتها نحو الخمسين من جملتها نسخة من الكشاف قرئت على العلامة الجرابردي، اشتريتها ليلة خروجنا بواسطة محبنا وأخينا الشيخ علي الدميتي[1] من عند رجل له تعلق بالعسكر، واشتريت من مصر فرسا أنثى جيدة لركوبي، وقل ما بيدي من النفقة، فأسلفني صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي مائة قرش حتى أبعثها له من طرابلس، فجزاه الله خيرا، ولم أطلب منه ذلك، وإنما كان هو الراغب فيه لحسن نيته، وسألته أن أشهد له بها علي، فأبى، وقلت له: أكتب لك بخطي وأتركه عندك، وحلف لا فعل شيئاً من ذلك، وأوصاني أن لا أخبر بذلك أولاده في طرابلس، وكنت رفعت له معي حوائج لأولاده، وكانت أمامنا بالقاهرة نحوا من أربع عشر يوماً.

غريبة:

قد وصل إلى القاهرة قبل خروجنا منها بأيام بريدٌ من الخاقان الأعظم ملك القسطنطينية يأمر بتزيين القاهرة سبعة أيام بلياليها سروراً بفتح مدينة عظيمة من مدائن النصارى يذكر من أمر حكايتها وفخامتها أمر عظيم منها أنه يوم افتتحها وصلت إلى يده مفاتيح ثلاثين (قلعة)[2] عظيمة حصينة كلها من عمالة تلك المدينة، وكان فتح هذه المدينة على يد الوزير الأعظم مع عساكر السلطان، وأمده التتار

---

[1] في ط: الدمشقي.
[2] زيادة من ط.

بستين ألف فارس، والسلطان يومئذ مقيم بأدرن وقد غاب في سفره قريباً من السنتين، فلما وقع هذا الفتح العظيم كتب إلى جميع بلاد الإسلام التي في أيالته بخبر الفتح ويأمرهم بالزينة وإظهار السرور، فزينت الأسواق والطرقات، وتعطل البيع والشراء إلا ما يناسب ذلك من طعام ونحوه، وأوقدت الشموع طول الليل في سائر الأسواق والطرقات، وعلقت أستار الحرير والديباج في الحوانيت، ونصبت التصاوير الغريبة الشكل في الخانات وغيرها، وتفصيل ذلك يطول. فخرجنا من مصر صبيحة يوم الأربعاء السادس من ربيع الثاني فجئنا إلى مرسى بولاق فوجدنا الزحام على المراكب، وكان مترل الركب بعيداً بموضع يسمى القطعة على مسافة يوم، فلما رأينا الزحام على المراكب اكترينا مركبا خاصا لأنفسنا بقرشين، ولم يدخل معنا غيرنا فيه خشية معرة الحجاج وسوء أخلاقهم، فركبنا من بولاق ضحى وكانت معنا في المركب ناقة لبعض أصحابنا لم تألف البحر، فكادت تغرق بنا المركب مرارا كثيرة، كلما بدا لها موج البحر اضطربت، والمركب صغير، فيميل بنا، ولم نخرج من ذلك المركب حتى عاينا بعض ما يعاينه البحرية عند هيجان البحر، فوصلنا إلى مترل المركب بالقطعة بين العشاءين، ونزلنا مع أصحابنا الفاسيين، وأقمنا بالقطعة يوم الخميس ويوم الجمعة، وكان عزمي أن أذهب مع ركب أهل الجزائر رغبة في مرافقة سيدي يحيى الشاوي[1]، وكان من فقهاء بلده ورفيقه سيدي المختار، وكان أيضاً من نجباء الطلبة فرغب في المرافقة كرغبتي أو أشد لمشاكلة الجنس ورجاء المذاكرة في بعض العلوم إن تيسر ذلك، فلما رأى أصحابنا المغاربة من أهل مراكش عزمي على ذلك جاءوني بأكابر الركب مستشفعين، فقبلت شفاعتهم وجلست، وكان في ذلك خير، فقد حمدت مرافقتهم وأحسنوا إلي وأجملوا العشرة.

ثم ارتحلنا من القطعة يوم السبت، وفي اليوم الرابع مررنا بالحوش عند الظهر، ووجدنا ركب أهل الجزائر نازلين فيه، وكان بينهم وبين المغاربة الجوانين تنافس، فلم يترلوا فيه، وسرنا يومنا وفي الغد انحرفنا يسيرا مع السبخة لأن الماء غمرها فلم يتمكن قطعها إلا من أعلاها، وبتنا قريبا منها، وفي الغد قطعناها من أعلاها من مقابلة البوصير[2]، ورجعنا إلى الاسكندرية مشرفين فترلنا خارجها عشية يوم

---

[1] أبو زكرياء يحيى الشاوي، تولى التدريس بالأزهر، ثم ولي إمارة الحاج المغربي وحج بالركب مرتين: نشر المثاني 2: 376.

[2] بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، منها بوصير قوريدس؛ ولعلها المقصودة: معجم البلدان: بوصير.

الخميس بالمحل المعروف لنزول الركب عند باب السدرة من أبوابها، وبـه ينـزل المغاربة ذهابا وإيابا نسأل الله السلامة آمين. وتقدمت أمام الركب وسرت كما أنا إلى أن نزلت بباب مشهد القطب الشهير الولي الكبير الشيخ سيدي أبا العباس المرسي ودخلت، فلما رآني خادم المشهد الشيخ باكر بن سالم عرفني، وكنت أتعجب من ذلك مع كبر سنه وطول غيبتي عنه نحو العشر سنن، وزرت الشيخ رضي الله عنه، وزرت تلميذه سيدنا ياقوت العرشي، وكان لقبه الحبشي لأنه من الحبش، فيذكر أن الشيخ قال لهم: إنما هو العرشي لا الحبشي، فجرى عليه العرشي، وزرتُ أيضاً الإمام أبا عمرو بن الحاجب رضي الله عنه في ذلك اليوم، ورجعت إلى الركب ووجدتهم قد نزلوا، ولم أزل أتعاهد زيارة الشيخ كل يوم مدة إقامتنا، وكانت سبعة أيام، وبت عنده ليلة الاثنين وليلة الجمعة التي ارتحلنا في صبيحتها.

لطيفة:

جئت يوما لزيارة الشيخ رضي الله عنه فلما جلست بين يديه وأخذت في الدعاء لي ولإخواني ومشايخي، وعندما شرعت في الدعاء لشيخنا أبي محمد عبد القادر الفاسي رضي الله عنه لحقني أمر ما كنت أعهده من نفسي قبل ذلك، وحضرني من الخشوع والأدب ما الله عالم به، حتى خيل لي أن شيخنا أبا محمد حاضر هناك، فعلمت بذلك أن شيخنا، ولله الحمد، ممن تحقق بحال الشيخ وسلك على قدمه وورث علومه، ومن علم أحوال الشيخ المرسي وأحاط خبرة بكلامه وسيرته وشاهد ما عليه شيخنا وهديه علم صحة ما ذكرنا.

غريبة:

ذهب بعض أصحابنا يوم دخولنا إلى الإسكندرية لزيارة الشيخة الصالحة الست نعيمة مستعجلين، وكانت نية أهل الركب أن لا يقيموا بالإسكندرية إلا يومين أو ثلاثة، وعندما دخلوا عليها قالت لهم: أنتم تقولون نقيم يومين أو ثلاثة، لا بد لكم من ستة أيام أو سبعة، فاستبعدنا ذلك غاية، فقلت لأصحابي: من هنا

يظهر لنا صدقها أو خلافه. فكان الأمر كما قالت، أقمنا نحن سبعة أيام، وأقـــام الركب الجزائري ستة أيام، وقد استفاض على ألسنة الحجاج كثيراً من المكاشفات منها، وقد زرتُها مرتين فلم أرَ شيئاً من ذلك، والله أعلم بحقيقة الحال، والغالـــب أنها من أهل الأحوال، وقد أخبرتنا أن عمرها مائة وأربع سنين وأربعـــة أشـــهر، وقالت: لا أدري هل أصل إلى رمضان أم لا؟ ومن جملة ما قالت لنا إنَّ الغـــرب الآن في هذا الوقت أحرش ولا تصلون إليه حتى تجدونه في خير كثير ولا وباء فيه. وقالت أيضا: إن الدولة العثمانية قد انقرضت لظلم أهلها، وأن السلطان يأتينا من وراء فاس يبطل المكحلة والكابوس والمدفع، ويمشي الذيب مع النعجة في كـــلام كثير لا أحفظه، إلا أن بعضه مصادف للواقع، وبعضه الله أعلم بمرادها فيه. وقالت لنا أيضا: إن الركب لا خوف عليه فإن أهل الشرق من أولياء الله[1] تكفلوا بـــه حتى يوصلوه إلى سيدي أحمد زروق، ومن هناك يتكفل به رجال الله من أهـــل الغرب، وما رأينا في الطريق، والحمد لله، إلا خيراً، مع ما كنا نتوقّعه من الشرور والمحن في الطريق لقلة الركب مع اختلاف أهواء أهله، والله المستعان.

ومدينة الإسكندرية من أمهات المدن المذكورة في الدنيا، وهي دار مملكـــة الديار المصرية قبل الإسلام، وبها كان المقوقس الذي كان في زمانه عليه السلام، وناهيك بفخامة ملك بانيها الإسكندر وشهرته واستيلائه على الممالك، وقد ذكر المؤرخون أخباره وأخبار بنائه لهذه المدينة وكيفية بنيانها، وأنه جعلـــها مـــدينتين أحدهما تحت الأرض، والأخرى فوقها ظاهرة، وأن الماء يجري من النيل أيام فيضه حتى تمتلئ السفلى، ويستقي من العليا من تحتهم، وآثار ذلك باقية إلى اليوم.

ومن عجائبها العمود المشهور بعمود السواري، وهو باق إلى اليوم ماثل في الهواء تحار الأفكار في صنعه، وقد زعموا أنهم كانوا قبل ذلك أربعة وفوقها قبـــة. ومن عجائبها المنارة المشهورة، إلا أنها الآن داثرة و لم يبق منها شيء، وقد سألت صاحبنا الشيخ باكر عن محلها، فأخبرني أنه في البحر، وأن البحر استولى على أكثر المدينة. قال: وقد شاهدنا الآن رسوماً بأيدي الناس فيها شـــراء دور وحوانيـــت وفناديق حول المنارة، وكل ذلك قد استولى عليه البحر الآن و لم يبق منه بقية، وقد كنت أتعجب مما ذكر المؤرخون من فخامتها وعظمها، و لم أرَ بعض البعض، فلما ذكر لي صاحبنا ذلك علمت أن البحر هو الذي أزال أكثر رسومها.

[1] في ط: أولياء الله من أهل الشرق.

لطيفة:

أخبرني صاحبنا الحاج باكر أن السلطان سليم العثماني لما دخل الإسكندرية بعد مجيئه من مصر طلع ذات يوم إلى كوم مشرف على البلاد وجاءه أهل الإسكندرية وقالوا: يا سلطان، إن بلدنا هذا قد استولى عليها الخراب كما ترى، فنريد كمال جودك أن ترحمنا وتصرف نظرك إلى عمران هذا البلد فإن مكانته من مدائن العالم معروف، فعسى أن يرجع إلى بعض حاله الأول على يدك. قال: فسكت عنهم ساعة وهو مطرق، ثم رفع رأسه إليهم وقال لهم: إن هذه البلدة قد نظر إليها الحق وقال لها: كوني كذا، وأنا لا أقدر أن أعمر ما أذن الله في خرابه، فانصرفوا عنه.

قلت: لقد نظر هذا الملك نظرة عارف، وغاص بفكره الفائق في دقائق حكمة الله الجارية في مملكته، فكأنه نظر إلى ما اشتملت عليه هذه المدينة من المرافق الدنيوية واكتنافها من أسباب العمران مع توسطها في الممالك الإسلامية، وجمعها بين الأسباب البرية والبحرية، والأجناس البدوية والحضرية، فبابها الشرقي متصل بأرياف مصر التي هي مزرعة الدنيا التي لا نظير لها، وبابها الغربي متصل ببادية برقة الفاصلة بين بلاد المشرق والمغرب، فلا بادية في الدنيا تدانيه في اتساع الأقطار وطيب المرعى وصحة الهواء، وبابها البحري مقابل لأرض الروم التي منها تجلب البضائع النفيسة، فإذا كانت بهذه الحيثية، فأسباب العمران متوافرة بها، فلا موجب لخرابها إلا إرادة الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه، فإذا كان خرابها بكلمة كن من الله فلا مطمع للعبد في عمران ما أذن الله في خرابه. ولعمري إن هذا لنظر مصيب وفكر عجيب، ولا عجب في ذلك فإن السلطان سليم رحمه الله كان معروفا بأصالة الرأي وثقابة الذهن وجودة التدبير في المملكة، وبه فخمت دولة بني عثمان، وهو المستولي على الممالك الشامية والمصرية والحجازية وما انضاف إليها من البلاد.

ومن المزارات التي زرناها بالإسكندرية قبر الإمام الجامع بين العلمين الشيخ أبي بكر الطرطوشي، رضي الله عنه، وهو من المزارات المشهورة بالإسكندرية. ولقد أخبرنا شيخنا العلامة أبو بكر السكتاني رضي الله عنه لما زرنا معه هذا

المشهد سنة ستين وألف بحكاية من كرامات هذا الشيخ. قال: لما استقر الطرطوشي آخرا بالإسكندرية وتصدى بها لنشر العلم وانتشر صيته، وشى به بعض الحساد إلى سلطان مصر في وقته، فبعث إليه (فلما وصل إليه)[1] وأراد إهانته، فدعا عليه الشيخ، فانتفخ حتى صار كالزق، فبعث إلى الشيخ يتنصل ويعتذر إليه ويطلب منه أن يدعو له، فقال الشيخ: لا أدعو له إلا أن يعطيني جميع ملكه، فأعطاه جميع ملكه، فذهب الشيخ ودخل عليه وضربه برجله فضرط الملك وزال ما به من النفخ، فقال له الشيخ: أف لك ولملكك الذي قيمته ضرطة، كيف ينبغي لعاقل أن يرغب فيه، قد رددناه عليك، فخرج الشيخ وقد عظمت مكانته عند الملك من يومئذ.

ومن المزارات أيضاً مشهد سيدي علي البدوي، رضي الله عنه، ومنها قبر الخزرجي، منسوب[2] مشهور هناك بنسبته، ولا أدري هل هو صاحب المنظومة في العروض أم غيره؟ وبإزائه قبر الإمام الفاكهاني. ومنها قبر الشيخ الصالح سيدي عبد الرزاق أجل تلامذة سيدي أبي مدين، رضي الله عنهما، وأجل من نشر طريقه بعده وأخذها الناس عنه، وقدره بين أهل الطريقة معروف. وزرنا قلعة أبي الحسن الشاذلي التي كان يأوي إليها هو وأصحابه، وهي قلعة كبيرة في سور البلد الشرقي فيها بيوت متعددة، والطائفة الشاذلية، رضي الله عنهم، إلى الآن يأتون في ليلة معلومة في السنة ويبيتون بها ويطعمون ويذكرون الله تعالى ويقرؤون ثم يفترقون من هناك إلى مثل ذلك الوقت في السنة الأخرى.

ومن المزارات قبر سيدي أحمد المناري، وهو مشهور البركة، وسبب تسميته بالمناري فيما أظن على ما أخبرني به الشيخ باكر أنه ذهب مع الشيخ المقري لزيارته وأخبره أن سبب تسميته بذلك أنه قدم البلد ومعه حمارة له، وقال لهم: أين أبيت؟ فأشاروا كالمستهزئين به إلى المنارة فقال: باسم الله وصعد بحمارته إلى أعلاها، فاجتمع الناس (إليه)[3] ينظرون متعجبين، وهذا قليل في حق أولياء الله تعالى ولست على يقين في الحكاية لطول العهد. وقد أخبرني صاحبنا المذكور أيضا أن الشيخ سيدي علي الأنصاري لما قدم الإسكندرية وزار مزاراتها فلما خرج إلى

(1) ساقط من ط.
(2) ساقط من ط.
(3) زيادة من ط.

الباب وشيعه أصحابه من أهلها جعل يمرغ وجهه في بابها ويقول لهم: ادعوا لي هنا فكم من ولي وصديق من هذا المكان. قلت: والشيء بالشيء يذكر أن الشيخ الأنصاري قد اقتبس ذلك من كلام شيخه سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي، فقد ذكر لي بعض أقاربه أنه كان يقول لهم: إذا ذهبتم لزيارة الشيخ أبي يعزى ومررتم بالطريق السلطانية التي تمر من فاس إلى مراكش فقفوا عندها واقرأوا الفاتحة، فكم مَرَّ بها من ولي وصديق. ولا شك أنه مر بباب الإسكندرية أكثر مما مر بتلك الطريق (بأضعاف مضاعفة لأنها من أول الإسلام إلى الآن دار إسلام يقصدها)[1] الواردون والصادقون من أقطار الأرض. وأخبرني أيضاً صاحبنا أن الإسكندرية كانت في قديم العصر لا توجد فيها كناسة ولا قمامة في طرقها وأبواب دورها لطلسم كان في بيت عند باب البحر مغلق، ففتح بعض الملوك ذلك البيت فوجد فيه تمثال رجل مشمراً بيده مساحة من حديد، فبطل الطلسم من يومئذ.

لطيفة:

لما دخلت مشهد الشيخ أبي العباس المرسي، رضي الله عنه، وجدت القصيدة التي بعثتها عند ذهابنا ملصقة بالجدار القبلي بإزاء المحراب، وحولها قصيدة لي أخرى كتبتها هناك سنة أربع وستين، وبإزائها قصيدة الشيخ الأديب الهمام محمد الحافظ ابن جمال الدين المقدسي القاضي بالبهنسا أمتدح بها الشيخ رضي الله عنه متوسلاً به إلى الله في قضاء مآربه لما مر بالإسكندرية قاصداً إلى بلاد الروم، فخشي معرة البحر، فكتب القصائد وألصقها هناك مع قصائدي، ولنذكرها متبركاً بأنفاس من مدح بها الشيخ رضي الله عنه، وهي هذه:

[خفيف]

ما على من أتى هُنا من بَاسِ ... لابِسا بالرجا أجَلّ لِباسِ
رافِعَ الكف خافض الطرْفِ ذُلا ... طالبَ الفيضِ من أبي العباسِ
غبت في الحُسن عن شُهود سواه ... فلذا زالَ بالفنا إحساسي

[1] ساقط من ط.

أنـــا لعَمـــري عبـــدهُ وفتـــاه لم أزلْ واصِـــلا بـــه أنفاسِـــي
أنا منـــهُ مـــدى المـــدى مُـــستمد أنا من غرسِـــهِ سـقيتُ أغراسِـــي
فضلهُ عـــم في الوجـــودِ وجـــودي وعلاني وفاضَ مـــن فـــوق راســـي
عَـــز مـــن جـــاءَ بانكـــسارٍ وذل لمقـــام بـــه تُقـــامُ الكراســـي
هـــو حَـــي بـــه[1] الحيـــاة لميْـــت لعـــلاه يـــذل صَـــعب المـــراسِ
يا مدارَ الوُجودِ يـــا أيهـــا القُطـــبُ احفظ العبدَ من أذى الأرجاسِ
جاء للبـــاب خاضِـــعا مُـــستجيرا باســـطا كـــف حاجـــة والتمـــاسِ
فـــسلِ الله أن يَقيـــهِ ببحـــر كـــل ريـــحِ مُخـــالف وعـــاسِ
واســـألِ الله أن يحلـــهُ فـــضلا بمحـــل مُشعـــشع النـــبراسِ
لا تكلـــهُ لـــصبرِ قلـــب ضَـــعيف حـــال كـــرب ولـــذة وافتـــراسِ
ها يدُ الفقـــير والتـــضرع مُـــدت لمقـــام سمـــا بحُـــسن أســـاسِ
أيها الغوثُ أنـــت غَيثـــي وغـــوْثي فاحْم من جاس للحمى مـــن بـــاسِ
أنت مَرسى بحـــر شـــرق وغـــرب مركبُ العبـــدِ عنـــد بابـــكَ راسِ
قدم العبدُ عـــرض حـــاج ويرجُـــو منك في الحـــالِ رفعـــة القرطَـــاسِ
ســـبقتني إلى الأمَـــاني أُنـــاس هم وحوشٌ على صِـــفات الأنـــاسِ
مـــس هـــام العـــلا أشـــل أيـــاد مـــا لـــهُ بالكمـــالِ أدنى مـــساسِ
إن هذا الزمـــانَ مـــا زال يـــسقي كأسَ غدر لكل مـــن هـــو كَـــاسِ
هـــل جميـــل بـــأن مثلـــي يُقاســـي كل هولِ مـــا إن لـــهُ مـــن قيـــاسِ
ولهذا الجنـــابِ أضـــحى انتـــسابي وبـــه الفخـــرُ لي علـــى جُلاســـي

---

[1] في ط: له.

أنــزل العبــدَ في ســفينة أمــن وأفرج الكرب قبل رجــفِ الميــاس
واجبر الكسر واكفهِ الأسرَ والحَـر ق والغــرق بــأر رب النــاس
وأعــدهُ إلى الــديارِ ســريعا بــالمُنى والهنــا وحفــظ الحــواس
وعليك السلامُ مــن عنــد عبــد في رحاب الوفــودِ ألقــى المَراســي
ما سقى العــرض المتــونَ رياضــا بــاهرات بفيــضها الميــاسِ
وتــلا حــافظُ الزمــانِ مقــالا ما على من أتــى هُنــا مــن بــاسِ

وله أيضاً (رحمه الله)[1] دالية وهي هذه:

[خفيف]

سَيدي ســيدي شِــهابَ الوُجــودِ احفظِ احفظْ من الهــلاكِ وجــودي
حافظ العهد مُــن لــست أنــادي أنــا واللِّــه حــافظٌ للعهــودِ
أيهــا القطــبُ أيهــا الغــوثُ إني ممن يريبــكْ بــينَ أهــلِ الــشهودِ
أنــا مــن جُملــة العبيــد لبــابِ فيه صُفتْ صُفوفُ أهــلِ الــسجودِ
أسعدِ اسعدْ ببحــرِ ســعدكَ عبــدا لم يزل منــك في مَراقــي الــسعودِ
أيها البحرُ حــافِظ الــدين أهــدي دُر فكـــرِ مُكلـــلٍ للعقـــودِ
هُو من بحركَ الــذي قــد تــسامى أيها القطبُ عن جهــات الحــدودِ
بحــركَ العــذب في المــواردِ وردي وارتــشافي مــن بحــرك المــورودِ
أجزل الله خــيرهُ طــولَ عمــري في ذهــابي وعــودتي وقعُــودي
رب عَجــلْ بجــاهِ قطبــك هــذا ما أُرجيــهِ منــك مــن مقــصودِ

وله أيضاً رحمه الله عنه سينية:

---

[1] زيادة من ط.

[طويل]

أيا سالِكا بحـرَ الحقيقـةِ والحـس ... ويا داخلا في جوفِ حوباء كالحبسِ
إذا ما خشيتَ البحرَ يومـا لهولـهِ ... وخفتَ على الحالِ النفيسِ مع النفْسِ
وأوثقتَ حبلَ العزمِ والحـزم طالِبـا ... ركوبَ الجواري المُنشئات على الأس
فلذْ بأبي العبـاسِ وانـزل برحبـهِ ... وقل يا غفيرَ البحر يا أحمد المرسـي
أغثنا أغثنـا في الـشدائدِ واحمِنـا ... من الأسرِ واحرسنا من العكسِ والنكس
وسلم بأسمـاء الـسلام وجودهـا ... من الكسرِ واحفظها من الغمس والطمسِ
وقفنا على أعتابِ فـضلكَ نرتجـي ... فِداك وعفرنا الخدودَ على الـرمسِ
لنا فيك يا قطبَ الوجُـود عقيـدة ... براهينُها في ذروة الصدق كالشمسِ
فكم لك من فـضلٍ عَمـيم ومنـة ... على راكبِ القاموس في حالة اليأسِ
على بابك المرفوع يا أحمد المُرسـي ... عُبيدكَ راجي فيضك الحافظ القدسِ
نوى سفَرا للروم من بَاب فيـضكم ... فكونوا له في اليَم كالدرع والتـرسِ
أفيضوا عليه من سحائبِ فـضلكم ... ليعلوا قهرا على النـوع والجـنس
ويسمُو على الأقران في كل مطلَب ... ويدرس أهل الحقدِ بالعلم والـدرس
فيا خالق الأرضينِ يا مُوجد الـورى ... ورب السما والروح والعرش والكرسـي
إليـكَ توسـلنا بحُرمـة شـيخنا ... وأستاذنا المعلومِ للعـرب والفُـرس
أنلنا المنى من غـير كـد ولا عَنـا ... بمصر العلا من دُون نقص ولا بَخس
وعجل بعَوْدِ العبـدِ للثغـرِ آمنـا ... من السوءِ في اليوم الجديد وفي الأمسِ
ألا يا أبا العباسِ يـا مـن لـصادق ... كبِشر وللأعداء يُعـزى إلى عـبْسِ
عرضنا بروض الصدْق في سَاحة الصبا ... فروعا وهذا الزهرُ من ذلك الغـرسِ

فرَوي بماءِ الفيض قلبا مقدسا وروضا بقدس الأنس في غاية الأنسِ
فيا سندي بحرا وبرا وعُمدتي ويا سيدا شرفتُ من مدحهِ نفسي
سفينةُ هذا العبدِ في كل حالة على بحركَ المحروس يا سيدي تُرسي
وقد حِرتُ في أمري وضاق تَصَبري وضاق عليَّ الحال في عالم الحس
وكرتْ خيولُ الهم من كل جَانب وأصبحتُ في وهْم وأمسيتُ في حدسِ
ولا علمَ لي أي المراكب سالما فأركب فيهِ سالما من ذوي الرجسِ
وأنت بعلمِ الله تعلمُ ذا وذا وتعرفُ وقتَ السعدِ من ساعة النحسِ
فعرفْ مريد الحي أي سفينةٍ يُسافر فيها سالمَ المال والنفسِ
وسلْ لي من الرحمن حفظا ورحمة فأنت قريبُ القلبِ من حضرة القدسِ
وقد قدمَ القدسيُّ حافظ عهدكم قصيدتهُ والقصدُ في داخلِ الطرسِ

هـ.

ومن المزارات بالإسكندرية زاوية لأبي محمد صالح يترلها المغاربة ولهم فيها أوقاف وفيها سلاح معلق يتبركون به يزعمون أنه من سلاح الصحابة الذين فتحوا المدينة، ولا أصل لذلك.

ومن المزارات أيضاً مصحف كبير بجامعها الكبير يزعمون أنه من المصاحف التي بعثها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الآفاق، ولا يصح نسبته إليه. ومن مبانيها العجيبة التي لا شبيه له في الدنيا حمامها الكبير فقد أثنى عليه الأطباء وذكر المؤرخون أنه انفرد في سعته وحسن شكله وفخامة بنائه عن غيره من حمامات الدنيا، وقد خرب غالب المدينة ولم يبق إلا عمارة قليلة حوله، وقد تحولت العمارة في هذه الأزمنة إلى خارج المدينة مما يلي باها البحري بينه وبين البحر، فهناك معظم أسواقها وخاناها حول المرسى. وبالجملة فهي عقيلة البلاد الحائزة للطريف من المحاسن والتلاد، عقيلة أبلى الدهر شباها ومزق جلباها، وأكل لباها، ولم يترك إلا أسوارها وأبواها فقد نبت الكلأ والعشب في أفنيتها، وعَشَّش البوم في أبنيتها، تسير فيها نصف الميل أو أكثر ماشياً ولا تلقى ذاهباً ولا جائياً،

فهي عبرة لمن اعتبر، ومزهدة في الدنيا لمن تدَبَّر، وأوفى حجة على منكري الفنـــاء الأكبر، تخبر أطلالها البالية بأخبار القرون الخالية، و لم يبقَ من غرائب آثارها الدالة على فخامة ملك عمارها إلا العمود المسمى بعمود الصواري المسالم للعوادي من آفة الدهر والطواري، وهو عمود واحد من حجر ماثل في الهواء لا يمل في أرضه من التواء، من فوقه حجر مُرَبَّع مثل الكرسي الذي تحته دورة نحو الثلاثين ذراعاً ما رأينا أعجب من طول العمود وفخامته، ومن وضع ذلك الكرسي فوق هامته أي قدرة من قدر البشر تبلغ ذلك؟ وأي حيلة أو سبب يوصله إلى هنالك يرى مـــن أمكنة بعيدة كالنخلة السحوق، وقد زاحم بمنكبه الجوزاء والعيوق، وبالجملة فهو من مباني الدنيا الغريبة ومن مآثر هذه المدينة العجيبة.

ذكر ارتحالنا من الإسكندرية متوجهين إلى المغرب في كفالة الله ورسوله وحماية أوليائه

كان ارتحالنا من الإسكندرية يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الثاني بعدما تزودنا واكترينا، وكانت رفقتنا مع ركب المراكشيين، وقد أحسنوا بنا، فجزاهم الله خيراً، ورحل ركب الجزائر قبلنا بيوم، وتخلف عنهم هناك فقيههم سيدي يحيى الشاوي[1]، (وكان معه أهله)[2] فاستهول المشي في البر، وشق عليه قطع مسافة برقة مع استقبال أيام الشتاء وشدة البرد، فاختار ركوب البحر، وكان ذلك لأمر أراده الله به، فإنه دخل إلى الإسكندرية بعد ارتحال الركب ينتظر سفر البحرية، ثم بدا له في الرجوع إلى القاهرة في تلك السنة، فلما وصلها اعصوصب[3] عليه جماعة من طلبة المغاربة بالأزهر للتدريس، فطار له صيت عند المغاربة إلى أن توصل لأرباب الدولة، فتولى قضاء المالكية وعزل عنه الشيخ عمر فكرون[4]، زاعما أنه يجور في الحكم ويداهن بأخذ الرشا، وترقت به الحال إلى أن تولى إقامة الحاج المغربي، وحج بالركب مرتين، وانتشرت القالة فيه، وكثر مادحوه، وأكثر منهم ذاموه، وكان من أذكياء الطلبة النجباء، له معرفة حسنة بعلم النحو ومشاركة في غيره، مواظب على التعلم والتعليم، إلا أن الرئاسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه، نسأل الله العافية آمين.

ثم استقبلنا بادية برقة المتناهية الأطراف المخوفة الأكناف، الضاحية الأرجاء، البعيدة الأنحاء، القليلة المرعى، المجهولة المسعى، نقطعها مراحل، ونرِد فيها المناهل في أيام الشتاء القصيرة ولياليها المستطيلة المستطيرة، نقطع المرحلة منها في يومين،

---

(1) أبو زكريا يحيى الشاوي، فقيه مشارك له حواشي على الصغرى، اشتغل بالتدريس في الأزهر، تولى إمارة ركب الحجيج المغربي وحج به مرتين، توفي سنة 1096 هـ: خلاصة الأثر 486:4. التقاط الدرر، ص: 250.

(2) ساقط من ط.

(3) اعصوعب: استجمع: لسان العرب: عصب.

(4) تقدمت ترجمته.

كأننا نسير على أجفان العين، لا نتحقق ارتفاع الشمس في الأفق إلا وقد مالت للأفول، ولا يزمع رائد الارتحال إلا وقد آن بالقفول، فطالت لـذلك المسافة، وعظمت لقلة الزاد من الجوع المخافة، طاولنا مراحلها بالتجلد فطالت، وداولنا تقصيرها بالسوْق العنيف فما حالت.

وفي اليوم السادس من رحيلنا من الإسكندرية مررنا بمورد الجميمة ضحى، ونزلنا بعيدا منها، فأصابتنا هناك سماء منعتنا من الرحيل بعدما رمناه، فتعذر بكثرة الوحل حتى تكسر بعير لدليل الركب، فأقمنا هناك يومين كأنا على الجمر قاعدون، وبسبب التعطيل مع الانزعاج متواعدون. وفي اليوم العاشر طلعنا العقبة الصغيرة، والمسافة بينها وبين الإسكندرية نحو من أربع، ولقينا هناك قافلة امتاروا تمرا من بلاد سِيوى، فاشترى الناس منهم حاجتهم من التمر، وتمر هذا البلد أحسن تمر رأيناه في بلاد المشرق حلاوة ونقاء وكبراً تشابه تمر سِجلماسة، يحملونه في مقاطف صغار من عسب النخل تسَع كل واحدة أزيد من ربع القنطار، ويبيعونها كذلك بأوعيتها، وأخبرونا أنها لا تباع في بلادها إلا كذلك، فمشتريها لا يحتاج إلى حبال للشد ولا غرائر للحمل، بل يشتري حاجته منها فيعلقها على بعيره، فمن الإبل ما يحمل العشرين فما دون.

ثم سرنا فيما بين العقبتين بمثل سيرنا الأول نرد المناهل التي ذكرناها في الذهاب، والأرض مجدبة كأنها لم تكن قبل ذلك[1] مخصبة قد أطارت الرياح ما فيها من الهشيم، ويبس أوراق الشجر بترادف البرد العقيم. وقطعنا ما بين العقبتين في عشرة أيام، وطلعنا العقبة الكبرى في اليوم العاشر، ولم يتزود الناس من الماء يوم طلوعنا، ظنا منهم أن الماء يجدونه لكثرة الأمطار وخبر العربان، فلما طلعوا لم يجدوا من الماء إلا شيئاً قليلاً في ماجل فوق سطح العقبة، فترحوه فما قارب كفايتهم. وفي الغد، وهو يوم الخميس، ظل الناس سائرين خائفين من العطش كلما رأوا نشزا[2] من الأرض الحمراء تسابقوا إليه، والخبير أمامهم وهم بأثره كأجود الخيل إلى المغرب، فلم يجدوا ماء ولا سمعوا له خبراً، ونزل الناس بعد المغرب في صحصاح[3] من الأرض لا ماء به ولا كلأ، وذهب الدليل وحده يطلب

---

[1] في ط: كذلك.

[2] النَّشْزُ والنَّشَزُ: المتن المرتفع من الأرض، وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض: لسان العرب: نشز.

[3] الصحصاح: ما استوى من الأرض: تاج العروس: صحص.

الماء، وظن به أكثر الناس السوء، وزعموا أنه قال لهم: إن لم أجد الماء فلا أرجع إليكم، وهو في ذلك مصيب، فإنه إن رجع إليهم بغير ماء قتلوه بلا شك، وبقي الناس في حيرة، كل واحد يزجر طيره ويسأل عن تفريج كربته غيره، فلما كان بعد العشاء الأخيرة جاء الخبير وأخبرهم أنه وجد الماء، فمن الناس من صدق ومنهم من كذب، وكانت معنا فضلة ماء تقسطناها شربا و لم نطبخ عشاء، وادخرنا فضلة منها لغد خوفا من عدم وجدان الماء، ولولا أن الفصل فصل برد أوائل دجنبر لهلك بعض الناس عطشاً.

فلما أصبحنا استبق الناس إلى الماء فوجدوا ما كفاهم من ماء المطر في مسيل وادي ذي أحجار لم يمر عليها الركب الذي أمامهم، فأخذ الناس منه حاجتهم وساروا.

لطيفة:

لما أصبحنا في ذلك اليوم بعثت أحد[1] أصحابنا إلى الماء مع السيارة المتقدمين، وكان معه مفتاح قيد من حديد على فرسي، و لم أشعر بذلك إلى أن طلع النهار وارتحل الناس، فتفقدت المفتاح و لم أجده، وأعيتنا الحيلة في فتح القيد إلى أن خرج الناس من المترل ويئست من انفتاحه، فلما حصل الاضطرار جاءت الاستغاثة من الملك الجبار، فحركنا الفرس فطار القيد من رجليها من غير صنع أحد، فحمدنا الله كثيراً وكبَّرناه تكبيراً، وسرنا بقية ذلك اليوم. وفي الغد منه نزلنا إلى البطنان، فترلنا في أرض سهلة مطمئنة، وسرحت الإبل قرب المترل، وعندما اختلط الظلام عدا بعض متلصصة عرب هنادي على فرس لبعض الحجاج، فركضها من فناء الخيام، فركبنا وتبعناه فلم نقع له على أثر، وحال الظلام بيننا وبينه، ثم بلغ الخبر إلى شيخ الفريق الذي هناك من الهنادي، وجاء بالليل إلى شيخ الركب واعتذر له وبعث إليها من جاء بها من أهلها، فواعدوه بكسوة فلم يوفوا له بما وعدوا، وتلك شيمة في حجاج المغاربة يكادوا أن يعاملوا بمثلها، والله يلطف بالعباد.

---

[1] في ط: بعض.

وفي الغد نزلنا ظهرا على ماجل كبير في البطنان يوم الأحد حتى سقى الناس إبلهم واستقوا وأقاموا بقية يومهم، والله الحفيظ (فهو خير حافظا وهـو أرحـم الراحمين)[1].

ثم في الغد نزلنا قرب المكان المُسَمَّى بالمدور، وهو مكان فيه مآجل للماء قل ما تخلو منه إلا في السنة المجدبة، وفيه مزارع ربما مررنا بها، وفيه زرع كأجود ما يكون.

ثم في الغد نزلنا على البسيط الذي يمر منه إلى عين الغزالة، ثم في الغد مررنا على يمين الطريق فوق الجبل المستطيل بين الطريق والبحر بماجل فيه ماء كـثير، واستقى الناس منه، ولم يمر الركب به أجمع وإنما مر به من قصده للورود، وكنت جُنُباً وكان اليوم شاتياً، فكنت أسال الله أن ييسر لي الاغتسال، فوجدت ماجلاً مهدوماً ودخلته أنا وصاحب لي، وأورينا ناراً وسَخَّنا الماء، فاغتسلت في مكـان أشبه الأمكنة بالحمام دفئاً، بحيث لا أحس بشيء من البرد مع شدته، فحمدت الله كثيرا وشكرته، ومررنا يومنا على يسار عين الغزالة، وهي ماء فيه ملوحة تسح من سفح الجبل وتصب في بحيرة كبيرة تحتها من البحر المالح يحـف بهـا القطـب[2] والعريش وأنواع النبات المادي[3]، يوجد حولها صيد كثير عند خلو البلد من كثرة المارة. وبتنا تلك الليلة في سفح الجبل المقابل لها من غربيها، ثم في الغد يوم الجمعة نزلنا على التميمي ضحى، ووجدنا ركب الجزائر مقيمين فيه، وكرهنا الـورود عليهم لأجل ما بين الركبين من الشنآن، وكانوا يتوقعون منهم فتنة، فـوقى الله شرها، ونزل ركبنا دون الوادي بنحو ميل، فلما أصبحنا ارتحل أهل الجزائر وأقام أصحابنا، وكان من أشد يوم رأيناه بردا مشوبا ببلل يشوي الوجوه، فضلاً عـن غيرها من الأعضاء، وحمدنا الله على الإقامة، ورأينا ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[4]، وهم الذين رحلوا رائين أنهم حـازوا قصب السبق بالتقدم وتحَمَّلوا مشقّة ذلك اليوم العبوس القمطرير لحظ عاجـل في

---

[1] يوسف: 64.
[2] القُطْب: القطبُ والقُطْبَة: ضربانِ من نبات، وقيل: هي عشبة، لها ثمرة وحب مثل حبِ الهَـراس: تـاج العروس: قطب.
[3] النبات المادي: الماد من النبات: اللين الناعم: لسان العرب: ماد.
[4] الأعراف: 187.

فلوات من الأرض لا يحمدهم عليه ربهم ولا أحد من العباد، نسأل الله تعالى أن لا يملكنا لحظوظ أنفسنا الزائلة، وأن لا يجعل أزمتنا بأيدي الآراء القائلة.

ولم يجد الناس ما يتسوقون في مورد التميمي، وكان معهوداً بالسوق غالباً إلا شرذمة من مُتَفَرِّقة أعراب ذلك البلد وشيخهم يدعونه سيد حسين العجل من متفقرة الأعراب، مزج تفقره بمشيخة الصرم الذي هو فيه، جلبوا إلى الركب شياها وعنزا وتيسا وكن هزالا، وبيع الزرع هناك بسبعة قروش لإردب[1] القمح، وأكثر من اشتراه عرب البلد، وأخذ الحجاج منه قليلاً، وكانت معنا قافلة لبعض الأعراب تحمل زرعاً بقصد البيع لما رأوا في العام الذي قبله من المجاعة التي لحقت الركب في برقة، وذلك الغالب على من سلك برقة في أيام الشتاء، تقصر الأيام وتكثر المراحل وتتسع الأمعاء للأكل، فلا يكاد يكفي الإنسان ما يحمله من الزاد من مصر إلا من له فضل ظهر يستظهر حملان أكثر مما يحتاج في الغالب، وقليل ما هم، وعامة الناس إنما يحملون الزاد من أرياف مصر مقسطا على المراحل المعتادة لقلة الظهر وطول المسافة، فيتضررون لذلك بزائد المراحل التي يوجبها قصر الفصل، مع كثرة العوارض المؤذية بالإقامة من شدة برد أو مطر أو عروض مخافة توجب الإقامة، وهذا عكس ما وقع لنا في الطلوع في فصل الربيع، فقد فضل للناس بعد الخروج من برقة عامة أزوادهم ولم ترزأهم المسافة منها إلا القليل حتى قال بعض الحجاج بعد الوصول إلى مصر: قَدَّر الله علينا أن نأكل الطعام بأغلى ثمن في أرض رخيصة الأسعار كثيرة الأرزاق، وذلك أنهم اشتروا الطعام من طرابلس بسعر غال، واكتروا عليه بأضعاف مما اشتروه به إلى مصر، فلم يقدر لهم أن يأكلوه إلا في مصر، فيأكلون الأكلة منه في مصر بثمن ثلاثين أكلة في مصر، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، وقد تسوق إلى الركب بعض الأعراب هناك بسلع نهبوها من سفينة تكَسَّرت في بعض سواحل البطنان، فمن الناس من اشترى، ومنهم من كف، وقليل ما هم. ومن جملة ما أتوا به للبيع مصحفا بخط مشرقي، وكتاب آخر فيه شرح منية المصلي[2] في فقه الحنفية، وهو غاية في بابه، فهممت باشترائه استخلاصاً له من أيديهم، لأنه عرضة للضياع والإهانة، ثم كففت خشية أن

---

[1] الإردب: مكيال ضخم لأهل مصر، قيل يضم أربعا وشرين صاعا: لسن العرب: ردب.

[2] منية المصلي وغنية المبتدي للشيخ الإمام سديد الدين الكاشغري، محمد بن محمد المتوفى سنة 705 هـ: كشف الظنون 2:1887.

يقتدي بي في استحلال شراء أموال المسلمين، ولغلبة الظن أني لا ألقى ربه فأرده عليه، فآثرت السلامة.

وفي الغد منه أقام الناس ثانياً لجمع ما فرضوه لخلاص الدليل ولسوى مصالح ذلك، وكان جملة ما فرضوه نحو سبعين ريالاً للدليل، منها ثلاثة عشر قيمة ناقة له تكسرت قرب الجميمة، فغرمها الحاج له تطييبا لخاطره، وعشرون منها أجرته، وخمسة عشر أعطوها لشيخ من شيوخ الركب كان قليل ذات اليد شكس الأخلاق، ومعه طائفة من أهل بلدته يرون رأيه، فكان الناس يدارون منه بعض الحد خشية افتراق الكلمة، ويعرف بابن مؤمن من أندلس مراكش، والشيخ في الحقيقة الذي لا ينبغي أن يعدل عنه عند وجوده الحاج محمد بن الحاج عمران المراكشي، فقد كانت له سراوة نفس وطيب أخلاق وحسن عشرة واحتمال مع طوائف الناس، وله سخاوة يد وعِفّة قلب عن المطامع، وآتاه الله مع ذلك سعة من المال إلا أنه ليس معه عصبية، وقسيمه الآخر في الرئاسة قد اعتضد بعصبة من أجلاف الأندلس وشياطينهم، ومعظم الناس لا يعدلون بابن عمران أحدا. ومن جملة ما فرضوا عشر ريالات للعلامين، وثلاثة للبراح[1]، وضربوا الأجرة في هذه المرة على أحمال السلع خاصة، وكان معي حمل من الكتب ولم يأخذوا عليه شيئاً ولم يطالبوا أحدا ممن ليس معه سلع، وهو أرفق بالمساكين، وإن كان الأوجه من حيث النظر ضرب الأجرة على كل الإبل لاشتراك الكل في منفعة الدليل على حد السواء لأن منفعته هداية الطريق، والدلالة على موارد الماء وأهل الأحمال وغيرها من الاحتياج إلى هذين الغرضين على حد سواء، بخلاف أجرة المجير الذي يجير الركب من اللصوص فليس خوف صاحب الأحمال والسلع الكثيرة كخوف غيره، لأن المقصود بالإذاية في الغالب هو من له أحمال وسلع، والفقير قل ما يتعرض له سيما مع وجود غيره.

---

[1] البراح: المنادي بالأخبار والإعلانات في الأسواق وما سواها: عامية مغربية.

لطيفة:

سمعت شيخنا العلامة أبا بكر السجتاني[1] المراكشي، رضي الله عنه، يقول: جرى البحث في الأزهر أيام اشتغاله بالإقراء هناك في هذه المسألة، وهي أجرة دليل الركب، هل تكون على الإبل أو على أحمال السلع أو على أصحابها؟ أو هل تكون على التابع دون المتبوع؟ قال: و لم يُوجد نص في ذلك. قال: ويمكن استخراج حكم المسألة من أصل ما ورد في حديث الهجرة من استئجار النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، رضي الله عنه، من ابن أريقط الديلي، وكان مع أبي بكر غلامه عامر بن فهيرة[2]، فهل كانت الأجرة على الإبل أو على الرؤوس؟ وعلى الثاني هل أعطى أبو بكر عن غلامه أم لا؟ قال: و لم يتحَصَّل بين المتباحثين ما يعتمد عليه إذ ذاك. قال: ثم إن الشيخ علي الأجهوري أورد هذه المسألة في شرحه للمختصر، وذكر فيها ما جرى من التوجيهات، وصير ذلك كله كأنها أقوال في المذهب مع أنه لم يوجد فيها نص في المذهب، وكان من جملة ما ينقض عليه في شرحه وهو جدير بذلك هـ.

قلت: وما ذكر من أخذ الحكم من الحديث فبعيد مما علم من حال النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، رضي الله عنه، من تصرف النبي، صلى الله عليه وسلم، في مال أبي بكر كيف شاء من دون مشاحة ولا مكايسة بينهما في ذلك، حتى تجعل الأجرة على الرواحل أو على الرؤوس، أو يحاسب النبي، صلى الله عليه وسلم، أبا بكر بما ينوب غلامه عامراً، وكلاهما في الحقيقة غلام وخادم للنبي، صلى الله عليه وسلم، وهو أيضاً بعيد مما علم من مكارم أخلاق النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا نظير ما لو قيل إن النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر تفارضاً في الزاد الذي حملاه في هجرتهما وحاسب النبي أبا بكر بما يأكل غلامه، وهذا لا يتوهمه أحد ممن عرف كمال مقام النبوءة وفضيلة الصديق، رضي الله عنه، وحاله معه، وليس الأجرة والزاد مثل الراحلة التي أبى، صلى الله عليه وسلم، أن يأخذها إلا بالثمن ليسارة أمرها، ولما أجاب به بعض العلماء أيضا على امتناعه عليه من

[1] تقدمت ترجمته.

[2] أنظر في هذا: صحيح البخاري 2:790. الطبقات الكبرى 3:173.

أخذها إلا بالثمن، فإن الهجرة لما كانت من أجل القربات وأعظمها، وليست بعمل يتكرر غالبا فيتيسر مثله، أراد النبي، صلى الله عليه وسلم، أن ينفق فيها من ماله كما أتعب فيها بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم. نعم هذا التوجيه يقتضي أيضاً أن يكون الزاد من عنده والأجرة أيضاً ليكمل ثوابه.

قلنا: لا نمنع أن يكون ذلك من عنده كله أو من عند أبي بكر كله، أو بعض من هذا وبعض من هذا بحسب ما تيسر دون محاسبة ولا تقسيط على الرؤوس، وذلك هو الذي تقتضيه المروءة وشرف النفس، فكيف بكمال المروءة وغاية الشرف، بخلاف أخذ الراحلة بالثمن، فإن كل ذي ذوق سليم وعالم بأحوال المروءة يدرك أن أخذ الرجل الراحلة من صاحبه في السفر بثمنها لا ينافي المروءة، لا من الآخذ ولا من المأخوذ منه، بخلاف الزاد بالثمن والمقاسمة في الأجرة ومحاسبة الرجل صاحبه بما ينوب غلامه فإنه بعيد من مكارم الأخلاق، وقد علم أن مئونة سفرهما، من زاد وراحلة وأقتاب وغير ذلك، كان من دار أبي بكر، رضي الله عنه، لأنه هو الذي كان يستعد لذلك، والنبي عليه السلام إنما فاجأه الأمر بذلك من عند الله، فلو أخذ النبي عليه السلام من عند أبي بكر شيئا سوى الراحلة بالثمن لذكر ونقل، ولكنه لم ينقل، فعلم أنه لم يقع. نعم لو وقع ونقل لكان وجهه قصد التشريع وبيان الأحكام، إلا أنَّ اللائق به مقام غير هذا، وكان يقع من النبي، صلى الله عليه وسلم، مع غير أبي بكر في غير هذه السفرة، بل اللائق والغالب في تشريع ما يبعد من المروءة أن يقع من غيره عليه السلام، فيعلم به ويقره ولا ينكره للإعلام بجوازه من غير أن يقع منه هو لكمال منصبه، صلى الله عليه وسلم، في سائر تقلباته وأحواله، والله تعالى أعلم هـ.

ولم يقدم أحد من دونه للسوق كالعادة لأجل الفتنة الواقعة بين أهلها وأميرها الحاج محمود عامل عصمان باشا صاحب طرابلس، وذلك أن أكثر سكان البلد مغاربة لأنها حديثة العهد بالعمارة، ولم يبق من أهلها بالأصالة أحد، فلما عظمت شوكة الوالي أنف سكان البلد من الفضيحة، فأضمروا له العداوة وثاروا عليه في المدينة فأخرجوه وصار في مركب إلى جزيرة[1] كندية، وبعث إلى طرابلس يعلم الباشا بالخبر، فبعث مركبا من طرابلس مشحونا بالمقاتلة، ورجع الحاج محمود من كندية في مركب آخر، فتوافوا على البلد، فاخرجوا كل من كان فيها من

[1] في ط: مدينة.

المغاربة بعد قتل ذريع ونهب، وصاروا لا يتركون أحدا يدخل البلد ممن ليس من أهلها، حتى الصعاليك من الحجاج والمتسوقة فيبيعون ويشترون خارج البلد.

ثم ارتحلنا من التميمي يوم الاثنين، فلما نزلنا ليلا، وكانت عادة الجمّالين أنهم يعتمون في مسارح الإبل فلا يرجعون إلا بعد هوي من الليل، و لم يروا قبل ذلك باسا، فاطمأنت قلوبهم، فجاءهم على عدة قوم من الأعراب الذين تركناهم بعين الغزالة، فأغاروا على بعض إبل الركب، فأخذوا منها نحوا من عشرين بعيرا، فلما أصبح الناس هموا بالرجوع إليهم وغزوهم في حلتهم، ثم تراجع الناس عن ذلك وكان بعض الإبل لمرابطة سمالوس، فتبعوهم وردوا إبلهم إليهم، و لم يلحقوا بنا إلى أن جاوزنا سمالوس وبعض الإبل للجوابس، وهم رهط معتوق دليل الركب فلم ترجع.

ثم ارتحلنا ونزلنا قرب غدير يسمى بوهندي، وفي الغد مررنا به ضحى وسقا الناس واستقوا، ونزلنا المخيلي قرب المغرب بقليل، وكان به أثر مسجد تهدم و لم يبق إلا منارته وعلى بابها قبر شيخ الحجاج عمران، وولده محمد هو شيخ الركب بعد موت أبيه، وموت أبيه كان في شهر رمضان في السنة الفائتة، وهذا الذي طلع بالركب من مراكش ولده، فلما باتوا بهذا المحل وتسحر قبل الفجر وما به من ناس، ثم أصابه سعال شديد بأثر ذلك مات منه قبل أن يرتحل الناس من المترل، ودفن هناك رحمة الله عليه، فعندما مررنا عليه وقف الحجاج عليه هنيئة، وقرأوا ما تيسر، وبنوا عليه حائطا من الحجارة، ونزل الركب بقربه.

ثم ارتحلنا من المخيلي، وفي اليوم الثالث مررنا بسمالوس ظهرا، وسقى الناس واستقوا ووجدنا فيه ماء كثيرا، وهو وادي كبير يهبط من الجبل الأخضر تصب فيه أودية كثيرة من أودية الجبل قلما يخلو من ماء إلا في الأعوام المجدبة، وفي اليوم الثاني منه استهل جمادى الثانية ليلة الاثنين، وفي اليوم الثالث نزلنا بإزاء قصور الرجبية، ووجدنا هناك أعرابا كثيرة من عرب الجبل؛ السعادي الفرائد وغيرها. وفي الغد ارتحلنا وسرنا في وادي كله ربيع[1] وماء وأعراب، والناس يتسوقون ويشترون اللبن والسمن عامة يومهم، ونزلنا بعد العصر بالبيوت آخر الجبل

---

[1] الكلمة غير واضحة في ط.

الأخضر ولحقنا هناك أواخر ركب الجزائر، وكانوا يظنون أن لا نلحق بهم، فلما لحقناهم جدوا في السير ولم يترلوا إلى الليل.

وفي الغد ارتحلنا وتركنا مورد سلوكهم عن يميننا وقصدنا الجابية والركب الجزائري أمامنا يتراءى لأولنا آخرهم، وفي اليوم الثالث نزلنا الجابية عصرا ومررنا بهم وهم نزول، فبعثوا إلينا أن تأخروا عنا حتى نرتحل أمامكم، فأنف أصحابنا من ذلك، فتجاوزوا الجابية ولم يترلوا بها ولا عرجوا عليها، ولم يترل ركبنا إلى العشاء الأخيرة على آبار أخر على نحو فرسخ من الجابية وعليه أثر قصر تهدم، وكان أهل الجزائر قد طلبوا من أصحابنا أن يتأخروا عنهم يوما يقيمونه بالجابية معتلين بأن معهم من أكابر تُرك الجزائر طائفة لا يرضون أن يتقدم عليهم صعاليك المغاربة لأنهم جيش السلطان، فأخذت أصحابنا الحمية والأنفة وقالوا لهم: نحن لا نعرف عزا ولا سلطانا، وحلف الآخرون أن لا يتقدموا عليهم حتى خشينا أن تكون فتنة، فكف الله أيديهم وجهدوا أن يلحقوا بنا فلم يقدروا بعد ذلك.

ثم ارتحلنا من هناك مجدين في السير خشية لحوق أهل الجزائر بنا فتكون فتنة على غير شيء، وفي اليوم الثاني ألفينا على قصيرات وعتلا عرب الجهمة الذين قتلوا عبد القادر بن أخي عبد الرحمن الجبالي، وقد قدموا من فزان، فلما رأوا أوائل الركب ظنوه غازيا للجبالي، فانجفلوا إلى فدفد على ساحل البحر تحيط به سباخ يتعذر سلوكها إلا من محل واحد. وبعدما وصلوا إليه رجعت خيلهم وتلقت الركب من أمام فتشوش الحجاج منهم، فلما وصلوا إلينا وعرفوا أننا حجاج جاء أشياخهم وتكلموا كلاما طيبا وقالوا: ما نحن إلا في بركة الحجاج، وإنما ظنناكم من جموع الجبالي، سيد روحه ونحن قاصدون إلى الهنادي، وهم عرب العقبتين، ومعنا مائتا فارس وأربعمائة راجل، وكتبوا مع شيخ الحجاج كتابا إلى الباشا زاعمين أنهم لم يقصدوا مخالفته وإنما أضرهم الجبالي حتى وقعوا فيه، وأنه إن أمرهم بترول الجبل نزلوه، وكانوا قد استنصروا بسلطان فزان على الجبالي لما ثقلت عليهم وطأته، فجاء معهم بجموعه ومن انضاف إليهم من عرب تلك الناحية حتى أغاروا عليه في بلد سارت وأهل حلته غارون منتشرون في إبان الحرث، وأخبرونا أنهم في وقت الغارة صادفوا عبد الرحمن وابن أخيه عبد القادر يأكلان لحما حنيذا بينهما، فلما أحسوا بالخيل قال عبد القادر لعمه: انج بنفسك وأنا أدافع عنك الخيل ريثما تبعد عنهم، فنجا برأس طمرة ولجام، ودافع عنه ابن أخيه حتى قتل وأخذ جميع من

معهم من حلل الأعراب، وخلت قصور سارت من يومئذ ونهبوا ما فيها ورجعوا إلى فزان، وأقاموا هناك حتى جاؤوا في هذه الكرة.

ثم ارتحلنا من هناك وأصابنا مطر أول النهار إلا أنا كنا بأرض مسترملة فلم يمنعنا من السير، وإن عاقنا بعض التعويق، ونزلنا قرب المضيق الذي دون المنعم، وفي الغد مطرنا أيضا مطرا أشد من الأول وتقدم الناس إلى المورد ليستقوا فلم يخرجوا من مضيق السبخة عند منقطع الرمل حتى وجدوا الطريق ممتلئة ماء، فاستقى الناس منها ولم يقفوا ولا تعطلوا، وأغناهم الله بماء السماء عن ماء الآبار، وتجاوزنا مورد المنعم قبل الظهر ولم نترل إلى المغرب، وفي الغد بينما نحن نسير أول النهار إذ سمعنا صوتا هائلا مثل الرعد القاصف فظنناه مدافع حرب وقع في البحر بين المراكب، فتسارع الناس للصعود على الحاجب الذي بيننا وبين البحر، وكنت فيمن ذهب فلم نر في البحر شيئا، وأخبرنا بعض الناس ممن لهم علم بأحوال البحر أن ذلك صوت يسمع في البحر أحيانا يسمى تمد لا يعلم له سبب، وأظنه أنه قال: إن ذلك إنما يقع في الغالب عند إبان المطر. ثم مررنا وسط النهار يوم الخميس بأسفل السبخة التي فيها منقطع الكبريت، وبه سمي المكان، وبقي في ذلك اليوم جمل لنا تخلف عليه بعض أصحابنا، فتخلفت لأجلهم مع طائفة من الحجاج، ولم نصل إلى الركب حتى قرب العشاء وهم نزول، وفي الغد عدلنا عن السبيخة يسارا وسلكنا أطراف الشعاب التي تشرف على الساحل، وهي طريق غير معتادة للكرب إلا أنها مخصبة صلبة لا يخشى فيها من وحل السباخ إذا نزل المطر.

وفي الغد مررنا بغدران كثيرة وربيع كثير في تلك الأودية، وذلك[1] أوائل بلاد سرت، فلما بتنا قرب الكحيلة في أعلى واديها ترقب الناس قدوم الشيخ وجماعته إلى الليل، فلم يقدموا، وكانوا تأخروا في بعض تلك الأودية يطبخون غذاءهم، وتلك عادتهم من يوم خروجنا من الإسكندرية يتناوبون ذلك فيما بينهم، فكل يوم يأتي أحدهم بآلة الطبخ والمطبوخ على قدر كفايتهم، فيتقدمون أمام الركب من المترل، فإذا وجدوا محلا مخصبا نزلوا وطبخوا وأكلوا ورقدوا حتى يجوزهم الركب فيقومون، وفي ذلك اليوم كانت المرحلة ذات شعاب كثيرة، فلما فرغوا من أكلهم وركبوا ضلوا عن طريق الركب وكانوا اثني عشر رجلا ببغالهم ومكاحلهم، فذهبوا ذات اليسار، فلما علموا أنهم حادوا عن طريق الركب اختلف

---

[1] في ط: وتلك.

رأيهم في السير يمينا أو شمالا، ثم اتفق رأيهم على المبيت إلى الصبح، وبات الناس تلك الليلة يخوضون في أمرهم، وأوقدوا نارا على قدر ورفعوا مصباحا على رمح، وضربوا بالطبل والمدافع فلم يقعوا لهم على خبر، فلما أصبحنا ارتحلنا وظنناهم أمامنا وذهبنا أمام الركب نقتص الأثر فلم نقع لهم على أثر، فبينما نحن كذلك إذ لحقوا بالركب ظهرا، وكان من أمرهم أنهم لما أصبحوا اتفق عزمهم على أن يذهبوا إلى ناحية البحر، فلما ساروا قليلا رأوا ركب الجزائر فقصدوهم، فلما عرفوهم عدلوا عنهم إلى أن وقعوا على أثر الركب فاتبعوه.

و لم نبت تلك الليلة إلى قريب من الشقة، ووجدنا بها أوائل عرب زاوية أولاد سيدي ناصر، وفي الغد مررنا بالشقة ضحى و لم نجد بها ماء، وفي الغد مررنا بقبر قدير ونزلنا مورد الأحمر، ثم ارتحلنا منه ونزلنا قرب الموضع المسمى بالمدينة، وفي الغد مررنا بها و لم نزل نسير ذلك اليوم والغد منه في مزارع وربيع كثير إلى أن نزلنا إلى عفران، ووجدنا قصوره خالية من لدن قتل سلطان فزان مع الجهمة والهيابية لعبد القادر، وأخذ أعرابه وقد جاؤوهم غارين ظانين أن لا يقدر عليهم أحد فقتلوه ونهبوه كما تقدم خبر ذلك. ثم ارتحلنا منه واستقبلتنا ريح باردة لم نر مثلها قبل ذلك ودامت طول النهار وغده، إلا أنها في اليوم الثاني أخف، وفيه مررنا بحَسّان ظهرا، وهذا الاسم الآن صار علما على موضع فيه مورد ماء ضنين يوجد فيه ما يكفي الركب إلا في أزمنة الخصب، وكان في الأصل اسما لعامل بعض ملوك بني مروان بعثوه لغزو إفريقية بعد موت عقبة بن عامر[1] أمير إفريقية ومفتتحها وارتداد غالب أهل إفريقية، فنزل في هذا الموضع وبنى فيه قصورا تسمى الآن قصور حسان، وكان يغير من هناك على إفريقية، وأقام بذلك المحل نحوا من ثلاث سنين، وخبره قد كرر في تواريخ فتوح إفريقية.

وقريبا من هذا المحل لقينا أوائل عرب الجبالي عبد الرحمن الذين استنفرهم الآخذ بالثأر وهو معهم بمحلته من الأتراك وغيره، وظننا أنه يعارضنا للسوق فلم يجتمع بنا واجتمع بركب الجزائر، وكان قد حمى واسطة سرت فلم يقدر أحد من أعرابه أن يتقدم إليها مع غاية خصبها حتى يقدم، وفي الغد سرنا طول النهار والبحر عن يميننا والسبيخة عن يسارنا، وكنا نقطع مخاضة الهائشة آخر ذلك اليوم

---

[1] يقصد عقبة بن نافع الفهري الذي افتتح بلاد إفريقية واختط مدينة القيروان: البداية والنهاية 8:45. الكامل 3:450.

فلم نقدر، وبتنا قريبا منها، وفي الغد لقينا صبحا بعض الصعاليك ممن تقدم من المغرب فأخبرونا ببعض أخبار المغرب في الجملة، وقطعنا مشرع الهائشة و لم نجد به شيئا من الملح وطلب الناس فيه، ولو ما يعشيهم فلم يجدوه لأنها صارت كلها ماء بكثرة الأمطار، ووجدنا ماء الهائشة كله أقبح ما يكون، وكنا ظننا أنه يحلو بكثرة الأمطار، فلم تزده إلا مرارة، وسرنا بقية يومنا، وفي الغد نزلنا بوكدية آخر منازل برقة التي قيل: غرقة ولا برقة.

وفي الغد لاحت لنا أعلام العمارة وظهرت لنا من الدنيا إمارة، وتصايح الحجاج: البشارة البشارة، هذا أوائل العمران قد كشف لنا أستاره بأمان، ودخلنا قصر أحمد[1] ظهرا نظهر فرحا ونُسر ذعرا، لأننا لم نر العمارة دهرا، يخيل إلينا أن المباني والنخيل شيء ما عرفناه، وانتشار الناس في جرائها أمر ما ألفناه، وكأننا أموات نشروا ومن المقابر حشروا، وما أسرع انقضاء سفر تنقصته الليالي والأيام، فكيف بعمر مرت له الشهور والأعوام، نسأل الله حسن الختام بالموت على الإيمان والإسلام، والعفو والعافية على الدوام آمين.

ولما دخلنا قصر أحمد[2] سألت عن صاحبنا الحاج عبد الله بن غلبون فدلوني على مسكنه و لم أجده فيه، ونزلنا بالفناء حتى قدم فأكرم نزولنا، وأجزل قراننا وعلف خيلنا، وعرض علينا المبيت فأبينا لعدم نزول الركب، وقد طلب منهم أهل البلد النزول متبركين بهم فأبوا، و لم يبيتوا تلك الليلة إلى تكيران بلد ولي الله تعالى قطب الزمان وإمام أهل العرفان سيدي أحمد رزوق، رضي الله عنه، ونفعنا به، وسرت أنا وصاحب لي كما نحن و لم نعرج على منزل الركب بقرب مسجده، ودخلنا للزيارة والصلاة وأردنا المبيت بالمسجد فوجدناه غاصا بالصعاليك من الحجاج، وأكثروا فيه اللغط فذهبنا إلى دار صاحبنا سيدي أبي العباس خادم الزاوية، فبتنا عنده تلك الليلة وأكرمنا، وكانت ليلة الجمعة، وكتب لي سؤالا في مسألة من بيع الثنيا هل تبطل بموت البائع والمشتري. وكتبت له في ذلك ما حضرني في الوقت مرجحا بطلانها بموت المتطوع بها لأنها هبة لم تقبض كما قيل بذلك، و لم أعلم أن النزاع بينه وبين ابن عمه في ذلك، فقدم طائفة من المجاورين هناك سيدي عبد الواحد فوجد عليَّ في نفسه، و لم يظهره لي، وأقام الركب هناك

[1] في ط: أحمر.
[2] في ط: أحمر.

يوم الجمعة والسبت، نتعاهد زيارة الشيخ طرفي النهار والأمطار قلما يخلو منها الجو، وذلك دأبه من يوم رحيلنا من الجابية، قلما يمر علينا يوم صاح، فأخصبت البلد لذلك وغزرت مياهها، فتجد على طرف كل بلد بحيرة من الماء النازل من الجو والنابع من الأرض، وربما أضر ذلك بالإبل في سيرها لكثرة الوحل، والغيث كما قيل لا يخلو من الغيث، سيما على المسافر الذي طال سفره وانتهى وطره.

وكان ارتحالنا من سيدي أحمد رزوق يوم الأحد، وبقيت لنا هناك ناقة وهبتها لصاحبنا أبي العباس خشي أن يشاركه فيها من بقي من خدام المحل، قال لي: اذهب مع ولدي ومكنها له ولا تقل أنها هبة، ففعلت ابتغاء مرضاته، وفي الغد من يوم رحيلنا مررنا بزاوية سيدي عبد السلام ظهرا ودخلنا إلى المسجد وزرنا ضريحه نفعنا الله به، ولقيت سيدي أحمد بوبجيب[1] وقد تقدم التعريف به، وبتنا خارج البلد، وفي الغد مررنا بساحل حامد وزرنا سيدي مفتاح، رضي الله عنه، وبتنا قريبا من آبار السليم، وسرقت لنا تلك الليلة سطلة عظمت علينا المصيبة بها، لأنها كانت تكفينا في أشغال كثيرة أعظمها تسخين الماء للطهارة لأن الوقت وقت برد، وفي الغد نزلنا النكارة ونزلنا قرب بيوت، وفي الغد نزلنا واد المسير بأعلاه ووجدنا فيه ماء كثيرا غزيرا لكثرة الأمطار، وقاسى الناس في قطعه مشقة ولم يترل آخر الركب إلا بعد العشاء، بل بات بعضهم في عدوته القصوى.

وفي الغد ارتحلنا ورافقت الركب إلى واد الرمل، وتقدمت أمامه مع بعض أصحابي ولقينا أهل طرابس الخارجين للقاء إخوانهم أفواجا، وبلغنا تاجورا عند الظهر وجاوزناها، واجتمعت بينها وبين الهنشير بصاحبنا سيدي محمد بن أحمد بن عيسى اليربوعي خرج لقائنا ومعه طعام يتلقانا به، ورجعنا به معنا، وكنت نويت زيارة الشيخ السيد فجئنا إليه، ووصلنا بعد صلاة[2] العصر وتوضأنا وزرنا ولقينا ولده سيدي عبد الحفيظ، وأخرج لنا طعاما فأكلناه، ولما دعانا للأكل وكنت بالمسجد تربصت ريثما صليت الظهرين آخر وقتيهما، فعتبني على ذلك وقال: إذا حضر الغذاء تؤخر الصلاة؟ فهممت أن أقول له إنما ذلك مع اتساع الوقت، فشممت منه رائحة عدم قبول المراجعة، فتركته، وكان له صيت ملأ الخافقين،

[1] تقدمت ترجمته.
[2] ساقط من ط.

أصله ديني فتحول دنيوي، فمزجا بتدين، غمره إقبال الخلق ونفوذ الكلمة عند الأمراء، والله أعلم بسريرته. وأكثر الناس يقولون بحسبها، ومذهبي التسليم.

وكان شيخنا سيدي أحمد بن مساهل[1] من عادته صلاة الجمعة في الهنشير، فرجوت أن أدركه، فوجدته قد خرج أمامنا، ثم صلينا العصر وسرنا ودخلنا المدينة قبيل غروب الشمس، آخر يوم الجمعة الرابع من رجب، وتيممنا منزلنا المعهود بجامع الحاج إبراهيم وبتنا فيه، وفي الغد لقينا شيخنا ابن مساهل و لم يقدم أصحابنا بالإبل إلا قريبا من الظهر، وكانوا قد باتوا قريبا من تاجورا و لم نجد هناك شيئا من خبر المغرب، وقلق الناس من ذلك، فمن زاعم أنه لم يبق به من يجيء، من قائل منعهم الجوع أو الوباء أو الخوف، وأنا في ظني أن الوقف قد تأخر شيئا ما، وبعد نحو من جمعة دخلت علينا الأركاب الآتية من المغرب؛ ركب أهل فاس أميرهم الحاج محمد القسيمي، وركب أهل مراكش وأميرهم الشيخ المبارك الحاج إبراهيم الفران، و لم يقدم أحد من أهل بلدنا إلا أنه جاءت مكاتب كثيرة من إخواننا شرحت الأحوال جميعها وأقامت مقام المعاين سميعها، فابتهجنا بها فرحا، وأزالت عنا ترحا، وملأت أكفنا ورَقا، بفتح الراء لا بالكسر، وجبرت بعض ما كان في القلوب لا في القوالب من الكسر، وقاسينا في تلك المدة ما الله أعلم به من الشدة غالب ما نأكل في اليوم والليلة أكلة واحدة، وقلوبنا مع ذلك شاكرة لله حامدة، وكنا ننتظر شيئا يصل إلينا من بلادنا نستعين به في زادنا فلم نر شيئا من الإخوان ولا من أحد من الأقران إلا ما وصل إلينا من صاحبنا الصديق الود الوثيق ذي العهد القديم الإيخاء، العزيز السخاء، سيدي الحاج بوشت المنفوشي ضاعف الله مثوبته، وطيب أحدوثته، ووقاه من كل الشرور، وأجزل حظه في الدنيا والآخرة من جميع السرور[2] آمين آمين، بعث إلينا عشر ريالات مع بعض الحجاج الفاسيين أقمنا بها الأود، وقضينا بها بعض مصالح ذلك الأمد، ولا شيء أشد علي[3] قضاء دين صاحبنا الحاج أحمد العجين الذي استدنته من القاهرة ووعدته ببعثه من طرابلس ظنا مني لم تصدق مخايله أنه يأتيني بشيء من البلد أو ألقى هناك من أتسلف منه، فلما انقشع غيم ذلك العارض وأخلف خلب برقة الوامض، علمت أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا وسيلة أكرم عليه من رسوله المكين لديه، صلى الله

---

[1] تقدمت ترجمته.
[2] في ط: الخيرات.
[3] في ط: والأشد من كل شي.

عليه وسلم، فشرعت في تكميل تخميس البردة المبتدأة في غزة قاصدا بذلك التوسل به إلى الله تعالى أن ييسر خلاص الدين من وجه سهل، فأكملته في نحو من أربعة أيام وأنا في خلال ذلك أكابد هم الدين مصدقا بأثر: لا هم إلا هم الـــدين، ولا وجع إلا وجع العين.

وفي اليوم الذي أكملت فيه التخميس، بل في المكان الذي فرغت فيه منه، منَّ الله بخلاص الدين من جهة أرجو من الله إتمامها بلا كلفة، وقد فعـــل، فللـــه الحمد والشكر، وذلك أني أوصيت بعض أصحابنا أن ينظر لي من يبيع سلعا من الحجاج بالسعر الذي بلغهم أنها تساوي في المغرب ويربح كلفة الطريق، والأمـــر من خطره، فتردد في ذلك تلك الأيام فلم يجد شيئا إلى أن يسَّر الله ذلك في ذلك اليوم من عند بعض شرفاء مكناسة، وهو سيدي إدريس بن أبي عبد الله، أحد أهل البيوتات وذوي الثروة والرئاسة في مكناسة، فاشتريت منه مائة مثقال أشقوبية إلى المغرب ما بيع في طرابلس بنحو من مائة ريال، فبعثنا إلى صاحب الدين ماله علينا، واسترحنا من هم الدين، وأخذنا في التجهيز لما يحتاج إليه الـــسفر مـــن الـــزاد والرواحل والأسباب، فبعنا ما فوق وما تحت لشراء الظهر، وفي كل جمعة أركب للعمروس لشراء الإبل، وهو أعظم أسواق طرابلس، تجلب إليه الإبل مـــن كـــل مكان، وأردت بيع الفرس فيه فلم يتيسر، وكنت أرجع في كل جمعة أصلي الجمعة بزاوية سيدي محمد الصيد وأنا فيما بين ذلك أخرج طرفي النهار للسعي في قضاء الدين، وفي خلال ذلك ترد علي الفتاوى من أهل البلد لما سمعوا بي وأجيب عليها بقدر الحال، وهممت ببيع بعض الكتب فلم أجد من يسأل عنها، ولم يزل لطف الله علينا في ازدياد وبركته في تتابع أمداد، وجاءني رجل ممن ينتحل العلم من أهل الزاوية الغربية يمت إلى صاحبنا سيدي محمد أحمد بقرابة، وكلفني قـــراءة بعـــض التلخيص للقزويني، فقرأ ما تيسر منه وكلفني صاحبنا قراءة بعض الألفيـــة، وورد علي في طرابلس صاحبنا سيدي أبو راوي من حفدة الشيخ سيدي عبد السلام، وذاكرنا واستفاد أشياء في التوقيت على قصر باعي فيه، وجاء ونحن هناك مركب معهم كتاب من الخاقان الأعظم يأمر فيه بالزينة التي جاء خبرها ونحـــن بمـــصر، فزينت طرابلس سبعة أيام بلياليها على نحو ما وقع بمصر، وأكثروا من الأعاجيب ومن تماثيل وتصاوير، فصوروا صورة الفيل وصورة الجمل ملبسا بجلود الـــضأن، وفيها رجال يمشون بها حتى لا يشك الرائي أنه جمل وغير ذلك، وتعطـــل علـــى

الحجاج بسبب هذه الزينة جل أسبابهم من بيع وشراء، وزاد ذلك في أمد عطلتهم طولا، وجاءنا ونحن بطرابلس خبر سيد روحة عبد الرحمن الجبالي أنه أخذ الجهمة وأصحابهم، وزاد ذلك في سرور أهل البلد وأميرهم لأنه كان يتوقع عاديتهم[1] ويتخوف انقطاع طريق الجبل الأخضر بسببهم، فوقى الله شرورهم بمنه وفضله، ودخل علينا في طرابلس ركب أهل تونس في شارة حسنة وفخامة هيئة في بشر كثير وسواد عظيم كسواد الليل يفعم الطرقات كإفعام السيل، يجرون سبع كراريط وخمس محفات زادت في أبهتهم وزينتهم، وأميرهم أبو الفضل مفتي تونس ومعه جماعة من كبراء تونس، ومنهم ابن أخي قاضي القدس الشيخ محمد النفاتي اجتمعت به وسألني عن عمه، وأخبرته أنه يريد الحج في هذه السنة، وجاء معهم الشيخ العلامة الفقيه المشارك سيدي عاشور القسمطيني[2] ارتحل إلى الحجاز بجميع أسبابه وحمل معه جميع كتبه، ونوى الاستيطان والمجاورة في تلك البلاد، فلما بلغ إلى طرابلس وقع بينه وبين أهل تونس بعض ما يقع من المسافرين في سفرهم من مراجعة، فانخذل عنهم ورجع إلى أهل بلده أهل قسمطينة، وقد لقيته وتبركت به واستجزته لنفسي ولمن ذكر في الاستدعاء من الإخوان، وأجاز لي ولهم لفظا، وهو يروي عن سيدي محمد التواتي وعن سيدي عبد القادر بن خدة عن الشيخ السنوسي، رضي الله عنه، ويروي أيضا عن سيدي محمد السوسي عن المنجور، ويروي أيضا عن سيدي سليمان التمارسي عن الشيخ سالم السنهوري وأسانيد الشيخ السنوسي والشيخ المنجور والشيخ سالم السنهوري معروفة في محلها، وكتبت له يوم لقيته هذه الأبيات الثلاثة:

[كامل]

للشيخِ عاشُورِ الإمامِ الأمْجَدِ	حَاوِي الكمالاتِ التقيِّ الأرشَدِ
مُدت يدي لتنالَ كلَّ فَضيلة	عِلما وذَوقا من إمامٍ مُرشدِ
حاشا تُرد يدٌ إليك مددتُها	يا حائِزا أقصى العُلا والسؤددِ

---

(1) في ط: عداوتهم.

(2) عاشور بن عيسى القسنطيني، عالم عامل، استوطن تونس، كان حيا سنة 1074 هـ: شجرة النور الزكية 1:449.

واعتذر لي عن كتب الإجازة بضيق الوقت ومزاحمة الأشغال لقرب السفر، فقبلت عذره، وقد كتب من هناك كتباً إلى أصحابنا بالحرمين الشريفين ومشايخنا الشيخ عيسى الثعالبي والملا إبراهيم بن حسن الكوراني، وصاحبنا الشيخ حسن بن علي[1] العجيمي المكي، وكتبت إليهم بإجازات المشايخ لهم، وكتبت إلى شيخنا الملا إبراهيم أستنجزه الوعد في شرح قواعد الشيخ زروق، فبعث إليه نسخة من القواعد، وكتبت على ظهرها هذه الأبيات، وأخبرت بعد ذلك أن ذلك كله سرق من حامله ولم يصل، ولنذكر الأبيات:

[طويل]

قواعدُ هذا الفنِ صَون قوَاعد ... يئِسنَ نكاحا ينتظِرنَ مواعِدا
مواعد صدقٍ من إمَام مُحقق ... بشرحٍ لمعناها يكونُ مُساعدا
فيرجعنَ بعد اليأسِ يخطبن رغْبة ... يُواصلنا من كان قبل مُباعدا
يُبين منها مُشكلا ويُزيح مُعضلةْ فيعدنَ للعفاة مواجدا
تمد لذا أبوابكمُ كف فاقة ... وتبسط للشكوى ذراعا وساعدَا
قواعدُ في الأعتابِ يبغينَ فضلكم ... فقوموا لها حتى تكونَ قَواعدا
فقد جمعتْ علم السلوك وحكمة ... وفقها صَحيحا واسعا عقائدا
وذي كلها هي التصوفُ فاجتهد ... لتودِعها من كل فن فوائدا
واستوهب التوفيقَ من ربنا لكم ... وعونا على القدرِ الذي كان زائدا
بجاه رسول الله أفضل من غدا ... إلى الخيرِ هاديا وللرشد قائدا
عليه صلاة الله ثم سلامةُ ... يدومانِ ما دام المُهيمن واحِدا

وقد كثر تطلبي من علماء الوقت شرح هذا الكتاب، فلم ييسر الله ذلك على يد أحد منهم مع كون هذا الكتاب ليس مثله مما يترك ويسهل، ولا هو مستغنى على الشرح فيؤخذ على ما هو عليه ويحمل لوجازة لفظه ودقة معناه، مع

---

[1] ساقط من ط.

استمداده من علوم كثيرة يتوقف في تحقيقها على مشاركة تامة في جميع العلوم واطلاع عظيم على نوادر العلوم وغرائبها، وقد وعد شيخنا الملا إبراهيم بشرحه وهو بذلك جدير إن وفق إليه وأعين، والله خير معين.

وكتبت من هناك أيضا كتابا لأصحابنا المجاورين في المدينة المشرفة أوصيهم فيه بالدعاء شاكيا إليهم أمر ما وقع في الغرب من الفتن، خصوصا بلادنا، وسائلا منهم أن يرفعوا أمرها إلى صاحب حضرة الرسالة ومعدن الجمال والجلالة، صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر والحمد لله أثر ذلك في الوجود ظهوراً لا يشك فيه من علم بالحال وميز ما كان عليه الأمر وما إليه آل، خصوصا فتنة العصابة الناجمة ببلادنا من أهل الغواية المنتهكين لحرمة الشرع المسددين سهام إذايتهم لأهل الدين خصوصا، ولكل من لم يتابعهم على ضلالتهم عموما، فقد أكثرت التأكيد على أصحابنا المكيين والمدنيين في رفع الشكاية إلى الله لمتبوعهم الذي ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا الذي فيه عيناه، وقد رأى بعض الفقراء في واقعة منام إثر وصول الكتاب إليهم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، في دار والناس يدخلون عليه فيها أفواجا، فسأل الرائي عن ذلك فقيل له: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، يبايع الناس على البراءة من فلان، ومن ذلك اليوم أخذ ذكره في السقوط وأمره في الهبوط، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[1]، وفي ضمن الكتاب الذي بعثته للمجاورين ثلاث أبيات أمرهم بإلصاقها حذاء المكان الذي كنت أجلس فيه بالمسجد النبوي يكون ذلك تذكرة لهم[2] بقائلها فيقسمون له من دعواهم في أشرف الأماكن، وقد كتبوا إلي أنهم فعلوا، والحمد لله كثيراً على ما من به من ذلك، وهي هذه:

[طويل]

أجيرانَ خيرِ الخلق مُنوا بدعوة ... لمن نابَ عنه في الخطابِ بنانُهُ

لئن غابَ عنكمْ شخصهُ ففؤادهُ ... لديكم رهانٌ لا يُفك رهانُهُ

فإن خفتمُ نسيانهُ فكتابه ... يذكركمْ به وهذا مكانُهُ

---

(1) يوسف: 21.

(2) في ط: لهم تذكرة.

نسأل الله تعالى بجلال وجهه العظيم ووجاهة نبيه الأكرم الكريم أن يرزقنا العود إلى تلك الأماكن المطهرة، وينعم قلوبنا وقوالبنا بالتقلب في تلك البقاع المنورة، ويحشرنا في زمرة أهلها أحياء وأمواتا، ويجعل محبة سكانه لأرواحنا أقواتا، إنّه جدير بالإجابة قريب لما واظب في دعائه إلا عليه آمين آمين.

وممن لقيته بطرابلس مفتيها الشاب الظريف الأريب العفيف الفقيه المشارك سيدي محمد المكي، بيتهم بيت علم ورياسة من لدن أسلافهم، إلا أنه لم تكن له رحلة في طلب العلم، وقد حج مع أبيه في صباه، ومات أبوه قبل أن يستفيد منه، فقرأ على شيخنا ابن مساهل وعلى بعض متفقهة البلد، فأعانته الحظوة والذكاء ونباهة الفكر واقتناء الكتب الكثيرة على ولاية منصب الفتوى بعد عزل شيخنا ابن مساهل، وقد تقدم شرح ذلك في أول هذا الكتاب، وقد شاهدت منه حسن أخلاق، ويدل على طيب أعراق، وقد استعرت منه كتبا فما بخل بإعارتها، بل استعار لي من غيره كراريس من شرح المختصر لشيخنا الأجهوري مست الحاجة إليها لتكميل جزء ناقص عندي، فتوسط لي في ذلك توسط أمثاله، و لم يقصر عَمَّا يقتضيه مجده من رتب كماله، فأوجب على ذلك أن أكتب له بعد إتمام الجزء أبياتاً ثلاثة أشكر صنعه وأشيد ذكر نعمته التي بذل في إتمامها وسعه، لأن الكتاب كان بيد من يضن به عن ملاقاة الهواء ومماسة الهباء، لولا استعانة بوجاهة من ذكر، وجلالة من شكر، وهي هذه:

[طويل]

سأشكرُ إحسانا بدَا منك سَيدي وأشكرُ فعلا منك قد صدقَ القولا

ويشكرُك الشرحُ الذي تم نقصه ولولاك كان النقص قطعا به أوْلى

وقد قيل من لم يشكرِ الناسَ لم يكن ليشكرَ رب النِاس في كل ما أولى

لطيفة:

الحديث شجون، سيما عند إرادة تكثير الفوائد وجمع الفنون، والشيء بالشيء يُذكر، ووصل فائدة بمشابهها لا ينكر، وذلك أني ضمنت الأبيات الثلاثة

قصيدة بعثتها إلى بعض الفضلاء من الإخوان النبلاء (كنت)[1] استعرت منه شرح المواقف للنسخ، فمطلت برده حولا، وقد كان الوعد شهراً أو شهرين، فكتبت إليه معتذرا ولإغضائه منتظراً، وقد كنت كتبت في حال الاستعارة قصيدة ليست معانيها من غيرها معارة، فأجاب عنها بأفضل منها، ونص ما كتبت[2]:

[طويل]

أمولى غدا حُر الكـــلام لـــه مـــولى ... وبحر نـــدى لم يخـــشَ واردهُ هـــولا

ومن نظمهِ يسبي العقـــولَ رحيقـــه ... سوى أنـــه لا إثمَ فيـــه ولا غـــولا

سأشكرُ إحسانا بدا منـــك ســـيدي ... وأشكر فعلا منك قد صدقَ القـــولا

ويشكركَ المـــتنُ الـــذي تم شـــرحه ... ولولاك كان النقصُ قطعا بـــه أوْلى

فقد قيلَ من لم يشكر الناس لم يكـــن ... ليشكرَ رب الناسِ في كل مـــا أولى

تطولت حـــتى طلـــت غـــيرك ثم لم ... تدع لسواك اليومَ طولا ولا طـــوْلا

فمثلك من أولى الجميلَ وسوغ الـــ ... جزيلَ ولم يطلب على قولـــهِ فعـــلا

فقد حزتَ إرث الأولين وأدخلـــت ... فضائلك الغر على من أتـــى عـــولا

وعُذرا فقد أخلفتُ وعدي ممـــاطلا ... ولم أرَ شهرا قبله قـــد غـــدا حـــولا

على أنهـــا الأيـــامُ تعـــرض تـــارة ... وآونـــة ترنُـــو بعـــين لهـــا حـــولا

فنـــبرم أمـــرا والمقـــدرُ غـــيره ... فلا قـــوة للعبـــد في ذا ولا حـــوْلا

وقد أجاب عن هذه القصيدة بقصيدة له طنانة، ضربت في الإبداع بـــسهم مصيب، وحازت من رقة اللفظ وجزالة المعنى أوفر نصيب، بيد أنه تحـــامى روي قصيدتي لقلته، بل لتعذره وعزته، سيما مع لزوم ما لا يلزم، على أنه قد أتى مـــن بديع النظم بما هو أحزم، ونص قصيدته التي أجاب بها:

[طويل]

---

[1] زيادة من ط.

[2] وردت القصيدة في: البدور الضاوية 730:3 (رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط).

قوافٍ لأسلاك العقودِ على النحـــر بها الشعرُ قد أبدى فنونا من السحْرِ
وطبـــعٌ يحاكيـــه النـــسيجُ لطافـــة وقد عنبرت أذيالـــهُ نفحـــة الزهـــرِ
ومجدٌ يُنبي عن محاسن مـــن مـــضى كما أنبى للإسفارِ عن صادقِ الفجر
أ رَبَّ المعالي والقوافي ومـــن غـــدا له الفضلُ مسطورا على صفحة البـــدر
أتاني شـــعر هـــذب الطبـــع لفظـــه كما هذب الصواغ صـــافيةَ التـــبر
غدا فتنة العقـــل الرصـــين كأنمـــا به قد نفثت السحر من عقد الفكـــر
ومالت بأفكـــاري حـــلاوة لفظـــهِ كما قال سكران على نشوةِ الخمـــر
وقلـــدني فخـــرا وعـــزا وسُـــؤددا يرى مثل عقد الدر في لبـــة البـــدر
حنانيك إن الفكرَ أدهـــاه حـــادث لهول وهم قد تلجلـــجَ في الـــصدر
ولولا نظام منـــك أيقـــظَ فكـــرتي لكنت بليدا عن نظـــام وعـــن نثـــرِ
وهبْني صغتُ الشعر تاجـــا مرصـــعا لبدر الدجا والشمس والأنجم الزهر
أ أرضاهُ للمجد الـــذي ذاع فـــضله وأخرس أرباب الفـــصاحة بالـــشعر
عليك سلام مـــن محـــب تباعـــدت به الدارُ مثل المسك أو عنبر الشحرِ

ثم كتب بإثر هذا النظام نثراً وهو هذا: حمدا لدهر أطلع في فلـــك المعـــالي شمسك، ولزمان أزهر في روض السيادة غرسك، لقد أتحفتني منك بتميمة ليس لها إلا نفس الأحرار قيمة، وأقسم بمن زين العقود على النحور، وأخجـــل الـــبروق بمياسيم الحور، وصير النيرات قنائص أقلامك، والدر والياقوت معادنهمـــا بحـــور كلامك، لو قدرت لصيرت لك النثرة نثراً، والشعر شعراً، فضلاً عن القـــريض، ولكن كيف حال المريض، فليقبل سيدي ما أنا بريئ من عهدته ومـــتفص عـــن عقدته، إذ هذه عجالة ارتحال مع توالي الأوحال وضيق المجال، ولولا الحرص على إرضائك والاعتماد على إغضائك ما سطرت ما إن لحظته لفظته، والله يبقيـــك وعلى معارج الاصطفائية يرقيك ويعلمِ الله وهو المطلع. إني وإن تناءيـــت عنـــك شخصا فإن قلبي قد صار بحبك مختصاً، فليدع سيدي لأخيه لعل الله أن ينير لنا ما

أدلهم ويفرج ما أهم، وأن لا يروع سربنا، ولا يكدر شربنا، بجاه المصطفى، صلى الله عليه وسلم، هـــ ما كتب.

ولعمري، وما عمري علي بهين، إن الإذعان لهذا المعجز من القول على كل بليغ لمتعين، فوالله ما أدري أي كلاميه أبلغ، وأي ثوبي براعته أسبغ، أنظامه الذي رقت ألفظه فراقت معانيه وضاقت على استحسان محاسنه طاقة الفكر لدقة مبانيه، أم نثره المزري بنثار المسك الفتيق المتلاعب بالعقول ولا كتلاعب الخمر الرحيق، ما تأملته إلا أبدى لي من محاسنه ما لم أعهد، ولا عاودته النظر إلا أشهدني ما لم أكن أشهد، كأنه روض تأنقت أزهاره، فما عسى يد الناظر منه أن تقتطف، ومن أين لها من كل ألوانه أن تختطف كلما استجاد شيئاً عاقه عن اجتنائــه أجــود، وكلما عاود النظر كان العود بالفائدة أعود، وبالجملة فالمنصف اللبيب لا يمتــري أنه السهل الممتنع، ولا يرتاب أنه الشافي الكافي والقليل المنقنع، وما بعد العيان من بيان، وربما تشوقت نفس الأديب وتطلعت أمنية اللبيب سماع القصيدتين اللــتين أوجبت ذكر ما قبلهما، وكانتا في الحقيقة أصلهما، والكلام يقود بعضه برســن بعض، ومسالكه تتشعب بالطول والعرض وتتسع بالرفع والخفض، وتتمايز بالقبول والرفض، والأديب لا يمل فيها الترداد، بل لا يزال نشاطه مع الترداد يزداد، فلنذكر القصيدتين وسببهما، وذلك أني كتبت له أولاً نثراً لا بأس به، فرجــع الرســول واضعاً إحدى يديه على الأخرى راضيا من الغنيمة بالإياب، محتــسبا في ذهابــه أجرا، فرددته إليه بقصيدة بائية للحظ في الطلب ثانية، وهي هذه[1]:

[بسيط]

أنالــكَ المجــدُ موروثــا ومكتــسبا ... زكاء أصل وفــرع أثمــرَ الحــسبا
ماء الصبا ووقار العلــم إذ مُزجــا ... بوجهكَ اكتسبا نــورا بــه التــهبا
هدى إلى بابك الآمال فــيض قــدا ... منك سقى من نأى عنكَ ومن قربــا
وقــد سمــا أملــي إليــك يقدمــه ... ظن جميــل فــلا تــردده مكتئبــا
وجهتُ وجه سؤالي لك حين غــدا ... وجهكَ قبلة من في الخير قد رغبــا

(1) وردت القصيدة في: البدور الضاوية 727:3 (رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط).

ما كان ظني أن الوفدَ مــن أملــي ومن كتابي يعــودانِ كمــا ذهبــا
حتى أتى رائدِي صفرا اليدين وقــد غدا بخُفــي حــنين منــك محتقبــا
فعــاتبتني وســاوسُ الــصدور ولم أعبأ بهــا فــرددتُ الوفــد منقلبــا
فقلتُ عَودا على بدء فعــد أملــي إن الجــوادَ إذا اســتوهبته وهبــا
قد يخلــفُ النــوء أحيانــاً فيعقبــه غيث يكون لذاك النــواء منتــسبا
وللمقــاديرِ أوقــات فربتمــا صادفت غيثا نداه اليــوم منــسكبا
فإن يعــد ثانيــا مــن دون رغبتــه فلأردنــــه بــــالرغم محتــــسبا
حتى أنالَ المنى أو يقضي الناس مــن فعلي وفعلكــم في ذلــك العجبــا
بأن يقولوا وحاشا الجود غاض وقــد أبلى الفتى العذر فيما فيه قــد دأبــا
وإن يعد بالمنى فسوفَ أنــشر مــا يملأ أسمــاعَ مــن يهــواكم طربــا
أشدو بــشكركم وأســتعينُ علــى أداءِ واجبــه إخــواني الأدبــا
وأود ع الكتــب منظومــا وأنثــره بين المحافل أقضي منــه مــا وجبــا
لكي يقــولَ بــني الآداب أبلــغ في شكركما أكثر الإلحــاح إذ طلبــا
وإنــني بكــلا الأمــرينِ مــضطلع لو مَسني نصب لا أشــتكي نــصبا
وقد وجدتُ مكان القول ذا ســعة كما وجدتُ لــسانا قــائلا دربــا

فلما بلغته القصيدة بعث بالكتاب ومعه جوابها من بحرها ورويها وهو هذا:

[بسيط]

ما روضةٌ زادها مزن قــد انــسكبا والفجرُ ينثر من عقد الــدجا شــهبا
فافتر زهرُ اللقاح الروضِ من طرب والشمسُ ما رشفت من ثغرهِ الشنبا
ولا الكؤوسُ ولو لاحــت أشــعتها كــأن حمرتهــا خــدٌ قــد التــهبا

على أغان غــوانٍ في دجــا ســحر   تصبي الرموزَ بشدو يبعــثُ الطربــا
ولا وصالَ حبيب زار عن شــحط   فرد للجسم روحــا كــانَ مغتربــا
عندي بأحسن مــن شــعر ينمقــهُ   من قد غدا علما في الــشعر للأدبــا
الناثر الــدر في طــوقِ المهــار وإن   خط وأبلغ من أملــى ومــن كتبــا
در مقول مذهب الكتــاب صــولته   تخاله من غــرار الــسيفِ مقتــضبا
شمسُ العلوم تبــدت في سمــا دول   تزيحُ أنوارهــا الأحــلاك والحجبــا
وافت خليلك أبيات خجلــت لهــا   تُبدي اعتذارا وتخفي تحتــه غــضبا
إن صدرتْ هفوة من خلكم ســفها   يظل ما عاشَ منها الــدهر مكتئبــا
فجدْ بعفوك إن العفــو مــن كــرم   والعفوُ من أحسن الأشيا لمن غلبــا
لِمْ لا أنيلكَ ما ترجــوه مــن أمــل   وأنت تولي لراجيــكَ الــذي طلبــا
وكيــف أمنــع مــن أدراك بغيتــه   من بلغ الطالبين الــسول والأربــا
كل يساء بما يعطيــه مــن نــشب   يا من يُسر بمــا يعطــي إذا وهبــا
لا تلــزمني ذنبــا ســاقهُ قــدر   أدهى وأغرى بنا الأحداث والنوبــا
وبيننــا ذمــم ترعــى شــرائطها   فكيف تهجر منك العلــم والأدبــا
هذا جوابي عــن أبيــات شــعركم   ومن يساجل بحرا مــاج واضــطربا
لا زلتَ تحيي رسوما للعلا اندرست   ما قبلت وجنات الورد ريحُ صــبا

هــ.

ومن جملة ما وصل إلينا من المكاتيب من المغرب، كتباً[1] من صاحبنا الأريب الأديب سيدي عثمان بن علي، ومن جملتها قصيدة له فائية أردت إثباتها هنا وهي هذه، وقبلها نثر بليغ وهو: من ترك الجسم وهنا، واللب وهنا، وأصلى الفؤاد بنار

---

[1] في ط: كتابا.

البعاد، وأعرض و لم يبال، وأسلم إلى وبال، وأغاب وأطال، وأذال وصال، فلولا التعلل بلقائه لم يحقن من المحب فضل دمائه، المعنى بهذا التغزل والمطلوب منه التفضل بالتوصل، فقد طال على الكئيب أمد الهجران، وأمضه التأسف والهوان فقال منشدا، ولبعض لهب الأسى مخمدا:

[طويل]

أهاجرةً بعد الوصالِ لها إلفا ... وغادرةً من كان أوْفى لها إلْفا
ومحرمة جنبا له خيْر مَضجع ... ومانعة للظلم من ظلمها رَشفا
أجاح الهوى جوانحَ الصب مُذ صبا ... إذ رامَ فتحا منك أتحفهُ حتفا
رقدتَ هنيئا إذ قدرت على النوى ... وجفنُ محب من بعادكَ لا يغفى
وأضرمتَ جمرا في الحشا ورجمته ... فرجمك لا ينفي وجمركَ لا يطفى
وأزمعتَ صرما دون عفو كأنني ... فرقت من الأوزار ما عنهُ لا يعفى
حكيت صديقي في خلائق تقتضي ... مواصلة الأحزانِ والبشر لا يلقى
أخالكما حسبتما إن جفوتُما ... تركت الهوى كلا فلم أغضض الطرفا
صدودكما أغرَى الفؤاد وما سَلا ... بحقكما عن صَد حبكما كفى
صِلاني غشاني دمائي[1] أبقيا ... فإني وإن طالَ الجفا أرتجي العطفا
صديقي ثدي الأنس ارضع مرضيا ... به القلب مني قبل ثم ارتضي الحيفا
فاعقب أنسي بالتناسِي وما درى ... بأن الردى في الطرد كيف به كيفا
واشرع رمح الهجرِ بالصد جاهرا ... وسل إلى قتلي بجفوته سيفا
فإن كان غمر عن صديقي سائِلا ... فذا ابن جلاء في الأحبةِ لا يخفى
هو العرفُ واعدو من عداه منكرا ... وعند ذوي العرفانِ ما أظهر العرفا

---

[1] في ط: أنعشني نمامي.

أبا سالم لا زالَ دهرا مسالما ... له أبدا ولا عدمته لي إلفَا

أبا سالم أفجعتني بتخلف ... وصَيرتني ذا غربة للأسى حلفا

أبا سالم شوقي للقياك شَفني ... فهل منكم[1] وصلٌ يزيد الذي شفا

أبا سالم أوحشتني وتركتني ... مَريضا فهل طب بطبك يشتفى

أبا سالم عهدي بكم أرأف الورى ... فما لكم عدتم أفَضهم أجفا

أبا سالم أحرجت صدى لودكم ... صَديقا وخط لا يرى يقبل الصرفا

فلولا المبيح للتخلف والنوى ... لما صافحت كفي لكم في اللقا كفا

ولكن أجبت في مُجاورة الذي ... لإكرامه أعيت محاسنه الوصفا

بلغت الذي تنسى الأحبة عنده ... ويرمى بكل الأهلِ من أجله خلفا

أرحت فؤادا إذ أزحت عناءه ... بمكث لدى من كان في شدة كهفا

شفيت جنانا بالحضورِ وطالما ... بغيته على شفا الهلك قد أشفَى

ومتعت نفسا في بقاع شريفة ... ونزهتَ دون الريب في حسنها الطرفا

هنيئا لك الجوارُ بعد زيارة ... لسيد كل الخلق من عدم الإلفا

أعلل نفسي والتعلل باطل ... وهيهاتَ لا يُجدي لعل ولا سوفا

تمنى ولو أن التمني حاصل ... أسيرُ مع الركبان يحصل لي الزلفا

ولكن حسبي عن وفاق مقدر ... وهمي في التدءاب لا يقبل الكشفا

فعندي من الأثقال ما يمنعُ السرى ... وعندي من الأوزان ما يوجب الخوفا

ونسأل ربي[2] أن يَمُن بتوبة ... تخففُ وزري علني أنزل الخيفا

وأزكى صلاة الله معها تحية ... على أحمد تنهل كالمزنة الوكفا

---

(1) في ط: لكم.
(2) في ط: واسأل إلا.

وأهدي ســلاما وافــرا نامِيــا إلى أبي سالم لا زالَ مــن همــه يكفــا

وممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدي محمد بن العلامــة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بــن محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني، رضي الله عنه ونفعنا به، قدمها حاجــا وهو أمير ركب الجزائر وقسمطينة وتلك النواحي على نهج أبيه وعادته في ذلــك محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار، فأحبته القلوب، ومالت إليه النفوس، ولم يطلع أميراً إلا في هذه السنة، وقبل ذلك إنما كان يطلع بالركب والده، رضي الله عنه، فلما توفي قام ولده هذا مقامه في ذلك، أعانه الله وسدده، وكانت وفاته، رضي الله عنه، عشية الخميس السابع والعشرين ذي الحجة ســنة ثلاث وسبعين وألف شهيداً بالطاعون، وكانت لنا به، رضي الله، وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح لما حججت معه في سنة أربع وستين، وقد قال لي، رضي الله، عنه لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك أهل خدمته: إني أقول لك كما قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه: لك ما لنا مــن الخدمــة، وعليك ما علينا من الرحمة.

وكان، رضي الله عنه، في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علــوم أهل الرسوم بعدما كان إماماً يقتدى به فيها، وله في كثير منها تآليف شهد له فيها بالتقدم أهل عصره، فألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب والتردد إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول إذا ذكر لــه شيء من هذه العلوم قرأتها لله وتركتها لله، وقنعت منه، رضي الله عنه، بالكلمــة التي قالها لي لما علمت حاله وخشيت أن أثقل عليه وأكلفه ما لا تطيب به نفسه، فإنه، رضي الله عنه، من أهل القلوب، ومروياته، رضي الله عنــه، مــستوفاة في فهرسة شيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي، فنحن نروي عنه جميعها بواسطته، فلما لقيت ولده هذا تقربت له وانتسبت له بمعرفة والده، فوجدت عنه بعض علم بي، وقال: أما أنت الذي وصل إلي كتابك الوالد المبعوث من وادي ريغ عتده قبــل موته بعام، فقلت: نعم، ورحب بي، وهش وبش وأنس، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده، وبعضها بيده، رضي الله عنه، فأعارها لي مدة إقامته هناك، فمنها شرحه على أرجوزة المكودي في التصريف، وهو مجلد أجاد فيه غايــة الإجــادة وأحسن كل الإحسان، وأعطى النقل والبحث فيه حقهما، ولم يهمل شيئا ممــا

يقتضيه لفظ المشروح، ومعناه ألا يكلم عليه، وأجاد كما هو شأنه في تأليفه، وأول خطبته: الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال، وأوضح بيان افتقارها إليه بتغير حالاتها من حركة وصحة واعتلال، ونوع أشكال عين وجودها إلى ضم الانضمام إليه وكسر الانكسار لديه، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال.

ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه هذا المطلع من براعة الافتتاح ولطيف الإشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف، وقد فرغ من تأليف أوائل صفر من عام ثمانية وأربعين وألف، وشرحه هذا أوسع نقلاً وأكثر بحثاً وأتم تحريراً من شرح العلامة سيدي أبي عبد الله المرابط الدلائي، ولا أدري أيهما سبق إلى شرحه.

ومن تآليفه، رضي الله عنه، ديوانه في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، المرتب على حروف المعجم، وكتب عليه مما يمدح به عند الغمة وساعة الغياهب المدلهمة، والتزم أن جعل مبدأ كل شطر حرفا من حروف: إلاهي بحق الممدوح اشفني، آمين. وجملة ذلك خمس وعشرون حرفا، ففي كل قصيدة مثلها أبيات، فلنذكر بعضها تبركا، فمنها في روي الهمزة:

[طويل]

أبدر أبدتْ في الخافقين سعوده ... ونورا به الأكوان أضحت تلألأُ

له في العُلا أعلى العلا رتبة وفي ... مراقي ذوي العرفانِ قدما مبدأُ

أضاءَ وجود الكائنات ببعثه ... وطلعته الغرا من الشمسِ أضوأُ

هوَ الغيثُ أحيا الأرض بعدَ مماتها ... وخاتم كل الرسل ثمت مبدأُ

يرى ذا لواء الحمدِ في الحشر إذ غدا ... مكينا وفي الأهوال للخلقِ ملجأُ

بمولدِهِ الأرضُ فخر على السما ... وحُق لها بالفخر وهو المنبأُ

حوى ليلةَ المعراج كل فضيلة ... وأمَّ بها نعم الإمام المبرأُ

قرير العينِ عادَ بالسؤلِ والمُنى ... وتَوَّجهُ المولى بما هو أهنأُ

أتم له بالفرضِ أشرف خلعة ... وأخدمه الأملاك والحجب توطأُ

لهُ المعجزات الغــر أســطع نورهــا وأرفعها قــدر أمــد الــدهر يقــرأُ

مكين أمين صادق القــولِ مرتــضى به القلبُ يجلى عنه ما كــان يــصدأُ

مــآثره محمــودةٌ فــوق مــا أتــى به من بديع الذكرِ للعــرف ينــشأ

دعا فاستجابَ في المعــاد ادخارهــا أراح بهــا كــلا فللجمــع تخبــأُ

وكم له مــن آي كــريم شــهيرة أصــابعهُ أروتْ إذا الجــيش يظمــأ

حــنينٌ لجــذع وانقيــاد لدوحــة كما قمر قــد شــق نافيــه يــشنأُ

إشارة كف عندما الشمس فاخرت قضى طمسها فالضوء لا بــه يعبــأ

شكا جمل أشكا والــضب إذ لجــا بذعر فنالَ الأمــن والــذعر مــدرأ

فلله كم قد حازَ من مُعجــز وكــم له مــن ســنى القــدرِ والله يكــلأ

نبي له الجــاهُ العظــيم فمــن أتــى حماه نجــا والهــون لا عنــه يطــرأُ

ينادي الحِمى يا مــن يلــوذُ ببابنــا له الأمنُ والأوصاب تشفى ويهنــأ

أيا خيرَ خلــق الله أنهيــت قــصتي إليك فإن الجــسمَ بالــسقم يــرزأُ

أنلني المُنى من جود طولــك إنــني على ظمإ من منهلِ العــذب أمــلأ

منادي الشفا مما به الجــسمُ مبتلــى تشفع فــذو الآلام ينجــو ويــبرأُ

يمينٌ جرتْ من نــاظم عــن تــيقن بأن لك جاه لــيس داعيــه يخــسأُ

نظمت وقد أهديتُ أبغي الرضا غدا وما هو في الأبياتِ للــصدر مهــدأُ

قافية الباء:

[طويل]

أحبتنــا إني كلفــتُ بحــب مــن لهُ العز قِــدما والرســالة منــصبُ

لدى نــوره الأنــوار تخبــو ولــيلا ومنه استمدت والــشواهد تكتــبُ

أيــا ســيدا فــاقَ النبــيين كلــها ... وبدرٌ لــه فــوق المراتــب مرتــبُ
هديتَ نفوسا بعدما ضــل ســعيها ... ومولدك الأسنى به القلــبُ يطــربُ
يفوحُ ذكاء المسك من ريحك الــتي ... بها طابت الأكوانُ والــريح أطيــبُ
بطلعتك الغــراء أشــرقت الــدنا ... وأضحَى على الإشراك للباس مرهبُ
حللتَ مــن العرفــانِ كــل محلــة ... بذا كانت الأرسال تــنبي وتخطــبُ
قرأتَ سطور السر لمــا ســريتَ إذ ... تقدمت عن جبريل تــدنى وتقــربُ
أتاكَ الندى يا أفضلَ الخلــق أقــبلن ... فكنت كقاب القوس بل أنت أقربُ
لك البقية العظمى فسلْ تعطَ وارغبن ... أبحنا لك الأكوان إذ فيــه ترغــبُ
منحناك قربــا لا لغــيرك مطمــع ... إليه وأعطيناكَ مــا أنــت تطلــبُ
هناك سراح الطرف متــع تطــولا ... أزلنا عن الأبصارِ ما كــان يحجــبُ
دنوتَ وحيدا إذ دعيــت لحــضرة ... بها الأين والأثــار تفــنى وتــذهبُ
وتوجتَ يا محبوبــا تــاج كرامــة ... وبالكأسِ من بحر المعارفِ تــشربُ
حظيتَ بما حليت من خلعــة البــها ... وطوقت فرضــا بالمهابــة يرقــبُ
أتيــت كلــيم الله بعــدَ تــردد ... إليهِ بتخفيــف لمــا كــان يــصعبُ
شكوتَ له إذ ما وما لــك دعــوة ... بقــدر الحيــاءِ والجلالــة أرهــبُ
فترهت في الفــردوسِ نفــسا بهيــة ... وفي ملكــوت الله طُــرا أتقلــبُ
نهضتَ لهذا الــسر في بعــض ليلــة ... رجعتَ من المسْرى وما الليل يذهب
يرومُ العدا التنقيصَ عنــد سماعهــا ... فما كــان إلا والــبراهينُ تــضرب
أتى العيرُ بالتصديق مــرأى ومخــبرا ... وفي المسجد الأقصى دليــل يرتــبُ
أيا مالك الأوصافِ فُقت الورى فما ... به خصك المولى من الذكر أعجــبُ

معالم ديـــن الله قـــد ســـطرتَ بـــه وإخباء صـــدق والأماثـــل تقـــربُ
ينادي عليل الجسم غوثـــا ببـــابكم فيشفى كما الأسقام عن ذاك تسلبُ
نهضت بمـــدحي مـــستغيثا وطالبـــا فلاحا وما في أول الـــسطر يجلـــبُ

قافية اللام:

[طويل]

أعـــيني جَـــوادا بالـــدموع تأســـفا لصب نحيل الجـــسم زايلـــه عقـــلُ
لدى غصني لفح من الحب فانمحت مَحاسن وجه ذاب إذا بقي الـــشكلُ
أذاعت شهورُ الوجد كـــامنَ دفقـــه فأضحَى المحيا كاسفا ضاء من قبـــلُ
هللت الـــنيران النـــوائس أضـــلعي فيا ليثَ كان الوصلُ وانتظم الشمل
يبيت من الأشـــواقِ قلـــبي معـــذبا كملدوغ رقط أو تناصـــله النبـــلُ
بنـــاظر عَـــيني لاحَ ســـاطع نـــوره على روضة الخضراء حيثُ بدا الوصل
حـــوت قبـــة لم يخلـــق الله مثلـــها ولا شـــابهته الأنبيـــاءُ ولا الرسْـــل
قبابٌ بها مسك يفـــوح لنـــا شـــذا وغرتـــه الأنـــوار كلامـــه تجـــل
أتتك به أخبارٌ مـــضت كتـــب بهـــا هواتفُ صدق بان من وصفها الفـــضلُ
لمولدِهِ الأســـنى تـــدلت كواكـــب وحفت به الأملاكُ وازدحمَ الحفـــل
مزاياه عند الوضع جـــاءت شـــهيرة فقد حضرته العينُ لما انقضى الحمـــلُ
مكارمـــه إذ ذاك أبـــدت فـــضائلا لذا جاء مسرورا بكحل الهدى كحل
دنـــت شـــرفا للـــهاشمي محمـــد ملائكـــة تـــسعَى بخدمتـــه تعلـــو
وقد صانهُ الرحمن من كشف ســـوءة توالـــد مختونـــا فلـــيس لـــه مثـــلُ
حوى الطست والإبريق أيدي ملائـــك كما حوت المنديل من سُندس تجبـــل

أزالوا من المنـــديلِ خـــاتم صـــدقه ... به ختموا ظهرا فقد كمـــل النبـــلُ
شريف المحيا غـــسله قـــد بـــدا إذا ... بمـــاء الإبريـــق نائلـــه جـــزل
فالقوا عليه جفنة خـــوف أن يـــرى ... بسبق لجـــد إذا تلاحظـــه الأهْـــلُ
نزيدُ بأملاك لـــه الطـــرف نزهـــت ... لدى ملكـــوت الله وأنـــس لم يخـــل
يجوبون أقطارا وقـــد كتبـــوا اسمـــهُ ... على ورقِ الأشجار والشيم القفـــل
أيـــا نخبـــة لم يخلـــق الله مثلـــها ... جنيت وبـــالأوزانِ يـــنكني الثقـــل
أتيت ذليلا خائفـــا بابـــك الـــذي ... به أمن المـــذعورُ وانقـــشع المحـــل
محلك غوث والعليـــلُ بـــه التجـــا ... تذبح من الآلام كي يذهب الـــشكلُ
يحن طبيـــبٌ للمـــصاب وأنـــت لي ... طبيب ومنك الطب إذ ما بدا السؤلُ
نسائلك التخليصَ من كـــل عاهـــة ... وفوز الرضى والسؤل من مبدإ يجـــلُ

قافية الياء:

[طويل]

أيا باهرَ الإشراقِ يـــا غايـــة المُـــنى ... ومن حازَ في تشريفهِ الرتبـــة العليـــا
لوجهكَ يا بـــدرَ الكمـــالِ تلألـــؤ ... وغيثٌ به الأكوانُ إذا ما بـــدا تحيَـــا
أزحت ظلامَ الشركِ بالطلعـــة الـــتي ... أضاءتْ كما أوليتَ من نورها هديا
هداك صِراط مستقيم مـــن اقتفـــى ... مراشده استهدى وقد جانبَ الغيـــا
ينجى من العاهـــاتِ مُعتـــصما بـــه ... وقد جاءَ بالبُشرى كما يدفع الخزيـــا
به فازَ من قد فاز يا خـــير مرشـــد ... لذا ورث الفردوس إذ ورث الوحيًا
حوى كل علـــم ســـابقا ومُـــؤخرا ... وأهدى إلى من قد يناضـــله العيـــا
قوارعةُ من نظمـــه قـــدت الحـــشا ... فما وجدوا طعنا ولا أظهـــروا أليـــا

أيا من سما فوق السماواتِ والعُــلا وجاوزَ كل الحجب يرقي إلى البغيــا

لقد جئت يا دخري وكنزي وعُدتي ليوم تعادُ الخلــق فيــه كمــا هيــا

حصينا من الزلات ضَــارع علــة توالت على من نابذ الكفر والخزيــا

مدحتك والتقصيرُ شــأني وشــيمتي وقد خفت من ربي إذا جئتــه حيــا

دعاني الصبا للــهو حــتى أقــامَني مقاما تراني قد خبئت بــه الــسعْيا

ولعــت بآثــامِي زمــان شــبيبتي وحملتها الأهــواء فأحــسنت رأيــا

حللت محل الجود والفــضل أبتغــي نوالا يريحُ الذنب كي يكسب المحيا

أغثني إذا ما الموتُ أحكم ســكرتي بحضرتك الحسناء تصلح لي الوصــيا

شفاعتك العليا أراعــي بمحــشري لتــستر زلاتي وتــسقطَ لي البغيــا

فظني جميل فيك يا أكــرمَ الــورى عطاء أبث جزلا كما تحسن الرعيــا

نريدُ جوار الخلق معــك وفي الــدنا فلا تحرمني مــا بــهِ مهجــتي تحيــا

يحقــق آمــالي ويــدفعُ كــربتي مديحك يا مختــارُ أكــرم بــه ريــا

أما والذي أحيا بك الكــون إنــني ببابك راج مــا تلبثــت في الــدنيا

ألم يــك للمهــدي جــزاء يــسره على من له أهدى بشرعك ذي الفتيــا

مواهبك الفــضلى طلبــت لمنــيتي جزاء على مدح وأنعم بــه البُغيــا

يمن عظيم الجود مــن ســيح بحــره بتحقيق آمَالي كمــا يكــرم اللقيــا

نــشاب بــنظم رؤيــة الله في غــد وسؤلي وما لبدء من ذي وذي ثنيَــا

هــ.

ولنقتصر على هذه القصائد تبركاً بمن قيلت فيه، وبنفس هذا الشيخ المبارك، رضي الله عنه، وبآخرها بخطه: تم بحمد الله وحسن عونه هذا المديح في المصطفى المليح الفصيح في ليلة الجمعة وقت العشاء منها ليلة ثلاثة وعشرين من جمــادى

الأخيرة من سنة إحدى وثلاثين وألف، عرفنا الله خيره وكفانا شره، بجاه رسول الله وأصحابه وأوليائه، وأسأله بحرمة المديح والجاه أن يعجل بالشفاء الذي لا سقم معه، ويتحف بالمطلوب وما هو لي فيه مرغوب، إنه سميع مجيب، مع عقب صالح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن تآليفه، رضي الله عنه، جزء في تحريم الدخان سماه: محدد السنان في نحور إخوان الدخان، وهو في عدة كراريس مشتمل عل أجوبة عدة من الأئمة، وقد لخصنا بعضه بحسب ضيق الوقت، ولنذكر ذلك تتميما للفائدة، وهذا نص ما قيدته: الحمد لله، سئل الأجهوري من علماء المالكية بالقاهرة المحمية من علماء العصر عن حكم الدخان فأجاب: الدخان المذكور ليس مسكراً قطعاً، لأنَّ المسكر ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة وطرب، وهذا إن سلم أنه يغيب العقل، فليس معه نشوة وطرب كما هو مشاهد، وأخبرنا به جمع كثير ممن يفيد خبرهم العلم الضروري، وإذا لم يكن من المسكر وسلمنا أنه يغيب العقل فيجري على حكم المفسد والمرقد، فيحرم على من يغيب عقله، ولا يحرم على من لا يغيب عقله، وهذا يختلف باختلاف الأمزجة وكثرة الاستعمال وقلته، لأن المفسد هو ما غيب العقل دون الحواس لا مع نشوة وطرب، والمرقد هو ما غيب العقل والحواس جميعا. صرح أئمتنا بأنه يجوز للشخص أن يستعمل منهما القدر الذي لا يغيب العقل ولو لغير ضرورة، وممن ذكر ذلك القرافي صاحب الذخيرة، والشيخ خليل في توضيحه، وابن غازي في تكميل التقييد وغيرهم هـ.

وعليه مؤاخذات، فقول الشيخ المذكور: الدخان ليس بمسكر قطعا يؤذن بأن علة التحريم عموما منوطة بالإسكار حتى يصح له الاستدلال، وعليه فحذف الكبرى[1] من المقدمتين للعلم بها، والسياق يرشد إليها، والتقدير فيها، وما ليس بمسكر فليس بحرام، وهذا غير صحيح، لأن التحريم غير خاص بما فيه الإسكار، وهو أوضح من أن يوضح ولا يعتقد في المجيب إرادته إلا أنه اقتضاه اللفظ والكلام على مقتضى الألفاظ، فإن قلت: لا نسلم أنه مقتضى العبارة إلا لو كان المحذوف المقدر ما قررتموه، وليس كذلك لأن الثانية من المقدمتين هي ما أشعر بها قوله بعد ذلك، وإذا لم يكن من المسكر وسلمنا أنه يغيب العقل. قلت: فهم هذا من كلامه بعيد لمن وقف مع ظاهر الألفاظ التي هي قوالب المعاني وذلك لأن قوله: وهذا إن

[1] ساقط من ط.

سلم أنه يغيب العقل دليل عنده على أنه لا يغيبه بقرينة أن الشكية الداخلة على فعل سلم فإن التسليم الواقع على طريق الجدل وقوفا مع الأدلة، وظاهر اللفظ، وإذا حكم بمقتضاه فهو عنده لا يغيب العقل و لم يتضح في المقدمة الثانية إلا ما قررناه لعدم الجامع بين المقدمتين، وهو اشتراكهما في الحد الوسط. لا يقال فعل التسليم الداخل عليه أن هو تسليم انقطاع لا تسليم جدل حتى يلزم ما ذكرتم، بل ليس عنده إلا ما ذكر من كونه مغيبا للعقل، وحينئذ لا يصح أن يكون قوله بعد ذلك، وإذا لم يكن مسكراً هو المقدمة الثانية لأنا نقول حمل الكلام على هذا يورث ركاكة ونفوراً لسماعه لذوي الألباب، فلا ينبغي أن يتناول لهذا الشيخ المحب مثله، وأيضاً ذكره في بيان تعليل نفي أن المسكر ما غيب العقل ينافيه إذ لو كان عنده مغيبا اقتصر في نفي الإسكار عنه على الصفة الخالصة به فقط، فإن قلت في الكلام حذف دل عليه أمراً أحدهما قوله قطعاً فهو يؤذن بأن المنفي قطعا إنما هو الإسكار وغيره ليس محقق الانتفاء، بل هو معروض لتطرق الاحتمال، وهو كونه مغيبا للعقل[1].

والثاني ما يفهم من قوله: وسلمنا أنه يغيب العقل، وحينئذ فكأنه، قال: ليس بمسكر قطعا، وهو مغيب احتمالا أي أن الدخان مقطوع بنفي إسكاره ومحتمل لتغيب العقل، وإذا لم يكن مسكرا وسلمنا تغييبه العقل فيجري إلخ، فيمكن إذا أن يكون نظم الدليل على هذا النمط. قلت: لا يخفى ضعفه، أما أولا فلأن طريق أهل المناظرة أن الدعوى المسلمة في ثاني حال على طريق الجدل مرجوحة، والراجح عدم اعتبار عدمها، وإنما سلمت لإقناع الخصم وتدريبه إلى ما هو أجلى في نظره، وعلى هذا فيبطل ادعاء كون قوله: وإذا لم يكن مسكراً مقدمة. وأما ثانيا فلأنه أخلاها من دليل يدل على كونه مغيبا سلمنا كونه مقدمة ثانية فيرد عليه ما ورد أولا من أن علة التحريم ليست منوطة بالإسكار وتغيب العقل، ولا إشعار لنفي الأخص بنفي الأعم. سلمنا ذلك فقوله: فيجري على حكم المفسد والمرقد غير صحيح، أما أولا فلاقتضائه الشك في كونه مرقداً، وليس كذلك لأن المرقد ما غيب العقل والحواس، وهذا لا غيبة معه للحواس بالمشاهدة. وأما ثانيا فلما فيه من مجاراة الشيء على حكم نفسه، فإن قلت: هذا غير لازم لأنه أحال على ما هو أعم من المسألة فهو أمر باق يجري في الإباحة وعدمها على ما ليس بمسكر مما

[1] في ط: للعقول.

وافقه في صفته، وإنما يلزم ما ذكر أن لو حكم فيه بحكم المفسد تعيينا ثم أجراه عليه، قلت: لا نفي عنه أن يكون مسكراً من حيث انتفاء النشوة والطرب تعين أنه سليم الحواس، وتسليمه تغييب العقل مع ذلك حكم عليه بأنه مفسد لدخوله في تعريف المفسد من الأقسام الثلاثة، فاتضح ما ذكرناه لمن أنصف واتبع الحق ولم يتعسف، ثم لجأ المجيب في صحة الصغرى بدعوى نفي الإسكار إلى دليلين الأول المشاهدة، والثاني الإخبار المفيدة العلم الضروري، وكلاهما لا ينهض حجة على ما ادعاه، أما الأول فلأن المشاهدة إنما يحكم بمقتضاها فيما هو متعلق لها، وإنما يصح ذلك إن لو كان مدلول الإسكار عربدة الساكر وممايلته ورقصه وغير ذلك مما يتعلق بالمشاهدة، وليس كذلك، وسيأتي إن شاء الله، وإنما الإسكار نشوة وطرب يتعلق أمره بالقلب، فتارة يعظم فينتشر أثره على الجوارح فيحصل معها ما ذكر، وتارة تقتصر على فرح قلبي وزهو لبي[1]، وهذا كثيراً ما يشاهد من متناول الخمر لا يحصل منه ما يظهر على جوارحه من العربدة ونحوه، سيما بعضهم، بل لا يكون سكره إلا قاصراً على حالة الباطن، فهم في ذلك باعتبار الأشخاص والأمزجة والطبائع.

وإذا ظهر لك ما قررناه علمت بطلان ما ذكره المجيب من كون المشاهدة دليلاً على عدم السكر. فإن قلت: هذا مسلم، إلا أنا لم نشاهد من أصحابه دلالة ظاهرة على سكره ولو نادرا، ألا ترى الخمر، وإن كان لا يميل بعض الناس عياناً، فقد شاهدنا منهم من يعربد ويظهر أثرها للمشاهدة. قلت: إذا عرفت ما ذكرناه من الإسكار ظهر لك الجواب من هذا، ألا يرد فيمكن أن يكون سكر الدخان مما لا يبلغ ظهور أثره لحس المشاهدة، وإنما هو منوط بالباطن فقط، ولا يشترط في حقيقته ما يشاهد من حال بعضهم في عرابيده كما أشرنا إليه قبل، وسيأتي تمامه إن شاء الله.

وأما الدليل الثاني فهو الذي يعبر عنه بالتواتر، وهو معارض بخبر من أثبت له نشوة وطربا، وكثيراً ما سمعنا ممن تناوله أنه يجد لنفسه معه نشوة وطرباً، وأن منهم من أقلع عنه، ونبذه لذلك الحال الوجداني، ومنهم من أصر على ذلك، والعياذ بالله، ويدل لما ذكروه من النشوة والطرب استغراق أربابه الأزمنة لشربه وتفويت ما لديهم من الأموال في جلبه، ونسيان ما سواه من منافعهم حالاً، وحالاً عند

---

[1] في ط: ولهو قلبي.

شربه وعدم التفاهم إلى لوم لائم وعذل عاذل، وما ذاك إلا لما استغرقوا في شربهم إياه من السرور والنشوة، وبهذا استدل الشيخ سيدي عبد الله المنوفي على أن الحشيشة ذات نشوة وطرب حسبما ذكره تلميذه الشيخ خليل رحمه الله في توضيحه، على أن الخبر الذي أراده إن كان مستنده أصحاب شربه فلا ينهض حجة لما فيه من الاتهام، وقد اعتبروا أشراط نفي الاتهام فيما اعتبر من عدد التواتر حسبما نقله الأصوليون. وذكر التفتازاني في كتاب التلويح في اشتراطهم في التواتر أن لا يمكن تواطؤهم على الكذب، أن هذا الشرط عند المحققين تفسير للكثرة، بمعنى أن المعتبر في كثرة المخبرين بلوغهم حداً يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب حتى لو أخبر جمعٍ غير محصور بما يجوز توافقهم على الكذب فيه لغرض من الأغراض لا يكون متواترا، وأنت خبير بما في تلقي آلفي السكر منهم من الغرض الفاسد الموجب الاتهام في بقائهم على ما هم عليه من تناول ما اغتبطوه، واستمرارهم عليه. فإن قلت: المُقَرَّر عند أهل الأصول عدم اشتراط العدالة فيمن يفيد خبرهم العلم، بل حكموا بإفادته العلم ولو كانوا ذوي فسق. قلت: يفيد ذلك بما إذا لم يكونوا يخبروا بما لهم فيه أرب وبغية، وأما ما لهم فيه أرب وشهوة كهذه المسألة فلا كما تقدم قريباً. فإن قلت: ما حملت عليه كلامه يخالف ما قرره القرافي في تنقيحه حيث جعل ما مدركه الوجدانيات في فصل غير فصل التواتر، فهو مما أفاد العلم ضرورة بطريق غير طريق التواتر، وكلام المجيب يوافقه حيث قال: وأخبرنا به جمع عظيم ممن يفيد خبرهم العلم الضروري. قلت: تنقده التادلي قائلاً بعد أن ذكر تمثيل القرافي له بأخبار كل واحد منهم أنهم وجدوا الطعام الفلاني شهيا أو كرها أنه راجع إلى التواتر المعنوي، ثم هذا كله إن كان المعتمد في نفي الإسكار خبر من أمر بتركه وأباه ما شاهدناه من أهل بلدنا وما هم عليه فيه من التعصب الجهلي، وأما من ليس بهذه المثابة فيكفي في تضعيفه ما قررناه قبل من[1] معارضته بقول من أثبته. فإن قلت: ناهي الإسكار هم من الكثرة بحيث يبلغ من قبول الخمر والصدق مبلغ الضرورة ومثبته على ما زعمت أفراد فلا يعدوا خبرا لواحد فيسقط التعارض. قلت: حيث ما ثبت الإسكار ثبت التحريم، وانتفاؤه في بعض الأشخاص أو جلها لا يبيحه لما تَقَرَّر من درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وتقديم المحذر على المبيح، على أن خبر الواحد إذا احتفت به قرائن أفاد

[1] ساقط من ط.

العلم كما تقرر في فن الأصول، وقد قمنا ما هو قرينة لذلك، وإذا ضعف المدرك الثاني للمحب ضعفت قطعية نفي الإسكار المأخوذة في دليل إباحة شربه، وقوله: فيحرم على من يغيب عقله، ولا يحرم على من لا يغيب عقله يقتضي بحسب الظاهر أن حكم المرقد والمفسد كذلك، و لم يذكر العلماء ذلك في المفسد والمرقد، بل أطلقوا القول بتحريمه في عموم الأشخاص، نعم على ما ذكره القرافي حسبما نقله عنه وعن تابعيه يحرم ما يغيب العقل منه دون ما لا يغيب معه وعيه، فصواب العبارة: فيحرم استعمال قدر ما يغيب العقل منه ولا يحرم استعمال القدر الذي لا يغيبه، وفرق بين العبارتين لما يلزم على عبارته من جواز تناول من لا يغيب عقله القدر الذي لا يغيب العقل معه في غيره، وذلك فاسد لثبوت تغيب العقل معه في ذلك، فيحرم ولو تخلف. فإن قلت: يلزم مثله فيما إذا كان قدراً لا يغيب معه العقل لأن تلك الذات في الجملة ثبت لها التغييب فيحرم تناوله مطلقاً وهو باطل لما نص عليه العلماء من جواز تناول القدر الذي لا يغيب معه العقل كما تقدم.
قلت: القدر المذكور لم يثبت له وصف التغييب قط، فهو سالم من وجوب الحظر بخلاف ما ثبت له وصف التغييب في صورة، فقد وجب فيه الحكم بالتحريم، فحيث ما وجد ذلك القدر وجب ابتعاده، صاحبته تلك الصفة أم لا. وقوله هذا يختلف باختلاف الأشخاص في تسليم منه لكونه يغيب العقل كما أشرنا إليه قبل وإقرار بعدم انضباطه في شخص معين، وقدر مبين وهو بعينه معتبر في الإسكار بدليل المخبر على إثباته فلا يكون إفادة خبر الجمع عنه نفيه ضرورة بالإطلاق، وإذا جاز إسكاره وعدم إسكاره بتعدد المحال والمقادير صح امتناع تناوله لما قدمناه من سد الذرائع المبني عليها مذهب مالك، رضي الله عنه، ولعدم تيقن أن هذا الشخص المأذون له في تناوله ممن لا يسكره، ولما ورد في الصحيح: ما أسكر كثيره فقليله حرام[1]، إذ العلة الإسكار، وحيثما ثبت لذات وجب تحريمها، فلا فرق فيه إذن بين ما أسكر منه وغيره كما هو معلوم بين الأئمة وعلماء الأمة، وقوله: لأن المفسد، وهو ما غيب العقل والحواس إلخ، دليل على إرادة الاحتمال الأول من الاحتمالين الذين ذكرنا، وهو ينافي فحوى كلامه من أن الدخان لا يغيب الحواس لما قَرَّرناه. وقوله: صَرَّح أئمتنا بأنه يجوز للشخص إلخ، هو مع تيقن القدر الذي لا يغيب العقل، وأما مع نفي ذلك فلا، فإذا ظن الغيبوبة أو شكها، فكما لو تيقنها

(1) المستدرك على الصحيحين 3:466.

في طلب المباعدة من تناوله. وقوله: ممن ذكر ذلك القرافي إلخ، من نسب إليهم سوى القرافي ليس ما ذكر قولاً لهم، وإنما هي نقلة عن القرافي بلفظه إلا أن يقال حكايتهم له عنه وتسليمهم إياه يتنزل منزلة القول به، وهي مسألة خلاف.

وكنت اطلعت أول ما فشا شربه، أعني الدخان، بهذه البلدة على جواب فيه يذكر أنه لمفتي القيروان خدم به حضرة أمير إقليمه إذ ذاك طال عهدي به، ولم آخذ فيه بالحزم حتى أحفظه أو أنسخه تهاونا بشأن المسألة إذ ذاك لما لم أظن يصير أمر الدخان إلى ما شاهدناه[1]. ثم نقل كلاماً في تحريمه لصاحبه الأستاذ أبي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، وبحث معه في استدلاله، ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان وأبطله، ثم نقل أجوبة في تحريمه منظومة لبعض الفاسيين ولمفتي القسنطينة أبي محمد سعد الدين. ثم قال: فاعلم أنّ الكلام على اجتناب الدخان من ثلاثة أطراف من حيث ذاته، ومن حيث صفته، ومن حيث عوارضه، وقدم مقدمة في أن المؤمنين أمروا بما أمر به الرسل من أكل الطيب، وهو المستلذ، ورجحه، أو الحلال، وأن الدخان ليس بمستلذ طبعاً وليس بمباح لأنه كريه الرائحة، والنبي مأمور باجتناب خبيث الرائحة وكريهها، وكذلك المؤمنون لأمرهم بما أمر الرسل، فعلى هذا هو مطلوب الترك إما على وجه التحريم أو الكراهة، فانتفت الإباحة والإدمان على المكروه حرام. ثم قال: الطرف الأول في اجتنابه من حيث ذاته، لنا عليه أدلة أحدها أن نقول: الدخان خبيث الرائحة، وكل ما كان كذلك فالشرع طلب اجتنابه بيان الصغرى واضح لذي طبع سليم، وبيان الكبرى ما في المقدمة من أن المراد بالطيب الحلال أو المستلذ به أمر الرسل وأمر المؤمنون بما أمر به الرسل، ولا شك أنّ النبي مأمور باجتناب كريه الرائحة ولا يحسن بمسلم أن يحب ما يكرهه الرسول إلى أن قال: ولا يخطر ببال من يألف جنس الدخان من الطبائع في الحيوان البهيمي فضلاً عن أرباب الألباب حتى أن النحل تترك ما كابدت عناءه لأجله، ثم ذكر وقعة الجراد الوارد في سنة ثلاث وعشرين وأربع وخمسين حتى عم الأفق كثرته وأجدب السهل والجبل وطأته حتى كان قنطرة على الوادي يجوز الناس على متنه ويرمى بأضخم حجر فيمسكه متنه عن الوادي، وتغير منه ماء الوادي ما يزيد على شهر، وصار كالقطران ولا يشرب، ففقد الماء وغلا، واستعانوا على تنفيرها بالدخان،

[1] في ط: شاهدته.

وذلك حين اشتهار أمر هذا الدخان، وكأن الله عاقبهم عليه بهذا الجراد ونبههم بنفورها منه، وهم لا يبصرون. ثم قال: حيثما تقرر لدلائل طلب اجتنابه تعين أنه غير مباح فدأبه بين التحريم والكراهة، وقد قيل بالقولين في الثوم ونحوه، لأنَّ التحريم لأهل الظاهر. ثم ذكر أن المستلذ في الآية لا يمكن أن يفسر بحساب طبائع جميع الناس، فوجب اعتبار طبائع العرب الذين بعث فيهم الرسل وكل ما يستطيبه العرب فهو حلال، والمحرم الخبيث لا يستطاب عند الشافعي. وأما الطرف الثاني فأدلته أن الدخان نار، والنار يجب اجتنابها لباطن الجسد، فالدخان يجب اجتنابه لباطن الجسد، أما أنه نار فلأن حقيقته على ما قال الأطباء أجزاء هوائية ممتزجة بأجزاء نارية، وذكر رؤيا، وهي أن رجلا كان يشربه فرآه الشيخ في النوم في دار يكثر الترداد إليها ولامه على الدخان. قال: وقلت له: إنه يثقل اللسان عند الموت عند ذكر الشهادة، و لم أطلع على من وصفه بذلك، فقضى الله بعد ذلك أن وقع للرجل سبب أوجب كثرة دخوله لتلك الدار فظهر تصديق الرؤيا هـ. ما قيدت منه مستعجلاً، وقد كثر خوض المتأخرين من علماء هذا القرن في أمر هذا الدخان بين مبيح ومحرم، والأكثر على التحريم منهم علامة زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني وشيخه المحقق الشيخ سالم السنهوري[1]، وممن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري، وكلامه هو الذي رده الشيخ الفكون. ومنه الشيخ أحمد بابا التنبكتوي السوداني[2]، وقد أخبرنا شيخنا سيدي أبو بكر السجتاني، رضي الله عنه، أنه راجعه في كثير من أدلته التي استدل بها على إباحته، فلم يجد عنده تحقيقا أيضا. قال: وقصارى ما قال لي إنها ليست من أخلاق الصالحين، وقصدنا تنفير الناس عنها. قال لنا شيخنا المذكور: قد رأيت في شأنها نحوا من ثلاثين تأليفا بين محلل ومحرم، ولا أرتضي شيئاً منها، وكان، رضي الله عنه، يقول: مذهبي فيها التوقف وعدم الجزم فيها بتحريم أو تحليل، لأن إحداث حكم من أحكام الشرع في نازلة من دون برهان واضح من البلاء العظيم الموقع في الدين شديدا أمره، ومن أظلم ممن قال إن الله حرم هذا أو أحله بدون نص من الشارع، أو قياس مقبول مسموع جار على أصول الشرع وقواعده، إلا أنه كان يجزم بوجوب تركه من

---

[1] سالم بن محمد السنهوري، مفتي المالكية بمصر، توفي سنة 1015 هـ: شجرة النور الزكية 418:1.

[2] أحمد بابا التنبكتي السوداني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر، من فقهاء المالكية الكبار، له عدة تآليف منها شرحه على المختصرونيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي نيل به ديباج ابن فرحون، واختصر شرح صغرى السنوسي وغير ذلك، توفي عام 1035 هـ: روضة الآس، ص: 303. التقاط الدرر، ص: 87. صفوة من انتشر، ص: 114.

جهة أخرى وهو أنه مجهول الحكم، ولا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وهذا الأمر قد جهلنا حكم الله فيه في هذا الوقت وإلى الآن لم يتضح فيه شيء يثلج له الصدر ويبين فيه الأمر، وقال لي، رضي الله عنه، وقد رأيت قصيدة في تحليلها للعشابي الدرعي تزيد على مئين من الأبيات، قال: وقد عارضتها بمثلها وكتبت في آخرها ما معناه: لست ممن يذهب في هذا إلى التحريم ولا إلى التحليل، وإنما أردت أن يعلم الناظر في القصدين أن كل واحد منا يتكلم بهوى نفسه وليس على يقين فيما يقول. وقال لنا رضي الله عنه: وأبلغ واعظ رأيته في شأنها يدل على تحريمها، لو كنت ممن يعتمد المرائي وأشباهها في التحليل والتحريم، وذلك أني كنت بدرعة أول ما ظهرت هذه العشبة وأنا حديث السن في أوائل الاشتغال بالطلب، بينما نحن ذات ليلة والطلبة مجتمعة في ليلة خميس كما هو شأنهم في ليالي تعطيل القراءة، فأتى بعضهم بهذا الدخان فتناولوه فيما بينهم على أن جاءت إلي فتناولتها وأخذت منها نفسا أو نفسين، فلما نمت جاءني في عالم نومي رجلان بيدهما حرب من حرب السودان، وما كنت رأيتها قبل ذلك، فأخذ يضرباني ويعذباني ويقولان لي لم تناولت الدخان وأنا أعتذر لهما وأقول لا علم لي بشأنها، ولم يقبلا عذري وعذباني عذاباً شديداً حتى استيقظت ووجدت أثر الضرب في جسدي ظاهراً أتألم منه ألماً شديداً، وبقيت مريضاً من أجل ذلك نحواً من سبعة أشهر. قال لنا رضي الله عنه: وأنا لا أشك في صدق الرؤيا، ومع ذلك فأنا متوقف عن الحكم بالتحريم لما في الحكم من الخطر، ولم أخبر شيخنا اللقاني بهذه الرؤيا خشية أن يعتمدها في التحريم هـ. ما ذكر لنا شيخنا وغالبه بمعناه.

قلت: والذي أرتضيه ما ذكره شيخنا هذا، رضي الله عنه، من الوقف، مع الميل القوي إلى التحريم، وغالب المتورعين من الفقهاء ومعهم جميع الصوفية أرباب القلوب[1] الصافية يصرحون بالتحريم، والذي أعتقده أن الفقهاء إذا اختلفوا في حكم وكانت الصوفية في جانب واحد، فالحق معهم لأن الله يؤيدهم، وهوى النفوس معقود منهم فلا ينطقون إلا عن حق وصواب. وقد سألنا شيخنا المـلا إبراهيم بن حسن الكردي ثم المدني عن قول شيخنا قطب زمانه الجامع بين العلمين، صفي الدين القشاشي، رضي الله عنه، في شأن هذا الدخان فقال لي: سمعناه مراراً يقول بكراهته ولا يبلغ فيه التحريم، وعامة فقهاء المشرق متساهلون

[1] في ط: البصائر.

فيه، فضلاً عن عوامهم، وقد رأينا كثيراً ممن يستعمله في المساجد ولا يتحَرَّجون، وهذا أمر شنيع لا ينبغي أن يختلف في امتناعه لكراهة رائحته وخبثها ومنافاة تعاطيها للتعظيم والوقار المطلوبين في المساجد، حتى إنه يحرم كل ما يخل بتعظيمها ويقتضي إهانتها حتى الثوم والبصل، مع الاتفاق على إباحتهما، ولو اضطر إليهما الآكل للدواء، إلا أن أهل المشرق في الغالب مخلون بتعظيم المساجد يأكلون فيها ويشربون ويحلقون رؤوسهم وينامون. وأما شيخنا علامة الوقت أبو محمد عبد القادر الفاسي، رضي الله عنه، فطريقه فيه كنحو طريق شيخنا السكتاني وأشد منه فإنه يميل كثيراً إلى التحريم ويصوب أدلة قائله ويرجحها ما أمكن، ومع ذلك لا يصرح بالتحريم إلا أنه يبالغ في التنفير منه والتقبيح لشأنه، وذلك رأي شيخه وعمه العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه. قلت: وأحسن سؤال وجواب رأيته في شأنها سؤال العلامة سيدي العربي الفاسي[1] وجواب عمه العارف بالله سيدي عبد الرحمن، فقد بالغ السائل في السؤال وحقق المناط في ذلك حتى أنه لو وقع عليه جواب مطابق لجميع فصوله لانفصلت القضية، وجواب عمه فيه بعض اختصار غير مناسب لإطناب السائل مع ما فيه من التحقيق، وهو مائل إلى التحريم، ولولا الإطالة لكتبناهما معا تتميما للفائدة، وفي الإشارة ما يغني اللبيب عن إطالة العبارة.

[1] العربي بن أحمد بن علي الفاسي، فقيه مشارك،توفي عام 1096 هـ: التقاط الدرر، ص: 232.

ذكر ارتحالنا من مدينة طرابلس (أمنها الله)[1]

كان ارتحالنا منها بعد ارتحال الأركاب كلها، المشرقية والمغربية، يوم الاثنين الخامس من شعبان، وافترق الركب من هناك، وذهبت طائفة منهم مع الحاج محمد نين، والطائفة الأخرى مع الحاج محمد بن عمران والحاج محمد بن مؤمن، وهم جل الركب، وشيعنا من هناك صاحبنا سيدي محمد بن أحمد بن عيسى اليربوعي، وصاحبنا أبو راوي، وجماعة من الطلبة إلى زترون، ودخلنا المدرسة التي هناك ووجدنا بها صاحبنا الناسك الخاشع سيدي محمد بن بلقاسم الغرياني، وتلقانا الطلبة بالترحيب، وأطعمونا، وهذه المدرسة أحسن المدارس التي في تلك السواحل، وقد زرنا على بابها قبر رجل من الصالحين قريب العهد، أظن أنهم ذكروا أنه يعرف بالعريفي[2]، وأخبرني من أثق به بحكاية وقعت لبعض الناس مع صاحب هذا القبر في شأن الدخان تدل على قبحه وخبثه، وذلك أنه كان عند قبره زيتونة كان يجلس إليها في حياته، فجاء رجل بعد موته فجلس في ذلك المحل وشرب فيه الدخان، وكان من أكابر البلد، فلما نام في الليل جاءه ووقف عليه وضربه على رأسه فقال له: يا فلان، مكان كنت أجلس إليه فجئت إليه فنجسته، فأصبح الرجل أعمى. أخبرني بذلك من أخبره الأعمى، وبات الركب هناك قريباً من زترون، وبات معنا أصحابنا، وفي الغد ارتحلنا ومررنا ضحى بقرية هناك قريباً من الزاوية الغربية فيها رجل من الصالحين يزهد، وكل من جاءه ضربه بين كتفيه ثلاث ضربات ودعا له، وأخبروني أنه كان هناك رجل من الصالحين قبله يفعل مثل ذلك، وكان هذا غير معروف، فلما مات أصبح هذا الرجل يفعل مثل ذلك، ونزلنا ذلك اليوم بالزاوية الغربية، وكان قد تقدم إليها صاحبنا الحاج عبد الرحمن غريط المكناسي وله عند أهلها مزية عظيمة، ويعتقدون فيه اعتقاداً كبيراً، ويرون أنه من أهل التصريف، فكل من له حاجة طلبها منه وأتاه بصدقة، ولا يذهب عنه إلا وهو يعتقد أنه قد ظفر بحاجته، وربما قضيت حاجة بعضهم، وربما اتفق له

---

[1] ساقط من ط.

[2] ترجم له صاحب الصفوة تحت اسم: مجهول نقلا عن الرحلة العياشية: صفوة من انتشر، ص: 287.

الأخبار بشيء فيقع كما أخبر، وهو رجل عامي نعلم طويته وعلانيته، خالٍ من كل ما يتوهمون فيه، وإنما أعانهم على ذلك حسن اعتقادهم وبركة إخلاصهم، فأضافوا الركب تلك الليلة ضيافة كبيرة يتقربون بذلك إلى مرضاة الشيخ عبد الرحمن، وفي الغد ارتحلنا ومررنا قبل الزوال بقرب ولي الله تعالى سيدي راشد الكاليلي، وتؤثر عنه كرامات كثيرة، ونزلنا قريبا منه، وزرناه من هناك، ودعانا صاحبنا سيدي محمد بن أحمد بن عيسى البربوعي ورفيقه سيدي أبو قطاية من نسبه، و لم نبت إلى مقابلة زواغة، وفي الغد نزلنا الزاوية الشرقية بعد المغرب، ومنها إلى برج الملح، ومنه إلى قرب السواني، ثم مررنا بالسواني في المكان المسمى ابن كردان قرب الزوال، ونزلنا دون حاسي السلطان، ثم نزلنا بينه وبين واد السمار، ثم نزلنا قرب عرام، ثم زريق، واجتمعت بصاحبنا سيدي محمد الصالح سيدي عبد الله بن عبد العزيز المحروني، وأدخلني إلى محل تَعَبُّد والده، وبتنا هناك عنده، وأضافنا وأجزل القرى جهده، ووجدنا عنده جملة من الكتب، ومن جملتها مختصر معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، وقد ذكر البلوي في رحلته أنه لقي صاحب التأليف وأثنى عليه وعلى تأليفه هذا، ولأجل اغتباطي بهذا الكتاب سهرت عليه معظم الليل وطالعت جُلَّه في تلك الليلة، وقد ذكر فيه خبر القبر المنسوب إلى أبي لبابة، رضي الله عنه، في مدينة قابس، وقد فحصت عن خبره كثيراً و لم أجد من ذكره إلا ابن ناجي في هذا الكتاب، فقد أطال في خبره وذكر أن قبره مما تواتر عند أهل بلده، وذكر أن شيخه البرزلي، رضي الله عنه، قال له مثل ذلك، وأن تواتره دليل على صحة ذلك، وذكر أن من لم يذكره ممن ألف في أسماء الصحابة وأمكنة وفياهم، فلأنه لم يبلغه العلم به والتواتر المذكور مقدم على ذلك، وكاف في إثبات أن ذلك قبره، وكنت قبل ذلك ربما لحقني فتور في العزم عند زيارته لاستبعاد ذلك من غير أن يكون منصوصاً عليه، فلما رأيت ما في هذا الكتاب زال ما بقلبي من ذلك وقويت نيتي في زيارته، رضي الله عنه، وقد بنى عليه أمير تونس حموداً بنياناً عظيماً أثابه الله على قصده الجميل، ومما نقلته من هذا الكتاب أنه لما فشت البدعة بخلق القرآن بالقيروان شكوا ذلك إلى سحنون فقال لهم: لا يروعنكم ذلك فإن الله تعالى إذا أراد قطع بدعة أظهرها وأفشاها، فكان الأمر كذلك هـ بالمعنى.

ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا مدينة قابس ضحى ونزلنا بأبي لبابة، رضي الله عنه، واجتمعت بقاضي البلد سيدي عيسى بن علي العبدي الدكالي المغربي، وهش وبش وبالغ في الإيناس ولاطف جهده، وله وجاهة تامة في البلد وعند أميرها، تربى على علمه بأضعاف مضاعفة وليس عنده من التحصيل في فن من الفنون ما يستحق به أدنى من تلك الحظوة، ولا بدع في ذلك فإن البلد شاغرة من العلوم، وسألته عن قراءته وأشياخه وعمن أخذ فلم أجد عنده ما يغبط فيه، وأخبر أن قراءته إنما كانت بتونس، وأنه قدم من المغرب وهو صغير.

وفي الغد ارتحلنا وشيعنا القاضي إلى الحامة، وبتنا بها عند رجل من أهل الخير يقال له سيدي أبو القاسم السويدي وعنده رجل من أهل الخير اسمه سيدي مصطفى كان أصله علجا فأسلم وأناب إلى الله في كبره، ولإسلامه قصة، وظهرت عليه سيما الخير من الاجتهاد في العبادة والزهد في الدنيا والرضا بالدون بعدما كان فيه من النعمة ومخالطة الأمراء، ثم انضاف إلى سيدي أبي القاسم المذكور يتعلم منه دينه، وبالجملة فهما رجلان من أهل الخير فيما يظهر، وقرأ على القاضي في تلك الليلة أحاديث من البخاري وغيره، واستجازني فأجزته، ومن هناك ذهب طائفة من أصحابنا إلى الحاج مراد بي ولد حموداً، وهو أمير تلك البلاد، وكان بقفصة، فقصده الحجاج في سرقة سرقت لهم في عمالته أيام طلوعهم فلم ينجح سعيهم عنده ولا ظفروا بما قصدوا من عنده، ثم ارتحلنا من الحامة وكان نزول الركب بعدما قطعوا[1] الوادي، و لم نبت تلك الليلة إلى نبس الذيب عند شارية سيدي جمال بن سيدي حامد، وتطلبت في الوادي قبل النبش معدن الزجاج الحبري، وكنت عهدته فيه قبل هذا بأزمان فلم أجده لكثرة الأمطار في هذه السنة، وفي الغد نزلنا قصر الرمان، وفي الغد مررنا بزاوية سيدي حامد، و لم نبت إلى زاوية الرمل، ومنها قطعنا السبخة الكبيرة التي لا نظير لها إلى زاوية سيدي أبي هلال السوداني، وتقَدَّمت أمام الركب في طائفة من الحجاج، ونزلنا البلد ظهراً وقيلنا في النخيل إلى أن صلينا الظهر، فطلعنا إلى زاوية الشيخ سيدي أبي هلال في سند الجبل وعليه مشهد وعنده مسجد وثيق وحوله أبنية ليس فيها ساكن، وقبور كثيرة ربما ترى الأموات في بعضها عليهم أكفان لم يتغير منهم شيء، ومن لم يعهد مثل ذلك من الحجاج في بلاد المشرق من وضع الأموات في بيوت فيطير عليهم

[1] في ط: قطع.

ربما زعموا أن ذلك كرامة ومنقبة لأولئك الأموات فيتبركون بهم، وقد جلسنا هناك هنيئة وطفنا في تلك الأماكن، ثم رجعنا ووجدنا الركب قد نزل خارج الزاوية، وبتنا هنالك تلك الليلة.

ولما ارتحلنا من زاوية أبي هلال مررنا ببلدة دقيوس وهي من أكبر بلدان تلك الناحية، وفيها مأذنة كبيرة، وفي الجبل الذي فوقها غار يسمى غار أهل الكهف، وكأنهم تلمحوا ذلك من كون البلد يسمى بلد دقيوس، وقد استفاض على ألسنة الحجاج وعامة أهل البلد أن أهل الكهف في ذلك الغار، وأخبرني بعض الأصحاب من أهل ذلك البلد ممن يعتقد طريق القوم أنَّ كثيراً من الصالحين يذكر أنهم في الغار، وذكر لي صاحبنا أحمد بن عبد الإله عن سيدي محمد بلقاسم الجمني أنه ذهب مع بعض الصالحين من أهل جمنة إلي فم الكهف ودخل فخرج منتقعا لونه، وذكر أنه وجدهم هناك ورأى منهم عجباً، ولم يقضِ لي الوصول إليه لضيق الوقت، ولم أرَ من المفسرين من ذكر أنهم في هذا المحل، وقد ذكر المفسرون أماكن متعددة فمنهم من ذكره في الشام، وقيل بالعراق، وقيل بالأندلس، وذكرت أماكن أخر في المغرب.

لطيفة:

ذكر لي بعض الفقراء عن بعض المتفقهة أنه قال له: إن من زعم أنه رأى أهل الكهف أو دخل عليهم في غارهم وشاهدهم فقد كذب لأن الله تعالى قال لنبيه، صلى الله عليه وسلم: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً)[1]، فإذا كان، صلى الله عليه وسلم، يفر منهم ويمتلئ رعباً فكيف بغيره من الخلق. قلت: وهذا الذي ذكره ربما يستحسنه من لم يتمدن بأساليب البلاغة ويقف مع ظواهر الألفاظ، والحق وراء ذلك إن شاء الله تعالى، فقوله تعالى: (لو اطلعت عليهم)[2]، الآية، تهويل لشأنهم وتعجيب من حالهم وتصوير له في حال مهولة مفزعة موحشة من شأنها أن يفر منها الرائي ويمتلئ رعباً، على أنا لا نسلم أن الخطاب في قوله تعالى: (لو اطلعت) للنبي، صلى الله عليه وسلم، بل هو

(1) الكهف: 18.
(2) الكهف: 18.

خطاب عام لكل مطلع من شانه ذلك كقوله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار)[1]، ولو ترى يا من تصح منه الرؤية، فكيف يظن عاقل عالم بجلال النبوءة وكمال الرسالة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يفر ويرعب من رؤية أشخاص رقود أو أموات في محل موحش، كيف وهو ثابت الجأش رابط القلب تام العقل كامل الإدراك، قد شاهد من ملكوت السماوات والأرض ما لم يشاهده غيره، ورأى من عجائب مخلوقات الله ما لم يره أحد، وعاين الجنة والنار وجبريل على صورته، بل رأى ربه على أصح الأقوال، ولقد رأى من آيات ربه الكبرى، وما زاغ البصر منه عليه السلام، وما طغى، ولقد بعثه الله تعالى إلى جميع الثقلين ودعا جميعهم إلى الله، وكابد كل من خالف أمر الله، وبارزه بالعداوة ودفع إلى مضايق الأمور، وبارزه بالعداوة عظماء الإنس وعفاريت الجن، فكم من ظالم غشوم رام الفتك به، وكم من عفريت نفريت من مردة الجن تفلت عليه ليقطع عله صلاته، فما رغب لذلك ولا جزع، فكيف يفزع من رؤية أشخاص رقود في مكان موحش هذا أبعد منه بكثير.

ثم وصلنا إلى توزر ضحى يوم الأربعاء الواحد والعشرين من شعبان وبها وجدنا التجار الذين قاموا من تونس وبعض أهل جربة أرادوا أن يسافروا مع الحاج إلى المغرب، ولقيت صاحبنا سيدي سحراوي، وكان حج معنا وقدم قبلنا مع ركب أهل الجزائر، وهو رجل من أهل الخير صاحب وتلمذ لبعض أصحاب سيدي أحمد الدباسي، وكان أصله من عرب تلك الناحية، وسكن بعض أرباط توزر، وكان حج ماشياً حافياً، وذهب معنا لزيارة القدس والخليل عليه السلام، وقد جاءا إلينا بعد نزولنا خارج توزر، وأحسن إلينا ودخلنا ذلك اليوم إلى المدينة القديمة، وهي خالية، وزرنا قبر الإمام الشقراطيسي[2] وولده، وزرنا خلوة الإمام أبي الفضل بن النحوي رضي الله عنه، وهي بجانب المسجد، وزرنا مشاهد أخرى غير ذلك.

ومدينة توزر مدينة حسنة غزيرة المياه كثيرة الأجنة والنخيل، ينساب فيها وادي كبير، منبعه من غربيها، وأعرابها أهل بادية مخصبة، فيرخص فيها غالبا سعر اللحم والسمن، وأما التمر فيها فرخيص جداً، ولقيت من طلبة البلد سيدي أحمد

---

[1] الأنعام: 27.
[2] في ط: السرقسطي.

المولى، ولا بأس به، وسأل عن عدة مسائل فقهية، وبحث بحث مستفيد عالم بقواعد البحث، ودخلت إلى خزانة سيدي أحمد الدباسي عند حفيده سيدي يدين، ووجدت فيها عدة كتب منها السفر الثاني من كتاب الوجيز للشيخ عبد الغفار بن نوح، وهو كتاب نفيس جدا غية في بابه، وكان في ملكي السفر الأول وطال بحثي عن الثاني فلم أره إلا في هذه الخزانة، ولأجل اغتباطي به طالعت جله في هذه المدة، ولما كان يوم الجمعة ذهبت مع صاحبنا سيدي سحراواني[1] إلى مدينة نفطة[2] لزيارة سيدي أبي علي النفطي نفعنا الله به، وهو من أكابر الصالحين من أصحاب أبي الفضل البسكري مذكور في كتاب التشوف[3]، وسمعت من بعض الفقراء أن سيدي بوهلال السرادي معاصره، وبلغنا إلى نفطة قبل الظهر وبينها وبين توزر ثمانية عشر ميلا، وزرنا ذلك اليوم وجلسنا هناك حتى صلينا الظهر، ووجدت هناك سفراً من شرح الشقراطيسية لابن المصري، وهو كتاب ممتع غاية، طالعت بعضه في تلك الهنيئة وقيدت منه، ورجعنا في ذلك اليوم ووصلنا إلى توزر بعد المغرب، ولم نصل إلى الركب، وبتنا في منزل صاحبنا سيدي سحراواني[4]، وأجزل القرى، وأقمنا بتوزر إلى يوم الأحد ينتظر الركب أصحابهم الذاهبين إلى قفصة، ولم يصلوا إلا في يوم رحيلنا، وجاعت الإبل في ذلك البلد غاية، وأكثر ما يطعمهم أربابها أغصان الزيتون يشترونها من أهل البلد.

وممن لقيت بتوزر صاحبنا سيدي أحمد بن عبد العاطي، وهو من أصحاب شيخنا سيدي محمد بن ناصر، وأدخلني إلى داره وأضافنا وأراني عقد حبس عتيق عنده بخط الإمام ابن مرزوق وتاريخه سنة كذا وعشرين وثمانمائة، وفيه خط الإمام العقباني رضي الله عنهما، وقد أعطاني نحواً من صاع من تمر ذلك الجنان المحبس، فقلت آخذه على وجه البركة، وبقي عندي إلى أن دخل شهر رمضان، وكنت أفطر منه كل يوم بتمرات تبركاً بالحلال، وأي حلال يوجد اليوم أحسن من ملك بقي صاحبه نحو الثلاثمائة سنة، وشهد فيه الأئمة الأعلام بصحة الملك.

---

(1) في ط: سحرواي.

(2) نفطة: مدينة بإفريقية، من أعمال الزاب الكبير،وبين نفطة ومدينة توزر مرحلة، وإلى مدينة نفزاوة مرحلة، وبينها وبين قفصة مرحلتان: معجم البلدان: نفطة.

(3) قال التادلي: أبو السن ابن المصري النفطي، من أهل نفطة من بلد إفريقية، من أهل المعرفة والإقبال على الله: التشوف، ص: 433 – 434.

(4) في ط: سحرواي.

ثم في يوم رحيلنا دخلت إلى البلد القديم أيضا وزرت الإمام الشقراطيسي مرة أخرى، وزرنا سيدي علي بن عمران تلميذ سيدي أبي علي النفطي، ومقام ابن النحوي وجماعة من الصالحين، ودخلت المسجد القديم ورأيت في محرابه منقوشا ما هذا صورته: نقشت هذه القبلة سنة كذا وتسعين وخمسمائة.

وممن زرناه أيضا قبر ولي الله سيدي أحمد الدباسي وله كرامات كثيرة ومقامات عليَّة، وعليه تخرج العارف بالله محي الطريقة بالبلاد المشرقية سيدي علي بن ميمون الحسني الإدريسي الفاسي الأصل، وأكثر أتباعه، وانتشرت تآليفه في بلاد الشام ومصر والروم نفعنا الله به، ثم ارتحلنا من مدينة توزر يوم الأحد وبدا الركب في المرور بمدينة نفطة بعدما كانوا عزموا على سلوك الطريق اليمنى على الحامة، وهي المعهودة للأركاب لاتصال عمرانها، وفي هذه السنة مررنا بنفطة وزرنا الشيخ أبا علي مرة أخرى ذلك اليوم، ولم نبت إلى حاسي السلطان، ولقينا أهل نفطة قد بيتوا الجراد، وقد بقيت في البلاد بقية جوع، وكان بها جوع في الزمن الماضي، ونفطة مدينة كبيرة أيضا قريبة من توزر ولها واد مثل واديها يقال إن خراجها مثل ثلثي خراج توزر. ثم ارتحلنا من حاسي السلطان ولم نبت إلى قرب الكلابية، ثم وردناها ضحى يوم الثلاثاء بعدما داخ عنها الدليل وتحير الناس فلم يهتدوا إليها إلا بمشقة، ووجدناها مردومة، ونزل الناس عليها وجهروا وأقاموا عليها بقية يومهم في أرغد عيش على الماء والمرعى، والله المعين. وبات الجراد بإزاء الركب في الكلابية وسرى إليه طائفة من الحجاج فأخذوا منه ما استعانوا به في زادهم تلك المدة، وكان الجراد في إبان ولادته بيوضا وارتحل الناس من الكلابية، ونزلنا الرقيق وهي أحساء مُتَعَدِّدة وماؤها صافٍ، وهو مثل الذي قبله، ثم ارتحلنا ونزلنا قرب الأعرج، وفي ذلك اليوم خرجنا من الرمل إلى أرض صحيحة وجئنا إلى زريبة حامد ووجدنا عليها عرب نميلة، وأولا سيدي المبارك بن ناجي، ولقيت هناك أخا الشريف المجذوب صاحبنا، وهو أشبه الناس به، وأخبرني بموته رحمه الله، وكان رحمه الله[1] من أفضل من رأيته من المجاذيب، وله حال أقوى فيما أظن، لقيته سنة أربع وستين وسنة خمس وستين في ذلك البلد، وهو ينتمي إلى سيدي محمد بن بو علي البسكري رضي الله عنه. ولقيت هناك أيضاً صاحبنا سيدي عبد الله بن محمد بن المبارك ومعه جماعة من إخوانه وبني عمه، وكانوا يرتقبون قدومنا منذ

[1] في ط: وهو.

أيام، وفي ذلك اليوم أيسوا منا وراحوا آخر ذلك اليوم إلى الخنفة وهي بلـــدهم، فلما رأوا أعلام الركب تخفق جاؤوا وباتوا معنا وأضافونا ضيافة حسنة، وبعث إلى والده، وقدم صبحاً، وتبركنا به، وسألوا عن مسائل من أمر دينهم وهم أهل خير وبركة لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلا أنهم في بلاد قل فيها أهل التحصيل، وأبلغتهم سلام شيخنا أبي مهدي، رضي الله عنه، وكانت بينه وبينهم ألفة قديمـــة ومـــودة أكيدة حياة عمهم الأكبر سيدي التواتي بن ناجي، وكان من العلماء العاملين، فلما توفي حصلت بينهم جفوة سببها منهم، ولم يحتمل لهم ذلك، وذلك أن شيخنا لما خرج من الجزائر وتقلب في البلاد آوى آخرا إلى سيدي التواتي وقام بحقه وألف به وبقي معه إلى أن طرق الوباء تلك الناحية في حدود الستين وألف، وفر غالب من كان مع الشيخ التواتي، وبقي معه الشيخ أبو مهدي صابراً محتسباً إلى أن طعـــن الشيخ التواتي، فقام أبو مهدي بأمره إلى أن توفي ودفنه وفرغ من تجهيزه، فجاء إلى إخوانه الذين في بلدهم بالخنقة، وكانت له عليهم آلة، ورأى أنه قد امتن علـــيهم وأسدى إليهم معروفا بما فعله مع كبيرهم وأخيهم، فلما رأوه تنكروا له وتجـــافوا عنه خشية العدوى فيما زعموا، فأنف هو من ذلك وذهب مغاضباً لهم، وتـــرك كتبه هناك عندهم وقال لي: لا أبعث إليها أبداً إلا أن يبعثوها من عند أنفـــسهم، وقد تعللوا أنهم لم يجدوا أميناً يبعثونها معه، وقالوا لي: لو مررت بنا لبعثناها معك، ولا عذر لهم في ذلك. ومن جملة ما سألونا عنه أنا وجدناهم متحيرين في أمرهم لطروق الوباء في نواحيهم، وتخوفوا أن يدهمهم في بلدهم وعزموا علـــى الفـــرار وسألوا هل يسوغ لهم ذلك قبل وصوله إليهم أو لا يسوغ إذ كان القصد الفرار منه ولو لم يطرق البلد فتوقفت في ذلك إذ لم أر نصا، وقلت لهم: مقتضى قول من علل حرمة الفرار لما يؤدي إليه من ضياع المرضى وعدم القيام بأمرهم الذي هـــو واجب أن ذلك يجوز قبل وصول الوباء إلى البلد، ومقتضى قول من علل بأنه شك في المقدور وعدم ثقة بالله أنه لا يجوز، وربما رخصت لهم في الخروج وقوفا مـــع ظاهر لفظ الحديث، ثم بعد ذلك رأيت الإمام الخطاب في كتاب الطواعن جعلـــه محل نظر ورجح الجواز، والله أعلم.

ثم ارتحلنا من ذلك المكان أول يوم من رمضان يوم السبت ومررنا بزريبـــة الوادي ضحى ولم نبت إلى المنصف، وهو نصف الطريق بين الزاب وسيدي عقبة، ووجدنا المنصف نزلتين لأولاد صولة قد نزلوه ذلك اليوم، وكانوا أغاروا على نزلة

لبعض الأشراف وأخذوهم. وفي الغد جئنا لبلد سيدي عقبة وتحققنا الوباء فيه، وفي البلاد التي في أطرافه وفي بسكرة، و لم ندخل لزيارته وبتنا بينه وبين بسكرة، ولقينا في ذلك اليوم نزلة الأشراف الذين أخذوهم أولاد صولة رجالاً ونساء راحلين وعليهم أثر الجوع باد، وفتتوا أكبادنا وهم قوم من الأشراف صح نسبهم واشتهر بين الحاضر والباد من أهل تلك النواحي، وأخبرني بصحة نسبهم شيخنا أبو مهدي وهو عارف بأخبار البلد وأهلها، وإنما أزرى بهم كونهم يرحلون ويترلون في البادية، وأما سيدي عقبة المنسوب إليه البلد فهو عقبة بن عامر التابعي[1]، وهو الذي افتتح بلاد إفريقية وبنى مدينة القيروان، وقد استوفى المؤرخون أخباره، وذكر ابن خلدون خبر قتاله مع الكاهنة التي بجبل أوراس، وقبره الآن مشهور ويزار، وعليه مسجد عجيب وحوله قرية كبيرة في وسط هذا البسيط، وفي مسجده مأذنة كبيرة متقنة البناء، وفي أعلاها عمود، والحجاج يزعمون أن من تمسك بذلك العمود وحركه وقال: أقسمت عليك أيتها المأذنة بحق سيدي عقبة إلا ما تحركت، فتهتز، وقد طلعت إليها ورأيت ذلك، وليس كما زعموا، وإنما هو من إتقان البناء وفرط طوله، فإذا صودم بقوة ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يقع في كل بناء، وغالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه، ويكتب اسمه، واتخذوا ذلك ديدنا وعادة مستمرة، وقد دخلته مرارا، وقد عاقنا الوباء من دخوله في هذه المرة وزرناه من خارج، وبتنا بينه وبين بسكرة، وأصابتنا ريح عاصفة بليل منعت غالب الناس من وقود النار، فأصبحت مفطراً ذلك اليوم من أجل ذلك، ونزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين، وكان نزولنا خارج البلد من غربيه لأجل الوباء، واضطر الناس لدخول البلد لشراء الزاد، ووجدنا الركب الذين قدموا أمامنا نزلوا داخل البلد وأقاموا بها يومين قبلنا وخوف أهل البلد من عرب أولاد نصر ابن بو عكاز، وحذروهم من غاراتهم على إبل الركب، فلم تسرح للركب سارحة إلا ما يشترون من الحشيش، واقتفينا آثارهم في ذلك، ولحقتنا في ذلك مشقة عظيمة من حبس الإبل والشراء لها، و لم أدخل البلد لمزاحمة الأشغال إلى عشية يوم الأربعاء، ودخلت لزيارة أبي الفضل، رضي الله عنه، وقبره خارج المدينة وحوله مسجد ومساكن أقوام من جيرانه، ودخلنا المسجد وطلعنا إلى مأذنته، وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر

---

[1] يقصد عقبة بن نافع الفهري الذي تقدمت ترجمته.

الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربعة وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء، إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه، فلا ترى به مدرسا ولا قارئا مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران فيها قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها، وأرحاء متعددة تطحن بالماء، ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش، إلا أنها ابتليت بتخلف الترك عليها وعساكر الأعراب يستولي عليها هؤلاء تارة، وهؤلاء تارة، إلى أن بنى الترك عليها حصنا حصينا على رأس الماء الذي يأتي إليها، فتملكوا البلاد وضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج، ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله، فاجتمعت عليها غارة العرب من خارج وظلم الترك من داخل، وقد أشرفت على الخراب، وقاربت أن تكون يبابا لولا ما تأثل من أسباب عمرانها الموجبة لرغبة الناس في سكناها، وقد لقيت بها في سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع وصدق التوجه إلى الله، واسمه سيدي بوطيب نصير، لم تر عيني قبله ولا بعده أمثل منه في هديه وسمته، تخشع القلوب لوعظه، وتلين لكلامه ولو كانت أقسى من حجر، ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل نحو من سبعين ألف نفس، وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خالياً، ومساجدها دائرة، ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير منفرد في مسجد له بإزاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس ويجتمع إليه ناس من أصحابه يذكرهم ويعلمهم، وخرج إلينا أيضا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني، وهو أيضا رجل من أهل الخير غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ علي أول صحيح البخاري، من رواية أبي ذر، وذهب معنا إلى زيارة أبي الفضل، وصلينا العصر في مسجد سيدي أبي الفضل، وفي الغد يوم الخميس ارتحلنا ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن بوعلي فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق، ولم يترل إلينا وقرأ لنا الفاتحة

من هناك ونحن في الطريق، ودعا لنا، وهو رجل من أهل الأحوال الصالحة مغلوب عليه في أكثر أوقاته تؤثر عنه كرامات[1]، وقد لقيته بداره سنة خمس وستين، وهو في مرمة له في داره يعمل بها بيده ينسج الثياب، وأخبرنا أن قوته من كسب يده، وأخبرنا بحاله ومبدأ أمره مع شيخه، وقد انتشر صيته في هذا الوقت بتلك البلاد، وله أتباع وأصحاب يجتمعون إليه في أوقات للسماع والذكر، وسمعنا من بعض الحجاج ممن زاره بعد ذلك أنه قال لهم: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال له: إن النار لا تمس من رآك. وزعموا أنه قال: ومن رأى من رآك مراتب متعددة، والله أعلم بحقيقة ذلك، فإن صح أنه قاله فهو في الغالب لا يكذب، إلا أن كلامه يحتاج إلى تأويل ويبعد حمله على ظاهره، وأن المراد مجرد الرؤية البصرية، فإن القواعد تأبى بقاءه على عمومه فإنه يراه البر والفاجر، والمصر على الكبائر القارف لها، والجاهل الذي يتطرق الخلل إلى إيمانه لغلبة الجهل والآراء الفاسدة، ولكثر تهم جدا يبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجبة لغفران جميع الذنوب الموجب للنجاة من النار، إلا أن كلام الأولياء لا ينبغي أن يرمى به جزافا، فليحرص المرء جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم، فعسى أن يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا وآخرة فإن لله عبادا إذا نظروا إلى أحد أغنوه، ومع ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون حتى يعتقد أنه إن رآهم أمن. فمن قال مثل ما تقدم فقد أمن النار، فإن لكلامهم وجوها واحتمالات تدق على أفهام أكثر الخلق ممن لا يسلك طريقهم، وأقرب ما يحمل عليه الكلام المتقدم أن تحمل الرؤية على القلبية والمرئي على صورته الباطنة التي توجب العلم بما هو عليه من سني الأحوال وسمي الأوصاف ورفيع المقامات، ولا شك أن من منح شهود ذلك وأشرف عليه فله نصيب وافر من التخلق بأخلاق الأولياء والورود من موارد الأصفياء، وحينئذ يكون جديرا بأن لا تمسه النار، وهذا من معنى ما اشتهر عن قطب الزمان مولانا عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه، أنه قال: أخذت العهد على ربي أن لا يدخل أحد من أتباعي النار إلى يوم القيامة فيحمل على من اتبع طريقه لا على مجرد الانتساب باللسان، ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره وعمومه لكان أولى بذلك الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وكثير ممن رآهم رؤية بصرية لم يوفق للاهتداء بهديهم فحرم بركة رؤيتهم، وكل مقام ناله ولي من

---

[1] وردت هذه الترجمة بنصها في نشر المثاني 2:137.

الأولياء فهو ميراث أتباعه لبنيه وما كان ميراثاً لا يصح أن يكون شيئاً لم يكن لموروثه، بل يستحيل عند أرباب القلوب أن ينال ولي ولو ذرة من مقام أو حال لم تكن بكمالها لمتبوعه، ومعلوم أن هذا الحال لم تكن لأحد قط فلا بد من التأويل وما أطنبت في هذا إلا أني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بأمثال هذا ويحمله على ظاهره، وإلا فأنا والحمد لله ممن يعتقد تتريه ساحة الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء ويثق بأقوالهم ويصدق بكراماتهم ويحمل ما أشكل على أحسن محامله ولا أطعن فيه بوجه، وأسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه، والمنة لله وحده في ذلك.

وكان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس وسرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر لكثرة ما يخوفنا الناس منهم، واجتمع الركبان عند قطع الساقية وساروا جميعاً، ومررنا بقرية أمليلي ظهراً ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضري، ودخلنا لزيارته وصلينا بمسجده وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن له تأليف مشهور وكرامات مأثورة، واشتهر بتأليفه المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المرونق[1]، وقد نفع الله بها، وله منظومة في السلوك تشابه المباحث الأصلية رائقة النظم فائقة الحسن، حلوة وله مقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد، وبيتهم بيت علم وصلاح، وسمعت أنه هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب المنسوب لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام، وهذا القبر الآن من المزارات الشهيرة في تلك البلاد تقصده الأركاب للزيارة من نواحي إفريقية كلها، واشتهر أمره عند الخاص والعام، والبدو والحضر، وعليه مسجد عظيم، وحوله مدرسة، والناس يؤثرون عن ذلك المشهد كرامات، وقد أشكل أمره علي، وسألت عنه من يظن به علم فلم أجد عند أحد ما يشفي ولا رأيت خبره في تاريخ ولا تقييد، وغاية ما سمعت من بعضهم أن سيدي عبد الرحمن الأخضري أخبرهم أنه شاهد النور صاعداً من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها، وأخبر أنه قبر نبي الله خالد، فإن كان اطلع على ذلك من كشفه فيسلم له فإنه أهل لذلك، وقد رأينا وسمعنا في بلاد المشرق بمشاهد متعددة من قبور الأنبياء والأولياء أظهرها أهل الكشف الصادق فتزار بحسن النية وجميل الاعتقاد وحسن الظن بقائل ذلك حتى أن المشهد المنسوب لكليم الله موسى عليه السلام بالأرض المقدسة إنما أظهره بعض أهل الكشف بعد الستمائة أو قريب من ذلك، وهو الآن من المزارات العظيمة

---

[1] أنظر هذه المنظومة في كتاب: مجموع مهمات المتون، ص: 262 – 270.

الشهيرة، وقد ذكر لي بعض الناس أن خبر خالد بن سنان هذا مذكور في بعض التفاسير المنقولة عن الإمام ابن عرفة، وأنه في هذا المكان، وبحثت عن ذلك فلم أقف عليه، ويبعد عندي كل البعد أن يكون خالد بن سنان العبسي مدفونا في هذا المكان فإن الأخبار المنقولة في شأنه المذكورة في كتب أهل السير تأبى ذلك فقد ورد في بعض الأحاديث أنه نبي من العرب بعث بين عيسى عليه السلام ونبينا، صلى الله عليه وسلم، وأنه بأرض الحجاز وأنه مات بها، وأنه أوصى بنيه أن ينبشوه بعد حول فيخبرهم بأخبار ما أرادوه وغير ذلك من الأخبار المنقولة عنه، فإذا ثبت ذلك فما أبعد الحجاز من الزاب، وقد ورد في بعض الآثار أنهم لم يدفنوه وأنهم حملوه على ناقة فذهبت به، فإن صح ذلك فربما يتوهم أنه بلغت به إلى هذا المكان ودفن فيه، وهو خرق عادة أيضا، وأقرب ما يحمل عليه أمر هذا المشهد إن صح أن به قبر نبي ما. قال لي شيخنا أبو بكر بن يوسف السجتاني، وقد سألته عنه لما مررنا به سنة ستين وألف فقال لي: لم أر خبره منصوصا، وأقرب ما يحمل عليه أحد رسل عيسى عليه السلام الثلاثة المذكورين في قوله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية)[1] الآية، فقد ذكر بعض المفسرين أحدهم اسمه خالد، وأنه نبي أصحاب الرس، وقد ذكر بعضهم أن بلاد الزاب هي بلد أصحاب الرس، فإن صَحَّ أن هذا قبر نبي الله خالد فهو هذا، والله أعلم، وقد مدحت نبي الله خالد بن سنان بأبيات لما مررت بهذا المشهد سنة أربع وستين وهي هذه:

[خفيف]

يا نبي الإله يا ابن سِنان	خالدا جُد لخائفٍ بأمانِ
مُذنب يطلب السماحَ ويرجو	نفحة تطلقُ الأسيرَ العانِ
قد أناخَ ببابكم مُستجيرا	بجنابك من صُروف الزمانِ
فاحمِهِ أنت خير من يمنع الجا	رَ ويطعن دونه بسنان
وحاشاكَ يُسام جارك يا خير	الورَى بمهانة وهوانِ
فاحْمِ من أم ابك الرحب يرجُو	غارة يكشف الهمومَ الدوان

[1] يس: 13.

أيخــــافُ إذا أتـــى لحمـــاكم مـــستجير مـــن المهالـــك جـــانِ
كنْ كفيلا بمحــو ذنــبي فمــا لي بالــذي قــد جئــتَ منــه يــدانِ
ما أضــاعكَ إذ أضــاعتك عــبس مـــن أجلـــك في أجـــل مكـــانِ
بــل حبــاك نبــوة وارتفاعــا قــد غــدا دونَ قــدره الفرقــدان
لـــو أطـــاعوكَ في وصـــيتك القــرار أوَ مــا تقــولُ أي عيــان
قــد أتيتــكَ طالبــا وصــلة الله فــإن نلــتُ هــذه فكفــاني
فبجاهـــك أســـألُ الله ربي لأفـــوزَ بهـــا بغـــير تـــوانِ
وقـــصدتكَ مادحـــا بنظـــام مثل زهــر الربــا ونظــم جُمــان
فتقبـــل بفـــضلِ جـــودك مـــني حُلــة رُمــت نــسجها بلــساني
يــا نــبي الإلــهِ فاجعــل جزائــي بالــذي ابتغــي وسُــكنى الجنــان
يا نــبي الإلــه فاقبــلْ علــى مــا ســـطرته مـــن المـــديح بنـــانِ
فعليـــكَ مـــن الإلـــه ســـلامٌ وصـــلاة تتـــرا بكـــل أوانِ

وتجاوزنا زاوية الأخضري وبتنا ببلدة تُسَمَّى لؤي، وفي الغد ارتحلنا وســرنا جدا خائفين، ونزلنا ظهراً بالمكان المسمى بالدويسة بينه وبين أولاد جلال نحو من فرسخ، وهناك تحقق الناس أمر العرب وأنهم معترضون للركب قاصدون أخــذه معهم نحو من ثلاثمائة فارس، وأنهم ارتحلوا بحللهم ونزلوا بأعلى واد سيدي خالد على حافتي الطريق، ومرادهم إذا توسطهم الركب وثبوا عليــه رجــالاً ونــساء وصبيانا، وأخبرنا أهل البلد أنهم في غاية ما يكون من الجوع، وقالوا لنا لا طاقــة لكم بهم، ولو قاتلتموهم وقتلتم ما عسى أن تقتلوه، فإن ذلك لا يردعهم عنكم، لشدة جوعهم، وأشاروا علينا بتنكبهم وترك الطريق التي هم عليها، وبعثوا إلينــا دليلا عارفا بالطريق، واشتد الخوف على الحجاج وقوي العزم من جماعــة أهــل الركب على الرجوع إلى بلاد ريغ، وجاؤوا إلي مستشيرين فلم أوافق على الرجوع إلى ريغ واشتد ذلك علي وعلى سائر الضعفاء، ورأينا أن الرجوع إلى ريغ هو غاية

التعويق والانقطاع في بلاد الصحراء التي لا يقدر الضعفاء على سلوكها، وقلنا لهم إن وصلنا إلى ريغ فأنا أجلس هناك وسائر الضعفاء، ولا يصحبنكم منا أحد، ولم أزل أفتل لهم في الذروة والغارب إلى أن هداهم الله وعدلنا ذات اليمين إلى طريق الظهرا، وتنكبنا المحل الذي فيه أولئك المحاربون، وارتحلنا نصف الليل عند قرب مغيب القمر وسرنا بقية ليلنا في أرض حرشة وظلمة وخوف شديد لا تسمع إلا همسا بأخفاف الإبل، فلما أصبحنا خرجنا إلى أرض سهلة بيننا وبين الجبل أزيد من بريد، وزعم المخبر أن ذلك محل الخوف، وسار الناس سيرا حثيثا إلى أن دخلنا من خرزة في الجبل تسمى خرزة البطم ظهرا، وفي الجبل خرزات متعددة، والخرزة في لغتهم اسم لكل فرجة في الجبل يخرج منها طريق، فلما دخلنا من الخرزة وعاد الجبل بيننا وبين العدو، أمن الناس بعض الأمن لدخولهم بين الجبال، ووجدنا هنالك غرباء آخرين ضعفاء وهم خائفون مثل خوفنا، ووجدنا عندهم سمنا فاشترى الناس منها بعض شيء، وبتنا قريبا منها.

وفي الغد ارتحلنا وعدلنا يمينا في أرض وعرة حرشة وسرنا إلى قرب المغرب، وفي الغد جئنا إلى الجرف ظهرا وهو ماء غزير عذب بين جبلين، ونزلنا فيه وأمنا من غائلة الأعراب، ورجع الدليل وهو من أولاد جلال، وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء مهاجرين، وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم أتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمجاهدين، وقد صدقوا في ذلك. وفي يوم نزولنا بالجرف ظهر الضعف في فرسي التي أركبها وكانت قد أصيبت بريح ليلة أسرينا من أولاد جلال، ولم أتفطن له. وفي الغد ارتحلنا في يوم بارد غاية مثل الذي قبله، وجئنا إلى عبد المجيد ضحى ونزلنا، وفي الغد نزلنا ظهرا أيضا قبل العوينة، ومات رجل من أصحابنا الفلاليين من أولاد الإمام أهل سجلماسة طعن بالوباء رحمه الله.

غريبة:

كنت أسمع هذا الرجل رحمه الله كثيراً ما ينشد قبل أن يطعن بأيام هذه الأبيات:

[وافر]

سَكناها ليالي آمنينَ وأيامـا تسُر الناظرينَ
فلما أن جلاها الدهرُ عنها تركناها لقومٍ آخرينَ

والأبيات لبعض أمراء بني زيان لما انجلوا عن تلمسان فكان ذلك من عجيب الاتفاق. وفي الغد جئنا للعوينة ضحى وعدلنا عن دماك يساراً، وبتنا، وفي الغد مررنا ضحى بأولاد سيدي مخلوف، فقراء أشراف قد بلغ الجهد منهم كل مبلغ، وبقيت هنالك فرسي وأيست منها ووهبتها لهم، وذكروا لي أنهم إن أيسوا منها ذبحوها ليأكلوها، وأخبرني بعض الحجاج بعد ذلك أنهم ذبحوها، وفي ذلك اليوم افترق الركب وحدث بينهم التنافس عندما أمنوا وهم الناس بالترول دون الماء وليس معنا ماء، وغالب الناس صائمون، فأبيت، فتبعوني ولم نترل عليه إلى المغرب في الفلجة، وفي الغد لم نرتحل إلى قرب الظهر ونزلنا إلى قرب العوينة التي دون الأغواط، وفي الغد مررنا بالعوينة ضحى ونزلنا الأغواط قبل الظهر يوم الأحد السادس عشر من رمضان، وكان في الركب أعراب سعاة من دمك يتكففون الناس، فقالوا لأهل البلدان: في الركب وباء، فلم يتركوا أحداً يدخل إليهم، ووجدنا الغلاء كثيراً عندهم مقدار مُدين فاسيين بريال قمحاً، فلم يخرج أحد منهم إلى الركب، وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين.

وفي يوم الاثنين السابع عشر من رمضان ارتحل الناس من الأغواط بعدما تشاجروا في أي الطريق يسلكون، فمالت طائفة إلى طريق عين ماضي، وكان لي فيها أرب لبيع بعض الكتب ولقاء الأصحاب، ولم يقدر ذلك، ومالت طائفة وهي الأكثر إلى المرور على الطريق اليسرى لقربها وسهولتها وخصبها فيما زعموا وأكثروا مخبرا، وذهب الركب الآخر أمامنا وسرنا، فلما وصلنا إلى الماء الأدنى الذي بين الجبلين وجدنا الركب الذين تقدموا يحفرون في حسيانه لأنهم قدموا بلا ماء، وأما ركبنا فقد جاؤوا بمائهم، ولما كان قريبا من الظهر أرعدت السماء وأبرقت وأرخت عزاليها بماء غزير وبرد منع الناس من المسير، لأيا بلأي ما نزلوا، وأقاموا بقية يومهم وليلتهم وهي لا تصحو، ثم ارتحلنا منه، فلما كان الضحى وسخنت الأرض أخرجت الأرض من مخبآتها ما ملأ الأرض حتى لا تكاد ترمي ببصرك إلى ناحية إلا وقعت على عقرب، وأخذ الناس يقتلونها، فمنهم من قتل

المائة فما دون، وقضينا من ذلك عجب، إلى أن بتنا، ومن الناس من يقول إن العقارب نزلت مع المطر كما تنزل الضفادع، والله أعلم بحقيقة ذلك، فلما بتنا أمطرنا بالليل، وفي الغد ارتحلنا ووجدنا وادي مساعد كله ماء وأرضه رخوة، فلم نقطعه إلا بمشقة عظيمة، وسرنا بقية يومنا وطلعنا إلى حمادة هناك في ريح بارد، وبتنا بها، وبات المطر يسح وأصبح في الأرض كذلك، وأقمنا وكان ذلك في نوء الثريا، فأنشدت بعض الأصحاب في ذلك:

[متقارب]

بلادِي التي كنتُ فيها هنيا سقاكِ على البُعد نوءُ الثريا

وحَيا الإله حِماها ومن ثوى بفناها جميعا وبيا

فسُقيا ورعيا لمربعنا فكم قد حبَا الحي سقيا ورعيا

وقد خطر ببالي أيضا في تلك الإقامة ذكر البلاد وطول غيبتنا عنها وسآمتنا للسفر فأنشدت:

[بسيط]

يا رحلةً كلما قصرتُ شقتها بالسيرِ طالت فعادتْ شهرها حينا

تسعاً وعشرين شهراً أتوهُمها من السنين غدتْ عشرا وتسعينَا

وفي يوم إقامتنا خرج بعض جيراننا من أهل مراكش في طلب إبل له كان يظنها ذهبت، فذهب هو فلم يهتد إلى مكان الركب لأن أرض ذلك المكان مستوية في مرأى العين وهي ذات غيطان متشابهة، وفي الغد أصبح الناس يطلبونه إلى أن وجده الدليل راجعا من حيث جئنا وهو تائه يظن أنه متوجه إلى المغرب، فأتى الدليل إلى الركب فارتحلنا وسرنا والإبل في غاية ما يكون من الضعف من أجل البرد والمطر إلى أن قطعنا وادي الأشبور من أسفله ووجدناه حاملا، وبتنا، وفي الغد أصبحنا على قرية تسمى الماية، وليس فيها إلا رجلان أو ثلاثة في غاية ما يكون من الضعف والجوع، وزعموا أنهم شرفاء ولم يجد الناس عندهم ما يشترون إلا الملح يبيعونه بالطعام، وكان من لطف الله بهم أن الركب المتقدم أقام هناك يوما من المطر فماتت لهم ثلاثة من الإبل وانتفع أولئك الضعفاء بلحمها، وهناك وجدنا

شيئا من خبر الغرب وأن طائفة من عرب مولاي محمد رحمه الله أغارت على العرب الذين بأحواز الكراكدة، وأخبرنا أن الغرب أمطر مطرا عاما لم يعهد مثله، وبعد أن تجاوزنا المابة بيومين عدلنا ذات اليمين وقطعنا الجبل من ثنية هناك وعرة، وكان المخبر يظن أنها تسلك إلى الطريق فإذا بها تفضي إلى أودية وعرة وأماكن لا تكاد تسلك فيها الإبل، ووقع الناس في حيرة بعدما قطعوا كثيرا منها، فمن قائل نرجع إلى طريقنا، ومن قائل نبيت هنا حتى نرى في أمرنا، فنزل الناس قبل العصر وذهب المخبر وشيخ الركب يلتمسون الطريق فما رجعوا إلى قريب من المغرب، وفي الغد ارتحلنا وسلكنا وعرة ولم نخرج إلى أسهلها إلا قريبا من الظهر، ومررنا بقرية في بعض تلك الشعاب قائمة البناء ملتفة الأشجار كأنما خرج أهلها بالأمس، وسألنا بعض أهل تلك البلاد فأخبرونا أنها ربما سكنها بعض الضعفاء أيام الشتاء وعندما توغلنا في تلك الشعاب أيس أكثر الناس ممن لا خبرة لهم بالطريق، ولم نبت تلك الليلة إلى أسفل من وادي الغاسول، ووجدنا هنالك عشباً كثيراً، وتباشر الناس بالخير، وفي الغد لقينا طريق الحجاج المألوفة وتباشر الناس بالخير، وبلغنا قرية الكراكد، ووجدناها في غاية ما يكون من الغلاء وقد غارت عليهم خيل من خيول العمور بالأمس فأخذت لهم غنما بقيت لهم، وقد كانوا أغار عليهم عرب الشريف مولاي محمد رحمه الله صاحب تافلالت، وأخذنا ماءنا منها، وتجاوزناهم فلم نبت إلى موضع هناك يقال إن فيه مات الشيخ سيدي عبد القادر بن أبي سماحة، وفيه مزارة تزار، وفي الغد ارتحلنا ووجدنا عرب الأغواط الغربية قد فروا أمامنا من العمور، ونزلوا قريبا من قرى ربا، ونزلنا عندهم ظهراً فوجدنا لديهم سمناً كثيراً وقليلاً من الإبل، واشترى الناس حاجتهم من السمن، وكان أهل الركب قد جاعوا جوعاً عظيماً من يوم خرجوا من الأغواط لأنهم كانوا يظنون أنهم[1] يقطعون تلك المسافة في خمسة أيام فما قطعوها إلا في أزيد من عشر، وبلغ الشعير قريبا من ريال للصاع، وبلغ الدقيق أكثر من ذلك، وبقيت لي هناك ناقة أحمل عليها كتبي فبعتها بثلاث ريالات، وفي الغد مررنا بقرى بأصبحا، وفي الذي يليه نزلنا أبو سمغون عند المغرب ووجدناه أرخص من كثير من البلاد التي مررنا عليها قبل، وأقمنا فيه غدا آخر يوم من رمضان يوم الأحد، ومن هناك بعث

---

[1] ساقط من ط.

الحجاج المبشرين إلى بلادهم مراكش ومكناسة وفاس وتافلالت، وبعثت أصحابي معهم بكتاب إلى إخواننا واختصرته غاية، وكان في ضمنه بيتان وهما:

[طويل]

حملتُ جنينَ الشوقِ في بطـن مكـة زمانـا إلى أن آنَ منـها انفـصالهُ

فزادَ نموا فاستوى عندما غَـدا ثلاثـينَ شـهرا حملـه وفـصالهُ

وفي ضمن الكتاب أيضاً بيتان آخران قد حازا من البلاغة مثل الذي قبلهما أو أوفر نصيب، وهما:

[طويل]

ألا عِم صباحا منزلي بـين أطـلال وذُم ذا صَفاء مـن تغـير أحـوالِ

وخرج المبشرون صبيحة يوم العيد قبل طلوع الشمس، وبقينا بعدهم إلى أن صلينا مع أهل البلد، وكان من عادتهم أنهم يخرجون إلى المصلى بسلاحهم لا يخرج أحد بغير سلاح صغيراً كان أو كبيرا، ويبنون في المصلى أحجاراً يتخذونها غرضا للرمي بالبنادق، فلا يذكر الله في المصلى إلا أناس قليلون، وغالب الناس مشتغلون بالرمي حتى في حال الصلاة والخطبة إلى أن فرغ الإمام من الخطبة، فرجعنا ورحلنا ذلك اليوم، واشتريتُ من هناك حماراً لركوبي بأربع ريالات لأني أضعفني المشي على رجلي كثيراً بعد موت الفرس، واكترى أمير الركب رجلا من أولاد سيدي سليمان بن أبي سماحة يذهب بهم ذات اليسار حتى يخرجوا في فجيج، وكان ماهراً خريتاً عارفاً بالطريق، فسار بنا في أرض سهلة مخصبة، وفي اليوم الثالث نزلنا وادي الناموس، وهو وادي كبير ملتف بأشجار الطرفا في حلاها قيعان تمسك الماء وتنبت الكلأ يكفي الأنجاع من العربان إذا أووا إليه، وفي أعلاه عند فرضة الجبل الذي يخرج منه إلى الصحراء قرية سندانة، وهم قوم من متفقرة ذلك البلد، وكبيرهم الآن صاحبنا سيدي محمد بن سليمان، وكان رجلا لا بأس به، ينتسب إلى الوالد رحمه الله بتتلمذ، وبعثت إليه ليأتينا فلم يجده من بعثته إليه، فلحقنا أخوه ليلاً ونحن بائتون في وادي الزبية، وفي الغد دخلنا فجيج خامس يوم من رحيلنا من بوسمغون، وكان دخولنا من طريق تمزوغت يوم الجمعة ظهراً، ووجدنا الرقاصين[1]

[1] الرقاصون: جمع رقاص، وهو حامل الأخبار، أو ساعي البريد بلغة العصر.

الذين جاؤوا من مراكش ومن مكناسة، وأخبرونا خبر الغرب، ووجدنا المبشرين الذين بعثناهم ذهبوا على طريق أنوال، وأقمنا فيه يوم الأحد وهيأ الناس زادهم، ولقينا صاحبنا فقيه البلد سيدي أحمد بن أبي بكر الشريف من بني صيكون بإشمام الصاد زايا، وهو بقية طلب فجيج، وعاملنا مقدوره وهو من أصحاب شيخنا سيدي محمد بن ناصر، رضي الله عنه، و لم أر أحدا من أولاد سيدي عبد الجبار إلا رجلاً ضريراً اسمه عبد القادر منقطع في داره، الغالب عليه أنه من أهل الخير، وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم فلم يتيسر لغيبة الذي عنده المفتاح، وأطلعني سيدي محمد بن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة، والله يجازيه على قصده خيراً، واستعرت من عنده كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول لمحدث الديار اليمنية الشيخ عبد الرحمن الديبع، وهو من أجداد شيخنا المقرئ الفصيح أبي الحسن الديبع، وهذا الكتاب غاية في بابه جمع أحاديث الأصول الستة بأوجز عبارة وأحسن ترتيب، وأسلوبه في ذلك ألطف من أسلوب البارزي في اختصاره المسمى بالمجتبى، وزاد عليه بتفسير الغريب، وقد اتصلت بحمد الله روايتنا لهذا الكتاب بالخصوص من طريق أبي الحسن شيخنا إلى جده مؤلفه، رضي الله عنهم، وهذا الكتاب غريب الوجود سيما في بلاد المغرب، وإنما دخل بيد صاحبنا المذكور من عند سيدي محمد بن إسماعيل المسناوي لما دخل بلدهم، وكان عنده نسختان من هذا الكتب، فوهب أحدهما لصاحبنا، وقد رأيت الأخرى بالمدينة من جملة كتبه الذي أوصى للحرم الشريف، ومن هذا الكتاب جمع صاحبنا كتابه المذكور في مناقب الخلفاء وأطلعته على كتابي إظهارا لمنه، فابتهج به سروراً، وكتابه بالنسبة إليه نقطة من بحر، والمنة لله ومن شكر الله التحدث بها، و لم تسخ نفس صاحبنا المذكور بإعارة كتابه حتى تكفلت له باستنساخ حاشية أبي الحسن على البخاري، فوفيت بحمد الله.

ثم ارتحلنا من فجيج يوم الأحد سابع شوال، وعندما حملنا على الإبل جاءني صاحبنا سيدي محمد بن سليمان السنداني وتأسف كثيراً لعدم الملاقاة قبل ذلك، وزعم أنه يواسي بمركوب لو اجتمعنا به وسرنا يومنا ذلك وبتنا قريبا من كلتة الرجم، وفي الغد جئناها صبحا، ومن هناك افترقنا مع أهل مراكش وأهل تافلالت وكتبت مع محبنا الحاج محمد الأحمر السلاوي إلى عالم مراكش وصالحها سيدي محمد بن سعيد، رضي الله عنه، آمين.

وذهبنا نحن مع أهل مكناسة وفاس بأحد عشر خباء، وأخذنا عن يمين جبل عنتر، وهو أعظم جبل في تلك الناحية، وسلكنا طريقا حرشة هنالك بين جبلين أحدهما جبل عنتر وهو عن يسارنا إلى أن خرجنا عند الثوميات، وفي الغد وصلنا إلى مرغل قبل الظهر وتجاوزناه، فلما وصلنا إلى قرية المناهجة تفقدنا صاحبا لنا نام في وادي قبل أن نصل إلى موغل، فوقفنا ساعة ننتظره إلى أن وصلنا فسرنا وبتنا، وفي الغد جئنا لبوكايس ضحى ووجدنا واديهم ليس فيه إلا قليل ماء، وكان عهدنا به ذا ماء كثير، وأخبرنا أهل البلد أنه كان بأعلى الوادي غار في الجبل فيه بركة ماء طاف مستدير لا يعلمون من أين جاء ولا إلى أين يذهب، فبأذوا يحفرون عنه ليخرجوه ويزيدوه على ماء ساقيتهم، فلما أجروه وأبلغوه إلى الساقية انقطع ماء الوادي الذي يجري في الساقية، وتبين لهم أن الماء الذي في الغار هو أصل ماء الوادي، فذهب عناؤهم باطلا، إلا أنهم استفادوا من ذلك سلامة ساقيتهم من إجحاف السيول ببعدها عن مجرى الوادي، وتجاوزنا بوكايس ولم نبت إلى قريب من وادي زلمو، وفي الغد جئنا لقرية الحجوي وتجاوزناها إلى وادي بوعنان قبل العصر ووجدناه يجري بالماء العذب، وتجاوزناه وبتنا في سهب الحجارة، وفي الغد جئنا إلى السهلي ظهرا وزرنا سيدي عبد الرحمن، وهو من تلامذة سيدي علي بن عبد الله الفيلالي، وفي هذه البلدة وجدنا غاشي بلادنا ومن يخبرنا ببعض خبرها، ولم نلق قبل ذلك من عنده من يشفي من الخبر، وتجاوزنا إلى بني بودنيب وبتنا فيها، وفي الغد بتنا بقدوسة، ومنها إلى تولال نزلناها ظهرا لضعف أباعير الحجاج وأكرمنا بعض الأشراف النازلين هناك، وأطعم الحجاج فجزاه الله خيراً، وكنا ننتظر من يتلقانا من إخواننا في هذه القرى، فلما لم نجدهم هناك علمنا أنهم ذهبوا على طريق أخرى، وبعثت من هناك رجلا آخر إليهم، وفي الغد مررنا بتكريرن ظهرا وتجاوزناها وبتنا وفي الغد خرجنا من فم الطبل ولقينا إخواننا في ذلك اليوم وبتنا معهم ومع الحجاج أصحابنا تلك الليلة، وفي الغد فارقنا الحجاج وبعثنا معهم من وصلهم إلى أوطاط.

ووصلنا بلدنا أمنه الله من كل سوء يوم الأربعاء ظهراً سابع عشر شوال من سنة أربع وسبعين وألف، وألقينا عصا التسيار واستقرَّت بنا الدار، وأكثرنا الاستغفار للملك الغفار، وحمدنا الله على السلامة من ركوب الأخطار والنجاة من غوائل الأسفار، ونسأله الإنابة والعافية وحسن القرار في هذه الدار وفي تلك

الدار بجاه سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان من الأبرار، والله يختم بالسعادة آجالنا، ويقرن بالعافية غدونا وآصالنا، ويبلغنا من خير الدارين آمالنا بجاه سر الوجود ومنبع الجود سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)[1][2].

---

[1] الصافات: 180-182.

[2] كتب في آخر النسخة خ: كمل تمام هذه الرحلة المباركة ضحى يوم الجمعة أوائل رجب الفرد سنة اثنين ومائة وألف على يد أحوج عباد الله أحمد بن عبد الرحمن العياشي المستوطن تاضغوت، متوسلا إلى الله تبارك وتعالى، بجاه مؤلف هذه الرحلة وأشياخه وأجداده وبركة ما احتوت عليه من الصالحين الأطهار والعلماء الأخيار والأولياء الأبرار، ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المختار، وسائر الأنبياء وتلك والأقطار، وزيارة تلك البقاع الأطهار، وأن يختم آجالنا بحسن الختام بالموت على الإيمان والإسلام، والعفو والعافية على الدوام لنا ولأشياخنا ولأحبابنا ولأقاربنا ولمن قال آمين، والحمد لله رب العامين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وكتبناها لمولانا العلامة والبحر الفهامة القدوة المحقق والعارف المتقن المدقق، باذل الجهد في اتباع السنة، ومستغرق الوقت في شهود المنة، ذي الجنان المرعي، شيخنا وسيدنا أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، أطال الله لنا بقاءه، وأناله في الدارين نيته ومرامه، ورزقنا رضاه، آمين آمين آمين، يا رب العالمين.

وفي ط: انتهى الكتاب المبارك بحمد الله وعونه، اللهم اختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، يا أرحم الراحمين، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس الكشافة

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	الســورة	الآية	الصفحة
إياك نعبد وإياك نستعين	الفاتحة	5	1: 249، 602
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا	البقرة	17	2: 173
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	البقرة	23	2: 109
ولا هم يحزنون	البقرة	38	2: 118
مصدقا لما بين يديه	البقرة	97	1: 535
وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله	البقرة	101	1: 612
والله يختصُّ برحمته من يشاء	البقرة	104	1: 303، 2: 442
فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة	114	1: 510، 503
العزيز الحكيم	البقرة	129	1: 223
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه	البقرة	130	1: 479
فلنولينك قبلة ترضاها	البقرة	144	1: 394
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو	البقرة	162	2: 84
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم	البقرة	172	2: 224
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	البقرة	185	1: 503
ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم	البقرة	197	1: 543، 565
فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه	البقرة	201	1: 331
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم	البقرة	211	1: 305
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن	البقرة	221	2: 234

الآيــــــة	الســورة	الآية	الصفحة
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم	البقرة	241	1: 610
ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض	البقرة	249	1: 610
ولكن الله يفعل ما يريد	البقرة	253	1: 366
وما يذكر إلا أولو الألباب	البقرة	268	1: 599
أن يمل هو فليملل وليه بالعدل	البقرة	281	1: 568
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	البقرة	285	2: 231
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء	آل عمران	6	1: 610
شهد الله أنه لا إله إلا هو	آل عمران	18	2: 351
فاتبعوني يحببكم الله	آل عمران	31	1: 601
قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء	آل عمران	73	2: 442، 446
ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا	آل عمران	146	1: 490
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله	آل عمران	169	2: 230
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	آل عمران	173	1: 69، 224
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل	آل عمران	174	1: 69
إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا	آل عمران	196	2: 347
إن الله لا يظلم مثقال ذرة	النساء	40	2: 334
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد	النساء	41	1: 390
وكان أمر الله مفعولاً	النساء	47	2: 404
فإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول	النساء	58	1: 607
من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا	النساء	69	1: 556، 2: 230
ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما	النساء	110	2: 223

الآيـــــــة	الســـورة	الآية	الصفحة
وكان الله بكل شيء محيطا	النساء	125	1: 504
ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله	النساء	130	1: 562
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا	النساء	152	2: 260
وكلم الله موسى تكليما	النساء	164	2: 233
اليوم أكملت لكم دينكم	المائدة	4	1: 87
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا	المائدة	6	2: 118
ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما	المائدة	17	1: 250
لتجدن أشد الناس عداوة	المائدة	82	1: 402
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم	المائدة	107	1: 564
وهو القاهر فوق عباده	الأنعام	19	1: 561
إن هذا إلا أساطير الأولين	الأنعام	25	2: 110
ولو ترى إذ وقفوا على النار	الأنعام	27	2: 535
ما فرطنا في الكتاب من شيء	الأنعام	40	2: 31
لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون	الأنعام	67	1: 560
وكذلك نري إبراهيم	الأنعام	75	2: 117
قل الله ثم ذرهم	الأنعام	92	1: 511
يخرج الحي من الميت	الأنعام	95	2: 60
يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا	الأنعام	112	2: 170
والله أعلم حيث يجعل رسالاته	الأنعام	124	2: 306
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام	الأنعام	125	2: 232
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله	الأعراف	43	1: 255

الآيـــــــــة	السـورة	الآية	الصفحة
ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين	الأعراف	55	1: 347
فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون	الأعراف	68	1: 566
وبطل ما كانوا يعملون	الأعراف	117	2: 165
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل	الأعراف	157	2: 233
ولكن أكثر الناس لا يعلمون	الأعراف	187	2: 490
ليحق الحق	الأنفال	8	2: 121
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	17	1: 504، 511، 605
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة	الأنفال	42	2: 264
ولكن الله سلم	الأنفال	43	1: 374
قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم	التوبة	14	1: 610
يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره	التوبة	32	2: 229
ثاني اثنين إذ هما في الغار	التوبة	40	1: 288، 2: 151
لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون	التوبة	51	1: 209
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت	التوبة	118	2: 466
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	التوبة	120	1: 562
لا يظلم الناس شيئا	يونس	44	2: 334
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله	يونس	49	1: 614
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون	يونس	58	2: 466

الآيــــــــة	الســورة	الآية	الصفحة
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	يونس	62	2: 433
لهم البشرى في الحياة الدنيا	يونس	64	2: 212
فإن كنت في شك مما أنزلنا عليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك	يونس	94	1: 532
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا	يونس	99	2: 232
ثم ننجي رسلنا الذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين	يونس	103	1: 244
ألا لعنة على الظالمين	هود	18	1: 511
وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين	هود	44	1: 560
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا	هود	113	1: 565
إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين	هود	114	1: 564
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين	هود	115	1: 565
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم	هود	117	1: 228
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون	يوسف	21	2: 33، 505
ما أنزل الله بها من سلطان	يوسف	40	1: 381
فعرفهم وهم له منكرون	يوسف	58	2: 217
فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين	يوسف	64	1: 193
فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم	يوسف	77	1: 334
قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني	يوسف	108	1: 337
وفوق كل ذي علم عليم	يوسف	176	1: 591

الآيـــــــة	الســورة	الآية	الصفحة
فنعم عقبى الدار	الرعد	24	1: 396
لكل أجل كتاب	الرعد	39	1: 606
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب	الرعد	41	1: 233
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده	إبراهيم	14	1: 587
بواد غير ذي زرع	إبراهيم	39	1: 516
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	الحجر	99	1: 512
أتى أمر الله	النحل	1	2: 90
وعلى الله قصد السبيل	النحل	9	1: 600
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت	النحل	38	2: 120
من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين	النحل	66	1: 187
فلا تضربوا لله الأمثال	النحل	74	1: 512
ولا تقف ما ليس لك به علم	الإسراء	36	1: 430
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم	الإسراء	44	1: 194
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات	الإسراء	70	1: 266
وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق	الإسراء	80	1: 602
وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا	الإسراء	81	1: 602
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين	الإسراء	82	1: 561، 2: 306
قل الروح من أمر ربي	الإسراء	85	1: 523

الآيـــــــة	الســـورة	الآية	الصفحة
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا	الكهف	18	2: 534
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله	الكهف	23	2: 121
ما شاء الله لا قوة إلا بالله	الكهف	38	1: 608
وما ظلمهم الله ولا يظلم ربك أحدا	الكهف	49	2: 334
وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح	الكهف	59	1: 508
آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً	الكهف	61	2: 169
وعلمناه من لدنا علما	الكهف	64	1: 357
إنا مكنا له في الأرض	الكهف	83	1: 612
قل إنما أنا بشر مثلكم	الكهف	105	1: 511
كهيعص	مريم	1	1: 557
يا يحيى خذ الكتاب بقوة	مريم	12	2: 58
هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا	مريم	98	2: 179، 414
الرحمن على العرش استوى	طه	5	1: 572
والسلام على من اتبع الهدى	طه	47	1: 339، 511
لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً	طه	107	1: 301
وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما	طه	108	1: 557
رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا	طه	125	2: 258
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون	الأنبياء	23	2: 232
كل في فلك يسبحون	الأنبياء	33	1: 600
رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين	الأنبياء	88	1: 566
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون	الأنبياء	104	2: 31
ومن يهن الله فما له من مكرم	الحج	18	2: 250

الآيـــــــة	السـورة	الآية	الصفحة
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام	الحج	28	1: 325
لهدمت صوامع وبيع وصلوات	الحج	38	1: 312
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة	الحج	63	1: 125
فتبارك الله أحسن الخالقين	المؤمنون	14	1: 230
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا	المؤمنون	51	2: 224
ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن	المؤمنون	72	1: 562
وهو يجير ولا يجار عليه	المؤمنون	89	1: 551
ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا	النور	16	2: 233
لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا	النور	21	2: 232
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	النور	30	2: 112
الله نور السماوات والأرض	النور	35	1: 254، 2: 25
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله	النور	37	1: 353، 592
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم	النور	44	1: 305، 2: 51
فليحذر الذين يخالفون	النور	61	2: 79
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا	الفرقان	27	1: 160
إن كاد ليضلنا عن آلهتنا	الفرقان	42	2: 117
أرأيت من اتخذ إلهه هواه	الفرقان	43	2: 117
بل هم أضل سبيلا	الفرقان	44	1: 201
يوم لا ينفع مال ولا بنون	الشعراء	88	2: 419

الآيـــــــة	الســورة	الآية	الصفحة
أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون	الشعراء	128	2: 226
وتنحتون من الجبال بيوتا	الشعراء	149	1: 206
لا إله إلا هو رب العرش العظيم	النمل	26	1: 223، 2: 251
أمن يجيب المضطر إذا دعاه	النمل	64	2: 86
يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم	القصص	4	1: 221
ومن أضل ممن اتبع هداه بغير هدى	القصص	50	1: 563
وما عند الله خير وأبقى للذين اتقوا وأحسنوا	القصص	60	2: 261
وربك يخلق ما يشاء ويختار	القصص	68	1: 230
يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون	القصص	69	1: 223
إن الذي فرض عليك القرآن	القصص	85	2: 308
غلبت الروم	الروم	1	2: 34
لله الأمر من قبل ومن بعد	الروم	4	1: 188
فسبحان الله حين تمسون	الروم	16	1: 566
وكان حقا علينا نصر المؤمنين	الروم	47	1: 244
ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون	الروم	59	1: 534
ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون	السجدة	13	1: 564
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه	الأحزاب	4	2: 348
يا أهل يثرب لا مقام لكم	الأحزاب	13	1: 592
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	الأحزاب	23	2: 130
وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا	الأحزاب	25	1: 281
وكان أمر الله قدرا مقدورا	الأحزاب	38	1: 244، 250 2: 32، 51
والله لا يستحي من الحق	الأحزاب	53	1: 511
يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك	الأحزاب	59	2: 81

الآيـــــــــة	الســـورة	الآية	الصفحة
لئن لم ينته المنافقون	الأحزاب	60	2: 79
جزيناهم بما كفروا	سبأ	17	2: 231
وإنا وأياكم لفي هدى أو في ضلال مبين	سبأ	24	1: 510
إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا	فاطر	6	1: 512
وغرابيب سود	فاطر	27	2: 99
إنما يخشى الله من عباده العلماء	فاطر	28	2: 335
الذي أحلنا دار المقامة من فضله	فاطر	35	2: 232
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	يس	81	1: 610
والله خلقكم وما تعملون	الصافات	96	1: 605، 609
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين	الصافات	180	1: 556، 602، 2: 552
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله	الزمر	21	1: 601
والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه	الزمر	67	1: 562، 555
وأشرقت الأرض بنور ربها	الزمر	69	2: 25
فنعم أجر العاملين	الزمر	74	1: 396
غافر الذنب وقابل التوب	غافر	2	2: 104
فادعوا الله مخلصين له الدين	غافر	13	1: 552
أدعوني أستجب لكم	غافر	60	1: 542
فإذا جاء أمر الله قضي بالحق	غافر	77	1: 538
أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة	فصلت	14	1: 615
فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم	فصلت	33	1: 536
ينادون من مكان بعيد	فصلت	44	2: 253

الآيـــــة	الســورة	الآية	الصفحة
ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد	فصلت	46	2: 264، 334
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم	فصلت	52	1: 509
أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد	فصلت	53	1: 509
ألا أنهم في مرية من لقاء ربهم	فصلت	54	1: 509
حم، عسق	الشورى	1، 2	1: 557
فريق في الجنة وفريق في السعير	الشورى	7	2: 207
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الشورى	9	1: 557، 609
خلقهن العزيز العليم	الزخرف	9	2: 122
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله	الزخرف	87	2: 84، 122
ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر	الجاثية	23	2: 202
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم	الفتح	10	1: 503، 601، 605
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين	الفتح	27	1: 312
ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون	الحجرات	11	1: 565
وفي أنفسكم أفلا تبصرون	الذاريات	21	1: 503
وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين	الذاريات	55	1: 567
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات	56	2: 441
ما ضل صاحبكم وما غوى	النجم	2	1: 231
إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس			1: 564
ولقد جاءهم من ربهم الهدى	النجم	23	
فلا تزكوا أنفسكم	النجم	31	1: 510
وإن إلى ربك المنتهى	النجم	41	1: 496
كذلك نجزي من شكر	القمر	35	2: 231

الآيــــــــة	السـورة	الآية	الصفحة
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان	الرحمن	17	1: 335
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك	الرحمن	26	1: 509
ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون	الواقعة	88	1: 503
هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم	الحديد	3	1: 337، 503، 504
وهو معكم أينما كنتم	الحديد	4	1: 503
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم	المجادلة	7	1: 510
فاعتبروا يا أولي الأبصار	الحشر	2	1: 601
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل	الحشر	21	2: 242
فلا ترجعوهن	الممتحنة	10	2: 118
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم	الجمعة	4	1: 250
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون	المنافقون	8	1: 208
يوم التغابن	التغابن	9	1: 566
ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم	التغابن	11	1: 607
يا أيها النبيء إذا طلقتم النساء	الطلاق	1	2: 118
إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا	الطلاق	3	1: 568
سيجعل الله بعد عسر يسرا	الطلاق	7	1: 565
عسى ربه إن طلقكن	التحريم	5	2: 104
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	التحريم	6	1: 523
فسحقا لأصحاب السعير	الملك	11	2: 388
إنه عليم بذات الصدور	الملك	13	1: 272

الآيـــــــــة	الســورة	الآية	الصفحة
واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا	المزمل	8	1: 339
هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا	المزمل	19	1: 163
قم فأنذر	المدثر	2	1: 474
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله	الإنسان	30	1: 613
وفواكه مما يشتهون	المرسلات	42	2: 169
جزاء من ربك عطاء حسابا	النبأ	36	2: 231
أنا ربكم الأعلى	النازعات	24	1: 221
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى	النازعات	39	1: 564
أما من استغنى	عبس	5	1: 563
ما شاء ركبك	الانفطار	8	2: 29
والله من ورائهم محيط	البروج	20	1: 177، 221
سبح اسم ربك الأعلى	الأعلى	1	1: 552، 2: 307
وما أدراك ما العقبة	البلد	12	1: 283
وأما بنعمة ربك فحدث	الضحى	11	1: 510
واسجد واقترب	العلق	19	2: 253
يتلو صحفا مطهرة	البينة	2	2: 34
وتواصوا بالصبر	العصر	3	1: 568
لإيلاف قريش	قريش	1	2: 90
لكم دينكم ولي دين	الكافرون	6	1: 326
لم يلد ولم يولد	الإخلاص	3	1: 561

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الصفحة
اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها	1: 564
إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج	1: 607
إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله	2: 240
إذا أمن الإمام فأمنوا	2: 239
إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس	1: 415
إذا توضأ العبد فمضمض واستنشق خرجت خطاياه من فيه	2: 336
إذا لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا	1: 516
أسكن أحد	1: 402
أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد	1: 504
أعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي	1: 377
أكرموا المهاجرين الأولين	2: 199
إلحقي بسلفنا عثمان بن مظعون	1: 377
أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله	1: 51
إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر	2: 111
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها	1: 636
إن دين الله وضع دون الغلو وفوق التقصير	1: 606
إن الرجل ليشتهي الولد في الجنة	1: 582
إن الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات	2: 208
أن الله إذا انجلى لشيء خشع	1: 514
إن الله استقبل لي الشام وولى ظهري إلى اليمن	2: 212
إن الله تبارك وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا	2: 224

طرف الحديث	الصفحة
إن الله تعالى يقول: إن عبدا أصححت له جسمه	1: 53
إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني	1: 504
إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء	1: 478
إن الله صانع كل صانع وصنعته	1: 609
إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر	1: 162
إن الله يفعل عند الأشياء لا بها	1: 611
إن لم تجدني فأت أبا بكر	2: 200
إن لله تسعة وتسعين اسما	2: 96
إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض تبلغني عن أمتي السلام	2: 230
إن منكم قوما يتعبدون حتى يتعجب الناس وتعجبهم أنفسهم	2: 223
أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر	1: 610
إنا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث	1: 445
أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا	2: 208
إنك مني بمنزلة هارون من موسى	2: 222
إنما يرحم الله من عباده الرحما	1: 490
إنه كان يبغض عثمان بن عفان أبغضه الله	2: 220
إنه يقول: لا أسوؤك في أمتك	1: 393
إني أقول مالي أنازع القرآن	2: 221
أول ما خلق الله نور محمد	1: 253
أيكم أصبح اليوم صائما	2: 214
أيما عبد أبق من سيده	1: 230
اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك	1: 417
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	1: 489، 490
بئس الميت أبو أمامة لليهود والمنافقين	1: 120
بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا	2: 177
بوادي العقيق أتاني الليلة آت فقال: صل في هذا الوادي المبارك	1: 417
تابعوا بين الحج والعمرة	1: 51
تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله	1: 512

طرف الحديث	الصفحة
ثم إن الله يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر	2: 129
حب الوطن من الإيمان	1: 636
الحج والعمرة والثج	1: 309
حرم الله عينا بكت من خشية الله على النار	2: 201
الحمد لله الذي قرب منا مسجد قباء	1: 387
حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم	1: 399
خاطبوا الناس بما يفهمون	1: 527، 594
خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع	1: 209
خير الأمور أوساطها	1: 606
خير هذه الأمة أولها وآخرها	2: 38
ذنبان لا يغفران وتعجل لصاحبهما العقوبة؛ البغي وقطيعة الرحم	2: 218
الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى	1: 489
الرطب تاكلنه وتمدينه	2: 221
سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة	1: 391
سددوا أبشروا إن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة	2: 206، 207
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	1: 396
سلمان منا أهل البيت	1: 339
سيكون قوم يقولون لا قدر	2: 232
صل في هذا الوادي المبارك	1: 417
الصلاة في مسجد قباء كعمرة	1: 388
عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد	2: 222
العقيق وادي مبارك	1: 417
عليكم بالسنا والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام	2: 225
عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل شيء إلا السام	2: 207
عمرة في رمضان تعدل حجة	2: 135، 198
عند فرطنا عثمان بن مظعون	1: 377
فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه	2: 222
فناء أمتي بالطعن والطاعون	2: 221

طرف الحديث	الصفحة
في كل كبد حرى أجر	2: 206
قوموا إلى سيدكم	1: 389
كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه	1: 432
كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني	1: 524
لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين	1: 388
لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم	1: 610
لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء	1: 478
لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله	1: 574
لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أن يصلي في أي وقت شاء	2: 145
لا خير فيها، هي في النار	2: 215
لا مهدي إلا عيسى	2: 192، 209
لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارا، ولا الناس إلا شحا	2: 209
لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمنه الجنة	2: 214
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به	1: 607
اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء	1: 397
اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا	1: 612
	2: 351
اللهم حبب إلينا المدينة	1: 424
لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل	1: 387
لو يعلم الناس ما في الصف الأول لاستبقوا إليه	1: 461
ليس الصيد لمن أثاره	2: 454
ليلة القدر في العشر البواقي	2: 240
ما أسكر كثيره فقليله حرام	2: 525
ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة	1: 408
ما بين مسجدي ومصلاي روضة من رياض الجنة	1: 596

طرف الحديث	الصفحة
ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام	2: 230
ما من عبد أذنب ذنبا فقام فتوضأ فأحسن الوضوء	2: 223
ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان	2: 241
ما من مولود إلا ويولد على الفطرة	1: 523
مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا	2: 241
مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى	2: 329
الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية في سبعة أشهر	2: 220
من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت	1: 51
من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما من عراض الوجوه	2: 210
من أشراط الساعة خسف بالمشرق ومسخ بالمغرب	2: 35
من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير	2: 213
من أكل مع مغفور له غفر له	1: 596
من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه	2: 227
من جاء حاجا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	2: 242
من حسن عبادة المرء حسن ظنه	2: 222
من رأى منكم منكرا	2: 123
من رآني فقد رأى الحق	1: 91
	2: 222
من رآني في المنام فسيراني في اليقظة	1: 91
	2: 222
من ربى صبيا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله	2: 204
من سعى لأخيه المؤمن في حاجة	2: 243
من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	2: 242
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	2: 242
من صلى سبحة الضحى ركعتين	2: 241
من صلى في مسجدي أربعين صلاة	1: 386
من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	2: 243
من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم	2: 242

طرف الحديث	الصفحة
من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه	2: 215
من قرأ إذا سلم يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب	2: 241
من عدد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر الله له ذنوبه	2: 243
من علم ابنا له القرآن نظرا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	2: 240
من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار	2: 198
من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه	2: 200
من مكارم الأخلاق التزاور في الله	2: 216
المؤمن واهي راقع، وسعيد من هلك على رقعة	2: 215
نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب	2: 35
نحن معاشر الأنبياء لا نورث	1: 446
نعم القليب قليب المزني	1: 414
نعم القوم الأزد؛ نقية قلوبهم، بارة أيمانهم، طيبة أفواههم	2: 219
هذا الوادي يحبنا ونحبه	1: 417
هذا جبل يحبنا ونحبه	1: 404، 403
هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة أسماؤهم	2: 206، 207
هذان سيدا كهول أهل الجنة	2: 216
هنا تسكب العبرات	2: 142
هنيئا للمتحابين في الله جنات عدن	2: 201
وآتوها تمشون، وعليكم السكينة والوقار	1: 461
وإن أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن	2: 212
واجعلني نورا	1: 254
والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل	1: 504
والذي نفسي بيده ليارز الإيمان إلى ما بين المسجدين	2: 218
ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه	1: 504
و لم يزل الخلق ينقصون	1: 516
ويل للعرب من شر قد اقترب	2: 233
يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة	2: 201
يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن بي	2: 215

طرف الحديث	الصفحة
يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يخبرني	2: 220
يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالا فهداكم الله بي	1: 610
يصيح صائح يوم القيامة من كانت له عند الله عدة فليقم	2: 216
يفضل الذكر الذي لا تسمعه الحفظة	2: 206
يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد	2: 198

فهرس الأعلام

(ابن)

ابن أبي جمرة 1: 90، 95، 99، 430
ابن أبي حديدة 2: 212
ابن أبي الحواري 2: 202
ابن أبي الدميك 2: 220
ابن أبي الدنيا 1: 544، 547، 549، 550، 553، 2: 245، 473
ابن أبي الربيع 2: 352، 354
ابن أبي زمنين 2: 275
ابن أبي زيد 1: 116، 2: 60، 275، 264، 271، 275، 276
ابن أبي سماحة سليمان 2: 549
ابن أبي سماحة عبد القادر 2: 548
ابن أبي شيبة 1: 53، 2: 212، 238
ابن أبي طالب عقيل 380
ابن أبي طلحة 2: 279
ابن أبي عمر 2: 114
ابن أبي الفتوح 1: 339، 340
ابن أبي فرعون 2: 215
ابن أبي ليلى 2: 213
ابن أبي محلى 1: 76

ابن أبي مريم 2: 218، 223
ابن أبي مطر 2: 272
ابن أبي مليكة 2: 200، 211
ابن أبي وقاص 1: 378، 387، 391، 421
ابن الأبار 2: 337
ابن إبراهيم بن سعد 2: 101
ابن الأثير 2: 96، 695، 700
ابن أدهم 1: 152
ابن الأستاذ 1: 102
ابن إسحاق أحمد بن يحيى 1: 198، 212
ابن أسلم زيد 1: 391، 2: 209، 223، 279
ابن أشرص 2: 272، 278
ابن اصبغ 2: 274، 276
ابن الأعرابي 2: 137: 211
ابن باديس 2: 281
ابن البخاري 2: 149، 281
ابن البراء 1: 104، 398، 2: 202
ابن بركات 2: 315، 378
ابن البريد علي بن هشام 2: 200، 221
ابن بزيزة 1: 50
ابن بشكوال 2: 242، 267
ابن بشير 2: 274
ابن بطال 1: 98
ابن البققي 2: 124
ابن بنت الأعز 2: 87، 89، 97، 111، 112
ابن بوسماحة 1: 111، 463
ابن التاج 1: 439، 635، 2: 11، 30، 57
ابن التوأمة 1: 92
ابن التين 1: 98

ابن تدرس 2: 279
ابن الترجمان 2: 281
ابن تومرت 1: 115، 2: 91
ابن تيمية 1: 574، 577، 613، 2: 98، 112، 114، 115، 123، 124، 126
ابن ثابت الخطيب 2: 511
ابن جابر 2: 289
ابن جامع 2: 200
ابن جبريل 2: 98
ابن جبل معاذ 1: 394، 397، 2: 202، 204، 218، 223
ابن جحش 1: 401، 404، 2: 401
ابن الجراب 2: 205، 206، 209، 212، 213، 216، 217
ابن جريج 2: 149، 200، 222
ابن الجزري 1: 477، 480، 2: 111، 172، 173، 281، 285، 351
ابن جلال سعد بن أحمد 2: 280
ابن جماعة 1: 413، 455، 2: 101، 246، 270
ابن الجموح 1: 404، 405
ابن الجناب 2: 81
ابن الجوزي 1: 150، 387، 511، 2: 88
ابن الحاج 1: 89، 2: 270، 344
ابن الحاجب 1: 117، 145، 191، 483، 528، 634، 2: 92، 106، 108، 267، 268، 283، 354، 359، 371، 374
ابن حبان 1: 53، 418، 2: 212، 219، 422
ابن حجر 1: 93، 95، 97، 98، 99، 191، 304، 393، 432، 547، 549، 612، 2: 197، 204، 227، 237، 238، 247، 253، 281، 286،

286، 287، 294، 350، 351
ابن الحداد 2: 220
ابن حراش 2: 201
ابن حرام 1: 404، 405
ابن حرب 1: 152، 379
ابن حزم 1: 366، 367
ابن حسين 2: 452
ابن الحصار 2: 274
ابن الحكم محمد بن عبد الله 2: 222
ابن حمزة محمد بن أحمد 1: 509
ابن حنبل (أحمد بن حنبل) 2: 281، 366، 373، 374، 429
ابن الحنبلي 1: 239
ابن حويبل 2: 275
ابن حيان 2: 343، 391، 393
ابن حيدرة 2: 268
ابن خلدون 1: 81، 125، 222، 2: 27، 34، 35، 539
ابن خلكان 1: 263، 2: 82، 153، 348، 349
ابن الخيمي 2: 395
ابن دقيق العيد 1: 103، 443، 2: 88، 93، 105، 106، 111، 112، 113، 116، 124، 373
ابن الدوري 2: 330
ابن دينار مالك 2: 217
ابن ذاهب الوراق 2: 149
ابن ذكوان عبد الله 2: 275
ابن رأس الحجلة 2: 345
ابن رزين 2: 330
ابن رشد محمد بن أحمد 2: 267، 270، 271، 273
ابن رشيد السبتي 2: 227
ابن رفاعة 2: 197

ابن زاغو 2: 281
ابن زبالة 1: 297، 383، 420
ابن زرقون 1: 506، 2: 217، 271
ابن ساسويه 1: 545
ابن سبعين 1: 495، 496
ابن سعد عامر 1: 391
ابن سعيد محمد بن عبد الله 1: 71
ابن سكينة ضياء الدين 1: 507
ابن السيد محمد بن عبد الله 1: 73، 121
ابن سيد الناس 2: 105، 112، 127
ابن سيرين 1: 92، 94، 2: 207
ابن الشاط 1: 173، 2: 367، 369، 370
ابن شافع 2: 288
ابن شبل 1: 507
ابن شخانة 2: 350
ابن شهاب 2: 202، 220
ابن الشيخة 2: 197
ابن صاعد 2: 216
ابن الصلاح 1: 102، 103، 2: 95، 114، 328
ابن الصواف 2: 272
ابن الضحاك 2: 221
ابن طاووس 1: 556، 557
ابن طبرزد 2: 149
ابن الطفيل 2: 204
ابن الطلاع 2: 268
ابن طلحة محمد 1: 391
ابن ظهيرة 2: 148
ابن عاشر 2: 172
ابن عباد الرندي 2: 312

ابن عبد ربه ميسرة 2: 254
ابن عبد الرؤوف 2: 295
ابن عبد الجبار محمد بن محمد 1: 234
ابن عبد الرفيع 2: 281
ابن عبد الله جابر 1: 398، 392
ابن عبدو القصيري 2: 447
ابن عتاب 2: 274
ابن العجوز محمد بن عبد الرحمن 2: 276
ابن عدلان شمس الدين 2: 100
ابن عراق 1: 240، 241، 2: 300
ابن العربي محي الدين 1: 381، 505، 2: 288، 300، 411
ابن عرفة 1: 96، 191، 447، 2: 267، 268، 357، 358، 361، 363، 371، 372، 543
ابن عرفطة خالد 1: 376
ابن عزم 2: 288
ابن عساكر فخر الدين 2: 90
ابن عسكر 1: 191
ابن عصفور 1: 77، 2: 344
ابن عطاء الله تاج الدين 1: 263، 521، 2: 99
ابن عليم علي بن عليل 2: 442
ابن عمرو خلاد 1: 401
ابن عمروس 2: 275
ابن عنان سيدي محمد 2: 259
ابن العوام عبد الله بن الزبير 1: 376، 421، 2: 280
ابن عون 2: 207
ابن عياش أبو بكر 2: 212، 217
ابن غازي محمد بن أحمد 2: 266
ابن غانم 2: 272
ابن الغطريف عبد الله 2: 149

ابن غياث 2: 213
ابن الفاخر 2: 227
ابن الفارض عمر 2: 262
ابن الفخار البيري 2: 277
ابن الفرات 2: 235، 243، 283
ابن الفرضي 2: 117
ابن فهد تقي الدين 2: 287، 288
ابن قتيبة 2: 230
ابن قدامة 2: 92
ابن قضيب البان 2: 449
ابن القرطبي محمد بن القاسم 2: 272
ابن قزقوز 2: 444
ابن القطان 2: 273، 274، 337
ابن قلاقس 2: 153
ابن القويع 2: 105
ابن القيم الحنبلي 1: 616
ابن كمال باشا 2: 31
ابن كيكلدى 2: 92
ابن اللبان محمد 2: 100
ابن لهيعة 2: 202، 206، 219
ابن ماجة 1: 67، 377، 415، 567، 582، 2: 129، 246، 336، 473
ابن الماجشون 2: 272، 274
ابن مالك عتبان 1: 631
ابن مالك النعمان 2: 401
ابن ماهان محمد 2: 201
ابن المبارك عبد الله 2: 220، 537
ابن مجمع 2: 225
ابن المثنى 2: 216

ابن المذهب الحسن بن علي 2: 282
ابن مردويه 2: 240
ابن المديني علي 1: 301، 2: 225
ابن مساهل 1: 128، 132، 138، 140
ابن مسعود عبد الله 1: 378، 390، 2: 232، 242
ابن المسعود محمد بن محمد 1: 133
ابن المسلم أحمد بن محمد 2: 217
ابن مطروح 2: 274، 350
ابن الملقن 1: 103
ابن ملوك أبو المواهب 2: 149
ابن مندة 2: 241
ابن المنهال 2: 198، 204، 212، 218، 219
ابن منيع 2: 201
ابن ميسر 2: 277
ابن ناجي قاسم 2: 2: 268، 356، 357، 358، 361، 532
ابن الناصح 2: 241
ابن نباتة 2: 99، 108، 109
ابن نجاح سليمان 1: 477
ابن النجار الحنبلي 2: 289
ابن النحاس عبد الرحمن بن عمر 2: 203، 218
ابن النحوي 2: 85، 219، 537، 539
ابن نعيم 2: 353
ابن النفيس علاء الدين 2: 99
ابن هانئ 1: 52
ابن الهدم كلثوم 1: 388
ابن هذيل علي بن محمد 1: 477
ابن الوراق محمد بن أحمد 2: 278
ابن وهب 2: 204، 205، 222، 241، 274، 275، 276

ابن الياسمين 1: 632
ابن يدير محمد بن أبي بكر 1: 476

(أبو)

أبو الأحوص 2: 203
أبو أسامة زيد بن أسلم 2: 282
أبو إسحاق التونسي 2: 279
أبو أمامة سعد بن زرارة 1: 120
أبو أيمن 1: 401
أبو أيوب 1: 389، 2: 227
أبو بكر الصديق 1: 336، 339، 341، 612، 2: 103، 111، 224، 225، 238، 300، 434
أبو بكر بن أيوب 2: 505
أبو بكر بن علي بن محسن 1: 71
أبو بكر بن عياش 2: 214، 219، 220
أبو بكر بن الطيب 1: 93
أبو بكر الشبلي 2: 439
أبو جيدة 1: 148
أبو حصين 2: 210
أبو الحكم سيار بن نصر 2: 217
أبو حيان محمد بن يوسف 1: 110، 118
أبو حنيفة 1: 262، 326، 2: 80، 100، 236، 245، 246، 247، 284، 286، 415، 418
أبو الدرداء 1: 336، 2: 203، 211، 213، 214، 218، 227
أبو راوي 2: 504، 533
أبو الرواين 1: 79
أبو الزبير المكي 2: 206، 282

أبو زرعة 2: 288، 291
أبو زعامة 1: 188
أبو الزناد 2: 222
أبو سالم إبراهيم بن قاسم 2: 270
أبو سعيد أحمد بن محمد 1: 97
أبو سعيد خليل بن بدر 2: 256
أبو سفيان بن الحرث 1: 377
أبو سلمة 1: 415، 2: 175، 222، 335
أبو سعيد النقاش 2: 342
أبو سلمة فضل بن سلمة 2: 279
أبو شامة عبد الرحمن 2: 91
أبو شعيفة 1: 194
أبو الشوارب 1: 373
أبو الطاهر المحلي 2: 84
أبو الطفيل 2: 202، 210
أبو عبد الله بن عبد الجليل 1: 520، 2: 268
أبو عبد الله بن المجاهد 1: 508
أبو عبد الله القرشي 2: 85
أبو عبد الله محمد بن فرج 2: 270، 275
أبو عبيدة حميد الطويل 2: 282
أبو عمران الأندلسي موسى بن محمد 2: 237، 269، 270، 285
أبو عوانة 1: 92، 2: 240
أبو الفضل بن حجر 2: 250
أبو الفضل بن كامخ 2: 439
أبو الفضل محمد بن علي 2: 250، 346
أبو قابوس 1: 489
أبو القاسم الأموي 2: 176
أبو قبيل 2: 208

أبو لبابة 2: 282، 534، 535
أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي
أسامة 2: 256
أبو محمد صالح 1: 202، 2: 269، 331، 486
أبو مدين الغوث 2: 130، 134، 302، 456، 481
أبو مروان بن خليل 2: 345
أبو المعالي عبد الله بن عمر الحلاوي 2: 256
أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمن 2: 174، 288
أبو معزة عيسى بن محمد 1: 137
أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن
علي 2: 244
أبو ميمونة دراس بن إسماعيل 2: 274
أبو موسى عيسى 2: 269، 271
أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد 2: 224، 225
أبو نعيم وهب بن كيسان 2: 282
أبو هريرة 1: 91، 93، 408، 545، 594، 2: 203، 209، 211، 217، 221، 222، 223، 225، 226، 232، 234، 241، 242، 256، 265، 279، 282، 287، 290
أبو هشام محمد بن سلمة 2: 277
أبو الوائل بن العربي 1: 511
أبو الوقت 2: 172، 285
أبو يعزى 1: 403

(أم)

أم إبراهيم 1: 394
أم بشر بن البراء 1: 398
أم حبيبة 2: 333

أم سلمة 2: 175، 239
أم كلثوم 1: 381، 2: 220

(أ)

إبراهيم (عليه السلام) 1: 381، 382، 592، 2: 321، 337، 457
إبراهيم بن النبي (ص) 2: 290
إبراهيم بن أبي داوود 2: 218
إبراهيم بن سعد بن إبراهيم 2: 199، 219
إبراهيم عبد الله أبو مسلم 2: 207
إبراهيم بن هشام 2: 213
إبليس 2: 205، 258، 390
الأنبوسي عبيد الله 2: 149
الأبهري أحمد بن محمد 2: 298
الأبهري محمد بن عبد الله 2: 275
الأبياري علي بن إسماعيل 2: 269
الأبياري ناصر الدين 2: 269
الإبياني عبد الله بن أحمد بن إبراهيم 2: 271
أبي بن كعب 2: 232
الأجهوري 1: 240، 241، 2: 46، 48، 49، 187، 197، 247، 253، 281، 493، 505، 520، 527
الأحدب إبراهيم بن أحمد 2: 294
الأحسائي أبو بكر بن علي باشة 2: 306
الأحسائي يحيى بن الباشا 2: 57، 72
الأحسائي علي الضرير 2: 75
أحمد أبادي 2: 131
أحمد الأصغر 1: 190، 192
أحمد باقشير 2: 295
أحمد بن إبراهيم بن الزبير 2: 269

أحمد بن إبراهيم بن محمد 2: 219
أحمد بن جلاب 1: 115، 121
أحمد بن الحسين بن نصر 2: 226
أحمد بن حنبل 1: 260، 281، 373
أحمد بن عبد الصادق 1: 71
أحمد بن طولون 1: 261
أحمد بن عبد الأحد 1: 342، 344
أحمد بن عبد الإله 2: 543
أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد 1: 187
أحمد بن عبد العاطي 2: 536
أحمد بن عبد الله 1: 172
أحمد بن عروس 1: 183
أحمد بن علي بن ثابت 1: 507، 2: 242
أحمد بن عمران 2: 46
أحمد بن عيسى 2: 203
أحمد بن محمد بن عثمان 2: 212
أحمد بن محمد بن علي 2: 67
أحمد بن منيع 2: 240
أحمد بن موسى 1: 78
أحمد بن وهذاذ 1: 226
أحمد بن يحيى بن إسحاق 1: 198، 215
أحمد بن فضل الله 1: 112، 113
أحمد الخطيب 1: 67، 2: 57، 82
أحمد الزاهد 2: 257
أحمد وزير الشاه 1: 27
الأحمدي أبو الفتح الحلبي 1: 453
الأحمر علي بن جعفر 1: 220
الأخضري عبد الرحمن 1: 542، 544
الإخميمي علي بن عبد الظاهر 1: 112

إدريس (عليه السلام) 1: 315، 2: 550، 552
إدريس بن أبي عبد الله 1: 501
آدم (عليه السلام) 1: 16، 24، 215، 2: 323، 517، 519، 520
الإربيلي عماد الدين بن يونس 1: 87
الآدمي محمد بن يزيد 1: 222
الأردبيلي الفرج بن محمد 1: 125
أرسطو "إرسطا" 2: 497
أريس 2: 412
الأزدي أبو العباس بن محمد 1: 344
الأزدي علي بن الحسن بن قديد 1: 202
الأزرق 1: 173، 2: 414
الأزرقي 1: 286
الأزهري خير الدين 1: 417
الأزهري أحمد بن إسماعيل 1: 307
أسباط بن محمد 1: 223
إسحاق بن إبراهيم بن يونس 1: 210
إسحاق بن عبد الله 1: 218
إسحاق جمعان 1: 295، 2: 476، 481
أسد بن موسى 1: 199، 206، 214
الإسرائيلي إبراهيم بن سهل 2: 343
أسعد بن زرارة 1: 120، 382
الإسفراييني 1: 344
إسماعيل (عليه السلام) 2: 354
إسماعيل بن أمية 2: 216
إسماعيل بن زكرياء 2: 221
إسماعيل بن مسلم 2: 198
الأسواني شمس الدين 2: 93
الإشبيلي أبو الفرج 1: 121

الإشبيلي أحمد بن محمد 2: 217، 220، 344
الإشبيلي عبد الحق 1: 510، 2: 336
أشعب الطماع 2: 185
الأشعري بن أبي الوفا 2: 415
الأشعري أبو الحسن 1: 480، 533، 577، 578، 579، 613، 617، 618، 619، 620، 2: 88، 227، 228، 229، 231، 232، 233، 234، 243، 245
الأشعري أبو موسى 1: 317، 413
الأشموني عز الدين 1: 103
أشهب بن راشد 2: 370
أصبغ بن الفرج 2: 273
الأصبهاني إبراهيم بن أبي بكر 2: 84
الأصبهاني أبو منصور 2: 350
الأصبهاني زاهر بن رستم 1: 510
الإصطخري 2: 203، 207
الأصمعي 2: 96
الأعرج 2: 220، 267
الأعمش 2: 212، 215، 242
أغا أحمد 2: 465، 467
أفلاطون 1: 497
أفليوس 2: 25
أفندي الشيخ أحمد 2: 311
الإلبيري أبو إسحاق 2: 16
اللهي إبراهيم بن عبد الله 2: 198
إلياس (عليه السلام) 1: 340
إمام الحرمين (الجويني) 2: 229
أمة الجليل 1: 189، 190
الآمدي سيف الدين 2: 92، 97
أمية بن زيد 1: 419

الأموي أيوب بن أحمد الدمشقي 2: 294
الأمير إبراهيم 1: 377، 441
الأمير محسن 1: 69
الأندلسي علي بن أحمد 1: 365
الأنصاري أحمد بن عبد الله 2: 242
الأنصاري جابر بن عبد الله 1: 395، 2: 279
الأنصاري حوات بن جبير 1: 421
الأنصاري السري بن عبد الرحمن 1: 421
الأنصاري سعد بن معاذ 1: 384، 393
الأنصاري سيدي علي 1: 120، 2: 182، 479
الأنصاري عبد الرحيم بن أشرص 2: 278
الأنصاري عدي بن ثابت 2: 212
الأنصاري محمد بن أبي القاسم 2: 212، 347
الأنصاري محمد بن عبد الله 2: 198
الأنصاري هاشم بن محمد 2: 201، 209، 216، 225
الأنطاكي داوود 2: 39
أورتربيك 2: 34
الأوراسي يحيى بن سليمان 2: 242، 282
الأوزاعي 2: 172، 220، 414
أولياء الكبير 1: 352
أويس القرني 1: 210، 2: 297
الإيجي عبد الرحمن 1: 145، 498، 2: 108
أيوب بن موسى 2: 216
الأيوبي صلاح الدين 1: 467، 2: 34، 227، 414

(ب)

الباءاتي عبد الله 1: 506
البابلي محمد بن علاء 2: 184، 473

الباجي 2: 114، 116، 123، 124، 288
البارنتي محمد بن عمر 2: 287
با عفيف عبد الله 1: 444
باعلوي أحمد بن عبد الرحمن 2: 303
باعلوي سالم 1: 580، 581، 602
باعلوي محمد 1: 133، 2: 128، 131، 384، 392، 400
الباقر محمد بن علي 1: 380، 2: 131
باكر بن سالم 2: 476
البالسي أبو بكر 2: 79
الباهلي أبو أمامة 1: 120، 2: 212
البجائي أحمد بن منصور 1: 190
البختري يحيى بن محمد 2: 215
البدوي أحمد 1: 403، 2: 445
البدوي علي 2: 479
البرازلي القاسم بن محمد 2: 112، 125، 126
البرشيني شمس الدين 1: 525
البرعي عبد الرحيم 2: 160
البرموني كريم الدين 2: 281
بريدة 2: 221
البري أحمد الخطيب 1: 16، 452، 2: 77، 78
البري حسن 2: 61، 62، 129
البرهان الشامي 2: 287
البروني 2: 269
البزاز عبد الرحمن بن عمر 2: 204، 207، 208، 211، 219، 226
البزاز عبد الرحمن بن محمد 2: 203
البزوري أبو البركات 2: 450
البسكري أبو الفضل 2: 536
البشيشي أحمد 2: 473
البصري أحمد بن زياد 2: 211، 217

البصري أحمد بن المعذل 2: 275
البصري الحسن 1: 547، 550، 552، 553، 2: 25، 437
بصري عمر بن حفص 2: 215
البصري القاسم بن جعفر 1: 511
البطرني أبو الحسن 2: 242
البغدادي ابن البنا 1: 512
البغدادي إسماعيل بن يعقوب 2: 205، 206، 209، 212، 213، 216، 217
البغدادي عبد الرحمن بن أحمد 2: 173
البغدادي عبد الوهاب بن نصر 2: 275
البغدادي عبيد الله بن الجلاب 2: 275
البغدادي علي بن أحمد بن إسحاق 2: 199، 206، 214
البغدادي علي بن أحمد بن الحسن 2: 199
البغدادي محمد بن الحسين 2: 200، 215، 222
البغوي حسين بن مسعود 1: 431
البغوي عبد الله بن محمد 2: 2: 61، 75، 129، 200، 224
بكر بن خنيس 2: 225
بكر بن مضر 2: 204
البكري محمد بن عمر "الرازي" 2: 84
البكري محمد بن محمد 1: 270، 273، 278، 282، 285، 288، 295، 296، 301، 303، 308، 309، 312
البلاطي أحمد بن علي 2: 242
بلال 2: 207، 208، 254
البلغيثي صالح 2: 281
بنت بري 2: 445
بنت جحش 1: 69
البنوفري محمد 2: 281
بهرام 1: 117، 19
البوصيري 1: 217، 2: 465

بوطيب نصير 1: 540
البوعناني الطيب 1: 60، 61
بو لهوان 1: 471
بو مجيب أحمد 1: 184
البوني شهاب الدين 1: 595، 2: 16
البيجوري شهاب الدين 2: 173
البيضاوي ناصر الدين 1: 224، 241، 244، 247، 529، 616، 633، 2: 77، 125، 387، 388
البيهقي محمد 1: 381، 400، 411، 511، 2: 22

(ت)

تاج الدين بن داوود 2: 448
تاج الدين المكي 1: 329، 2: 75، 242
التجيبي عبد الرحمن 2: 274
التادلي الصغير بن المنيار 2: 172
التادلي يوسف بن يحيى 1: 72
التازغدري 2: 266
التباع عبد العزيز 1: 83
التتائي 1: 117، 126، 2: 359
الترمذي 1: 91، 508، 512، 571، 2: 241، 247، 473
التستري سهل بن عبد الله 2: 300
التسفاوتي سيدي موسى 1: 83
التغلبي شعبة بن الفضل 2: 198، 224
التفتازاني سعد الدين 1: 145، 191، 244، 498، 523، 609، 610، 623، 2: 523
التلمساني شهاب الدين 2: 265
التلمساني عبد الله بن محمد 2: 268

التلمساني محمد بن عبد الرحمن 2: 288
التمارسي سليمان 1: 503
التمام عبد الكريم 1: 432
التمتام محمد غالب 2: 209
التمرتاشي 2: 463
التميمي أبو العرب 2: 272
التميمي ربيعة بن عبد الله 2: 219
التميمي سليمان 2: 223
التميمي محمد بن أحمد 2: 272
التميمي محمد بن خلف 2: 219
التميمي محمد بن عبد الرحمن 2: 512
التميمي محمد بن عيسى 2: 269، 276
التنبكتي أحمد بابا 2: 527
التنجري عبد المؤمن 2: 431
التنسي محمد بن عبد الله 2: 266
التنسي محمد بن محمد 2: 266
التنوخي القيرواني 2: 272
التواتي أحمد بن المبارك 1: 183
التواتي عبد العزيز 1: 169، 173
التواتي عبد الكريم 1: 119
التواتي محمد بن عبد الكريم 1: 119
التوربشتي فضل الله 2: 98
التوزري أبو الفضل ابن النحوي 2: 82
التوزري عثمان محمد 2: 148
التوزري محمد بن علي 2: 82، 342
التونسي إبراهيم بن حسن 2: 271
التونسي ابن عبد القادر 2: 337
التونسي أبو الغيث القشاش 2: 29
التونسي علي بن زياد 2: 272، 278

التونسي محمد بن هارون 2: 268
التهامي 2: 91

(ث)

الثعالبي عبد الرحمن بن محمد 1: 124، 191، 2: 60، 182، 242
الثعالبي عيسى أبو مهدي 1: 63، 222، 237، 321، 369، 339، 340، 403، 429، 448، 468، 471، 573، 580، 2: 135، 140، 142، 182، 247، 264، 280، 282، 293، 503، 514
الثقفي عثمان بن المغيرة 2: 222
الثقفي علقمة بن سفيان 2: 224
الثقفي محمد بن أبي بكر 2: 279

(ج)

الجرابردي فخر الدين 2: 474
جابر بن عبد الله 1: 392، 2: 280
جامع بن أبي راشد 2: 199
الجامي عبد الرحمن 1: 350، 351، 352
جامي الملا 1: 524، 2: 298
الجاناتي عمران بن موسى 2: 266
الجبالي عبد الرحمن 2: 496، 503
الجرجاني 1: 246، 493، 497، 2: 16
الجرجي يعقوب 1: 338
الجزائري محمد بن منصور 2: 60
الجزاز أبو الحسين 2: 94
الجزري عبد الكريم 2: 97
الجزولي عبد الرحمن 2: 267
الجشتي مودود 2: 300

الجعبري أبو شامة 1: 473
جعدة بن هبيرة 2: 215
جعفر بن أبي طالب 2: 182
جعفر بن محمد 1: 376، 2: 203
الجلودي 1: 506
جمال بن سيدي حامد 2: 533
جمال الدين مفتي القيروان 2: 526
جمال الدين المصري 2: 288
الجمال يوسف 2: 247
جمعان إسحاق بن محمد 1: 472، 2: 296، 302
الجمني سيدي حامد 1: 126
الجمني محمد بلقاسم 2: 534
الجميزي علي بن هبة الله 2: 149
الجنان أبو عبد الله 2: 343
الجنبلاطي 2: 416
الجندري محمد بن أحمد 2: 201
الجندي 2: 167
الجنيد 1: 211، 341، 345، 499، 594، 2: 97، 157، 437، 458
الجنيدي يوسف القاسمي 2: 458
الجهني محمد بن إبراهيم 2: 278
الجوهري علي 2: 224
الجيلي عبد القادر 1: 480، 2: 300
الجيلي عبد الكريم 1: 595

(ح)

حاتم بن إسماعيل 2: 225
الحاج محمود 1: 205، 2: 494

الحاج يوسف 1: 112
الحارث بن مسكين 2: 272
حازم أبو الحسن 2: 344
الحاكم أبو عبد الله 2: 172، 286
حبشون البندار 2: 2: 223
الحبشي بدر 2: 26
الحجاج بن يوسف 2: 226
الحجار إبراهيم 2: 75
الحجار سليمان 2: 295، 296
الحجام عبد الله 1: 83
الحذاء أحمد بن الحسن 2: 226
الحداد إدريس بن عبد الكريم 2: 242
الحداد أبو علي 2: 254
حذيفة بن أسيد 2: 208
الحراني أبو النجيب 2: 254
الحراني ثابت بن قرة 2: 24
الحراني علي بن علان 2: 205
حرم بن حفص 2: 217
الحريري 1: 12
حسن بن زيد 2: 171
الحسن بن سليمان بن نافع 2: 213، 217
الحسن بن علي 1: 92، 376، 383، 546
حسن بن عليان 1: 304
حسن بن قيس 2: 213
الحسني عبد الله بن علي 1: 70
الحسين بن إسماعيل 2: 216
الحسين بن حماد 1: 464، 2: 464
حسين بن زيد بن علي 1: 261
الحسين بن علي بن أبي طالب 2: 132

الحسيني آدم 1: 360، 379
الحسيني غضنفر 1: 336
الحسيني محمد بن علي 2: 132
الحسيني هبة الله بن عطاء 1: 336
الحصري 2: 286، 288
الحضرمي أحمد بن عقبة 1: 191
الحضرمي بشر بن عبيد الله 2: 203
الحضرمي جابر بن أيوب 1: 503
الحضرمي عبد المهيمن 1: 362، 2: 324
الحضرمي عبد الوهاب 2: 307
الحضرمي عمرو بن عبد الله 2: 212
الحضرمي محمد بن هارون 2: 222
الحضرمي نصر بن أبي الفتح 1: 507
الحضرمي يعقوب بن إسحاق 2: 215
الحطاب 1: 189، 2: 46، 49، 166، 246، 355
حفصة (زوج الرسول عليه السلام) 1: 378، 2: 198
الحفصي عبد العزيز بن الحسن 2: 174
الحفيان محمد بن محمد 2: 57، 185، 331
الحكم بن موسى 2: 203
حكيم بن حزام 2: 280
الحلاج الحسين بن منصور 2: 283، 301
الحلبي عبد الغني 1: 436
الحلواني أحمد بن يحيى 2: 173، 221
حلولو أبو العباس عبد الرحمن 2: 267، 268
حليمة (مرضعة الرسول عليه السلام) 1: 379، 382
حماد بن سلمة 2: 217
الحمامي نصير بن أحمد 2: 329
حمدان بن أبان 2: 238
حمديس القطان 2: 272

حمزة (عم الرسول عليه السلام) 1: 379، 2: 454
الحمصاني محمد 2: 307
الحمصي ياسين 1: 247
الحموي علوان 2: 300
حميد بن عبد الرحمن 1: 378
الحميري أبو القاسم بن عبد الرحمن 2: 289
الحناطي 1: 103
الحنبلي محمد الخديم 2: 451
الحنبلي مرعي بن يوسف 1: 144
الحنبلي يحيى 2: 174
الخندري محمد بن أحمد 2: 209، 225
الخندري محمد بن محمد 2: 209
الحنفي تقي الدين بن غالب 2: 452
الحواري 1: 507
الحوضي أبو عمر 2: 223
حويطب بن عبد العزى 2: 342
الحيري عبد الواحد 2: 289

(خ)

خارجة بن زيد 1: 401
خالد بن سنان 2: 542، 543
خالد بن عبد الله 2: 72
الخامي أحمد 1: 243
الخاموش نظام الدين 1: 498
خيرة بنت سباع 2: 352
خديجة (أم المؤمنين) 1: 359، 376، 2: 121، 377
الخدري أبو سعيد 1: 53، 91، 382، 395، 412، 413، 582،
2: 201، 280

الخرائطي محمد بن جعفر 2: 217، 223، 224
الخراز أحمد بن عيسى 2: 300
الخراساني أبو مسلم 2: 35
الخرشي محمد 2: 474
الخرقاني أبو الحسن 1: 339، 340، 341
الخروبي 1: 189
الخزاعي عمران 2: 224
الخزرجي عبد الله 2: 268، 281
الخزرجي محمد بن محمد 2: 281
الخشاب منير بن أحمد 2: 200
الخشني محمد بن حارث 2: 275
الخصيب بن عبد الله 2: 198، 202، 203، 208، 220، 221، 226
الخضيري سيدي علي 1: 140
الخطيب أحمد 1: 423
الخطيب البغدادي 2: 288
الخطيب بن مرزوق 2: 269، 243
الخفاجي شهاب الدين 1: 223، 482، 2: 184، 245، 463
خلاد بن عمرو 1: 401
الخلعي علي بن الحسن 2: 197، 204
الخليل (إبراهيم عليه السلام) 1: 234، 235، 2: 404، 425، 426، 458، 461، 535
الخليل (صاحب المختصر) 1: 116، 140، 191، 427، 429، 478، 2: 62، 143، 266
الخليلي غرس الدين 1: 620، 2: 463
الخليلي ياسين 1: 620
الخلوتي محمد 1: 484، 2: 298
الخلوتي عبدو 2: 447
خواجكى الأمكنكي 1: 338

الخوجة عبد الخالق 1: 346، 347، 348، 349، 2: 465
الخوجة عبيد الله 1: 345
الخونجي 2: 308
الخياري إبراهيم 2: 389
الخياط عبد الله 1: 84
الخيطي 2: 289

(د)

الدار قطني علي بن عمر 2: 126، 215، 222، 223، 224
الدارمي أبو محمد 2: 285
الدارمي الحسن بن سليمان 2: 213
الداني عثمان بن سعيد 1: 471، 473، 477، 506، 2: 174
داوود (عليه السلام) 1: 559، 2: 25، 474، 562
داوود بن أبي غمرة 2: 202
داوود بن المحبر 2: 254
داوود بن مهران 2: 223
الداودي 1: 507
الدباسي سيدي أحمد 2: 535، 536، 537
الدجاني أحمد 1: 544، 552، 578، 605
الدراوي سيدي مسعود 1: 185
الدرعي محمد بن ناصر 1: 33، 187، 2: 43
الدسوقي إبراهيم 1: 212، 217، 2: 299
الدقاق أبو علي 2: 228
الدقاق عبد الرحمن 2: 439
الدقاق عبد الله 1: 72
دقيوس 1: 181
الدكالي عيسى بن علي 2: 533
الدكالي محمد بن إبراهيم 2: 289

الدلائي أبو عبد الله بن أبي بكر 2: 265
الدماميني محمد بن أبي بكر 2: 281
الدمشيتي علي 1: 473، 2: 220، 225، 270
الدمياطي 2: 110، 111، 115، 116
الدنديلي عمر 2: 27
الدورقي يعقوب 2: 202
عبد الرحمن بن صخر 2: 280
الدوسي يوسف بن يحيى 2: 277
الديبع أبو الحسن 1: 28، 471، 475، 487، 589
الديبع عبد الرحمن 1: 28، 476، 2: 289، 550
الديري إسحاق 2: 207
الديري عبد الله بن محمد 2: 470
الديلي بن أرقط 2: 493

(ذ)

الذهان حسن 1: 465
الذهبي أبو عبد الله الحافظ 1: 550، 2: 80، 84، 85، 101، 112، 113، 114، 115، 116، 126، 127، 286، 348، 351
الذهلي محمد بن أحمد 2: 202

(ر)

رؤبة العجاج 2: 203
رابعة العدوية 2: 424
الرازي أحمد بن الحسن 2: 198، 204، 212، 218، 219
الرازي إسحاق بن عتبة 2: 198، 204، 212، 218، 219
الرازي فخر الدين 2: 84، 89، 116
الرازي محمد بن حميد 2: 205

الرازي محمد بن عمر 2: 84، 85
الرافعي 2: 96، 94، 125
الرافقي العباس بن محمد 2: 219
الربذي 2: 201، 209، 220
الربعي صاعد بن الحسن 2: 335
الربيع بن الفضل 2: 210
الربيعي أبو الحسن 2: 241
الرجراجي محمد بن إبراهيم 2: 351
رحمة بنت إبراهيم 2: 80
الرستمي الحسن بن عباس 1: 545
الرشيد القرشي يحيى بن علي 2: 235، 284
الرصاع محمد بن قاسم 2: 267، 268
الرعيني أبو الحسن 1: 507، 508، 2: 340
الرعيني مقدام بن داوود 2: 199، 200، 207، 214
الرفاعي أحمد 2: 300، 433، 434، 436، 437، 451
رقية بنت رسول الله (عليه السلام) 1: 377، 2: 220
الرماني عبد الواحد 2: 540
الرملي خير الدين 1: 622، 2: 416
الرملي ضمرة بن ربيعة 2: 212
الرملي عبد الله بن المجلي 2: 197
الرملي محمد بن أحمد 1: 489، 2: 281، 289
الرملي محمد بن تاج الدين 2: 416
الربوكري عارف 1: 338، 2: 338
الروداني محمد بن سليمان 1: 631، 2: 43
الروذباري علي 2: 437
الرومي نسطور 2: 284

(ز)

زافر بن سليمان 2: 205
زاهر بن أحمد 2: 228
زبيدة بنت جعفر 2: 167
الزبيدي محمد بن المخلص 1: 476
الزبير بن باطيا 1: 389
الزبير بن بكار 1: 421
الزركشي 1: 98، 100، 103، 191، 401
زروق أحمد 1: 84، 187، 193، 220، 2: 477
الزرويلي علي بن عبد الحق 2: 267
الزفتاوي 2: 288
الزقاق أحمد بن علي 2: 266
الزقاق علي بن قاسم 2: 266، 269، 370
زكرياء الأنصاري 2: 173
الزلاعية فاطمة ابنة أبي عبد الله 1: 190
الزمزمي عبد العزيز 2: 39، 184
الزملكاني كمال الدين 2: 104
الزموري أحمد 2: 289
الزنجبيل 1: 465، 2: 153
الزهري أبو طاهر بن عوف 2: 269، 336
الزهري إسماعيل بن مكي 2: 269
الزهري محمد بن مسلم 2: 279
الزهري يعقوب بن عبد الرحمن 2: 205
زونان عبد الملك بن الحسن 2: 274
الزيات أحمد بن موسى 2: 272
زياد بن جبير 2: 221
زياد بن علاقة 2: 221

العطار أحمد بن الحسين 2: 200، 213، 221، 222
الزيادي نور الدين 2: 174
زيد بن أسلم 1: 387، 2: 209، 224، 280
زيد بن بشيع 2: 200
زيد بن ثابت 2: 232
زيد بن محسن 1: 326، 365، 463
زين العابدين بن الحسين 1: 376
زينب (بنت رسول الله عليه السلام) 1: 377، 2: 447
زينب بنت أبي سلمة 2: 333
زينب أم المؤمنين 1: 69، 2: 333

(س)

السائب بن يزيد 2: 342
الساعدي سهل بن سعد 1: 413، 2: 280
سالم بن عوف 1: 389
السالمي محمود القدسي 2: 438، 439
السامري 2: 217
السبتي أبو العباس 1: 399
السبتي عبد الله بن غالب 2: 276
السبتي محمد بن رشيد 2: 227، .324
سبط ابن الجوزي 1: 383
السبكي تاج الدين 1: 191، 574، 2: 79، 79، 83، 84، 85، 87، 89، 90، 92، 95، 96، 98، 99، 101، 105، 106، 108، 112، 115، 174، 243، 332، 378
السجتاني أبو بكر 1: 256، 257، 302، 303، 2: 493، 527، 543
السجزي 2: 172

سحبان	1: 151، 152
السحامي زاهد بن طاهر	2: 227
السخاوي	2: 348
السراج عمر الوراق	2: 330
السراج يحيى بن محمد	2: 289
السرادي بوهلال	2: 536
السروري	2: 448
السطي محمد بن سليمان	2: 269
سعد بن أبي وقاص	1: 113، 378، 387، 421، 2: 238
سعد بن إبراهيم	2: 199
سعد بن خيثمة	1: 391
سعد الدين أبو محمد	2: 526
سعد بن الربيع	2: 401
سعد بن يحيى بن يزيد	2: 219
سعيد بن جبير	2: 198، 217، 221
سعيد بن خالد	2: 215
سعيد بن سليمان	2: 198
سعيد بن المسيب	2: 203، 221
سعيد بن وهب	2: 200
سعيد الكفيف	2: 281
سفيان الثوري	2: 25، 149، 222
سفيان بن العاصي	1: 506
السقاف محمد بن علوي	2: 131
السقطي سري الدين	2: 437
السكتاني أبو بكر	1: 302، 2: 430، 478
السكري محمد بن أحمد	2: 270
السكسكي عمرو بن أبي بكر	2: 201، 209، 216، 225
السكندري علي بن الصباغ	2: 288
السكوني أبو بحرية	2: 218

السكوني أبو علي 2: 89
السكوني يزيد 2: 218
السلاوي محمد الأحمر 2: 551
السلجوقي 2: 288
السلطان أبو عنان 1: 142
السلطان حسن 1: 266
السلطان سليم 1: 144، 250، 2: 30، 31، 32، 478
السلطان المظفر غازي 1: 463، 2: 414
السلفي أحمد 1: 507
سلم بن جنادة 2: 222
سلمان المكاري 2: 137، 138، 401، 405، 416
سليمان بن حمزة 1: 547، 2: 248
سليمان بن عبد الملك 2: 352
السلمي أبو عبد الرحمن 2: 239
السليمي بشر بن منصور 2: 210
السماسي محمد بابا 1: 338
سماك بن حرب 2: 217
السمرقندي 1: 495
السمسار محمد بن زياد 2: 206
السمعاني 1: 335، 2: 410
السمناني أبو جعفر بن محمد 1: 507
السمناني علاء الدولة 1: 525، 2: 299
السمهودي 1: 279، 302، 366، 367، 375، 377، 378، 382، 388، 389، 406، 2: 325
السنباطي 2: 282
السنجري زكريا بن يحيى 2: 220
سند بن عنان 2: 360
السنداني محمد بن سليمان 2: 550
السندفاوي إسماعيل 2: 358

السنهوري سالم 2: 174، 313، 358، 503، 527
السنوسي 1: 430، 528
السهروردي عمر 2: 98
سهل بن سعد 1: 413، 2: 205
سهل بن قيس 1: 401
سهل بن مالك 2: 340
السهمي خنيس بن حذافة 1: 378
سهيل بن أبي صالح 2: 201
السهيلي 2: 89، 120
السوداني أبو هلال 2: 533
السوداني محمد 2: 76
السوسي إبراهيم 1: 77، 85
السوسي أبو عبد الله محمد المغربي 2: 526
السوسي محمد بن محمد 1: 70
السويدي أبو القاسم 1: 194
سيبويه 1: 482، 2: 84، 323، 646
السيد جلال الدين البخاري 2: 306
سيد روحه 1: 196، 197
السيد الغيث 1: 304
سيدي أبو تركية 1: 194
سيدي أبو القاسم 1: 172
سيدي أبو هلال 1: 125
سيدي أحمد أذفال 1: 189
سيدي حامد 1: 133، 2: 533
سيدي رضوان القافي 1: 73
سيدي سحراوي 2: 536
سيدي عبد الجبار 2: 550
سيدي عبد السلام الأسمر 2: 183، 184
سيدي محمد بن عبد السلام 2: 268

سيدي عمر العربي 2: 378
سيدي الغازي 2: 312
سيدي فرج 1: 194
سيدي كناو 1: 127
سيدي مالك 2: 310
سيدي محمد بن بوعلي 2: 537، 540
سيدي محمد الحاج 1: 185
سيدي محمد بن سعيد 2: 44، 551
سيدي مخلوف 2: 546
سيدي مفتاح 1: 182، 2: 500
سيدي موسى 2: 310
سيدي يدين 2: 536
سيدي ناجي 2: 183
سيدي يونس 1: 200
السيوطي 1: 223، 229، 230، 430، 545، 547، 549، 550، 608، 2: 148، 149، 172، 282، 285
السيريني بكار بن محمد 2: 207

(ش)

الشاذلي أبو الحسن 1: 343، 532
الشاذلي عبد القادر بن مغيزل 1: 98، 102
الشاطبي ابو القاسم 1: 478، 2: 76، 174
الشافعي (الإمام) 1: 216، 261، 262، 393، 2: 77، 333، 413، 414
الشافعي إسماعيل بن علي 2: 214
الشافعي سيف الدين 2: 173
الشافعي علي بن الجمال 2: 163

الشافعي القاسم بن علي 1: 508
الشامي أيوب 2: 127
الشاهد أحمد بن محمد 2: 219
الشاهد منير بن أحمد 2: 207
الشاهد منير بن الحسن 2: 199
الشاه ملك الهند 2: 27
الشاه مداري 2: 300
الشاه هندي 2: 14
الشاوي أحمد بن عبد القادر 2: 282
الشاوي يحيى 2: 475، 487
الشبراملسي علي 1: 257
الشبراملسي محمد بن علي 1: 243
شبطون زياد بن عبد الرحمن 2: 274، 279
شداد بن أوس 2: 224، 424
الشراط عبد الرحمن بن غالب 1: 505
الشريف أحمد بن أبي بكر 2: 550
الشريف زيد 1: 179، 326
شريك 2: 198
الشطاري عبد الله 2: 301
الشطاري محمد الغوث 1: 540
شعبان بن مساهل 1: 142
شعبة 1: 120، 2: 202، 212
الشعبي 2: 216
الشعراني عبد الوهاب 1: 222، 250، 259، 261، 342، 381، 399، 481، 535، 584، 636، 2: 38، 415
الشعراوي الشيخ موسى 2: 449
شعيب (عليه السلام) 1: 284، 285، 288، 2: 327، 404
الشقراطيسي 2: 535، 537
شفي الأصبحي 2: 207

شمس الدين القدسي 2: 484
الشناوي أحمد بن علي 1: 336، 540، 541، 552
الشهاب الحجازي 1: 547، 2: 282، 289
شهاب الدين الحنفي 2: 428
الشهاب محمود 2: 105
الشهابي بدر الدين 1: 411
شهر بن حوشب 2: 223
الشهرزوري محمد بن رسول 2: 77
الشيباني هبة الله بن محمد 2: 282
الشيباني يحيى بن أبي عمرو 2: 212
شيخان أبو بكر بن سالم 2: 598
الشيرازي أبو عبد الله 2: 300
الشيرازي أبو نصر 1: 513، 2: 197
الشيخ أبو الريش 2: 446
الشيخ أبو الغيث اليمني 2: 453
الشيخ سلطان 1: 229، 236، 256، 257، 482، 483، 484، 2: 172، 173، 174، 285، 473
الشيخ صالح 1: 388
الشيخ الوفائي 1: 559

(ص)

الصائغ محمد بن أحمد 1: 476، 2: 173
الصابوني أحمد بن محمد 1: 495، 2: 218
الصادق إسماعيل بن جعفر 1: 372، 380، 2: 387
الصادق جعفر بن محمد 2: 132
الصالحي أبو العباس 2: 172، 286
صبغة الله الحسيني 1: 379، 498، 544، 588، 2: 13
الصحراوي عبد العزيز بن غانم 2: 282

الصدفي يونس 2: 205، 220
الصديقي محمد الشريف 2: 302
الصديقي يوسف بن محمد 2: 388
الصعيدي 2: 447
الصفار محمد بن عبد الله 1: 545
الصفدي خليل بن أيبك 2: 109
الصفدي عبد القادر بن حبيب 2: 450، 454
صفوان بن المعطل 1: 69
صفية بنت عبد المطلب 1: 376
الصقلي 2: 285
الصلاح بن أبي عمرو 2: 288
صلاح الدين ابن أيوب 1: 463، 2: 34، 414
الصلتي حسن 2: 450، 454
الصمادي محمد بن محمد 2: 448
الصمداني 2: 433
الصنابحي عبد الله 2: 336
الصوفي محمد بن أبي القاسم 1: 186
الصوفي محمد بن أبي الفتح 2: 27
الصيد الطرابلسي 1: 133
الصيرفي أحمد 2: 254
الصيرفي محمد بن إبراهيم 2: 214
الصيرفي أبو الحجاج 2: 172، 286
الصيرفي محمد بن موسى 1: 545

(ض)

الضبعي جعفر بن سليمان 2: 217
الضرير أبو الطيب 2: 203
الضرير شمس الدين 2: 290

الضرير محمد بن جابر 2: 217
ضياء الدين أبو زيد 2: 97

(ط)

الطائي الشيخ داوود 1: 341، 2: 437
الطائي قيس بن تميم 2: 285
الطالقاني أحمد بن إسماعيل 1: 507
طاهر بن زياد 2: 242
الطبراني 1: 377، 386، 394، 467، 2: 176، 197، 240
الطبري أبو الطيب 2: 149
الطبري زين العابدين 1: 28، 333، 489، 2: 181، 184
الطبري محب الدين 2: 110، 166
الطبلاوي ناصر الدين 2: 173
الطرابلسي أحمد العجين 2: 141، 404، 474
الطرطوشي أبو بكر 2: 269، 271، 276، 278
الطريني عبد الجواد 2: 28، 228، 257
طلحة الطلحات 2: 280
الطهطائي محمد بن عبد الفتاح 2: 283
الطوسي 2: 115
الطيبي 1: 97

(ع)

عائشة أم المومنين 1: 69، 190، 311، 312، 378، 419، 513، 2: 175، 200، 202، 206، 214، 235، 238، 248
عاصم بن أبي صالح 2: 212
عاصم بن علي 2: 208

عاصم بن كليب 1: 92
عامر بن فهيرة 2: 493
عبادة بن الصامت 2: 240، 424
العبادي أبو حفص عمر 2: 282
العبادي أحمد بن قاسم 1: 588، 2: 282
العبادي محمد بن العباس 2: 268
العباسي يونس بن يحيى 1: 507
عبد الجبار بن أبي بكر 1: 172
عبد بني الحسحاس 1: 401
عبد الحكم بن ذكوان 2: 223
عبد الرحمن بن أبي بكر 2: 200، 215
عبد الرحمن بن أبي سعيد 1: 382
عبد الرحمن بن الحسن 1: 81
عبد الرحمن بن سنة 2: 218
عبد الرحمن بن صالح 2: 217
عبد الرحمن بن عمر بن محمد 2: 198، 205، 207، 208، 211، 220، 226
عبد الرحمن بن عوف 1: 378، 407، 2: 214، 215، 269، 419
عبد الرحمن بن القاسم 1: 262، 2: 278
عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة 2: 205
عبد الرحمن بن يزيد 1: 478، 2: 203
عبد الرحمن فروخ 2: 279
عبد الرحمن المغربي 2: 132
عبد السلام بن مشيش 2: 109، 189، 399
عبد الصمد بن الوارث 2: 285
عبد العزيز بن أبي داوود 2: 222
عبد الغفار بن نوح 2: 110، 536
عبد القادر بن خدة 2: 503
عبد القادر بن سوار 2: 447، 450، 545

عبد القادر بن الغصين 2: 408، 458، 462، 464
عبد الكريم بن عطاء الله 2: 336
عبد الكريم بن هوازن 2: 228
عبد الله با عفيف 2: 132، 384، 394
عبد الله بن إباض 1: 116
عبد الله بن أبان 2: 201، 209، 216، 225
عبد الله بن أبي قتادة 1: 424، 2: 219
عبد الله بن أحمد بن حنبل 2: 203
عبد الله بن أحمد الصالح 2: 203
عبد الله بن جحش 1: 397، 401
عبد الله بن حراش 2: 201
عبد الله بن الحسن بن أحمد 2: 221
عبد الله بن الحكم 2: 273
عبد الله بن دينار 2: 280
عبد الله بن الزبير 1: 421، 2: 199، 280
عبد الله بن السعدي 2: 342
عبد الله بن سلام 2: 173
عبد الله بن شيخ 2: 132
عبد الله بن طمطم 1: 79، 80
عبد الله بن عباس 1: 336، 2: 172، 173، 175
عبد الله بن عبد العزيز 1: 128
عبد الله بن علي 2: 128، 132
عبد الله بن عمر 1: 313، 359، 2: 162، 206، 280
عبد الله بن عمرو بن العاص 1: 489
عبد الله بن غلبون 1: 199، 2: 449
عبد الله بن كثير 1: 472
عبد الله بن المبارك 2: 220
عبد الله بن مطرف 2: 278
عبد الله بن نافع 2: 274، 278

عبد الله بن وهب 2: 203، 205، 278
عبد الله المغربي 2: 132
عبد الملك بن حبيب 2: 274، 277
عبد الوهاب القاضي 2: 335، 358
العبدري 1: 134، 182، 195، 206، 207، 285، 290، 305، 306، 318، 411، 2: 270
العبدلي محمد 1: 286
عبدوس محمد بن عبد الله 2: 274، 275، 277
العبدوسي عبد العزيز 2: 268
العبدوسي موسى بن محمد 2: 267، 268
العبدي يحيى بن الربيع 2: 203، 210
عبيدة بن الحارث 2: 402
عبيد الله بن عبد الصمد 2: 215
عبيد الله بن عمرو 2: 198
عتبان بن مالك 2: 389، 390
العتبي محمد بن أحمد 2: 273، 274
العتقي عبد الرحمن 2: 278
عثمان باشا 1: 110، 139
عثمان بن زبرزاد 2: 219
عثمان بن زفرح 2: 219
عثمان بن عفان 1: 379، 2: 219، 220، 238، 285، 484
عثمان بن علي 1: 158، 167، 2: 202
عثمان بن مظعون 1: 377، 378
العثماني تاج الدين 2: 307
العجمي حبيب 2: 437
العجيمي حسن بن علي 1: 465، 477، 581، 2: 132، 144، 190، 295، 383
العجمي يوسف 2: 636
العجين الحاج أحمد 2: 141، 404، 474، 501

العذري أحمد بن محمد 2: 362
عدي بن مسامر 2: 294
العرابي سيدي عمر 2: 300
العربي بن عبد العزيز 1: 73
عروة بن رويم 2: 214
عروة بن الزبير 1: 418، 2: 120، 177
العراقي زين الدين 2: 227
العراقي عبد الرحيم 2: 289
العراقي علم الدين 2: 111
العرشي ياقوت 2: 476
العريفي 2: 531
العريان "عريان الرأس" 1: 79
العزفي أحمد بن محمد 2: 325
عز الكفاة هبة الله 2: 349
العسقلاني إسماعيل بن رجاء 2: 201، 209، 216، 225
العسكري الحسن بن رشيق 2: 213، 221، 222
العسكري محمد بن حسن 1: 381
العشقي أبو اليزيد 2: 301
عطاء بن أبي رباح 2: 149
عطاء بن أبي الدرداء 2: 201
عطاء بن جابر 2: 198
العطار أبو محمد المقدسي 2: 227
العطار إسماعيل بن عيسى 2: 221
العقاقي عبد الله بن عبد الباقي 1: 476
العقباني قاسم بن سعيد 2: 268، 269
عقبة بن عامر 2: 498، 539
العقيبي الشيخ عمر 2: 443
عقيل بن أبي طالب 1: 376، 377
عكرمة 2: 213

العكري خلف بن عمرو 2: 224
العلاء بن زياد 2: 203
العلاء بن أسلم 2: 203
العلاء بن عبد الرحمن 2: 280
العلائي صلاح الدين 2: 117
علام بن بركان 2: 439
العلقمي إبراهيم بن عبد الرحمن 2: 283، 284
العلمي عمر بن عبد الصمد 2: 432، 443
العلمي محمد بن عمر 2: 425، 426، 433، 440، 443، 453
علي بن الجمال 2: 165، 186
علي بن حرب 2: 225
علي بن رواج 2: 352
علي بن عزازة 1: 189
علي بن شجاع 1: 476، 2: 175
علي بن عبد الله بن مبشر 2: 224
علي بن عبد الكافي 2: 115
علي بن عمران 2: 539
علي بن محمد بن كاس 2: 221
علي بن ميمون 2: 302، 445، 449، 539
علي بن هاشم بن البريد 2: 202، 223
علي بن هذيل 2: 176
العلوي وجيه الدين 1: 243، 498، 544، 545، 552، 588
عمار بن رزين 2: 332
عمران المنقري 2: 228
عمر بن أبي سلمة 1: 415، 2: 282
عمر بن خالد 2: 200
عمر بن الخطاب 1: 263، 336، 379، 478، 2: 77، 144، 201، 211، 216، 226، 264، 282، 344
عمر بن عبد العزيز 1: 393، 478، 2: 256

عمر بن يزيد 2: 225
عمر بن الحارث 2: 207
عمرو بن الجموح 1: 401
العمري إبراهيم بن محمد 2: 203
العمودي عبد الله بن نمي 2: 130، 133
العنابي الحاج علي 2: 163
العنبري معاذ بن مثنى 2: 209
العوام بن حوشب 2: 203
العورجي 1: 507
العياشي أبو سالم 1: 51، 172، 336، 340، 476، 514، 605،
2: 175، 390، 421، 436، 441، 442
العياشي عبد الرحمن 1: 125، 334، 2: 139
العياشي عبد الكريم 1: 172
العياشي محمد بن أحمد 2: 65
عياض القاضي 1: 94، 98، 99، 102، 418، 446، 663،
2: 247، 273، 292، 379
العيدروس أبو بكر 2: 134، 165، 302، 401
عيسى (عليه السلام) 2: 40، 129، 545
عيسى بن عبد الرحيم 2: 226
عيسى بن عبد العزيز 2: 250
عيسى بن موسى 1: 383

(غ)

الغافقي عبد الرحمن بن عبد الله 2: 273
الغبري عباد بن الوليد 2: 225
الغدامسي محمد 2: 146
الغرناطي فرج بن القاسم 2: 272
الغرناطي محمد بن محمد بن سراج 2: 272

غريط عبد الرحمن 2: 533
الغزالي ابو حامد 1: 612
الغزواني عبد الله 1: 84
الغزي عثمان 2: 284
الغزي أبو العون 2: 452
الغزي رضي الدين 2: 297
الغساني يحيى بن محمد 2: 276
الغلاي محمد بن زكريا 2: 228
الغلياني أبو زكريا 1: 190
الغماري أبو الحسن علي 2: 314
الغنيمي شهاب الدين 1: 247، 248
الغوري 1: 250، 517، 2: 32، 34

(ف)

الفارسي سلمان 1: 339، 341، 2: 417
الفارمذي ابو علي 1: 341، 342
الفاروثي إبراهيم 2: 82
الفاسي ابو محمد عبد القادر 1: 58، 85، 400، 575، 2: 355، 478، 531
الفاسي تقي الدين 1: 467، 2: 168
الفاسي سيدي العربي 1: 451، 2: 531
الفاسي عبد الرحمن بن محمد 1: 521، 522، 2: 531
الفاسي محمد بن عبد القادر 1: 150
الفاضلي ابن عطاء الله 2: 175
فاطمة (بنت الرسول عليه السلام) 1: 377، 378، 396، 2: 379
فاطمة بنت أسد 1: 378، 379
الفاكهاني 2: 48، 359، 362، 368، 373، 481
الفخر بن النجاري 2: 229

الفراء محمد بن الحسين 2: 203، 217، 218، 224
الفراء محمد بن الفضل 2: 200، 222
الفرات بن أبي الفرات 2: 210، 237، 245، 285
الفران إبراهيم 1: 132، 2: 503
الفزاز أسماء بن الحكم 2: 224
الفزاري محمد 1: 375، 429، 2: 65
فرعون 1: 221، 560، 2: 261
الفشتالي محمد بن أحمد 2: 272
الفضل بن عباس 2: 420
الفضيل بن مرزوق 1: 226
فطر بن خليفة 2: 202
الفغنوي محمود 1: 338
الفقيه أبو علي زاهر 2: 230
الفكون عبد الكريم 1: 286، 2: 284، 516
الفيشي محب الدين 1: 104
الفيشي محمد بن محمد 2: 283
الفيلالي سيدي أحمد 2: 314
الفيلالي سيدي عبد الرحمن 2: 314
الفيلالي علي بن عبد الله 2: 553
الفيلالي علي بن عبد الواحد 2: 185

(ق)

القابسي علي بن محمد 2: 273
قاسم بن عبد المعطي 2: 441
القاسم بن الوليد 2: 204
القاضي حسين 1: 102
قالون 2: 174، 175
القالي أبو علي 2: 337

قايت باي 1: 227، 234، 2: 53، 146، 350
القبابي عبد الرحمن 2: 290
القبتوري خلف بن عبد العزيز 2: 345
القتابي عياش 2: 226
قتادة 2: 204، 225
القجايري سيدي محمد 2: 312
قدورة سعيد 2: 46، 185
القرافي ابن أبي بكر 2: 283
القرافي محمد 1: 98، 101، 104، 576، 2: 89، 113، 249، 271، 375، 528
القراطيسي عبد الله بن محمد 1: 549
القرامسي الشيخ محمد 1: 317
القرشي الحسين ابن عبد الله 2: 204
القرشي عبد الله بن وهب 2: 280
القرشي محمد بن المنكدر 2: 282
القرشي محمد بن يونس 2: 219
القرطبي أبو الحسن سليمان 2: 272
القرطبي أحمد بن عمر 2: 275
القرطبي أحمد بن محمد 2: 275
القرطبي أحمد بن يزيد 2: 270
القرطبي إسحاق بن إبراهيم بن مسرة 2: 275
القرطبي أيوب بن سليمان 2: 275
القرطبي الحسين بن أحمد 2: 278
القرطبي ضياء الدين 2: 84
القرطبي عبد الرحمن بن عبد الله 2: 273
القرطبي عبد الرحمن بن محمد 2: 272
القرطبي عبد الله بن سعيد 2: 273
القرطبي عبد الله بن محمد 2: 268

القرطبي عبد الله بن يحيى 2: 273
القرطبي عتبة بن أبي سفيان 2: 273
القرطبي علي بن أبي طالب القيسي 2: 274
القرطبي عيسى بن سهل 2: 274
القرطبي الغازي بن قيس 2: 279
القرطبي قاسم بن أصبغ 2: 275
القرطبي محمد بن أحمد 2: 270
القرطبي محمد بن عبد الحق 2: 268
القرطبي محمد بن عبد الملك 2: 273
القرطبي محمد بن عمر بن لبابة 2: 273
القرطبي محمد بن كعب 2: 201
القرطبي محمد بن وضاح 2: 273
القرطبي محمد بن يوسف 2: 274
القرطبي يحيى بن إبراهيم 2: 274
القروي عبد الوهاب بن محمد 2: 281
القزويني جلال الدين 2: 114
القزويني عبد الغفار 2: 96
القزويني محمد بن أسعد 1: 508
القسطلاني 1: 97، 253
القسطلي أبو عمرو 1: 138
القسمطيني سيدي عاشور 2: 503
القسنطيني عمر الوزان 2: 283
القشاشي صفي الدين 1: 19، 237، 336، 379، 397، 465، 466، 471، 478، 481، 525، 527، 557، 562، 589، 2: 13، 77، 293، 303، 312، 529
القشيري 2: 227، 300، 378
القصار القيسي محمد بن قاسم 2: 266
القصري عبد الجليل 1: 533
القصري عبد الرحمن 2: 265

القضاعي الحسن بن أحمد 2: 343
القطان الحسن بن علوية 2: 221
القطان روح بن الفرج 2: 198، 204، 212، 218، 219
قطب الدين العلوي 2: 349
القطناني حسن الراعي 2: 433، 445
القطيعي أحمد بن جعفر 2: 282
القفصي محمد بن عبد الرحمن 2: 269
القليبي الشيخ موسى 1: 230، 232، 242
القليوبي أحمد بن عيسى 2: 81
القليوبي محمد فتح الدين 2: 102
القمولي 2: 88
القناوي 2: 288
القواريري عبيد الله 2: 217
القوري عبد العزيز 2: 267
القوري محمد بن قاسم 2: 266
القوصي أحمد بن عبد المجيد 2: 110
القونوي صدر الدين 1: 559
القيرواني أبو القاسم 2: 271
القيرواني البهلول بن راشد 2: 279
القيرواني حمس بن مروان 2: 277
القيرواني محمد بن اللباد 2: 272
القيرواني يحيى بن عمر 2: 272
القيسراني محمد بن محمد بن عبد
الرحيم 2: 217، 223، 224
القيسي إبراهيم بن يربوع 2: 276
القيسي أشهب مسكين بن عبد
العزيز 1: 511، 512، 566

(ك)

الكازروني 1: 336

الكاشاني كمال الدين عبد الرزاق 1: 508

الكاشفي أبو الحسن 1: 340، 344، 346

الكاشفي سعد الدين 1: 344، 354

الكاظم موسى 1: 261، 380، 381

الكاواني عبد الرحمن 2: 266

الكبرى نجم الدين 1: 350، 2: 81، 298

الكحجي إبراهيم بن عبد الله 2: 198

الكرخي بدر الدين حسن 1: 507، 2: 281، 437

الكردي إبراهيم بن حسن 1: 1: 237، 491

الكركاني 2: 340، 341، 342، 343

الكرماني 2: 26

الكركي شرف الدين 2: 328

الكرمي علي 2: 440

الكفافي سيدي مرزوق 1: 290

الكلاباذي محمد بن إبراهيم 1: 575

الكلابي أشعث بن محمد 2: 202

كلثوم بن الهدم 1: 388

الكلبي عثمان بن حسن 2: 242

الكمودي يحيى 2: 132

الكناني أحمد بن خزيمة 2: 345

الكوراني إبراهيم بن حسن 1: 19، 237، 436، 479، 491، 569، 2: 504

الكوفي الحسن بن محمد 2: 206، 210، 212، 213، 217

الكوفي سفيان بن بشر 2: 200، 221

الكوفي عبد الله بن عمر 2: 201
الكوفي محمد بن حازم 2: 200
الكومي سيدي محمد 2: 312

(ل)

اللؤلؤي أبو محمد بن أحمد 1: 507، 2: 373
اللبار ابو الثناء 1: 507
اللبيدي محمد بن أبي القاسم 2: 242
اللخمي علي بن محمد 1: 404، 2: 271
اللخمي محمد بن الحسن 2: 325
اللخمي محمد بن خلف 1: 505
لسان الدين بن الخطيب 2: 247
اللقاني عبد السلام 1: 228، 232، 252، 2: 363، 473
اللواتي المسيلي 2: 276
الليث بن سعد 2: 207
الليثي أبو المنجا 1: 545، 2: 172
الليثي شريك بن عبد الله 2: 279
الليثي عبد الله بن عمر 2: 172

(م)

المؤدب محمد بن العباس 2: 203
المازري 1: 51، 93، 94، 96، 99، 443، 2: 99، 271، 356، 358، 359، 360، 370، 371، 372، 373، 374، 375
المازغي سيدي عبد الله 1: 67
مارية (زوج الرسول عليه السلام) 1: 390
المالقي ابن النجار 1: 508
المالقي محمد بن يحيى 2: 270

مالك بن أنس 1: 262، 347، 379، 581، 2: 64، 135، 203، 279
مالك بن سنان 1: 383، 412
المالكي أحمد بن محمد بن عبدالقادر 2: 64، 68
المالكي عبد الرحمن بن عمر 2: 224، 225
الماواسي أحمد بن محمد 2: 289
المبارك بن فضالة 2: 214
المبارك بن ناجي 2: 537
المتبولي إبراهيم 1: 269، 2: 415
مجاهد بن عباس 2: 201
المجذوب أحمد المصري 1: 286
المجمر نعيم 2: 280
المحاربي 2: 226
المحبوبي 1: 507
المحروني عبد الله بن عبد العزيز 1: 532
محسن بن حسن 1: 326، 365، 2: 318
المحلي جلال الدين 1: 232
محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) مذكور في معظم صفحات الكتاب
محمد باشا 1: 139
محمد بن إبراهيم بن مراد 1: 114، 120، 121
محمد بن أبي القاسم 1: 126، 138، 186، 2: 347
محمد بن أبي قبيس 2: 199
محمد بن أحمد بن عبد المعطي 2: 148
محمد بن أحمد بن عيسى 1: 137، 2: 500، 531، 532
محمد بن الأخنس 1: 394
محمد بن إسماعيل 1: 108، 109، 2: 63
محمد بن جبير 2: 199
محمد بن جعفر 1: 71
محمد بن حاتم 2: 206

محمد بن الحاج عمران 2: 492
محمد بن الحنفية 2: 175
محمد بن خطير الدين 1: 544، 588
محمد بن زياد 2: 219
محمد بن سليمان 2: 43، 61، 72، 549
محمد بن سودة 1: 151
محمد بن صالح 1: 79
محمد بن طلحة 1: 391
محمد بن عتبة 2: 205
محمد بن عجلان 2: 219
محمد بن عراق 1: 239، 2: 450
محمد بن عطاء الله 2: 289
محمد بن علوي 1: 598، 2: 131، 132، 159
محمد بن عمر بن أبي بكر 1: 175، 2: 550
محمد بن كثير 2: 172
محمد بن مؤمن 2: 531
محمد بن ماهان 2: 201
محمد بن مبارك 1: 72
محمد بن محمد أبو الفضل 2: 148
محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر 1: 83
محمد بن منظور 2: 61
محمد بن المنكدر 2: 205
محمد بن ناصر 1: 187، 2: 43، 536، 550
محمد بن يحيى بن إسماعيل 2: 208
محمد بن يوسف القاضي 1: 174
محمد الشيخ 1: 142
محمد مخبر 2: 156
المخزومي علي بن قريش 2: 197
المخزومي المطلب بن عبد الله 2: 280

المخزومي المغيرة بن عبد الرحمن 2: 278
المدني عمر 2: 169
المديني أحمد بن محمد 2: 205، 220
المديني محمد بن رزيق 2: 200، 213، 221
المرابط الدلائي 2: 515
مراد بي 1: 127، 2: 533
المراغي زين الدين 1: 415
المرجاني 1: 90، 302
المرسي أبو العباس 1: 213، 2: 106، 352، 476، 480
المرسي محمد بن عبد الله 2: 84
المرغيثي محمد بن سعيد 2: 44
مروان بن معاوية 2: 199
المروزي عيسى 2: 80
المزدغي أحمد بن عمر 2: 266
المزي جمال الدين 2: 126
المسعودي 2: 208
المسفر علي 2: 520
مسعود بن الحسن 1: 545
مسلم (الإمام) 1: 91، 121، 2: 89، 310، 367
المسناوي محمد بن إسماعيل 2: 63، 550
المسيح (عليه السلام) 1: 250، 2: 327، 409، 423
المشاط سيدي سالم 1: 136، 142
المشدالي ناصر الدين 2: 281
المشرقي عمر 2: 413
المصري إبراهيم بن محمد 2: 89
مصعب بن عمير 1: 397، 401
المصمودي عيسى بن علال 2: 266
المطري صالح بن أحمد 1: 388، 475
مطرف بن سليمان 2: 278

مطرف بن عبد الله 2: 278
المطعم عيسى بن عبد الرحمن 2: 172، 286
المطغري علي بن هارون 2: 265
المعدل الحسن بن أبي الحسن 2: 202
المغاوري أبو عبد الله 1: 263
المغربي أبو عبد الله 1: 104
المغربي أحمد بن عبد الواحد 2: 307
المغربي الحاج حسن 2: 405، 406، 407
المغربي علي بن ميمون 2: 447
المقبري سعيد بن أبي سعيد 2: 280
المقداد بن اوس 2: 424
مقدام بن داوود 2: 199، 206، 207، 214
المقدسي محمد بن أحمد 2: 149
المقدسي محمد بن جمال الدين 2: 480
المقدسي محمد بن داوود 2: 452
المقري أبو محمد بن طالب 1: 506
المقري إسماعيل بن عمرو 2: 202، 224
المقري سعيد بن أحمد 2: 2: 183، 266
المقري محمد بن أحمد 2: 242
المقريزي 1: 266
المكبر حنبل بن عبد الله 2: 282
المكناسي عبد الرحمن بن أحمد 2: 150، 169، 309
المكني سيدي محمد 1: 145، 2: 506
المكودي 1: 286، 2: 282، 514
المكي أبو طالب 1: 340، 2: 378
المكي أحمد بن حجر 2: 294
الملا إبراهيم 1: 397، 444، 466، 471، 472، 473، 480، 482، 484، 485، 486، 489، 494، 496، 498، 500، 524، 530، 531، 532،

540، 568، 574، 576، 579، 587، 589،
591، 595، 598، 603، 604، 2: 77، 85،
137، 144، 294، 297، 302، 387، 401،
504، 505، 528
الملا محمد شريف 1: 479، 480
الملحاني محمد بن أحمد 1: 476
الملكاني 1: 453
الملياني أحمد بن يوسف 1: 84
الميلتشي عيسى بن أحمد 1: 282
الملا عصام الدين 1: 247
المناري أحمد 1: 479
المنجور أحمد بن علي 1: 265، 289، 370
المنذري عبد العظيم 2: 93، 96، 112، 197، 204
المنذري العبقوي 2: 329
المنصور أبو عامر 2: 335
منصور بن المغيرة 2: 209
المنصوري أحمد بن محمد 2: 282
المنفوشي الحاج بوشت 2: 501
المنقوشي سيدي محمد 1: 145
المنقوشي عبد الله محمد 1: 247
المنوفي سيدي عبد الله 1: 234، 2: 524
المنوي 2: 287، 352
المهدي (الإمام المنتظر) 1: 381
المهدي بن تومرت 1: 115
المواز إبراهيم 2: 372
المواق 1: 505، 2: 336، 337، 373، 374
موسى (عليه السلام) 1: 263، 285، 380، 404، 548، 2: 25،
65، 209، 210، 222، 230، 233، 290،
425، 542

موسى بن هارون 2: 203
الموصلي المعلى بن مهدي 2: 224
المولى سيدي أحمد 2: 536
مولاي عبد الملك السعدي 1: 142
ميارة محمد 1: 151
ميمونة 1: 100، 311، 312، 377، 2: 218
الميموني إبراهيم 1: 28، 228، 236، 241، 246، 247، 289، 2: 148، 184
الميناجي يوسف بن القاسم 2: 220
الميورقي أحمد بن علي 1: 411

(ن)

النائري عبد الله بن محمد 1: 476
النابلسي إسماعيل 2: 408
الناجي علاء الدين 2: 105
نافع العجمي 2: 77
النجار 2: 410
النجاشي 1: 412
النحراوي عثمان الحنفي 1: 260
النرسي عباد بن الوليد 2: 215
النسائي 1: 567، 2: 419، 430، 473
النشاي محمد بن حرب 2: 222
نصر بن بو عكاز 2: 539
النعمان بن مالك 1: 401
نعيم 2: 280
النفاتي الشيخ محمد 2: 426، 503
النفس الزكية 1: 383
النفطي أبو علي 2: 536، 537

نفيسة الطاهرة 1: 261
النقشبندي آدم 1: 379، 636
نقشبند بهاء الدين 1: 338، 346، 349، 351، 352، 355، 525، 2: 301
النقشبندي تاج الدين 2: 155
النقشبندي عبد الأحد 1: 576
النمرود 1: 182
النووي 1: 94، 95، 102، 104، 402، 570، 2: 91، 92، 114، 123، 289، 410

(هـ)

هارون (عليه السلام) 1: 404، 405، 2: 203، 217، 222
هاشم بن عبد المطلب 1: 517، 2: 414
الهسكوري هدبة بن خالد 2: 217
الهسكوري أبو محمد صالح 2: 267
هشام بن عبد الملك 2: 202
هشام بن عروة 2: 202، 214
الهلالي أبو محمد 2: 211
همام 2: 220
الهمداني يعقوب بن إبراهيم 2: 214
الهمداني يوسف 1: 338
الهندي بدر الدين 2: 78
الهندي جمال الدين 2: 302
الهندي الشيخ محمد المعصوم 1: 336، 339، 340
الهندي صفي الدين 2: 103
الهندي عبد الحكيم 2: 629
الهندي محمد بن فضل الله 1: 498
الهنكي زين الدين 2: 109

الهواري أحمد بن علي 2: 290
الهواري محمد بن عبد السلام 2: 268
هود (عليه السلام) 2: 25
الهيثمي أحمد بن حجر 1: 238، 428
الهيثم بن عدي 2: 226

(و)

الوابلي علي بن ربيعة 2: 222
الواثقي محمد بن الحسن 2: 206
الواسطي أحمد بن سهيل 2: 201
الواسطي عبد الله بن سفيان 2: 201
الواسطي علي القاري 2: 437
الواقدي 1: 395، 401، 411، 2: 166
الوانوغي 1: 191
وحشي الحبشي 2: 130
الودغاغي 1: 84
ورش 2: 173
الورغمي محمد بن عرفة 1: 191، 2: 268
الوشا المصري 2: 271
الوضاح 2: 215
وفا علي 1: 600، 2: 287، 350
وفا محمد 1: 600
وكيع بن الجراح 2: 149، 213، 222
الوليد بن مسلم 2: 203
الوليدي راشد بن أبي راشد 2: 2: 267
الونشريسي أحمد بن يحيى 1: 191، 2: 266، 373
الونشريسي عبد الواحد بن احمد 2: 265
وهب بن بغية 2: 201

وهب بن منبه 2: 210

(ي)

ياسين بن عمر 2: 453
يحيى بن شيبنانة 2: 438
يحيى بن معاذ 2: 410
يحيى بن المهدي 2: 440
يحيى بن وثاب 2: 208
اليربوعي محمد بن أحمد 2: 500، 531، 532
يزيد بن أبي حبيب 2: 219
يزيد بن الحارث 2: 221
يزيد بن عمر بن عبد العزيز 2: 254
يزيد بن هرمز 1: 395
اليساري سليمان 2: 278
اليسومي الخوجة احمد 2: 299
اليسيتني محمد بن عبد الرحمن 2: 265، 266
يعقوب (عليه السلام) 2: 457
يعقوب بن إبراهيم 2: 222
اليعمري أبو الفتح 2: 105
يعلى بن مالك 2: 211
اليفرني علي بن عبد الرحمن 2: 269
اليمني احمد بن موسى 2: 300
اليمني أحمد العمودي 2: 453
اليمني شحاتة 2: 173
اليمني الشيخ محمد الجيد 2: 453
اليمني صالح بن أحمد 1: 388
اليمني عبد الرحمن 1: 257
اليمني عبد الكريم 1: 344

اليمني علي بن عمر 1: 238
اليمني محمد با علوي 1: 440، 2: 128
يوسف (عليه السلام) 2: 457
يوسف باشا 2: 183
يوسف بن سليمان 2: 218
يوسف بن عدي 2: 212
يوسف بن يعقوب 2: 202
يوشع 2: 25
يونس بن عبيد 2: 221
يونس بن متى 2: 425
يونس بن يزيد 2: 220
اليونيني علي بن محمد 2: 112

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أيها المدعي التصرفَ في صر	الفصحاء	خفيف	2: 322
جئنا إلى الحَوْراء وهْيَ محَطة	للرائي	كامل	1: 298
لئَن قيل في زرق العيون شآمة	الزرقاء	طويل	1: 410
إلى بئْرِ العلائي قد أتَيْنا	بالنماء	رمل	1: 282
كَفنُوني إن متُّ في دِرع أرْوى	ماء	خفيف	1: 417
لك ذاتُ العلومِ والأسماء	الأنبياء	خفيف	2: 304
أقولُ وحمدُ الله أجعله بدْءا	البرءا	طويل	1: 59
إذا نابني أمرٌ فزعتُ لمدحهِ	سوءا	طويل	1: 60
أرسلتَ لي بُسرا حقيقته نوى	جلباب	كامل	2: 102
دعني أعفرُ جبهتي بترابها	أبوابها	كامل	2: 110
وكنتَ كذي داء تبغي لدائهِ	تطببا	طويل	2: 357
جهاتُ أموال بيتِ المال سبعتها	كاتبه	بسيط	2: 102
كمالُ الفتى بالعلمِ لا بالمناصب	المراتب	طويل	2: 114
إن الجِمالَ التي بالحَملِ قد عُرِفت	القتب	بسيط	1: 225
ببركَةِ الحج ترَى	عجب	مجزوء الرجز	1: 273
ما أكثرَ الناس وما أقلهُم	النجبا	بسيط	2: 417
العلم زينٌ وتشريف لصاحبه	الأدبا	بسيط	2: 204
أبني إني واعظٌ ومؤدبُ	المتأدب	كامل	2: 210
على أسْرَتي أزكَى سلامٍ وأطيبُهْ	أعذبه	طويل	1: 175
أراهمْ معي لا بل أرى أنني همُ	المكذب	طويل	2: 304
شاقنَا وادِي القبابِ المُرْتقى	الربا	رمل	1: 278

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ما إن تقضي طلابي عن جنابك بل	أرب	بسيط	2: 395
أبا سالمٍ أنتَ المُحَبُ إلى قلبي	حرب	طويل	1: 164
ألا يا أبا السبطين يا فارسَ الحربِ	الضرب	طويل	2: 467
قلْ لي بأي وَسيلةَ أدلِي بها	تقربي	كامل	2: 82
أنالكَ المجدُ موروثا ومكتسبا	الحسبا	بسيط	2: 509
حبا بابنة الفخم العلا والمناقب	المناصب	طويل	2: 188
قد وَصلنا لعُيونِ القصَبِ	النصب	رمل	1: 288
أحبتنا إني كلفتُ بحب مَن	منصب	طويل	2: 516
عقَباتٌ يسْلكُ الناسُ بها	مرتعبه	رمل	1: 283
في وادي فيحاءِ كمْ سَائِر	الكعب	رجز	1: 284
أتاني نظَامٌ كالنَجوم الثواقب	الكواعب	طويل	2: 188
مَثِّلْ لعينيك داراً شَامَ نَجْد قُبَا	قبا	بسيط	2: 156
كالبدْر من أي النواحي جئتَهُ	ثاقبا	كامل	1: 103
لأول أشكالِ القياس نتائج	المطالب	طويل	2: 341
إذا غلبتكَ النَائباتُ فغالِب	الثعالب	طويل	2: 186
بقلبكَ كن بالحب منطبعاَ وكنْ	أجنبي	طويل	1: 354
يا بارقا من بأعلى الرقمتين بدا	الشنب	بسيط	1: 268
ما روضةٌ زادها مزن قد انسكبَا	شهبا	بسيط	2: 510
نفْسِي وأهلِي فدًى لخيرِ مكتُوب	محبوب	بسيط	1: 166
إلى الشيخ خير الدين أمت ركائبي	آيب	طويل	2: 417
وقبلكَ داوى الطبيبُ المريضَ	الطبيب	متقارب	1: 255
بطيبةَ طابَ الطيبونَ لطيبها	لمطيب	طويل	1: 624
إذا لم نطبْ في طِيبة عندَ طيّب	نطيب	طويل	1: 624
وللعقول قوى تستر مدى	اضطرابات	بسيط	1: 496
فيه خلافٌ للأئمةِ قبلنا	السادات	كامل	2: 114
إذا لم يكُن فيكُن ظِلٌ ولا جَنى	شجرات	طويل	1: 292
ما مثلُ قولَةِ قائلٍ يا سادتي	فات	كامل	1: 122
برُوحيَ أفْدي ظَبيةً بَدوية	نابتة	طويل	1: 291

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أيا علماءَ الدينِ ذميٌّ دينكم	حجة	طويل	2: 124
إذا ألقاكَ علمُكَ في مَهاو	علمتا	وافر	2: 16
وكنتُ كذي رجلين رجلٌ صحيحة	فشلت	طويل	2: 93
سقى اللهُ العقيقَ وساكنيهِ	قضيته	وافر	2: 305
هنيئا لمنْ قد زارَ طيبةَ لابثا	اللبثا	طويل	1: 62
يموتُ من في الأنامِ طُرا	خبيث	مخلع البسيط	2: 288
شهاب الدين مَولانا ابن تاجَهْ	نتاجه	وافر	2: 27
فبدل الحرفَ بما قبلهُ	المخرج	سريع	2: 43
يا أهْلَ بدْرٍ لقد طابَتْ مآثركُمْ	الدرج	بسيط	1: 307
ببابكَ قومٌ يطلبونَ زيارةً	رابحه	طويل	1: 86
يا دهرُ بعِ رتبَ المعالي بعده	تربح	كامل	2: 98
أشافِيَ قلبي بعدما كنتَ جارحهْ	جارحه	طويل	1: 489
لما رأى الزَهرُ الشقيقَ انثنى	لمحه	سريع	2: 125
كمْ ليلة فيك وصَلنا السرى	نستريح	سريع	2: 106
سريعٌ لبذلِ المالِ إن جاء سائلٌ	صارخ	طويل	1: 64
زارتْ على غفلةٍ من غيرِ ميعادِ	إبراد	بسيط	2: 625
غديت دُر التصابي قبل ميلاد	إرشاد	بسيط	2: 319
كأن عذارهُ المسكي لام	صاد	وافر	2: 345
كُوني سلامًا وبردا نارَ أكباد	الصادي	بسيط	2: 389
يهنيكَ يا مولاي بدر طالعٌ	إسعاده	كامل	2: 196
لئن طالَ الجِمادُ لقد حَمدنا	الحماد	وافر	1: 116
يا حَبذا وادٍ فسيحِ الفضَا	النادي	سريع	1: 313
قد أقسمَ الجبنُ على حرد	الزبد	سريع	2: 346
هل كل من لهُ اجتهاد واحد	واحد	رجز	2: 370
إن جئتَ أرضًا أهلُها كلهم	الواحده	سريع	1: 443
سلامٌ لعباس إمامُ معَارف	الأوحَدْ	طويل	1: 571
خَليليَّ ما للعيسِ في سيْرها تعدُو	يحدو	بسيط	1: 370
يا سيدًا يُخجل بدرَ الدجى	الردى	سريع	1: 123

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
هم السمن بالسنوت لا السمن فيهم	يتفردا	طويل	2: 225
ادأبْ على جمْع الفضائلِ جاهدا	الجسد	كامل	2: 107
ثِقالٌ إذا لاقوا خِفافٌ إذا دُعُوا	شدوا	طويل	1: 280
كنت إذا ما أتيتُ عيْبا	أرشد	مخلع البسيط	2: 284
للشيخِ عاشُور الإمامِ الأمجَد	الأرشد	كامل	2: 503
قواعدُ هذا الفنِ صَوَن قوَاعد	مواعدا	طويل	2: 504
مُناَيَ وإن عَز المُنى قُرب سيدي	بعدي	طويل	2: 67
زها بك دستُ الملك والتاجِ والعقْدِ	العقد	طويل	2: 315
وجاءت به شكلاء ذات أسرة	تكمد	طويل	2: 225
تَجردتُ لما أن وصلتُ لرابعٍ	الندا	طويل	1: 311
ما أكثرَ الناس بل ما أقلهم	فندا	بسيط	2: 417
عليكَ بصافِي ود ليْلى وكُنْ لها	العهد	طويل	1: 604
أتتيكَ تَهديني الرشادَ أبا مهدي	يهدي	طويل	2: 195
سَيدي سيدي شِهابَ الوُجودِ	وجودي	خفيف	2: 482
وكيف ما دارتِ الأيامُ مقبلة	محمود	بسيط	2: 97
هنئيا لقلبي هذه دارُ سَيدي	يد	طويل	1: 371
أرومُ ارتَحالاً نحوهُ فتصُدني	القيد	طويل	1: 65
قرابة السوءِ شر داء	حميدا	مخلع البسيط	2: 291
ألا يا خليلَ الله جئتكَ زائِرا	سائرا	طويل	2: 460
لله يوم بحمّام نعمت بها	جار	بسيط	2: 330
حكمُ المنية في البريةِ جار	قرار	كامل	2: 92
إن الأهلةَ في السماء مناجل	الأعمار	كامل	1: 443
قد وَصَلنا إلى مَغار َشُعَيْبْ	كالأنهار	خفيف	1: 290
صبرًا لحُكمِك أيهاَ الدهرُ	الصبر	كامل	2: 341
صف ذاتنا جودُ شخصٍ قد سمَا كرما	فترى	بسيط	1: 476
وضابطُها في القول ليلة ُجمعة	الوتر	طويل	2: 289
انظرْ بعينكَ هل ترَى	الثرى	مجزوء الكامل	1: 126
أجزتُ بكل ما أرويهِ طُرا	نثرا	وافر	2: 458

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
جرى العقيقُ ودمعِي كالعقيقِ جرى	جرى	بسيط	1: 418
إذا كنتُ في نجد وطيب نسيمها	فمحجر	طويل	2: 107
قوافٍ لأسلاكِ العقودِ على النحر	السحر	طويل	2: 508
لا تخشَ من غَم كغيم عارِض	بدره	كامل	2: 99
فَوض الأمرَ إلى من حكمه	وصدر	رمل	1: 58
أحبة قلبي لا ضرار ولا ضرر	القدر	طويل	1: 59
طالَ المنامُ على أرجُوحةِ الصغرِ	بالنذر	بسيط	2: 313
يا مفردَ الأوصافِ صفْ لي ما طرا	حررا	كامل	2: 73
يا ناظِما فوقَ الطروسِ دُررا	الطررا	كامل	2: 73
يذكرُني بالثغر بَرْدُ نسيمِهِ	متكرر	طويل	2: 156
ما أحسنَ الضحكَ الجاري بغير فَمِ	البصر	بسيط	1: 352
ليل كأن مداه عكس أحرفه	قصر	بسيط	2: 328
سلامٌ عليكُم أيها الأوحدُ الصدرُ	مصر	طويل	1: 241
لا تحسبنْ شامةً في خده طبعتْ	منظره	بسيط	2: 333
لو طُبخت قدر بمطمورة	الثغور	سريع	2: 329
إن عَسْفانَ تسَامَتْ رِفْعة	القرى	رمل	1: 310
في كُل فاتحةٍ للقولِ مُعتبرَه	بالبقره	بسيط	2: 290
لقاضِي قُضاة القدسِ قدس سرهُ	مستقره	طويل	2: 427
وكُل قَصِيٍّ الدارِ يذكُرُ أهلهُ	ذاكر	طويل	2: 341
عواطف آلاء بأيدي غوامر	عامر	طويل	2: 392
أيا سامع الأبيات دونك شرحها	عمر	طويل	2: 330
يا صاحِبي نلتَ المُنى فاستبْشِرِ	الأطهر	كامل	1: 369
وقالوا قد عميت قلت كلا	بصير	وافر	2: 286
علومُ الكيمياء لديَّ أجْلى	للبصير	وافر	2: 284
ومن ظن ممن يُلاقي الحُروبِ	عجزا	متقارب	2: 337
زيارةُ خيرِ العالمينَ هي الكنزُ	حرز	طويل	1: 464
أجازَ لهم عمرُ الشافعِي	المستجيز	متقارب	2: 283
سارَ عبدُ العزيز في الحُكم سيرا	العزيز	خفيف	2: 95

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ما على من أتَى هُنا من بَاسِ	لباس	خفيف	2: 480
أيا سالِكا بحرَ الحقيقةِ والحس	كالحبس	طويل	2: 483
لئن درستْ أسبابُ ما كان بيننا	بدارس	طويل	2: 342
ملاذِي إذا ضاقَتْ لكُربتها نفسي	المرسي	طويل	1: 213
أريدُ مقامًا عندكمْ لا يشوبهُ	الرمس	طويل	1: 622
أبو حنيفة زينُ التابعينَ روى	أنس	بسيط	2: 284
و لم أدخلِ الحمَّامَ ساعةَ بينهم	ببوسي	طويل	2: 330
نَعم شعثتْ بُعيدَكمُ عرُوس	لبوس	وافر	1: 166
خَليليَ هل تأملَتِ الدروسُ	الطروس	وافر	1: 161
لهيبُ الخد حين بدا لعيني	كالفراش	وافر	2: 333
مذ لاحَ بالمغرب المأهول فاضلهُ	ناشي	بسيط	1: 628
مشَيْناها خطى كُتبتْ علَينا	مشاها	وافر	1: 110
عليكَ سلامٌ طَيبُ النشْرِ مِن شَخص	حفص	طويل	1: 244
جزَى الله عنا كل خيرٍ أبا حفصٍ	قنص	طويل	2: 430
قد غاصَ في البحر كتَّابُ الفصُوص	يغوص	سريع	2: 335
يا منْ يَعْمي علَي في مقاصِدِهِ	غرض	بسيط	1: 245
بلى إنها تعفو الكلوم وإنما	يمضي	طويل	1: 173
سلامٌ على الإخوانِ والصحْبِ والرهطِ	القسط	طويل	1: 168
مِن الهائِمِ الحَيْرانِ من ليسَ ذا ضَبْط	الرهط	طويل	1: 170
يا بَينُ أنى لكَ انقطاعُ	ارتجاع	مخلع البسيط	2: 70
الغيثُ في صدفٍ أو في فَمِ الأفعَى	يرعى	بسيط	2: 332
إنما أجزعُ مما أتقي	الجزع	رمل	2: 283
الحمدُ لله حَمْدَ من بُليَ فدعَا	سعى	بسيط	1: 216
العرفُ في الحُر مثل الغيثِ في صدف	الأفعى	بسيط	2: 332
ألا أيها البيتُ العتيقُ المُرَفعُ	برقع	طويل	2: 291
لبيضَةِ القلبِ كن كالطير مُحتضنا	أجمعها	بسيط	1: 357
قد أتينا إلى محل المصانعْ	صانع	مديد	1: 274
وتطاعنا وتوافقتْ خيلاهُما	مقنع	كامل	2: 113

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
وإذا أتيتكَ زائِرا مُتشوقا	رجوعي	كامل	2: 340
وإنما المرءُ حدِيثٌ حسَن	وعى	رجز	1: 280
خفْ إذا ما بت ترجو	خائف	مجزوء الرمل	2: 92
أَمَنْ لسِواهُ النكرُ وهْو لهُ العُرْف	الحذف	طويل	1: 165
نزلَ الرَكْبُ بوادِ المُنصَرفْ	صرف	رمل	1: 278
غيبُ الهوية في هاء التنفس	فاعرفها	بسيط	1: 350
فكل فما قبلهُ مُبدل	يعرف	متقارب	2: 42
كل حرف بما قبله مبدل	يعرف	متقارب	2: 42
عداد أحاديث البخاريِّ خالصا	نصف	طويل	2: 289
حمدتُ إلاهًا قد تنزهَ عن كيْفِ	وصف	طويل	1: 86
أجنةَ علمٍ في سماءِ جلالة	القطف	طويل	1: 85
بطيبةَ قدْ خيمتُ بعد تَعشق	موقف	طويل	2: 51
هنيئا لقد قدمتهُ فرَطا يجري	موقف	طويل	2: 62
أهاجرةً بعد الوصال لها إلفا	إلفا	بسيط	2: 512
أُشهدُ اللهَ وأملاكَ السَما	كفى	رمل	2: 155
الرب ربٌ والعبَدْ عبد	المكلف	مخلع البسيط	1: 522
الروح روح والجسم جسم	المكلف	مخلع البسيط	1: 523
نعم بحق إثباتِ عبْد	يكلف	مخلع البسيط	1: 522
أسرارُ دور مِن الحُروفِ	اللطيف	مخلع البسيط	2: 26
قد استوى بشر على العرَاق	مهراق	كامل	1: 572
صليه أوِ كليهِ لما يُلاقي	المآقي	وافر	2: 344
ما رغبةُ النفس في الحياة وإن	لاحقها	منسرح	2: 227
إذا ما سقاني ريقهُ وهْو باسِم	بارق	طويل	2: 350
لنا عليكَ بمحْضِ الفضْلِ حق قِرى	حقي	بسيط	1: 328
فكأنهُ لما بدَا مُتشَمرا	أحدقوا	كامل	1: 316
خُذوا بَطْن هَرْشى أو قَفاها فإنها	طريق	طويل	1: 307
لبستَ تلك الخرقة الأنيقة	دقيقه	رجز	2: 131
سالَ العقيقُ ودمعِي	العقيق	مجتث	1: 419

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أبو حَامد في العلم أمثال أنجُم	بالسبك	طويل	2: 115
يا رسولَ الإلهِ ما لكَ عِندي	عندك	خفيف	1: 469
أبا سالمٍ سلمتَ من عارضِ الضنكِ	المسك	طويل	2: 78
أسيدنا البري أحمَد خير مَن	شك	طويل	2: 78
يا جُملتي لا تدْغمي وفَككي	فكك	رجز	1: 621
إليكمُ معشرَ الفُراض مسألة	ملكه	بسيط	2: 322
فحقكَ إنشادُ مَدى الدهرِ نادما	الأوائل	طويل	1: 160
يا حَي يا قيومُ يا ذا الجلالِ	الجمال	سريع	1: 210
أشكو إليك وأنت	حالي	مجزوء الكامل	2: 89
ومن رامَ في الدنيا حياة خَلية	محالا	طويل	2: 90
حملتُ جنينَ الشوق في بطنِ مكة	انفصاله	طويل	2: 549
أبنيّ إني ما تركتُكَ عن قِلى	وصالها	كامل	1: 68
تَعطفْ بمُضنى عليلِ المقالْ	المطال	متقارب	1: 626
إني لأعذرهُ لكثرةِ شُغله	أشغاله	كامل	2: 64
اعملْ لنفسكَ صالحا لا تحتفلْ	قال	كامل	2: 96
أبدر أبدتْ في الخافقين سعوده	تلالا	طويل	2: 515
يا طالبًا نعتَ الشيوخِ وما رووا	الإجمال	كامل	2: 290
لوجهِ رسولِ الله وجهتُ آمَالي	أعمالي	طويل	1: 468
ألا عِم صباحا منزلي بين أطلال	أحوال	طويل	2: 549
أهدي لحضرتكَ العلياء تَحملها	قبل	بسيط	2: 303
من أين من أين لي إن لم توفقني	قبلي	بسيط	2: 446
حيث روضُ النعيم بالأنسِ يجنى	تجلى	خفيف	2: 325
سلامٌ كعَرفِ المسكِ أو كجنا النحلِ	المحل	طويل	2: 68
تعدد هذا الكونُ والكثرةُ التي	محلها	طويل	1: 356
جدي غدا كالجَدي أشرق نُوره	الأعزل	كامل	2: 342
ربِّ بأسمائِك الحُسنى بأوصافِك	بالرسل	بسيط	1: 469
منك السَّميدُ ومني النار أنفخها	العسل	بسيط	2: 346
أيا سَائِلي عما أتانَا بهِ الأُلى	متسلسلا	طويل	1: 474

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أيها القادمونَ أهلا وسهلا	المصلى	خفيف	2: 324
وسارقةُ المنديلِ تُدعى بزينب	العلا	طويل	2: 23
مضَى ابنُك محمُود العواقبِ لم يشبْ	فعل	طويل	2: 291
وقالوا فررتَ وليسِ الفرارُ	فعله	متقارب	1: 58
ما كان أحلاها لياليَ قد مضتْ	غافله	كامل	2: 383
إن الولايةَ ليس فيها راحةٌ	العاقل	كامل	2: 114
أعيني جَوادا بالدموع تأسفا	عقل	طويل	2: 518
صَعدُوا على ظهْرِ الحِمار لعلهمْ	الأمل	كامل	1: 287
أتعبتَ نفسكَ بينَ ذلة كادح	مؤمل	كامل	2: 106
من واحد العد كل العد منتشي	الجملا	بسيط	1: 356
يا منْ له الوجهُ الجميلُ ومنطقٌ	تجمل	كامل	2: 323
يا فاضلا في جَامعية فضله	مجمل	كامل	2: 322
فؤاديَ لا يحتاجُ فيه لشاهِد	الجهل	طويل	1: 532
أسيدَنا مفتِي الوَرى ابنَ مساهلِ	المناهل	طويل	1: 132
عز العزاءُ وجد الوجدُ واشتعلا	نهل	بسيط	2: 394
تولى شبابي كأن لم يكنْ	تولى	متقارب	2: 101
إنْ جئتَ للإصطَبلِ لا	الترول	مجزوء الكامل	1: 293
مولاي إن مُحمدا أوفى إلى	رسولا	كامل	2: 331
أبا بَكرٍ أبَى كرْبِي يزولُ	طول	وافر	1: 171
فمُنوا بهً قبلَ الرحيلِ لنا كما	بالمطول	طويل	1: 146
سأشكرُ إحسانا بدَا منك سَيدي	القولا	طويل	2: 506، 507
يا أيها المُبتلى بذَمي	تقول	مخلع البسيط	1: 520
أمولى غدا حُر الكلام له مولى	هولا	طويل	2: 507
لقد كثرتْ دعاةُ الفقهِ حتى	الصهيل	وافر	2: 290
يا صاحِبي هل علمتَ شيئا	الإقامه	مخلع البسيط	1: 124
لو كانَ فيهم من عراهُ غرام	ولاموا	كامل	2: 94
ألا ليتَ شِعْري هلْ إلى الرملِ عَودة	لمام	طويل	1: 418
لكنهم جهلوا لذاذة حُسنهِ	ناموا	كامل	2: 94

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
جهلُ الفتى عارٌ عليه لذاته	الأنام	كامل	2: 103
قدْ حضرنا بذا المكانِ وغبتُمْ	شهدتم	خفيف	1: 332
أيها الغائبونَ باللهِ جُودوا	قدمتم	خفيف	1: 332
صنائع العرف عند الحر موجبة	الإثما	بسيط	2: 332
لنا الجفناتُ الغر يلمعنَ بالضحى	دما	طويل	2: 119
العرفُ في الحر بشكرٍ حَري	ذما	سريع	2: 332
لا شَيءَ أذْهَبَ للجُرمِ	الحرم	مجزوء الكامل	1: 329
للهِ روضَة علمٍ أنبتَتْ حِكَما	الحرما	بسيط	1: 251
إن الكريمَ الذيٍ تبقى مودتهُ	صرما	بسيط	2: 218
العفوُ شيمة زاكي الأصلِ والشيَمِ	الكرم	بسيط	2: 66
وما عجبٌ إكرام ألف بواحد	تكرم	طويل	2: 40
إن وادِي سلمَى بَهيٌّ بَهيج	المسمى	خفيف	1: 292
وقايةُ اللهِ أغنَتْ عن مُضاعفة	الأطم	بسيط	1: 219
سَلمْ على شيخِ النحاةِ وقُل له	يعظم	كامل	2: 323
أعدِ السلامَ لسيبويْه زمانهِ	المحكم	كامل	2: 323
أيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجل	سالم	طويل	2: 349
كادتْ دُموعي تُباري البرقَ في الظلمِ	كالعلم	بسيط	2: 465
هنيئًا لأهلِ الصيامِ الذي	مولاهم	متقارب	2: 185
كان واللهِ عفيفا نَزِها	الهم	رمل	2: 125
أيا خيرَ خلقِ اللهِ شرفْتَ مكةَ	حلاهما	طويل	2: 136
فإنَّ وُلاةَ الأمرِ في كل بلدةٍ	علاهم	طويل	1: 117
قالوا غدا نأتِي ديارَ الحمى	مغناهم	سريع	2: 349
علىٍ مثلِ ذا فليبْكِ من ضاعَ عمرُهُ	سهم	طويل	1: 159
كانَ لا يَدرِي مُداراة الوَرى	مهم	رمل	2: 50، 125
ديني وفقري وهم عائلتي	ترحمهم	منسرح	2: 288
أهل المناصب فِي الدنيا ورفعتها	بينهم	بسيط	2: 106
لا تحزن ولا تقنط	مقسوم	هزج	2: 344
ولكن البلادَ إذا اقشعرتْ	الهشيم	وافر	1: 118

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
بشراكِ دارَ الملك قد صرت في	العظيم	سريع	2: 318
يا سائلي عن غزة	مقيم	مجزوء الرمل	2: 412
أعظم بجهل فتية	أنا	مجزوء الرجز	1: 427
سلامٌ باللسانِ وبالبنانِ	الفرقدان	وافر	2: 353
حُب الورى للدر والعقيانِ	الإنسان	كامل	2: 463
ما شأنُ أم المؤمنين وشأني	الشاني	كامل	2: 235
كم قلتُ ما أجفى مُحبا غافلا	أجفاني	كامل	2: 340
يا صاحِ إن عقيدةَ النعمانِ	الإيقان	كامل	2: 243
يا نبِي الإله يا ابن سِنان	بأمان	خفيف	2: 543
فسدَ الزمانُ كما تَرى من حاله	الأزمان	كامل	1: 110
يقولون الزمانُ به فسادٌ	الزمان	وافر	1: 111
فذم الدهرِ للإنسان خير	الزمان	وافر	2: 103
أن يكونَ الزمانُ عيبي أوْلى	الزمان	خفيف	2: 103
مدلول لو ربط وجود ثان	الزمان	رجز	2: 119
ولو نُعطى الخيارَ لما افترقنا	الزمان	طويل	2: 340
بأي جنايةٍ وبأي ذنب	الزمان	وافر	2: 341
نُحاةَ العصْر أربابَ المعاني	الزمان	وافر	2: 353
لدى الشيخ الغصين أنختُ رحلي	مكان	وافر	2: 411
أمولايَ بدرَ الدين إنِيَ ظمآنٌ	ريان	طويل	1: 632
فإن لا يكنها أو تكنه فإنه	بلبانها	طويل	1: 343
أجيرانَ خيرِ الخلقِ مُنوا بدَعوة	بنانه	طويل	1: 431
يا رُب جَوهرِ علمٍ لو أبوح به	الوثنا	بسيط	1: 594
أجزتُكَ لكن مثلكم من يُجيزني	يفيدني	طويل	1: 491
قد دخلنا بنْدرَ الوجهِ الذي	يختزن	رمل	1: 293
قلْ لإخوانٍ رأوني ميّتا	حزنا	رمل	1: 521
يا مَنْ لهُ بصرٌ في أي ما فَن	السن	بسيط	1: 246
إن في الجنةِ نهرًا من لبَنْ	حسن	رمل	1: 332
قدْ شكَا لِي بعضُ المحِبينَ يومًا	ممكن	خفيف	1: 309

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أسيدَنا أبا عمْران أَني	مني	وافر	1: 242
يا منْ أَتَى أكْرَه في سَيْرِهِ	المنه	سريع	1: 298
إمامُ التقى نجمُ الهدى شاذِليهم	المنن	طويل	1: 568
إذا رُمتَ آبارَ النبيِّ بطِيبة	وهن	طويل	1: 415
حَبذا بَنْدرُ ينبُوعٍ وما	عيون	رمل	1: 300
رثَى لي عُودي إذْ عايَنُوني	العيون	وافر	2: 124
أيها السامِي سُمو الفَرقدينْ	الفرقتين	رمل	1: 240
أيها السامِي لكلتا الذروتَينْ	المروتين	رمل	1: 239
يا رحلةً كلما قصرتُ شقتها	حينا	بسيط	2: 547
سَكناها ليالي آمنينَ	الناظرين	وافر	2: 546
يا من لهُ رغبة في العلم يحملهُ	ياسين	بسيط	1: 621
عجبتُ منكَ ومني	عيني	مجتث	2: 283
ذريني أَردْ ماءَ المفاوز آجنا	معين	طويل	1: 52
وخمسةُ أحْرُف في اللَفظِ تُقْرا	بحرفين	وافر	1: 287
دهْرنَا أمسَى ضنينا	ضنينا	مجزوء الرمل	2: 125
أنظُرْ إلى الخضْراَء واغْنَمْ بسْطهَا	نزهة	كامل	1: 299
يا أيها المغرورُ باللّه	اللّه	سريع	2: 111
مات فتى المجد من آَل علوي	النهى	رجز	2: 132
و لمْ أنْسَ بالتيْهِ يوْما بهِ	ولوها	متقارب	1: 276
لا تَسْلكنَّ بوادي التيْهِ مُنفردا	فيه	بسيط	1: 279
ومنْ كان لا يُرضيه من حالَتي سوى	فيه	طويل	2: 102
ما اسمٌ تراني أبدا شيّقا	نيه	سريع	2: 330
ما في خُمولي من عارٍ على أدبي	أهليها	بسيط	2: 103
وفي أكرهٍ والتي بعدهَا	القساوة	متقارب	1: 299
قد نزلنَا بطَارفٍ لقَدِيدِ	الحمايه	خفيف	1: 310
صبا للعلمِ صبا في صباه	الصبي	وافر	2: 105
وحلتْ سوادَ القلب لا أنا باغيا	متراخيا	طويل	2: 108
سبرنا العالمينَ فما رأَينا	الخياري	وافر	1: 628

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
بلادِي التِي كنتُ فيها هنيا	الثريا	متقارب	2: 547
إلى نخلِ الحُصَينَةِ سِرْ حميدا	باقي	وافر	1: 279
كما أحْسنَ اللهُ فيما مضَى	بقي	متقارب	1: 285
جرى خلفَ الورى في فهمِ مَعنى	العلي	وافر	2: 305
و لم أجزعْ لهولِ الموْت لكنِ	عليا	وافر	2: 336
أيا باهرَ الإشراقِ يا غاية المُنى	العليا	طويل	2: 519
بشراكِ يا عينُ هذا منتهى الأملِ	ملي	بسيط	2: 65
ختمنَا كتابَ المُجتبي وأتمه	الدنيا	طويل	2: 246

فهرس المدن والأماكن والبلدان

الأباطح 1: 299، 330

الأبطح 1: 363

الأبواء 1: 358

الأحساء 1: 331، 2: 72، 163

أدرن 2: 475

أرض التيه 1: 39، 275، 276

الأزلم 1: 290، 292، 295، 2: 403

الإسكندرية 1: 40، 141، 181، 194، 197، 198، 205، 207، 209، 213، 215، 217، 508، 2: 29، 281، 310، 352، 411، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 484، 487، 488، 497

أسوان 2: 468

إشبيلية 2: 330

أصبهان 1: 249، 431، 432، 434، 2: 32، 33، 88، 254

اصطبل عنتر 1: 290، 293، 2: 403

إصطنبول 1: 108، 143، 2: 30، 44، 312، 385، 415، 420، 426، 465، 467

الأغواط 2: 546، 548

إفريقية 1: 109، 182، 195، 197، 200، 207، 209، 218، 238، 2: 143، 182، 271، 272، 403، 498، 539، 542

أكرك 1: 119
أكره 1: 298، 299، 421
أكيدز 1: 80
أم الحسن 2: 468
أم السلطان 1: 290، 2: 403
أم القرى 1: 70، 237، 2: 318، 352، 460
أمكيرينة 1: 196
أنبابة 1: 39، 220، 224
الأندلس 1: 144، 204، 2: 80، 247، 273، 274، 276، 277، 279، 335، 492، 534
أوجلة 1: 201، 209، 217
أوطاط 2: 551
أوكرت 1: 39، 80، 107، 172، 2: 172
بجاية 2: 60
بخارى 1: 346، 347، 348
بدر 1: 301، 302، 303، 304، 306، 309، 365، 366، 377، 395، 412، 433، 2: 138، 158، 385
بر الروم 1: 205، 2: 310
بر الصعاليك 1: 279
برج الملح 1: 129، 130، 2: 532
برقة 1: 135، 181، 194، 195، 197، 199، 200، 201، 205، 206، 208، 217، 218، 308، 2: 139، 384، 403، 407، 478، 487، 491، 499
برقة البيضاء 1: 206
برقة الحمراء 1: 201، 206
بسكرة 1: 40، 133، 185، 2: 183، 184، 539، 540، 542

البصرة 1: 117، 326، 431، 432، 2: 322

بطحاء القريش 2: 137

بطحان 1: 370، 371، 393، 408، 410، 412، 416، 419، 421، 2: 158، 390

بطن محسر 2: 178، 346

بطن هرشى 1: 307

بطن الوادي 1: 389، 407

بعلبك 2: 443، 452

بلاد الروم 1: 238، 2: 29، 30، 46، 443، 463، 480

بلاد الواحات 2: 16

بلاد سوف 1: 123

بلاد سيدي عقبة 2: 538، 539

بني بودنيب 2: 551

بهنسا 2: 480

بوسمغون 1: 111، 2: 549

بوصير 2: 475

بوكايس 2: 551

بيت حبرين 2: 462

تادلا 1: 218، 2: 44

تارودانت 2: 43

تافيلالت 1: 79

تجورارن 1: 81، 110، 111

تعلالن 1: 70

تسابت 1: 79

تكرين 2: 551

التل المرتفع 1: 297

تلمسان 1: 181، 2: 127، 132، 266، 546

تنبكت 2: 80

التنعيم 1: 40، 312، 333، 513، 515، 2: 145،

154، 166
التنية 1: 314، 315
تهامة 1: 18، 466، 2: 168، 378
توات 1: 37، 74، 76، 78، 79، 80، 84، 107، 120، 172
توريشت 2: 98
توزر 1: 40، 111، 2: 342، 343، 535، 536، 537
تونس 1: 12، 15، 104، 128، 129، 141، 142، 143، 144، 179، 182، 184، 198، 200، 280، 365، 447، 2: 29، 108، 325، 342، 344، 503، 532، 533، 535
ثنية الوداع 1: 395
الجابية 1: 196، 199، 200، 201، 208، 2: 496، 500
جبل أوراس 2: 539
جبال الحجاز 1: 294
جبال غمارة 1: 109
جبال مسلاتة 1: 178، 179، 180
جبل أبي قبيس 1: 515، 2: 101، 377
جبل أراك 1: 421
جبل أكرى 2: 152
الجبل الأخضر 1: 181، 196، 199، 201، 206، 208، 301، 2: 495، 496، 503
جبل الحزورة 2: 140
جبل الرحمة 1: 319
جبل الرماة 1: 407
جبل الرملة 1: 265
جبل النكازة 1: 180

جبل ثواب 1: 393
جبل ثور 1: 405، 2: 151
جبل حراء 1: 405، 2: 164
جبل درن 1: 181
جبل رضوى 1: 297
جبل زواوة 2: 183
جبل سلع 1: 392، 394
جبل سلمى 1: 290
جبل عريش 1: 303
جبل عنتر 2: 551
جبل عينين 1: 406، 407، 420
جبل القرود 1: 309
جبل قعيقعان 2: 140
جبل مفرح 1: 369، 371، 2: 385
جدة 1: 275، 285، 297، 441، 2: 139، 141، 153، 154، 156، 160، 161، 162، 167
الجديدة 1: 365، 2: 138، 401
جربة 1: 133، 141، 143، 201، 2: 535
جرجا 2: 46
جرجان 2: 149
الجرفين 1: 287
الجزائر 1: 12، 128، 133، 194، 2: 44، 61، 182، 183، 475، 487، 490، 496، 498، 514، 526، 535، 538
جزيرة العرب 2: 33، 208
الجعرانة 1: 333، 2: 161، 166، 167
جمنة 1: 126، 2: 534
جون العقبة 1: 207
الحامة 2: 533، 537

الحبشة 2: 61، 155، 262
الحجاز 1: 17، 18، 19، 21، 25، 26، 27، 29، 31، 71، 108، 129، 133، 193، 194، 200، 237، 248، 253، 257، 266، 268، 269، 280، 291، 292، 294، 295، 296، 297، 299، 303، 306، 307، 326، 327، 335، 366، 397، 411، 424، 433، 441، 450، 465، 466، 480، 485، 486، 493، 498، 516، 580، 2: 14، 29، 37، 38، 46، 49، 61، 69، 71، 98، 115، 128، 136، 153، 168، 169، 172، 185، 190، 291، 309، 315، 319، 378، 379، 383، 395، 411، 428، 503، 540، 543
حدة 2: 154
الحديبية 1: 183، 2: 118، 154، 161
حفائر النخل 1: 283
حلب 2: 80، 90
حلق الوادي 1: 142، 143، 144
الحماد الكبير 1: 76، 78، 113
الحوراء 1: 294، 295، 298، 2: 403
حوران 2: 433
الحوش 1: 215، 2: 475
خان يونس 2: 420، 430، 465
خراسان 1: 249، 348
الخروبة 1: 203
الخضيرة 1: 295، 296، 299
خليص 1: 307، 308، 310، 327، 364، 412، 2: 125، 139، 384
الخليل 1: 13، 40، 482، 620، 2: 414، 425،

426، 430، 457، 458، 461
الخندمة 2: 151
الخنفة 2: 538
خنق تليشت 1: 68
خوارزم 2: 80، 81
الدار الحمراء 1: 270
دار الوقدة 1: 16، 300، 301
درعة 2: 43، 528
درنة 1: 204، 205، 215
دقيوس 1: 181، 2: 534
دمشق 1: 103، 182، 481، 482، 505، 508، 570، 579، 2: 81، 90، 93، 96، 101، 123، 127، 214، 287، 411، 420، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 454
دمياط 1: 40، 2: 288، 468، 470، 471، 472
الدميرنة 1: 78
دور حسان 1: 195
ذو طوى 1: 313، 314، 333، 362، 2: 140، 154، 383
رابغ 1: 39، 306، 309، 364، 365، 2: 139، 384
رأس الخليج 2: 471
الرحيبة 2: 407
رشيد 1: 209، 383، 2: 411، 472
الرقيق 2: 537
الرملة 1: 13، 40، 219، 265، 266، 2: 414، 415، 416، 418، 419، 420، 428، 450
ريغ 1: 117، 119، 120، 133، 173، 2: 514،

544، 545
الزاب 2: 183، 538، 542، 543، 545
الزاهر 1: 313، 314
زبيد 1: 478، 2: 302
زرهون 1: 83
زريبة حامد 2: 537
زريبة الوادي 2: 538
زريق 1: 128، 129، 2: 532
الزعقنة 2: 467
زنزور 1: 134
الزوارات 1: 131، 132
زواغة 1: 132، 2: 532
الزوة 1: 306
ساحل حامد 1: 181، 182، 183، 196، 2: 500
سبتة 1: 520، 521، 2: 276
سبع وعرات 1: 295، 596، 299، 2: 402
سبيل الجوخي 1: 311
سجلماسة 1: 12، 29، 31، 39، 57، 69، 72، 74، 75، 76، 79، 107، 297، 383، 2: 446، 488، 545
سدرات العشار 1: 178
سرت 1: 195، 196، 197، 198، 206، 2: 497، 498
السرو 2: 471
السقيا 1: 367، 395، 414، 415، 416
سلا 2: 64
سلع 1: 383، 393، 394، 395، 419، 2: 71، 324، 491
سلوك 1: 200، 201، 203، 206، 213، 220،

341
سمالوس 1: 203، 206، 2: 495
سهب الحجارة 2: 551
السهلي 2: 551
السوافر 2: 462
السودان 1: 80، 109، 427، 430، 432، 455،
2: 16، 63، 76، 528
سوس الأقصى 1: 109، 181، 2: 43
سوسة 1: 141، 182، 233
السويس 1: 39، 167، 274، 285، 289، 485
الشام 1: 26، 182، 280، 326، 328، 348، 385،
387، 395، 402، 409، 433، 444، 456،
480، 481، 486، 516، 620، 621، 2: 30،
37، 46، 113، 124، 168، 212، 241،
294، 407، 409، 411، 414، 415، 416،
420، 425، 433، 443، 448
الشبيكة 1: 313، 333، 361، 364، 2: 163، 453
شرف بني عطية 1: 284، 2: 404
شرف الروحاء 1: 367، 2: 138، 401
الشرفة 1: 287
شريش 2: 346
شعب أبي طالب 1: 358، 2: 377
شق العجوز 1: 290، 2: 403
الشقة 1: 196، 365، 2: 426، 498
صحراء المغرب الأقصى 1: 130
صعيد مصر 2: 16، 61
الصفراء 1: 365، 446، 2: 138، 385، 401
صنعاء 2: 254، 262
صيدا 2: 446، 451

الصين 2: 158، 329
ضمير 2: 443
الطائف 1: 397، 411، 420، 465، 516، 2: 135، 150، 152، 161، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 175، 176، 312
طرابلس 1: 132، 134، 135، 136، 139، 142، 143، 145، 147، 177، 178، 179، 181، 192، 198، 201، 204، 208، 217، 220، 2: 295، 474، 491، 494، 501، 502، 503، 506، 514، 531
طرف النجحان 1: 309
طهطا 2: 283
طورزيتا 2: 423
طولون 1: 219، 263، 2: 114
الطويل 1: 78
طيبة 1: 60، 126، 149، 214، 370، 468، 622، 2: 51، 62، 68، 71، 136، 158، 173، 237، 458
الطينة 2: 430، 466، 469، 470
ظهر الحمار 1: 283، 287
العادلية 1: 267، 269
عجرود 1: 271، 272، 274، 276، 278، 295
العراق 1: 109، 315، 331، 332، 380، 433، 498، 516، 572، 2: 30، 31، 37، 80، 163، 245، 381، 534
عرام 2: 129، 174، 532
عرفات 1: 190، 318، 319، 330، 362، 363، 515، 2: 167، 178، 379
عرقوب البغلة 1: 280

العريش 1: 40، 303، 304، 367، 2: 401، 465، 466، 467، 468، 490
عسفان 1: 308، 310، 364، 2: 139
عسقلان 2: 201، 209، 225، 413، 414
عش الغراب 1: 284
عفران 2: 498
عقبة أكرى 2: 178
العقبة 1: 112، 180، 181، 206، 207، 280، 281، 282، 283، 286، 287، 308،
2: 346، 381، 404، 405، 406، 408، 488
عقبة السكر 1: 40، 307، 308، 2: 384
العقبة السوداء 1: 39، 294، 2: 403
عقبة السويق 1: 310
العقيق 1: 217، 370، 394، 395، 414، 417، 418، 419، 421، 2: 305، 324، 385
عكا 2: 241
العلندا 1: 123
العوالي 1: 19، 415، 421، 423، 456، 2: 64، 182
عين العباس 1: 75
عين الغزالة 1: 205، 2: 490، 495
عين سلوان 2: 424
عين ماضي 2: 546
عيون القصب 1: 285، 288، 2: 404
غار جبل ثور 2: 151
غدير خم 2: 200
الغرفة 1: 72
غرناطة 2: 270

غريان 1: 186
الغريض 1: 206
غزة 1: 13، 40، 275، 276، 281، 283، 2: 404، 405، 407، 408، 409، 411، 412، 413، 414، 428، 430، 462، 464، 465، 466، 468، 502
الغزيات 1: 204
فارس 2: 471
فاس 1: 506، 2: 44، 266، 310، 477، 480، 501
فجيج 1: 108، 109، 459، 2: 549، 550
فزارة 1: 141، 2: 63
فلاح شهبة 2: 433
فزان 1: 179، 181، 2: 496، 497، 498
فلسطين 2: 418
فم الطبل 2: 551
فم المدفع 1: 78
قابس 1: 128، 2: 532، 533
قاسيون 2: 80
قاطية 2: 468
القاهرة 1: 12، 39، 219، 220، 223، 227، 229، 233، 245، 246، 256، 259، 261، 263، 264، 269، 483، 484، 573، 575، 588، 622، 2: 46، 82، 88، 93، 96، 106، 111، 113، 123، 148، 149، 172، 184، 185، 188، 294، 298، 331، 411، 428، 472، 473، 474، 487، 501، 521
القباب 1: 278
قبر العاصي 1: 207

قدوسة 2: 551
قرطبة 1: 505، 2: 207، 279، 341، 347
قرن الثعالب 2: 168، 176، 177
قرى أولاد رافع 1: 78
قرى بني العباس 1: 76، 78
قرى تسابت 1: 79
قرى الدغامشة 1: 80، 81
قرية أولاد جلال 2: 546، 547
قرية بني خلف 1: 78
قرية عذراء 2: 445
قرية مازر 1: 76
قزح 2: 348
القسطنطينية 1: 109، 440، 2: 220، 312، 476
قسمطينة 2: 185، 505، 516
القصبات 1: 78
قصر أحمد 1: 188، 193، 2: 501
قصر بني عثمان 1: 70
قصر العطيش 1: 198
قصر كتامة 2: 312
قصر المخيلف 1: 204
قطنا 2: 435، 446، 447
قطيبة 2: 470، 471
قعيقعان 1: 313، 362
القليعة 1: 108، 111، 112، 173
قوص 2: 84، 90، 107
كداء 1: 311، 333، 362، 363
كدى 1: 362، 363
كرش البقرة 2: 474
كفافة 1: 290، 292، 1: 405

الكلابية 2: 539
الكوفة 1: 432، 2: 78، 351
لبدة 1: 181
المأزمان 1: 318
مالطة 2: 31
ما وراء النهر 1: 347، 432، 497، 2: 100
المحصب 1: 313، 329، 332، 358، 362، 2: 43، 164، 168، 384
محلة المغاربة 2: 451
المخيلي 2: 497
المدائن 2: 352
مدغرة 1: 70
المدور 1: 200، 2: 492
مدين 2: 329
مدينة لد 2: 421
المدينة المشرفة 1: 108، 179، 235، 252، 294، 303، 304، 340، 361، 367، 373، 385، 405، 406، 423، 427، 431، 467، 481، 569، 587، 604، 620، 629، 2: 15، 21، 45، 46، 51، 53، 65، 66، 69، 129، 137، 138، 158، 385، 386، 389، 403، 421، 507
مفرش النعام 1: 298
مراكش 1: 57، 82، 83، 132، 181، 224، 331، 2: 46، 54، 477، 482، 494، 497، 503، 549، 551، 552، 553
مرسى ابن غازي 1: 201
مرسى بولاق 1: 224، 2: 474، 477
مرسية 1: 517

مزاب 1: 117
مزدلفة 1: 319، 363، 515، 2: 169، 348، 383
مستيرة 1: 306، 365، 2: 141، 386
المصانع 1: 273، 274، 275
مصر مذكورة في معظم صفحات الكتاب
مضيق الخيف 2: 140
مطروح 1: 208، 209
المغرب 1: 12، 21، 23، 29، 76، 96، 109، 126، 136، 147، 197، 222، 224، 233، 247، 343، 364، 383، 386، 401، 433، 441، 473، 482، 579، 604، 2: 46، 66، 70، 97، 100، 158، 174، 268، 312، 327، 356، 413، 489، 501، 504، 535، 548
مقطع الكبريت 1: 196، 198
مكة مذكورة في معظم صفحات الكتاب
مكناسة 1: 79، 2: 312، 504، 551، 552، 553
الملتزم 1: 316، 329، 2: 289، 409
منى 1: 114، 315، 320، 323، 324، 325، 328، 363، 2: 43، 164، 169، 180، 348، 381، 383، 384
المنشية 1: 224
المنعم 1: 196، 198، 199، 200، 206
المنصف 2: 540
المنصورية 1: 219، 220، 224
منية عمرو 2: 473
المويلح 1: 264، 265، 285، 286، 287، 290، 292، 297، 2: 405، 406
النازية 2: 140
نجد 1: 326، 411، 2: 109، 169، 178، 380،

381
النخيل 1: 276، 278، 279، 282
النعيم 1: 196
نفزاوة 1: 39، 125، 126، 127، 128، 174
نفطة 2: 538، 539
النقب 2: 408
نمرة 1: 318، 319، 2: 180، 381
الهايشة 1: 194، 195
الهند 1: 16، 96، 274، 333، 433، 436، 448، 486، 516، 579، 588، 589، 633، 634، 2: 33، 59، 69، 80، 105، 331
واركلا 1: 39، 81، 107، 111، 113، 114، 119، 120، 122، 173
ودان 1: 309
وسيم 1: 220
يثرب 1: 592
يعفور 2: 436
اليمامة 2: 256
اليمن 1: 109، 238، 275، 304، 306، 326، 381، 397، 433، 465، 478، 486، 575، 580، 587، 2: 33، 39، 137، 214، 223، 287، 310، 381، 455
يمنطيط 1: 120
ينبع 1: 39، 180، 286، 292، 297، 303، 305، 326، 366، 383، 454، 467، 2: 326، 403، 404
ينبوع 1: 15، 296، 297، 299، 300
اليهودية 1: 197

فهرس البحار والأنهار والآبار والمياه

بئر أريس 1: 388، 391، 409، 410
بئر البارود 1: 279
بئر بصة 1: 391
بئر بضاعة 1: 413
بئر حاء 1: 413
بئر الحديبية 2: 154
بئر الدركين 1: 294
بئر الدويدر 2: 403
بئر الروحاء 1: 366
بئر رومة 1: 414، 418
بئر زمزم 1: 416، 2: 388، 424
بئرالسقيا 1: 414، 415، 416
بئر العبد 1: 468
بئر عروة 1: 417، 418
بئر العلائي 1: 282
بئر علي 1: 416
بئر غرس 1: 391، 414، 415
بئر معونة 1: 420
بئر الملا نافع 2: 385
بئر اليسيرة 1: 415
البحر الرومي 1: 274
البحر الغربي 1: 109

البحر المالح 1: 274، 287، 2: 105، 469، 470، 490
البحر المحيط 1: 181
بقبق 1: 207
تميمي (منهل) 1: 199، 205
جميمة 1: 209، 2: 488، 492
حلق الضبع 1: 207
الخطاطيف 1: 203
زمزم 1: 316: 321، 416، 515، 2: 143
زيرارة 1: 112
سواني بني كردان 1: 129، 2: 532
العبدية 1: 207، 208
العويجة 1: 196
العين الزرقاء 1: 410، 412
عين الغزالة 1: 205، 2: 490، 495
الفرات 1: 269
المدار 1: 209
مطيريح 1: 208
النيل 1: 215، 220، 224، 269، 270، 271، 275، 2: 477
وادي الأراك 1: 291، 293
وادي الأساور 1: 76
وادي الأشبور 2: 547
وادي إمكيدن 1: 107
وادي بردا 2: 434
وادي بطحان 1: 416، 419
وادي بوعنان 2: 551
وادي تارغلات 1: 183
وادي تيه بني إسرائيل 1: 279
وادي جهنم 2: 422، 423، 424

وادي جير 1: 76
وادي الخروب 1: 275
وادي رانونا 1: 421
وادي الرتب 1: 71
وادي الرمل 1: 178، 274
وادي الرهبان 1: 215، 217، 219
وادي ريش 1: 421
وادي ريغ 1: 118، 119، 173، 2: 514
وادي الزبية 2: 549
وادي زلمو 1: 551
وادي الساورة 1: 76
وادي السبط 1: 75
وادي سلمى 1: 292
وادي السمار 1: 128
وادي سمالوس 1: 203
وادي الشريف 1: 308، 364
وادي العقيق 1: 295، 417، 2: 326، 389
وادي العميان 1: 308
وادي الغاسول 1: 548
الوادي الغربي 1: 364
وادي الفارغ 2: 407
وادي القباب 1: 278
وادي القريض 1: 282
وادي قناة 1: 420
وادي كعام 1: 182
وادي كفافة 1: 292
وادي كيير 1: 76، 215، 417، 2: 495، 535، 549
وادي مذينب 1: 421
وادي مساعد 2: 547

وادي مهزور 1: 421
وادي النار 1: 295، 299، 303، 320
وادي الناموس 2: 549
وادي النبط 1: 295
وادي نعمان الأراك 2: 167، 178
وادي اليطرون 1: 219
وادي الينبوع 1: 296
وادي ينوت 1: 179

فهرس الزوايا والأضرحة والمقامات والأربطة والكنائس

الأزهر 1: 109، 219، 220، 224، 227، 228، 232، 234، 236، 244، 257، 270، 2: 416، 472، 493
الجامع الأبيض 1: 419، 2: 419
جامع بني أمية 2: 444
جامع الحاج إبراهيم 1: 136، 2: 501
جامع الزيتونة 1: 447
جامع السانية 2: 472
جامع طولون 1: 114
جامع عمرو بن العاص 1: 259
جامع كريم الدين 2: 450
جامع المارديني 1: 484، 2: 298
جامع المالكية 1: 114
جامع المغاربة 2: 419، 454
جامع المقسم 1: 259
الحرم الشريف 1: 17، 179، 303، 317، 373، 384، 410، 434، 436، 442، 448، 462، 471، 475، 485، 507، 595، 596، 628، 629، 632، 634، 2: 11، 29، 46، 62، 127
رباط السلطان قايت باي 1: 475، 485، 2: 49، 144
رباط سيدنا عثمان 2: 387
رباط الشيخ عبد القادر الجيلاني 1: 425، 485، 2: 377
رباط عبد القادر الغصين 2: 409، 462

رباط الموفق 2: 140، 143، 150، 324
رباط النخلة 1: 425
رباط النساء 1: 425
زاوية أبي محمد صالح 2: 484
زاوية أحمد بن عبد الصادق 1: 71
زاوية أحمد بن موسى 1: 78
زاوية أحمد زروق 1: 187
زاوية أولاد سيدي ناصر 2: 498
زاوية جمنة 1: 126
زاوية سيدي أبي هلال السوداني 2: 533، 534
زاوية سيدي حامد 2:533
الزاوية الشرقية 2: 532
زاوية الشيخ 1: 151، 189، 193، 487
زاوية عبد الرحمن الأخضري 2: 542، 544
زاوية عبد السلام الأسمر 1: 184، 2: 500
زاوية عبد الله طمطم 1: 80
زاوية عمر بن محمد صالح 1: 81
الزاوية العياشية 1: 29
الزاوية الغربية 1: 131، 2: 502، 531
زاوية صرمان 1: 133
زاوية محمد الصيد 2: 502
زاوية المغاربة 2: 421
كنيسة قمامة 2: 422
مساجد عائشة 1: 311، 513
مساجد الفتح 1: 391، 393، 394، 414، 431
مساجد ميمونة 1: 311
مسجد إبراهيم المتبولي 1: 269، 2: 415
مسجد أبي 1: 424
مسجد أبي بكر 1: 392

مسجد أب ذر الغفاري 1: 407
مسجد الإجابة 1: 391
مسجد الأحزاب 1: 392
مسجد أحمد الزاهد 1: 259
مسجد الأعلى 1: 392
المسجد الأقصى 1: 360، 2: 13، 19، 136، 217، 223، 415، 422، 449، 517
مسجد البغلة 1: 390، 391
مسجد بني حرام 1: 394
مسجد بني قريظة 1: 389، 390، 391، 415
مسجد بني ظفر 1: 390
مسجد الثنية 1: 406
مسجد الجمعة 1: 388، 389، 390
مسجد الجن 2: 377
المسجد الحرام 1: 28، 317، 320، 334، 2: 41، 140، 160، 163، 197، 246، 264، 281، 291، 382
مسجد الخليل 2: 459
مسجد الخيف 1: 317، 324، 325، 331، 2: 178، 379، 381
مسجد دار سعد بن خيثمة 1: 388
مسجد ذباب 1: 395
مسجد الراية 1: 395، 410
مسجد رومة 1: 410
مسجد السجدة 1: 407
مسجد السقيا 1: 395
مسجد السلطان حسن 1: 266
مسجد سلمان الفارسي 1: 392
مسجد الشمس 1: 389، 391

مسجد الصخرة 2: 422
مسجد الضرار 1: 388
مسجد طريق السافلة 1: 407
مسجد عثبان بن مالك 1: 390
مسجد عرف طيبة 1: 366
مسجد العسيرة 1: 297
مسجد العقبة 1: 317، 323، 2: 382
مسجد علي بن أبي طالب 1: 392
مسجد العيد 2: 387
مسجد الغزالة 1: 366، 2: 138، 401
مسجد الغمامة 1: 304، 305، 2: 139
مسجد الفتح 1: 391، 392، 393
مسجد الفسح 1: 406
مسجد الفضيخ 1: 389
مسجد قباء 1: 387، 388، 391، 409، 475
مسجد القبة 1: 104
مسجد قبة الصخرة 2: 421، 422
مسجد القبلتين 1: 394، 414
مسجد القرية 1: 297، 2: 325
مسجد الكبش 2: 381
المسجد الكبير 2: 407، 408، 413
مسجد المغاربة 1: 253
المسجد النبوي 1: 252، 386، 439، 440، 472، 597،
2: 128، 505
مسجد النحر 2: 381
مسجد الوادي 1: 407
مسجد ينبوع 1: 297
المشعر الحرام 1: 318، 320، 2: 381
مشهد إبراهيم (ابن الرسول عليه السلام) 1: 377

مشهد أبي العباس المرسي 2: 476، 480
مشهد الإمام مالك 1: 379
مشهد أمهات المؤمنين 376
مشهد أهل البيت 1: 261، 376، 380، 434
مشهد الحسن بن علي 1: 376
مشهد حمزة 1: 384، 396، 397، 401، 406، 407، 417
مشهد العباس 1: 376، 380، 424
مشهد عثمان بن عفان 1: 379
مشهد علي البدوي 2: 479
مشهد العيدروس 2: 163

فهرس الأبواب

باب إبراهيم 1: 317، 333، 2: 140، 142
باب البحر 2: 480
باب البقيع 1: 371، 376، 379، 410، 414، 420، 423، 2: 387
باب بني شيبة 1: 316
باب حزورة 1: 335، 336، 340، 2: 142، 148
باب حطة 2: 424
باب دمشق 1: 101
باب الرحمة بالقدس 2: 425
باب الرحمة بالمسجد الحرام 1: 179، 458، 485، 2: 454
باب السدرة 2: 476
باب السلام 1: 28، 312، 315، 334، 370، 410
باب السلطان 1: 114
باب الشامي 1: 410، 413، 414، 2: 401
باب الصخرة 2: 431
باب الصفا 1: 316، 2: 140، 144
باب العبرانية 2: 444
باب علي 1: 144
باب غزة 2: 407
باب الفتوح 1: 149
باب القصر 1: 267
باب القلعة 1: 260، 265

باب الله بدمشق 2: 450
باب المعلى 1: 314
باب المصري 1: 408، 454
باب الناصر 1: 244، 259، 269
باب النساء 1: 425، 428، 438
باب الوفود 1: 340، 633

فهرس الكتب الواردة في المتن

الأجرومية لابن أجروم 1: 452
إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد 2: 352
الإتفاق والاختلاف في المذهب للخشني 2: 275
الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام للقرافي 2: 356، 368
إحياء علوم الدين للغزالي 1: 521، 621
إختصار الإحياء للبلالي 1: 191
إختصار المستخرجة ليحيى القيرواني 2: 272
إختصار المعالم لابن دقيق العيد 2: 113
أدوار الشروق على أنوار الفروق لابن الشاط 2: 367
أربعون حديثا لتقي الدين الفاسي 1: 467، 2: 197
الأربعون نووية 1: 623، 2: 429
أرجوزة المكودي 2: 514
الإرشاد لإمام الحرمين 1: 525، 616
الإستذكار لابن عبد البر 1: 506، 2: 277
الإستيعاب لابن عبد البر 1: 506، 2: 112
الإستيعاب في المذهب لابن المكوي 2: 273
أسد الغابة لابن الأثير 1: 545
الأسمعة لابن دينار 2: 274
الإصابة لابن حجر 2: 284، 286
إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة للمقري 2: 410
الإعلام بنوازل الأحكام لبن أصبغ 2: 274

الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإلهيـــة
للقشاشي 1: 599
إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر لأبي سالم 2: 149، 181
العياشي 1: 30، 31، 53، 471، 477
الأقضية للمازري 2: 371
إكمال الإكمال للأبي 1: 96، 121
الآلة الجامعة النافعة في علمـــي التوقيـــت
والهيئة لمحمد الروداني 2: 53، 57
ألف باء للبلوي 2: 416
ألفية ابن مالك 2: 290، 451، 452
أمالي ابن مندة 2: 241
أمالي أبي سعيد النقاش 2: 240
الأمنية للقرافي 1: 576
إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله للملا
إبراهيم 1: 482، 569، 608
الإنجيل 1: 233، 248
الأنوار لعبد الرحمن الثعالبي 2: 61
أنوار التنزيل للبيضاوي 1: 525
الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار
لابن زرقون 2: 271
الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية
للقرافي 2: 365
الأوسط للطبراني 1: 386، 393
إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالـــك
للونشريسي 2: 373
إيوان المقعر لسالم شيخان 2: 301
بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد 2: 164، 165، 271
البردة للبوصيري 2: 301
بستان العابدين للقشاشي 1: 543، 598، 2: 131

بلوغ المرام لابن حجر 1: 191
بهجة المفاخر في معرفة النسب العالي
الفاخر 2: 131
البيان والتحصيل لابن رشد 2: 270
تأليف في الرد على ابن تيمية في إثبات
الجهة لابن جبريل 2: 99
تاريخ الإسلام للذهبي 2: 348، 352
تاريخ ابن الأثير 2: 97
تاريخ ابن خلكان 2: 349
تاريخ بغداد لابن النجار 2: 87
تاريخ بغداد للبغدادي 2: 345
تاريخ دمشق لابن عساكر 1: 308
تاريخ السمعاني 2: 345
التاريخ الكبير والصغير للسمهودي 1: 302
تاريخ المدينة للسمهودي 1: 375
تاريخ نيسابور للحاكم 2: 80
تاريخ اليمن للجندي 2: 285
التبصرة لأبي الحسن اللخمي 2: 271
التبصرة لابن محرز 2: 271
تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي
الحسن الأشعري لابن عساكر 1: 574
تثقيف اللسان 1: 283
تحرير كلام القوم في أمر النبي عليه السلام
في النوم لأبي سالم العياشي 1: 87
تحفة الأخلاء لأبي سالم العياشي 1: 30، 31، 34، 604، 621، 623،
2: 149
تذكرة داوود الأنطاكي 2: 39
التشوف للتادلي 1: 72
التصريح لخالد الأزهري 2: 72، 474

تصنيف على كتاب سيبويه لابن الحاج الإشبيلي 2: 344
تعلقة على المدونة لابن حسن التونسي 2: 271
تفسير ابن مردويه 2: 240
تفسير البغوي 2: 76
تفسير البيضاوي 1: 246، 2: 77، 302، 387، 388
تفسير الثعالبي 2: 240
التفضي لابن عبد البر 1: 506
تقويم البلدان 1: 181
تقييد على المدونة لعبد العزيز القوري 2: 267
التكملة لابن الأبار 2: 337
تكملة السيرة الشامية لمحب الدين الفيشي 1: 104
تكميل تعلقة التونسي على المدونة لابن الصائغ 2: 271
التلخيص للقزويني 2: 502
التلقين لابن نصر البغدادي 2: 276
التلويح للتفتازاني 2: 524
التمهيد لابن عبد البر 1: 506، 2: 277
التمييز على كشاف الزمخشري لأبي علي بن خليل السكوني 2: 89
تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية لأبي سالم العياشي 1: 31، 121
التنبيهات للقاضي عياض 2: 270، 355
تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام 1: 251
التوراة 2: 233، 248
التوضيح للشيخ خليل 2: 521، 524
التيسير لأبي عمرو الداني 1: 506
تيسير الوصول إلى جامع الأصول لعبد الرحمن الديبع اليمني 1: 476

جامع الأصول لابن الأثير 1: 97، 2: 97
الجامع الصغير للسيوطي 1: 230، 575
الجدل لأبي إسحاق الإسفراييني 1: 103
الجفر الجامع والنور اللامع لابن عربي 2: 20، 21، 23، 25، 33
الجفر الكبير 1: 632، 2: 11، 13
حل المغنم في حل الطلسم لسالم شيخان 2: 302
جمع الفرق لرقع الخرق لأحمد بن أبي الفتوح 1: 336
الجواهر الخمس لمحمد الغوث 1: 260، 543، 544، 591، 2: 301
حاشية أبي الحسن على البخاري 2: 550
حاشية على تفسير البيضاوي للخفاجي 2: 289
حاشية على تفسير البيضاوي للملا محمد الكوراني 2: 387، 388
حاشية القشاشي على المواهب اللدنية للقسطلاني 1: 598
حاشية كبرى على البيضاوي لبدر الدين الهندي 1: 629
حاشية المشدالي على المدونة 1: 191
حاشية الوانوغي على المدونة 1: 191
الحاوي لأبي الفرج الليثي 2: 276
الحجة لمذهب مالك لابن الوراق 2: 276
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي 1: 223
الحكم لابن عطاء الله السكندري 1: 589
حكمة الإشراق للسهروردي 1: 494
الحلى التيجاني لمحمد التيجاني 2: 344
حوادث فقراء الوقت للأوراسي 1: 286، 2: 282
الخادم للزركشي 1: 98، 103
الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

لابن حجر 2: 238، 380
الخلعيات لعلي بن الحسن الخلعي 1: 253
الدر المنثور للسيوطي 2: 76
الدر والعقيان في طبائع الإنسان لعمر بن
عبد القادر المشرقي 2: 463
الدرة السنية في المعالم السنية لابن أصبغ
الأزدي 2: 347
الدعاء لابن أبي الدنيا 2: 540، 543، 545، 546
الديباج المذهب لابن فرحون 1: 191
ديوان شعر على لسان أهل الحقائق
للقشاشي 1: 602
ديوان الشهاب الخفاجي 2: 289
ديوان الشيخ محمد العلمي المقدسي 2: 431
ديوان عبد الكريم الفكون 2: 515
الذخيرة للقرافي 2: 269، 364، 521
ذيل الإستيعاب لابن فتحون 2: 286
ذيل طبقات الحفاظ لابن فهد 2: 287
ربيع الأبرار للزمخشري 1: 455
الرجاء والخوف للكركاني 1: 342
رحلة ابن رشيد 1: 362، 2: 227، 324، 347، 373
رسائل ابن تيمية 1: 570
رسائل ثلاث في مسألة الكسب للقشاشي 1: 575، 605
رسالة ابن أبي زيد القيرواني 1: 116
رسالة ابن التاج في علم الحرف 1: 632
رسالة ابن خلدون في علم الحرف 2: 27
رسالة عمر الدنديلي في علم الحرف 2: 27
رسالة في الانتصار للمذهب الشافعي لابن
رسول الشهرزوي 2: 77، 275
رسالة في الذكر باسم الجلالة مفردا

للقشاشي 1: 602
رسالة في حديث إنما الأعمال بالنيـــات
للملا إبراهيم 1: 576
رسالة في طرق أئمتنا الصوفية الموجودة في
هذه الأزمنة لحسن العجيمي 2: 295
الرسالة القشيرية 1: 197
رسالة محمد بن أبي الفتح الصوفي في علم
الحرف 2: 27
رسالة معالم التصديق لمعرفة دخول العبد
في الطريق لمحمد العلمي المقدسي 2: 441
رسالة منازل الحج للبكري 1: 272
رشحات عين الحياة للكاشفي 1: 346
الرغائب لابن حبيب 1: 284، 2: 284
رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر لأبي
سالم العياشي 1: 404، 2: 354
روضة الحكام للقاضي شريح 1: 130
ري الظمآن لمحمد المرسي 2: 84
الزبور 2: 31، 65
السر المكتوم في مخاطبة النجـــوم للفخـــر
الرازي 2: 84
السفينة لأحمد بن التاج 2: 42
سقط السمط وسمط المرط في علم الخـــط
لسالم شيخان 2: 305
السلم المرونق للأخضري 2: 542
سمط المجيد للقشاشي 1: 598
سنن أبي داود 1: 567، 2: 246، 473
سنن ابن ماجة 1: 567، 2: 246
سنن الترمذي 1: 567، 2: 473
سنن الدار قطني 2: 416

سنن المهتدين للمواق 1: 447
سنن النسائي 1: 567: 2: 473
سيرة ابن هشام 1: 406
سيرة الحلبي 2: 470
الشامل لبهرام 1: 191
الشامل في الطب لابن النفيس 2: 97
شرح أرجوزة المكودي في التصريف لعبد الكريم الفكون 2: 282، 514
شرح أرجوزة المكودي في التصريف لمحمد المرابط الدلائي 2: 515
شرح الأسماء الحسنى لأحمد زروق 1: 551
الشرح الأطول للمفتاح للملا عصام الدين 1: 247، 428
شرح ألفية العراقي لياسين الخليلي 1: 621
شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام التونسي 2: 268
شرح ابن الحاجب لابن هارون 2: 268
شرح ابن الحاجب لعبد الرحمن الثعالبي 2: 267
شرح بديعية الهواري لأبي جعفر الإلبيري 2: 290
شرح براءة المعاني في العالم الإنساني لابن عربي 1: 518
شرح البردة لابن مرزوق 1: 301
شرح التعرف لابن دقيق العيد 2: 113
شرح التلقين للمازري 2: 99، 270، 271
شرح التنبيه للمحب الطبري 2: 81
شرح الجامع الصغير للمتبولي 1: 575
شرح الجمل المجراد للأوراسي 2: 282
شرح حدود ابن عرفة للرصاع التونسي 2: 267
شرح الحكم لابن عباد 2: 312
شرح الحكم للقشاشي 1: 589

شرح درة الغواص للخفاجي 2: 289
شرح الرسالة لابن ناجي 2: 268، 357
شرح الرسالة للفاكهاني 2: 360
شرح السنة لابن عربي 1: 428
شرح الشامل لابن عسكري 1: 191
شرح الشامل للتتائي 2: 359
شرح الشفا للخفاجي 2: 289
شرح الشقراطيسية لابن المصري 2: 536
شرح شواهد الشريف على الأجرومية 2: 282
شرح العقائد لسعد الدين 1: 526
شرح العقباني على جمل الخونجي 2: 308
شرح العمدة لابن الملقن 2: 357
شرح الفناري على إيساغوجي 1: 630
شرح القباب لقواعد عياض 1: 446
شرح قصيدة التوقيت لمحمد بن سليمان الروداني 2: 58
شرح القطب على الشمسية 2: 631
شرح كتر الأسرار وذخائر الأبرار لثابت بن قرة 2: 24
شرح المحصول لشمس الدين الأصبهاني 2: 87
شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي 2: 474
شرح مخارج الحروف من الشاطبية للأوراسي 2: 282
شرح مختصر ابن عبد الحكم لابن صالح الأبهري 2: 273
شرح المختصر الفقهي لعمر فكرون 1: 233
شرح المختصر لأبي العباس حلولو 2: 267
شرح المختصر لبهرام 1: 117
شرح المختصر للأجهوري 2: 506

شرح المختصر للتتائي 1: 117
شرح المدونة لابن ناجي 2: 268
شرح مسلم للأبي 1: 104
شرح مسلم للنووي 1: 102
شرح مسند الشافعي للسيوطي 1: 550
شرح المصابيح لفضل الله التوربشتي 2: 99
شرح المفتاح للسعد 1: 246، 2: 246
شرح الملا جامي على الكافية 2: 452
شرح المنار في أصول الفقه لابن مالك 1: 630
شرح منهاج البيضاوي للفرج الإردبيلي 2: 125
شرح المنهج المنتخب إلى نظم قواعد المذهب لأحمد المنجور 2: 370
شرح منية الحساب 2: 28
شرح منية المصلي 2: 491
شرح المواقف للسيد الجرجاني 1: 497، 619، 631، 632، 2: 16
شرح نظم المكودي في التصريف للأوراسي 2: 282
شرح النقاية للسيوطي 1: 229
شرح الهداية في الحكمة لوالد السيد الجرجاني 1: 493
شروح الحكم للشيخ زروق 2: 350
شعب الإيمان لعبد الجليل القصري 1: 508، 533
الشفا للقاضي عياض 1: 633، 2: 240، 245
شفاء العليل لابن القيم 1: 616
شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي 1: 467، 2: 166
شكاية أهل السنة بحكاية ماناهم من المحنة للقشيري 2: 227، 228
الشمائل للترمذي 1: 428، 467
شمس المعارف الكبرى للبوني 2: 27، 302

صحيح ابن حبان 2: 423
صحيح البخاري 1: 91؛ 396، 406، 483، 507، 621، 2: 77، 166، 328، 429، 458، 463، 473، 540
صحيح مسلم 1: 51، 91، 391، 483، 506، 2: 77، 154، 166، 246، 328، 429، 435، 458، 473
ضرائر الشعر لابن عصفور 1: 77
ضمائر السرائر للشناوي 1: 542، 544، 550، 588
الضوء اللامع للسخاوي 1: 531، 2: 290
ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة للقشاشي 1: 481، 598
طبقات الأسنوي 1: 342
طبقات ابن سعد 1: 378، 415
طبقات الصوفية للمنوي 2: 287، 350
الطبقات الكبرى للتاج السبكي 2: 78، 79، 332
الطبقات لعبد الوهاب الشعراني 1: 222، 225، 259، 269، 636
الطراز لابن عنان 2: 360
الطرر على المدونة لابن مطر 2: 267
العتبية للعتبي 1: 451
العزيز في شرح الوجيز لعبد الكريم الرافعي 2: 96
العقيدة الصغرى للسنوسي 1: 117
عنقاء مغرب لابن عربي 2: 43، 127
الغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الخطوط
الصمدية والمفاخر المحمدية للتوزري 2: 342
فتاوى ابن الصلاح 1: 102
فتاوى البرزلي 1: 85
الفتاوى الحديثية للسيوطي 1: 549، 550
فتاوى الحناطي 1: 103
فتاوى القاضي حسين 1: 102

فتاوى النووي 1: 102
فتح الباري لابن حجر 1: 609، 612
فتح المتعال في مدح النعال لأحمد المقري 2: 348
الفتوحات المكية لابن عربي 1: 434، 481، 511، 513، 517، 522، 576، 594، 611، 2: 177، 411
الفروق للقرافي 1: 173، 2: 356، 364، 365، 367، 369، 374
الفصوص لصاعد البغدادي 2: 335
فضائل الشام لأبي الحسن الربيعي 2: 241
فهرست عيسى الثعالبي 2: 514
فوائد ابن الناصح 2: 241
فواتح الجمال لأبي الجناب نجم الدين الكبرى 1: 350
القاموس للفيروزأبادي 1: 412، 416، 420، 2: 247
القبس لأبي بكر ابن العربي 2: 270
القواعد لأبي عبد الله المقري 2: 365، 375
قواعد أحمد الونشريسي 1: 191، 2: 365، 375
القواعد الصغرى لعز الدين ابن عبد السلام 2: 95
القواعد في علم التصوف 1: 191
قواعد القرافي 1: 98، 2: 365، 369
القواعد الكبرى لعز الدين ابن عبد السلام 2: 95، 297
القوانين النحوية لابن أبي الربيع 2: 352، 354
قوت القلوب لأبي طالب المكي 1: 540، 547، 549
القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف لبعض الغاربة 2: 410
القول الجلي للملا إبراهيم 1: 475
كافية ابن الحاجب 1: 479، 630

كتاب الأحكام لمولى ابن الطلاع 2: 273
كتاب الثواب 2: 239
كتاب الجواهر لمحمد الغوث 1: 243، 260، 540، 543، 544، 545، 550، 552، 588، 591، 2: 301، 302، 307
كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا 1: 540، 543، 545، 546، 549، 550، 555، 2: 246
كتاب سيبويه 1: 482، 2: 344
كتاب الشروط لمولى ابن الطلاع 2: 273
كتاب الطواعن للحطاب 2: 538
الكتاب الكافي 1: 505
كتاب المعمرين 2: 285
الكتب الستة 2: 116، 416، 473
الكشاف للزمخشري 2: 274
كشف القناع في حكم لولا للامتناع لعلي السبكي 2: 119
كفاية المريد 1: 189
الكمالات الإلهية لعبد الكريم الجيلي 1: 599
كنز الرواة المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع للثعالبي 2: 194
الكنى والأدب المفرد للبخاري 1: 489
الكواكب الزاهرة لعبد القادر بن مغيزل الشاذلي 1: 98
لسان الميزان للسيوطي 2: 285
اللآلىء المجموعة لعبد الله القرطبي 2: 347
لواقح الأنوار للشعراني 1: 250
المآخذ للمواق 2: 336
المباحث الأصلية 2: 542
المثل السائر لابن الأثير 2: 97

المجتبى للبارزي 2: 550
المحاضرات والمسامرات لابن عربي 1: 435، 520
محدد السنان في نحور إخوان الدخان لعبد
الكريم الفكون 2: 521
المحصول لابن الخطيب 2: 247
مختصر ابن عرفة 1: 191
مختصر خليل 1: 191، 427، 429، 2: 62
مختصر رعاية المحاسبي لعز الدين بن عبد
السلام 2: 333
مختصر السعد على تلخيص المفتاح 1: 246، 248، 630
المختصر لابن أبي زيد القيرواني 2: 271
مختصر ما ليس في المختصر لابن القرطبي 2: 272
مختصر المتيطية لابن هارون 2: 268
مختصر معالم الإيمان لابن ناجي 2: 532
مختصر الواضحة لابن سلمة 2: 277
المدخل لابن الحاج 1: 95
مدونة سحنون 2: 272
مرآة المحاسن للعربي الفاسي 1: 342
المرشدة لابن تومرت 2: 92
المسالك لابن فضل الله 2: 113
مسامرات الأبرار لابن عربي 1: 434، 520، 2: 411
المسايرة لابن همام 1: 618
المستقصية لابن مزين 2: 274
مسند أبي حنيفة 2: 416
مسند أحمد 1: 392، 405، 2: 240، 416
مسند ابن أبي الدنيا 2: 277، 473
مسند الحارث 2: 254
مسند الدارمي 2: 285
مسند الشافعي 1: 550، 2: 184، 416

المشكل في الحديث لعبد الجليل 1: 508
مشكلات التفريع لابن جلاب 2: 335
مشكلات التلقين للقاضي عبد الوهاب 2: 335
المصابيح للبغوي 2: 61، 129
مصنف ابن أبي شيبة 2: 238
مصنف ابن وهب 2: 239
المطول لسعد الدين التفتازاني 1: 146، 247، 248
المعجم (كتاب آدم عليه السلام) 2: 24
معجم البرزالي 2: 290
معجم الذهبي الصغير 2: 113، 126
معجم الطبراني الصغير 1: 394، 445، 467، 633، 2: 176، 197، 287
المعونة لابن نصر البغدادي 2: 276
المعونة للقاضي عبد الوهاب 2: 358، 374
المعيار المعرب لأحمد الونشريسي 2: 266
مغني اللبيب لابن هشام 2: 452
المفاتيح الغيبية والمصابيح الوهبية 2: 20
مفتاح الفلاح لابن عطاء الله 1: 521، 2: 298
مفيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي 2: 574
مقدمات ابن رشد 2: 270
مقدمة ابن خلدون 2: 34
المقدمة العشماوية 1: 581
مقدمة في الفقه لعبد الرحمن الأخضري 2: 542
ملء العيبة لابن رشيد السبتي 2: 227
ملحة الإعراب 2: 452
الملخص الرازي 2: 85
الملخص القابسي 2: 283
مناسك الحطاب 2: 246
مناقب أبي بكر البالسي 2: 79

المنتخب لابن أبي زمنين 2: 275
منتهى العبر 1: 222
المنتقى للباجي 2: 274
منتهى السول في مدح الرسول 2: 247
منسك ابن جماعة 2: 246
منظومة أبي الفرج الإشـــبيلي في ألقـــاب الحديث 2: 121
منظومة حازم الميمية في المدح والنحو 2: 108
منظومة في البيوع لأبي سالم العياشي 1: 62
منظومة في السلوك لعبد الرحمن الأخضري 2: 542
منظومة في العقائد لأبي الحجاج الضرير 2: 411
المنقذ من الضلال للغزالي 1: 342، 496
منقذة الموهوم من مزلقة الدهوم لـــسالم شيخان 1: 598، 599
منهاج العابدين لعلي المسفر السبتي 1: 520، 521
المنهل الروي في علم الحديث 1: 192
منية الحساب لابن غازي 2: 28
منية المصلي 2: 491
الموازية لابن المواز 2: 272
المواهب اللدنية للقسطلاني 1: 253، 598
موطأ الإمام مالك 1: 115، 401، 2: 279، 281، 473
الميزان للذهبي 1: 584، 2: 84، 85
النافعة على الآلة الجامعة لمحمد بن سليمان الروداني 2: 53، 54، 57
نزهة الناظرين لمرعي الحنبلي 1: 144، 2: 190
النصائح لابن مسرة 1: 273، 2: 273
النصر المبين بالتصرف المبين لسالم شيخان 2: 305
النظامية لإمام الحرمين 1: 525، 616، 617
نفثة المصدور إلى الإخوان والصدور لأبي

سالم العياشي 1: 147
نفح الطيب لأحمد المقري 1: 83، 2: 247، 290
النفخ والتسوية لعلي المسفر السبتي 1: 521
نقد على مقرب ابن عصفور لابن الحاج
الإشبيلي 2: 344
نكت الهميان في نكت العميان للصفدي 2: 76
نكتة سر الشفا في القول اللاحق المصطفى
لابن عربي 2: 43
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 2: 97
النوادر لأبي علي القالي 2: 335
نوادر أصول للترمذي 2: 247
نوادر ابن أبي زيد القيرواني 2: 271
النوازل للبرزلي 1: 108، 173، 404، 2: 268
نوازل القرطبي 2: 270
نور المسرى في تفسير آيـة الإسـرا لأبي
شامة 2: 89
الهداية في الحكمة للأثير 1: 493، 632
الواضحة لابن حبيب 2: 274
وثائق الفشتالي 2: 270
الوجيه للقوصي 2: 110

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة.
- أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1998.
- إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، أبو سالم العياشي، تحقيق: محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1999.
- الأحاديث المختارة، المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1410.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، عالم الكتب، بيروت، دت.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، مصر، 1280.
- أسماء القبائل وأنسابها، معز الدين القزويني، شرح وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- اعتقاد أهل السنة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم،المطبعة الملكية، الرباط، 1974.
- أعلام المغرب العربي، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 8: 1989.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر،فهرس أبي سالم العياشي، تحقيق ودراسة: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1996.
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، محمد بن الطيب القادري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
- ألف باء، يوسف محمد البلوي، عالم الكتب، ط2: 1985

- أمثال العرب، المفضل الضبي، قدم له وعلق عليه: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1983.
- أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام لأبي يحيى الزجالي، دراسة وتحقيق د. محمد بنشريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1975.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ابن دقماق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- أنس الساري والسارب، ابن مليح، تحقيق: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1970.
- البدور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية، سليمان الحوات، تحقيق: عبد الرحمن كظيمي، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة المعارف، بيروت، دت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، خالد بن عيسى البلوي، مقدمة وتحقيق: الحسن السائح، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- تاريخ الإسلام للذهبي دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ أمراء المدينة المنورة، تأليف: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر، 1418.
- تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407.
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، الشيخ عبد الحي الكتاني، ضبط وتعليق: د. أحمد شوقي بنبين ود. عبد القادر سعود، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط 1: 2004.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404.
- التحبير في المعجم الكبير، السمعاني، تحقيق: منيرة ناجي سالم.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل، دار الصميعي، الرياض.
- التذكرة الفخرية، الصاحب بهاء الدين الإربلي، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، ط1: 1997.
- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، أبو القاسم الزياني، حققه وعلق عليه: عبد الكريم الفيلالي، نشر وزارة الأنباء، المغرب، 1967.
- الترغيب والترهيب
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، أبو يعقوب يوسف التادلي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 2: 1997

- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة.
- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، عني بنشره وتصحيحه، السيد عزت العطار الحسيني، 1955.
- التمثيل والمحاضرة، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983.
- تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية، تأليف: الشيخ محمد أمين بن فتح الله زاده الكردي، اعتنى به: الشخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
- التوجيهات (مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط (ضمن مجموع) رقم: 1773 ك.
- الثغر الباسم في جملة من كلام أبي سالم، محمد بن حمزة العياشي، (مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط) رقم: 304 ك.
- الجامع الصغير للسيوطي، تحقيق: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار طائر العلم، جدة.
- الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، محمد كبريت الحسيني، حققه وعلق عليه: د. عائض الردادي، الرياض، 1998.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، دت.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، المطبعة الشرفية، مصر، دت.
- الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، عبد الغني النابلسي، تحقيق: أكرم حسن العلي، المصادر، لبنان، ط 1: 1990.
- الحكم، ابن عطاء الله السكندري، تحقيق وتقديم: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مؤلف مجهول حققه: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1979
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، محمد الأخضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1977.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، دار صادر، بيروت،
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر، تحقيق: محمد حجي، راجعه: عبد المجيد خيالي، مطبعة الكرامة، الرباط، ط3: 2003.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان ابن دراج القسطلي حققه وعلق عليه وقدم له د. محمود علي مكي، المكتب الإسلامي، ط 2، 1389 هـ.
- ديوان ابن سهل الإسرائيلي، دراسة وتحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

- ديوان أبي إسحاق الألبيري حققه وشرحه واستدرك فائته، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1: 1991.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار مكتبة الهلال، لبنان، 1998.
- ديوان أبي المغيث الحلاج، صنعه وشرحه وعلق عليه: موفق فوزي الجبر، دار المنير، دار معد، سوريا، 1999.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ حققه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- ديوان الإمام علي، جمعه وضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ديوان حازم القرطاجني تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، 1964.
- ديوان الخنساء، شرح: ثعلب الشيباني، حققه: د. أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن.
- ديوان ذي الرمة، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، دققه: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، ط 3: 1993.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1977.
- رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الواتي، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405.
- رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، حررها وقدم لها: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
- رحلة ابن رشيد ابن رشيد السبتي، دراسة وتحليل: د. أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003.
- رحلة التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1981.
- رحلة العبدري، تحقيق وتقديم: محمد الفسي، منشورات جامعة محمد الخامس، 1968.
- الرحلة العياشية، ماء الموائد، لأبي سالم العياشي، وضع فهارسها: محمد حجي، الرباط، 1977.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري، تحقيق: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975
- روضة الآس العاطرة الأنفاس، أحمد بن محمد المقري، المطبعة الملكية، الرباط،1964.
- الرياض النضرة، أحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، حقه: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، دار الثقافة، لدار البيضاء، 1981.
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تقي الدين الفاسي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001.

- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994.
- سنن المهتدين في مقامات الدين، محمد المواق الغرناطي، تحقيق: محمدن سيدي محمد ولد حمينا، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2002.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب أرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح ديوان حسان بن ثابت، وضعه وضبطه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي.
- شرح ديوان المتنبي، تهذيب وتعليق: د. يحيى الشامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1: 1997.
- شرح الزرقاني، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، 1989.
- شرح النووي على صحيح مسلم
- شرف الطالب في أسنى المطالب، أحمد بن قنفذ،(ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات) تحقيق: د. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، 1976.
- الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، القاضي عياض اليحصبي،اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي ونجيب ماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين الفاسي، دار إحياء الكتب العربية، 1956.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970.
- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة 3: 1987.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق: د. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1: 2004.
- ضرائر الشعر، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، لبنان، دت.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الحياة، بيروت، دت.
- طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، 1391.

- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، منشورات هجر للطباعة والنشر، 1992.
- الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الانوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب احمد بن علي الشعراني، ضبطه وصححه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1997
- الطبقات الكبرى لبن سعد، طبعة ليدن، 1321.
- طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل، بيروت.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3-1987
- فتاوى النووي المسمى المسائل المنثورة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379.
- الفتوحات المكية، ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، دت.
- فتوح البلدان، البلاذري، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي، تحقيق: السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المشايخ والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، اعتنى به: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.
- الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، 1978.
- فهرست عبد القادر الفاسي، ومعها إجازة عبد القادر الفاسي لأبي سالم العياشي، تحقيق: الدكتور محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، 2003.
- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، طبعة مصر، 1299.
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر.
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار المعرفة، بيروت.
- قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، تأليف أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ، تحقيق: د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط1: 1998.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، ضبطه وصححه: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1997.
- الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، عالم المعرفة، بيروت، دت.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، 1988.
- كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، عرام بن الأصبغ السلمي، تحقبق: د. محمد صالح شناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،1990.
- كتاب التمهيد لابن عبد البر.طبعة القدسي، 1350.
- كتاب الجفر الجامع والنور اللامع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، مكتبة الكليات الأزهرية، دت.
- كتاب الجواهر الخمس، الشيخ الإمام سيدي محمد بن خطير الدين بن با يزيد بن خواجة العطار، نشر: الحاج عبد الله اليسار التجاني.
- كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، الإمام الحربي، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، السعودية، 1969.
- كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة 3: 1405.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، استنبول، 1941.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي، حققه: جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2: 1979.
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، دت.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- لقط الفرائد، ابن القاضي،(ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات) تحقبق: د. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، 1976.
- لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر، لابن ليون التجيبي، دراسة وتحقيق: سعيد بن الحرش، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآدابن فاس.
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، عبد الوهاب الشعراني، تقديم: الأستاذ محمد علي الإدلبي، دار القلم العربي، حلب، 1993.
- مجلة المناهل (وزارة الثقافة – المغرب)، ع 38، دجنبر 1989
- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة بيروت، 1407.
- مجموع مهمات المتون، دار الفكر، دت.
- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، محي الدين ابن عربي، ضبط نصه وصححه: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- مختصر العلامة خليل فيه فقه الإمام مالك، الشيخ خليل بن إسحاق، دار الفكر، دت.
- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، محمد العربي الفاسي الفهري، تحقبق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد، 2003.
- المساجد في الإسلام، الشيخ طه الولي، دار العلم للملايين، بيروت، 1988.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مسند أبي يعلى، أبو يعلى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مسند الربيع، تحقيق: محمد إدريس وعاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، 1415.
- مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.
- معجم الطبراني الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- معجم الطبراني الصغير، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت عمان، 1985.
- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983.
- معجم ما استعجم، البكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
- معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- معلمة المغرب، تنسيق محمد حجي، مطابع سلا.
- المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، 1969.
- المساجد في الإسلام، الشيخ طه الولي، دار العلم للملايين، ط1: 1988.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984
- مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، دار الكتب العلمية، 1959.
- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط4-1981.
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، تقديم وتحقيق: الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهمت من الأتباع، المهدي الفاسي، تحقيق وتعليق: عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، 1994.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد العسقلاني، شرحه وعلق عليه: مامون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.
- المنقذ من الضلال، الإمام محمد بن محمد الغزالي، دار العلم للجميع، دت.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، عبد العزيز بنعبد الله، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1975.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغرى بردى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،محمد الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1989.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، القادري، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1977.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبعة إستانبول 1951.
- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد بن تاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق: د. قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1: 2001.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، 1968.
- وفيات الونشريسي، (ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات) تحقيق: د. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، 1976.

محتويات المجلد الثاني

استهلال 5
الجزء الثاني من الرحلة........................ 9
ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة 135
ذكر شهود رمضان بمكة المعظمة 145
ذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة المعظمة 151
الأماكن التي تُزار في بلد الطائف 175
ذكر من لقيته بمكة من الأفاضل أيام المجاورة 181
المزارات المشهورة بمكة 377
ذكر خروجنا من مكة إلى المدينة المشرفة 383
ذكر دخولنا إلى المدينة المشرفة 387
ذكر الخروج من المدينة المشرفة 401
خروجنا من القدس الشريف 457
ذكر ارتحالنا من الإسكندرية متوجهين إلى المغرب 487
ذكر ارتحالنا من مدينة طرابلس 531
الفهارس الكشافة 553
فهرس الآيات القرآنية 555
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 569
فهرس الأعلام 577
فهرس الأشعار 639
فهرس المدن والأماكن والبلدان 653
فهرس البحار والأنهار والآبار والمياه 669
فهرس الزوايا والأضرحة والمقامات والأربطة والكنائس 673
فهرس الأبواب 679
فهرس الكتب الواردة في المتن 681
فهرس المصادر والمراجع 699